

مجلة

مجمع اللغة العربية بمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

(عدد فاس)

بمناسبة انقضاء خمسين سنة على تأسيس المجمع



شوال ١٣٨٨ هـ

كانون الثاني ١٩٦٩ م

مجلة
مجمع اللغة العربية دمشق
«مجلة المجمع العلمي العربي ساقطا»

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م



في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
أو ما يعادلها جنيه وعشر شللات
ثلاث دولارات

قيمة الاشتراك السنوي

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن
آرائهم الشخصية .

مجمعنا بعد نصف قرن من تأسيسه

يبلغ مجمعنا بحلول اليوم الثامن من حزيران سنة ١٩٦٩ خمسين عاماً من العمر ، وإذا كان هذا الحين من الدهر الذي أتى عليه لا يعد شيئاً مذكوراً في حياة المجامع الأخرى ولا سيما العريقة منها في القدم ، فقد حق له أن يزهو مفتخراً بأن لإنشاءه سبق إنشاء الجمعتين العربيتين الآخرين (في مصر والعراق^(١)) وكان تمهيداً طبيعياً للطريق أمامها .

ولقد تميزت هذه الفترة من الزمن بأحداث جسام في الوطن العربي كله وفي القطر السوري خاصة ، ويجدر بنا لذلك أن نتساءل هل أتيح لهذا الجمع أن يقوم في هذه الظروف بالأعباء الملقاة على عاتقه حق القيام ، وهل استطاع أن يؤدي الرسالة التي اضطلع بها ؟

أرى من الفائدة قبل الخوض في صميم الموضوع ، أن أذكر الدواعي الملحة التي دعت إلى تأسيسه في ذاك الحين ، وما ذلله مؤسسه من صعاب وما لاقوه من عقبات حتى استقر أمره وبلغ أشده .

ففي خريف ١٩١٨ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وتحررت سورية مع سائر البلاد العربية من الحكم العثماني الذي ظل جاثماً أربعين سنة وثيقاً ، وأطل فجر السلام على العالم بعد أن ولت الأيام الحالكة من سني الحرب الضروس الأربع التي أتت على الأخضر واليابس في الكثير من أرجاء المعمورة

(١) لقد كان صدور مرسوم إنشاء مجمع فؤاد الأول (بجمع اللغة العربية في القاهرة اليوم) في ١٣/١٢/١٩٣٢ إلا أن صممه لم يبدأ إلا في ٣٠/١/١٩٣٤ . أما المجمع العلمي العراقي فقد تأسس في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

والتي لم يكن نصيب سورية منها بالنذر اليسير ، فقد لاقى أهلوها المظالم وعانوا البطش والتجويع والنفي والتشريد ، واهتبل غلاة الترك الاتحاديون تلك الفرصة السانحة للتزكيل بأبناء البلاد بتنفيذ مرسومه من خطة ترمي إلى تترك الأصقاع العربية وصهر سكانها في بوتقة الطورانية ، فعلقوا على أعواد المشانق في دمشق وبيروت نجبة مختارة من رجال الفكر ، وساقوا شبان البلاد المجندين إلى الأصقاع النائية من الامبرطورية العثمانية ، كما نفوا مئات الأسر إلى الأناضول بغية إحلال الترك محلهم .

وحين رأى المواطنون في سورية ، بعد كل هذه الشدائد ، إعلان الاستقلال في دمشق بعد جلاء الأتراك عنها وحين شهدوا الراية العربية المربعة الألوان تحف في السماء ، عمت الفرحة وساد سرور لا يوصف ، وانطلقت الألسن بعد أن كمت الأفواه أعواماً عديدة ، وتبارت الأقلام للدعوة إلى إذكاء روح القومية العربية بعد أن خبت طيلة القرون الأربعة ، وتألفت حكومة عربية قوامها أبناء البلاد العربية كافة دون أي تمييز بين قطر وآخر واعتُبرت وحدة العرب هدفاً أساسياً ، وعُدَّ القول بالإقليمية والعمل لها ضرباً من الدسائس الأجنبية ، الغاية منه الخؤول دون جمع الكلمة وتحقيق الوحدة المنشودة .

وقد كانت أولى المشاكل التي واجهت هذا المجتمع الجديد الناشئ المتجه إلى اللحاق بركب الحضارة مشكلة اللغة العربية ، وقلَّ من موظفي الحكومة من كان يتقن العربية أو يجيد الكتابة السليمة بها . وأتَّى لموظفي العهد العثماني تعلم هذه اللغة ، وقد درسوا في المدارس التركية الرسمية وتخرجوا منها ، وهي مدارس لم تكن لتعنى بتعليم العربية العناية الكافية ، وإنما تكفي في الغالب بتعليم مبادئ الصرف والنحو شأنها في ذلك شأن اللغة الفارسية التي تعلِّم مبادئها إجبارياً أيضاً ، وكلتا اللغتين كانتا تدرسان من أجل إغناء اللغة التركية ، لكثرة ماتحويه من مفرداتها .

وأرى من المفيد أن أتوقف هنا قليلاً لأصف حالة اللغة العربية في سورية في هذه الفترة من الزمن ، وأعني في السنين الأخيرة من الحكم العثماني وغداة إعلان الاستقلال . لقد عشت هذه الفترة شاباً يافعاً ، وعانيت معاناة واضحة ما كان من شأن اللغة فيها ، وما أظن الكثرة من أبناء هذا الجيل من قراء هذه الكلمة على معرفة بهذا الوضع اللغوي في ذلك الحين .

لقد كان تعلم اللغة العربية وقفاً على بعض الفئات من الناس وفي طلبهم رجال الدين والمسلمون منهم خاصة ، وذلك لأنه لم تحل الأزمة الماضية حتى في أحلك أيامها من أناس نذروا أنفسهم للتفقه في الدين وإتقان علومه إلى جانب حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، فكان لا بد لهؤلاء من الإحاطة باللغة العربية من أجل ذلك ، عربياً كانوا أو أعاجم . ولما كانت الدولة العثمانية تعني من الجندية رجال الدين والشبان الذين ينقطعون إلى طلب علوم الدين ، بعد امتحان يؤدونه أمام لجنة من العلماء تعينها الحكومة ، فقد كان على هذه الفئة من الشباب أن تتعلم اللغة العربية لتضمن الفوز بالإعفاء ، وكم من هؤلاء من شغف باللغة العربية إثر ذلك وتابع دراسته لها وأصبح ممن يشار إليهم بالبنان لسعة اطلاعه وتبحره في علومها المختلفة . ولم يكن بعض رجال الدين المسيحي أقل حظاً في تعلم لغة الضاد ، فإن منهم من عُمد من المبرزين بها ، وأسهم في إرساء دعائم النهضة اللغوية في سورية ولبنان على السواء .

وكان ممن يعني باللغة العربية أيضاً ، طلاب بعض المدارس الخاصة من أهلية وتبشيرية . فمن المدارس الأهلية المدارس الطائفية وقد كانت العربية لغة التلميم في أكثرها وكانت تعتمد في التدريس على ما طبع من الكتب في مصر ولبنان ، وإذا كان موظفو الحكومة من خريجي المدارس التركية الرسمية ، فإن التجار وأرباب الصناعات وغيرهم من طبقات الناس هم من متخرجي

تلك المدارس الخاصة . وكان بين المدارس التبشيرية التي عُثِنَت باللغة العربية عناية فائقة ، الجامعة الأميركية في بيروت (وكانت تعرف في بدء تأسيسها بالكلية السورية الإنجيلية ، وظلت اللغة العربية لغة التعليم في جميع فروعها بما في ذلك مدرسة الطب عدة سنوات ، وألّف الأميركيون المستعربون كتباً كثيرة باللغة العربية) . ثم الكلية اليسوعية في بيروت (وتعرف بكلية القديس يوسف) إذ كان تدريس العربية فيها على مستوى رفيع أيضاً ، وعلى ذلك رأينا من خريجي هذين المعهدين ولا سيما الأول منها من كان يحسن العربية كتابة وخطابة (١) .

ولم تكن المدارس الخاصة غير الرسمية في الشام تعنى كلها بتعليم اللغة العربية ، بل إن منها ما كان تركي النزعة لا يفسح لتعلم العربية إلا أقل النصيب ، وكتب هذه السطور ممن نشأ في إحدى هذه المدارس ، إلا أن الوعي القومي الذي استيقظ بعد إعلان الدستور العثماني ، وذلك الضغط الذي قام به حزب الاتحاد والترقي ، قد دعا إلى تطوع فئة مختارة من الشباب المثقفين إلى التسرب إلى مثل هذه المدارس والتفغل فيها وتعليم العربية بالجان في جانب بث الروح القومية (٢) . وقد تابعت تعلم العربية خلال تحصيلي الثانوي

(١) من خريجي الجامعة الأميركية القدماء المرحوم فارس الخوري والمرحوم الدكتور عبد الرحمن شهبندر والدكتور عبد الرحمن الكبالي أمد الله بحياته .

ومن خريجي الكلية اليسوعية في بيروت المرحوم الدكتور مرشد خاطر (وقد أنهى دراسته الثانوية في مدرسة الحكمة في بيروت) ، والزميل الدكتور أسعد الحكيم أظّل الله بقاءه (وأنقذ العربية في مدرسة العازارية في دمشق) وكلهم من رواد النهضة الحديثة في البلاد .

(٢) كان من نصيب المدرسة الابتدائية التي كنت فيها آنذاك أن جاءنا لتعليم اللغة العربية فيها الشهيد الأمير عارف الشهابي (شقيق رئيسنا الراحل المرحوم مصطفى الشهابي) والمرحوم الدكتور صلاح الدين الفاسمي ، وعلى حين انقطع المرحوم الفاسمي بعد مدة قصيرة ، فقد تابع الأمير الشهابي تفعّله الله برحمته دروسه عدة سنوات وكان له الفضل عليّ بأن حبّب إليّ تعلم اللغة العربية ، وزاد في تشجيعي على ذلك أن أهداني ساعة ذهبية في حفل مشهود لتفوقي ، وأهداني اشتراكاً في جريدة المفيد التي كانت تصدر في بيروت آنذاك وكان يسهم في تحريرها مع رفيقه الشهيد عبد الغني العريسي ، وكلاهما أعدم في بيروت خلال الحرب العالمية الأولى .

والمالي على أستاذ خاص ، وهكذا كنا نتعلم اللغة العربية كما نتعلم اللغات الأجنبية . ولما كان والذي رحمه الله موظفاً في دائرة التجنيد في عهد الحكومة العربية فقد اضطرت إلى تعليمه مبادئ العربية لكي يتابع عمله الرسمي ، شأنه في ذلك شأن سائر الموظفين من خريجي المدارس التركية . وفي جانب تقصير أكثر المثقفين من المواطنين في إتقان العربية كتابة ولفظاً ، فقد تسرب بعض الألفاظ التركية إلى لغة العامة الدارجة ، منها الألفاظ التركية المحضة ومنها العربية أصلاً والتركية لفظاً . فمن الفئة الأولى : الشنطة ^(١) (الحقيبة) والكندره (الخذاء) والكوزلك (النظارات) والبورغي (اللولب) والسفرة (المائدة) وغيرها . ومن الفئة الثانية كلمات كثيرة أيضاً كان يستعملها بعض الخاصة في بادئ الأمر إلا أنها أخذت بالزوال ، كقولهم إمظا بدلاً من إمضاء (التوقيع) ، ومظبطة عوضاً عن مضبطة ، لأن الضاد تلفظ ظاء بالتركية ، ورأيت أحد مشاهير الأطباء في ذلك العهد يكتب على لافتة عيادته وبين الألقاب العلمية التي يحملها : الأعضاء في الجمعية الفلانية لأن الأتراك يستعملون اللفظة بصيغة الجمع للدلالة على لفظة عضو المفردة ، وسمعت أحدهم أيضاً (وكان ذا مقام رفيع في الحكومة) يقول لأحد ضيوفه المصريين وهو يدعوه إلى التقدم عليه ، تفضل إنك مسافر عندنا ، لأن لفظة مسافر في التركية تعني الضيف في العربية . وتجاوزت الأغلاط الألفاظ المفردة إلى بعض التراكيب ، فقد شاهدت لافتة في شارع النصر نصبتها رئاسة البلدية (أمانة العاصمة) تحمل الكلمتين (تصليحات المتأدية) أي التصليحات المتأدية أو المستمرة ، وما إلى ذلك من التراكيب والألفاظ التي لا يزال بعض العامة يستعملها ، وهي من راسب الماضي القريب .

(١) ومنها اشتقت كلمة شنطلي أي ذو الحقيبة للدلالة على الحامي الذي يمارس الحماية بحكم النران دون أن يكون مجازاً إجازة جامعية ولا يزال بعض الناس يستعملونها إلى يومنا هذا .

تلك لحظة عابرة عن حالة البلاد الثقافية اللغوية ، ومبلغ معرفة أهلها للعلم
غداة الانفصال عن حكم الترك ، واستلام أبنائها مقاليد الحكم ، فليس غريباً
أن تكون المشكلة اللغوية أولى المشاكل التي دعت أولى الأمر وعلى رأسهم
الحاكم العسكري (١) إلى السعي الحثيث لاتخاذ كل ما يمكن اتخاذه من تدابير
جاذمة ، وتأليفه بادیء ذي بدء دائرة خاصة في أواخر خريف ١٩١٨
سميت (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) ثم ديوان المعارف في شباط ١٩١٩
والذي أسندت رئاسته إلى الأستاذ المرحوم محمد كرد علي ، وكان عاد حديثاً
إلى دمشق بعد غياب طويل عنها ، مع أعضائه الثمانية ، ثم كانت الخطوة
التالية تحويل الديوان المذكور إلى مجمع علمي (٢) بتاريخ ١٩١٩/٦/٨ ومن
النفيذ ذكر نص قرار التحويل (٣) ، وكان يعقد جلساته في قصر الحكومة

(١) وهو المرحوم الفريق علي رضا باشا الركابي الذي يعود إليه الفضل في المبادرة إلى
تلافي هذه النقيصة المربعة وتنظيمه شؤون الدولة الناشئة ، ورفضه أية معاملة
لا تكسب بالعربية ، وإحلاله العربية الصحيحة محل التركية بما يلائم الطفرة .

(٢) يوسع الفارسي الذي يود الاستراة مما تم في هذه الفترة ، الرجوع إلى كتاب
تاريخ المجمع العلمي العربي تأليف الأستاذ أحمد الفتيتج (وهو من مطبوعات المجمع
العلمي العربي بدمشق) وإلى ما كتبه رئيس المجمع الراحل المرحوم الأمير مصطفى
الشهابي في الجزء الأول من المجلد الأربعين من هذه المجلة بعنوان المجمع العلمي
العربي بدمشق .

(٣) رقم $\frac{٥٦٩٨}{٢٣٤٨}$ لحضرة رئيس ديوان المعارف المحترم

دفعاً للالتباس الذي يمكن وقوعه نسبنا أن يسمى ديوانكم بالمجمع العلمي (آقادمي)
وإننا نرجو إقرار ميزانية المدارس على حدة وإرسالها إلى مدير المعارف العام
والسلام عليكم .

حاکم سوريا العسكري العام
علي رضا الركابي

في ١٩١٩/٦/٨

في ساحة المرجة ثم انتقل إلى المدرسة العادلية (المقر الحالي) وكانت الجلسة الأولى التي عقدها الجمع في مقره الجديد بتاريخ ٣٠/٧/١٩١٩ ثم وإلى عقد جلساته مرة أو مرتين في الأسبوع وأعلن أهدافه في ٢٠ أيلول ١٩١٩ كما يلي :

- ١ — النظر في اللغة العربية وأوضاعها المعاصرة ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتغريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على غط جديد
- ٢ — جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة .
- ٣ — جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية وتأسيس متحف لها .
- ٤ — إصدار مجلة خاصة بالجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكوين رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة .

إن دار الآثار (المتحف) التي جاء ذكرها في البند الثالث بين أهداف الجمع قد انفصلت عن الجمع في ٨ أيار ١٩٢٨ وربطت بوزارة المعارف مباشرة مع تأليف مجلس إدارة لها برئاسة رئيس الجمع العلمي العربي وبقائها في المدرسة العادلية مقر الجمع إلى أن أنشئ المتحف الحديث عام ١٩٣٧ ونقلت إليه الآثار منفصلة نهائياً عن الجمع مع تكوين مديرية لها دعت مديرية الآثار العامة وكانت ذات استقلال مالي وإداري .

وأصدر الجمع في مطلع عام ١٩٢١ مجلته التي عرفت بمجلة الجمع العلمي العربي وصدر منها ٤٠ مجلداً بهذا الاسم ثم أصبح اسمها بدءاً من مطلع سنة ١٩٦٦ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بحجارة لتسمية الجمع بهذا الاسم بعد أن توحد بمجما القاهرة ودمشق وأصبح كلاهما فرعاً في كل من عصمتي القطرين .

إن أول ما عني به المجمع في بدء تكوينه الاضطلاع بأعباء كثيرة في طليعتها تقويم الموج والركيك من الألفاظ والعبارات السائدة في هذا المجتمع الذي أهمل أمر لغته عدة قرون، والتي درجت على الألسن وتناولتها الأقلام، ثم إصلاح الأخطاء الشائعة وإيجاد كلمات تقوم مقام الكلمات التركية المستعملة وتشذيب لغة مائسرع بطبعه من الكتب المدرسية إلى جانب تهذيب لغة الدواوين . وأبلى في هذا الشأن بلاء حسناً يدل على هذا ما كان ينشره في الصحف اليومية قبل إصداره مجلته وبعد إصدارها ، وما كان يحجب به أعضاؤه عن الأسئلة الكثيرة التي كانت توجه إليهم .

ومع هذا كله ، فلم تعدم الحسنة ذاماً (على حد قول المثل العربي) ولم ينج أعضاؤه من حسد الحاسدين وكيد الكايدين ، فصدر في أواخر تشرين الثاني سنة ١٩١٩ قرار (عئلل باستحكام أمر الضائقة المالية) صرف بمقتضاه رئيس المجمع وأعضاؤه الثانية باستثناء عضوين اثنين أوكل إليها الإشراف على داري الكتب والآثار ، فبطلت حركته وتوقف عن العمل ، إلى أن استدعي المرحوم محمد كرد علي إلى تسنم وزارة المعارف في أواخر سنة ١٩٢١ فأعاده إلى سابق عهده ولم يكن مالاقيه المجمع من مقاومات لتفت في عضده بل زادته نشاطاً وقوة (١) .

وأضاف بعدئذ إلى الجوانب الكثيرة التي عني بها اهتمامه بالتراث العربي وحرصه على محاولة أحيائه والحصول على أمهات الكتب العربية القديمة مطبع منها في مصر أو أوروبا ، والتي تتعلق بتاريخ القطر الشامي وآداب اللغة العربية فضلاً عن حرصه على تصوير واستنساخ مخطوطات كثيرة من المكتبات العامة العربية والأوروبية .

(١) من التقرير الأول عن أعمال المجمع العلمي العربي للمرحوم محمد كرد علي .

وتعرضت حياة المجمع مرة أخرى إلى الخطر في أواخر سنة ١٩٢٢ وأوائل سنة ١٩٢٣ إلى أن تم إلحاقه برئاسة الإتحاد السوري ذاك الإلحاق الذي ضمن له حياته (١) وتأسست الجامعة السورية مؤلفة من المجمع العلمي العربي ومعهدي الطب والحقوق في ١٥/٦/١٩٢٣ ، ولم يدم ذلك فقد صدر في ١٥/٣/١٩٢٦ قرار النفوس السامي الفرنسي بفصل المجمع عن الجامعة السورية وربطه بوزارة المعارف التي تحولت إلى وزارة التربية ، وربط أخيراً بوزارة التعليم العالي المحدثه .

وبعد ، فهذه نظرات سريعة في حال اللغة العربية في سورية قبل تأسيس المجمع وإبان تأسيسه ، وصورة في غاية الإيجاز عن سيرة المجمع الأولى وما تماقب عليه من أحداث كانت تتأرجح بين الفناء والبقاء .

فهل استطاع - على ذلك كله - أن يؤدي واجبه وأن ينهض بالملهاة التي اضطلع بها ؟ وماذا عليه أن ينجز وهو يواجه مع هذه الأيام نهاية نصف قرن وبداية العام الواحد والخمسين ، مرحلة جديدة من حياته المديدة إن شاء الله ، زجسوا أن تكون متميزة بالكثير من الزكاء والنمو واحتمال أضخم تبعة في حياة المجتمع العربي وهي تبعة مواكبة التطور اللغوي للتطور الفكري والتطور العلمي بوجه خاص .

إن أصدق وأيسر ما يقال في هذا ، إن المجمع عمل كل ما كان في وسعه أن يعمل وفوق ما كان في وسعه في تنمية لغة المجتمع العربي في سورية من الانحراف ومحاوله صيانتها من الخطأ ، والتمكين للإيمان بقدرتها على متابعة الحياة العلمية وصياغة كتب العلوم والمصطلحات بلغة عربية سليمة ، وقد فتح عمله هذا الأمل الكبير ووضع الشاهد الحي على أن القصور ليس قصور اللغة بقدر ما هو قصور أبنائها وبعض مؤسساتها .

(١) من التقرير الثاني عن أعمال المجمع العلمي العربي للمرحوم محمد كرد علي .

وإن المجمع بعد هذا عمل عملاً ضخماً في لطاق إحياء التراث القديم فطبع مئات من الكتب الأصلية التي هي بمثابة نصوص رئيسية لإقامة الدراسات الفكرية والأدبية على أساس علمي صحيح ، ومجموعة مطبوعاته في ذلك غنية عن أن يتحدث عنها ، لأنها قبلة الأنظار ومحط الاهتمام في أرجاء العالم العربي كله وفي دوائر المستشرقين والمستعربين .

وإن المجمع فوق هذا واصل العمل في مجلته التي جاوزت عامها الثالث والأربعين والتي تفتتح بهذا العدد عامها الرابع والأربعين ، إن هذه المجلة من أبرز مجالات الوطن العربي وأبعدها أثراً في الدائرة التي تعمل فيها ، وهي ملتقى أقلام عربية وأجنبية ، وكثر يعرفه معرفة إكبار ويحرص عليه حرص تقدير ، الباحثون العرب والأجانب على السواء ، ولا تكاد تخلو منه مكتبة في أي طرف من أطراف العالم .

إن ذلك كله ليس هو الصورة المثلى التي نتمناها للمجمع ، إن آمال المجمع وطموح الجمعيين وواقع اللغة العربية أبعد مدى وأوسع أفقاً ، ومن هنا ، فإن الذي فعله المجمع إنما كان في حدود ميزانيته الضيقة التي كانت الظروف المختلفة تدفع الحكومات المتعاقبة إلى الانتقاص منها ، فلا تكاد تترك له إلا ما يساعد على أقل الجهد .

ولا بد إذن لهذه الميزانية من أن تتسع إذا نحن أردنا أن يكون المجمع كفوياً للمهام التي تلقى على عاتق المجامع اللغوية ، وإنها لمهام مضاعفة في وطننا العربي لأنها ترافق الأساس في نهضته ، أعني ترافق تكوينه الفكري وتكوينه اللغوي ، فليست ميزانية المجمع ترفاً حتى ينتابها التقشف ، ولا إسرافاً حتى ينال منها الاقتصاد ، ولكنها من أحق طرق الإنفاق بالإتفاق .

ولا بد بعد أن تتسع الميزانية من أن تستجيب الدولة إلى الإصلاحات الأساسية التي تتحدث بها إلى السلطات المسؤولة ، وأول ذلك تعديل النظام

فما يتصل بمستوى الوظائف الرئيسية الثلاث : الرئاسة ونيابة الرئاسة ، وأمانة السر ، والعمل السريع على تنفيذ مبدأ التفرغ لثلاثة أو أربعة من الأعضاء ، بنصرفون عن كل شيء لينقطعوا إلى العمل الجمعي الخاص ، وإفساح المجال أمام توحيد العمل اللغوي في أجزاء الوطن العربي بين الجامعات والهيئات المختلفة ، لأن وحدة اللغة هي قبل كل وحدة أخرى ، وضمان لكل وحدة سيواها ناهيك بها حافظاً للبقاء العربي بجملته .

قلت إن الجمع أدى فوق ما يستطيع إذا قيست إمكاناته بإمكانات غيره من المؤسسات في البلاد العربية المختلفة ، والمجمعيون لا يفخرون بذلك لأنهم يعتقدون أنه واجب في أعناقهم وأمانة في ضميرهم لكن الظروف السيئة تجعل من العسير أن يستمر الجمع في مثل توقده وإنتاجه إذا ظلت هذه الشرائط المضنية تقيد خطاه .

والمجمعيون بدءاً واحدة على متابعة الجهد في أوسع آماده في سبيل الواجب اللغوي ، ولعلمهم واجدون من اهتمام الدولة فيما يستقبلون من أيام خيراً مما وجدوا فيما استدبروا منها ، إن ذلك علامة هامة من علامات صحة المجتمع الفكرية والقومية وكلنا حراس على أن تكون هذه الصحة في أرفع مستوياتها .

الدكتور حسني سبيع



خمسون عاماً

أتت على ميلاد مجتمعنا المبارك خمسون عاماً وكأنها خلسة نظر ، فما هي الذكرى التي بقيت في الذهن بعد نصف قرن ، أرجع بالخطاظر إلى أوائل نشأة المجمع الذي شرفني بانتخابي عضواً فيه سنة ١٩٢٦ على ما أذكر . كانت تلقى في المجمع محاضرات عامة كل أسبوع ، وكان الإقبال على تلك المحاضرات عظيماً ، فالناس كانوا في رغبة شديدة في المعرفة والاطلاع ولذلك كانوا يزدحمون أيام المحاضرات ، ولست أستطيع أن أقول أن تلك المحاضرات كانت على درجة واحدة من الجودة ، فبعضها كان شبيهاً بالمواعظ ، يرتجلها أصحابها دون استعداد ولا تخمير ، كأنهم على منابر الوعظ ، وبعضها كان فوق مدارك الجمهور ، أذكر أنني سمعت بعض الحضور يقولون بعد أن فرغ أحد المحاضرين من محاضرتة وقد خاض في موضوع من موضوعات اللغة : هذا فوق مداركنا !

فاتمخني مرة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في رحمته بأمر هذه المحاضرات ، وقد كثرت حتى كاد أثرها يضمف في النفوس ، فقلت للأستاذ العظيم : أرجو أن يقلل المجمع من المحاضرات العامة ، أو أن يلغها لأن فائدتها بعد كثرة المدارس ونشأة الجامعة قد قلت ، فلم تبق حاجة ماسة إليها ، فالمجمع ينبغي أن يكون عمله غير إلقاء المحاضرات العامة على أنه قد خفف إقبال الناس عليها ، وما زال هذا الإقبال يخف حتى أبطلت المحاضرات .

وإذا أبطلت تلك المحاضرات في المجمع فقد قامت مقامها مظاهر ثانية ، من هذه المظاهر تأبين البلغاء من الكتاب والشعراء ، وفي جملتهم المنفلوطي وحافظ وشوقي أو تكريم الفحول منهم في حياتهم ، أمثال شوقي وحافظ ومطران والزهاوي ، نغمدهم الله بواسع رحمته ، ولا نكاد نحضرن في عبارة الإفصاح عن استقبال شوقي يوم أقيمت قصيدته الخالدة ، وقد كان لا يلقى شعره وإنما ألقاها عنه المرحوم نجيب الرئيس ، أمثال أثر هذه القصيدة فاني عاجز عن وصفه ، فقد نقلت الناس من حاضرم الأليم إلى ماضيهم الرائع ، نقلتهم من أيتام الانتداب الفرنسي إلى أيتام بني أمية وعز سلطانهم ، حتى خرج الناس من المجمع وكأنهم سكارى .

ثم تقلب المجمع في أحوال مختلفة كان خلالها في مهب الريح ، مرة كانوا يلحسون في مجلس النواب في إلغائه ، ومرة كانوا يطلبون التضييق عليه حتى انبرى الأستاذ فارس الخوري ، رحمه الله تعالى ، وهو صاحب الحجّة القاطعة للدفاع عنه في مجلس النواب .

وما زال المجمع تهبّ عليه رياح مختلفة حتى نعم بالاستقرار والطمأنينة فانصرف إلى جلائل أعماله دون قلق واضطراب ، وعلى رأس هذه الأعمال المحافظة على لغة العرب .

لست في حاجة إلى الكلام على شهرة المجمع ورآء البحار ، فهو في نظر المستشرقين عنوان أدب البلاد ولقمتها وتاريخها ، هو عنوان المحافظة على هذا الأدب وهذه اللغة وهذا التاريخ ، ونرجو أن يبقى عنواناً لهذه الأمور الشريفة على تراخي السنين .

هذا يسير مما بقي في الذهن من ذكرى جمعنا في خمسين عاماً ، وإذا أثرت في هذا المقام إلى طائفة من أفاضل أعضائه الرامسين في اللغة ، أمثال المبارك والجندي وغيرها وإذا كنت أقصر على هذه الإشارة فالسبب

في ذلك اني أرى أن جمعنا خلّده الله تعالى إنما عمله المحافظة على لغتنا ، على روحها وعبريتها ، ولا سيما في زمن قلّت فيه العناية باللغة ، وأصبح كل من يمسك بالقلم يعتقد أنه حرّ في التصرف في حرمتها ، يخترع من الألفاظ ما يريد ، ويركّب من الجمل ما يشاء ، ويستعمل من هذه الألفاظ وهذه الجمل ما لا نفهمه نحن الذين نعيش في هذا العصر ، وما لن يفهمه الذين يأتون بعدنا في المستقبل من الأيّام ، لقد أصبحت اللغة يومنا هذا فوضى في كثير من الأحوال ، نقرأ في بعض الصحف والمجلاّت والكتب ما لا نهتدي إلى معناه ، وإذا قابلنا بين هذا الزمن الذي نعيش فيه وبين الزمن الذي كان يعيش فيه شيوخ اللغة وأمراء البيان أشباه النيازجي وأرسلان ومن هم في طبقتها نجد الفرق عظيماً ، إذا قابلنا بين غيرتهم على اللغة وبين استخفاف كثير من أهل هذا الزمن بتقديسها بلغ العجب منّا كل مبلغ ، كان أحدهم إذا زلّ به قلعه زلّة قامت الدنيا وقعدت ، فكثرت المناظرات في الصحف والمجلاّت من أجل لفظة واحدة ، أمّا اليوم فلا تقوم الدنيا ولا تقعد من أجل ألفاظ ليست من اللغة في شيء ، ومن أجل تراكيب لا يعلم معانيها إلاّ الله عزّ وجلّ ، فقد يقع نظارنا على ألفاظ لا أصل لها وعلى تراكيب خارجة عن روح اللغة ، فلا نجد من ينبّه عليها ولا نجد من يهتمّ بهذا التنبيه إذا وقع ، ولسنا نعلم عواقب هذه الأمور بما لسنا نعلم ما تصير إليه اللغة بعد حين من الدهر إذا استمرّ كثير من الذين يمسكون بالأقلام في التصرف في اللغة بحسب مشيئتهم وأهوائهم وزعائمهم .

من أجل هذا كلّه أرى أن عمل جمعنا الوحيد إنما هو المحافظة على روح اللغة وعبريتها حتى تبقى لغة عربية ، من روح اللغة التي كانت شائعة على أقلام أئمة البلاغة في عصورنا الخالية ، نظراء ابن المقفع والجاحظ .

والتوحيدي وغيرهم ممن كان يجري على أساليبهم ، وإذا وجدنا من يقول أن الزمن قد تبدل ، فلماذا لا تبدل اللغة ، إذا وجدنا من يقول هذا القول فإثنا نقول له وإخوانه : قد تبدل الزمن وقد يتبدل التفكير وقد تبدل اللغة ، ولكن تبدل اللغة لا ينبغي له أن يخرجها عن روحها وعن عبقريتها .

أخذ الله بيد مجتمعا حتى يحافظ على هذه اللغة وعلى هذه الروح وعلى هذه العبقرية !

شفيق جبري



سابق البربري

شاعر من المغرب عاش في الشام

- ١ -

أبو سعيد بن عبد الله ، هكذا كناه ، ونسبه في تاج العروس وقال :
روى عن مكحول وروى عنه الأوزاعي . فهو إذاً من تابعي التابعين ، ومن
سكن دمشق ، إذ أن مكحول دمشقي والأوزاعي هو إمام أهل الشام .
ويأتي في أخباره مع عمر بن عبد العزيز ما يؤكد ذلك .

ولما ذكر في الذخيرة السنية أن زناة تنسب إلى بَرِّ بن قيس عيلان
قال : وفي ذلك يقول سابق المطاطي حين قتال البربر للروم بأفريقية أيام
سليمان بن عبد الملك .

أيام مشرّ الروم ارحلوا عن بلادكم وخلصوا لنا عنهما ربيّ المراحل
فقد قصدتكم بَرِّ بـُسيوفها وأحلافها أهل الرّماح الذوابل
قبائل من بَرِّ بن قيس وخندف وذي يمن في عزّها المتطاول
ومعلوم أن مطاطة إحدى قبائل زناة ، وزناة من البربر . فهل
أن سابق البربري هو المطاطي ؟

أما العصر فهو عصر واحد . وأما الشعر فهو ما اشتهر به صاحبنا ،
وزيادة على ذلك فإن نسيج هذه الأبيات يوافق النوال الذي نسيجت عليه
جميع أشعاره التي سنرويها بعد .

- ١٨ -

ولكن الذي يُشوّش علينا في جعلها شخصاً واحداً ، هو أن ابن خلدون يذكر في عِدَادِ قبيلة مطاطة سابقَ بن سليمان بن حراث كبيرَ نَسَابَةِ البربر . وينقل عنه كثيراً . وكذا يذكره الرَّيَّانِي في رحلته ، ويُنْفِهم منه أنه وقف على كتابه في تلمسان ، وإن كان اسمه عنده يقع فيه تحليط . وعلى كل حال فهو من مطاطة كما نسبه صاحبُ الذخيرة ، وهو عالمٌ بالنسب كما تقضي بذلك أبياته التي أوردناها في نسبة القبائل البربرية إلى برِّ بن قيس ولا يختلف عن صاحبنا في شيء إلا أن هذا هو ابنُ عبد الله والآخر هو ابنُ سليمان . . ومع ذلك فلم نر من وصف صاحبنا بأنه نَسَابَةُ البربر ، أو أن له كتاباً في هذا الموضوع ، خاصةً وإن زمانه كان سابقاً عن وقت تأليف الكتب في الجملة .

وقد اشتهر صاحبنا بقول الشعر والإجادة فيه بحيث سارت بعضُ أقواله مسيرَ الأمثال ، ومنها هذان البيتان :

قد ينفع الأدبُ الأبناءَ في صغر وليس ينفعهم من بعدهم الأدبُ
إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا يلين ولو لينته الحشَبُ
نسبها إليه غير واحد .

والمعتقدُ أن له ديواناً شعرياً يحتوي جميعَ ما قاله في الأدب والأخلاق والحكم والوعاظ ، إذ عي المواضيع الغالبة على شعره ، ولم نقف له على شعر في غيرها باستثناء الأبيات الثلاثة السابقة ، وبیت غزلي نسبه إليه في الكشف غلطاً وهو لجرير .

وهاك ما جاء في فهرست ابن خير دليلاً على ما ذكر :

« أخبار سابق البربري وأشعاره » حدثني به القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله قال أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي ، قال قرئ على أبي عمر محمد بن العباس

ابن زكريا بن حيوية قال قرئ* على أبي الحسن أحمد بن جعفر بن محمد من كتابه هو يسمع ، وأنا أسمع فأقر* به ، قال كان سابق البربري فذكر أخباره وقصيداً واحداً ثم قصائده بروايات مختلفة ، قال ابن العربي تقيدت* في مواضعها عندنا والحمد لله ، (ولا يوجد هذا الكتاب الآن أو على الأصح لانعرف عنه خبراً ، ومن المؤسف حقاً أن يضيع هذا الأثر الأدبي النفيس لشاعر ربما كان هو أول من نبغ من هذا المغرب العربي بقول الشعر في لغة الضاد والإجادة فيه ، وهذا النبوغ المبكر ، على أثر اتصال البربر بالعرب إن دل على شيء ، فإنما يدل على صحة انتساب هذه القبائل المغربية إلى الشعب العربي ، وصديق النسابة الذين يرجعون البربر إلى أصول عربية من عدنانية وقحطانية . وما أصدق ما ينسب إلى ثمانصر بنت قيس عيلان ترثي أهلها برّاً . وتذكر برّاً عن وطنه :

كأنني وبرّاً لم تغزّ ديارنا بنجد ولم تقسم نهبا ومعتنا
وشطّيت ببرّ دارم عن بلاده وطوّح برّ نفسه حيث يمنا
وأزرت ببرّ لكتنة أعجمية وما كان برّ في الحجاز بأعجما

نعم لقد استعجم برّاً لما غاب عن بلاده وتوحّد في ديار الثرية ، وهما هو لما اجتمع بيني أبيه وأخواله وأعمامه يستعرب ثانية ويتفقّ لسانه في أسرع ما يكون بلغة الضاد . ويصبح سابق بين عشية وضحاها من أشعر أهل زمانه ، وطارق من أفصح خطبائهم . ولماذا لا يكون ذلك : وإسماعيل أبو العرب المستعربة يمثّل لنا نفس القصة ، وإنما يعرضها عرضاً معاكساً لقصّة برّ ؟

أما إنه قد آن لنا أن نهتمّ جدّاً بالمسألة ، ونعرض قضية* 'عروبة البربر على الباحثين النفسيين ونحلل هذه اللهجات البربرية تحليلاً فلولوجياً فلا يمكن أن يكون هذا التعلّق الشديد بالعرب ، وهذا البيان المتعرب

بلغتهم ظاهريتين عاديّتين لا ترجعان إلى عناصر نفسية وأصول لغوية متحدة أو مشتركة . وإلاّ فليذا لا يمتزّج الفارسي مثلاً إلاّ بأصله ، ولم تكن إلاّ كلاً ولا ، حتى عاد إلى فهلويته 'يمكّن لها في بلاده بعد أن كان بلغ في العربية شأواً لا يُلحق ، على حين أن البربري ، في عنفوان مجده وإقبال دولته لا يجيد عن الالتئام إلى الأصول العربية التي يمتقد أنه مُنحدر منها ، وما يزال كذلك إلى الآن يُدِلُّ بعروبه ويرفع من شأن عربيته ؟ .

المسألة مهمة جداً فليُنظر فيها بحد . . .

ونعود فنروي بعض ما وقفنا عليه من شعر صاحبنا سابق ، في مطالعاتنا طول عدة سنين . وهو جملة من القصائد والقطع النثائية في الأدب والأخلاق نرفسها إلى الناشئة المغربية على أنها أثر من الآثار الأدبية الرفيعة التي أنتجها أبناء هذه البلاد الخصبية ، وإن كان بعضهم ما يزال يتشكك في أن لبلاد المغرب أدباً .

قال سابق 'زهيد في الدنيا وهي مما أنشده له الجوّاري في كتابه صفوة الأدب المعروف بالحماسة المغربية :

النفْسُ تَكَلَّفُ بالدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك ما فيها
والله ما قنعت نفس بما رزقت من المعبشة إلاّ سوف يكفها
أموالنا لذوي الميراث فجمعها ودورنا لحراب الدهر نبهها
قيس بالتجارب أحداث الزمان كما تقبس نعلنا بنعل حين تحذوها
والله ما عبرت في الأرض فاطرة إلاّ وصرف الليالي سوف يفنيها

ومما أنشده له الشّريشي في شرح المقامات ، ولعله هو والأبيات قبله من قصيدة زهيدية طويلة :

فلهو ونأمل أياماً ثمّة لنا سريعة المترّ تطوينا وتطوينا
كم من عزيز سيقى بعد عزته ذلاً وضاحكة يوماً متبكيها

وللحشوف تربي كل مرضعة
لا تبرح النفس تسمى وهي سالمة
وان تزال طوال الدهر طائفة
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
وقال ولعلته من هذه القصيدة أيضاً :

أين الملوك التي عن خطبها غفلت
غررت زمانا بملك لا دوام له
وصبحت قوم عاد في ديارهم
وثبعا وثمود الحجر غادرهم
فكيف يبقى على الأحداث غابرتنا
كأننا قد أظلتنا دواهيها

ومن قوله في الحكمة على طريقة المعاريض :

تعاون على الخيرات تظفرو ولا تكن
وداهين إذا ما خفت يوماً مُسلطاً
ولا تك ذا لوئتين يبدى بشاشة
وقال في اتباع الهوى ، ولعلها من تنمة الأبيات قبلها :

وهجر الهوى المر - فاعلم - سعادة
فكن دافئاً للشر بالخير تسترح
وقال ولعلها منها أيضاً :

فحتى متى تلم - وبتزل باطل
وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً

وأشدد له المبرد في الكامل هذا البيت المفرد :

وإن جاء مالا تستطيعان دفعه
فلا تجزعا مما قضى الله واصبراً

وأشد له البُحْثري في حماسته هذه الأبيات الأربعة مفردة :

استخير الناس عما أنت جاهله إذا سميت فقد يجلو العمى الخبر

* * *

وفي البحث قدماً والسؤال لذي العمى شفائك وأشفى منها ما ثمان

* * *

إن عبت يوماً على قوم بعاقبة أمراً أتوه فلا تصنع كما صنعوا

* * *

إذا عبت أمراً فلا تأنيه وذو اللب محتجب ما يعيب

* * *

والأول من هذه الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها ابن الجوزي في كتابه مناقب عمر بن عبد العزيز قال :

(ذكره ما وُعِظَ به عمر بن العزيز رضي الله عنه) عن أبي سليمان أحمد بن عبد الله الجواليقي قال : قال سابق البربري لعمر بن العزيز رحمه الله :

بسم الذي أنزلت من عنده السور	الحمد لله أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأني وما تذر	فكن على حدّ قد ينفع الحدّ
واصبر على القدر المجلوب وارض به	وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لأمري عيش يسر به	إلا سيقم يوماً صفوه الكدر
واستخير الناس عما أنت جاهله	إذا سميت فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوي المرء يوماً بمد هفوته	وتحكم الجاهل الأيام والغير
إن انتشقى خير زاد أنت حامله	واليرء أفضل شيء ناله البشر
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته	وطالب الحق قد يهدى له الظفر
وفي الهدى غير تسقى القلوب بها	كالغيث ينضر عن وسميته الشجر

وليس ذو العلم بالتقوى كجأهله
والرشد نافلة تهدي لصاحبها
قد يوبق المرء أمر وهو يحقره
لا يشبع النفس شيء حين تحزره
ولا يزال وإن كانت بها سمعة
وكل شيء له حال تغيّره
والذكر فيه حياة للقلوب كما
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً
والموت جسر لمن عثي على قدّم
فهم يرون أفواجاً وتجمّعهم
من كان في متعيل للحيرز أسلمه
حتى متى أنا في الدنيا أخو كلّف
ولا أرى أثراً للذكر في خلدي
لو كان يسير عيني ذكر آخرتي
إذا لداوت قلباً قد أضرب به
ما يلبث الشيء أن يلبس إذا اختلفت
والمرء يصعد ريعان الشباب به
بيننا يرى الغصن لثناً في أرومته
كم من جموع أشت الدهر شملهم
وكم من اصيد سامي الطرف معتص
يظلك مفترش الدياج محتجبا
قد غادرته المنايا وهو مستلب

ولا البصير كأعمى ما له بصير
والتي يكره منه الورد والصدر
والشيء بالنفس يمي وهو يحتقر
ولا يزال لها في غيره وطر
لها إلى الشيء لم تظفر به نظر
كما تغيّر لون اللبنة الغير
يحيي البلاد، إذا ما مات، المطر
كما يجلي مسوادة الظلمة القمر
وهل يلين لقلب الواعظ الحجر
إلى الأمور التي تخشى وتنتظر
دار إليها يصير البدو والحضر
أو كان في تخمر لم ينجح الخمر
في الخدر مني إلى لذاتها صمّر
والحبّل في الحجر القاسي له أثر
كما يؤرقني للعاجل السهر
طول السقام وهيض المظم يشجّير
يوماً على نقصه الرّوحات والبكر
وكل مُصعدة يوماً ستحدّر
ريّان صار خطاماً جوفه تخير
وكل شمل جميع سوف يفتّير
بالتاج نيرانه للحرب تستمر
عليه نبي قباب الملك والحجر
مجدّل تراب الخدين مُغمّير

أبعد آدمَ رَجُونَ البقاء وهل
لكم بيوتٌ بمُسْتَنَى السَيُولِ وهل
إلى الفناء وإن طأت سلامتهم
إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت
والمرء ما عاش في الدنيا له أمل
لها حلاوة عيش غير دائمة
إذا قضت زُمْرُ آجالها زلت
وليس بزجركم ما توعظون به
أصبحتم جزراً للوت يقبضكم
لا تبطروا واحجروا الدنيا فإن لها
ثم اقتدوا بالآلى كانوا لكم ضرراً
حتى تكونوا على منهاج أوليك
فهذه قصيدة من أحسن شعر سابق وأحفله بالموعظة والتذكير ، ولو لم
يكن له إلا هي لكانت أصدق برهان على تأليهه وشاعريته التي خضع
لها عمر بن عبد العزيز مع ما عرفت من تأييده على الشعراء وامتناعه من
مقابلتهم ، ولم لا يخضع له عمر وهو يفتتح شعره بسم الله والحمد لله ؟ ،
وقد وقف على أبيات مختلفة من هذه القصيدة في مظان عديدة فلا حاجة
لذكرها ، وقد أتحننا بها كاملة الحافظ ابن الجوزي جزاء الله خيراً .

وأما البيت الثاني من الأبيات الأربعة التي عند البحري فلا شك أنه
من تلك القبطع النونية التي أوردناها قبل ، وأنها جميعها تُكُونُ قصيدة
من أبداع قصائد سابق .

بقي البيتان الثالث والرابع ، ونحب أن نشير إلى أن منهاهما هو ما تضمنه
بيت مشهور من قصيدة تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي وهو :
لا تشة عن خلتي وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ونحب أن نشير كذلك إلى أن هذه القصيدة قد نُسبت لصاحبتنا أيضاً ، كما نُسبت للتوكيل اللثي ، وهذا البيت بالخصوص وُجِدَ في قصيدة للأخطل .
وتقل السيوطي عن تاريخ ابن عساكر أنه للطير ماح ، وانظر شرح شواهد المغني ، وفي البداية والنهاية لابن كثير : روى ابن أبي الدنيا عن ميمون ابن مهران قال دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده سابق البربري وهو يفسده شعراً فأنتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آميناً أتته المنايا بفتنة بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بفتنة فراراً ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقتنعاً ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغني لساله ولا مُعدماً في المال ذا حاجة يدع
وفي الأغاني قال أبو الفرج : أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال حدثنا أبو غسان قال : قال عمر بن العزيز يوماً لسابق البربري ودخل عليه :
أنشدني ياسابق شيئاً من شعرك تذكرني به فقال : أو خيراً من شعري ؟
فقال هات . قال : قال أعشى حمّدان :

وبينا المرء أمسى ناعماً جذلاً في أهله مُعجباً بالعيش ذا أدق
غيراً أتبع له من حنينه عراض فما تلبث حتى مات كالصميق
نمت أضحي ضحي من غيبٍ ثالثة مقتنماً غير ذي روح ولا رمق
يسكني عليه وأذنوه لمظلمة ثعلى جوانبها بالترب والقلق
فما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطاً وما واره من خرق
وغير نفحسة أعواد نُشب له وقل ذلك من زاد المنطلق

فهذه الأخبار تفيدنا أولاً أنه كان مقيماً بالشام ومن ثم كان أخذه عن مكحول الدمشقي وأخذ الإمام الأوزاعي عنه ، وثانياً أنه كان له عند

عمر مكانة وقدر ، ولذلك كان يطلب منه أن يمثله وينشده من شعره الحكيم ، أو من شعر غيره ، لأنه كان متحققاً من زهده وورعه وإنه لا ينظم ولا يروي إلا ما كان من قبيل ما قيل فيه (إن من الشعر لحكمة) . ومن شعر سابق أيضاً في المراء ومُدافعة الحق :

لا تدفعنَّ جُجُوجاً حين تزجره إن اللجوج له في الدفع إغراء
وأعْضِر في حسن عفوعن بوادره فالحرُّ فيه عن الآفات إغضاء
وقال ولعلها من تمة ما قبلها :

لا تُظهِرنَّ الذي جهل معاتبه فربما هُتِجت بالشيء أشياء
فلما يُخمِد حرَّ النار يطفئها وليس للجهل غير الحلم إطفاء
وقال في ذهاب الأمم ، وربما كانت هذه الأبيات كلها من قصيدة حمزية من روائع سابق :

وكيف يأمن ربّ الدهر مُرتَهَن بعدوة الدهر إن الدهر عداء
القنَى على الجبل من عادٍ كلاكيله وقوم هود ، فهمُ هائمٌ وأصداء
وله في العفو والتسامح :

إذا ما كنت طالباً كلِّ ذنب ولم تحلِلْ أخاك عن العتاب
تباعد من تباعد بعد قرب وصار بك الزمان إلى اجتناب
وبعد فهذا شاعر فحل من أكبر الشعراء الذين يفاخر بهم هذا المغرب العربي ، ويستظهر بهم عند الحديث عن الأدب والأدباء ، وقد احتج به أهل العربية وعلماء البلاغة ، وقرئ به الخليفة الناصر عمر بن العزيز ، مما يعطيك أن شعره كان مرآة لسلوكه وأخلاقه ، فهو قد أربى على أبي العتاهية المعروف بشعره في الزهد والمواظ ، سواء من ناحية تخلُّقه ، أو من جهة سبقه إلى جعل شعره قاصراً على هذه المواضع ، فلا نقول فيه أنه أبو العتاهية المغربي ، بل نقول في أبي العتاهية أنه سابق المشرق . رحمها الله معاً ويسر لنا الوقوف على كتاب أخباره وشعره .

- ٢ -

كنت نشرت منذ مدة مقالاً عن سابق البري تعرضت فيه لشيء من التعريف بشخصيته وأدبه ، وضمنته ما تجمّع لديّ من شعره النفيس مبادرة بتسجيله في نشرة عمومية خشية أن ينفرد أبديداً كما كان قبل أن أوفقني إلى جمعه ، لاسيما وهو حصيلة سنين من البحث ، وذخيرة عشرات من الكتب التي قد لا يحتوي الواحد منها إلا على البيت أو اليتيم منمورّين في عدة أبيات ومقطعات شتى لشعراء من كل طبقة يأتي اسم سابق بينها نادراً كالكبريت الأحمر .

وعلى كثرة المراجع التي استقيت منها ما أثبتته من معلومات قليلة عنه ، وما جمعته من شعره ، بقيت هناك مراجع مهمة لترجمته لم تصل إليها يدي وأعجز تاريخ دمشق لابن عساكر ، كما أنني أغفلت بعض المراجع التي لديّ ، أثناء كتابة ذلك المقال ، وهي مما كان مُعَدّاً لهذا البحث ، معلّماً عليه بعلامته ، ولكي أنسيقها ، وسبحان من لا يعتريه سهو ولا ذهول .

والآن وقد وقفت على ترجمته في تاريخ ابن عساكر ، مصور معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ^(١) ، في رحلتي الأخيرة للقاهرة ، واستذكرت المراجع الأخرى التي فاتتني في المقال السابق ، أعود إليه ثانية فألقي بعض الضوء على معالم شخصيته المجهولة ، وأضيف إلى التبد الشعرية التي ذكرتها له قدراً آخر من شعره ، يُكوّن مع تلك التبد مجموعة لا بأس بها من أدبه السامي الأغراض النبيل الأهداف ، ومن يدري فلمعي أعود إليه مرة ثالثة إذا ظفرت بمعلومات جديدة عنه ، لاسيما وتاريخ الرقة للحرّاني قد طبع فيما بلغني ، وهو مَظِنَّة لأن يحتوي على شيء من أخباره وآثاره .

ولسهولة الربط بين هذا المقال وسالفه أحصر البحث في عناصره الأولى وهي ، اسم سابق ونسبه وأخباره وشعره .

(١) وأشكر الصديق الأستاذ محمد رشاد عبد الطالب الذي أطلعني عليه .

اسم ونسب :

فأما اسمه فقد انفصلت فيه على أنه سابق بن عبد الله ، وإن كنيته أبو سعيد من غير خلاف ولكي وجدت في ابن عساكر أثناء بعض أسانيد روايته عنه تسمية والده بسعيد ، وأنه يكنى أيضاً أبا عبد الله وأبا المهاجر وأباً أمية ، ومقتضى ما عند الذهبي في الميزان وتبعه ابن حجر في اللسان أن هذه الكنى لسابق آخر غير صاحبنا وهو المعروف بالرقبي .

وقد ذكرها ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (ج ١ في قسم ل ، طبع الهند) على أنها شخصان مختلفان فقال في الأول : (سابق البربري روى عن مكحول وروى عنه الأوزاعي سمعت أبي يقول ذلك) وقال في الثاني : (سابق الرقبي روى عن العلاء بن عبد الرحمن وخصيب وأبي خلف وروى عنه موسى ابن أعين ومعاوية بن عمران الموصلي وعثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ، سمعت أبي يقول ذلك ، .

على أن أبي عديّ جوز أن يكون هناك ثلاثة أشخاص يعرفون بهذا الاسم ، أعني سابق بن عبد الله ، كما في اللسان (ج ٣ طبع الهند) وذلك أنه لما وجد حديث إذا مدح الفاسق اهتز له العرش مرّوباً عن سابق بن عبد الله عن أبي خلف عن أنس (ض) وأبو خلف هذا لا يعرف ، استبعد أن يكون الراوي عنه هو سابق الرقي ، قال لأن أحاديثه مستقيمة عن مطرف وأبي حنيفة ، وأن يكون هو سابق البربري الذي إنما له كلام في الحكمة والزهد وغيرها ، فاحتمل أن يكون راوي هذا الحديث شخصاً ثالثاً مسمى بهذا الاسم ، وليت شعري ما المانع أن يكون سابق البربري صاحب الكلام في الحكمة والزهد راويةً للحديث بقطع النظر عن كونه ثقة أو ضعيفاً في روايته ؟

ونرجع إلى ابن عساكر فنجده يقول : (سابق بن عبد الله أبو سعيد الرقي المعروف بالبربري) فيجمع له بين الوصفين البربري والرقي ، ثم يقول : (روى عن ربيعة بن عبد الرحمن وداود بن أبي هند (ومكحول) وشعبة وعبد الله ابن سعيد بن أبي هند (ومطرف بن طريف) والعلاء بن عبد الرحمن) . . روى عنه (الأوزاعي) ومحمد بن يزيد بن سنان الرهاوي وعبيد بن يزيد القردواني ومحمد بن سليم بن أبي داود وأبو بدر شجاع بن الوليد السكوني (وموسى بن أعين) و (عثمان بن عبد الرحمن الطرائني) . . الخ ، فثبت أنه الرقي الذي ذكر ابن أبي حاتم أنه يروي عن العلاء ابن عبد الرحمن وذكر ابن عدي أنه يروي عن مطرف فضلاً عن اشتراكه في بقية من روى عنهم من الشيوخ أو رروا عنه بذكر الجميع كمكحول والأوزاعي .

ثم يشير ابن عساكر إلى ما جنح إليه ابن أبي حاتم من أنها شخصان اثنان وتجويز ابن عدي أن يكونوا ثلاثة ، ولكنه ينفصل على أنها أي البربري والرقي شخص واحد ، ويؤكد ذلك بالروايات التي يشتملها بسنده المتصل إليه من طريق من ذكرهم من الرواة عنه والذين روى عنهم ، ومن جملتهم خصيب وأبو خلف اللذان ذكرهما ابن أبي حاتم في شيوخ الرقي وأبو حنيفة المذكور كذلك عند ابن عدي .

فوضّح أن كلاً من سابق البربري وسابق الرقي إنما هما اسم لشخص واحد ، وإن تلك الكنى المختلفة هي لهذا الشخص بالذات ، وإن كان بقي معنا خلاف فلأنما هو في سابق المطاطي الذي قد يتوهم أنه هو صاحبنا والأمر على مارجحناه في بحثنا السابق من أنه غيره ، وهناك سابق آخر هو ابن ناجية من الرواة ولا يشبهه عن ذكرنا .

وأما نسبه فقد اشتهر أنه البربري ، ويضاف إليه بناءً على التحقيق المار آنفاً أنه الرقي لسكناء في الرقة كما يأتينا قريباً في أخباره .

وجاء في الباب لابن الأثير « الصحيح » سابقاً البربري ليس منسوباً إلى البربر وإنما هو لقب له ، ولا شك أن ابن الأثير يعقب بهذا التصحيح على السمعاني الذي نسب صاحبنا إلى البربر وأغرب الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم حيث قال فيه سابق البتلوي المعروف بالبربري ، فجعله عربياً ونسبه إلى بليي من عرب اليمن بدون تردد ، وهو مالم نعرفه لغيره .

لكننا نجد في ابن عساكر خبراً مروياً عن أبي عبيد الله بن مروان المزرياني يقول : « سابق البربري مولى الوليد يكنى أبا عبد الله ويقال أبو أمية ، أحد الزهاد المشهورين ، وله مع عمر بن العزيز أخبار ، فهو قد جعله مولى الوليد (بن عبد الملك) مما يقوي أنه غير عربي ، وأنه يمكن أن يكون من البربر يسكن فتموج الأموية في بلاد المغرب ، وهنا لا بد أن تذكر أبيات سابق النطاطي التي رواها صاحب كتاب الذخيرة السنية في قتال البربر للروم بأفريقية أيام سليمان بن عبد الملك ، وقد أوردناها في المقال الأول ، وقائلها لا بد أن يكون معاصراً لذلك القتال ، وليس عندنا شاعر يسمى بسابق وقته إلا صاحبنا ، فإن يكن هو قائلها فقد زيد اطمئناناً إلى أنه بربري وأنه من مطهرة بالذات .

وليس هذا فقط ، فقد جاء في لسان الميزان تعقياً على ما سبق عن ابن عدي من أن صاحبنا إنما له كلام في الحكمة والزهد مانصه : « ومقتضاه أن البربري ليست له رواية ، وليس كذلك ، فقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال هذا من أهل بربر سكن الرقة ، ففيه التصريح على سبيل الجزم بأنه من البربر ، وبذلك لا يبقى لنا شك في نسبه البربري أخذاً بقواعدهم من أن من حفظ حجة على من لم يحفظ وأن المثبت مقدم على النافي ، إلى أن يقوم لنا دليل قاطع على خلاف ذلك .

أخباره :

وأخبار سابق كثيرة ، روى ابن عساكر عن أبي أحمد الحاكم قال :
 أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري إمام مسجد الرقة وقاضي أهلها ، ثم ذكر
 مشيخته ومن روى عنه وقال ، يعد من الشاميين . وروى ابن عساكر أيضاً
 عن أبي بكر الخطيب أن من جملة مشيخته الإمام أبا حنيفة ، وروى عن
 البخاري قال سابق البربري روى عنه الأوزاعي ، ثم رسل ، يعد في الشاميين ،
 ثم عقب على ذلك بقوله : كذا قال ويعني أنه روى عنه مشافهة لا إرسالاً
 كما في تهذيب تاريخ ابن عساكر ، وجاء في أحد أسانيد ابن عساكر عنه :
 أخبرنا سابق بن عبد الله وكان من البكائين .

أما الأحاديث التي رويت عنه حسبما ذكر ابن عساكر فهي : (١) حديث
 إذا مدح الفاسق غضب الله عز الله ، وفي رواية إذا مدح الفاسق اهتز
 العرش وغضب له الرب عز وجل ، وهو الحديث الذي تكلم فيه ابن عدي
 على ما مر بسبب رواية سابق له عن أبي خلف وهو شخص غير معروف .
 وفي الرواية الثانية له عرّفه الراوي بأنه خادم أنس بن مالك .
 (٢) حديث كان النبي ﷺ يوتر من أول الليل ووسطه وآخره
 ثم ثبت له آخر الليل .

(٣) حديث الحلال يمين والحرام يمين ويمنّ ذلك مشتهات ، فمن
 رتع فيهن فمين أن يأتمن ومن اجتنبن فهو أرفق بدينه كالترمي إلى جنب
 رحى ، ومن ارتعى إلى جنب رحى فيؤشك أن يقع فيه ولكل ملك
 رحى ، وحمى الله عز وجل في الأرض الحرام .
 وروى ابن عساكر أيضاً عنه هذا الخبر : (كتب مكحول إلى الحسن
 ونحن بدّأنا يسأله عن الطالب والمطلوب قال لجاء الكتاب ، إن كنت

طالباً فصلٍ بالأرض وإن كنت مطلوباً فصل على الأرض وعقب على ذلك بأن الصواب فصل على الدابة .

وفي ميزان الاعتدال للذهبي أن محمد بن عبد الله الفردواني روى عن أبيه عن سابق الرقي نحو ثلاثين حديثاً .

شعره :

روى ابن عساكر بسنده إلى أحمد بن محمد بن يزيد الأنصاري قال كنا عند محمد بن مصعب القرقيشاني فقال لنا : بيت من الشعر من أخبرني أن هو من الشعراء ، فله ثلاثون حديثاً ، وكان معنا رجل يعرف الشعر فقال : قولوا له أي بيت هو ؟ فقال محمد بن مصعب :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجليتي سموات الدنيا الشمس
قال فقال الرجل هذا لسابق البربري ، قال صدق : فأجبت : يا سادتي
والعلم فيه حيلة للقلوب كما تحمي البلاد الماء من الجفاف
قال صدق والله : وأي شيء بعد ؟ قال :

فأنتم جزر الموت بأخذكم كما البهاثم في الدنيا لنا جزر
قال أبو علي الأنصاري فحدثنا بالثلاثين حديثاً التي وعده ، والذي يعرف قيمة الحديث عند رحاله وضئتهم به يقدر ما كان لسابق وشعره في نفس هذا الشيخ من منزلة ، حتى أنه جعل من يعرف بيتاً واحداً من شعره يستحق أن يحدث بثلاثين حديثاً .

وذكر ابن عبد البر هذا الخبر برواية أخرى جاء فيها أن أحمد بن يزيد بن مسلم الأنصاري المعروف بابن أبي الحناجر قل كنا على باب محمد بن مصعب القرقيشاني جماعة من أهل الحديث وفيما رجل عراقي بصير بالشعر ونحن نتمنى أن يخرج إلينا فيحدثنا حديثاً واحداً أو حديثين ، إذ خرج إلينا فقال قد

خطر على قلبي بيت من الشعر فن يجبرني لمن هو حدثته ثلاثة أحاديث ..
وفي آخر الخبر : فحدثه ستة أحاديث سمعناها معه ، وهي رواية تبرز الأهمية
التي كان هذا الشيخ المحدث يعطيها لشعر سابق كماليفتها ، وتزيد بالنص
عن تشوف من كان يباب الشيخ من أهل الحديث إلى السماع منه ولو حديثاً
واحداً ، فإذاهم يحصلون على ستة أحاديث بسبب معرفة العراقي بشعر سابق .

وتحدث الجاحظ في البيان والتبيين عن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق
البربري فأطراها بما اشتملا عليه من الحكمة والأمثال التي لو تفرقت في أشعار
غيرها لأغنتها ، وهذا قوله في ذلك : (لـ كان شعر صالح بن عبد القدوس
وسابق البربري مفروقاً في أشعار كثيرة نصارت تلك الأشعار أرفع مما هي
عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نواذر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة
إذا كانت كلها أمثالاً لم تيسر ولم تجر مجرى النواذر ، ومتى لم يخرج السامع
من شيء إلى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع) .

هذا بعض ما يتعلق بتقدير المتقدمين لأدب سابق وشعره ، وأذكر فيما
يتعلق بذلك من طرف المتأخرين أني تحدثت عنه ذات مرة إلى عميد الأدب
العربي الدكتور طه حسين على أنه من الطلائع الأولى للأدباء الذين ينتمون
إلى هذا المغرب الكبير وأنشدته بعض أشعاره السائرة ، وذكرت له ما كان
من احتفال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز به في حين أنه كان لا يأبه
كثيراً بكبار شعراء العربية ، من أمثال الفرزدق وجري ، فلم يملك الدكتور
نفسه أن قال لي بفرنسيته الحلوة مستحسنناً (oh La La !) .

واستشهاد النحاة بشعره هو مما يدخل في باب تقدير المتقدمين له ،
إذ كانوا لا يستشهدون إلا بن سلمت لنته من الشوايب ، وقد تقدم الإلماع
في بحثنا الأول إلى ما كان من نسبة بعضهم له ذلك البيت الشهير الذي
يُستشهد به على نصب الفعل بأن مضرة بعد الواو ، وهو :

لأنه عن خلق وتأني مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
 وإن كان الصواب أنه لغيره ، كذلك استشهدوا في معاني اللام بقوله .
 وللموت تغذو والوالدات سخاها كما لحراب الدهر تبني المساكن
 ولعله من قصيدة تقدمت ثلاث مقطوعات منها . وهذا البيت بالخصوص
 هو مما نسب له المرزباني كما عند ابن عساكر :

ألا رُبما صار البغيض مُصافياً وحالاً عن العهد الصديق الثاقف
 فلا تغترِّرْ ماعشت من متجمل بظاهر ودّ قد تُعطى البطائن
 وأنشد له الزجاجي في أماليه :
 فلا تحفرن بيراً تريد أحياناً بها فأنك فيها أنت من دونه تقع
 كذلك الذي يبغي على الناس ظالماً نُصيبه على رَعْمٍ عواقب ما صنع
 وهو مما يستشهد به أيضاً لحزم نُصيبه بدون جازم بل بما في الوصول
 من معنى الشرط ، وأظنه من قصيدة طويلة سبق لنا رواية مقطوعة منها
 على نفس الوزن والقافية مما أنشده سابق لعمر بن عبد العزيز .

ومما يحسن ذكره هنا أن العلامة ابن مرزوق الحفيد قال : حضرت مجلس
 شيخنا ابن عرفة أول مجلس حضرته فقرأ قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ
 ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ الآية فطرق لقراءة يَعْشُو بالواو مع
 جزم نقيض وقال وجهها أبو حيان بكلام ما فهمته ، ولعل فيه خللاً ،
 قال ابن مرزوق فاهتديت إلى فهمه وقلت إن جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها
 بمن الشرطية ، وإذا كانوا يعاملون الموصول مطلقاً بذلك ، فمن ، التي يشبه
 لفظها لفظ الشرط أولى بذلك ، فاستحسن كلامي رحمه الله لكن الحاضرين
 أنكروا معاملة الموصول معاملة الشرط وقالوا كيف يكون ذلك ؟ فقلت
 دخول الفاء في خبر الموصول في نحو الذي يأتيني فله درهم دليل على ذلك ،
 فتازعوني في ذلك ، فقلت قال ابن مالك في التسهيل (وقد يجزمه متسبب

عن صلة الذي تشيهاً بجواب الشرط (فطالبوني بالشاهد فأشدد قول الشاعر :
كذلك الذي يعني على الناس ظالماً نُصِبَهُ على عمد عواقب ما صنع
فأمسكوا . ذكره غير واحد من مترجميه .

ومما نسب له الرزباني برواية ابن عساكر :
يُخَادِع رِبَّ الدَّهْرِ عَنْ نَفْسِهِ الْفَتَى سَفَاهاً وَرِبَّ الدَّهْرِ عَنْهَا يُخَادِعُهُ
وَيَطْمَعُ فِي سَوْفٍ وَيَهْلِكُ دُونَهَا وَكَمْ مِنْ حَرِيصٍ أَهْلَكَتْهُ مَطَامِعُهُ
ونسب إليه أيضاً البيت الشهير :

وكأن ترى من صامت لك معجب ؟ .. الخ وهو لزهير كما لا يخفى .
وروى ابن عساكر أيضاً قطعة من رائيته الكبرى جاء فيها هذا البيت
ولم يرد في القصيدة بعد قوله وليس يزجركم ما توعظون به الخ :

ما يشمرون بما في دينهم نقصوا جهلاً وإن نقصوا دينهم شعروا
وروي عن عثمان بن عبد الحميد قال دخل سابق البربري على عمر بن
عبد العزيز فقال له عمر عظمي يا سابق وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ
إن شاء الله ، فقال له هات . فأشده :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ووافيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شريكه وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا
وروي له مما ثبت في وصية الحسن بن سهل لابنه إبراهيم بن الحسن
منسوبة إلى سابق هذه الأبيات :

العلم والحلم خلقتان هما للخلق زين إذا هما اجتمعا
صيثوان لا يستم حسنهما الا يجمع لذا وذاك معا
كم من وضع سما به العلم والحلم فمال الغلاء وارتقما
ومن رفيع الينا أضعاهما أحملة ما أضعاه فأنضعاه

وروي مما أنشده أبو الفضل الرباعي من هذه القصيدة :

إن كنت متخذاً خليلاً فتوقَّ وانتقِد الخليلاً
من لم يكن لك منصفاً في الود فأنعِر به بديلاً
وعليك نفسك فارغها واكسب لها عملاً جميلاً
ومن استخف بنفسه زرعت له قلاًً وقبلاً
وأقلُّ ما تجد الأثيم عليك إلا مُستطيلاً
والمرء إن عرف الجيل وجدته يأتي الجميلاً
ولربما سئل البخيل الشيء لا يسوى فتيلاً
فيقول لا أجد السبيل إليه يكره أن ينيلاً
ولذلك لا جعل الإله له إلى خير سبيلاً
يا مبتلي الدار التي هو مسرع عنها الرحيل
إن لم تنيل خيراً أظنك فكن له عبداً ذليلاً
وتجنب الشهوات واحذر أن تكون لها قتيلاً
فلرب شهوة ساعة قد أورثت حزناً طويلاً

وله أيضاً هذه القصيدة في الاتعاض بالموت وأحواله رواها ابن عساكر :

تأوَّني هم كثير بلابلهُ طروقاً فنال النوم غي غوائله
فويحي من الموت الذي هو واقع وللموت باب أنت لا بد داخله
أيأمن من ريب الدهر يا نفسُ واهن تجيش له بالمفطيمات مراجله
فلم أر في الدنيا وذو الجهل غافل أسيراً يخاف القتل والهوى شاغله
فما باله يفدي من الموت نفسه ويأمن سيف الدهر والدهر قاتله
ولا يفندي من موقف لورسمى الردى به جبلاً أضحت ستراباً جنادله
وبعد دخول القبر يا نفس كربة وهول يشيب المُرَضَّعين زلاله
إذا الأرض جفت بعد نقل جبالها وخلى سبيل البحر بأنفس ساحله

فلا يرتجى عوناً على حمل وزره
 إذا الجسد المعمور زابى روحه
 وقد كان فيه الروح حيناً يزبى
 يُزايلى مالى إذا النفس حشرجت
 إذا كل عند الجهد يأنفس منطقي
 وبغسل ما بالجلد من ظاهر الأذى
 ومن تغلبت الأمراض يوماً فانه
 وقد تغلبت الوحش الجبال وربما
 إذا العلم لم تعمل به صار حجة
 وقد ينمى الذكر القلوب وإنما
 أرى الغصن لا ينمى إذا جف أصله
 فان كنت قد أبصرت هذا فانما
 ولا يستقيم الدهر سهم لوجهه
 وفيك إلى الدنيا اعتراض وإنما
 فلا تتكث بعد الهدى عن بصيرة
 وتطلب في الدنيا المنازل والعلا
 كمن غره مع السراب بيقينة
 وقد خانت الدنيا قروناً تتابعوا
 وتصبح فيها آمناً ثم لم تكن
 وقد ختلنا باللطيف من الهوى
 رضىنا بما فيها سفاهاً ولم يكن
 وعاقبة الذات تخشى وإنما
 وإن فرحت بالمرء يوماً حلائل

مسيء وأولى الناس بالوزر حمله
 خوئى وجمال البيت يأنفس أهله
 وما الغيمد لولا فصله وجماله
 وأهلي، وكدحي لازمي لا أزيله
 وعانيت عند الموت ما لا أحاوله
 ولا يغسل الذنب الخالف غاسله
 ميوشك يوماً أن تئصب مقائله
 تقبضت الوحشي يوماً حبائله
 عليك ولم تُعذر بما أنت جاهله
 يكون حياة العود في الماء وابله
 وليس يباق من أبيحت أوائله
 يصدق قول المرء ما هو فاعله
 به مئيل حتى يقوّم مائله
 تُكال لدى الميزان ما أنت كائله
 كما نكت الجبل المضاعف قاتله
 وتنسى نعيماً دائماً لا تزيله
 فقصر عن ورد تحيش مناهله
 كما خان أعلى البيت يوماً أسافله
 لتأمن في واد به الخوف نازله
 كما يختل الوحشي بالهي خائله
 يتبع سمين اللحم بالفت آكله
 يكدر يوماً عاجل الأمر آجله
 فلا بد يوماً أن تُساء حلائله

فكم من فتى قد كان في شِرَّة الصِّبَا فأُقصي بعد العذل عنه عواذله
 إذا ما سمى حتى إليك وباطل عليك فلا يذهب بحقك باطله
 وقد يأمل الراجي فيكذب ظنُّه أمورٌ ويلقى الشيء ما كان يأملُه

وله هذه الأبيات من الرجز في مدح رجل اسمه عون ذكرها في تهذيب تاريخ ابن عساكر وقال أنها مما رواه الحافظ من طريق أبي بكر الجوزي ولم يذكر قصتها :

بُورك في عون وفي أعوانه
 وفي جواريه وفي غيلانه
 وبارك الله على دعائه
 أطعمنا عون على خيوانه
 يعطي وما يقلع عن جفانه
 وعن هداياه وعن إيوانه

ولا توجد هذه الأبيات في مصوّر الأصل الذي اطلعنا عليه ، ومن تفاريق الأبيات التي وقفنا عليها له في جامع بيان العلم لابن عبد البر ما لم يتقدم قوله :

والعلم يشفي أن استشفى الجهول به وبالدواء قديماً يحسم الداء

* * *

قد قيل قَبَّلي في الزمان الأقدم إني وجدتُ العلم بالتعلم
 ونحفظه : إنا وجدنا .

* * *

وروي فيه أن سفيان الثوري كان ينشد متملاً بيتين له من لاميته
 الطويلة المارة آنفاً وهما :

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً عليك ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أوتيت علماً فإنما يصدق قول المرء ما هو فاعله
وفيها مخالفة قليلة لرواية القصيدة .

وأخيراً وليس آخراً بحول الله هذه تسعة وستون بيتاً من شعر سابق
تضاف إلى ثمانية وثمانين بيتاً تضمنها البحث السابق ، فيكون المجموع سبعة
وخسين ومائة ، وإنا لنترجو فوق ذلك مظهراً إن شاء الله .

— ٣ —

كتبتُ عن سابق البربري قبل هذا مرتين :

وكانتا الكتابتين كانتا بحثاً تناول جانباً من حياته الشخصية ، وجلّسى
سبه الحيكمي الرائع الذي كان منعموراً بين أخبار الرواة ورجال الحديث
وأهل الزهد في عديد من الكتب المخطوطة والطبوعة ، المظان وغير المظان .
ولم تكن الكتابة الثانية إعادة لشيء مما جاء في الكتابة الأولى ولا تكراراً
لغير أو أثر أو شعر ، بل إلخافاً واستدراكاً لما فاتني من ذلك ولم أذكره
فيها لأنني إنما وقفتُ عليه بعد ، وتنسيقاً له مع ما سبق ذكره حتى انني
عددت ما زدت من شعره في الكتابة الثانية ، تسعة وستين بيتاً ، على
ما تضمنته الكتابة الأولى وهو ثمانية وثمانون بيتاً فكان المجموع ١٥٧ بيت
أو بيتاً بحسب تقديم العدد الأصغر أو تأخيره .

وقلت حينئذ ومن يدري لعلي أعود إليه مرة ثالثة إذا ظفرت بمعلومات
جديدة عنه ، لاسيما وتاريخ الرقة للحراني قد طبع فيما بلغني ، وهو مظنة
لأن يحتوي على شيء من أخباره وآثاره .

وها أنا ذا الآن أعود إليه بالفعل للمرة الثالثة ، بعد أن وقفتُ على
ما ذكره صاحب تاريخ الرقة عنه ، وهو شيء قليل بالنسبة إلى ما قدمته عنه

نقلًا عن غيره ، ولا سيما تاريخ ابن عساكر ، وما ذكره عنه أيضاً صاحب خزائن الأدب مشفوعاً بخبر لابن عبد ربه في العقد الفريد .

قال في تاريخ الرقة : سابق بن عبد الله الرقي يكنى أبا سعيد ، حدثنا هلال بن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا موسى بن الحسن حدثنا سابق أبو سعيد - قال عمرو وكان إمام الرقة قبل أجلح - عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من الصدقة ، وعم يتصدق به ، وولد صالح يدعو له .

سمعت إبراهيم بن أحمد بن عبد الكريم الخراشي ابن أبي حميد يقول سألت محمد بن سليمان عن سابق البربري قال هذا كان قاضياً بالرقة ، حدث عنه محمد بن سليمان بن أبي داود وحدث عنه عبيد الله بن يزيد بن سنان الرهاوي عن أبي حنيفة .

وحدث عنه شجاع بن الوليد فقال : حدثنا أبو سعيد الجزري حدثنا علي بن عثمان النفيلي حدثنا أبو كامل مولى الغازي بين ربيعة قال سمعت سابق البربري ينشد مكحولاً وهو في الغزو :

يا نفس كلِّ قابرٍ مقبورٌ
وبهلك الزائرُ والمزورُ
وبتقيض العارية المُميرِ
ليس على صَرَفِ الروا غمورِ
كم من غنيٍّ مكثِرٍ فقيرٍ

حتى انتهى إلى قوله :

والصدق ير والتقى تطهير

والبربر معروف به البرور
وذو الهوى يسوقه المقدور

فقال مكحول : لا .

هذا ما تضمنه تاريخ الرقة عنه ، ونجده فيما يتعلق باسمه يجعله سابق بن عبد الله وبكى أبا سعيد على ما سبق ترجيحه ، ويزيدنا حديثاً آخر من روايته وهو حديث الصحيح : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولم يتقدم فيما أثبتناه من حديثه ، ويؤكد روايته عن أبي حنيفة كما ذكره الخطيب في مشيخته .

ويروي لنا من شعره ثمانية أبيات من مشطور الرجز ، هي في الواقع من رجزية طويلة على ما يظهر بدليل قول الراوي عنه ، (حتى انتهى إلى قوله) :

ونلاحظ اعتراض مكحول عليه في البيت الآخر بقوله لا ، لما يُشتم منه رائحة الجبَر .

وجاء في خزنة الأدب لعبد القادر البغدادي عند ذكر الشاهد : وللموت تغذو والودات سخالها ، البيت المتقدم في الكتابة الثانية ، ما نصه : (وسابق البربري هو أبو سعيد سابق بن عبد الله ، له أشعار حسنة في الزهد وهو من موالى بني أمية سكن الرقة ، ووفد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكايات لطيفة ، روى عنه مكحول وموسى بن أعين والمعاني بن عمران ، وغيرهم ، والبربري نسبة إلى البربر وهي بلاد كثيرة في المغرب ، قال ابن الأثير في الأنساب : ليس سابق منسوباً إلى البربر ، وإنما هو لقب له) ، ويتضافر هذا النص مع ما قبله في اسم الرجل وكنيته ، ويجزم بأنه من موالى بني أمية ، وهو ما سبق ذكره عن ابن عساكر نقلاً عن المرزباني مع تعيين صاحب ولائه وهو الوليد منهم ، وبذلك قويت حجة من يقول انه غير عربي

وفي هذا النص خطأ وهو قوله روى عنه مكحول والصواب أن مكحولاً من مشيخته ، وإن سابقاً هو الذي روى عنه كما سبق مراراً ، ويؤيده أيضاً اعتراضه عليه في البيت الذي تقدم من رجزيته لما أنشده إياها ، وأما قول ابن الأثير الذي أورده صاحب الخزائن في نفي نسبة صاحبنا إلى البربر فقد سبق لنا الكلام عليه .

وما ذكره عن ابن عبد ربه هو حكاية قيل إن سابقاً أخذ معنى قوله : وللموت تغزو الوالدات سيخالها من مضمونها وهي هذه :

« وفد عبد العزيز بن زُرارة سيد أهل الكوفة على معاوية ، فخرج مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة ، فهلك هناك ، فكتب يزيد إلى معاوية ، فقال معاوية لأبيه زُرارة : أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب . فقال زُرارة يامسيدي هو اني أو ابنك ، فقال معاوية انه ابنك ، قال الموت ماتلد الوالدة ، أخذه سابق البربري فقال :

فلموت تغزو الوالدات سيخالها كما لحراب الدهر تبني المساكن
هذا وفي طبقات الشعراء لابن المعتز ذكره لسابق في عبارة تشبه عبارة الجاحظ المتقدمة عنه وعن صالح بن عبد القدوس من أنها اختصا بقول الشعر في الحكم والأمثال ، وذلك أثناء ترجمته لمحمود الوراق وهي قوله : (وشعر محمود كثير ، وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح ابن عبد القدوس وسابق البربري) .

ونظراً لاشتباه شعر ابن عبد القدوس بشعر سابق ، أنشد ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم هذا البيت متردداً بين نسبته لسابق أو لصالح بن عبد القدوس :

وإذا حلت إلى سفيه حكمة فلقد حلت بضاعة لا تنفق
ومما أنشد له ابن عبد البر وفاتنا أن نذكره في سبق :

إذا زجرتَ لجُوجاً زدته علقاً ولجّت النفس منه في تمامها
 فعدّ عليه إذا ما نفسه جمحت باللين منك فإن اللين يشبهها
 ويشبه أن يكون هذان البيتان من قصيدة واحدة سبق ذكرُ مقطّعات منها
 على مثل الوزن والقافية . وله أيضاً مما أنشده ابن عبد البر :
 موتُ التقيّ حياة لا انقطاع لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء
 نعم إن حياة العلماء العاملين لا انقطاع لها بالموت فذكرهم باق على الأيام
 ومنهم صاحبنا الذي مرّ على مَوْتِه أكثرُ من اثني عشر قرناً وهو ما يزال
 يعطّر المجالس بذكره وتحمليّ الصحف بآثاره .
 وبإضافة ما في هذا المقال الثالث من أبيات شعرية وعددها اثنا عشر ،
 إلى ما قدّم ذكره من أشعارٍ سابق ، يصير الجميع مئة وتسعة وستين بيتاً ،
 والمئة لله .

عبد الله كنون



العربية بين الفصحى والعامية

كل قوم معجبون بلغتهم ، والعرب الصراح في مقدمة الأقوم ، إعجاباً بلغتهم وبثرائها ، وعملاً على وحدتها ومكانتها ، والاحتفاظ لها بالمنزلة السامية التي كانت لها بين سائر اللغات . وهو إعجاب عبّر عنه قديماً أبو الخطاب ابن دحية في كتمه الجامعة الرائعة التي يقول فيها :

« اعم أن الله تعالى لما وضع رسوله ﷺ موضع البلاغة من وحيه ، ونصبه منصبَ البيان لديه ، اختار له من اللغات أعزها ، ومن الألسن أفصحها وأبينها ، ثم أمدّه بجوامع الكلم » .

وهذه الكلمة على ما فيها من إيجاز واقتضاب ، تغني عن كثير من الإسهاب والإطناب ، فالعربية صالحة لكل زمن ، غنية بمشتقاتها واستعاراتها بحيث تتسع لكل مستحدث وجديد .

وليس هؤلاء العرب وحدهم معجبين بهذه اللغة متعلقين بها (١) ، فلقد شاركهم في هذا الإعجاب كثير من غير أبنائها ، من المستشرقين الذين عرفوا أسرارها ، وتبينوا حقائقها ودقائقها ، بعد أن اطلعوا على ذخائرها وكنوزها . ومنهم من أعجب بها وتمسّقها عن سماع ، لا عن اطلاع .

(١) من تعلق العرب بلغتهم : أن أباهاشم عبد السلام الجبائي - من أئمة المعتزلة - كان يأخذ علم النحو عن المبرد . قيل : وكان في المبرد 'سُخف' فقيل لأبي هاشم : كيف تتحمل سُخف الرجل ؟ فقال : احتمال سُخفه ، ولا الجهل بالعربية .

فلقد وقع في يدي كتاب بالفرنسية كان بعث به إلى الأمير شكيب أرسلان - رحمه الله - عالم ألماني هو الدكتور (ويدمر) أحب العربية واستبوهته ، عن معرفة عنها ، لا عن معرفة بها ، فكتب إلى الأمير ، وعن غير معرفة شخصية به ، يقول له ما ترجمته بالحرف :

وأشكر لك فضلك على هذه المعلومات التي أفدتنيها . وإني لأعرف أنه من الصعب أن أجد في سويسرة عربياً يساعدني على القراءة ، وعلى تتبع النصوص العربية القديمة والحديثة . وهذا كتابك الثاني يؤكد ما ذهبت إليه . على أن هذا وأكثر منه ، لا يشيني عن عزمي وعملاً أجمعت أمري على المضي فيه .

إن تحمسي لهذه اللغة الرائعة ، وتعلقني بها ، ملكا علي مشاعري ، وجعلاني أسعى السعي كله لأجد عربياً : مصرياً أو سورياً ، متضلعا من العربية ، متحمساً لها تحمسي ، عنده ما عندي من الرغبة في هذه اللغة وفي نشرها ، أصل معه إلى ما أريده من التعمق في العربية والتمكن من آدابها . وإني أرى رأيك : أنه يصعب على غريب عن لغة أن يتعمق فيها ، إذا لم يكن على كبير علم بها . وأكرر القول : أنني أكون شاكراً إذا أنت هديتني إلى عربي لم أهد إلىه ، يوصلني إلى ما أبغي الحصول عليه .

وإني مدين لك بما أسديته لي من نصائح ومعلومات .
ملاحظة : هل تأذن لي أن أكتب إليك بعد اليوم باللغة الألمانية ؟ ،

* * *

ويقول العالم الفرنسي (مارسي) في مجلة التعليم الفرنسية ١٩٣٠ - ١٩٣١ :
« من السهل جداً تعلم أصول اللغة العربية ، فقواعدها التي تظهر معقدة لأول نظرة ، هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب يكاد لا يصدق . فذو الذهن المتوسط ، يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة ، وبجهد معتدل .

إن الفعل العربي ، هو لعبة أطفال إذا ما قيس بالفعل اليوناني ، أو بالفعل الفرنسي . فليس هناك صعوبة بالاشتقاق ، أما النحو فسهل ، لانهقيد فيه مطلقاً .

ويقول المستشرق « جاك برك » :

« مستقبل الأدب والمدرح في العالم العربي يقوم على اللغة العربية الفصحى وحدها ، فهي لغة زاخرة بالثروة والتراث . وليست اللهجات العامية باللغات الأصلية ، فهي تحريف عن الفصحى وتشويه لها . ولن تقوى هذه اللهجات الهزيلة على اقتحام أسوار التراث العربي المنبع الأصيل » .

أما المستمركة الألمانية : الدكتورورة في الفلسفة « آنا ماري شيمل » التي عدت منذ صغرها معجزة العلم ، والتي وضعت مقدمة المتعة للترجمة الألمانية للقرآن الكريم ، وهي التي ينتظر عشاق العربية من الألمان ، ظهور كتابها في قواعد اللغة العربية بشوق كبير - فلها تقول :

« اللغة العربية لغة موسيقية للغاية ، ولا أستطيع أن أقول فيها إلا أنها لا بد أن تكون لغة الجنة » .

ويقول المستشرق الانكليزي « نيكلسون » (Nicolson) بعد أن يصف إقبال أبناء الأندلس على اللغة العربية ، وشغفهم بها واقتنائهم بآدابها ، إن كاهن قرطبة (انفارد) آلمه أن أبناء مذهبه أقبلوا على دراسة العربية ، وقراءة أشعارها ومطالعة أساطيرها إقبالاً عجيباً .

ويرفع صوته شاكياً فيقول :

وقلّ أن تجد فرداً من أبنائنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة . إن الشبان أصحاب المواهب وسائر المثقفين لا يعرفون غير العربية ، وينالون في شراء كتبها والمفاخرة بآدابها ، وأأسفاه ! إنهم نسوا لغتهم ، حتى ليتعذر على الواحد منهم أن يكتب إلى صديق له رسالة باللاتينية صحيحة العبارة .

على حين يعيرون عمّا يخالج نفوسهم بأسلوب عربي فصيح ، ويقرضون الشعر العربي بما يفوق شعر العرب أنفسهم . »

ويقول آخرون : « إن من كهنة أسيانية من يقيمون صلواتهم ويمارسون طقوسهم الدينية بلغة العربية » .

هذا وكثير من أمثاله ، لا يمنع نقرأ من العرب العاقين لغتهم ، والضالعين فيها ، عن أن يسيروا في ركاب جاهل أو مستعمر ، يقول باللغة العربية العامية ، أو كما وقع أخيراً بلغة لبنانية .

على أن تعصبنا للعربية الفصحى ، وتعلقنا بها ، ومغالاتنا في التعالي بها عن أن تهبط إلى منخفض اللغة العامية . وما قلناه مراراً وفي كلمة سابقة . لا يبلغ بنا أن نقطع ما بين الفصحى والعامية من صلة ، وأن نجعل بينها حاجزاً منيعاً ، يحول دون أن يندرب لفظ عامي . ولو صالحاً ومقبولاً وفصيحاً ، وفي حاجة إليه . إلى اللغة الفصحى ، فيستعمله مؤلف أو كاتب أو شاعر أو نثر في ما يقوله أو يكتبه ، وأن ينظمه رجال اللغة في ما يضعونه من دواوين ومعجمات .

لقد أكثر الناقدون اللغويون . في مطلع هذه النهضة اللغوية والأدبية . من نقد من يستعمل كلمة لم ترد في كتب اللغة ، ومن تعبير أو استعمال لم تعرفه العربية من قبل ، فحججوا واسماً ، وعسّروا يسيراً .

والإنسان في حاجة إلى ألفاظ يبر بها عن أفكاره وأغراضه ، فإذا هو أخطأ في ما استعمل ، أو ظنّ به ذلك ، فليس من حق الناقد أن يقول له : أخطأت ، ويقف ، بل عليه أن يقول له : لا تقل هذا ، بل قل هذا . أما إذا لم يجد الناقد اللفظ الصحيح يهدي الخطي إليه ، فكأنه أراد أن يجلس لسانه عن الكلام . وهذا شيء غير جائز ولا مستطاع .

أقد وقفت الخاصة برهة من الزمن ، لا تجد اللفظ الصحيح تعبر به عما جاء به العصر الحاضر وحضارته من أغراض ومعان ، حتى اتهمت العربية بالعقم ، إلى أن كانت النهضة الأخيرة ، فانطلقت الألسن من عقابها ، والأقلام من لجائها ، فوجد رجال اللغة والأدب عن طريق الاشتقاق والاستعارة سبيلاً إلى ألفاظ كثيرة يعبرون بها عما يحتاجون إليه من أغراض ومعان . فوثقوا توفيقاً غير قليل ، وهم ماضون في ما بدأوا به . إلى أن يبلغوا ما تقتضيه حاجات اللغة في عصرنا الحاضر .

كان ذلك ، على حين مضت العامة في لغتها مضياً محموداً من قبل ، ومن بعد ، وإلى يومنا هذا ، لا يعجزها غرض أو معنى ، أن تجد له اللفظ يليق به وينطبق عليه .

وذلك بأن :

- ١ — استعملوا ألفاظاً صحيحة فصيحة ربما كانت اندثرت لولا استعمالهم لها .
- ٢ — استعاروا ألفاظاً عربية أصيلة لمعان جديدة .
- ٣ — أحدثوا عن طريق الاشتقاق ألفاظاً يحتاجون إليها في حياتهم العملية .
- ٤ — اختاروا السائغ المقبول من الألفاظ التي تعددت فيها اللغات وإن خالفوا الخاصة في اختياراتهم .

أولاً — فمن الألفاظ القاموسية التي استعملتها العامة ولعلها كانت تنوسيت ، أو تنوسي بعضها لولا استعمال أصحاب المهن والصناعات لها . وقد يكون في بعض الخاصة من يجهل أنها عربية النجار ، فصيحة الأصل ، من ذلك :

- ١ — الزفر أو الظفر ، درجة من السلم . والعامة من البنائين يلفظونه بالزاي . وهو عندهم حجر ناتئ في البناء مستطيل كالدرجة أو العتبة ، تلقى عليه العمود أو البلاط (١) .

(١) وفي (جهرة نسب قريش وأخبارها) أن عاصم بن عبد الله انهدمت أظفار من درجته فبات تلك الليلة في الدار .
م (٤)

٢ - الساف : والساف في كتب اللغة ، كل صف من اللّين أو الآجر في الحائط ، وهو المدماك .

٣ - المدماك : الصف من البناء (١) .

فاللفظان صحيحان : والعامة تكثر من استعمالها إلا أنها فرقت بينها تقريباً دقيقاً ، فقلبت المدماك على الصف من الحجارة بوضع بعضه فوق بعض . وعمت الساف فجعلته الصف بوضع بعضه فوق بعض ، في البناء وفي غيره .

٤ - الفاس : آلة من حديد حادة الشفرة عريضة السن لها هراوة ملساء من الخشب . تقول كتب اللغة : يحفر بها ويعزق ، وليس الحفر والعزق من عملها . بل عملها قطع الغليظ من الشجر والخطب ، وهو ما خصتها به العامة .

٥ - المول : أما الحفر والعزق فمن عمل المول ، لا نقر الصخر ، وإن نصت عليه المعاجم .

٦ - القدوم : بتخفيف الدال . وتشديدها لغة فيها . أجازها بعضهم وأنكرها آخرون . وجمعا « قدائم وقدّم » وقيل قدائم جمع قدم ، مثل قلائص وقلائص . وهي مؤنثة والعامة تذكرها . وتشدد دالها - جريباً مع من يقول بالتشديد - وتجمعها على قداديم .

وليست هي المنحت والمنحاح كما جاء في كتب اللغة ، وإن كان صقل الخشب أو نحت من عملها أحياناً .

وأشدد الفراء :

فقلت أعيراني القدوم لملي أخط به قبراً لأبيض ماجد

(١) والعامة تقول على الحقيقة بناء (مدماك مدماك) كما قال الأصمعي على المجاز :

ألا يا نافضَ الميثاق مدماكاً مدماكاً

٧ - المَرَاقَة : من معانيها لغة : خشبة توضع معترضة بين سافي الحائط ، يشد بها البناء ويقوّى . أطلقها البناءون على (Chainage) وهو الرباط . واللفظة الفرنسية (شاناج) يستعملها أكثر المهندسين إلى اليوم . على حين تستعمل العامة اللفظ العربي الفصيح .

٨ - المِنْحَت والمنحَات : في كتب اللغة آلة النحت كالقدوم . غير أن أصحاب الصناعة من الحجارين خصوا النحت بالحجارة . وكأنهم أخذوا ذلك من قوله تعالى في سورة الشعراء : « وتحتون من الجبال بيوتاً » وهو المنحآت وصناعته المنحّات . والمنحآت من أسماء بعضهم .

٩ - المِنْقَش والمنقاش : آلة من حديد ينقش بها . وهو المنقاش وصناعته المنقاشة . وأكثر ما يستعمل في نقش الحجر . وعليه قولهم : « العلم في الصخر كالنقش في الحجر » . وبالمنقاش سمي بعضهم .

١٠ - المِنْقَب : آلة من حديد تستعمل لثقب في الخشب والحجر .

١١ - المَنْجَاف : ما بني بارزاً فوق باب أو شباك منعاً للمطر .

١٢ - المِصْطَبَة : بناء مرتفع يجلس عليه . وأصحاب المصاطب قوم كانوا يجلسون عليها ، يستعدون للشهادة أمام القاضي - أشبه شيء بكتاب المدل في يومنا هذا - وتصغير المصطبة : المصيبة ، وبها سمي حي من أحياء بيروت .

١٣ - الدِّسَار : لغة حبل من ليف تشد به ألواح السفينة . وعند العامة مسارحاً الطرفين (ذورأسين) يدخل بين خشبهم فيجمعها حتى يصيرا وكأنها لوح واحد . وفي القرآن الكريم : « وحملناه على ذات ألواح ودُسُر » ، إلى كثير من أمثال هذه الألفاظ التي يستعملها أصحاب المهن والصناعات والأعمال كالرزّة ، والرفش ، والمبرد ، والمخرقة ، والملزمة ، والمنجل ، والمنشار ، وغيرها .

ثانياً : ألفاظ استعارتها العامة للتعبير عن أشياء مستحدثة :

١ — البطيخة : قاب (الدولاب) تجتمع إليه ، أضلاع الدولاب في العربية أو السيارة ، أو تتفرع منه .

٢ — البندق : على ما جاء في بعض المعجمات الحديثة معرب « فندق » بالفارسية : وهو طين مدور يرمى به . ولم تستعمل العامة هذا اللفظ لهذا المعنى ، غير أنها نسبت إليه هذه الآلة العربية فقالت « البندقية » .

٣ — بيضة القبان : أطلقوها على كرة من نحاس أشبه ما تكون بالبيضة ، يعرف منها وزن الأشياء التي ترفع بالقبان . وفي الوسيط : سموها رمانة القبان . فإن لم تكن العامة في مصر تستعمل « الرمانة » فإن « البيضة » أوفق ، وهي معروفة في الشام : داخله وساحله . وتستعمل في لبنان للدلالة على قيمة الرجل ، أو الجماعة فيقولون هو « بيضة القبان » أو هم « بيضة القبان » حيث مالوا رجّعوا .

٤ — التفاحة : تستعمل لما يُمسك الباب أن يفتح من نفسه ، وهي دون القفل . ولا بد للباب منها . وكانت أشبه شيء بالتفاحة وعادت اليوم في شكلها إلى مثل ما كانت عليه .

٥ — الحية : الحيوان المعروف ، أطلقوها على الأنايب الصغيرة التي يجري فيها الماء وجمعوها جمعه . فقالوا « حيات الماء » ومن التوافق أن العرب أطلقوا قديماً على مجاري المياه « الثُعبان » وهي الحية الضخمة ، أو هي الحية مطلقاً .

٦ — الديك : أطلقوه على الجزء من السلاح . وهو شبيه برأس الديك ، إذا ضُفِط عليه فضرِب موضع النار ، انطلقت الرصاصة من البندقية أو القذيفة من المدفع . وأبت الخاصة ذهاباً بنفسها من أن تستعمل

ما استعملته العامة فأطلقت عليه « الطارق » وبين الاستماليين فرق .
والديك هنا خير من الطارق وأخص .

٧ — الرديف : لغة : الراكب خلف الراكب . استعمله البنائون للمدماك
يوضع على حفاف السطح ثقيلًا له ، ومنعًا للأمطار والفلوج أن تسيل
على الحيطان .

٨ — السبلة كالسنبلة : من القمح والشمير رأسها الذي فيه الحب والحسك
أطلقوها على المبرد الصغير المثلث الأضلاع لشبهها به .

٩ — السليخ : الأرض العراء ، لا شجر فيها .

١٠ — الشوكة واحدة الشوك أطلقوها على :

أ — ملقعة ذات أسنان أربع تؤكل بها الجوامد .

ب — مِعْوَل ذي أصابع تمزق به الأرض .

ج — آلة من حديد كالازميل إلا أنها أشد منه وأقوى يستعملها
البناء والبلاط والنجار .

١١ — العروس : يستعملها النجارون لعمود مستقيم توضع عليه الأخشاب
التي تحمل القرميد لما يعرف عندهم بـ (التكنة) .

١٢ — العيفريت : آلة تستعمل لرفع الأثقال ، ولا سيما السيارات ، وقد
يكون العيفريت أصلح من « الرافعة » التي يستعملها بعضهم .

١٣ — العتقرب : في الساعة يشير فيها إلى الساعات والدقائق .

١٤ — الفارة : سمى بها النجارون آلة صغيرة يستعملونها لنجر الخشب
وصقلها وهي شبيهة بالفارة « الحيوان » شكلاً وعملاً . وهي خير من
المسيح التي أطلقها عليها بعض الخاصة .

١٥ — الفرس : ضلع قوي مستطيل يلقى به النجارون إلى جانب « العروس »
التي ذكرت قبلاً مساعدة لها في حمل « التكنة » .

١٦ - القمحة : عند العامة : الهنة الصغيرة توضع على فوهة البندقية أو المدفع لتسديد الطلقة وإصابة الهدف . وضع لها المسكرون والهادي ، وكان الترك قد أبدلوا بـ « القمحة » « الشعيرة » . و « القمحة » التي استعملتها العامة خير من « الهادي » ومن « الشعيرة » وهي أشبه شيء بـ (القمحة) النباتية حجماً وشكلاً .

ثالثاً : ألفاظ أحدثوها . منها :

- ١ - البندقية : وقد سبق ذكرها .
- ٢ - الطراحة : حشيرة مربعة أو مستطيلة . تطرح للزائر ليجلس عليها . ثم صارت توضع حيث تستقبل الضيوف ، قبل أن اتخذت المساور (١)
- (الكنبايات أو القلاطق) ولا تزال مستعملة إلى اليوم .
- ٣ - الجبالة : آلة يحيل بها الطين .
- ٤ - الجرارة : تجر بها الأثقال .
- ٥ - الحفارة : لما تحفر بها الأرض .
- ٦ - والمعجانة : لما يعجن بها الدقيق .
- ٧ - القطاعة : تقطع بها الحجارة .
- ٨ - الكسارة : لما يكسر بها صغار الحجارة أو الحصى .
- ٩ - النقالة : تنقل بها الأشياء . إلى عشرات من هذه الأشياء التي أحدثتها الحضارة والعمران ، فأحدثوا لها هذه الأسماء .
- ١٠ - الفُرطة : أطلقوها على هذه القطع الصغيرة من النقد . وفرط العقد والعقود في لغة المولدين : فرقه وبدده .

(١) المسور ، والمسورة : متكأ من جلد يجلس عليه .

- ١١ - الفَرَاعَة : الفأس الصغيرة : لقطع الغصون أو تشذيبها . وفرع الشيء لغةً ، جملة فروعاً .
- ١٢ - الجُل - في إبنان - قطعة صغيرة من الأرض لها حائط وحدّ معلوم . يرتفع بعضها عن بعضها الآخر .
- ١٣ - الخنصر : فإذا ضاق جلّ عن جلّ ، وقصر عنه ، سموه خنصرأ ، تشبيهاً له بخنصر اليد ، لقصره وصغره عن سائر (الجلول) : قصر الخنصر عن سائر الأصابع .
- ١٤ - المائلة : أطلقوها على عيال الرجل ، وأهله الأذنين . وهي فاعلة بمعنى مفعولة . وفاعل بمعنى مفعول ، ومفعول بمعنى فاعل كثير في العربية .
- ١٥ - الغدّارة : أطلقوها على هذا السلاح الناري ، يحشى بالبارود والرصاص ، ذلك لما فيه من الغدر ، إذا هو قيس بالسلاح الذي كان يشهر علانية كالرمح والسيف . وللاغدّارة أنبوبان .
- ١٦ - الفرد : ولماً عرف الفرد وهو ذو أنبوبة واحدة أطلقوا عليه هذا الاسم ، ثم أبدلت الخاصة بلفظ (الفرد) السدّس . يوم بدأ بست طلاقات . ثم صار بخمس وببشر ، وظل على اسمه (السدّس) .
- ١٧ - مسك الدفاتر : طريقة حساسية لا غنى عنها للتجار . أنكرها بعض المتشددين بحجة أن الفعل مسك به ، وأمسكه ، لا مسكه . فكان يجب أن تكون : « إمساك الدفاتر » ، لا « مسك الدفاتر » . و « مسك الدفاتر » أخف من قولهم « إمساك الدفاتر » .
- وليس هذا بالماخذ الذي لا يتفلّت منه . فقد جاء عن العرب كثير من المصادر التي خالفت الأفعال . فقلّوا : (عطاء) من (أعطى) و (مبروز) من (أبرز) و (قارب) من (أقرب) لا (مقرب) و (مسمود) من (أسعده) و (مضعوف) من (أضعفه) .

١٨ - الطَّلقة : الدفعة الواحدة من البندقية أو المدفع . أنكرها بعضهم لأن ماضيها (أطلق) لا (طلق) . ويقال في « طلقة » ما قيل في مثله (طلقة) بالنسبة إلى (إطلاق) وأكثر من ههنا فالعرب توسعوا - على ما سبق فقلنا - فاستعملوا المفعول بمعنى الفاعل ، والفاعل بمعنى المفعول .

فقالوا : ماء (شروب) أي يشرب ، وبئر (غروف) أي يغرف مأؤه ، وفرس ركوب أي يركب .

قالوا هذا على حين فمول أكثر مجيئه بمعنى الفاعل :
رجل غيور ، وكذوب ، وكفور ، وملول ، وشكور .

١٩ - العروس : لفظ يطلق على كل من الرجل والمرأة : ماداما في 'عرسها' . وهما العروسان . هذا هو النص اللغوي . إلا أن العامة استنكرت أن تقول : للرجل العروس في إعراسه ، فاستعملت العريس . وله وجه وإن كان بعيداً . حملت هذا على : الزوج والزوجة . والغريب أنهم فرقوا بين العروسين جمعاً ولم يفرقوا بينها مفرداً . فقالوا : وجمع العروس للرجل : أعراس و'عرُس . والمرأة : عرائس .
٢٠ - الفرس : تطلق على الذكر والأنثى . قال ابن سميذ : وأصله التأنيث . وعلى هذا جرت العامة . فالفرس عندهم الأنثى . وللذكر الحصان (١) .

٢١ - الفطيرة : رفاق من العجيين تحشى بالتوابل ويثى بعضها على بعض .
٢٢ - المنقوشة : رغيف مستدير أو مستطيل ، ينقش بالأصابع وتوضع عليه التوابل ، وتوابلها تختلف عن توابل الفطائر ،

(١) والعرب جروا على مثل هذا التفريق . فالطرب : خفصة تأخذ صاحبها من فرح أو حزن فخصوها بالفرح . والمآثم : مجتمع الناس في فرح أو حزن فخصوا بالحزن .

٣٣ - الكف : استعمالته العامة لما يلبس باليد من جلد أو صوف وجمعه كفوف ، وهو خير من القفاز وجمعه قفافيز الذي نستعمله الخاصة في مفردة وجمعه .

٣٤ - الوصفة : أطلقت على التذكرة يعطيها الطبيب يعين فيها أجزاء الدواء . سموها حيناً « الروشته » وهي لفظة فرنسية (Racette) مأخوذة عن اللاتينية (Racepta) ثم غلبوا عليها « الوصفة » فأنكرها بعض المتشددین بأن فعلها وصف فكان يجب أن يقال فيها « صفة » لا « وصفة » وفي قولهم « صفة » من اللبس ما لا يصلح معه استعمالها . ومن المصادر عشرات تثبت فيها هذه الواو : مثل :
وعدة ، وومضة ، ووقعة ، ووحدة و ... و ...

ونخلص من هذه الأمثال التي ضربناها في ما استمير وفي ما أحدث إلى نتيجة من نتيجتين .

- ١ - إما أن يجد رجال التحقيق وجهابذة العلم والنظر في دواوين اللغة ومماجمها ، ما يسد مسد هذه الأنماط التي لا بد منها ولا غنى عنها .
- ٢ - وإما أن يقرأوا هذه العامة ، وبعض خاصتها ، على ما استعاروه وأحدثوه ، ويدخلوه في المعاجم .

رابعاً : ما خففوه أو هذبوه . من ذلك :

- ١ - الرز : نبات حولي - واللفظ في أصله غير عربي لعله مأخوذ من التلياني . وفي هذه اللفظة سبع لغات . بين فتح وكسر وتحريك وتسكين ، ومن هذه اللغات « الرز » اختارتها العامة دون سواها من اللغات . أما الخاصة فتأني أن تجاري العامة في اختيارها فلا تقول إلا « الأرز » ، وإن كانت « الرز » تفضل « الأرز » أسهل لفظاً وأخف على السمع

وقمًا . وفي «الأرز» التباس في الرسم بين «الأرز» الشجر العظيم الصلب ، و «الرز» النبات الحولي الهش . ونحن نقول في بالله «الرزاز» وفي النسبة إليه «الرززي» وبه سمي بعضهم ، وحرفته «الرزازة» وموضعه «المرزّة» وكله مما نصبت عليه كتب اللغة وهو من «الرز» لا من «الأرز» .

٢ - الإوز : بكسر ففتح . وهو الطير المعروف . والعامية تسقط الهمزة من أوله فتقول «الوز» وهو وارد ، والنسبة إليه «الوزي» وبه سمي بعضهم «الموزة» الأرض يكثر فيها «الوز» وهي من «الوز» لا من «الإوز» .

٤ - الدُّرَّاق : الثمر أو الشجر المعروف . وقيل في اللفظة أنها رومية الأصل ، وفيها لغات : منها «الدُّرَّاق» التي تستعملها العامة . والدراقن التي تستعملها الخاصة . والدُّرَّاق وزان : «رُمان» و «تُفاح» و «مُسَمَّاق» و «عُنَّاب» ، فلم لا تقول الخاصة فيها ما تقول العامة «دُرَّاق» وهي لغة من لغاتها . وواحدتها «دُرَّاقَة» كرمانة وتفاحة والنسبة إليها «دراقي» ويستثقل جداً إذا قيل «دراقي» مع بقاء النون .

٤ - الرِّغْم والسَّيِّم : وهما مثلثان . اختارت العامة فيها الفتح وهو أخف ، واحتفظت كثرة الخاصة بالضم . وفي فتح «السم» تفريق بين هذه المادّة السامّة ، وسم الخياط : أي ثقبه .

٥ - الخروب : شجر ينبت في جبال الشام وفيه لفتان : الخرنوب ، بنون بين الراء والواو وعليه أكثر الخاصة ، إذ كتبوا ، والخروب بإسقاط النون . وعليه العامة . وفي بعض المعجمات : الخرنوب لغة

في الخروب ، ومعنى هذا أن ما عليه العامة هو الأصل . والعروف في النسبة خروبي لا خرنوبي . ففي « خطط المقرزي » ، بعنوان : (المدرسة الخروبية) : هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر أنشأها بعد ستة وخمسين وسبع مئة بدر الدين محمد الخروبي (بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء المهملة وضمها ، ثم واو ساكنة بعدها باء موحدة ، ثم ياء آخر الحروف) .

يقول المقرزي : وشرط بدر الدين في مدرسته ألا يلبى بها أحد من المعجم وظيفة من الوظائف . فقال في كل وظيفة منها : ويكون العرب دون المعجم ، وكذلك (المدرسة الخروبية) التي أنشأها عز الدين محمد الخروبي - ابن أخي بدر الدين .

٦ - الفيروز : بفتح الفاء وكسرهما . والفتح أشهر ، وفي كتب اللغة « الفيروزج » حجر من الأحجار الكريمة تعريب « يروزه » الفارسية بالباء المفخمة (p) التي يقلبها العرب (فاء) في كل ما ينقلونه إلى لغتهم ، كما يقلبون حرف (v) باء . أسقطت العامة جيمها وقالت : « الفيروز » والنسبة إلى « الفيروزج » في كتب اللغة « فيروزي » ، وبذلك يكون رجال اللغة قد وافقوا العامة بعض الموافقة ، وما ضرَّ لو جاروها فحذفوا الجيم حذفاً مطلقاً .

هذه كلمة أردت بها أن ألفت النظر إلى أن ليس كل ما تستعمله العامة خطأً . وأنه إذا كان يراد للفصحى - ونقولها مرة ثانية - أن لا تهبط إلى منخفض العامة ، فليس من الخير للمربية أن يكون بين اللتين - وهما في الأصل لغة واحدة - حاجز حصين يحول دون الخاصة واستعمال لفظ لا بد منه ، لا شيء ، إلا أن العامة استعملته أو استحدثته .

إن اللغة لا تعيش في أخبية ضرب عليها بالأسداد ، ولكنها كائن حي تسير مع الزمن الذي تعيش فيه ، يحدث لها فتحدث له ، وهي الكلمة الماثورة عن عمر بن عبد العزيز التي خاطب بها أمته وقد استشهدنا بها من قبل : « تحدثون فتحدث لكم » وما قيل في الشريعة يقال في اللغة . وبعد . فإننا نريد خطة وسطاً ، لا تشدد الحريري في (درته)^(١) منع فيها ما يجوز ، ولا تساهل ابن الخليلي في (بحره)^(٢) أجاز فيه ما لا يجوز .

عارف السكدي



(١) (درة العواص في أوهام الخواص) .

(٢) (بحر العوام في ما أصاب فيه العوام) .

وقد بلغ التشدد من بعضهم أن أنكر على بعض الأدباء قولهم « ليلة راقصة » معالاً لا إنكاره بقوله : « إن الليلة يقع فيها الرقص وليست هي التي ترقص » وكان المنتقد وهو علم من أعلام اللغة غلبت عليه نزعة التشدد فذهب عن باله أنهم قالوا : « ليلة ساهرة » و « ليلة قاصدة » و « ليل نائم » و « يوم عاصف » وقوله تعالى : « عيشة راضية » وكلها مما يقع الشيء فيه ، لا مما يقوم هو فيه .

الألفاظ المتشابهة في السريانية والعربية^(١)

عطفًا على مقالنا « العربية وشقيقتها السريانية الوفية » المنشور في المجلد ٤ ، والجزء ١ من هذه المجلة الغراء ، نقول : في الأبجدية السريانية ، اثنان وعشرون حرفاً ، ازدوج لفظ ستة منها وهي : الباء والجيم (المصرية) Gamai ، الدال ، الكاف ، الباء ، (P الافرنجية) والطاء . هذا أحد التلظين . أما اللفظ الثاني فهو : ال ث (V الافرنجية) ، الفين ، الذال ، الخاء ، القاء والطاء ، ويتميز بنقطة صغيرة ترسم تحت الحرف . ويعرف الأول باصطلاح اللغويين السريانيين ب « القامي » والثاني ب « اللين » .

لقد نوهنا في مقالنا المشار إليه ، بلهجي السريانية الفصحى الحالية ، المعروفتين بالشرقية والغربية . فإيضاحاً لما سبق نقول : إن من ميزات اللهجة الشرقية ، لفظها حرف الفاء قاسياً على الإطلاق ، كحرف ال P الإفرنجي ، ما خلا بضع ألفاظ لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، فتلفظها كالواو بدلاً من الفاء ، خطأ ، كما صرح صاحب القاموس السرياني المعروف ب « دليل الراغبين في لغة الآراميين » وهو من أصحابها . بل تلفظ حرف ال V (الباء اللين) أيضاً كالواو . أما الغربية فتلفظ الأول ليناً على الإطلاق أي فاء . أما الثاني فقد أهملته إلا في ما ندر . وكلا الأمرين خطأ

(١) لقد اصطليحنا على حرف Q للاف و Aa للين ، واستعملنا الفتحة الشرقية حفاظاً على تركيب اللفظة ، وكذلك الشدة الشرقية لانفاها والعربية .

لا مبرر له . وأما الألفاظ التي دخلت العربية عن طريق هذين الحرفين فقد انقلب فيها الأول إلى باء والثاني إلى فاء أو واو .
وفي ما يلي الألفاظ السريانية التي دخلت العربية عن طريق هذين الحرفين (١) .

Arzapta الأرزبة واليرزبة (عصية من حديد) و Marzapta
اليرزبة . Hpa بالحاء ، خبأ . Hapoura بالحاء ، الضار (الهباء) .
Taptapa بالطاء الطبطابة (خشب عريضة يلمب بها بالكرة) . Kap اكب (أخى
وانحى) . Kopta القبة (القبو ، القنطرة) . Kpa كب (قلب ، أراق) .
Stap بالطاء ، شطب . Sapouna بالسین والصاد ، الصابون . Aarepta بالعین ،
الغرب (الصفصاف) . Paee بهأ (جمل) ، ومنها Paya البهي .
Pdara بالذال ، البذر (تديد المال وتفريقه) . Patiha بالطاء والحاء ،
البطيخ . Petqa بالطاء والتاء ، البطاقة (رسالة) . Paytara البيطار .
Plagma البلمم (٢) Palatin بالطاء ، البلاط . Pqaata بالعین ، البقعة (السهل) .
Paqqeq بق (هذر . هرج ، كثر كلامه على القوم) . Pargudin البرجد
(كساء غليظ مخطط) . Pchat بالطاء ، بسط ومنها Pchita البسيط والمنبسط
والاعتیادي . pcham بشيم (انخم من الطعام) Pchaa بالعین ، بشع
(مسخ) . Ptaq بالتاء والقاف ، بثق (فتق ، شق) . Qnapa القناب
(نبات) . Qlap قلب (كب) . Qpad قبض . Qappah بالحاء ، كبع .
Qupta بالطاء ، القبيط (نوع من الحلويات) . Qpas قبض (ضد مد وبسط)
وقبض (أمسك) . Qpisouta بالصاد ، انقباض (جمع) . Qapar الكبير
(شجر الآصف) . Chtap بالطاء ، شطب (فلق ، شق ، شرج) .
Purchana البرشانة فتجدها في اللهجة العربية العامية . وبهذا المعنى

(١) لا تدخل هنا الألفاظ المذكورة في المقال السابق .

(٢) لقد دخلت الألفاظ الأعجمية اللغة العربية عن طريق السريانية .

جاءت لفظة *Prista* أيضا . ومن المدن *Pustra* بالطاء ، مدينة البصرى (اسكي شام) و *Palat* بالطاء ، مدينة بلكد في العراق . *Zvava* الذفاف (الماء القليل) . *Zevta* الزفت . *Tvah* بالطاء والحاء ، طفح . *Nhev* بالحاء ، نجم . *Qav* قف (الشعر) . ومن المدن ، *Kouva* الكوفة في العراق أي شوكة أو عاقولا . *Chvat* بالطاء ، ساط ، ومنها *Chavta* السوط . *Charvala* السروال (١) . وشذت *Besadya* الوسادة *Burcha* الورس . ومن الغريب أن تأتي لفظة *Qwaz* بمعنى قفز أي بمكس القاعدة المتبعة . ومن الحروف « اللينة » ، الغين ، التي تلفظها اللهجة العامية الشرقية غالبا ، همزة (٢) . فتقول مثلاً « أرغاء » بدلاً من أرغاء *Arnagha* الجُرَّاد ، « زاء » بدلاً من زاء *Zagha* الزاغ (الفرخ ، الفروج الصغير) ، « راأولا » بدلاً من راغولا ، الوادي ، « وشوؤلا » بدلاً من شوغلا ، الشغل . وعن طريق هذه اللهجة دخلت العربية لفظة « زار » الأسد بدلاً من « زغر » *Zghar* .

ومن ميزات اللهجة الشرقية أيضاً ، استعمالها الشدة كما في العربية . وقد ولدت هذه الشدة ، منذ العصور القديمة ، لدى بعض القبائل السريانية الشرقية في العراق ، فوناً ، نحو *Ganbara* بدلاً من *Gabbara* الجبار . *Mendem* بدلاً من *Meddem* الشيء . *Manna* بدلاً من منّا ، المن . *Sunbara* بدلاً من *Subbara* البشارة . *Senbelta* بدلاً من *Sebbelta* الأسلم . *Chenda* بدلاً من *Chedda* الشدة . *Chanpira* بدلاً من

-
- (١) إن لفظة *Keriv* الكردية ، هي نفس لفظة *Qariva* القريب السريانية ، وقد دخلت الكردية بحسب اللهجة السريانية الغربية .
 (٢) لقد جاءت لفظة *Molaghma* ملأها . ملأهم بدلاً من تملأ ثم تحرفت في العربية فصارت سـمـم (ما يظلى به الجرح) .

Chappira الجحيل . هذا ولا يزال الكاثوليك في ملبار الهند ، الذين يستعملون الطقس السرياني باللهجة الشرقية ، يلفظون Qandichat بدلاً من Qaddichat قدوس أنت ... الخ .

وعلى هذا النمط عثرنا على الألفاظ التالية التي أوسعت لها المعاجم العربية :
 Anba « الانبا » بدلاً من Abba الأب . ولا تزال الكنيسة القبطية في مصر تستعمل « الانبا » لأساقفتهم — وبطاركتها . Anbouba الأنوب بدلاً من Abbouba . Endar الأندر (البندر) بدلاً من Eddar . Anfé الأنف والوجه بدلاً من Affé . Ant أنت بدلاً من Atte . Antta الأتشي بدلاً من Atta . Ansahta بالصاد والحاء ، النسخة ، بدلاً من Assahta . Ganza الكنز بدلاً من Gazza . هذا ولا يزال الكتاب الخاص بالماندية (السابئية) يسمى بـ « الكنزا » Ganza . Gunda الجُند (الجوقة والفرقة) بدلاً من Gudda . وما زالت هذه اللفظة مستعملة في السريانية بمعنى « الجوقة » . أما في العربية فبمعنى فرقة من العسكر . Zambila الزنبيل بدلاً من Zabbila . Zandouqa الزنديق بدلاً من Zaddouqa . Hanzira بالحاء ، الخنزير بدلاً من Hazzira . Henzita بالحاء ، الخزانة بدلاً من Hezzita . Henetta بالطاء ، الخنطة بدلاً من Hetta . Henka بالحاء ، الخنك بدلاً من Hekka . Harnouba بالحاء ، الخرنوب بدلاً من Harrouba . Kranba الكرنب بدلاً من Krabba . Lbenta اللبنة بدلاً من Lbetta . Mansara المنشار بدلاً من Massara . Manqara المنقار بدلاً من Maqqara . Sandana السندان بدلاً من Saddana . Sfinta السفينة بدلاً من Sfitta . Enqa بالعين ، العنق بدلاً من Eqqa . بيد أن هذه اللفظة تعني بالسريانية اليوم قلادة العنق . Enza بالعين ، العنزة بدلاً من Ezza . ولا تزال بنت النطية تسمى في العربية « العنزة » . Tinta التينة بدلاً من Titta .

Chanbel سنَّبلَ بدلاً من Chabbel ، ومنها Chenbelta السنَّبلَة بدلاً من Chebbelta . Chanta السنَّة بدلاً من Chatia . أما Qupta بالطاء ، القنَّيط ، فلمل أصلها Qunpta .

أشرنا في مقالنا الآنف الذكر إلى تشابه مَثات من الألفاظ في اللغتين العربيتين معنى ولفظاً ، سواء أكان ذلك في أصلها أم ما اقتبسته الواحدة عن الأخرى عبر الأجيال ، وأوردنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر . كما جزمنا في غيرها بأنها انتقلت من السريانية إلى العربية إما عن طريق حرف ال P أو حرف الجيم المصرية Gamal الذي يُكتب كالكاف الفارسية فانقلب مع تمادي الزمان إلى حرف الكاف العربي كما هو اليوم ، أو إلى حرف القاف ، وبالعكس كما هي العادة عند بعض العرب . وقد مرت معنا الألفاظ التي انتقلت عن طريق حرف ال P . وفي ما يلي الألفاظ التي انتقلت عن طريق حرف الجيم المشار إليه (١) .

أ — الجيم التي انقلبت إلى حرف الكاف :

Gad كد* (٢) . Gnaz كَنَزَ . Dargé الدَرَكَات (٣) . Sgar سَكَرَ (الباب ، أرصده . سده) . Rbag رَيَك (تَحْيَر) . هذا وقد انقلبت الكاف إلى جيم في لفظة Fak فج* .

ب — الجيم التي انقلبت إلى القاف :

Urga الأورق (الذي لونه لون الرماد) . Garegsa القيرقيس (شيء يشبه البق) . Zibag الزبيق والزُّبُق . Zrag زَرَقَ . Lagta اللَّقَن

(١) لا تدخل هنا الألفاظ المذكورة في المقال السابق .

(٢) الصحيح جد* .

(٣) الصحيح ، الدرجات . وبعد أن اعتبرت الكاف أصلية في الدركات ، أفرم (٤) اللغويون العرب الدرجات للصعود والدركات للهبوط .

م (٥)

(شبه طست من نحاس أو صفر) . Ngai . انتقل . Negaa . بالعين ، النقع
(الشق) . Rhag . رَبَقَ (شدّه في الربق أي الحبْل) ، ولتَقّ الكلام .
Chrag شَرَقَ .

ج — القاف التي انقلبت إلى جيم :

Nqai نَجَل (الأرض : شقها) . Qubta الجُبَّ . Qba جَبَا (جمع
الماء في الحوض) . هذا وقد جاءت القاف في Zlaq غَيْنَا ، زَلَع ، أي
أضاء كما هي في Zlagh السريانية .

ذكرنا في مقالنا السابق ، ألفاظاً سريانية تغير تركيبها في العربية . وقلنا
ان الشين السريانية هي غالباً سين في العربية ، والسين شين ، والطاء طاء ،
والحاء خاء ، والعين غين أو ضاد أو همزة . ونضيف هنا ، اننا نتيجة
لدرسنا الدقيق للألفاظ السريانية والعربية ، وجدنا عدداً وافراً من الألفاظ ،
انقلبت في بعضها الجيم السريانية إلى غين ، مع أنها في الغالب جيم عربية ،
والطاء والصاد إلى ضاد ، والكاف إلى قاف وبالعكس . كما أننا عثرنا على
كثير من الألفاظ المتشابهة بحسب اللفظ اللين أيضاً . هذا فضلاً عن تحرف
العشرات من الألفاظ الأخرى .

وهناك مشكلة الحروف الأصلية والنيطمية والحلقية^(١) ، إذ اختلف
لفظ كثير منها في اللغتين اختلاف لهجات الشعوب الناطقة بها ، بحيث أضحت
الزاي في اللغة الواحدة سيناً أو شيناً أو صاداً في اللغة الأخرى وبالعكس .

(١) الحروف الأصلية في العربية هي : الزاي ، السين والصاد . أما في السريانية فتضاف
إليها الشين أيضاً ، والحروف النيطمية في العربية هي : التاء ، الدال والطاء . أما في
السريانية فتضاف إليها اللام والنون أيضاً . والحروف الحلقية في العربية هي :
الهمزة ، الحاء ، الخاء ، العين ، الغين ، القاف والهاء . أما في السريانية فهي :
الهمزة ، الهاء ، الخاء ، العين والراء

والتاء دالاً أو طاء وبالعكس ، والحاء والعين أحياناً هاء أو همزة او ذابتا كلياً (١) .
وهناك ألفاظ أخرى متشابهة ، جاءت ذالها السريانية زايا في العربية ، وثأوها
سيناً وبالعكس . ولا بدع فإن في اللغة الواحدة ألفاظاً من هذا القبيل
جاءت بمعنى واحد . ففي صدد الحروف الأسلية ، نقرأ في السريانية :
Knidta بالذال و Knizta بالزاي أي قرصة سمكة . Nuqadta بالذال و
Nuqazta بالزاي أي النقطة . Zrat بالزاي والطاء و Srat بالصاد والطاء
أي شرط وخدش . Zwada بالزاي و Swada بالصاد أي الزوادة . Swada
بالسين و Swada بالصاد أي سواد الكلام . Sapouna بالسين والصاد أي
الصابون . أما في العربية فنقرأ : تَلَعَّمْتُمْ وتَلَعَّمْتُمْ وتَلَعَّمْتُمْ (بمعنى تَوَقَّفَ
في الأمر وتأتى) ، الرزاز والرصاص ، رَقَزَ (٢) ورقص . صَفَّقَ وصَفَّقَ
(بمعنى صَفَعَ وَلَطَمَ) ، سَقَلَ وصَقَلَ ، غَرَسَ وغَسَرَ ، لَزِقَ ولَصِقَ ،
مَرَّثَ ومَرَّسَ (بمعنى نَقَعَ في الماء وليّن) ، والسَّعَّتَرِ والصَّعَّتَرِ (نبات)
والطشرموث والطشرموس (خبز الملة) . وفي صدد الحروف الببطية نقرأ
في السريانية : Htar بالحاء والطاء و Htar بالحاء والتاء أي خَطَرَ وتَكَبَّرَ
Taach بالطاء والعين و Taach بالتاء والعين أي تَعَيَسَ وذَلَّ ،
Petqa بالطاء و Petqa بالتاء أي البطاقة . أما في العربية فنقرأ : التَّعَتَّمَ والطِّمَطِمْ

(١) ولنا في لفظي « الساف » (من البناء) و « البُر » أي الفصح خير مثال على هذا .
فإنهما سريانيتان أصلهما Sahfa (صحفا) Aboura (عبورا) والأرجح أنهما دخلتا
العربية عن طريق اللهجة السريانية العامية (البابلية) الدارجة في شمالي العراق والتي
يذوب فيها حرف الحاء أحياناً والعين غالباً . ومن هذا القبيل قولنا زور بابل
بدلاً من زعور بابل ، ودير الزور بدلاً من دير زعور .

(٢) اللفظة سريانية أصلها Rqed بالذال ، حُرِّفَتْها الذين يلفظون الذال كالزاي كقولهم :
« هذا وزاك » بدلاً من هذا وذاك . وما زال الكثيرون في سورية ولبنان
يلفظونها هكذا

(الذي في لسانه عجمة) ، وقتل وقُتل ، أما في صدد الحروف الخلقية فنقرأ في العربية مثلاً : حَجَرَ وَحَجَرَ بمعنى حَجَرَ ، حَنَ وَهَنَ .

وفي معرض كلامنا عن الحروف الأسلمية ، برزت لفظة *Zyana* السريانية التي تعني في العربية الشَّين والرَّين ، والتي مازالت دارجة بهذا المعنى في العربية العامية في الموصل وسوادها ، فنقول : فلان عمل « زَبَان » أي شيئاً رديئاً ، على حين أنها والفصحى على طرفي نقيض ، إذ جاءت لفظة « الزين » في الأخيرة بمعنى الجيّد . والأرجح أن « الزين » هي المعنى الصحيح للفظـة السريانية المشار إليها ، وإن معناها يجب أن يكون بمعنى « الشَّين » . أما لفظة « الشَّين » فهي تصحيف « الزين » وذلك بالنظر إلى اختلاف لهجات الشعوب الناطقة بالعربية كما ذكرنا في كلامنا عن الحروف الأسلمية كقولنا « انكليز وانكليش » . وكذلك نرجّح أن تكون لفظة « الزين » بالذات ، إذ تصحّفت الزاي راء بواسطة النساخ . وكـم من ألفاظ صحّفتها النساخ . فإنا نقول : « صوب وحذب » بمعنى جهة ، في حين أن « صوب » تعالها في السريانية *Sawba* . أما « حذب » فالأرجح أنها تحريف « صوب » . وكذلك نقول : الخطارة والخطيرة بمعنى صيرة الغنم ، خرق وخزق ، سحق وسحق ، فحّث الحية وفحّث ، رحم ورخم (١) ، حبر الثروة والفروة بمعنى الغنى ، الأثم والأفرم (المتحطّثم الأسنان) (٢) . ومن تصحيف النساخ الذي دخل المعاجم العربية دون تمحيص وروية ، لفظة « المدوّ » (بضم الواو وشدّها) بمعنى لفظة « الرّهط » (٣) ، في

(١) هذه اللفظة أيضاً سريانية أصلها *Rhem* أي بالهاء لا الخاء . وهي الأخرى دخلت عن طريق اللهجة العامية الآفنة الذكر والتي تلفظ حاؤها خاء غالباً .

(٢) لا يزال أهل قلّات من أعمال ماردين ، حتى النازحين منهم إلى لبنان ، يلفظون الثاء فاء .

(٣) انظر المنجد .

حين أن هذه اللفظة سريانية بحثة Rehita بالطاء ، تعني « العَدُو » (بضم الواو فقط) أي الركض والجريان .

وإليك الألفاظ التي تخلتها الحروف الأصلية والنطعية والحلقية :

الأصلية : Buziqa الباشق ، Bhach بالحاء ، بحث . Gezaa بالعين الجذع .
Gras بالصاد جرش . Nqeb Dercha التطريز . Zavaa الذِفاف (الماء القليل)
Zdaq صَدَقَ ووجب ، ومنها Zadeq صَدَقَ وصادق وتصدَّقَ ، و Zedqa
الصِدِّيق (البِر) والصَّدِّيق (القريب) ، و Zedeqta الصَّدِّقَة ، و
Zaddiqa الصِدِّيق . Zaddouqa الصَّدُّوقِي (الزنديقي) . Ezdhar تحذر
Zabra السَّهَر (القَمَر) . Zyana الشَّين . Zaaouqta بالعين ، الصاعقة
Zaar بالعين صَعُر . Zrat بالطاء شَرَطَ . Zraq ذَرَقَ (نثر ، بذر) .
Hlas بالحاء والصاد ، خَلَسَ (سَلَب) . Hsan بالحاء ، حَصَّن ، ومنها
Hesna الحِصْن . Hesfa بالحاء والصاد ، الحَزَف . Tarmousa بالطاء ،
الطَّرمُوث والطَّرمُوس (خبز الملة) . Kecha بالكاف والسين والحاء ،
القَنَزَح (بصلة صغيرة) . Layth بالثاء ، لَيْس . Laaes بالعين والسين ،
لَعَصَ . Mazda المَسَد (الحَبْل) . Mrs مَرَثَ ومَرَسَ . Nda
بالذال نَزَا . Nzar نَذَرَ . Nessa بالسين النُص . Nsah بالصاد والحاء
نَسَحَ (كتب) . Sgar زَجَرَ . Sedla بالسين ، الصَّنْدَل . Sah بالسين ،
صَه . Sahem بالسين والحاء ، زَحَمَ . Sahsabna بالسين والحاء ،
الصَّحَصَحان (ما استوى من الأرض وكان أجرد) . Saybar بالسين ،
صَبَرَ . Sapouna بالسين ، الصابون . Sandouqa بالسين ، الصندوق .
Salta بالسين والطاء ، الصَّلَت (السيف الثقيل الماضي) . Sqal بالسين ،
سقل وسقل . Sri و Sra بالسين ، صَرِي (نَتِين) . Sram بالسين ، صَرَمَ
(قطع) . Aazta بالعين والزاي ، العَذَاة (أرض طيبة) . Agas بالعين والسين ،

عَقَصَ . Aqaseqsa بالعين والسين معقَص (مجمد) . Fas بالسين ، قَصَّ
 Fursa بالسين ، الفُرْصَة : Afrech أفرز . Sva بالصاد ، شاء (١) . Sdar
 بالصاد ، سَدِرَ (تحيّر) ، ومنها Sedra بالصاد ، السَّدَرُ (الخيرة) .
 Swada بالصاد ، الزوادة وسواد الكلام ، ومنها Swadaya بالصاد ،
 السوادي (العامي) . Slafta بالصاد ، السلحفاة . San بالصاد ، شان . Sarwa
 بالصاد ، السَّرو . Srah بالصاد والحاء ، سَرَحَ (انتشر . عبث) . Srat بالصاد
 والطاء ، سَرَطَ (خدش) . Qamista بالسين ، القميص . Qumassa بالصاد ،
 القمّس (الرجل الشريف) . Qusarta بالسين ، القوصرة (وعاء من قصب
 يُجعل فيه التمر ونحوه) . Qpas بالسين ، قَبَضَ (ضد مد وبسط) ،
 وأمّسك وانجّر . Qaifa بالسين ، القَفَص . Qarsem بالسين ، قَرَصَمَ
 (قطّع) . Rza رَزِي هزل ، سقم ، أثقله المرض) ، ومنها Razaya
 الرزي (الضعيف الممزول) . Rzaf ذَرَفَ . Rmas بالسين ، رَمَزَ
 (رصن . وقر) ، ومنها Rmisa الرميز (الرصين . الوقور) . Rustaqa
 بالسين والتاء ، الرُزْدَاق (القرى حول البلدة وما يحيط بها من الأراضي) .
 Chgha بالشين ، زاغ . Chna بالشين ، جنّ . Chqaqa بالشين الرقاق .
 Chuqafta بالشين ، الصفقة (الصفقة) .

النيطمية : Bdaq بالذال ، بثق . Draz طرز (آذى) . Hda بالذال ،
 حذا (جمع ، كَوَّم) . Htar بالحاء والتاء ، خطر (تكبر) . Tabah بالطاء
 والحاء ، ذبح . Tha بالطاء ، تاه . Tamtem بالطاء ، تَمَّ . Tnach بالطاء
 كدّيس (توسخ) . Taash بالطاء والعين ، تمس (ذل) . Ltak بالتاء
 والحاء ، لطخ . Mot بالطاء ، ماد . Mtah مدّ ومنها Metha المدّة .

(١) لقد جاءت اللفظة السريانية Sebyana بالصاد ، المشيئة « شبونا » في اللغة الكردية .

Nda نَدَا . Nta بالطاء ، نَدِي . Nqad نَقَطُ (وشم) ، ومنها Nuqadta
 النقطة . Nchat بالطاء ، نَتَشَّ . Sedra السِترُ (الحجاب) . Salta
 بالسين والطاء ، الصَّلَت . Aamet بالعين والطاء ، غَمَدَ (غاص) .
 Aanata بالعين والتاء ، العَنيد . Fat بالطاء ، فَت . Fiat بالطاء ، أَفَلت .
 Futqa الفندق . Frad فرَط (فرَّد) . Petqa بالتاء ، البطاقة . Ftar
 بالتاء ، فطر . Srat بالصاد والتاء ، شرط . Qatya بالتاء ، القِثَاء .
 Qtal بالطاء ، قتل وقُتل . Qtam بالطاء ، قَتَمَ ، ومنها Qutma القَتام .
 Qared شجر القِرَظ (ورق السَلَم يُدْبِغ به) . Rustaqa بالتاء ،
 الرزداق . Rtina بالطاء الراتينج (صمغ الصنوبر) . Chmad شَتَمَ . Toch
 بالتاء ، طاش . Tal بالتاء ، طَلَّ (بَلَّ . رطَّب) . أما Qatifta بالطاء ،
 القטיפفة (الخمل) ، فنجدهما في اللهجة المريية العامية (القديفة) . هذا
 وقد جاءت ضاداً كل من الذال في لفظة Qpad قَبَضَ ، والتاء في لفظة
 Taffa الصِفَّة .

الحلقية : Ataaesh بالطاء والعين ، طاش . Ekaf بالهمزة ، عَكَفَ .
 Afsa بالهمزة والصاد ، العَفَص . Gaasa بالعين والصاد ، الجَنَص (الشيد) .
 Dora الدهر ، ومنها Dor Dorin دهر الداهرين . Hawraya بالهاء ، الحَرَّ .
 Haymen بالهاء ، آمَن . Handaqouqa بالهاء ، الحندقوق . Ifak Bzaflan
 بالهاء ، أَفَكَ (خالف) . Ezdhar تحذَر . Hgar بالحاء عَرَجَ . Hazba
 بالحاء ، الهازباء . Kukta الكعكة . Lahta بالحاء ، اللَّهَث . Manaa
 بالعين ، الميناء . Nbam بالهاء ، نَبَحَ (صوت الأسد) . Nhar أثار .
 Nkah بالحاء نَكِهَ . Nanha بالحاء ، النعناع . Sahfa بالحاء ، السَّاف
 من البناء . Aaboura بالعين ، البُرَّ (القمح) . Aazar بالعين ، أَزَّر
 (لف) . Aamma بالعين ، الأُمَّة . Aammaya بالعين الأُمِّي .

Aaram بالعين ، أَرَم . Fahem بالحاء ، فهِم . Fuhra بالحاء ، الفُهر .
Faara و Faaara بالعين ، الحُفْرة . Fqaa بالعين ، فَقَّأ (فَذَّى العين) .
Ferha بالحاء ، الفَرع . Slafta بالصاد ، السلحفاة . Qaraa بالهمزة ،
القرعة (اليقطين) . Qahqah بالحاء ، قَهَقَه (اشتد ضحكك) . Qrah
بالحاء قَرَعَ (صَلَعَ . سقط شعر رأسه) ، ومنها Qarha أقرع .
Qnaa بالعين ، قَنِيء (احمر) . Rahbouna بالهاء ، العربون .
Reayana الرأي . Chhal بالحاء ، سال .

ومن هذا القبيل تقول : Subaa بالصاد و Sabouaaé بالصاد و Sabouaa
بالصاد والعين . فقد استجالت العين في اللفظتين الأوليين إلى همزة ،
كما في الصابئة والصابئين ، وذابت كلياً في الثامنة كما في الصبئة .

أما الألفاظ السريانية التي اختلف تركيبها في العربية ، فهي (١) :
Bhar بالحاء ، خَبَر . Batla بالطاء ، شجر البَلُوط . Blat بالطاء ، لَبَطَ (خبط) .
Burka (٢) الركبة . Beroula البلُور . Galla اللَّجْجَة . Ezdhar بالهاء ، تحذر .
Harsa بالحاء والصاد ، الخَصر (الظهر) . Hgar بالحاء ، عرج . Hrach
بالحاء ، سحر ، ومنها Haracha الساحر . Kima الكَمَاة (نبات) . Nagab
الجنوب (القبلة) . Nagra النورج (سكة الحراث) . Nchat بالطاء ، تنش .
Nhar بالهاء ، أثار (أضاء) ، Nkat بالحاء ، أُنْتَخَ (نزع . قلع) . Sdar
سرد . Smak مَسَكَ ، ومنها Asmek أَمَسَكَ . Saar بالعين ، شرع .
Srat بالطاء ، سطر ، ومنها Serta بالطاء ، السطر . Aanyaba بالعين ، الغباوة .
Ezaqta بالعين ، القرعة (حلقة شعر) . Aammet بالعين والطاء ، عَتَمَ

(١) لا تدخل هنا الألفاظ المذكورة في المقال السابق .

(٢) إن اللفظة السريانية أصح من العربية ، إذ يقال : « بَرَكَ البعير » لا رَكِبَ .
و « ليس لفلان مَبْرَكٌ جميل » لا مَسْكَب .

(أظلم) . Fagya الفوج . Faara بالعين ، الحفرة . Fousa الفسوة . Faraqta
 الفقارة (إحدى خريزات الظمر) . Frach فتر (نرح) . Echah بالحاء ،
 سَخِثْ (حق) . Maspafta النَصيف (كل ما غطى الرأس من خمار أو
 عمامة ونحوها) . Safha بالصاد والحاء ، الصَّحفة (القصة) . Sarsara
 بالصادين ، الرصاص القلعي . Qatleb بالقاف والطاء ، لَبَّكَ Qalma القملة .
 Qarkedna الكركند (عقن حجر كريم) وصمغ أحمر . Rahbouna بالهاء
 المربون . Ruaata بالعين ، الرغوة . Rzaf بالزاي ، ذَرْقَ Rahcha بالحاء
 الحَمَرة . Rthima بالتاء ، الأثرم (المتحطم الأسنان) . Rfah بالحاء ،
 رَخَفَ (هَشَّ . لَانَ) . Ragba القرية (الوطب أي وعاء يُجمل فيه
 الماء واللبن) . Chaaa بالهمزة والعين ، عَشِيَّ (جهر . ساء بصره) . ومنها
 Chiaa الأعشى . Chgah بالحاء ، سَحَجَ . Chgham عَشَمَ (ظلم) .
 Chahnita بالحاء ، السخينة (طعام) . Chmad شَتَمَ . Achfel أفضل
 (أبأس) . Chqaf سَفَقَ (صَفَّقَ . لَطَمَ) ، ومنها Chuqafa السفقة والصفقة
 (الطمة) . Chteq سكت ، ومنها Chatiga الساكت . Tabhem بالحاء ،
 حَتَمَ (قضى . جزم) .

فراصة مار أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية ومباشر المشرق للسرطان الأرثوذكس



مجلة المجمع العلمي العربي

بمناسبة بلوغ المجمع (٥٠) عاما

(المحافظة على اللغة ، كلية الآداب العربية)

كان عزم فريق من فضلاء دمشق وأدباؤها -- وفي طليعتهم الرئيس الأول لمجمعنا العلمي العربي العلامة الأستاذ محمد كرد علي -- على أن ينشئوا كلية أدبية ، يسمونها (كلية الآداب العربية) وغايتهم منها المحافظة على لغة البلاد ، وجعلها لغة علوم وفنون وآداب ، كما كانت على عهد الأجداد ، ولا يخفى أن اللغة العربية هي السلك الكهربائي الذي ينظم قلوب أفراد الأمة فيوجها نحو مطلبها الأسمى ، وهي الروح العلوي الذي يدب في جثمان الأمة العربية فيها الحياة الحرة مرة أخرى ، وهي النور السماوي الذي تسطع أشعته في بلاد العرب فتثير لأهلها سبل النجاة وتمزق حجب المخاطر والأوهام ؛ بل هي المراج الذي ترتقي به إلى أعالي سماء المجد والفتخار ، وهي لسان مدينتنا التي نشرنا أعلامها في أنحاء المعمور ، وأخرجنا بها الأمم المتخلفة من الظلمات إلى النور .

قال بعض الأئمة : كانت لغة أميين وثنيين جاهليين ، فظهر فيها أكل الأديان ، فكانت له أكل مظهر ، وتجلي لها العلم فكانت له خير مجلى ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة ، ولكن عدت على أهلها عواد كونية ، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحية ، ومن تلك المقومات اللغة فقد فسدت ملكتها في

الألسنة ، واتموى طريق تعليمهم في المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارة اه .

علم أسلافنا الكرام أن اللغة من أقوى مشخصاتهم ، بل برهان حياتهم ، فحافظوا على مفرداتها وترأكيها بما ألفوا من المعاجم اللغوية ، وقوانين الصرف والنحو ، وعلى معانيها وأساليبها بما صنفوا من كتب المعاني والبيان ، ونقلوا العلوم والفنون إليها ، ووضعوا كتباً فيها .

ويرى العلامة المغربي ، من رجال مجمعنا العلمي العربي (رحمه الله تعالى) وقوع التعريب بكثرة في لغتنا العربية ، ونقل في كتابه (الاشتقاق والتعريب) عن الجلال السيوطي ما أحصاه من المعربات في الكتاب العزيز ، فبلغ زهاء مئة ، وذلك لا ينافي كونه عربياً فصيحاً ، كما نقل عن أبي منصور ، ولا ينافي كونه وحياً معجزاً ، ثم ذكر من الحديث الشريف أكثر من خمسين كلمة معربة . ثم ساق تحت عنوان (طائفة من المعربات) أكثر من ثلاثمائة كلمة معربة في الحيوان والنبات والعقاقير والمأكول والمشروب والطوب والملبوس والمعادن والأحجار الكريمة والآلات والأدوات والماءون ، والكلمات العلمية والفنية ، والكلمات الدينية ، فإذا فوزع في تعريب بعضها ، فلا يتيسر النزاع في كثير منها .

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في أحرف كثيرة أنها غير عربية ، كسجّيل ومشكاة وأباريق واستبرق ويمّ وطور ، وهم أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، وجمع أبو منصور بين القولين بأن الألفاظ أعجمية بحسب الأصل ولكنها لما عربت صارت من اللسان العربي ، فهي أعجمية أصلاً عربية حالاً ، فمنهم من نظر إلى الأصل ، ومنهم من نظر إلى الحال .

ونفى الإمام الشافعي ورود كلمات أعجمية في القرآن الكريم كما تجده في أول رسالته ، ونقل الشهاب الخفاجي في (شفاء الغليل فيما في كلام

العرب من الدخيل) مثل ذلك عن أبي عبيدة ، قال الشهاب : وذهب أبو عبيدة إلى أنه ليس فيه أعجبي ، وما وقع فيه فمن اتفاق اللغتين .
ومما يؤيد هذا المذهب أن اللغة العربية كانت على عهد حمورابي أي قبل السيد المسيح عليه السلام بخمسة وعشرين قرناً ، فهي تعدّ من أصول اللغات بمد الطوفان ، وإذا كانت كذلك فإن هذه الألفاظ المستحدثة وضعت أسماء لسميات اقتضتها سعة الملك ، واستبحار المدنية وبلهية العيش ، على عهد أقبال اليمن ، وملوك حِمَير ، وملوك الجزيرة ، من النعمانة والمناذرة ، وملوك الشام النسانيين وغيرهم ، فأسماء مستحدثات تلك المدينيات العربية هي من أوضاع العرب كسمياتها ، سواء أوجدت تلك الألفاظ بلغة أخرى أو ما يقاربها (١) .

(إنشاء المجمع العلمي العربي ومجلته منذ خمسين عاماً)

كان المجمع العلمي العربي — كما جاء في مجلته — يُعرَف في أول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف التي أسست في عهد الحكومة العربية سنة ١٩١٨ م ثم جمعت هذه الشعبة ديوان المعارف ، ثم انقلب هذا الديوان لاتساع أعماله إلى مجمع علمي ، واستقلّ في عام ١٩١٩ عن ديوان المعارف ثم أتمّ في هذه السنة ١٩٦٩ خمسين عاماً ، وحُدِّدت غايته في أنظمة خاصة .

أخذ المجمع على نفسه منذ تأسيسه العمل على تحقيق الأغراض التي أسس من أجلها . وكان أول أعماله إصدار (مجلة المجمع العلمي العربي) وهي تحوي دراسات لغوية وتاريخية وأدبية ، وتعرّف بنوادر المخطوطات العربية ، مع نقد أشهر المؤلفات العربية والأجنبية التي تفيد العالم العربي . وقد أسهم في

(١) في رسالة الاشتقاق والعرب ، وفي ج ٢ من محاضرات المجمع العلمي ميخائيل في المحافظة على اللغة ، وكلامها لكاتب هذه السطور .

تحرير المجلة أعضاء المجلة العاملون ، والمراسلون في الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأوروبا وأميركا ، وغيرهم من العلماء ، وأكثر هذه الأبحاث تمت بصلة وثيقة إلى بعض أغراض الجامعات اللغوية العلمية للدول العربية ، وإلى أبحاث جدول أعماله .

ولمّا أسس المجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العراقي ، كان أكثر أعضائها أعضاء في مجعنا ، كما انضم إليها أعضاء من مجعنا ، وتحقق بذلك نوع من الاتصال بين المجمع ، بتبادلون الآراء والمطبوعات ، ويطلع كل منهم على نشاط الآخر (١) .

(عقد أول مؤتمر للمجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق)

كان انعقاد المجمع اللغوية العلمية في دمشق (سنة ١٩٥٦) وقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بدعوة المجمع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد إلى إرسال ثلاثة أعضاء من كل مجمع ، وبدعوة الدول العربية — التي لا يوجد فيها مجمع — إلى أن توفد كل دولة منها مراقباً عنها لحضور هذا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية الذي يُعقد في أيلول سنة ١٩٥٦ بمدينة دمشق .

(شذرة من خطاب رئيس اللجنة الثقافية الدكتور طه حسين)

(في سرّ اختيار مدينة دمشق مكاناً لانعقاد المؤتمر)

قال الدكتور حفظة المولى : هناك ميزة خاصة ، فجمعبها العلمي الموقر هو أول المجامع العربية وجوداً ، وأشدّها نشاطاً ، وأخصبها إنتاجاً ، وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحبيبة ، وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي - نشاط المجمع - م ٣٢/٧٢ - ٨٦ .

تتخذ في كل هذه الأشياء مثلاً وغودجا ، ونطمع في أن نسير في أثره ، ونطمع في أن نصنع صنيعه ، ونقتدي برجلاته من زعماء العروبة وأعلام البيان .

ومن خطاب نائب رئيس المجمع العلمي العراقي السمي العزيز الشيخ محمد بهجة الأثري قوله دام فضله :

وانتصرت العروبة الإيجابية البانية ثانية في مؤتمر الأدباء العرب في بلودان بما ظهر واضحاً جلياً غير متكلف ولا مصنوع ، من اتساق الأدباء العرب على وجوب تجديد أفلامهم وأفكارهم في سبيل تحقيق هذا الطامح القومي إلى تكوين الدولة العربية الكبرى ، لتكون هذه الملايين التي تحيا تحت رايته قوة إيجابية بانية ، مع القوى التي تعمل على تجديد شباب الحضارة المشتركة ما بين مطلع الشمس ومغيبها من آفاق الدنيا اه .

أقول : انعقد في دمشق مؤتمر المجمع العربية الكبرى ، ومثلوا وحدة اللغة والعلوم والفنون أفضل تمثيل ، فكان في ذلك إيدان بالوحدة العربية الكبرى ، وتجديد لهدا الأول ، الأغر المحجّل .

ألا وإن من موجبات الدين ، ومن فروض الكفايات : الاشتغال بالعلوم الطبيعية والرياضية والطب ، والحقوق ، والهندسة والحيوان ، والنبات ، وطبقات الأرض ، والكيمياء ، والفلك ، وتدير المنزل ، وغيرها ، وهل يتم اجتماع وعمران ، أو استقلال تام لأية أمة من الأمم بدونها ؟

ومن الواجب الحتم إيجاد ألفاظ عربية لما اشتق منها ، أو تفرّع عنها كما فعل أسلافنا من قبل .

قال رئيس مجعنا الأمير مصطفى الشهابي في مقاله المنشور في صدر (ج ٤٢) من مجلتنا بعنوان : مشاكل لغتنا العربية مانصه : تنعصب الشعوب العربية لفتحها قومياً ودينياً ، وتسمى الدول العربية المستقلة لجعل

هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية . ومن المؤكد أنها اليوم تنسج لجميع العلوم التي تدرّس في التعليم الثانوي ، وفي دور المعلمين الابتدائية ، وفي المدارس الزراعية والصناعية والتجارية المتوسطة .

أمّا العلوم التي تدرّس في الجامعات فبعضها يمكن تدريسه بالعربية دون كبير عناء ، كالعلوم الحقوقية على أنواعها ، والرياضيات والفلسفة وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلك . وبعضها يكون في تدريس مطولاتها بالعربية صعوبة يلاقيها الأساتذ كعلوم الطب والهندسة والكيمياء وعلم الحياة وعلم الأنساج وغيرها . وقد نتج عن هذه الصعوبة كون الطب والهندسة يدرّسان الآن بالإنكليزية في جامعات القاهرة وبغداد . أمّا الجامعة السورية في دمشق فهي تدرّس العلوم بالعربية في جميع كلياتها : (طب ، صيدلة ، طب أسنان ، هندسة ، علوم ، آداب ، حقوق ، دار المعلمين العليا) . وقد خدم أساتذها العربية بإيجاد مصطلحات علمية عديدة ، وبتأليف مؤلفات عربية مفيدة في الدروس التي يلقونها على الطلاب .

وأمّا قول الرئيس الأمير الشهابي : تتمسب الشعوب العربية للفتها قومياً ودينياً ، وتسعى الدول العربية المستقلة لجعل هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية فحق وصدق ، وما دامت الجامعة السورية في دمشق تدرس العلوم بالعربية في جميع كلياتها : حصيلة ذلك أن الأمة العربية قادرة على إيجاد كل ما يعزز لغتها ، ويقوي رابطتها ، ويفنئها بلسانها الديني القومي عن كل ماعداه ، ويسرّ هذا التعلم والتكلم والتقدم كلّ غيور على عروته ودينه وأُمّته .

ألا وإنّ الإنسان الواحد في الأمة الواحدة هو عنوان الوحدة التامة فيما عداه ، وهذا الوحي الإلهي الذي نزل به أمين السماء جبريل عليه السلام على أمين الأرض محمد عليه الصلاة والسلام ، بلسان عربيّ مبين ، قد تمّت

به للأمة العربية وحدة بعد فرقة ، وعزة بعد ذلة ، وقوة بعد ضعف وهوان . وكان لهم بعد ذلك العداء المستمر ، والقتال المستحرق ، وحدة عربية إسلامية لم يسبق لها نظير ، فنحن إذا دعونا إلى تلاوة الذكر الحكيم واستماعه ، وتدبره واتباعه ، دعونا إلى نهضة أدبية قيمة ، وحياة عربية طيبة ، ودعونا إلى عز قالد ، ومجد خالد ، ألا وإن نهضة العرب بالقرآن الكريم هي أم النهضات وأروعها ، لأنها - علاوة على كونها نهضة أدبية قومية - نهضة روحية أخلاقية ، تحرر الأرواح من ذل الشهوات واستعبادها ، وتخلص النفوس من قلقها واضطرابها ، وهي ترمي إلى تجديد شباب العرب ، وإعادة الرعامة الكونية الأخلاقية إلى يدهم كرّة أخرى .

(نصح وتذكير)

هذا وقد قال لي مرة الناصح الأمين الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجعنا الأسبق رحمه الله : إن كثيراً من أبناء العروبة قدرغبوا عن لغتنا إلى اللغات الأجنبية بما وجدوا من تسهيل في قواعدها ، وتذليل لصعوباتها ، ويُسّر في النخاطب بها ، قال (وكتاب أسرار العربية) للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥١٣ - ٥٧٧) يبين ما في قواعدها النحوية من إحكام في الوضع ، وإتقان في الترتيب والتبويب ، وحكم ولطائف في الأحكام ، وقد وصفه مؤلفه بقوله : « وبعد فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم بأسرار العربية ، كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين ، من البصريين والكوفيين ، وصححت فساد ما عدها بواضح التليل ، ورجعت في ذلك كله إلى الدليل ، وأعفيت من الإسهاب والتطويل ، وسهّلت على المتعلم غاية التسهيل » اهـ .

أقول : نعم إن هذا الكتاب في أبوابه وعناوينه كسائر كتب النحو ، فيه مباحث العرب والمبني ، والمذكر والمؤنث ، والجوهر الثلاثة ، والمبتدأ والخبر وسائر المرفوعات والمنصوبات والمجرورات بالحروف وبالإضافة ، والمجزومات وإغما يتناز من غيره بأمرين اثنين : (أولهما) : أن المؤلف رتب العمل والأسباب ، في علامات الإعراب ، على طريق السؤال والجواب ، كالرفع بالضمّة والألف وثبوت النون ، وكالتنصب وعلاماته ، والخفض وعلاماته ، والجزم وعلاماته ، سواء أكانت العلامات حركات أم حروفاً ، وسواء أكانت علامة الإعراب ثبوت الحركة أم الحرف ، أم الحذف .

(والثاني) قرب المأخذ وكثرة الفوائد ، مما لا تكاد تجده في كتاب واحد ، وهذا مثال من تحليله ودليله ، من الباب العاشر الذي هو باب الفاعل :

إن قال قائل : ما الفاعل ؟ قيل اسم ذكرته بعد فعل وأسمدت ذلك الفعل إليه ، فإن قيل : لم كان إعرابه الرفع ؟ قيل فرقاً بينه وبين المفعول ، فإن قيل : فهلا عكسوا وكان الفرق واقعاً ؟ قيل الخمسة أوجه (وعدّها) معيّلاً مستدلاً ، وهذه طريقته في كتابه من أوله إلى آخره . وقد عنيّا بتفسير اللغة ، وشرح الشواهد وعزوها إلى أهلها ، وإيراد تراجمهم بالكلم الوجيز ، وتاريخ وفياتهم ، ليرجع إليهم من شاء في كتب الأعلام ، أو الحوادث والأيام . وقد فاتنا سهواً ذكر بعض التراجم في مواضعها ، فحملنا لها ملحقاً يجمعها في آخر الكتاب .

محاضرات المجمع العلمي العربي

أنشئت مجلة المجمع العلمي العربي (سنة ١٣٣٩ هـ = سنة ١٩٢١ م) . ولما كان المستوى الثقافي ضعيفاً في ذلك العهد ، لاسيما في عالم النساء ،

م (٦)

رأى الأستاذ الكبير محمد كرد علي رحمه الله - أيام وزارته للعارف ورئاسته للمجمع - أن تلقى محاضرات في العلوم والفنون والآداب ، يتولى أمر إلقائها في ردهة المجمع طائفة من كبار رجال الدين والعلم والأدب ، ونفذ هذا الاقتراح في حينه ، وصارت المحاضرات أسبوعية إحداها للرجال والثانية للنساء ، واستمر المجمع على هذا الترتيب بضع سنين ، وقد اشترك في إلقاء المحاضرات بعض فضليات النساء ، وكانت مواضيعها أنواعاً متنوعة (أخلاقية اجتماعية ، فقهية قانونية ، لغوية طبية ، أدبية ، تربوية تعليمية طبيعية ، اقتصادية عمرانية) (١) وكان لها الأثر الفعال في النفوس والعقول ، فعممت الرغبة في العلم والمعرفة جميع الطبقات ، وكانت هذه المحاضرات مبدأ نهضة عامة زادت في معرفة قيمة العلم على اختلاف أنواعه ، ورغبات الناس فيه .

تعداد المحاضرات

يتبين من إحصاء المجمع ووثائقه أن عدد المحاضرات التي ألقاها أعضاء المجمع وغيرهم يقرب من أربعائة ، أُلقيت ما بين ١٧ نيسان سنة ١٩٢١ و ١٢ نيسان سنة ١٩٤٦ ، مع انقطاع حدث بين كانون الأول ١٩٣٢ وأيار ١٩٤١ ، ويلاحظ أنها بدئت بمحاضرة للأستاذ المغربي ، وختمت بمحاضرة له أيضاً (٢) .

وقد طبع المجمع العلمي مختارات منها في ثلاثة أجزاء ، طبع في كل جزء ما اختير منها .

(١) مجلة المجمع العلمي م ٢٢/١١ - ٣٤ .

(٢) تراجع عناوين المحاضرات وأسماء المحاضرين ، وتواريخ إلقائها بحسب التسلسل التاريخي في تاريخ المجمع العلمي للأستاذ الفتيح ص ٤٠ - ٧٣ .

حفلات التأيين والتكريم

وتحت عنوان الحفلات والمهرجانات ذكر في تاريخ المجمع العلمي أنه أقام عدداً من حفلات التأيين والتكريم ، كما أقام مهرجانيين للمنتبي ولأبي العلاء المعري ، (قال الأستاذ الفتيح) : ونحن نذكر هنا وصفاً مجملًا لأهمها لخصناه عن وثائق المجمع ، وما كتب عنها في مجلته بحسب التسلسل التاريخي ، وذكر أسماء الخطباء في هذه الحفلات ، وعناوين خطبهم التي ألقوها في تلك المجتمعات ، منقولة عن مجلدات المجمع ، مؤرخة في أوقاتها ، مبيّنة في أرقام صفحاتها .

أما المهرجانان للمنتبي والمعري ، فقد استمر كل منهما أسبوعاً كاملاً وكان الخطباء فيها من أعضاء المجمع وغيرهم من البلدان العربية الشقيقة ، ومن غيرها ، وكان ذلك بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الأول وعلى ولادة الثاني ، وحفلات الأسبوع كانت موزعة بين دمشق وغيرها من المدن السورية .

وأما حفلات التكريم فمنها حفلة كبرى أقيمت في دار المجمع العلمي باسم أمير شعراء العصر (أحمد شوقي بك) أقامها جمهور من أدباء الحاضرة على اختلاف الطبقات والطوائف ، ومنها حفلة تنشيط الشعراء الشباب ، ذلك أن أربعة منهم أظهروا ذكاء وتفوقاً لاميّ في الآداب العربية وقرض الشعر العربي .

ثم حفلة تكريم حافظ بك إبراهيم ، اغتنم بمجمعنا العلمي وجوده في بيروت ، وهو أحد أعضائه ، فدعاه إلى دمشق فلبى الدعوة وأقام له المجمع العلمي حفلة تكريم كبرى في مقره في (المدرسة المادلية) وحفلة تكريم للشاعر الكبير محمد المراوي المصري .

وأما حفلات التأيين فأسماء بعض من أقيمت لهم تغني عن أوصافهم ، وهم أشهر من أن يعرفوا ، وأغنى من أن نصف الحفلات التأيينية التي أقيمت لهم ، وروعاتها ، ومن حضرها من العلماء والأعيان ووجهاء البلاد السورية ، وخطباء هذه المجتمعات ، وكيف كانت تكتظ بهم ردهة المجمع وشرفته العليا ، ويقيم الكثيرون من المستمعين وقوفاً على أرجلهم في ساحة الدار . ونكتفي بذكر أسماء طائفة من المؤيدين ، وهم : الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال باشا المصري ، والسيد محمود شكري الألوسي ، والأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ، وشاعر مصر حافظ إبراهيم ، وأمير الشعر أحمد شوقي ، والسيد الإمام محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والتفسير .

(عثرات الأقلام)

رأى المجمع العلمي العربي من أول إنشائه وانعقاده ، أن يرعى لغة الضاد ، التي هي لغة البلاد ، ولغة الأمة والملة ، بل لغة الوحي المنزل ، والرسول المرسل ، المخاطب بقوله سبحانه : « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان ابن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرها ، أنهم كانوا إذا تعلموا من الرسول ﷺ عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من الأحكام والعلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

القرآن عظيم الشأن ، كامل البيان ، فيه العظات والعبر ، وسائر ما بالعباد إليه من حاجة ، ولقد أعز الله به العرب بعد ذلة ، وكثرهم بعد قلة ، وأغناهم بعد ضعف ، وألف بين قلوبهم بعد جفاء وعداء ، بل بعد تناحر مستمر ، وقتال مستتجير ، كادت معه القبائل يفني بعضها بعضاً ،

« واذكروا إذ أنتم قليل ، مستضعفون في الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فأواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وقد وصف هذا الوحي الإلهي ، إمام البيان العربي الإسلامي في عصره ، مصطفى صادق الرافعي ، بأنه « ألفاظ إذا اشتدَّت فأمواج البحر الزاخرة وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتمصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الغفور تضحك في وجوه النيوب ، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الأسنة ترعد من حمى القلوب ، ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نعيم الحنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، وبينما هي ترف بندى الحياة على زهرة الضمير ، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير ، وتمهب عليها بأنفاس الرحمة فنم بسر هذا العالم الصغير ، ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان ، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان ، إذا هي بعد ذلك أطباق السحاب وقد انهارت قواعده ، والتمعت ناره وقصفت في الجو رواعده ، وإذا هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها ، واستأذنت في صدمة الفرع ربها ، فكانت ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة ، وإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض مائدة » .

وبعد فقد رأى المجمع العلمي العربي أن ينشر في مجلته وفي الصحف المحلية من وقت إلى آخر نبذة لا تتجاوز العمودين في نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحبرونه ، (قال) : وسنجد في الاختصار على ما نظنه خطأ من القول ، مما لا يحتاج الأمر فيه إلى المناقشة ، تعادياً من الخروج عن صدد ما أخذنا فيه من إصلاح الهفوات ، إلى المجادلات والمناقشات ، التي طالما كانت سبباً في خفوت الأموات ، وموت المشروعات . وزيادة في

تجنب أسباب الجدل والناقشة ، ندع التصريح باسم الكاتب الذي نؤاخذه والصحيفة التي كتب فيها ، فمضى أن يقع عملنا هذا من أهل الفضل موقع الرضا والقبول ، فيتدبروا ملاحظتنا هذه ويراعوا العمل بها كلما سنحت في كتاباتهم ، أو دارت على أسلأت أقلامهم .

فمن عثرات الأقلام قولهم : (عدم اعتياد الموظفين على كذا) صوابه : (عدم اعتيادهم كذا) . كذلك نجد في المجلد الأول (ص ٢١٩) وفي المجلد الثاني (ص ٢٩) وفي المجلد ٣ (ص ٢٧) ونجد في المجلد الرابع (ص ٣٢١) وفي المجلد ٥ (ص ١٩١) وفي المجلد السادس (ص ٣٠٩) .

(صعوبات وانتقادات)

بلغت مقالات عثرات الأقلام في مجلة المجمع ثلاثين مقالة عرضنا تنقأ منها على سبيل المثال ، وننبه هنا إلى أن تصحيحات العثرات لاقت قبولاً حسناً ، ونفعت كثيراً في التصحيح والتفصيح ، كما لاقت بعض النقد أيضاً ، وقد رأينا المجمع ينبه إلى ذلك ويدعو الكتاب إلى اتباع تصحيحاته ويجادل في صحتها ويبرهن على أصالتها . ففي المجلد الثاني ص ٨٨ ورد هاتين الملاحظتين .

(١) إننا عجبنا لأغلاط ننبه إليها ، ونشير إلى ما هو الصواب أو الأصوب فيها ، ثم نراها أحيانا في الصحف ، بل أعجب من ذلك أن نرى الأغلاط تعاد وتكرر في نفس الصحيفة التي تنشر (العثرات) . فترجو من حضرات مصححي الصحف أن يلاحظوا ذلك ، وإلا لم يكن لنشر (العثرات) في صحفهم معنى ولا قيمة ، وصح أن يخاطبوا بقول الشاعر : (يا أيها الرجل المعلم غيره) إلى آخر البيتين .

(٢) إننا في انتقاداتنا غشي على أفصح لغات العرب وأبلغ أساليب الكتاب ، أما إذا كان هناك قول أو لفظة تميز الكلمة التي انتقدناها ، أو الأسلوب الذي عيبناه فلا يضرنا ذلك .

ثم أورد المجمع العلمي في مبحث (عثرات الأقلام) مفردات في المجلدين الثالث والرابع من مجلته ، وكان في بعضها مجال للمناقشة ، وقد اشترك في هذه البحوث اللغوية من أهلها الشيخ أحمد رضا والأب أنستاس ماري الكرمل ، ثم أصبح المجمع العلمي مرجعاً لغوياً لكل طالب وراغب ، وكانت ترد إليه الأسئلة والاستفتاءات ، فيجيب عنها ، لا سيما بعض الكلمات العربية والمصطلحات الفنية ، وكان ينشر الأجوبة والفتاوي في المجلة وفي بعض الصحف ليكون الاطلاع عليها والعمل بها أعم وأشمل ، وفي مجلدات المجمع الأولى أمثلة كثيرة منها أشرنا إلى بعضها ، وهي تدل على نهضة عربية لغوية ، قد عني بها المجمع كل العناية ، وبراجع أيضاً تاريخ المجمع العلمي (١٠٩ - ١٢١) . وفي تاريخ المجمع أيضاً الأستاذ فنيح ما نقله عن المجلد ١٨ ص ٩٧ من محاضرة للأستاذ المغربي عنوانها (عثرات الألفام فيما لا نفرق بين صوابه وخطئه الأفلام) . والألفاظ التي تكثر بها الألفام (جمع فمر) كثيرة ، وهي تختلف باختلاف الحركة والسكون ، والتخفيف والتشديد ، فالكلمة يكون أولها مفتوحاً في فصيح اللغة ، فيضمه الناس أو يكسرونه خطأ ، أو يكون أولها مضموماً فيفتحونه أو يكسرونه ، أو مكسوراً فيضمونه أو يفتحونه ، أو يكون وسطه متحركاً فيسكنونه ، أو ساكناً فيحركونه ، أو مشدداً فيخففونه . كل ذلك يفعلونه على خلاف الفصيح المعروف لدى أهل اللسان . والكلمات التي نسردها ونصحح ضبطها وخطأ الأفواه بها إنما هي (الكلمات اليومية) المتداولة على لسان الجمهور . وهذه نماذج من بعض الأقسام . .

القسم الأول : ما كان أوله مفتوحاً ، فتكثر به الألفام وتضمه :

(جَوَعان) بفتح أوله والناس يضمون جيمه ويقولون (جَوَعان) .

(حَنْجَرَة) الحلقوم بفتح الحاء والجيم ، والناس يضمونها ويقولون

حَنْجُرَة .

(الزُّور) في اسم مدينة دير الزور بفتح الزاي ، وهم يقولون دير الزُّور بضمها خطأ .. الخ

القدم الثاني ما كان أوله مفتوحاً فتعثر به الأقدام وتكسره :

(أهرام) يكسرون همزته على توه أنه مصدر أهرم ، كأكرم إكراما ، وصوابه فتح الهمزة لأنه جمع هرم مثل فرس وأفراس ، فالمراد بها في أصل استعمالها مجموع ما في مصر من الأهرامات .

(الزصاص) المدن المشهور ، يكسرون راءه غلطا ، وهي مفتوحة ، هذه العناية الكبرى للمجمع العلمي باللغة العربية - مفرداتها وتراكيبها وأسلوبها - ونشر التصحيحات في الصحف المنشورة وفي المجلة من دون تمرّض لأسماء الماثرين - كل ذلك أورث المجلة تلك الثقة العظمى في عالم العلم والعمل .

(هبات الألوفا المؤلفات من الكتب ووقفها على دار الكتب

الظاهرية ، وخزائن المجمع العلمي العربي)

من إحصاء الكتب التي دخلت خزائن المجمع العلمي ، ودار الكتب الظاهرية هدايا وهبات - وهي ألوفا كثيرة من المؤلفات الدينية والأدبية والتاريخية وسائر العلوم والفنون - الخطية منها والطباعة - يعلم مقدار الثقة التي أحرزها المجمع في نفوس المؤلفين والطلابيين ، والأفراد والجماعات والجامعات وأصحاب الكتب الموقوفة . وما يذكر فيشكر لأحمد تيمور باشا رحمه الله تعالى أنه جعل من قلمه وعلمه وخزائنه كتباً ، وماله ، هبات كبرى لجمعنا العلمي منذ إنشائه بدمشق ، فقد أهداه مئات من الكتب المطبوعة والصورة بالتصوير الشمسي ، ووهبه مجموعة نفيسة جداً من النقود

القديمة . ولما عاتبه أحد المصريين على تنازله عن مجموعته من النقود القديمة لمدينة دمشق ، أجابه بلطفه المتناهي : إنني أعطيت مدينة القاهرة خزانة كتي نحو ثلاثة عشر ألف مجلد ، ونحو نصفها من المخطوطات النادرة لمصر ، ومدينة دمشق - وهي مدينة عربية إسلامية - جديرة بأن تساعد . اهـ .

ونذكر أفراداً ممن وقفوا كتبهم ابتغاء رضوان الله تعالى - نذكرهم على سبيل القصر ، لا على سبيل الحصر :

الشيخ عبد الله الكزري أوصى بكتبه للمجمع العلمي ، فبلغت (٤٣٣ كتاباً) .
وأوصى رفيق بك العظم بمجموعة كتب بلغت ألف كتاب .

وأهدى السيد سميد حمزة نقيب أشراف الشام لدار الكتب الظاهرية ثلاثمائة مخطوط .

وأهدى الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي من المخطوطات (٢١) كتاباً .
وقدّم الوطني الكريم فخرى البارودي مكتبته (إلى خزانة المجمع العلمي) .
وأهدت الآنسة فلك طرزي بقية كتب جدتها الشيخ عبد الغني النابلسي - المخطوطات والمطبوعات - إلى دار الكتب الظاهرية .

وأهدى أمين سر المجمع الأمير جعفر وأخوه الأمير إدريس الحسيني كتباً مخطوطة وعددها : ثلاثة وسبعمون مخطوطاً .

ثم أهدى الرئيسان الجليلان الأستاذ خليل مردم بك والأمير مصطفى الشهابي ما في خزانتيهما من نفائس الكتب النفوية والعلمية والأدبية ، إلى خزائن المجمع العلمي العربي ، وأضاف الرئيس الشهابي إهداء المجمع متاع قاعة استقباله ، وهي مجلسه في داره ، أثاب الله المهدين جميعاً أفضل الجزاء ، وأحسن إليهم في دار كرامته .

هذه شذرات من أعمال المجمع العلمي العربي ، أوردناها بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشاء مجلته والمداومة على تحريرها ؛ ومن تصفح مجلداتها ، أو أمعن النظر في كتب المجمع المهداة إليه من أولي الفضل والنبل ، أو وقف على آلاف الكتب الموقوفة على دار الكتب الظاهرية ، ممن يبتغون وجه الله والدار الآخرة ، عرّف قيمة الأعمال الباقية ، والآثار الخالدة ، وتلاقوله سبحانه ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس موزّلاً خالدين فيها لا يبتغون عنها حوْلاً ، والحمد لله ربّ العالمين .

محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي



عهد الرئيسين
محمد كرد علي و خليل مردم
بين دولتي النثر والشعر



الأستاذ خليل مردم بك



الأستاذ محمد كرد علي

لن أتحدث هنا عن جهود الزملاء الأكارم ، أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وما كتبوه وما حققوه ، ونشروه خلال خمسين عاماً ، انقضت على تأسيس المجمع ، فقد عرضت لهذه الدراسة وهذا الإحصاء في دراسة بالفرنسية ألقمتها بالاشتراك مع الأستاذ هازي لاوومست ، عضو المجمع ، ونشرناها منذ

عشرين عاماً تقريباً ، بينما فيها أثر المجمع وأعضائه في خدمة الثقافة العربية خلال ثلاثين سنة (١) .

وألقت بعد ذلك كتباً في دراسة الأمير شكيب أرسلان (٢) عضو المجمع ، ثم في ستة من أعضاء المجمع الناثين (٣) ، ثم في ستة غيرهم من الأعضاء الشعراء (٤) ، وبهذا يكون حديثي قد شمل ثلاثة عشر عضواً في انتظار الدراسة المفصلة ، عن المجامع العربية وجمعنا العربي بدمشق .

ولن أطمح كذلك إلى استعراض هذه الجهود التي بذلها ، هؤلاء الذين تقبلوا على رئاسة المجمع العلمي العربي ، وكلهم من الأعلام .

ولكنني سأقف عند عهدين من عهود المجمع ، ورئاستين امتدتا أربعين سنة ، فقد كانا فوق كل ذكرى تهيمن على أفكاره ، وتدفعني اليوم إلى الكتابة في الرجلين .



(١) « إنتاج المجمع العلمي العربي بدمشق من سنة ١٩٢١ - ١٩٥٠ » ، نشر بالفرنسية سنة ١٩٥١ على نفقة المعهد الفرنسي بدمشق .

Henri Laoust, Sami Dahan, *L'Œuvre de L'Académie Arabe de Damas*, 1951. I. F. D. 55 pages.

(٢) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان وشعره ، القاهرة ١٩٥٨ ، ثم في كتاب مفصل : الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره ، القاهرة ١٩٦٠ دار المعارف بمصر .
(٣) قديما ومعاصرون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦١ ، وفيه فصول عن كل من محمد كرد علي ، معروف الأرنؤوط ، بدر الدين النعساني ، راغب الطباخ ، عبد القادر المغربي ، كامل الغزي وغيرهم .

(٤) الشعر الحديث في الإقليم السوري ، محاضرات بمعهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٠ ، وقد أعيد طبعه في بيروت منفجاً ومزبداً عليه سنة ١٩٦٨ بعنوان « الشعراء الأعلام في سورية » وفيه فصول عن كل من محمد البرز ، خليل مردم ، خير الدين الزركلي ، شفيق جبري ، بدوي الجبل ، عمر أبو ربة ، مع مختارات من شعرهم .

١ - محمد كرد علي

حياته : لقيت الأستاذ محمد كرد علي أول مرة ، بعيد الحرب الثانية ، في أوتيل الناسيونال بالقاهرة ، وكان يشارك في جلسات مجمع اللغة العربية بمصر وحوله أدباء مصر وأعلامها يرجعون به . فسمعت ما لم أكن أسمع من نقد لأدوائنا ، كان الرئيس يعرض لها كما يعرض النطاسي لأمراض فتاكة ، فكان يكره التواكل والتكاسل ، ويرى أن يشق الشاب طريقه بين الشوك ، ويضرب العالم الأمثال بما وقع له في حياته ، حتى بلغ بسعيه إلى سدّة الرئاسة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، واشتهر أمره في مصر مصنع العربية ، ومتربع الكتاب وقدة الفكر العربي لهذه .

وكان الرئيس في سرعة حديثه ونشاط لسانه ، كأنه ينطلق من أشياء حفظها ، وتأثر بها ، يتقلب بين الحدة في النقد ، وبين البسات الراضية والجلل الحلوة في التشجيع ، فلا يحسّ سامعه بالوقت ، وينتقل معه إلى أبراجه ، ويحمله . ولقد شغفت حباً بمجالسه منذ ذلك الحين ، فاختلفت إليه في بيته بدمشق بين كتبه وصحبه ، ودلفت إليه في قريته «جسرين» بالغوطة . ولن أنسى الجلسات الصباحية في مكتبته بالمجمع ، وهو يرسل الحديث متدفقاً ، في بحث قرأه أو دراسة أعدّها ، أو مخطوطة يجب أن تنشر ، فهو يتسلّم بريد الصباح في المجمع ، ويكاد يلتهم ما فيه فيشرب عبارات العراقيين والمغاربة والمصريين والمستشرقين ، ويشترك في تحليل ما يكتب الكاتبون إلى المجلة ، ونقد الدراسات التي تصل إلى المجمع عن مصر ولبنان والغرب .

ولقد عرف الرئيس محمد كرد علي «مصر» فتىً يافقاً ودخلها منذ سنة ١٩٠١ ، وهو في السادسة والعشرين من سنه^(١) ، فتعرف آنذاك

(١) عاش الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ١٨٧٦ م - ١٩٥٣ م (٧٧ سنة) انظر الدراسة الخاصة التي أنشأناها إثر وفاته في مجلة المجمع ، ونشرت على حدة ١٩٥٥ في سبعين صفحة .

إلى الأستاذ محمد رشيد رضا ، صاحب المنار ، ومحمد المولحي وابنه إبراهيم ، ولقي الشيخ محمد عبده ، وغشي مجلسه الخاص ، في دارته بعين شمس ، مرة في كل أسبوع ، تعرف إلى فضلاء الشعراء وأعيان الزمان ، كالأستاذ محمد حافظ إبراهيم ، وفتحي زغلول وإبراهيم اليازجي ، وبعقوب صرّوف ، وفارس نمر ، وعبد العزيز فهني ، وجرجي زيدان ، وعلي يوسف ، ومصطفى كامل ، وسليان البستاني ، وأحمد تيمور ، وأحمد زكي ، وولي الدين يكن وشبلي شميل ، وغيرهم^(١) وذكر أن الفضل في تقديمه إلى هؤلاء الأعلام كان لصديقه رفيق العظم ، ومحمد رشيد رضا .

واتصل اللقاء بينه وبينهم ، وكان محمد كرد علي نهما لا يشبع من هؤلاء الفضلاء ، يلقاهم صباحاً ، ويلقاهم مساءً ، فيأخذ عنهم في هذه السن ، ويطمح إلى أن يزرع في بلاد الشام ، فيما بعد ، ما اقتطفه من هذه الحقائق النضرة ، التي كانت أزاهيرها تملأ الدنيا العربية بعطر مؤلفاتها وآثارها وآرائها . وظلت هذه « الجامعة » الكبيرة الواسعة ملء سمعه وبصره وهمة ، وطموحه حتى خطبه صاحب « المؤيد » الشيخ علي يوسف للتحرير في جريدته بمصر ، وكانت من الصحف الكبرى القويّة ، تدخل الدوائر والبيوت ، وتنشئ المجالس والمجتمعات والنوادي ، ومحمد كرد علي يدخل معها إلى كل قلب ، ويتردد على كل لسان ، فأصبح في الشهورين ، وقال في مذكراته^(٢) : « وأصبحت في مصر كأني في بلدي تهمني من وراء الغاية سياستها وسيادتها . وكأنه لم يقنع بشهرة « المؤيد » فأصدر مجلة « القتبس » شهرية سنة ١٩٠٥ ، بعد أربع سنوات من مقامه بمصر ، وراح ينشر فيها البحوث العلمية ، والتحقيقات التاريخية ، والدراسات الأدبية . فاتجه نحو أساليب الغرب في مجلاتهم الراقية وعُني بنشر المخطوطات القديمة على صفحاتها عن خزائن الشرق

(١) المذكرات ٥٥/١ ، ٢٥١ ، وخطط الشام ٤١٣/٦ .

(٢) المذكرات ٥٩/١ .

العربي ، وبلغت مجلته تسع مجلدات فيما بعد ، أي (٦٥٠٠) صفحة ، أصدر ثلاثاً منها في مصر ، وسائرهما في الشام .

وعاد إلى دمشق ، حوالي سنة ١٩٠٨ ، بعد أن أعلن القانون الأساسي ، وصاح الكتاب أن دولة الاستبداد قد سقطت ، وأن عهد الحرية قد أشرق ، وقد بلغ الثانية والثلاثين من سنه . فكأنه طار إلى بلده على جناح هذه الأماني والأحلام ، لبني في سورية صرحاً للحرية ، وراثتها ، كما لبني إخوانه المصريون سواء بسواء .

ولكن أمانيه كانت سراباً ، فلم تكن أحلام الحرية إلا " خداعاً ، لذلك ضاق ذرعاً بجواسيس الدولة العثمانية ، وخصومه في بلده ممن يكرهون النور والنبوغ فلاذ بالهرب ، وخرج من دمشق التي عشقها سنة ١٩٠٩ ، وقد جاوز الثالثة والثلاثين .

وقصد إلى زيارة الغرب ، وكانت ربوع أوربة تشوقه ، وحدث متاحفها وخزائنها الخطية ، وجامعاتها تستوي قلبه ، فزار البلاد الغربية وفيها باريس ، وطاف ذات يوم أهـاء « المجمع العلمي الفرنسي » ، فكتب عن هذه الزيارة يقول فيما بعد (١) :

« وحدثني النفس بيلادنا الشرقية ، وقلت هل يكتب لنا المستقبل ، تأليف مثل هذه المراجع ، فنعمل فرادى ومجتمعين كالفرنبيين ، أو نظل كما نحن لا نعمل فرادى ولا مجتمعين . » وهنا كانت نقطة التحول في حياة الرجل ، فأصبح يفكر في أن ينشئ مجمعا علمياً بيلاده ، كالمجمع الفرنسي ، لا يعرفه بلد عربيّ قبل دمشق ، ولم يفكر فيه عالم عربيّ قبل محمد كرد علي .

وعلى الرغم من رحلته الثانية وراء كتبه ومخطوطاته ، كان يحلم بالمجمع وإنشائه ، فما كادت الحرب الأولى تحط أوزارها ، ويدخل المثلث العربي

(١) غرائب الغرب ١/ ١٠٦ .

دمشق حتى عاودته أحلامه ، ورأى في الفريق « رضا الركابي » حاكم دمشق ، موضعاً وأملاً لتحقيق هذه الأمانى ، من خلال الأعياد والبسات العريضة بالاستقلال ، ولم يخلف الفريق ظنه ، فأصدر مرسومه بإنشاء « ديوانه للمعارف » في ١٢ شباط ١٩١٩ ، برئاسة ، والديوان كان لإصلاح التعمير والكتابة الديوانية ، والمؤلفات المدرسية ، وخدمة العربية في المجالات العامة والخاصة .

وانقلب هذا « الديوان » بعد خمسة شهور ، فأصبح في ٨ حزيران ١٩١٩ يعرف مستقلاً باسم « المجمع العلمي العربي » ، ورئيسه محمد كرد علي ، وأعضاؤه : محمد أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمي ، عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر معلوف ، متري قندلفت ، عز الدين علم الدين ، طاهر الجزائري ، وأما أعضاء الشرف فكان فيهم مرشد خاطر ، عبد الرحمن شهنيدر ، فارس الخوري ، عبد القادر المبارك ، يستعين بهم المجمع . واتخذ مقراً له « المدرسة العادلية الكبرى » ، التي شرع في بنائها نور الدين زنكي خلال القرن السابع للهجرة . وعقد أولى جلساته في هذا المقر الجديد بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩ .

ونستطيع أن نتخيل الرضى الذي كان يغمر قلب الرجل وقد تحققت أحلامه وهو في الثالثة والأربعين ، وأن زسم الانتصار الذي كان يضحك في ضلوعه ، فقد رجعت دمشق موضع الإشعاع ، تعمل للعربية وتنشرها في الخافقين ، وعادت إليها عزّة الأمويين ، وغدت مقراً لأول مجمع علمي عربي لا تلبث القاهرة أن تقلدها فتنشئ « مجعاً لغوياً » ، وتجدو حذوها بغداد فتنشئ « مجعاً لغوياً » آخر ، ودمشق في هذا سبابة ، والرجل هو أول من أنشأ مجعاً عربياً ، وأسس « مجلة عربية » هي المقتبس في دمشق .

مؤلفاته في التاريخ والأدب : وسار الأستاذ الرئيس - كما اعتاد صحبه

ورصفائه أن يلقبوه - في طليعة الكاتين في النجلة ، والمحاضرين في أبهاء
المجمع ، والمؤلفين للكتب . فقد أخرج بعد سنوات أوسع كتاب في تاريخ
بلاده سماه « خطط الشام » ، بحث فيه العمران والحضارة والثقافة ، والسياسة ،
وتقلب الدول ، جعله في ستة أجزاء (١) ، وعمل له كما قال خلال ثلاثين
سنة ، وحشد له مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة ، قد لا تبلغ اليد إلى
بعضها اليوم .

وبذلك سدّ ثغرة كبيرة ، وتنادت لجنة من فضلاء دمشق وأعيانها لطبعه
والإنفاق عليه ، لولاها لم ير الكتاب الثمين النور . ولا شك في أن
الشباب آنذاك شربوا من الكتاب ، وعلّوا ونهلوا ، فكان لهم معينا لا ينضب .
وما يزال الكتاب أكبر مرجع ، وأوثق مصدر لو أتيحت للطبعة المنقحة منه
بيد الرئيس أن تظهر على النور ، فهي تشير إلى الصفحات من مصادره وتكمله .
ومضى الرئيس يؤلف في بحث ممتع طريف ما يزال جذابا مشوقا هو
« الإسلام والحضارة العربية » ، نشره في مصر سنة ١٩٣٤ (٢) ، وقد بلغ الثامنة
والخمس من سنيه ، جعله في الدفاع عن الإسلام ، والذود عن حياضه ،
والرد على المبشرين والمستشرقين ، فكان معلمة في نظم الحياة عند المسلمين ،
وفي إدارة بلادهم ، وعيشهم ، وهو من أوسع ما كتب لهذه في الموضوع ،
وأدق ما ظهر ، فدخل كلية الآداب بمصر وأروقة الأزهر ، وأحبه الكتاب
والأدباء ، وذلك ليس باليسير ولا بالقليل في مصر تلك الأيام .

وبعد ثلاثة أعوام أصدر في القاهرة (٣) كتابا ، سماه « أمراء البيان »
ترجم فيه عشرة من كتاب النثر القدماء ، وكتب فيهم وأطال ، ولعلته أول

(١) بلغ عدد صفحات المخطوط ١٩٤٠ صفحة ، بدأ بنشره سنة ١٩٢٥ .

(٢) جعله في جزأين على ٩٤١ صفحة .

(٣) صدر سنة ١٩٣٧ في جزأين كذلك .

من نبه إلى كثير منهم ، فلقني ما لقي الكتاب قبله في الكليات وال النوادي والمجالس بمصر ، لصناعة البيان في كتابة المؤلف ، وإشراف أسلوبه فكانه في القرن العشرين يشرب من أساليب القرن الثالث والرابع للهجرة ، في سهولة اللفظ ، ودقة التصور مع التجديد في التفكير والتقرير والبحث والعمق . وكثير من النقاد رأى أنه يستوي في نثره مع «أمراء البيان» ، فأقام بالشام دولة للنثر ، يجلس على أريكتها في غير تكلف ، فلا يسرف على القراء في السجع والتقفية والمزاوجة ، ولا يتجنى على آذانهم وعقولهم وقلوبهم . ومن هنا قاد — وهو على رأس المجمع — كتائب الشباب في النثر ، وخدم الأساليب الكتابية ، وأرسل في أصحابها دراسات قبل أن تنشأ كلية الآداب بدمشق ، فكتب الشباب ، وخطبوا ، وألفوا ، متأثرين بالجوء الذي أنشأه الرجل وزملائه ، وتسابقوا وتنافسوا في ذلك .

وما نحب أن نذكر الشباب الذين ساروا على غرار ، فنحن لا نؤرخ للجيل المعاصر ، في الشام ، وإنما أحببنا أن نبين أثر الرئيسين في المجمع ، وفي المجتمع السوري حوثها ، من خلال النثر والشعر ، مدة أربعين سنة فحسب .

وفي سنة ١٩٥٠ ، وقد بلغ الرجل الرابعة والسبعين ، أبي إلا أن يتابع دراسته للأعلام في الأدب العربي والفكر الإسلامي ، فنشر كتاباً عنوانه : «كنوز الأجداد» (١) ، تحدث فيه عن طالت عشرته لهم ، واغترافه من معين أسفارهم ، فكتب في الأشعري ، والأصهباني ، والبلوي ، والتنوشي والبيروني ، والماوردي ، والجرجاني ، والغزالي ، والحري . . . وغيرهم ، وهم يزيدون عدداً على الخمسين ، ترجم لكل منهم .

ولو جمعت هذه الكتب الثلاثة معاً ، لاتخذت عنواناً شاملاً : «تاريخ الأدب والفكر عند العرب» .

* * *

الزب السخصي : وتلفت الرجل إلى نفسه وضلوعه وحياته ورحلاته

ولقاءاته وصلاته ، فسجل كل ذلك في كتب نافعة ، فقد أصدر منذ سنة ١٩٢٣ ، كتابه « غرائب الغرب »^(١) ، وصف فيه رحلاته الثلاث خلال ديار الغرب ، في طريقة طريفة ، قربتنا إلى المشاهد التي رآها ، فكأننا رحلنا برحلته ، واستمتعنا بجولته ، صور فيها ما رأى وما سمع ، ووازن بين عادات الغرب والشرق وتقاليد كل منها .

ثم أصدر سنة ١٩٢٥ كتاباً بعنوان « القديم والجديد »^(٢) تمرّض فيه كذلك لتراثنا القديم ، وتقاليدنا وعاداتنا ، وصور القديم بجلاله ، والجديد بما فيه ، وكان مؤلفه يرضى عن هذا الكتاب لأنه يمثل مقالاته وآراءه في مطلع الشباب .

وظل الرجل يرسم ما حوله ومن حوله ، فهاله ما نحن عليه من أقوال وأفعال ، فسجل ما كان يحسّ به في كتاب عنوانه « أقوالنا وأفعالنا » نشره سنة ١٩٤٦^(٣) وقد بلغ السبعين .

وختم هذه السلسلة الطيبة التي رسم بها نفسه وعصره ورحلاته ، في الشرق والغرب ، والموازنة بين الحضارتين ، بكتاب سجل فيه « المذكرات »^(٤) التي تعبها ذاكرته ، نشرها بين سنة (١٩٤٨ - ١٩٥١) وأصدر منها أربعة أجزاء لم يقلد فيها أحداً من الكتاب العرب المعاصرين الذين رسموا حياتهم ، مثل طه حسين ، وأحمد أمين ، والملازني ، والمقاد ، وغيرهم ، ولكنه جعلها على فصول متقطعة ، لا تربط بينها رابطة ، فم يكن الرجل يقوى في هذه

(١) جزوان في ٦٤٠ صفحة ، صدر بمصر .

(٢) جزء واحد في ٣٤٦ صفحة ، صدر بمصر .

(٣) صدر في القاهرة على ٤٣٠ صفحة .

(٤) في ١٣٢٠ صفحة ، صدرت في دمشق ولم يزل منها ما هو مخطوط .

السنّ وقد تجاوز السبعين على تنظيمها وتبويبها ، فقد كان ينقل من خواطره كل شيء مرّ في ذاكرته . ولقد كان يكتب لثلاث يضيع منه شيء ، فيقول إنني سأظل أكتب « مادمتُ أتمكن من مسك القلم وأصبر على التحديق في الخطوط التي أخطتها » .

ولهذا كتب وكتب في التاريخ والأدب والفكر ، حتى جمع نواة لكتاب في الأدب ، وصوّر ورسم ووصف ، حتى كان منه كتب لو جمعت لكنت صورة للشرق وخاصة لبلاده بل للأشخاص الذين عاش بينهم ، تكاد تكون ناطقة حيّة ، فهو بذلك أديب حقاً ، وكاتب مفكر ، ورسّام متفتّن .

* * *

نشر التراث : ولم يكتب الرجل بما كان منه ، فالنصر بجهد إلى « التراث » فعني بتحقيق الكتب ، وبدأ بذلك في سنّ الشباب ، فنشر المخطوطات في مجلته « المقتبس » بعنوان « صحف منسية » كان فيها كتاب الأشربة لابن قتيبة ، والمقامات اللزومية ، وتذكرة ابن العديم ، وغيرها ، وذلك منذ سنة ١٩٠٨ وهو في الثانية والثلاثين .

ثم راح يصف الخزائن الخطيّة ونوادرها ، ويحدّث عنها الشباب ، ويغريهم بطلاعتها ، وإخراج الدفائن الثمينة ، فتكلّم عن كنوز الأستانة والمدينة المنورة والقاهرة ، ولا شك في أنه تأثر في ذلك بأستاذه الشيخ طاهر الجزائري ، منذ صباه ، فأراد أن ينشئ جيلاً بعده يحذو حذوه .

وأخرج منذ سنة ١٩٠٨ « رسائل البلقاء » وقد نشر بعضها من قبل على صفحات المقتبس ، فأقبل عليها المستشرقون والدارسون من العرب ، وما تزال في طبعاتها المتعدّدة ، المرجع الفذّ لبيان الخالد في الشر العربي ،

وهذه الرسائل للبلغاء المشهورين أمثال عبد الحميد الكاتب ، وابن القارح ،
والمرعسي ، وابن شرف القيرواني ، وابن قتيبة ، والوطواط ، وابن طاهر
البغدادي ، وابن المدبّر . . .

وأخرج كذلك سنة ١٩٠٩ « سيرة أحمد بن طولون » للبليوي ، و « المستجاد
من فعلات الأجواد » للمحسن التنوخي ، نشره بدمشق سنة ١٩٤٦ ،
و « تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي » ، أصدره في العام نفسه .
وبعد عام نشر كتاب « الأثرية » لابن قتيبة مستقلاً ، وأما كتاب
« البصرة » لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، فكان يصحّح تجاربه ، وينظر فيه
أواخر أيامه ، حتى أطفأ الموت هذا النور الذي كان يشع من عينيه الثابنتين ،
وأغمضها إلى الأبد ، سنة ١٩٥٣ ، فأصدره المجمع بعد وفاة الرئيس وهو
في السابعة والسبعين من عمره ، إكباراً لمنشئه ، وإن ظل يرعاه خلال
أربع وثلاثين سنة .

وهكذا قضى الأستاذ الرئيس حياته بين عمل رائع ، وتحقيق نافع ،
وعاش لرائنا ، وأدبنا ، وتاريخنا ، فخلّف للأجيال درساً لا ينسى ، وضرب
مثلاً جيلاً في الإنتاج ، على الرغم من أعماله في الوزارة أكثر من مرة ،
وفي الاشتراك بالمؤتمرات العلمية في الغرب ، والمجمع اللغوي بالقاهرة .

وكان عهد رئاسته في المجمع زاهراً ، أقبل فيه الشباب على المجمع
يستمعون إلى المحاضرات ، ويشاركون في تحقيق المخطوطات وصنع الدراسات
والمقالات ، بفضل تشجيعه وتوجيهه ، فهو يهش لكل جديد جدي ،
ويفرح لكل عمل نافع ، حتى ماتحصى الكتب التي صدرت لأيامه (١)

(١) كم كنا نود أن نخصي الكتب الجمعية التي صدرت بعده خلال ربع قرن ،
برعاية المجمع ، ففعل الإدارة تنشر قائمة بها ، تساعد على دراستها وتحليلها ،
ذلك عدا ما صدر خارج المجمع بإرشاده ، فذكر اسمه فيها أو أهديت إليه .

برعاية المجمع أو المؤسسات الأخرى بفضله . فقد كان الرجل في مصر والعراق والشام قبلة الباحثين ، وكان راية رفعها المجمع بدمشق خفاقة في البلاد العربية ، فهو مفخرة للشام ، وعزة للدراسات ، ونبراس للباحثين ، وكان رائداً ، ومصلحاً ، وكاتباً . ومع ذلك انقسمت الآراء في الحكم على ما كان من تقدمه المتواصل ، كما تنقسم أبداً في الحكم على كل عظيم .



٢ - خليل مردم

ميانه وشعره : ولم يكد يقضي الراحل الكريم حتى تسلم راية الرئاسة عالم آخر من علماء المجمع ، هو الشاعر خليل مردم ، وكان نائب الرئيس في المجمع خلال سنوات ، وقبل ذلك كان عضواً عاملاً ، فقد انتخبه المجمع في ٩ كانون الثاني ١٩٢٥ ، وهو في الثلاثين من عمره (١) انظر ص ٩ ، أي بعد ست سنوات من تأسيس المجمع .

ولم يكن هذا الشاب غريباً على الشعر والنثر ، منذ بدء شبابه ، فقد دفعه الأسى والحزن مذكاً برعماً إلى النظم والشكوى ، في شعر يدل على الخامسة عشرة من منيه ، فبكى أباه ورنى أمه ، فأبوه من فضلاء دمشق وأعيانها ، وصف جنازته بأنها « تسير كما تسير الجبال » ، واقتخر بنسب أمه إلى فهر وعدنان « وقضت فائدة صائمة » . وشكا في شعره ظلم الدهر والأقارب والعدوان على اليتيم ، وانصرف إلى الحذر والصمت والصبر

(١) خليل مردم (١٨٩٥ - ١٩٥٩) كان أصغر من الأستاذ الرئيس بعشرين سنة ، وتوفي بعده بست سنوات ، وقد رسمنا حياته في المجلة وفي صدر ديوانه .

فانطبعت في شخصيته الأناة في الحديث ، والهدوء في التفكير ، ولكنه كان يسمح عليها كلها بإبتسامة عريضة وأدب في الحديث تلفه نعمة وإباء ، عرفناهما في صدر شبابتنا ، وقد قادنا إلى بيته خلال الحرب الثانية ، بمد أوتبتنا من الغرب ، أستاذنا الشيخ بدر الدين النعساني ، خلال إحدى الزيارات لدمشق وكنا صديقين فحملنا الرجل إلى بساتين دمشق ، في عربته ذات الخيول آنذاك ، وطفنا معه « الغوطة » التي يعشقها الشاعر ، ويتنسم أريجها كلما دهمته هموم قومه وأمته .

وكان الرجل يحمل هذه الهموم على قامته الفارعة حتى انحنت ، ووطخت فوديه بالشيب ، فقد شهد ولادة الملك العربي ، وهو في الثالثة والعشرين ، وعرف « فيصلاً » عن قرب ، وعمل له ، ومدح هذا الملك العربي ، ورأى فيه ظلاً لخلفاء بني أمية . ولعل دار الشاعر الواسعة على مقربة من قصر الخلفاء الأمويين ، بجانب الجامع الأموي الكبير ، دفعته إلى أن ينتظر أن تعود إلى العرب تلك الأيام ، بل لعله تخيل أنه أصبح في شعراء الملك العربي الجديد يحتال ببردة من أجداد العروبة على برود من قصائده الوطنية .

ولكن ، سرعان ما انطوى هذا الحلم في صدره ، فدخل الفرنسيون دمشق ، وراح ينظر إليهم نظرة الكره ، وينصرف عنهم إلى جمال دمشق الفاتن في كل ربوة مزهرة ، ونهر متدفق ، وزهر فياح ، وكاعب حسناء ويرسل وصف ذلك في شعره ، فتردده النوادي العربية ، ويكتبه أعلام البيان العربي في كل صقع ، فالأمير شكيب أرسلان ^(١) يبادل الشعر ، وشعراء المهجر براسلونه ، فينشئ في دمشق « رابطة أدبية » على غرار « الرابطة القلمية » في نيويورك ، ويصبح رئيساً لهذه الرابطة سنة ١٩٢١

(١) رويتنا بعضاً من ذلك في كتابنا عن الأمير شكيب أرسلان ، دار المعارف بمصر .

وهو في السادسة والعشرين فكان رئيساً « لمجمع أدبي » مصغر وهو في سن الدراسة الجامعية لشبابنا اليوم، وكانت تضم هذه الرابطة أدباء من ذلك العهد فيهم : محمد الشريقي ، أبيفانوس ، شفيق جبري ، حيدر مزهم ، سليم الجندي ، حليم دموس ، أحمد شاكر الكرمي ، قبلان الرياني ، عبد الله النجار ، جورج رئيس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، نجيب الرئيس ، فخري البارودي وغيرهم . ولعل هؤلاء الشباب كانوا يتورون في سبيل شعر جديد ، ويعملون كما تعمل رابطة نيويورك ، أو كما يوصي العقاد والمازني في « الديوان » بمصر .

ومها يكن من أمر فإن نشأة هذه الرابطة تشبه نشأة المجمع ، وهتته في العمل فقد ظهرت بعد سنتين من ولادته ، واتخذت شعاراته نفسها في العمل للتراث ، والحفاظ على اللغة ، وإيقاظها بعد طول ركود ، خلال أربعة قرون ، فقد سئم الجيل الجديد من دفن تراثه ، وسكوت لسانه ، واقفار بلاده من الصحف الأدبية ، وضالة الصحافة في ربوعه ، ومصر تعج بالصحف والأدباء والشعراء .

لذلك نهض الجيل الجديد للغة العربية لعلّه يرفع لها مناراً من جديد ، على شفا القوافي ، وسطور النثر الجميل ، وتلك أهداف المجمع العلمي العربي سواء بسواء .

ولقد أصدرت الرابطة « مجلة » ، وحاضر فيها المحاضرون ، وكرمت الأدباء ، ونشرت شعراً رفيعاً ، واحتفلت بتكريم (مي زيادة) في دمشق سنة ١٩٢٢ ، وأنشد فيها الخليل نفسه قصيدة يرسم فيها حال دمشق ، وهي تدفع النوم عن الأجفان ، وتثائب قبل الوثوب .

وهي تشبه قصيدة حافظ إبراهيم في مصر ، حين رسم تقاعس قومه عن الهجوم على شعره في البؤس ، وفي اللثمة ، والوطنية ، وتفرق العرب ،

وقد غصّ ديوانه بثملها حتى احتفلت دمشق بحافظ ، فاعترف فيها : بأن دمه ذاق أول مرة طعم السرور فرحاً .

وشعر الخليل لا يقل عن شعر حافظ هجوماً على بعض الرجال والسياسة المحترفين ، حتى عرف بأنه كان في الشعراء الذين ألهبوا الثورة السورية ، منذ شبابه ، فكان ملتزماً ، تشجذ على قوافيه أسنة الحراب في غوطة دمشق ، وعلى كل راية من روابي الشام فراح « يدكي الحجر ويطفئ الحجر » كما قال بنفسه . وراح شعره على كلّ لسان قارئ ، وأكبر المجمع العلمي همة الشاب الشاعر وعمّله في الرابطة الأدبية ، ومشاركته في طبع « معاني الشعر للأشناداني » سنة ١٩٢٢ ، فخطبه المجمع إليه وجمله في أعضائه سنة ١٩٢٥ .

* * *

ولكن الشاعر الشاب دخل في السياسة بشعره القومي ، فترصدته السلطة للقبض عليه ، لذلك هرب إلى لبنان مع الأحرار من بني قومه ، ليكون لسانهم في الفداء خارج الأقفاص الكبيرة ، وسافر إلى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، وفي مصر تعرف إلى الشعراء والأدباء ، كما تعرف قبله الأستاذ محمد كرد علي سنة ١٩٠١ ، فسبقه قرابة خمس وعشرين سنة .

وسافر خليل مردم بعدها إلى انكلترة ، ينهل من الغرب ، ويتعرف إلى آدابه وشعرائه عن كثب ، كما تعرف الأستاذ محمد كرد علي قبله ، فأطال مكوثه بين الشعب الانكليزي ، فوقف على عيشهم ، وأعجب بكثير من عاداتهم ، وارتضى هدوءهم ، وأعجبه سكينتهم ، فأخذ عنهم كثيراً ، وطبع نفسه خلال حياته بهذه السكينة وهذا الهدوء ، حتى ظنّ بأنه بعيد عن هموم الناس خلال حياته ، ولكننا عرفناه عن قرب ، ورحلنا برحلاته إلى لبنان مرات ، في أيام الثلاثاء ، يوم عطلة المجمع ، والسفر والغربة يكشفان عن كثير ، فنعمنا بحديثه وذكرياته وأدبه .

ومها يكن من أمر فقد عاد الشاعر إلى سورية سنة ١٩٢٩ وهو في الرابعة والثلاثين ، بعد أن اطمأن إلى سكوت السلطة عنه ، ورسم عودته في شعره كعاشق يلقي معشوقته ، بعد طول فراق ، فهو دمشقي حقاً ، يجب كل ركن من أركان الصيخر والنشور في هذه الجنة التي كان يتمنى أن يكون خالداً فيها ، فما أحب أن يبرحها في رحلة بعيدة ، ولقد دُعي أكثر من مرة ، لحضور المهرجانات والمؤتمرات ، فكان ينتدب زملاءه ، ويؤثرهم على نفسه على أن يبقى في جنته ، فلا يغادر دمشق وغوطتها .

ولقد كان بين رياض الغوطة ورياض الشعر يقضي ساعات عمره ، وكنا نهجم عليه في المجمع ساعات الصباح ، ففراهم قد شتم عن ساعديته ، يتقل بخطه الجميل ، دواوين الشعراء القدماء الذين كان يعمل لهم ، فلا يتلفت إلى مال يتدفق عليه ، أو إلى مناصب ترمى على كتفيه . ولكنه ما أراد أن يعمل لديوانه ، فطبعه المجمع بعد موته وأشرف عليه ابنه الشاعر .

وليس شعر « الخليل » بالحيث القليل^(١) ، فقد شارك بهذا الشعر في أحداث أمته والبلاد العربية ، كما شارك شعراء مصر الثلاثة شوقي وحافظ ومطران ، بل نهض بالشعر في خدمة العربية وانبأها كما نهض رئيسه محمد كرد علي قبله بالثر .

ولكن قصائده تفرقت في الصحف والمجلات ، وكانت حيناً ناراً وشواظاً على الأجنبي ، ترسم النضال الذي خاضته سورية في سبيل استقلالها ، كما كانت أحياناً بلسماً لجراح العاشقين ، وشفاء الغرائز المشوقين ، فكان شعره

(١) خصصنا حياة الشاعر بدراسة جعلناها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٩ ثم نقلت إلى صدر ديوانه بعد وفاته سنة ١٩٦٠ . أما شعره فقد بحثنا فيه في فصل طويل في كتابنا « الشعراء الأعلام في سورية » طبعة ثانية ، بيروت ١٩٦٨ (ص ٨٣ - ١٤٢) .

كذلك يعمل في ميدانين ميدان قومه وميدان شخصه ، كما يعمل نثر كرد علي في خدمة التراث ، وفي خدمة الأدب الشخصي .

أما ميدان النضال ، فقد دخله قتي ، فرسم الشهداء العرب على الجذوع ، ووصف دمشق في ثورتها كأنهم على طوفان من لهب ، ومشاهد النساء والأطفال ملأت ألواح حزنًا وأسى ، كما امتلأت قصيدة شوقي في وصف الثورة السورية .

وشارك شعره الوطني في المعركة ، نفّاض غمارها ، مع الأحرار المناضلين ، فكأنه اشترك بحسمه وبده لا بلسانه وبيانه ، وكانت أشعاره تهدر بالحق والوجدة ، فتصبّ على الحونة ، كما ينصبّ الرصاص على هدف تكاثرت حوله البنادق ، وهو يدعو فيها جميعها إلى وحدة كبرى ، يسخر من الدويلات فيرى أنها لا تزيد كل واحدة على البيت الصغير ، ولا تبعد عن أختها إلا بمقدار الفتر أو طرف البنصر .

وأما ميدان شخصه ، فقد نظر إلى الطبيعة فرسم كل ما فيها ، فاستنطق الصخر والماء ، والشجر ، والزهر والحيوان ، فالفراسات تطير على قوافيه ، ويتناغى الحمام بين مصاربع أحياته ، ويفوح الطيب ، وتزيغ العيون في رسم الحركات ، حتى ما يكاد ينفذ ريشته من رسم طيران الحيوان ، أو رقص الإنسان أو حديثه بالعيون والشفاه .

وما نرى من خير في أننا انصرفنا عن رئاسة المجمع إلى شعر الشاعر ، فقد كان يتقف بشعر الشعراء كثير من الشباب ، وهو تحت قبة المجمع ، كما كان كثير منهم يأخذ في النثر بأسلوب محمد كرد علي . وقد تغذى العالم دائماً بالنثر والشعر على حد سواء ، ولذلك أنشأ الرجلان إلى جانب عملها الرسمي في المجمع ، مدرستين ناهضتين للنثر والشعر ، طربت لهما دمشق ، وأفادت منها البلاد العربية ، وارتفع من قبة المجمع ، لكل منها لواء عال يجتذب

الجيل الجديد إلى التراث العربي ، بقلّده ويقلّده حتى يشكر فيه ويتدع ، كما فعل القدماء في عصورنا الأدبية سواء بسواء .

وهذا ما قصدنا إليه حين جعلنا عنوان المقال « بين دولتي النثر والشعر » نريد أن كلاً من الرئيسين عمل للبيان في خطته ، واتفق فيها ، على جهاد متواصل ، داخل المجمع وخارجه ، فتجاوز الحدود ، وارتفع للبلاد علم إلى جانب الأعلام العربية ، في خدمة اللغة العربية وتراثها ، وبذلك حقق الرئيسان مع إخوانها وصحبها هدفاً كبيراً من أهداف العلماء .

* * *

مؤلفاته في الأدب : عمل الشاعر خليل مردم للنثر كما عمل للشعر ،

فقد اشتغل في سن مبكرة ، قبل العشرين ، في جمع الأخبار الأدبية والفنية ، فألف قبل كل شيء كتابه في شعر الأعراب بعنوان « تراجم الأعرابيات » (١) فجمع فيه ما تفرق في الكتب ، وترجم لأربعين رجلاً من الأعراب ، فرسم الرواية والمناظرة وفقه اللغة وآداب العربية . ثم ألف « جمهرة المغنين » (٢) ، جمع فيها أخبار هؤلاء المغنيين وعاداتهم وأخلاقهم ، ومجالسهم عند الخلفاء ، فصور الحاضرة وسجل تاريخ الغناء في أسلوب عذب جميل .

وخلال السنين التي كان يدرس فيها الأدب العربي بالكلية العالمية (١٩٣٣ — ١٩٣٩) أخرج بحثاً لفحول الأدباء ، بعنوان جامع : « أئمة الأدب »

(١) طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق ، سنة ١٩٦٦ ، بعناية ابنه الشاعر الأستاذ عدنان مردم والأستاذ أحمد الجتدي .

(٢) طبعه كذلك المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٤ ، بعناية الأستاذين المذكورين نفسها .

فنشر خمسة منها ، الجاحظ ، ^(١) ابن المقفع ، ابن العميد ، والصاحب ، والفردق ، وهي دراسات مبسطة تجمع بين دفتها حياة كل أديب إلى صفحات مختارة منه ، في عرض واضح ، لعله يفتح لطلاب المدارس الثانوية باباً ، إلى فهم الأدب واجتياز امتحان الشهادة الثانوية .

ثم أخرج كتابه « شعراء الشام في القرن الثالث الهجري » ، وتقدم به إلى المجمع العلمي العربي بدمشق كرسالة في الأدب فانتخبه المجمع عضواً فيه ، كما ذكرنا من قبل .

وانتخبه المجمع العلمي بعد ذلك سنة ١٩٣٩ ، أميناً لـ « المجمع » ، فسلك في « المدرسة العادلية » سحابة يومه جنباً إلى جنب الرئيس كرد علي لايفارقان إلا في فترات قليلة ، اختير فيها الشاعر خليل مردم سنة ١٩٤٢ وزيراً للمعارف ، ثم اختير وزيراً مفوضاً في بغداد سنة ١٩٥١ ، فاضطر إلى قبول هذين المنصبين ، وهو يفضل أن لايفادر المجمع ، وأن لايفارق الرئيس ، فقد عاشا معاً قرابة أربع عشرة سنة ، يطير فيها الشاعر الخليل من المجمع العلمي ، ثم يعود إلى عشته ، فرحاً بالرئيس ، لأنه يرى فيه قمة عربية لاتدانيها قمة في المعرفة والثقافة ، والدؤوب على العمل ، وتشجيع الشباب ، ولم يكن الرئيس أقل فرحاً من الشاعر بلقائه ، فقد كان يرى فيه الأديب الرقيق ، مستودع الأسرار ، شديد الحرص ، جميل التواضع ، كأن الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجمل أبراده ، فكساه أجمل الخلي وزينه بأنقى الصفات . وكان حديثه صورة للرقّة ، ما تنقطع بشاشته عن حديثه ، ولسانه الحبيّ المتردد ، لا يكاد ينطلق إلا في خير الناس ونفع

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة - ابن المقفع ٩٦ صفحة - ابن العميد ١٤٤ صفحة - الصاحب ٢٥٦ صفحة - الفردق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

الأدب ، وخدمة المجمع العلمي ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبل والحياء الجم ، وتضحكان للنكتة البريئة .

وما أجمل المجالس الصباحية في المجمع العلمي ، منذ اختلف فيها الشاعر إلى الرئيس سنة ١٩٣٩ ، تسمع عبارات الرئيس كنافورة « البحرة » في دارة المجمع « المدرسة العادلية » هذارة موسيقية ، لانتكاد تنقطع ، تمسك الجملة بالجملة نكتة أو طرفة يميل لها الرئيس المتحدث ، والأمين الذي يحسن السمع والإصغاء ، وعشرون سنة بين الرجلين تحس كأنها أربعون في وقار الاستماع وهدوء التأدب ، وضحك الرّصين ، فتسحر بالمجلس ، وتنسى الدنيا حولك ، وتغيب عنك أهوال الحرب الدائرة في الغرب ، آنذاك ، ومصائب العيش السائرة في الشام ، من حرمان وتحديد واقتصاد شديد ، فالجرب كانت تغيب وتنقش سحابتها حين تدخل مكتب الرئيس ، وحوله الأمين ، وبعض الأعضاء ، والقهوة تطوف على الزائرين ، مع حديث الأدب والمخطوطات ، فتستمع إلى محاضرات نافعة ، يود المرء لو سجلها بآلات عصرنا ، واستعادها اليوم ، حين يفقد كل شيء ، فلا يرى إلا الحديث « مع الخالدين » .

وكان جدران « المدرسة العادلية » مقر المجمع ، منذ ثلاثين سنة ، تستمع من جديد بعد قرون ، أحاديث العلماء ، كما كانت تستمع منذ مئات السنين إلى ابن خلدون وغيره من فطاحل المسلمين ، الذين زاروها متعلمين ومتحدثين .

وعاش الرضى والعلم سنين بفضل الرئيس الكاتب ، والرئيس الشاعر بعده ، تحت قبة هذه المدرسة ، وقرب ضريح الملك العادل المدفون فيها .

نشر التراث : وأقبل الشاعر الأمين ، إلى نشر التراث ، وخدمة العربية ، كما كان يفعل الرئيس ، فانصرف من جديد إلى تحقيق الشعر وطباعة الدواوين القديمة على مخطوطات ، فقد رأينا أنه اشترك في شبابه مع اخوانه في تحقيق « معاني الشعر الأشناداني » ، لذلك راح يطيل النظر في هذه المخطوطات فأخرج في المجمع الدواوين الكثيرة : « ابن عنين ^(١) » سنة ١٩٤٦ ، ثم « علي بن الجهم » سنة ١٩٤٩ ، ثم « ابن حيّوس » ، سنة ١٩٥١ ، ثم ابن خياط الدمشقي سنة ١٩٥٨ .

ولقد صدر هذه الطباعات بمقدمات واسعة مفصلة ، ودراسات عميقة فيها تحليل طريف ، واستنتاج طيب ، وتخریجات لغوية ، وبلديات . ولو جمعت هذه المقدمات معاً ، لكانت كتاباً في تاريخ أدب العربي ، لا تقل فصوله الزاهية عن أية دراسة عميقة مبنية على النصوص .

وأما تعليقاته عن الأماكن فيحسن أن تجمع وتفهرس وترتب ، لتكون ممجماً أبجدياً ، لما يجمله كثير من العرب عن هذه المواضع في بلاد الشام ، فقد ملك الرجل الشاعر خطط الرحلة في مطاوي الأدب ومسالك التاريخ والبلدان ، حتى غدا في جملة الذين يعرفون أوثق معرفة رقعة بلادهم شبراً شبراً ، وهذه وطنية صادقة ، وعلم جميل .

ولقد أقبل الشباب إلى تحقيق الدواوين برعاية المجمع كما أقبل الرئيس قبله ، فتعاقبت دولة الشعر ، بعد دولة النثر في هذه الدار الخالدة .

(١) ابن عنين في ٢٦٦ صفحة - علي بن الجهم في ٢١٤ صفحة - ابن حيّوس في جزأين ٦٩٣ صفحة - ابن خياط الدمشقي في ٣٤٦ صفحة - ولقد صدرت دراسته في ديوان الوليد بن يزيد كمقدمة لطبعة الديوان بالمجمع العلمي ، سنة ١٩٣٧ وهي إعادة لطبعة غايريللي للديوان .

وفي سنة ١٩٥٣ ، بعد وفاة الأستاذ الرئيس اختير الأمين الشاعر ، رئيساً للمجمع ، فما تبدلت حاله ، وإنما ظل وفياً للمخطوطات ، وصديقاً للناشرين الشباب ، يشجع خطواتهم ، كما كان يشجعها الرئيس الراحل ، وغدا المجمع العلمي بفضلها دارة للشباب والناشئة ، يقبلون إليه كما يقبل المجمعيون ، في حبّ وشغف .

ولعلّ هذه الصفحات أوضحت خدمة المجمع العلمي خلال أربعين سنة على يد رئيسيه ، في دولتي النثر والشعر ، وهي الحفاظ على اللغة العربية والعمل لتراثها . فاللغة العربية أقدس الروابط في القومية العربية ، وهي غاية الغايات عند المجمعين !

رحم الله الرئيسين عداد أياديها .

الدكتور ساجي الدهان

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



صفحة من تاريخ النقد

في الأدب العربي الحديث

١ — مقدمة

يشتمل هذا البحث على دراسة كتاب «منهل الورثاد» في علم الانتقاد، لقسطاكي الحمصي أحد أعضاء مجمعنا الراحلين . وهو أول كتاب في النقد الحديث نشره كاتب سوري في مصر سنة ١٩٠٧ م بعد كتاب «الوسيلة الأدبية» للشيخ حسين المرصفي بعشرين سنة تقريباً ، وقبل كتاب الديوان للمازني والعقاد بأربع عشرة سنة .

ويعدّ كتاب «منهل الورثاد» أول كتاب عربي حاول إرساء قواعد النقد على أسس ثابتة . وهو يختلف كل الاختلاف عن كتاب «الوسيلة الأدبية» للمرصفي ، لأن هذا الكتاب يريد أن يكون أداة تعليم اللغة العربية وآدابها ووسيلة إنشاء الشعر والنثر على حين أن كتاب «منهل الورثاد» يريد أن يضع قواعد علم جديد يعصم الفكر من الخطأ في الحكم على قيمة الآثار الأدبية . ولهذا العلم في نظر قسطاكي الحمصي موضوع مستقل بذاته . وله مبادي كلية وقواعد عامة تنطبق على جميع الموضوعات الحسية والعقلية . فكأنه صناعة نظرية تتضمن قواعد النقد العلمي ، والنقد الفني ، والنقد التاريخي ، والنقد الأخلاقي ، وليست قواعد النقد الأدبي إلاّ جزءاً من أقسام هذه الصناعة .

٢ - هل النقد علم

ما هي حقيقة النقد ، هل هو علم أم فن ؟ هذا أول سؤال يخطر بالبال عند الكلام على قواعد الانتقاد التي تضمنتها كتاب « منهل الورد » . ونحن وإن كنا لا زبدي الآن أن نعمق النظر في هذه المسألة الفلسفية ، إلا أننا نرى مع ذلك أن تقدم لها بكلمة عامة ، وهي أن العلم مؤلف من أحكام وجودية أو خبرية تعبر عن قوانين الأشياء كما هي في الواقع ، على حين أن النقد مؤلف من أحكام إنشائية أو تقديرية تفاضل بين قسم الأشياء بحسب قربها من الصور الفانية للحق والخير والجمال أو بعدها عنها . ومعنى ذلك أن النقد ليس علماً بالمعنى الفلسفي الدقيق وإنما هو فن غاية التقويم أي إبراز المحاسن والمساوىء والمقارنة بينها وإذا جازنا إطلاق اسم العلم على النقد كما نجوز إطلاقه على الأخلاق والمنطق فلنقيده بقولنا إنه علم قاعدي أو صناعة نظرية غايتها تقدير قيم الأشياء لا الافتصار على استقرار صفاتها الواقعية . ونسبة هذه الصناعة إلى الأدب كنسبة المنطق أي الفكر ، أو النحو إلى الكلام ، أو المروض إلى الشعر . والفطرة الطبيعية لا تغني عن تعلم قواعد النقد ، اللهم إلا أن يكون صاحبها مؤيد النفس بصدق العاطفة وسعة الخيال ، وقوة الحكم ، وسلامة الذوق ، نعم إن الأدب لا يوزن بمعايير النظم ، ولا يتأتى له الخلود إلا إذا جمع بين جودة الصوغ وروعة الخيال . ولكن العلم بقواعد النقد الأدبي أنفع من الجهل بها ، ولا معنى لقول بعضهم إن هذه القواعد تفرض على الأديب قيوداً ، لأن الفن كما قال (اندره جيد) يعيش في القيود ويموت في الحرية .

ومها يكن من أمر فإن قسطاكي الحصي يزعم أن النقد علم يقوم على أساس ثابت لا يتزعزع ولا يتبدل بتبدل الزمان والمكان . وسبب ذلك اعتقاده

أن للحق والخير والجمال صوراً غائية يقاس بها جمال الآثار وكمال الأفعال ، فإذا استحسن الناقد شيئاً لم يستحسنه لأنه جميل في عينيه فقط ، بل استحسنه لأنه جميل بذاته ، وهذا الرأي كما ترون بعيد كل البعد عن آراء الذين يزعمون أن مقاييس النقد مفاهيم ذاتية . وإذا صح أن لقيم الحق والخير والجمال صوراً غائية وجب أن يكون هنالك طرق فنيّة وقواعد عملية تنقل هذه القيم من حيز التصور إلى حيز الفعل . والفرض من علم الانتقاد بيان هذه الطرق الفنية ، والقواعد العملية التي ينبغي للكاتب أو المتقن اتباعها لبلوغ تلك الصور النائية . وفي كتاب منهل الوراد استقصاء لقواعد هذا العلم الجديد الذي زعم قسطاكي الحمصي أنه أول من اهتمدى إليه .

٣ - موضوع كتاب منهل الوراد وأقسامه

قال قسطاكي الحمصي في مقدمة كتابه : وكل ما كنت اطلعت عليه من كتب هذا الفن في اللغة الفرنسية لا ينطبق على ما عقدت على تأليفه انية إلا من وجه خفي اجمالي ، وطرف ذهني خيالي ، فإنّ جميع ما قرأته لجهابذة هذا الفن المشهورين مثل (سنت يوف) ، و (رينان) و (تين) ، و (فردينان برونيتير) و (أميل فاجه) و (جول لومتر) ، و (آدولف بريسون) وغيرهم من المعاصرين لا يتعدى نقد مؤلف أو مصنوعات ومؤلفين ومتقنين ، فيما أن الفرض الذي كنت أرقى إليه . والمنهل الذي كنت أحوم عليه ، هو وضع كتاب في قواعد هذا الفن الجليل يبين لطلاب استيعابها في وقت قليل ، (ص : ٤ ، ٥) وقال أيضاً : « لم يوضع بالعربية كتاب لقواعد علم الانتقاد ، ولا في غيرها من اللغات الاfrنجية ، إلا أن يكون شيء لم يصل خبره إلينا ، وكذلك قد علمت أنه لم يؤلف بالعربية كتاب في تبويب رتب الشعر

والإنشاء ، فافتحمت هذا السدّ مستنجداً بحلم أهل العلم . فإن كنت قد أصبت في شيء فليغتفر لهذا بذاك ، وإن كنت قد أحسنت في الوضعين — وما أبعد ذلك — فلا تنكرنه ، فمع الخواطيء منهم صائب ، وإن كنت قد ضبطت في الفنين — وما أحسبني إلا كذلك — فانظر إلى صنيعي بعين الحليم ، لا المتعمّت ولا ذي الطبع اللثيم . وقل كلمة طيبة يغفر لك الله ، ه إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » (ص : ١٧٧ — ١٧٨) .

فهذه الأقوال كلها تدل على أن قسطاكي الحمصي كان على تواضعه شديد الاختيار بالعلم الذي ظن أنه اهتدى إليه ، شأنه في ذلك شأن كل من يعتقد أنه كشف عن شيء جديد مستحدث الصنعة . فال موضوع في نظره مبكر وإن كان غيره قد طرقه قبله (١) .

وسنبين في تلخيصنا لكتاب منهل الورد ، وفي تحليلنا لموضوعه ، أنه صاحبه لم يوفق لتطبيق قواعد علم الانتقاد تطبيقاً محكماً ، فكان كعلم المنطق الذي يعرف أشكال القياس ولا يبيد تطبيقها .

على أنه من الحق علينا أن نعتز بما في كتاب منهل الورد من جهد يشهد لمؤلفه بدقة البحث ، وهو وإن كان كثير التخبط في التطبيق ، كثير الاستطراد في الشرح والتعليق ، إلا أن له فضل السبق في توجيه الأنظار إلى ضرورة النقد وفائدته وقيّمته وتأثيره .

(١) قال صاحب المقتطف في نقد كتاب منهل الورد : « إن الموضوع مبكر في العربية كما قال حضرة المؤلف لم يَرَ لأحد كتاباً فيه ، وإن كنا قد طرقناه غير مرة في المقتطف فنشرنا فصلاً طويلاً في الانتقاد في المجلد الثاني عشر منه شغل ثنائي صفحات ، وانتقدنا كتباً كثيرة كان جزاؤنا من أصحابها اللوم والتعنيف فعدنا عن الانتقاد إلا في ما ندر » (المقتطف الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين ، مارس ١٩٠٧ ، ص ٢٤٥) .

يتألف كتاب منهل الورد من ثلاثة أجزاء :

الأول قسماً أحدهما في تاريخ النقد وموضوعه (ويقع في ثمانية فصول) والآخر في قواعد النقد وفروعه ، وهو تنمة للقسم الأول (من الفصل الأول إلى الفصل الحادي عشر) .

والثاني في قواعد النقد وفروعه ، وهو تنمة للقسم الأول (من الفصل الثاني عشر إلى الفصل الرابع والعشرين) .

والثالث في موضوعات متفرقة : كتعريف الأدب عند العرب ، والنقد الأدبي ، وفن الروايات ، والتأليف ، ومراتب المؤلفين ، والتجديد والتقليد ، وتجرد الناقد ، وتحكم النقود ، والموازنة بين الالموبة الإلهية لداتق ورسالة الغفران للعري .

وقد قصرنا كلامنا في هذا المقال على الاسلام بما جاء في الجزء الأول والثاني من الموضوعات أما موضوعات الجزء الثالث فستناولها بعد ذلك في مقال خاص .

٤ — ناصبغ النقد

لتاريخ النقد عند المؤلف قسماً : أحدهما تاريخ النقد عند العرب ، والآخر تاريخ النقد عند سائر الأمم .

١/٤ — أما تاريخ النقد عند العرب فقد خصّه المؤلف بفصل واحد تكلم فيه بإيجاز على القدامى والمحدثين ، فذكر من القدامى ابن قتيبة ، وابن المقفع ، وأبا فراس الحمداني والخوارزمي ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والآمدي ، وأبا الحسن علي بن عبد العزيز ، ومن المحدثين ناصيف اليازجي ، وبطرس البستاني ، وكرنيليوس فنديك ورفاعة الطهطاوي ، وأحمد

فارس الشدياق . وليس في هذا العرض التاريخي تحليل دقيق ولا إحاطة تامة بطرق هؤلاء النقاد وأساليبهم . وسبب ذلك أن البحث التاريخي عند المؤلف لم يكن مقصوداً بالذات ، بل كان مقصوداً بالعرض من جهة ما هو تمهيد للكلام على موضوع النقد . وربما كان خير معيار للحكم على قيمة هذا التحليل التاريخي موازنته بما كتبه المتأخرون عن النقد المنهجي عند العرب ، فإن هذه الموازنة تكشف لنا عن قصر باع المحصي في كلامه على تاريخ النقد ومراحله . أضف إلى ذلك أن المؤلف كثيراً ما يطلق الحكم جزافاً ويستطرد في الكلام على الأدباء الذين نكبوا في الماضي وعوقبوا بالسجن أو بالرجم أو بالتمثيل . وغرضه من ذلك كله أن يثبت أن العرب لم يحددوا للانتقاد رسماً ، ولا عرفوا له اسماً ، ولا اشتقوا من اسمه فناً ، وإن كان الانتقاد من الغرائز التي عرفوا بها في كل زمان ومكان ، حالهم كحال الطفل تدفعه الغريزة إلى الوقوف أولاً ثم المشي ، فلا يقف حتى يقعد ، ولا يمشي إلا ليقع ، ثم ينهض ليعود إلى عمله من السير على غير هدى ، فيسقط في حفرة قد تكون سبب هلاكه ، لأنه طلب الشيء قبل أوانه ، (ص ١٠) ، وفي هذا القول كما ترى تعسف وجور ، لأنه إذا صدق على بعض النقاد القدماء فهو لا يصدق عليهم جميعاً ، وفيهم من وضع أساساً عاماً للنقد كعبد القاهر الجرجاني وغيره ، وإن كان هذا الأساس لا يتضمن جميع المقاييس التي اهتدى إليها المحدثون .

٢/٤ - وأما تاريخ النقد عند سائر الأمم فقد اختصه المؤلف بأربعة فصول ذكر فيها تاريخ النقد في القرون الوسطى والقرون الحديثة بكلام مقتضب تضمن بعض الأحكام الشخصية ، كما يحجابه بالنقاد الفرنسيين ، وتفضيلهم على غيرهم من نقاد سائر الأمم ، واقتباسه بعض أقوالهم كقول (بوفون) :
مرآة المرء انشاؤه ، وقول (سنت يوف) : أن النقد وسيلة للكشف عن

أخلاق الكاتب ومكتون فكره ، وغير ذلك كثير . ومع أن تاريخ النقد الفرنسي يمثل في نظر المؤلف تاريخ النقد العام عند سائر أمم أوربة (ص ٩٤) فإنه لم يبحث في هذا التاريخ لذاته بل بحث فيه بالعرض من جهة ماهو وسيلة لاستقراء بعض قواعد النقد . مثال ذلك قوله :

« إن سر التأثير إعطاء المعاني حقها من الألفاظ وحسن التركيب والوزن والقفافية والجمال الطبيعي » وقوله : « المراد بالجمال الطبيعي ... البعد عن التكلف والتعمل والتقليد ، ثم مطاوعة القرينة والجري مع الطبع » وقوله : « إن علم الأدب هو لسان حال المجتمع الإنساني ، وإن فن النقد معين لفن التاريخ » وقوله : « إن عماد النقد وأساسه الصدق » فهذه الأقوال كلها مقتبسة من أقوال النقاد الفرنسيين ليس للمؤلف فيها إلا فضل الاختيار والعرض والتفسير ، ومع أن المؤلف يحلل أمثلة من الأدب العربي للبرهان على صدق هذه الأقوال فإن تحليله لا يخلو من الضعف لتسرع في الحكم والتعميم .

٥ — أركان النقد

ولعل أهم ما يميز به كتاب « منهل الورد » اشتماله على قواعد صورية وأحكام كلية تدل على أن علم الانتقاد ذو موضوع مستقل عن موضوعات سائر العلوم .

وحق هذا العلم أن يسمى بمنطق الانتقاد أو بفن الانتقاد ، لأن قواعده لا تعبر عما هو عليه الشيء في الواقع ، بل تعبر عما يجب أن يكون ذلك الشيء بالقياس إلى الصور الغائبة المرتسمة على صفحات الذهن . ولا يمكن أن يصبح النقد علماً إلا إذا كانت هذه الصور الغائبة التي يستمد منها العقل قواعد الترجيح والتقويم أشياء متحققة في الوجود ، وإلا إذا انقلبت قواعد

النقد إلى أحكام وجودية أو قوانين علمية تضبط علاقات الأشياء . وسواء أكان الحق والخير والجمال أشياء موجودة في الأعيان ، أم متصورة في الأذهان ، فإن لها في نظر المؤلف خصائص يمكن التعبير عنها بقواعد أصلية مقررّة عند جميع أئم الأرض كسائر العلوم العقلية ، وموضوعاتها لا تختلف إلا في الفروع . ولتطبيق هذه القواعد في علم الانتقاد ركنان أساسيان ، وهما : النسبة ، وصدق الإرادة .

أما النسبة فالمقصود بها صحة نسبة الأشياء إلى الحقيقة لأن عماد النقد وأساسه الصدق ، وموضوعه قصد الحقيقة والتفتيش عن الحقيقة . وأما صدق الإرادة فالمقصود به الفهم والتفهم . وصدق الإرادة في علم الانتقاد كالجاذبية في علم الطبيعيات . قال المؤلف : إن « صدق الإرادة من التعلم والسماع والكاتب والقارئ والمصور والناظر هي قاعدة التفاهم . فالتعلم ينطق ليفهم ، والسماع ينصت ليفهم ، والكاتب يكتب ليبلغ مراده ، والقارئ يقرأ ليعلم مقصوده ، والمصور يرسم ليكشف المشاهد فكره وغايته ، والرائي يتأمل ليقراً ما في نفس المصور . والغرض الذي يرمي إليه جميعهم هو التفاهم . فصدق الإرادة في الفهم والتفهم هو الكاشف لأسرار النفوس . وكما عظمت إرادة المتكلم أو الكاتب في التفهم وأوتي ذكاء اللب ، وصرفت إرادة السامع أو القارئ في قبوله كانت أقرب لنقد عواطفه وإدراك أسرار أخلاقه وآدابه ، (ص : ١٢٧ - ١٢٨) .

٦ - قواعد النقد

لقواعد النقد عند المؤلف سلم ذو ثلاث درجات : وهي : الشرح ، والتبويب والحكم .

١/٦ - الشرح .

لشرح ثلاثة شروط وهي :

أ - الأول تحديد العلاقة بين المنقود وتاريخ العلوم الأدبية .

لا بدّ في الشرح من النظر في تاريخ العلوم الأدبية لمعرفة منزلة المؤلف بالنسبة إلى عصره ، هل كان مبدعاً أو مقلداً ، مجلياً أو مقصراً ، لأن لكل عصر مذاهب في العلوم والفنون . وما يمدّد عندنا مهملات أو في عداد الخرافات قد يكون له بالنسبة إلى عصره قيمة كبيرة .

ب - والثاني تحديد علاقة التأليف بما كان من نوعه وبإزمان والمكان اللذين ظهر فيها .

فإذا أردت أن تتكلم على التمزيج فلا تملأ كتابك من المسائل المتعلقة بالتاريخ ، وكذلك إذا أردت أن تتكلم على البديع فلا تدخل فيه إلا ما تقتضيه طبيعة ذلك العلم . قال المؤلف : « نقد حشا الجاحظ كتاب البيان والتبيين بكثير من السفساف ، كقوله : قال وقالوا ، وفلان بن فلان ، فما كان أغناه عن هذه المنفعة والاسناد ، وما الكتاب بكتاب حديث » . وقال أيضاً في كلامه على علاقة التأليف بالإزمان والمكان : « كان الجاحظ والمبرد وابن قتيبة . من عصر واحد ، فلذلك كانت كتاباتهم من طبقة واحدة . ومع أن أبا اسحق الصابي ، وأبا بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني كانوا من عصر واحد إلا أن اختلاف أسلوب الأول عن أسلوب الآخرين يرجع إلى تأثير المكان الذي عاش فيه » . فما على الناقذ إذن إلا أن يوفق البحث في ذلك لأن الكاتب إنما يكتب ما يمليه عليه العصر من حوادثه وما تلوّه عليه العادات من تأثيراتها .

ج - وأما تحديد العلاقة الكائنة بين الكاتب وإنشائه والمصنوع وصانعه . وسبب ذلك كما قلنا سابقاً أن مرآة المرء لإنشائه . فلما يدل الإنشاء

على المنشيء كذلك تدل أحوال المنشيء على استمرار إنشائه . ولكن هذا القول لا يصدق دائماً لأن للكتاب أحوالاً متناقضة ، فأبو العتاهية كان زاهداً من جهة ، وطماعاً شديد الحرص من جهة ثانية . وبين مذهب ابن سينا المشتمل على فكرة الخير والنظام والعقل والسكال ، وحياته المفعمة بالاضطراب وحب المغامرات والتخليط في الشهوات تناقض حقيقي . لذلك وجب على الناقد أن لا يقصر نقده على كتاب واحد من كتب المنشيء ، لأن ذلك لا يدل على عواطف الكاتب وتأثير الأحداث فيه إلا عند تأليفه ذلك الكتاب . فاذا شئت أن تصل إلى الفائدة المطلوبة وجب عليك النظر في أكثر كتابات المؤلف والوقوف على جميع أحواله :

- (١) كسنته عند تأليف كتابه .
- (٢) وحالة دنياه من فرح أو حزن أو فقر أو غنى .
- (٣) وصحته ، هل كان سليماً أو مقيماً ، ضعيفاً أو قوياً ، عصبياً أو دموياً .
- (٤) وأصله ، هل كان كريماً أو لئيماً أو من أواسط الناس .
- (٥) وثقافته ، هل تلقى علومه في مدرسة أم هو ابن اجتهاده .
- (٦) ومسقط رأسه ، هل المدينة التي نشأ فيها شمالية أم جنوبية ، هل هي شديدة البرد والحر ، أم معتدلة الإقليم .
- (٧) ووضع العائلي ، هل كان متزوجاً أم عزباً ، وهل كان له أولاد أم لا .
- (٨) وما مر عليه من أحداث ، هل عشق ، وهل حزن على فقد عزيز أو مال .
- (٩) وأخلاقه ، هل كان مازحاً أم وقوراً ، هل كان يعاقر الحرة أو يقامر ، هل كان شرهاً أم عفيفاً ، هل كان حليماً ومستقيماً أم كان ماكرراً ومخادعاً .

فجميع هذه الأحوال التي ذكرها المؤلف في كلامه على الشرح لا يمكننا تطبيقها في الأدب العربي القديم بسهولة لجهلنا بالكثير من أحوال رجاله وملاحمهم وأخلاقهم . دع أن المؤلف لم يشر في استقصائه لهذه الأحوال

إلى ما يحيط بالكتاب من أحوال العمران كطبيعة المجتمع ، ونظام الحكم ،
والمعدات ، والتقاليد ، والصراع الاجتماعي ، والأحوال الاقتصادية ، فإن
لجميع هذه الظواهر تأثيراً في حياة الكاتب وهي وإن كانت لا تكفي لتعليل
ما يتميز به الكاتب من القدرة على الابداع إلا أنها تساعد على الكشف
عن الظروف الخارجية المحيطة به . أن نسبة قوة الابداع إلى عمل المؤلف
كنسبة الروح إلى البدن ، فكما أن تشريح أعضاء البدن لا يكفي للكشف
عن الروح المحركة له ، كذلك استقصاء التأثيرات المحيطة بالمؤلف لا يكفي
لتعليل إبداعه .

٢/٦ — التوبيع .

وأما التوبيع وهو الدرجة الثانية في سلم النقد فالمقصود به تعيين باب
الكتاب المنقود ، أو مؤلفه ، وتحديد مرتبته بين أمثاله . وسبيل التوبيع
الموازنة ، فهي الدليل الناطق والفاروق الصادق الذي يميز الفاضل والمفضول
ولها عند المؤلف قيمان .

أ — الأول موازنة المنقود مع سواه من إنشاء المؤلف نفسه . والغرض
منها أن نعلم هل الإنشاء إنشاء المؤلف أم هو إنشاء منتحل ادعاه لنفسه
أو نسبه غيره إليه لغرض ما .

ب — والثاني موازنة المنقود مع غيره من شعر وثر أو تصوير أو
غير ذلك مما هو من نوعه لمتفنن آخر أو أكثر ليتضح الفرق للناقد .

ج — وفي سبيل تطبيق هذه الموازنة يقسم المؤلف أبواب الشعر بحسب
موضوعاتها اثني عشر باباً مبتدئاً من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى
المركب . وهذه الأبواب هي : (١) الحماسة (٢) والحِكْمُ (٣) والعتاب
(٤) والزهريات (٥) والفرز والنسيب (٦) والرقاء والتأين والمعزاء

(٨) والمدح والشكران (٨) والهجاء (٩) والوصف (١٠) والقصص (١١) والشعر التمثيلي (١٢) والشعر التخيلي .

وهو يصرح في الفصل الخامس من الجزء الثاني من كتابه بأن تبويب الشعر على هذا النحو الذي ذكره شيء لم يسبقه إليه أحد . ثم يذكر بعد ذلك أنواع الموازنة في كل باب من هذه الأبواب ، فيوازن في باب الحماسة بين سعد بن مالك ، وأبي فراس ، والمتنبي ، ويوازن في باب الحكم بين يزيد بن الحكم الثقفي ، والمتنبي ، والشيخ ناصيف اليازجي ، وفي باب العتاب بين معن بن أوس ، وأبي فراس ، وابن خفاجة الأندلسي والمتنبي والبحري وفي باب الزهريات بين أبي تمام ، والبحري ، وابن هاني ، وذي الرياستين وهكذا دواليك . إلا أن موازنته في هذه الأبواب ولا سيما في باب الغزل والنسيب وباب المدح والشكران ، وباب الرثاء والعزاء ، وباب المهجوس ، وباب الوصف لاتدل على سلامة ذوقه دائماً . نعم إنه يعلل تقدم المتنبي في وصف المعارك والمواقع الحربية بميله إلى السؤدد والجهد ، ويقدم معن بن أوس في العتاب والبحري في الزهريات ، والمتنبي في الحكم ، إلا أن موازنته لاتخلو من الأحكام القاسية . كقوله في باب المهجوس : « إذا جمع الشاعر في المهجوس صفات ليست فيه كانت حاله كحال من أراد تصوير فرس قبيح فصوره حمراً ، وقال : انظروا ما أقبح هذا الفرس ، فيقول الناس : ما أشد حق هذا الرجل ، ينظر الحمار فيحسبه فرساً ، فيكون بهجائه ذاك قد دعا الناس إلى هجاء نفسه » (الجزء الثاني ، ص ٤٤) .

٣/٦ - الحكم

وأما الحكم وهو الدرجة الأخيرة من سلم النقد فله خمس قواعد ، وهي (آ) فقد المقول والمصنوع (ب) نقد القائل والصانع (ج) نقد المتدل فيه والمحكي عنه (د) نقد الزمان (هـ) نقد المكان .

آ - نقد القول والمصنوع :

لنقد القول والمصنوع ثلاثة أقسام ، وهي : الغاية ، والفائدة ، والمحاكاة .
أما الغاية فإن الكشف عنها يوصل إلى معرفة أسرار النقد ، لأنه لا عمل بلا غاية فغاية المثذنة لإيصال الصوت إلى مكان بعيد ، وغاية الحصن الدفاع .
وأما الفائدة فهي ما يعود على المؤلف من ربح معنوي أو مادي . والفرق بينها وبين الغاية أن الغاية هي المقدمة ، والفائدة هي النتيجة .

وأما المحاكاة فهي النسخ على منوال من تقدمك في الصناعة لرسم منوال جديد يحاكيك فيه غيرك . ومن الأمثلة الدالة على المحاكاة محاكاة أصوات الطبيعة في اللغة وتقليد ما أحكت الطبيعة صنعه من الأشياء . فالنشاء البيت ، وطلي البناء ، ونسج الشباك والخيام ، وزرع الأشجار ، والنقش ، والتصوير على الخشب والحجر ، والرسم ، والتطريز كلها محاكاة للطبيعة في نظامها . وهذا كله يذكرنا بقول (بوالو) : لا شيء أجمل من الصدق ، وصدق الشيء مطابقته لنظام الطبيعة . إن هذا النظام يمنعك كما يقول الخمصي من رسم السمك على الأغصان ، والبركة فوق الشجر . فليس يصح إذن أن تقول إن المحاكاة تحول دون الإبداع والابتكار لأنه إذا كان المراد بالإبداع والابتكار والخواطر العقلية أو المعاني المجازية فهذه لا محاكاة فيها ، وإذا كان المراد بالإبداع والابتكار الاتفاق والاحكام والبراعة وبلوغ غاية التمام فهذه ليس فيها سوى المحاكاة مع زيادة الاتقان والترقي في العمل . وفاته أن المعاني المجازية لا تخلو من المحاكاة ، وأن الموسيقىار يجاوز محاكاة الطبيعة إلى إبداع ألحان جديدة لا ينيء بها تغريد الطير ولا خرير الماء ، ولا حفيف الأغصان ، فإن المتفنن الحقيقي لا يتناز على غيره بما يضيفه إلى صناعته من دقة وإتقان وبراعة في محاكاة الطبيعة فحسب ، بل يتميز بما يتصف به من روح حي متجدد يطبع الشيء الذي يبتدعه بطابع خاص .

ب — نقد القائل والصانع :

وأما نقد القائل والصانع فله أيضاً ثلاثة أقسام ، وهي : معرفة ما يكرره الكاتب من القول ، ومعرفة ميوله وعواطفه ، ومعرفة غرضه .

أما التكرار فيدل على منازع القائل ، مثال ذلك أن المعاني التي يكررها عمر بن أبي ربيعة أدل دليل على مباهاته بجملته وتدليله بأصله ومنزله ، لأن ما يقوله المحبون لمشوقاتهم قد جملة هذا الشاعر في أفواه ممشوقاته خطاباً له .

وأما الميول والمواطف فهي كثيراً ما تبعد الكاتب عن الحقيقة وتوقعه في التناقض ، فلا يرى الخير والكمال إلا في ما يحبه ولا يرى الشر والنقص إلا في ما يبغضه كما فعل ابن شداد في كلامه على صلاح الدين الأيوبي في كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

وأما الغرض فهو بالنسبة إلى نقد القائل والصانع كالغاية بالنسبة إلى نقد المقول والمصنوع ، إلا أن الغاية أعم والغرض أخص ، لأن الغاية هي ما تقدمها باعث أو دافع يدفعك إلى العمل بحكم الضرورة ، على حين أن الغرض شوق يحدث لك لعمل الشيء .

ج — نقد المقول فيه :

وأما نقد المقول فيه عاقلاً كان أو غير عاقل فينحصر في المقايسة . والمقايسة نوعان : لفظي ونظري . والمقصود باللفظي أن تكون الألفاظ متناسبة مع المعاني ، وأن تختلف الكتابة باختلاف المواقف والموضوعات . والمقصود بالمنوي اجتناب التناقض في عرض الأفكار .

د — نقد الزمان :

وأما نقد الزمان فالمقصود به معرفة العصر الذي ظهر فيه التأليف ،

وله أربعة أقسام : أولها التنقيب عن تاريخ الزمن الذي صنع فيه النقود وثانيها الوقوف على علوم عصر الشيء النقود وصناعاته ، وثالثها البحث عن نظام الحكم في عصر الشيء النقود ، ورابعها الاطلاع على آداب ذلك العصر وأخلاق أهله ومعتقداتهم وملابسهم وأزيائهم وسائر أحوالهم في اجتماعاتهم ومجالس سرورهم وأعراسهم ومآتمهم وغير ذلك .

هـ — نقد المكان :

وأما نقد المكان فالتقصود به الاطلاع على البيئة التي عاش فيها المؤلف . وهذا النقد قاعدتان : (الأولى) هي البحث عن مسقط رأس المتفنن وبيئته (والثانية) هي البحث عن طبيعة هواء تلك البيئة وموقعها الجغرافي . ولتوكيد ذلك كله يشير المؤلف إلى كلام ابن خلدون على تأثير الهواء في أخلاق البشر ، ويقول إن أهل الأقاليم المعتدلة ألطف الناس نفساً ، وأشدم ميلاً إلى العلوم والصنائع . وإذا كان أبو تمام والبحري والمتنبي قد بزوا غيرهم من شعراء زمانهم فمرد ذلك إلى طبيعة بلاد الشام التي نشأوا فيها . ولا عجب أن يفيض صاحب «مهل الوراد» في مدح جهاذة بلاد الشام ويطلب في وصف علمائها وهو شامي المختد ، حلي الذوق ، اقليعي النزعة .

فأنت ترى أن المؤلف يصيب كبد الحقيقة في نقد الزمان والمكان ، إلا أنه يكرر في هذا النقد ما قاله في الشرط الثاني من درجة الشرح ، وهو بالاضافة إلى ذلك يسهب في ما لا طائل فيه من الأمور ، ويقحم المواقف المصطنعة ويبالغ في تبسيط الأمور حتى يفقدها روعتها وجمالها .

٤/٦ — بت الحكم :

ولا بدّ للناسد بعد ذلك كله من بت الحكم في النقود ، فإن النقد لا يكون تاماً إلا إذا تضمن حكماً على قيمة الشيء . لقد أنكر بعضهم ضرورة

بت الحكم في المنقود لاعتقاده أن دقة الفكر توجب التريث في الحكم والاعتماد على ذكاء القارئ في الاستنتاج . وهذا خطأ لأن من شروط العلم أن يبت العالم حكمه في ما يعرض له من المسائل . وإذا قلنا للمؤلف : ان هذه الأحكام نسبية ، قال : إن نسبتها لا تنفع كونها مستندة إلى أساس طبيعي ، ولا يمكنك أن تقول إن هذه الأحكام مستندة إلى العادة ، في الأصل مبنية على الغريزة ، وإذا قلنا له كذلك : إننا لا نستطيع التسليم بوجود بت الحكم في هذه الفنون لأنها ذوقية ، ولا جدان في الذوق ، قال : ليست هذه المسائل من الأمور المستعصية على الناقد إذا كان سليم الذوق ، نافذ البصيرة فما بالك إذا كانت المسائل الفنية خاضعة لأحكام العقل . وإذا قلنا له أخيراً : إن الناس يختلفون في الحكم على شؤون الفن ، وإنهم لو اتفقوا عليها لأضحى الفن علماً رياضياً أو منطقاً عقلياً ، قال إن في أذهان البشر صوراً غائية بالجمال والحق والكمال تقاس بها قيمة أعمالهم وأقوالهم ، وإن اختلفت مظاهرها باختلاف الزمان والمكان . ولولا ذلك لما أمكننا أن نقدر المضمون العقلي والنفسى والاجتماعي للآثار الفنية التي ننتقدها .

ولبت الحكم في نظر المؤلف قاعدتان : (الأولى) هي الترجيح (والثانية) هي التنزيل أما الترجيح فهو التمييز بين الفاضل والمفضول والحسن والأحسن .

وأما التنزيل فهو ترتيب الشيء وتحديد درجته وتمييز طبقة المتفان ، وهذا لا يكون إلا على وجه التقريب وصيغة التشبيه .

ومعنى ذلك كله أن قسطاكي الحصى يعتقد أن هناك قيماً عقلية وفنية وخلقية مشتركة بين جميع الناس أو أكثرهم ، ولولا ذلك لما صحَّ بت الحكم .

٧ - شروط الناقد

يشترط في بث الحكم أن يكون الناقد صادقاً ، مجرداً من الأنانية ، بعيداً عن الهوى . وجماع ذلك كله :

١ - أن يكون الناقد خبيراً بما ينقده . فالتبحر بالرياضيات لا يستطيع أن ينقد كتاباً في التاريخ ، والمتخصص في التاريخ لا يستطيع أن ينقد كتاباً في التشريح . الخ . .

٢ - أن يكون الناقد منصفاً في ما يقوله ، لا يعمط إحساناً ولا يتعمه إساءة ، ولا يدعي للمنتقد أشياء ليست فيه ، ولا يخس المحسن أشياء .

٣ - أن يتجاسف عن الغلو في المدح والإطراء عند إبراز الحسنة ، وعن القدح والازراء عند إبراز السيئة .

٤ - أن لا يخلط بين ما يرى من صنع الشخص الذي ينقده ، وما يعلم أو يظن من حالته في خاصة نفسه .

٥ - أن لا ينظر إلى ما بينه وبين من ينقد كلامه من السوابق الشخصية من مودة وموجدة .

فإذا كان الناقد مقلداً أو خاضعاً لهوى النفس ، أو غير خبير بما ينقده ، ولم يوازن بين ما ينقده وما هو من نوعه ، ولم يكن على بينة من أمره في التفريق بين الصحيح والفاسد فإنَّه في هذه الأحوال كلها بعد متعسفاً في حكمه متخطئاً في نقده . ولما كان من شرط الناقد أن يكون من مرتبة المنقود كان من الواجب عليه عند نشر انتقاده في مجلة أو كتاب أن يذيله بتوقيعه لمعرفة نسبه إلى المنقود ، لأن التصريح باسمه يوجب عليه التثبت في ما ينقده ويحمّله على الوقوف عند حده ، فلا يجبر على التعرض لمن هو

أعلى منه قدراً ، وأوسع علماً ، وأرفع منزلة . أضف إلى ذلك أنه ينبغي للناقد أن لا يخرج في نقده عن موضوع الكلام على الشيء المنقود ، وأن لا يقدم على الانتقاد إلا " بعد أن يطلب من نفسه ما يطلبه من الناس .

٨ — فوائد النقد

للقد في نظر قسطاكي الحصى ثلاث فوائد ، وهي :

١ — كشف أسرار الكاتب ، والوقوف على أخلاقه وميوله ، والاطلاع على المستور من أحواله .

٢ — منع الفوضى ، ولجم الألسنة عن الهذيان ، وسن شرع قويم لكل كاتب عماده احترام القاري ومكافحة المشعوذين من باعة الكلام ، وانقضاء على الدعاية الكاذبة لبعض الآراء التافهة .

٣ — إدراك أوجه الجمال في الكلام .

ومع أن للنقد فوائد كثيرة غير هذه لم يصرح بها المؤلف فان علم الانتقاد في نظره علم طبيعي ذو قواعد ثابتة وفوائد عملية محققة . وإذا كان علم الطبيعيات يقوم على ملاحظة الظواهر الطبيعية لضبط الشروط والأوقات التي تجري فيها ولفصل ما كان جوهرياً منها عما كان عرضياً ، فإن علم الانتقاد يقوم على نقد الآثار الإنسانية عقلية كانت ، أو خلقية ، أو فنية لإرشاد الطالب إلى الطريق الواضح والمنهج المستقيم المؤدي إلى ترقية العلوم وتهذيب الأخلاق وتحقيق الجمال ، فنقد العلم وسيلة للكشف عن الحقيقة ، ونقد الأخلاق وسيلة لتعميم الخير ، ونقد السياسة وسيلة لنشر العدل وتأييد العمران وتشيد أركان الحضارة .

٩ — خاتمة

تلك هي قواعد النقد وفوائده ، ووسائله وغاياته ، وهي توجب على الناقد أن يكون ذا روح حي فلا يسلم بصحة قول دون السؤال عن قيمته من ناحية مضمونه وأصالته وصدقه ونسبته إلى غيره لإخراج الزيف منه وغايته هي التقويم أي إبراز المحاسن ، والمساوي ، والمقارنة بينها . وجماع ذلك كله تحديد العلاقة بين الكاتب وإنشائه ، وموازنة الكتاب المنقود مع غيره ، ونقد القول والقائل والمقول فيه ونقد الزمان والمكان ، وبث الحكم .

لاشك أن موضوع هذا الكتاب مبتكر في العربية وإن كان الكتاب المعاصرون قد طرقوه ، أو طرّقوا بعض أجزائه . مثال ذلك قول صاحب المقتطف : « الانتقاد هو النظر في ما يكتبه الكاتب لإظهار الميجه وقيجه قصد تقديره حق قدره ، وتنبيه الكاتب إلى ما أحسن فيه ليزيده حسناً ويرقيه كمالاً وإلى ما أخطأ فيه ليصححه ، وما قصّر فيه ليكمله » (١) . وقال أيضاً : « الانتقاد فن مداره على الفنون الجميلة خصوصاً وسائر الفنون والعلوم عموماً ، وهو ضروري لترقية علوم البشر ، وفنونهم ، وصناعاتهم ، وعاداتهم ، ونحوها . والغرض منه بيان ما قرب من غاية الجمال والكمال ومدحه وتحسينه حتى يراه كل طالب وما بعد عن تلك الغاية وذمه وتهجينه ليجتنبه الطالب » (٢) وقال أيضاً : « وإذا علمت أن للبشر صوراً غائبة للجهل والكمال والجلال ليقاس بها جمال أعمالهم وكمال أقوالهم وأفعالهم ، وأن الغرض من الانتقاد حثهم على البلوغ إلى تلك الصور الغائبة علمت أن الفائض في الانتقاد فائق

(١) راجع مجلة المقتطف ، الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر ، سنة ١٨٨٧ ، ص ١٦٢ .

(٢) المصدر نفسه .

في أمرين : قوة التمييز والفكر ، وسمو الصورة الغائية المرتسمة على صفحات ذهنه (١) . وقال أخيراً : « يجب أن يكون الناقد بصيراً خبيراً ، يتجرى الصدق في القول ، والإخلاص في النية ، منصفاً ، عادلاً ، باحثاً ، منقياً ، قاصراً النظر على ما قيل ، مغضياً عما قال ، راغباً في إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل لترقية العلوم وإعلاء الآداب والفضائل » (٢) .

وليس في ما قاله صاحب « منهل الورد » زيادة على ما قاله صاحب المقتطف في التعريف بالنقد وفائده وبيان ما ينبغي للناقد أن يقيد به من الشروط في بت الحكم . كلاهما موسوعي النزعة علمي الطريقة كأكثر رجال القرن التاسع عشر الذين يقررون أن صور القيم الإنسانية خاضعة لأحكام العقل . إلا أن الأمر الذي يتميز به صاحب كتاب منهل الورد هو استقصاؤه لقواعد النقد وجمعها في علم واحد أطلق عليه اسم علم الانتقاد . وإذا كان الانتقاد كما يقول (فلور) نحويين في زمن (لاهارب) ومؤرخين في زمن (مونت يوف) فإن صاحب كتاب منهل الورد يريد منهم أن يكونوا علماء يحللون الأثر الفني تحليلاً دقيقاً للكشف عما يستمد من التاريخ والطبيعة وينقدون مضمونه نقداً عقلياً للكشف عما ينطوي عليه من العناصر .

والدليل على ذلك أن أحسن الشعر في نظر المؤلف ما أمكنك حله وقلبه إلى نثر لا يفقده روعته وجماله فإذا فقد روعته بعد الترجمة أو التحليل فاحكم عليه بأنه شعر تافه .

إن سر التأثير رهن بسمو المعاني وجمال الألفاظ معاً ، فكأن للأدب صورة ومادة ، روحاً وجمالاً . أما الروح فهي المعاني وانساقها ، وأما الجسم

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر نفسه .

فهو الألفاظ وتراكيبها ، وكما لا يمكنك فصل الروح عن الجسم في الكائنات الحية ، فكذلك لا يمكنك فصل المعنى عن اللفظ في الأدب ، لأن الألفاظ المنفصلة عن المعاني أشباح بلا أرواح . ومع أن اللفظ عند قسطاكي المحصي رمز للمعنى أو وسيلة للتعبير عن الفكرة والمأظفة ، فإن هذه الوسيلة لا تستمد بلاغتها إلا من كونها واضحة الدلالة . فرب وسيلة كانت أقرب إلى تحقيق الغاية من غيرها ، بل رب وسيلة كانت جميلة وأخرى كانت قبيحة ، ومعنى ذلك كله أنه لا بد في الأدب من الجمع بين الصورة والمادة بين الروح والجسم ، وبين الجوهر والفرض ، فليس يصح إذن تقديم المعنى على اللفظ ولا اللفظ على المعنى ، وإنما يجب الجمع بينهما في وزن واحد من الاتساق . قال قسطاكي المحصي : « فالكلام إما أن يكون صحيح المعنى فاسد التعبير ، وإما أن يكون صحيح التعبير فاسد المعنى ، وإما أن يكون فاسدهما معاً وصحيحهما معاً ، وهذا النوع الأخير من الكلام هو النوع المفضل عنده وإذا كانت المعاني هي المواد الأولية التي يصوغها اللفظ فإن الألفاظ كثيراً ما تغير الرؤى وتوضحها ، وترمز إلى أكثر مما يراه المرء بعينه ، أو يسمعه بأذنيه . وتدعوه إلى التفكير في ما يمتقده ويراه ، حتى إذا انتهى من قراءتها خيل إليه أنها تعبر عن عالم أوسع من عالمه الحقيقي ، وهذا كله يدل على أن وظيفة الألفاظ لا تنحصر في تثبيت المعاني ، بل تشمل أيضاً على قوة الإيجاء بها .

وبعد فإن كتاب « مهمل الورد » لم يحظ في الأدب العربي الحديث بما حظي به غيره من العناية ، لا لتقصيره في التعريف بجوانب النقد ، أو لتقصيره في تطبيق قواعده تطبيقاً محكماً ، بل لتسرّع مؤلفه في تشييد بناء شاق لم تتوافر لديه جميع عناصره . ومع أنه أول كتاب حاول تقييد قواعد النقد بأحكام

العقل فإن النقاد الذين جاؤا بعده لم ينهجوا نهجه لإكمال ما قصر فيه . وربما كان لتغلب الاتجاه الذاتي على الاتجاه الموضوعي في النقد الأدبي الحديث أثر في تغطية مجهود المحصي بأغطية التغافل ، فإن كتابه لم يحظ في زمانه بنقاد يبرز محاسنه . وما كتبه هو نفسه عن نفسه في كتابه « أدباء حلب ذوو الأثر » وما كتبه عنه بعد ذلك سامي الكيالي في كتاب الحركة الأدبية في حلب والدكتور محمد زغلول سلام في كتاب النقد العربي الحديث ، أصوله وقضاياه ومناهجه ، والدكتور إسحق موسى الحسيني في كتاب النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين وغيرهم ، كل ذلك لم يكشف عن ميزة هذا الرجل ، وإن أدنى توجيه الأنظار إليه . لقد قال الدكتور إسحق موسى الحسيني في تعليقه على كتاب منهل الورد :

- ١ - - إن فيه عيوب البداية من فوضى وسطحية واستطراد ونقل وتعميم .
- ٢ - - وأنه متأثر بالأفكار الفرنسية كثير النقل عنها .
- ٣ - - وإنه خال من تقسيم الأدب إلى أنواعه الأولية من شعر وقصة وأفسوسة ومسرحية وترجمة ومقال ، وهو المذهب الحديث في النقد .
- ٤ - - وأنه نظر إلى النقد من زاوية كبيرة تخلط بين النقد الأدبي ، والنقد العلمي ، والنقد التاريخي ، والنقد الموضوعي .
- ٥ - - وزعم أن للنقد قواعد وأحكاماً قامت على أساس لا يتزعزع ولا يتبدل ولا يقبل التغيير في كل زمان ومكان . وهذا غلوٌ ولذا عده علماً ، وما هو بعلم بل هو فن يخضع لتطور الذوق والمصر .
- ٦ - - وله فضل السبق في الأدب الحديث وفيه فوائد لا سيما ما يتعلق بالموازنة بين فنون الشعر .

٧ - وإن خير معيار نأحکم عليه موازنته بما كتبه أحمد أمين في النقد الأدبي أو بما ترجم عن اللغات الأجنبية ، فهو يبدو بداية أولية تدخل في أواخر القرن التاسع عشر حين كان النقد في أول مراحلها في العالم العربي ، ولكنه مع ذلك أول كتاب في الموضوع .

وهذا كله حق ، إلا أن الحكم النهائي على قيمة هذا الكتاب يوجب التفريق بين فن النقد العام من جهة ما هو صناعة نظرية تشمل جميع جوانب النشاط الإنساني ، وبين فن النقد الأدبي من جهة ما هو جانب واحد من جوانب النقد العام . وإذا كان صاحب « منهل الورد » قد قصّر في النقد الأدبي وأهمل الكثير من جوانبه لجهله بالمذاهب الحديثة في النقد ، فرد ذلك إلى طموحه في الطلب ، وإلى اعتقاده أنه يستطيع أن يكون فيلسوفاً ، وما هو بفيلسوف . لقد كان النقد عند قدماء الفلاسفة قسماً من المنطق ، وهو النظر في القول أو الفعل لتقدير نسبته إلى الحق والخير والجمال . ومعنى ذلك أن التقدير حكماً فقط ، وإلغا هو حكم على حكم . وليس في كتاب « منهل الورد » ما يدل على أن المؤلف استطاع أن يستوفي قواعد فن النقد العام من جهة ما هو مذهب فلسفي ، أو تحقيق تاريخي ، أو طريقة علمية . فالنقد الفلسفي وسيلة لمعرفة قيمة المعرفة وقيمة الفعل . والنقد التاريخي وسيلة لتمحيص الأخبار ، وتعليل الوقائع ، والنقد العلمي وسيلة للكشف عن قوانين الطبيعة . ومهما يكن من أمر فإننا لا نستطيع أن نطلب من قسطاكي الحمصي ما نطلبه من أحمد أمين وشكري والسازني والبقاد ونميعة وطه حسين ومحمد مندور وعبد المنعم خفاجي ، ومحمد خلف الله ، وشوقي ضيف وغيرهم ، فقد يفتقر في الابتداء ما لا يفتقر في الانتهاء . وقد يميز الشعر كما قال (ابن رشيق) من لا يقوله ، كالإيزاز يميز من الثياب

ما لم ينسجه والصيرفي يميز من الدنانير ما لم يسكبه . ومع ذلك فإن قسطاكي الحمصي الناقد شارف الإبداع على طريقته ، وإذا قيل إن الناقد أقل إبداعاً من الشاعر والكاتب ، وأنه لو استطاع أن يكون مبدعاً لما اختار لنفسه صفة الناقد الذي يكتفي بتحليل آثار غيره ، قلنا إن في هذا القول غمطاً لقيمة النقد ، لأن النقد لا يخلو من الإبداع . وليس كل كاتب بقادر على النقد . ولو أوتي قسطاكي الحمصي من القدرة على التحليل ما تميز به من القدرة على التركيب لشارف الإبداع الأدبي ، وعذره أنه كان أول من حاول في الأدب العربي الحديث إقامة فن النقد على قواعد ثابتة ، ولا يشترط في واضع أسس الفن أن يستوفي جميع مسائله .

بسميل صليبا



النظم القرآني

تركيب الآية والجملة في القرآن الكريم

يعنى الباحثون في الدراسات اللغوية في العصر الحديث بطرائق تركيب الكلام في كل لغة ، وتطور هذه الطرائق خلال عصورها المتعاقبة ، فيدرسون أساليب اللغة في ربط أجزاء الجملة ، وربط الجمل بعضها ببعض ، والصلة بينها وبين ما يقابلها من الدلالات والمفاهيم ، وارتباط هذه المفاهيم في أذهان أهل اللغة ، وهو ما يطلق عليه علماء فقه اللغة الفرنسيون لفظ *Syntaxe* ، ويقابلها في العربية نظم الكلام . وقد استعملها أسلافنا في مثل هذا الموضع للنثر كما استعملوها للشعر . وهذه المباحث موزعة في العربية بين علم النحو والمعاني ؛ فبحث تقديم الخبر على المبتدأ وبحث الجمل الشرطية والموصولة (صلة الموصول) ومواطن استعمال صيغة المضارع الماضي والماضي للمستقبل من أبحاث النحو تدخل في هذا الباب ، وبحث التقديم والتأخير في علم المعاني والإطناب والإيجاز وأساليبها والقصر وضروب استعمال الاستفهام لأغراض متنوعة ، ومواطن الحذف والذكر وغير هذه من الأبحاث تدخل كذلك في باب نظم الكلام . وقد عني النقاد وأهل الفن في هذا العصر كذلك بنظم الكلام وأساليب تركيبه ، وكان هدفهم من هذه العناية تلمس الجمال الأدبي في تلك الأساليب وفتشوا عن التراكييب التي تحقق لهم حلاوة النغمة وجمال الجرس أو المقابلة بين أصوات الحروف والمدود في تأليفها ، والموضوع الذي تدل عليه وتعبّر عنه بحيث يُقابل الجرس القوي والنغمة الشديدة شدة الصورة

أو الفكرة ، والنعمة الناعمة المناسبة والجرس الهادي ، الشهد الحلو الجميل ، والصورة المحيية ، والفكرة العذبة ، والتأمل الهادي العميق .

ولا يزال مجال البحث في نظم الكلام وتركيبه في اللغة العربية نظرياً ، واعتباره في النصوص الأدبية خلال العصور رحباً واسعاً لقلة من مالوا إليه وانصرفوا إلى العناية به . وقد جذبني هذا الاعتبار في أثناء دراستي وتدريسي للتفسير الأدبي لكتاب الله العظيم ، وكنت ألاحظها وأقف عندها في قراءتي وتأملتي لآياته . وقد ضمنت كتابي (من مهل الأدب الخالد . دراسة أدبية لنصوص من القرآن) بعض هذه الملاحظات في معرض شرح بعض السور والآيات التي شرحتها فيه ، وقد رأيت من المفيد جداً سواء في الدراسات اللغوية أم في الدراسات القرآنية ، أفراد هذا الموضوع بالبحث والانطلاق بعد ذلك للتوسع فيه توسع تعمق بالنسبة إلى القرآن الكريم ، وتوسع امتداد إلى نصوص العربية في مختلف عصورها بعد ذلك . وليسمح لي القارئ أن ألقى بين يديه بداية مختصرة وغاذج يقاس عليها ويضاف إليها .

١ - المجال والحدود :

الجملة هي الوحدة الأساسية للكلام عند النحاة . أما الآية فهي الوحدة التي يتألف منها النظم القرآني ولذلك فهي شيء آخر مختلف عن الجملة لأنها ليست وحدة معنوية أو نحوية وإنما هي الوحدة الفنية أو اللبنة التي يتألف من أمثالها صرح هذه المعجزة البليغة الإلهية التي هي القرآن .

ولهذا فقد تكون الآية جملة تامة وقد تكون جزءاً من جملة أي إن الجملة تتألف من عدة آيات وقد تشمل الآية الواحدة على جمل متعددة .

الأصل أن الآية وحدة ترتيلية أي أن القارئ يقف عند فواصلها إلا في حالات قليلة محدودة لا يجوز فيها الوقف لإخلاله بالمعنى كقوله تعالى « فويل

للمصلين -- الذين هم عن صلاتهم ساهون ، أو لأن الوصل أحسن وأفضل ،
ويقف القارئ في آخر الآية ولو كان الكلام متصلاً والمعنى متسلسلاً إذا
لم ينشأ عن هذا الوقف تغيير في المعنى ، وهكذا تكون الآيات فقرات من
الكلام يرتلها القارئ ويستريح بعدها قليلاً ، ثم يتابع التلاوة ويتصل المعنى
في ذهنه وفي ذهن السامع .

(أ) فمن أمثلة الجملة التي تتألف من آيات النماذج التالية :

« فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى ،
ثلاث آيات في جملة واحدة .

« وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره لليسرى ،
ثلاث آيات في جملة واحدة .

« إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هم بآيات ربهم
يؤمنون • والذين هم ببرهم لايشركون • والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة أنهم إلى ربهم راجعون • أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ،
(المؤمنون ٥٧) وهي تتألف كما ترى من خمس آيات والمبتدأ في الآية الأولى
والخبر في الخامسة .

فالآية هنا جزء من جملة ولا يتم المعنى إلا في عدة آيات ، وإن كان
القارئ يقف في آخر كل آية وقفة استراحة أو وقفة ترتيل لا وقفة انتهاء المعنى .
(ب) وقد تكون الآية جملة تامة مستقلة كقوله تعالى : وربك فكبر

وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر ، .

وكقوله تعالى : « وبئنا فوقكم سبعاً شداداً ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ،
وانزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ، وإن كانت هذه أجمال أو الآيات تتتابع وتعاطف .

(ج) وقد تتألف الآية الواحدة من عدة جمل متعاطفة أو متداخلة بحيث
تؤلف تركيباً بنائياً لا تقبل أجزاء الانفكاك ، وستأتي نماذج من هذا النوع
في خلال الكلام على الآيات الطويلة ، ومن هذا النوع قوله تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (الحجرات ١٣) .
وقوله « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (آل عمران ١٠٤) وبعض الآيات طويلة جداً وقد تجاوزت عشرين جملة في آية الدين في آخر سورة البقرة عدا الجمل الفرعية التي تضمنتها .

طبيعة الآية ومصانفها :

وما تقدم يتبين أن تقسيم الكلام القرآني إلى آيات هو غير تقسيم الكلام إلى جمل ، فالآية هي جزء من الكلام يستقل من حيث الترتيل لا من حيث المعنى فهي وحدة ترتيبية فنية . وهي تقابل الشطر أو البيت في الشعر ، مع أن القرآن ليس بشعر ، ولا يقابلها أي شيء في النثر . ولا علاقة لها بالسجع والكلام المسجوع كما سيتبين معنا في الكلام عن نعمة الكلام في القرآن وجمال الترتيل والموسيقى . ويجدر بنا لنعرف تنوع موسيقى القرآن ونعمته بتنوع الأفكار والمعاني أن ندرس تركيب الآية وأنواعها من حيث التركيب .

تركيب الآيات :

قد تكون الآية كلمة واحدة وأكثر ما تكون كذلك في أوائل بعض السور الإثارة ولفت النظر والمباغتة ، وذلك مثل قوله (الحاقة) و (القارعة) (والطور) . وقد تتألف من كلمتين كآيات الثلاث من سورة الطور هذه (وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور) وكذلك هذه السورة الأخرى التي تبتدئ بكلمة واحدة ثم تتابع السورة كلمتين كلمتين ثم ثلاث كلمات ثم أربعاً ثم خمساً وهي سورة الرحمن :

« الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان . الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسما رفعها ووضع الميزان . ألا تظفّوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » .

وتركيب الآية القرآنية مرتبط بتركيب الجمل ولذلك كان من الضروري دراسة الجملة القرآنية وأنواعها من حيث التركيب والتأليف وهو ما سنفعله في بحثنا هذا :

في القرآن الكريم أنواع كثيرة من التراكيب تتدرج من الجملة البسيطة القصيرة التي تقتصر على أبسط عناصرها إلى الجملة المركبة الطويلة المؤلفة من عناصر متعددة بينها ترابط وتشابك ، ونقدم غاذج من هذه الأنواع فيما يلي :

١ — الجملة البسيطة القصيرة :

ومن هذا النوع قوله تعالى في سورة النجم : « وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمى . وأن عليه الشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب السمرى . وأنه أهلاك عاداً الأولى . وثمود فما أبقي » . وكذلك قوله تعالى في سورة الشعراء :

« واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو يفهمونكم أو يضررون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيت ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فأنهم عدو لي إلا رب العالمين . الذي خلقي فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقيني . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يمتتي ثم يحيين . والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ... » .

فالتأمل لهذه الآيات يجد أنها مؤلفة من جمل قصيرة مقتصرة على عناصرها الأساسية من الفعل والفاعل والمفعول به أو المجرور من غير تعدد هذه العناصر ، مع مراعاة التناسق وجمال النغمة .

٢ - الجملة البسيطة الطويلة :

ويتألف هذا النوع من الجمل من جمل قصيرة بسيطة متصلة مرتبط بعضها ببعض بالمطف أو غيره ، كأن تصل بينها لام التعليل ، أو تكون الثانية نمطاً للسابقة أو لجزء منها وهذه نماذج من هذا النوع :

قال تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه / إني لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا إلا الله / إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه / ما نراك إلا بشراً مثلاًنا / وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي / وما نرى لكم علينا من فضل / بل نلظنكم كاذبين . » (سورة هود)
هذه آيات ثلاث كل آية منها تتألف من عدة جمل قصيرة بسيطة يتصل بعضها ببعض فيتألف منها جملة طويلة ، ولكنها بسيطة التركيب غير متداخلة العناصر . ومثلها قوله تعالى في السورة نفسها :

« ويصنع الفلك / وكثراً مر عليه ملاً من قومه سخرُوا منه / قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون . »

وفي سورة فصلت : « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه / وفي آذاننا وقر / ومن بيننا وبينك حجاب / فاعمل إنا عاملون . »

ومثلها قوله تعالى في سورة النحل « وهو الذي سخر البحر / لتأكلوا منه لحماً طرياً / وتستخرجوا منه حلية تلبسونها / وترى الفلك مواخر فيه / ولتبتغوا من فضله / ولعلكم تشكرون . »

وهذا النوع من الآيات التي تتألف كل آية منها من جملة طويلة ولكنها ذات فقرات قصيرة ، أو بتعبير آخر يلبث طوله من اتصال جمل قصيرة بسيطة ، إن هذا النوع كثير في القرآن وله نعمته الخاصة وضابته الخاص ، وهذه أيضاً نماذج من هذا النوع نفسه :

«أبوء أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب / تجري من تحتها الأنهار / له فيه من كل الثمرات / وأصابه الكبر / وله ذرية ضعفاء / فأصابها إعصار / فيه نار / فاحترقت / كذلك يبين الله لكم الآيات / لعلكم تتفكرون . » البقرة ٢٦٦ .

«الله نور السموات والأرض / مثل نوره كمشكاة فيها مصباح / المصباح في زجاجة / الزجاجة كأنها كوكب دري / يوقد من شجرة مباركة / زيتونة لا شرقية ولا غربية / يكاد زيتها يضيء / ولو لم تمسسه نار / نور على نور / يهدي الله لنوره من يشاء / ويضرب الله الأمثال للناس / والله بكل شيء عليم .

٣ — الجملة الطويلة المسلسلة :

بعض الآيات القرآنية تتألف من جمل مترابطة مسلسلة تفصل أجزاءها وجملها الصغيرة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ، فلا يمكنك أن تقطعها إلى جمل منفصلة مستقلة ، والترابط بينها أشد من مجرد العطف ، وليس هو مجرد التصاق وتماق ، وذلك كناية الدين في آخر سورة البقرة وهي قوله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتم بدن إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبغض منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً ، أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه

بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء (سورة البقرة)

وتستمر الآية هكذا متسلسلة متصلة حتى تبلغ صفحة كاملة ، أو خمسة
عشر سطرا ، ويلاحظ فيها اتصال المعاني من غير تشابك أو تداخل بين
عناصر الجمل ، ومثلها قوله تعالى في سورة الحج : « يا أيها الناس إن كنتم
في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل
مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم
من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وترى الأرض هامدة
فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

فهذه آية واحدة وفكرة واحدة متسلسلة المعاني وتنتهي بشاهد أو مثل ،
وكذلك تركيبها ونظم الكلام فيها فهو يشتمل على النداء والشرط والتعليل
والعطف .

٤ — المجمل الطويلة المركبة :

وهي تختلف عن النوع السابق بأنه لا يمكن تقسيمها إلى فقر منفصلة
لأنها متشابهة العناصر لا يفصل أولها عن آخرها ، ولا يفهم معناها إلا
إذا قرئت كلها جملة واحدة فقد يكون المبتدأ في أولها والخبر في آخرها
أو العكس مع تعدد العناصر المعطوف بعضها على بعض كقوله تعالى :

« إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا
به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون . » سورة البقرة .

فقد جاء الخبر المقدم في أول الآية والمبتدأ في آخرها ، وبينها كلام طويل تضمن عناصر متعددة : خلق السموات والأرض ، اختلاف الليل والنهار ، الفلك التي تجري في البحر . . .

وهذه العناصر نفسها يتألف كل منها من مضاف ومضاف إليه ، والمضاف إليه نفسه متعدد أيضاً أو يتألف من اسم موصول مع جملة هي ملته تعطف عليها جملة أخرى .

ومن هذا النوع جملة أو آيات تتألف من شرط وجوابه وتعدد فيها العناصر كذلك كقوله تعالى :

« قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها و تجاره تخشون كسادها ، و مسساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسين » (النوبة) فهذه الآية تتألف من جملة طويلة مذيلة بجملة كما يلي :

١ - جملة قل مع مقول القول المذيلة في آخرها بجملة والله لا يهدي القوم الفاسقين .

٢ - مقول القول يتألف من جملة شرطية .

٣ - الجملة الشرطية يتألف فيها الشرط من جملة كان واسمها وخبرها .

٤ - اسم كان (المسند إليه) يتألف من ثمانية عناصر أو أسماء معطوف بعضها على بعض ، خمسة منها مفردة وثلاثة موصوفة بجملة .

٥ - خبر كان اسم تفضيل متبوع بثلاثة أسماء : أحب إليكم من . . .

٦ - جواب الشرط (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) يتألف من جملتين

٧ - وأخيراً جملة تذييلية منفصلة مناسبة لفكرة الجملة المذيلة .

ومن نماذج هذا النوع من الآيات ما اشتمل على اعتراض أو جملة اعتراضية قد يقصر كقوله تعالى :

« وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل - قالوا إنما أنت مفتري بل أكثرهم لا يعلمون . »

وقد يطول كثيراً حتى لا يكاد القارئ يفهم جملة المعنى إلا بمد التأمل المتمهل وقد يكون ذلك في عدة آيات تتألف منها جملة واحدة وفكرة واحدة ، تتخللها جل اعتراضية تطول أيضاً ، وإليك هذا النموذج النادر في قوله تعالى والكلام عن بني إسرائيل :

فما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً • وبكفرهم وقولهم على مريم هتاناً عظيماً • وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله - وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا • بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً • وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً - • فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدم عن سبيل الله كثيراً • وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً • (النساء ١٥٦)

وأصل الكلام : حرمنا على الذين هادوا (اليهود) طيبات أحلت لهم بسبب نقضهم الميثاق وكفرهم ... وقتلهم الأنبياء ... وقولهم ... وكفرهم وقولهم على مريم ... وقولهم إنا قتلنا المسيح - وهنا يأتي كلا معترض طويل في ثلاث آيات وبظلمهم وصد عن سبيل الله وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس .. وسنعود إلى الكلام عن هذا النوع الفريد الذي يلفت نظر الباحث اللغوي ويسترعي اهتمامه ويثير تطلعه .

ويتصل بموضوع أنواع الجمل وطرائق تركيب الكلام الذي تألف منه الآيات القرآنية موضوع الترتيب ، أي ترتيب عناصر الكلام وأجزاء الجملة تقديمًا وتأخيرًا ، وموضوع طريقة صوغ الكلام وتركيبه في القرآن الكريم ، وسنتناول هذين الموضوعين بإيراد بعض الملاحظات بإيجاز .

الترتيب :

لقد بحث علماء البلاغة في علم المعاني موضوع التقديم والتأخير والأسباب الدافعة إلى ذلك سواء أكانت معنوية ، أي لاعتبارات تعود إلى المعنى كالتشويق أو العناية والإشادة ، أو الفصر والحصر ، أم فنية تعود إلى جمال الصياغة وحسن الجرس وحلاوة النغم ، وإليك نماذج من الآيات التي حصل فيها تقديم وتأخير يخالف الترتيب النحوي المعمود ، ولاحظ ما يكسب ذلك الكلام من ناحية المعنى أو من ناحية جمال اللفظ :

« قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ، والأصل أن نقول : قل أيها الجاهلون أتأمروني أن أعبد غير الله .

« ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، وقد تأخر الفاعل في الجملة إلى آخرها .

« ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فأسلكوه ، وقد آخر الفعل إلى آخر الجملة ، وكثيراً ما يكسب الترتيب الكلام حلاوة في النغم بالإضافة إلى ما يفيد من معان أخرى ، كالاهتمام أو المفاجأة أو التشويق ، ويظهر ذلك واضحاً في الآيات التالية :

« واقترب الوعد الحق فإذا هي شاحصة أبصار الذين كفروا ، وهو اوقع وأقوى تأثيراً في نفس السامع من قولنا فإذا أبصار الذين كفروا شاحصة ، وكذلك قوله تعالى :

« وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة » بدلاً من ناظرة إلى ربها .
 وقوله : « خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه » بدلاً من ثم صلوه الجحيم .
 وقوله : « إن إلينا إيلهم ثم إن علينا حسابهم » .

الصياغة والتركيب :

إن المعنى الواحد يمكن أن يؤدي في اللغات الراقية في صيغ متعددة ويمكن أن يؤلف الكلام في صور شتى تختلف في تراكيبها وأساليب تأليفها وكثيراً ما يمدل عن الطريق المألوفة في التركيب المعتاد والتأليف المعهود لأهداف فنية ومقاصد بلاغية ، وهذه نماذج من آيات الكتاب الكريم يلاحظ فيها جمال التركيب غير المألوف : « وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » . والتركيب النحوي العادي يقتضي أن تقول : « وإذ رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت فجاء في الآية (القواعد من البيت) بدلاً من قواعد البيت وفرق بين إبراهيم وإسماعيل لينتهي الكلام بلفظ إسماعيل ، وتتوازن أجزاء الكلام من حيث الجرس والنعمة .

وكذلك قوله تعالى « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فصيغ الجزء الأول من الكلام (الخوف) صياغة اسمية ، والجزء الثاني (الحزن) صياغة فعلية ، ولو صيغ كلاهما صياغة اسمية (لا حزن عليهم ولا خوف) أو صياغة فعلية (لا يخافون ولا يحزنون) لما كان للكلام هذا الوقع الجميل .

واستمع إلى قوله تعالى :

« ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » .

وقوله « كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى » وكانوا لا يستطيعون سمعاً .

فكلا الآيتين تفيدني السمع والإبصار عنهم ولكن المعنى صيغ في صياغة

أجمل وأوقع من قولنا (لا يسمعون ولا يبصرون) مع تنوع الصياغة في

الآيتين . ومن التراكيب التي تلفت النظر في القرآن الكريم تكرار أول الآية حينما يطول الكلام ، كقوله تعالى : إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس واقفراً رأيتهم لي ساجدين .

ولو أنك قرأت الآية من غير هذا التكرار لفظ (رأيتهم) لشعرت بالفرق الكبير بين جمال نعمة الآية وقوة تمييزها عن المعنى وضعف الجملة بعد الحذف .

ومثلها قوله تعالى :

« إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » وقوله « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بفازة من العذاب » .

وقد عني علماء البلاغة في علم المعاني بالبحث عن كثير من طرائق تأليف الكلام وتركيبه فبحثوا في أساليب الإطناب وهو تفصيل الكلام ، وأساليب الإيجاز ، وفي التقديم والتأخير ، ولكننا نرى أن المجال لا يزال واسعاً أمام من يريد البحث في أساليب النظم القرآني بحثاً مستقلاً .

فوائد البحث في أنواع المحم وأساليب التركيب في الآيات القرآنية :

إن ما قدمناه من الكلام في تصنيف الآيات والجلل القرآنية وما يتبع ذلك من البحث في الترتيب والتركيب له فوائد عديدة . (فمنها) فائدة تعليمية وذلك أنه يمكن أن يتدرج التعلم لغة العربية ولقرآن نفسه من الجمل القصيرة البسيطة ثم يرتقي إلى الآيات المؤلفة من جمل طويلة بسيطة التركيب متوالية الفقرات ثم ينتهي بالآيات الطويلة المركبة . (ومنها) ما تقدمه هذه

الدراسة من كسب لفقه اللغة الذي تدرس فيه تراكيب الكلام واختلافها باختلاف العصور وعقليات الأمم . ولا بد هنا أن تلفت نظر الباحث ظاهرة غريبة ذلك أن الجمل الطويلة المركبة في القرآن قد تطول حتى تبلغ أحياناً مقدار صفحة من كتاب ، وتتركب أجزاؤها في تركيب مرصوص محكم مترابط لا يقبل الفصل ولا التقسيم ولا التجزئة ، لتعبر عن فكرة متعددة الجوانب كثيرة العناصر ، بين جوانبها هذه صلات وبين عناصرها روابط . هذا النوع من الجمل لا نجد له نظيراً في نثر اللغة العربية قبل عصر القرآن بل ولا في عصر القرآن نفسه فلا نجد مثله في رسائل النبي ﷺ ولا في رسائل الخلفاء والصحابة وخطبهم ولا في عصر بني أمية ، ولا نكاد نجد أمثال هذه التراكيب إلا في عصور متأخرة من عصور العربية ، وهي العصور التي ارتقى فيها الفكر وبلغ درجة عالية من القدرة على التركيب بين المفاهيم والعناصر ، وهذه من خصائص القرآن المميزة التي تفسح المجال للتأمل والتفكير وتجعل القرآن نسيج وحده في تاريخ النثر العربي ، وتجعله خارجاً عن مراحل التطور وعوامله .

وهناك أخيراً فائدة فنية لدراسة أنواع الجمل وأساليب التركيب ولوان الصنيع فهي منبع خصب للجهل الفني سواء فيما تقدمه من ألوان ممنوية أم من موسيقى توارف الفكرة وتعاون معها بتوافق وانسجام . ونحب أن نختم بحثنا هذا بمرض موجز للجانب الموسيقي من النظم القرآني .

النغمة والموسيقى :

يشعر قارئ القرآن شعوراً طبيعياً بدافع قوي يدفعه إلى ترتيبه ترتيباً صوتياً له نغماته في كل كلمة من كلماته بل في تتابع حروفه ، وحلاوة النغمة في الكتاب العزيز تتخلل الآية في جميع أجزائها وحروفها ، ولا تقتصر على

الوقوف عند الفاصلة في آخر الآية التي تقابل الجمع ، وإليك بمض خصائص هذه الموسيقى القرآنية :

١ - فقد تكون ضرباً من الإثارة وأداة للتنبيه والمفاجأة ، وخاصة في العهد المبكي الأول حين كان العربي سادراً في غلوائه غير مستعد للاصغاء إلى الدعوة الجديدة ، ومن أمثلة ذلك مقدمة سورة الحاقة :

الحاقّة . ما الحاقّة ؟ وما أدراك ما الحاقّة ؟

وكذلك : القارعة . ما القارعة ؟ وما أدراك ما القارعة ؟

ثلاث موجات متعاقبة تكبر وتتسع متصاعدة في طولها ومدودها . وتتصف كل واحدة منها بالشدة والمد في وسطها ويتمدد ذلك ويتكاثر في الثانية والثالثة .

ويتناسب ذلك مع هول الموضوع الذي هو (يوم القيامة) ومع هذه الاستفهامات المتوالية المشوقة لمعرفة الجواب .

٢ - وقد تكون تصويراً صوتياً موازياً ومقارناً للتصوير التمييزي وذلك في مثل مقدمة سورة العاديات ، فهي وصف للخيّل التي تعدو في غارة صباحية حتى تصل إلى هدفها ، فاستمع إلى هذه الفقرات المتقطعة تقطع مسير الخيل المتساوية في أجزائها :

«والماديات ضبحا . فالعريّات قدحا . فالغيرات صبحا . فأثرن به نكما . فوسطن به جمعا .»

الآيات الثلاث الأولى قصيرة سريعة متساوية في الطول وفي الوزن والنغمة وتتألف كل واحدة منها من الكلمة الأولى المشتملة على مدين والثانية لا مد إلا في آخرها ، وفي كل منها تصوير لارتفاع الخيل ثم هبوطها واصطدامها بالأرض ، وتأتي الآيتان الأخيرتان لتصورا بانعدام المد فيها وتوالي الحركات سرعة جري الخيل وتتابع حركاتها حتى تصل إلى هدفها (فوسطن به جمعا) .

٣ - والهم في النغمات القرآنية تناسبها مع الموضوع والفكرة شدة ولينا
وسرعة وبطأ .

فإذا كان الموضوع حديثاً عن يوم القيامة وهو لها وتماماً أحداثها قصرت
الآيات وكثرت فيها الحروف ذات الشدة والصليل وقلت المدود أو فقدت
كقوله تعالى :

« فإذا برق البصر . وخسفت القمر . وجمع الشمس والقمر .
يقول الإنسان يومئذ أين المفر ؟ » (سورة القيامة)
وإذا كان الكلام دعاء جاءت المدود التي تكسب النغمة هدوءاً وطولاً
وتصور التأمل العميق ونداء المستغيث كقوله تعالى :

« ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار . ربنا إنك من
تدخل النار فقد أخزيت به وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي
للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
إنك لا تخلف الميعاد » (آل عمران ١٩١) .

واستمع إلى قول من استحق بعد الحساب دخول النار إذ يعبر عن
حسرتة ويتأوه :

« وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر
ما حساييه . يا ليتها كانت الفاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » .
ثم انظر كيف تتغير النغمة وتأتي حروف الواو لتصور دفعه إلى جهنم
دفعاً ثم كيف تطول الآية والنغمة في آخرها حين تلتفت حوله سلسلة طويلة
من سلاسل جهنم :

« خذوه فملوه . ثم الجحيم صلّوه . ثم في سلسلة ذرعا سبعون
ذراعاً فأسلكوه . » والخاقة .

والأمثلة على ذلك، كثيرة جداً .

٤ — تنوع نعمات الآيات طولاً ووزناً وفاصلة (قافية) :
فقد تماثل وتتساوى الآيتان مثل قوله تعالى « إن إلينا إيمانهم ثم إن علينا
حسابهم » .

وقد يكون التوازن مع اختلاف الفاصلة كقوله تعالى :
« آتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » .
وكقوله : « غمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة » (الفاشية)
وقد تتوالى الآيات كموجات متساوية متتابعة كقوله تعالى :
« في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود » .
وقوله : « إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال
سيرت . وإذا . . . » (التكوير) .

وقد تتصاعد الموجات وتتسع وتطول في تنابها كقوله تعالى :
« والضحى . والليل إذا سجى . ما ودّعك ربك وما قلى » .
« الخاقة . ما الخاقة . وما أدراك ما الخاقة » .
وقد تتنوع الموجات طولاً وقصراً وتتفق فاصلة (قافية) وتختلف
فيتألف من مجموعها قطعة رابعة فاستمع إلى قوله تعالى :
« والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور .
والسقف المرفوع . والبحر المسجور . إن عذاب ربك لواقع .
ماله من دافع . يوم تمور الباء موراً . وتسير الجبال سيرا . فويل
يومئذ للكاذبين » .

٥ - والنظم القرآني بالجملة نظم يبدو فيه الجمال الموسيقي أو حلاوة النعمة وليست القضية أبداً قضية نثر مسجوع ، إذ شتان بين السجع والموسيقى ، فموسيقى القرآن داخلية تتخلل الكلام كله ، وتنظم جميع أجزائه ، كلماته وحروفه ، مع مراعاة انتساب بين نوع النعمة وصفاتها ، والفكرة أو الموضوع أو المشهد الذي تعبر عنه الآيات . واقسراً إذا شئت لتشعر نفسك بهذه الموسيقى الداخلية أي جزء من الكتاب الكريم ، اقرأ إذا شئت هذه الآيات : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا . » (الإسراء)

ولو قرأت حتى آيات التشريع والأحكام لوجدتها متصفة بهذه الخاصة الموسيقية ، ولعل جمال النعمة هو السبب في المدول في كثير من الآيات عن طرائق التركيب والتأليف المعتادة إلى صياغة خاصة في الكلام ، ولورجعت إلى الآيات التي استشهدنا بها آنفاً في طرائق التركيب لوجدت صدق هذه الملاحظة .

ولعل الباحثين في اللغة والمشتغلين بالأدب وفنونه وأساليبه يتوسعون ويتمقنون كل في اختصاصه في دراسة النظم القرآني ليقدموا للأجيال القادمة ما يمكنهم من تذوق لغة القرآن وفنه ، وما يجعل صلتهم بالعربية أعمق وشعورهم بحملها أدق وأرهف ، وليؤدوا لكتاب الإنسانية الخالد بعض حقه .

محمد المبارك



المجسّيون

في خمسین عاماً

عندما فجّرت عوامل النهضة الحديثة ، في مطلع هذا القرن ، بنايع الثورة العربية الكبرى ، وقامت على إثر جلاء الترك عن سورية ، أول حكومة عربية فيها ، انصرفت جهود هذه الحكومة ، إلى العناية بالعربية ، لغة دواوين ولغة تعليم ، بعد أن أهملتها المهود السابقة ، فشاب الكتابة بها الركيك والعامي ، وأفسد مفرداتها الدخيل والأعجمي .

وأخذت الحكومة العربية تختار من موظفيها المشهود لهم بالكتابة ، والموثوق بقدرتهم على حل عبء النهوض بالعربية من كبوتها ، والعمل على سلامتها مما أفسدها ، والسعي لنشر ما تحتاجه مرافق الدولة الحديثة ، التي أقامها العرب في سورية بعد ضياع طالت عصوره وخبا فيه نور كانت دمشق مصدر إشعاعه .

لقد كان في طليعة أعمال الحكومة العربية المؤقتة التي تألّفت في دمشق ، بعد أن دخلها الجيش العربي في نهاية شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٨ للميلاد ،

إقامة هيئة أطلقت عليها اسم [**الشعبة الأولى للترجمة والتأليف**] وعهدت بها إلى نخبة من موظفيها المتمكنين من العربية أو القادرين على الترجمة إليها من اللغات الأجنبية ، موكلة إليهم تحقيق الأغراض المشار إليها آنفاً ، ثم قامت بتاريخ ١٢ شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ بإعادة النظر في تكوين الشعبة المذكورة واختارت الأستاذ **محمد كرو** علي رئيساً لها وأطلقت عليها اسم [**ديوان المعارف**] موكلة إلى هذا الديوان النظر في شؤون المعارف عامة ، والعمل على تأسيس دار تجمع مختلف الآثار القديمة ، وإقامة دور تضم مكنتات عامة تفتح أبوابها للجهاهير ، مع بذل العناية من أجل توسيع دار الكتب الظاهرية في دمشق .

وأخذ [**ديوان المعارف**] يعمل على تحقيق الغايات التي كلف بها ، ولكن لم تمض بضعة أشهر على عمله ، إلا ووجد نفسه وسط خضم متشعب الجنبات ، فقد اتسعت أعماله سعة متناهية باقبال الناس على طلب العلم ، وبالحافهم على الحكومة من أجل الإكثار من فتح المدارس ، إضافة إلى ازدياد حركة التأليف والترجمة والنشر بدافع الظمأ العام إلى المعرفة . مما جعل الحكومة ، رغبة منها في حصر جهود رجال [**ديوان المعارف**] بخدمة اللغة ونشر التراث العربي وتأريخ النهضة العربية الحديثة ، أغراضها الأولى من إنشائه ، تخرج بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ م إلى تجزئة [**ديوان المعارف**] إلى فرعين هما :

١ — ديوان يختص بأعمال المعارف العامة وشؤون التعليم ، على أن يظل يحمل اسم [**ديوان المعارف**] ، وقد كان هذا الديوان نواة للوزارة التي حملت فيما بعد اسمه .

٢ — ديوان يختص بشؤون اللغة وإدارة المكتبات العامة وحفظ الآثار القديمة ، على أن يحمل اسم [**المجمع العلمي « آفاده مي »**] .

وعقد أعضاء [المجمع العلمي العربي] المينون برئاسة الأستاذ محمد كرد علي، جلستهم الأولى في (المدونة العادلية الكبرى بدمشق) مقر مجمع اللغة العربية إلى اليوم، بعد أن بذلوا جهداً كبيراً في سبيل إعادتها إلى طرزها القديم الذي بناها عليه الملك العادل شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وكانت تلك الجلسة بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م، وحضرها الأعضاء الثمانية التالية اسمائهم :

١ - الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

٢ - الشيخ أمين سويد

٣ - الأستاذ أنيس سالم

٤ - الشيخ سعيد الكرمي

٥ - الشيخ عبد القادر المغربي

٦ - الأستاذ عز الدين علم الدين

٧ - الأستاذ عيسى اسكندر معلوف

٨ - الأستاذ ميري قندلفت

وأجمع الأعضاء الثمانية على ضم الشيخ طاهر الجزائري إليهم عضواً عاماً، وضم كل من الأستاذ رشيد بقدونس، والأستاذ سليم عنحوري، والشيخ عبد القادر المبارك، والأستاذ فارس الظهوري، والأستاذ موشد خاطر أعضاء شرف لمؤازرة العاملين في جهودهم، إلى جانب عدد آخر من العلماء المرموقين يومئذ، بمن حالت ظروف مختلفة دون اشتراكهم الفعلي في الشؤون الجمعية، بينما شارك أولئك المؤازرون العاملين في تحقيق أغراض المجمع دون أي تمويض أو مكافأة .

وابتداً المجمع العلمي العربي خطواته نحو تحقيق الأغراض التي أنشئ من أجلها، يشتري الكتب أو يستعيرها لتزويد دار الكتب الظاهرية بها، كما

أخذ يشرف على تأليف الكتب أو ترجمتها ، ويعمل على تهذيب لغة الدواوين ، وذلك بوضع المفردات والمصطلحات الإدارية والفنية لتحل محل الألفاظ الأعجمية التي كانت شائعة بين الموظفين وفي المراسلات الحكومية ، كما أخذ يضع المصطلحات العربية في العلوم الحديثة لمساعدة المؤلفين في تأليف الكتب المدرسية أو ترجمتها ، وأخذ أعضاؤه يبذلون جهودهم في التنبيه إلى أغلاط أرباب الأقلام والعمل على تصحيحها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

غير أن الظروف السياسية القاسية التي كانت الحكومة العربية في سورية تمر بها في أوائل عهدها ، أوقعتها في ضائقة مالية شديدة ، واضطرت معها في نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م إلى الأمر بصرف رئيس المجمع وخمسة من أعضائه من وظائفهم ، توفيراً لرواتبهم ، مكتفية بمضوين إداريين للقيام بالإشراف على داري الكتب والآثار ، ولكن لم تمض على هذا الأمر سنة ، إلا وعهد بتاريخ ٧ إيول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠ م ، إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بوزارة المعارف فأعاد الحياة والنشاط إلى المجمع العلمي مبتدئاً بإعادة عضوين آخرين إليه والقيام برئاسة جلساته ، ومن هذا التاريخ أخذت جلسات المجمع تعقد بانتظام كسابق عهدها بعد إعادة القدامى من أعضائه إليه ، وضم نخبة جديدة من العلماء العاملين .

وعاد المجمع العلمي العربي يسير بخطوات حثيثة بجهود رئيسه العظيم ، الذي كان يدعمه بنفوقه الأدبي العميق وبسلطات الحكومة ، كلما انيطت به شؤون المعارف في البلاد ، يتولاها مديراً عاماً أو وزيراً ، على اختلاف التسمية التي كانت الظروف السياسية تملئها على الحكومة في سورية بعد احتلال فرنسا لها منتدبة عليها من قبل عصبة الأمم ، وكان أعضاء المجمع لا يدخرون وسعاً في السعي ، عاملين ومتآزرين ، نحو تحقيق الخطة التي

اتفقوا عليها لإعلاء شأن العربية ، ودراسة أوضاعها ، ونشر آدابها ، وإحياء تراثها ، وتعريب ما يحتاج إليه طلاب المعرفة من كتب العلوم والصناعات والفنون المختلفة ، مع وضع المصطلحات التي تنقصها ، إلى جانب العناية بجمع المخطوطات العربية والآثار القديمة ، من تماثيل وأدوات وأوانٍ ونقود وكتابات تاريخية ، وما زالت مجلة المجمع هذه التي ابتدئ بنشرها في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ هـ الموافق لشمس كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢١ م ، خير شاهد على ما كان يبذله أعضاء المجمع الأعلام من جهود تذكر لهم جداد الشكر والتقدير .

ولم تمض عشر سنوات على تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، إلا وأصبحت هذه المؤسسة ، الفريدة من نوعها في العالم العربي ، صرحاً شامخاً يتطلع إليه من الآفاق البعيدة ، ملأ اسمه أسماع الناس من عرب ومستشرقين ، وذاع صيته في أرجاء الدنيا العربية وفي ندوات أهل الفكر ومحافلهم في مختلف بلاد العالم ، وكل ذلك بفضل جهود الأستاذ الرئيس محمد كوردي علي وما عرف عنه من همة عالية وحيوية فائقة وبفضل الصلات التي أحكمها مع أكابر العلماء وأهل الفكر من مختلف الأمم والشعوب ، وبفضل أولئك الأعلام من زملائه أعضاء المجمع المؤسسين ، والطيحين الأخيار الذين اختبروا ليحلوا محل الراحلين منهم ، أو ليتنبأوا المقاعد التي أحدثها القانون ليقبى عدهم عشرين على مرّ الزمان .

وإذا كان حلول سنة ١٩٦٩ للميلاد يحفل مؤسسة المجمع العلمي العربي بتجارت خمسين عاماً من حياتها ، وهي دائبة في عملها في خدمة العربية أمّ اللغات ، فخير ما أقدم لها في عيدها الذهبي هذا ، بعد أن شرفتني بانتخابي عضواً عاملاً فيها ، هو مجموعة تراجم موجزة لأولئك الأعلام الذين

حملوا مشعل النهضة العلمية في العصر الحديث ، وأضأوا به طريق المجد وسبيل الحضارة والعرفان ، بائين الأمة العربية صرح بمجمعهم — الأول ، **مجمع اللغة العربية بدمشق .**

لقد بلغ عدد الموظفين والعاملين من أعضاء المجمع العلمي ، الذين تعاقبوا على كراسيه العشرين منذ تأسيسه حتى نهاية عام ١٩٦٨ م **خمس وأربعين** **عضواً** ، كما بلغ عدد أعضائه المؤازرين والمراسلين **ثلاثة وأربعين ومئة عضو** ، رحم الله من انتقل منهم إلى دار الخلود ، ومدّة في عمر الأحياء الباقين على العهد في خدمة العربية ، وزاد الناس نفعا بهم .

ولقد فكرت في خير السبل التي يجب انتهاجها لتحقيق فكرة جمع تراجم أولئك العلماء الأعلام ، فوجدت خير سبيل أمملكه هو في تقسيم مجموع السنوات الخمسين التي مضت على تأسيس المجمع العلمي العربي إلى **خمس عقود** ، أترجم فيها للأعضاء العاملين عقداً عقداً ، محتفظاً بالترتيب الزمني لاحتلال كل واحد منهم كرسيه المجمع .

وقد يخيل للبعض أن هذا العمل سهل ميسرة أسبابه مادام لكل عضو في المجمع ملف شخصي يحوي كل ما يتصل به وبحياته ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فأغلب ملفات القدامى من الأعضاء الراحلين ، رحمهم الله ، لا تحوي إلا على بعض الوثائق الرسمية التي لا تعني شيئاً ، ولقد كان زهد أكثر أعضاء المجمع حتى اليوم في الكتابة عن أنفسهم ، مضية لبعض الحقائق التي كان من حق التاريخ أن يسجلها في صفحاته . ولهذا اقتضاني هذا العمل جهوداً مضنية حتى توصلت إلى ما تمكنت من تسجيله ، وهو بالنسبة لبعض المترجمين غيض من فيض .

الأعضاء المؤسسون

- ١ -

محمد كرد علي

١٨٧٦ - ١٩٥٣ م

نُشأة ومبانيه

في أسرة دمشقية معروفة ، انحدر جدها الأول من حوالي مائتي سنة من بلاد الأكراد في شمالي العراق إلى دمشق ، وفي أواخر شهر صفر من سنة ١٢٩٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٧٦ م ، ولد طفل أسماه أبوه عبد الرزاق محمداً وكناه بفريد ، ولما شبّ اشتهر باسم **محمد كرد علي** .

تلقى محمد كرد علي تعليمه الأولي في إحدى مدارس دمشق الحكومية ، ثم دخل المدرسة الرشدية العسكرية ، وفيها تلقى تعليمه الإعدادي ، كما تلقى مبادئ الفرنسية على مدرس خاص ، فأصاب من الفرنسية ما مكّنه عندما تخرّج من المدرسة الرشدية ، من الالتحاق بوظيفة في « **دبوان الشؤون الأجنبية** » يشتغل فيه بالترجمة من الفرنسية إلى العربية ومن هذه إلى تلك .

ظل محمد كرد علي في الوظيفة مدة ست سنوات ، كان خلالها يتردد على مدرسة الآباء اللعازاريين بدمشق ، فأتقن الفرنسية وآدابها ، كما أخذ يتصل بطائفة من شيوخ عصره الأعلام ، وكان أكثر هؤلاء الشيوخ أثراً في توجيهه نحو النهج الذي ارتضاه لنفسه ، **طاهر البوزائوي** ثم **محمد المبارك فسلم البخاري** ، وعن هؤلاء الشيوخ وغيرهم من خول العلماء ، أخذ محمد كرد علي علوم اللغة والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم القديمة ، حتى برع فيها ولمع بتفوقه على أقرانه ، ثم أخذ بتأثير شيخه الأول ، يتجه نحو الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي . ويكثر من قراءة الكتب العربية والفرنسية ، حتى شبَّ على حبِّ العرب وحبِّ الدفاع عنهم وعلى حبِّ الإسلام الصحيح وحبِّ المنافحين عنه .

وفي سنة ١٣١٥ هـ — ١٨٩٧ م عهد إلى محمد كرد علي بتحرير أول جريدة صدرت في دمشق باسم « الشام » وكانت أسبوعية ، وظل يحررها ثلاث سنوات ، متصلاً ببعض الجرائد والمجلات المصرية ، ثم أخذ ينشر في مجلة « **القطف** » القاهرية أبحاثاً متنوعة في التاريخ والاجتماع والأدب ، فلع اسم محمد كرد علي وداعت شهرته في أرجاء الوطن العربي من ذلك الوقت .

وفي سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م عزم محمد كرد علي على السفر إلى فرنسا بقصد الدراسة ، ومرَّ في طريقه إليها بمصر سائحاً ، فإذا بصاحب جريدة « **الرائد المصري** » ينريه بالبقاء في مصر لتحرير في جريدته ، فقبل العرض وبقي في القاهرة عشرة أشهر ، اتصل خلالها بالإمام الشيخ محمد عبده وحضر مجالسه وأفاد منها .



الاستاذ الرئيسى محمد كرد علي

وعاد محمد كرد علي إلى دمشق صحافياً قد اشتهر اسمه بين الناس ، فخافته السلطات العثمانية وأخذت تضايقه برقابة تحركاته ، فقرر الهجرة إلى مصر ، وفيها أصدر مجلة « المقتبس » شهرية علمية أدبية ، وكان ذلك أول سنة ١٣٢٤ هـ الموافقة لسنة ١٩٠٦ م ، وظل مشارباً على إصدارها مدة ثلاث سنوات . وتولى خلال هذه السنوات رئاسة تحرير جريدة « الظاهر » اليومية لفترة غير طويلة ، كما تولى أمانة سر تحرير جريدة « المؤيد » لفترة أخرى ، مشاركاً أثناء ذلك في تحرير مجلة « العالم الإسلامي » التي كانت تصدر في باريس .

وعندما حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م ١٣٢٦ هـ عاد محمد كرد علي إلى دمشق وأصدر فيها جريدة « المقتبس » اليومية السياسية ، إلى جانب متابعته إصدار مجلة « المقتبس » الشهرية . ولكن السلطات العثمانية عادت إلى التضيق عليه ، و انتهى الأمر بها إلى ملاحقته أمام القضاء بتهمة جزائية ، مما اضطره لمغادرة سورية إلى فرنسا خفية ، وفي باريس عاش محمد كرد علي يدرس وينقب عن أمهات الكتب التاريخية والاجتماعية والأدبية ، وقد كتب في وصف رحلته هذه خمساً وثلاثين مقالة أو محاضرة ، طبعت فيما بعد في كتاب أطلق عليه اسم « غرائب الغرب » ، وبعد بضعة أشهر من إقامته في فرنسا ، بلغه أن القضاء برأه من الدعوى التي رفعها السلطة عليه ، فقفز راجعاً إلى سورية ماراً بالآستانة ، ولم يلبث قليلاً حتى أقدمت السلطات على ملاحقته بتهمة جديدة ، ففر من البلاد ثانية إلى مصر ، ولكنه برى ثانية فعاد إلى دمشق وعاد إلى إصدار « المقتبس » .

وفي سنة ١٩١٣ م -- ١٣٣١ هـ ، قام محمد كرد علي بزيارة لكل من إيطاليا وسويسرة وفرنسا والجر وكتب ٣٣ مقالة في وصف حضارة كل من هذه الدول ، وحدث قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى أن أوقفت

السلطات العثمانية جريدة «المقتبس» عن الصدور ، غير أنها لم تلبث بعد دخول الدولة العثمانية الحرب أن طلبت منه إعادة إصدارها فعاود ذلك ، ولم تمض سنة على إعلان الحرب ، إلا وقامت السلطة العسكرية بإصدار جريدة يومية عربية في دمشق باسم «الشرق» وكلفت صاحب «المقتبس» برئاسة تحريرها ، بعد أن طلبت إليه رفع اسمه من جريدته الخاصة . غير أن الأمور لم تجر هادئة ، فقد تمكر الجو بينه وبين بعض السلطات الحاكمة فاضطر إلى ترك دمشق وقصد الآستانة ، ولم يطل مكوثه فيها إلا وأعلن احتلال الجيش العربي لمدينة دمشق سنة ١٩١٨ م — ١٣٣٦ هـ ، فأسرع صاحب «المقتبس» إلى دمشق ليتابع إصدار جريدته ويجلتها ، ولكن الحكومة العربية التي كانت تألفت في دمشق كفته برئاسة «ديوان المعارف» نواة «المجمع العلمي العربي» الذي كان محمد كرد علي يحكم به ، فتحقق حلمه وغدا مؤسسه الأول ورئيسه مدى الحياة .

وفي سنة ١٩٢٠ م — ١٣٣٨ هـ ، وبعد أن احتلت الجيوش الفرنسية دمشق فأرضة الانتداب الفرنسي على سورية ، قبل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الاشتراك في الحكومة السورية التي تألفت عقب الاحتلال مدفوعاً برغبة جامعة في إحياء المجمع العلمي وجعله يحتل المكانة التي كان يحلم بها للمجمع يخدم العربية ، وذلك بعد أن كانت الظروف السياسية التي سبقت الاحتلال قد أدت إلى وقف أعماله ، وقد تسلم منصب وزير المعارف بتاريخ ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ م ، وظل يشغل منصب الوزارة حتى ١٠ آذار (مارس) ١٩٢٢ ، يوم تركها ليتفرغ لرياسة المجمع العلمي ، وبعد أن كان أطلق عليها اسم «المديرية العامة للمعارف» بتاريخ ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ م . وفي خلال فترة إشفاله منصب المديرية العامة للمعارف ، قام الأستاذ الرئيس بزيارة جديدة لأوروبا فضاف في كل من بلجيكا وهولاندة

وانكلترة واسبانية وألمانية وسويسرة ، وكتب مشاهداته في رحلاته الجديدة ، في إحدى وخمسين مقالة ، أضافها إلى كتابه « غرائب القرب » فلما أعيد طبعه سنة ١٩٢٣ م في مصر جاء الكتاب في مجلدين .

وبتاريخ ١٥ شباط (فبراير) ١٩٢٨ م عهد إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بمنصب **وزير المعارف** ثانية ، فظل يشغله إلى تاريخ ١١ حزيران (يونيو) ١٩٣٢ م يوم قيام الجمهورية السورية الأولى .

وعندما ترك الأستاذ الرئيس منصب الوزارة اعتزل السياسة وعكف على المطالعة والتأليف ، فلما أعيد انتخابه رئيساً للمجمع العلمي سنة ١٩٤١ ، وكان هذا المنصب قد ظل شاغراً طوال فترة أعقبت ترك الأستاذ الرئيس منصب الوزارة ، حصر الأستاذ الرئيس كل جهوده في العمل على تحقيق أغراض المجمع العلمي ، وتابع إصدار ما ألفه أو حققه من الكتب التي بقيه في طلبه الخالدين من أعلام العرب المعاصرين ، وقد ظل عاكفاً على التأليف والتحقيق والنشر حتى انتقل إلى رحمة الله يوم الخميس في اثنامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق **لثاني من نيسان (أبريل) ١٩٥٣ م** .

وقامت دمشق بتشجيع جثمان الأستاذ الرئيس ، وقد عمها الحزن والأسى ، بوكب حافل مشهود ، ثم ووري جثمانه الثرى في مقبرة الباب الصغير بدمشق التي أحبها وأحب ترابها ، فأحبته وقدرته بلسان مجلسها البلدي الذي قرر بتاريخ ١٣٨٢/٣/٤ و ١٩٦٢/٨/٤ تسمية أحد شوارعها الكبيرة باسمه **تخليداً لذكراه (١)** .

(١) شارع محمد كرد علي هو الشارع الممتد من شارع عدنان المالكي شرقاً وحتى الساحة الواقعة في نهاية شارع الرشيد غرباً .

محمد كرد علي يؤسس المجمع العلمي

يقول الأستاذ الرئيس في مذكراته : « لما عدت من الآستانة بعد هدنة الحرب العالمية (١٩١٨) جاني صديقي القديم رضا باشا الركابي الحاكم العسكري في دمشق يسلم عليّ في داري ويطلب إليّ قبول رئاسة مجلس المعارف . فقلت له : إني أنوي العودة إلى إصدار الجريدة والمجلة ، ونشر كتيبي الجاهزة ، فوعدني بأن أماني تتحقق كلها مع القيام بالعمل الذي يطلب قيامي به . وقال : إقبل هذه الوظيفة التي ستكون وزارة فيما بعد ، فليس عندي غيرك للقيام بها ، فاعتذرت ، ومما قلت في الاعتذار إليه إني لم أربّ نفسي لأكون موظفاً ، ولو أحببت التوظيف ، كما تعلم ، لكنني اليوم في أرقى المناصب ، وأصرّ عليّ كثيراً وقبض بيده على لحيتي وقال : إكراماً لهذه . فأخجلني فقلت علي شرط أن يعاونني معاونة فعلية مدة وجوده في الحكم ، فإذا تنحى عنه استقلت معه » .

ويتابع الأستاذ الرئيس سرد الحوادث التي تلاشت بعد تأليف (ديوان المعارف) من قبل الحكومة العربية في سورية ، وكيف وجد نفسه رئيساً على جماعة من الشيوخ ، منهم من درس العلوم الدينية ومنهم من شدا شيئاً من الأدب ، ثم كيف أغضبه بعض التصرفات الحكومية ، فانزله داره معلناً اعتزاله الوظيفة ، غير أن الركابي باشا ألح عليه كثيراً للبقاء في منصبه فما كان منه إلا أن قال : « إذا كنت تحرص على بقائي في الحكومة ، فأنا أرضى على أن ينقلب هذا المجلس برئيسه وأعضائه مجعاً علمياً مرتبطاً بالحاكم العام مباشرة ، فقبل ، وصدر المرسوم بذلك » (١) .

ويتابع الأستاذ الرئيس وصف الصعوبات التي قامت في وجهه في فترة تأسيس الجمع العلمي وكان منها أن صدر « الأمر بدعوى الضائقة المالية في آخر تشرين الثاني ١٩١٩ م بصرف رئيسه وأعضائه الثمانية ، إلا عضوين فقط للإشراف على داري الكتب والآثار . » (١) .

وحقيقة هذه الصعوبات التي واجهها الجمع العلمي في أول تأسيسه لم تكن بسبب الضائقة المالية فحسب ، بل إن الجو الذي كانت تعيش فيه الحكومة العربية يومئذ ، وكان مليئاً بالعواصف المندرة بالاحتلال الأجنبي ، لم يسهف رجالها بالتجاوب مع الأستاذ الرئيس فيما كان يراه من فوائد دعم الجمع بالمال الكافي ليستمر بالنشاط الذي بدأ به خطواته ، ولكن ما أن تم الاحتلال الفرنسي لسورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ م ، وما كاد الاستقرار النسبي يعود إلى البلاد ، حتى رأينا الأستاذ الرئيس يتسلم بتاريخ ٧ ايلول (سبتمبر) من السنة نفسها منصب وزير المعارف ، وهو لا يرى في تسلمه هذا المنصب إلا حياة الجمع الذي أسسه وقام بنشر دعوته بين علماء الشرق والغرب فهللوا له وصفقوا . وهكذا عاد الجمع إلى تنظيم جلساته وأخذ ينفذ السير نحو تحقيق أغراضه ، وكان الأستاذ الرئيس كان يردّ على خصومه وبمغضيه الذين عابوا عليه الاشتراك في حكومة ألفت عقب الاحتلال ، عندما قال في « المذكرات » : [... وكان من أثر حرصه عليه الابتعاد به عن السياسة ، فأصبح المعهد الوحيد في جميع أرض الانتداب يعمل حرّاً لا رقيب عليه ، ولا مستشار له يلي على من فيه إرادته ، وكان القرواني في الشام سيداً في كل مكان إلا في الجمع

(١) التقرير المجعدي الأول لسنة ١٩٢٢ .

العلمي العربي ، فإنه كان يزوره خاشعاً متواضعاً ، حتى لقد قال المفوض السامي الميسو يونسو ، وهو يزور الجمع مع المفوض السامي في فلسطين ، كلاماً في هذا المعنى وأن الفرنسيين في سورية يعلمون وفي الجمع العلمي يتعلمون] .

ويصف الأستاذ الرئيس متاعبه في سبيل الجمع قائلاً : [. . . لقيت الألاقي من الحكومات السورية في سبيل هذا الجمع العلمي ، كأنه كان بمض ملسكي ، وكان الأردنياء الحسدة يعرفون حرصي عليه فيضربونه ليضربوني ، ويمبثون بمصلحته ليؤذوني ، وذلك لأنه قام قبل أوانه ، على ما قال أحد رصفائي ، وكان لا يصدق أن في دمشق بجمعاً علمياً يعمل وبفيد ، بالنظر لما يعرف من قلة الاستعداد له في هذه البيئة الضيقة . على أن من قصصنا فالتهم كانوا راضين كل الرضى . .] .

ويؤكد الأستاذ الرئيس سهره الدائم على الجمع بقوله : [. . . وشهد الله أنني كنت أفكر في أنجع الطرق لإنجاحه ليل نهار ، مدة توليتي رياسته وما رأيت باباً يوصلني إلى النهوض به إلا طرقت ، ولطالما بذلت ماء وجهي لأناس ما كنت أتنازل للسلام عليهم من قبل ، حتى استهديت له المخطوطات والماديات ، وكنت أقتصد من موازنته القليلة مالا أذخره لأموار تنفعه في المستقبل ، وأحاول إعلاء مكانته بين علماء الشرق وعلماء المشرقيات . .] .

لقد كان الأستاذ الرئيس كرد علي حركة الجمع العلمي الدائمة ، كما كان راعيه وموجهه ، يخطب ويحاضر في ردهته في الاحتفالات والمواسم المجمعية وكلما قلّ الأساتذة والمحاضرون ، وينشر في مجلته المقالات الممتعة ، ويعرّف الكتب الجديدة ، ويعلق على المقالات التاريخية والأدبية ، حتى يمكن أن يقال بأنه كان أكثر المجمعين أثراً فيما حققه الجمع أو نشره .

وظل الأمر على هذه الحال ، حتى كان منتصف عام ١٩٣٢ م ، يوم ترك الأستاذ الرئيس منصب وزارة المعارف فكتب وزير المعارف الجديد كتاباً بتاريخ ١٩٣٢/٦/٢٨ يطلب فيه من المجمع العلمي انتخاب رئيس جديد له نظراً لانتفاء مدة رئاسة الأستاذ محمد كرد علي وهو في منصب وزير المعارف ، وبقاء المجمع يدار من قبل نائب الرئيس ، وقد اجتمع مجلس المجمع بتاريخ ٢٤ آب (أغسطس) ١٩٣٢ م فأجمع الأعضاء على تجديد الرئاسة للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، كما انتخب كل من الدكتور أسعد الحكيم والأمير مصطفى الشهابي ليضاف اسمهما إلى اللائحة التي أوجب القانون رفعها للوزارة لتختار منها الرئيس (١) . وبتاريخ ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٣ إيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٢ م صدر مرسوم جمهوري بتجديد تعيين الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ونيساً للمجمع العلمي العربي لمدة خمس سنوات اعتباراً من ١٦ حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢ م ، وبعد فترة من هذا التعيين ، وكان نظام الحكم في سورية قد دخل عليه بعض التعديل ، تسلم الحكم رجال ، كان بعضهم لا يبادل الأستاذ الرئيس عواطف الود أو التقدير ، فاعتزل إدارة المجمع ، وكانت فترة تمثرت خلالها أعماله ، وتوقفت عن الصدور مجلته لمدة تقارب أربع سنوات ؛ كل هذا بسبب اضطراب الأحوال السياسية في البلاد وفقدان الاستقرار فيها ، حتى كانت سنة ١٩٤١ م ، ويجدنا الأستاذ الرئيس عما تم في هذه السنة قائلاً : [وتجددت همه بعض أعضاء المجمع في أول سنة ١٩٤١ لإعادته إلى سابق عهده ، ونشطوا لتحقيق غرضهم لما رأوا زيادة في وفر الدولة بضعة ملايين ليرة سورية اقتصدت بفضل حكومة مجلس المديرين وكان بعض الرصفاء كثيراً ما يمرض في العهد

(١) انظر ص ٧٧٢ من المجلد ١٢ من مجلة المجمع لسنة ١٩٣٢ .

الأخير أني بالقاء الجبل على الغارب قد أعملت الجمع حتى كاد يقضى عليه أهد الدهر ، وأن نفرتي من بعض الرصفاء تبعد الجمع من الوصول إلى هدفه الاسمي ، فنزلت علي إرادتهم وأزالت الخلاف ودعوت الأعضاء كلهم ودعوت معهم صديقي السيولافاستر مندوب المفوض السامي ومعاونيه ومدير المعارف العام . وبعد أيام فافوض رئيس مجلس المديرين الأستاذ بهيج الخطيب صديقي الأستاذ عبد الطيف الشطي مدير المعارف في معنى إءادة الجمع وتقررت مفاوضاتي ، فجاء الأستاذ الشطي يزورني في داري ويعرض علي إذا كنت مستعداً إلى الرجوع لرياسة الجمع ، فأجبتة بالإيجاب ، فجرى الانتخاب والانتخبي رصفائي بالإجماع المطلق ، وعدت فاستلمت الزمام يوم ١٦ آذار سنة ١٩٤١ (١) .

لقد عاد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى رياسة الجمع من التاريخ الذي أشار إليه ، وعادت المجلة إلى الصدور بمجلدها السادس عشر بدءاً من أول سنة ١٩٤١ م نفسها بعد احتجاب دام ثلاث سنين كاملة ، واصلة ما انقطع من جهادها في خدمة العربية بفضل من الغياري عليها ممن مهدوا لعودة الأمور إلى نصابها ، وكان من آثار هذه العودة أن احتفل الجمع بافتتاح موسم محاضراته في تلك السنة احتفالاً منقطع النظير بتاريخ ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ م حضره رئيس الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الحسي وأركان حكومته ، وقد ارتجل رئيس الجمهورية في مستهل كلمة شكر علي ترحيب الأستاذ الرئيس به واعداداً برعاية الحركة العلمية والاهتمام بالشؤون الجمعية ملئاً افتتاح موسم المحاضرات الجمعية (٢) . وهكذا أخذ الجمع من

(١) انظر المذكرات ج ١ ص ٢٨٥ .

(٢) انظر المجلة مج ١٦ ص ٤٩٨ .

سنة ١٩٤١م يعاود سيرته الأولى ، بهمة ونشاط فائزين ، ينفذ خطواته بفضل جهود مؤسسه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الذي ظل يقوم بما عرف عنه من حيوية واندفاع ، على تحقيق أغراضه غير عابئة بالعقبات التي التي أخذ نفر من رجال السياسة يضمها في طريقه .

لقد ظل الأستاذ الرئيس وفياً للنبذة التي غرسها يديه يتعهد بها صباح مساء متعاوناً مع وصفاء له ، معترفاً بفضلهم في معاونته ، فهو يصفهم في مذكراته قائلاً : [عملوا معي بدون أن يتوقعوا مكافأة على عملهم ، فخدموا العلم والآداب أجل خدمة] حتى وافاه الأجل تغمده الله برحمته .

واليوم وقد كبرت هذه النبذة واستطالت وأصبحت في الخمسين من سني حياتها ، وغدت دوحة باسقة وارفة الظلال تقيها كل من سلك سبيل خدمة العربية ، كما ركن إلى ظلها كل محب لآداب العرب وتاريخهم المشرق المجيد ، نبهل إلى العلي القدير مستمطرين شآبيب رحمته على من توفي من أوائك الأعلام الذين شاركوا الأستاذ الرئيس جهوده الجبارة في سبيل إقامة صرح هذا المجمع العظيم ، ونسأله أن يعد بحياة الباقيين منهم على العهد .

وليس أبلغ من وفاء الأستاذ الرئيس لرفصائه أعضاء المجمع العلمي عندما سجل في مذكراته فضلهم فقال : [نجح مجمع دمشق لأن أعضاءه أخلصوا في خدمته منذ وضع أساسه ، وكثيراً ما كان بعضهم يقرظني ويحجر بعلمي فيه ، فأقول لهم مخلصاً ، إن المجمع مدين لأعضائه مثل أخي فارس الخوري أنشأه معي وحماء من تمجعات السياميين الأغنياء ، والسيد فارس لا يحتاج إلى تعريف بعد أن ثبت في مؤتمرات الدول العالمية أنه رجل الدول العربية في السياسة ... ولجميع الأعضاء الذين عملوا معي في دمشق منذ إنشائه كطاهر الجزائري ومسعود الكواكي وسليم البخاري وعبد الله وعد

وسليم عنحوري وعبد النادر المبارك من الأموات ، وأسعد الحكيم وسليم الجندي ومرشد خاطر وجعفر الحسني وخليل مودم بك وجميل صليبا وحسني سبيع وشفيق جبري وعارف المنكدي ومصطفى الشهابي وعبد القادر المغربي وعمن الأمين ومحمد بهجة البيطار ، وهم في الغاية علماء وغيره على خدمته .. (١)] .

وعندما فكرت الحكومة المصرية بإنشاء مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٢ م ، اختارت الأستاذ الرئيس كرد علي عضواً عاملاً فيه ، وقد شارك في أعمال المجمع منذ بدأت ، وكان عضواً في كثير من لجانه ، وألقى في المجمع ونشر في مجلته عدة بحوث وكمالات ، من ذلك رده على اقتراح الأستاذ أحمد أمين في تبسيط قواعد اللغة العربية وتسكين أواخر الكلم ، كما قدم للمجمع رداً على اقتراح تيسير الكتابة العربية للأستاذ علي الجارم (الدورة ١٠ الجلسة ١١) ، وكذلك رده على الأستاذ عبد العزيز فهمي في اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية (الدورة ١٠ الجلسة ١٥) .

ولقد عرض الأستاذ الرئيس في « المذكرات » ، لذكر موقفه من الاقتراحات المذكورة ، فقال وكأنه يدافع عن قسوته في الرد عليها : [عرضت على المؤتمر ثلاث مسائل كبرى إذا أفرها يدخل التبلبل في اللغة العربية .. والاقتراح الثالث وهو أعظم الاقتراحات ضرراً باللغة ، اختيار الحروف اللاتينية لكتابة الحروف العربية ، وبذلك يقضى على تراث ألف وخمسمائة سنة ولا يأتي جبل واحد على المسلمين حتى ينسوا القرآن] . وكان الأستاذ الرئيس قد قال في ختام رده على اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية : [نحن لا نملك بوجه من الوجوه إدخال جديد مضر ، يكون منه القضاء على

قديم مقدس . هذه الحروف هي ملك الشعوب الإسلامية كلها اختارها ثلاثمائة مليون من المسلمين ، إذا أبطلت تحسر مصر ويحسر العرب ويحسر المسلمون [.
 وصدق الأستاذ الرئيس ما عاهد الله عليه من خدمة العربية أمّ اللغى ،
 متمهداً بمجموعها الأول في دمشق بالرعاية والتمكين له ، مشاركاً في مجموعها الثاني في القاهرة ، بإذلاً جهده في خدمة اللغة والدفاع عن سلامتها ، حتى اختاره الله إلى جواره سنة ١٩٥٣ م ، غفر له وأجزل ثوابه وأنزله دار الأبرار من عباده .

وقد بكى بجمع دمشق فقيده الكبير يوم مات بدمع غزير ، ورثاه باسمه بخطاب بليغ مؤثر الدكتور منير العجلاني . وأثبتت مجلة المجمع نعيه في الصفحة ٣١٩ من مجلدها الثامن والعشرين . وقام الدكتور سامي الدهان بترجمته ترجمة وافية نشرت في الصفحة ٢١١ من المجلة في مجلدها الثلاثين ، وأوردت في كتيب خاص من مطبوعات المجمع .

كما نعام بجمع القاهرة ، وأقام له حفلة تأبين كبرى بتاريخ ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٧٣ هـ الموافق ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤ م . وألقى فيها كلمة المجمع في رثاء فقيده الغالي الأمين العام الدكتور منصور فهمي .

الأستاذ الرئيس بفلم زملدء المجمعين

رسم الدكتور سامي الدهان بريشة الأديب المبدع صورة رائعة للأستاذ الرئيس فقال : [لقد كان - رحمه الله - حركة لا تهدأ في الكتابة والتأليف ، وكان لسانه لا ينقطع عن حديث عذب متصل ، ونكتة بارعة تسبق نكتة بارعة ، ضحكة يطلقها لتلحق بضحكة تسبقها ، وقهقهة لطيفة يعيل لها جسمه ، وتفرج أساريره ، فكأن عينيه الشهلأوين تبسمان من وراء نظارتيه ، ووجهه الأبيض المشرق يجرم بالسرور والنضرة . ذلك أنه يحب الطرب والموسيقا

والجمال ، وبمشق الحكاية والفصاحة والمنكبة ، ويهمهم بالجلس اللطيف والعشرة الصافية ، فيفيض بالسحر الخلال من جمل الدعابة والتجيب ، وتقلب نفسه الكبيرة في دقائق إلى براعة الطفل وسحر السذاجة ، فيخيل إليك أنه أول مرة يضحك فيها بعد طول عبوس ، وتستطيع حينذاك أن تطلب فتجاب ، وأن تقول فيستمع إليك ، على أن تلتطف في الحديث ، وتبتعد عن السفساف في القول ، فإن كنت لا تملك شيئاً من هذا فاسكت] .

وقال الدكتور كامل عياد ، وهو يحتل كرسي الأستاذ الرئيس في مجمع دمشق : [كان الأستاذ محمد كرد علي من الأفذاذ النابغين الذين يمثلون جيلهم أحسن تمثيل ويمبرون عن مشاعره بأفصح لسان . لقد أخذ عن الجيل الذي قبله خلاصة ثقافته وأضاف إليها الكثير من المعلومات والمفاهيم عن طريق المطالعة والدراسة الشخصية . وقد تأثر بالتيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي سارت في مختلف أدوار حياته فلم يتردد في أن يخوض غمارها ويلعب دوراً هاماً فيها . وبذلك كان له تأثير عميق في أبناء جيله والجيل الذي بعده . .

لم يكن الأستاذ محمد كرد علي صلة الوصل بيننا وبين الجيل الماضي ، جيل محمد عبده وطاهر الجزائري فحسب ، بل أيضاً بين عصرنا والعصور الغابرة من تاريخ العرب والإسلام التي أعادها إلى الحياة في كتبه وكشف لنا عن روعتها وهدانا إلى معرفة حقيقتها وجوهرها] .

وقال الدكتور منصور فهمي بؤن الأستاذ الرئيس في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، واصفاً آثاره : [إن في كتب كرد علي المدونة بأسلوب متناسق وسهل وفخم ، والمستخرجة من أمهات المراجع ، والمستقطرة من الأسانيد والأسفار التي لا تتداولها الأيدي ، ما يدل على واسع علمه ،

وعلى موهبته في صناعة الكتب، وأن رصيده في ذلك ضخم تغز به المكتبة العربية، ويفيد منه المشغوفون بالقراءة والاطلاع، ويفخر به مؤلفه وناشره [.

وقال الرئيس الأمير مصطفى الشهابي، وهو يحتل كرسي الأستاذ كرد علي في مجمع القاهرة: [كان الأستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر، فقد امتاز بأسلوب سهل وشيق وبيان ناصع مشرق. وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يجولوا بمثل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الأستاذ نصف قرن من الزمن حائلاً شباب الشام على العلم، باحثاً عن تراث الأجداد الأدبي، مدافعاً عن المدنية العربية والاسلامية، داعياً إلى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية] .

وقال الأستاذ شفيق جبوري يصف أسلوب الأستاذ الرئيس كرد علي وبيانه: [لا ريب في أن بيان محمد كرد علي أبرز ناحية من نواحي عبقريته، فكيف اهتدى إلى هذا النمط من البيان، لقد اختتمت في صدره أساليب بلغاء العرب وأمراء الكلام، فالأسلوب الذي صوّر به جملة من تاريخنا وأخلاقنا وعاداتنا وطبائنا واجتماعنا وأدبنا، إنما هو خلاصة أساليب عبد الحميد وابن المقفع والمجاطظ وابن عبد ربه من أئمة الأدب، والغزالي وابن خلدون وأضرابها من رجال الفلسفة والاجتماع وامعران . اختتمت أساليب هذه الطبقة في ذهنه بمد ممارسة طويلة لمذاهب بيانهم وبعد إعمال الروية في محاسن بلاغتهم وملء الفكر من روائع فنههم ولغتهم، فنشأ عن هذا الاختيار أسلوب خاص بكرد علي فيه آثار كثيرة من روح هذه الطبقة من البلغاء الذين عاشروهم وخالطهم كل حياته، وقد تناسقت هذه الآثار تناسقاً بديعاً وانسجمت انسجاماً غريباً بحيث تكاد تضيع علينا مصادرها، فقد تجتمع في بعض

الأحياء في أسلوب كرد علي بلاغة الجاحظ وطبع ابن المنفع وسهولة الغزالي وابن خلدون فتلتحم هذه الأمور التحاماً محكماً متقناً فلا نجد فيها إلا السهولة والبساطة ، ومثلها في ذلك كمثل الشعاع من الشمس ، فإذا إذا نظرنا إلى هذا الشعاع فلا نرى إلا لونه الأبيض ولكننا إذا رددناه إلى أصوله وفككنا أجزائه اهتدينا إلى مختلف الألوان التي تؤلف الطيف الشمسي [.
وقل الأستاذ محمد بهجة الأثري ، يقدم للناس كتاب الآلوسي عن محمد كرد علي :

[الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رحمه الله ، .. أمة في وجل ..
أهله مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناء النهضة الحديثة وقادتها الكبار في بلاد العرب ، وسيرته مثال رائع لمضاء العزيمة ، وخلوص النية ، وصدق العمل ، وحب الخير ، وإرادة الإصلاح . نافح عن العروبة والاسلام ، ودعا إلى الحرية وقاوم الاستبداد ، وأجال قومه في ميادين مختلفة مستنهضاً واعيئاً على الحركة والإحياء والتجديد ، وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ والاجتماع والسياسة ببيان سهل ممتنع ورأي سديد ، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة ، وتحقيقاً جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع الله بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الانسانية] .

كتبه ومؤلفاته

ترك الأستاذ الرئيس ثروة ضخمة من الدراسات والبحوث والمؤلفات أغنت المكتبة العربية أي إغناء ، وفي آثاره المقالة وفيها المحاضرة وفيها الدراسة ، ومنها المترجم ومنها المحقق ومنها المؤلف ، وفي الكتب التي ترجمت للأستاذ الرئيس دراسات وافية لآثاره ، وفيما يلي ثبت بأهم المطبوع من آثاره :

- ١ — « خطط الشام » في ستة أجزاء من القطع الكبير ، طبع في دمشق سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٨ م ، وملخص بعض فصوله طبع في مصر سنة ١٩٥٤ م باسم « دمشق مدينة البحر والشعر » .
- ٢ — « الإسلام والحضارة العربية » في جزأين ، طبع في مصر سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ م ، وطبع ثانية في مصر سنة ١٩٥٠ . وطبعت بعض المحاضرات مما فيه في مصر سنة ١٩٣٤ باسم « الإدارة الإسلامية في عز العرب » .
- ٣ — « أمراء البيان » في جزأين طبع في مصر سنة ١٩٣٧ م ، وأعيد طبعه حديثاً في جزء واحد في بيروت سنة ١٩٦٩ م .
- ٤ — « كنوز الأجداد » طبعه المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٥٠ م .
- ٥ — « أقوالنا وأفعالنا » طبع في مصر سنة ١٩٤٦ م .
- ٦ — « غرائب الغوب » طبع للمرة الأولى في جزء ، وطبع للمرة الثانية في مجلدين بمصر سنة ١٩٢٣ م .
- ٧ — « القديم والحديث » طبع في مصر سنة ١٩٢٥ م .
- ٨ — « المذكرات » طبعت في أربعة أجزاء بدمشق سنة ١٩٤٨ — ١٩٥٩ م .
- ٩ — « غوطة دمشق » من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٩ م ، وصدرت طبعته الثانية سنة ١٩٥٢ م .
- ١٠ — « رسائل البلغاء » طبع في مصر لأول مرة سنة ١٩٠٨ ، وللمرة الثانية سنة ١٩١٣ ، وللمرة الثالثة سنة ١٩٤٦ م .
- ١١ — « سيرة أحمد بن طولون البلوي » طبع في دمشق سنة ١٩٣٩ م .
- ١٢ — « المستجاد من فعلات الأجواد للمحسن التنوخي » من مطبوعات المجمع العلمي في دمشق سنة ١٩٤٦ م .

- ١٣- «قاريغ حكام الإسلام للبيهقي» من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦ م .
- ١٤- «كتاب الأشربة لابن قتيبة» من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٧ م .
- ١٥- «البصرة في الصيد وآلاته» من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٧ م .

المصادر التي ترجمت له

- ترجم الأستاذ الرئيس نفسه في كتابين من كتبه ، كما ترجم له كثيرون وهذا ثبت بأهم ما أطلعنا عليه من المصادر :
- ١- «خطط الشام» له ج ٦ ص ٤١١ ، دمشق ١٩٢٨ م .
- ٢- «المذكرات» له ج ١ ص ٥ وفي مواضع أخرى فيه ، دمشق ١٩٤٨ م .
- ٣- «الأعلام» لخبر الدين الزركلي ج ٧ ص ٧٣ ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٤- «محمد كرد علي» لشفيق جبوري - محاضرات في معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٥- «محمد كرد علي» لسامي الدهان من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٥ م ومجلة المجمع ج ٣٠ ص ٢١١ .
- ٦- «محمد كرد علي» لجمال الدين الألومي من مطبوعات وزارة الثقافة العراقية، تقديم محمد بهجة الأثري بغداد ١٩٦٦ م .
- ٧- «الأدب العربي المعاصر في سورية» لسامي الكيال، من مطبوعات دار المعارف في القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٨- «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة ج ١٠ ص ١٦٢ ، دمشق ١٩٦٠ م .
- ٩- «المجمعيون» مطبوعات مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦٦ م .

- ١٠- « أعلام العرب في السياسة والأدب » ، لنافذ سلامة ج ١ ص ١٨٤ ، دمشق ١٩٣٥ م .
- ١١- « أعلام الفن والأدب » لأدهم الجندى ج ١ ص ٢٣٦ ، دمشق ١٩٥٤ م .
- ١٢- « الموسوعة العربية الميسرة » ص ١٤٥٠ من مطبوعات مؤسسة فوانككن ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٣- « المنجد في الأدب والعلوم » من مطبوعات المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، ١٩٥٦ م .
- ١٤- « من هو في سورية » لجورج فارس ص ٣٧٢ ، دمشق ١٩٤٩ م .
- ١٥- خطاب كامل عياد في المجمع العلمي العربي بدمشق مجلة مج ٣٤ ص ١٦٥ .
- ١٦- كلمة منصور فهمي في حفل التأبين ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مج ١٠ ص ١٩١ .
- ١٧- خطاب مصطفى الشهابي في مجمع اللغة العربية في مصر مج ١١ ص ٢٢٧ .
- ١٨- « تاريخ الأدب العربي الحديث » بالألمانية لكارل بروكلمان - الذيل الثالث ص ٤٣٠ - ٤٣٣ .
- ١٩- « قدماء ومعاصرون » لسامي الدهان ص ١٨٠ من مطبوعات دار المعارف في القاهرة ١٩٦١ م .



أمين سويد

١٨٥٥ - ١٩٣٦ م

نشأته ومبانيه

ولد محمد أمين بن محمد الدمشقي الشهير بسويد ، في دمشق سنة ١٢٧٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٥٥ م ، في أسرة دمشقية كان أفرادها يتعاطون التجارة والفلاحة ، وكان أبوه تاجراً ، وقد توفي وهو في رحلة إلى الديار الحجازية ، وابنه أمين دون العاشرة من عمره فكفله عم له ، وافتتح متجراً صغيراً لبيع الأقمشة عهد بإدارته لابن أخيه الصغير ، ولكن الشاب أهمل المتجر منصرفاً إلى طلب العلم ، فلم يجد العم مفرّاً من الرضوخ لرغبة ابن أخيه فوافقه على ترك التجارة ، مشجعاً إياه على طلب العلم والاستزادة منه ، فأخذ أمين سويد يتردد على علماء عصره يتلقى عنهم علوم العربية والدين حتى نبغ فيها ، ولكنه لم يكتف بما حصل عليه من علوم تلقاها عن مشاهير علماء الشام ، فرحل إلى مصر ، وكان في ريعان شبابه ، مدفوعاً بشغف حثيث إلى التمكن من مختلف علوم الشريعة ، وفيها دخل الجامع الأزهر وظل يتلقى العلم فيه متردداً على مشاهير علماء القاهرة زهاء خمس سنوات عاد بعدها إلى دمشق ، وابتدأ يلقي دروساً في الفقه وأصوله متبرعاً ، على عادة العلماء في ذلك العصر ، فذاع صيته واشتهر

اسمه ، واعترف له العلماء بالتمكن من علوم الشريعة ، وبالتفوق في أصول الفقه ، مما دفع الحكومة العثمانية إلى تكليفه بتدريس الفقه الحنفي في جامع درويش باشا بدمشق ، ثم لم تلبث حتى قدرت نبوغه ومنزلته العلمية فمنحته بعض الرتب العلمية المالية ، وغدت غرفته في دار الحديث بدمشق محجّ طلاب العلم .

وكان رحلة الشيخ أمين سويد إلى مصر في مستقبل حياته ، أورثته حب الارتحال ، استزادة للمعارف ورغبة في الاطلاع على أسس مختلف البلاد الإسلامية والوقوف على نشاط علمائها في نشر علوم الشريعة ، فقام برحلات عديدة إلى تركيا والهند ، كما رحل إلى إيران وبخارى ، وإلى اليمن ومختلف أصقاع الجنوب العربي ، وإلى المغرب وغيرها من البلاد الإسلامية ، وقد اشترك مع الداعية الإسلامي محمد علي زينل علي رضا في تأسيس مدارس الفلاح في الهند والحجاز .

وعندما قررت الحكومة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م فتح مدرسة في مدينة القدس لتخريج القضاة والمدرسين ، وأطلقت عليها اسم « الكلية الصلاحية » ، كان الشيخ أمين سويد في طليعة العلماء الذين اختارهم للتدريس في هذه الكلية ، وقام الشيخ بالمهمة التي عهد إليه بها على خير وجه ، حتى تم إغلاق المدرسة باحتلال الإنكليز فلسطين قبيل انتهاء الحرب ، فقفّل الشيخ راجعاً إلى مدينة دمشق .

وفي دمشق اختارته الحكومة العربية التي قامت سنة ١٩١٨ م ، عضواً في اللجنة الأولى للترجمة والتأليف ، وفي سنة ١٩٢٣ م عهد إلى الشيخ بتدريس أصول الفقه في معهد الحقوق العربي بدمشق ، وما أن بدأت نيران الثورة السورية الكبرى بالاندلاع سنة ١٩٢٥ م ، حتى أحس الشيخ برغبة تدفعه للرحيل عن دمشق ، فتركها مستصحباً أسرته وقصد لبنان ، وفي مدينة



الشيخ أمين سويد

صيدا أقام بضعة أشهر، ثم ارتحل عنها إلى شرقي الأردن وأقام مدة في مدينة جرش، ثم قصد فلسطين وأقام في مدينة الخليل مجاوراً المقام الإبراهيمي، ثم كلف بالتدريس بدار المعلمين في مدينة القدس فانتقل إليها.

وبعد مدة أقام أمين سويد خلالها في فلسطين كلف بالتدريس في مكة المكرمة، فأقام فيها سنة ١٩٢٨ - ١٩٢٩ الدراسية، ثم غادرها إلى الهند للاشراف على مدارس الفلاح فيها وللتدريس في مدرسة بومباي، ماراً بدمشق لقضاء فصل صيف عام ١٩٢٩ م فيها، ثم قضى صيفاً آخر في دمشق ليرحل إلى الهند رحلته الأخيرة، فلما عاد مجدداً إلى دمشق أحس برغبة تدعوه للاستقرار فيها، فعاد إلى التدريس والوعظ في مسجد زيد بن ثابت الشهير، ولم ينقطع عن ذلك مدة تقرب من ثلاث سنوات، إلا ثلاثة أيام، اختاره الله إلى جواره في ثالثها وكان في العشرين من شعبان سنة ١٣٥٥ هـ الموافق لسنة ١٩٣٦ هـ فشيخته دمشق بآتم حافل إلى مثواه الأخير في الباب الصغير.

أمين سويد الجمعي

كان الشيخ أمين سويد من الأوائل الذين فكرت الحكومة العربية عندما قامت في دمشق إثر جلاء الأتراك عنها، أن تعهد إليهم بمهمة العناية بالعربية في الدوائن الحكومية وبنشر الثقافة العربية بين موظفي الدولة وبوضع المصطلحات العربية للكلمات التركية المتداولة بينهم، فمينته بتاريخ ٢٨/١١/١٩١٨ م عضواً في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف مع أربعة آخرين من العلماء الذين كانوا فيما بعد أعضاء في (ديوان المعارف) ومن مؤسسي المجمع العلمي العربي لما انقلب هذا الديوان بتاريخ ٨/٧/١٩١٩ إلى مجمع علمي.

وشارك الشيخ أمين سويد زملاءه أعضاء المجمع العلمي في رسم النهج الذي اختطه المجمع لنفسه لتحقيق أغراضه في خدمة العربية والنهوض بها،

ولما غادر دمشق سنة ١٩٢٥ م تخلّى عن العمل المجعّم ، واعتبر في عداد الأعضاء المراسلين حتى توفي رحمه الله .

مؤلفاته العلمية وأعماله

بلغ الشيخ أمين سويد القمة بين علماء عصره في المشاركة بأنواع عديدة من العلوم الدينية ، كعلمي التوحيد والفرائض ، كما تفرد في علوم البحث والمناظرة والأصول ، إلا أن علم التصوف - وكان من التبحرين فيه - طبعه ، كما طبع كبار علماء الشام المعاصرين له ، بطابع الزهد في التأليف والبعد عن الشهرة ، وعندما كلف بالتدريس في معهد الحقوق العربي ، اضطر إلى تدوين خلاصات عن ما كان يحاضر به ، ولكن لم أوفق للمثور عليها وقد عثرت في مكتبة أحد أولاده على المخطوطتين التاليتين :

١ - « تسهيل الحصول على قواعد الأصول » ، وهو عبارة عن رسالة موجزة تشتمل على قواعد وضوابط في علم أصول الفقه ، رتبت على مقدمة في مبادئ العلم وسبع مقالات وخاتمة في العقائد الدينية وجل من الأخلاق الماثورة حوت على إشارات لطيفة تدل على ما كان مؤلفها رحمه الله متمتعاً به من أخلاق رضية مطبوعة بطابع الزهد والتصوف . والرسالة في قرابة المئة صفحة اطلعت عليها بنفسي وهي واضحة العبارة من السهل الممتنع ، وقد كتبها المؤلف بخطه وختمها بقوله : [قد تمت هذه الرسالة بمون الله في يوم الجمعة العاشر من ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين بمد الألف والثلاثمائة في وادي معربة وهي قرية من قرى دمشق الشام ، ولسأله حسن الختام] .

٢ - « علوم القرآن وأصوله » ، وتقع في عشرين كراسة تقريباً ، وقد اطلعت على مقدمتها ، وهي في خمسين صفحة تقريباً بغير خط المؤلف ، يقول في

مستهلها : [هذه مقدمة محتوية على جملة من علوم القرآن وأصوله على سبيل الإجمال والاختصار ، مأخوذة مما جمعه الإمام السيوطي في كتابه « الإقتان » ، وقد أوصلها إلى ثمانين نوعاً ، مع إدماج بعضها في بعض ، مع زيادات انتخبها من كتب المحققين] وتبين لي أن الثمانين نوعاً التي جمعها الإمام السيوطي قد اختصرها الشيخ أمين سويد إلى سبعة وأربعين نوعاً .

وقد أعلمني ابن الشيخ أن والده عكف عند إقامته في فلسطين ، على تدوين كتاب في تاريخ « مدينة القدس » من أقدم العصور ، ولكن مخطوطة هذا الكتاب فقدت خلال إحدى رحلات الشيخ المتعددة .

مصادر ترجمته

لم اعثر على ترجمة وافية للشيخ أمين سويد في مصدر مطبوع ، وقد اعتمدت في ترجمته هذه على معلومات زودني بها ابنه الأستاذ محمد ياسين سويد ، وعلى بعض الوثائق التي أطلعني عليها ، وقد وجدت إشارة مقتضبة إلى الشيخ في :
١ - « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ج ٣ ص ١٣ .

٢ - « منتخبات التواريخ لدمشق » للمهندس أديب تقي الدين الحصري

ج ٢ ص ٨٨٧ دمشق ١٩٢٨ م .



أنيس سلوم

١٨٦٢ - ١٩٣١ م

مبانيه ودراسه

ولد أنيس بن ناصيف سلوم في مدينة حصص، من أسرة حصية غسالية الارومة، وذلك سنة ١٨٦٢ م الموافقة لسنة ١٢٧٨ هـ ، وفيها بدأ بتلقي مبادئ التعليم الأولي ، ولما شارفت سنة ١٨٦٩ م على نهايتها فوجئ أنيس بانتقال أسرته إلى مدينة حماة ، حيث أسندت إلى أبيه مهمة تبشيرية تستدعي العمل على تأسيس كنيسة إنجيلية لأول مرة ، وأخذ الصغير يتابع تلقف العلوم الابتدائية في بيته وعلى أبيه واعظ الكنيسة الإنجيلية المحدثه ، ولكن رغبته في متابعة تعليمه الثانوي ، وظهور معالم النجابة فيه ، دفعت أباه إلى إرساله سنة ١٨٧٥ م إلى مدرسة (عبيدة) في جبل لبنان . وفي هذه المدرسة بدأ أنيس سلوم يتلقى تعليماً مدرسياً نظامياً استطاع معه أن يتقن علوم العربية ويلم بمبادئ اللغة الإنكليزية ، ولما تخرج من المدرسة سنة ١٨٧٧ م كانت بوادر نبوغه قد تجلت في حفظه الكتاب المقدس .

عاد أنيس سلوم إلى حماة ليتعاطى مهنة التعليم في إحدى المدارس الابتدائية التي عمل مع والده على تأسيسها ، وكان إلى جانب التدريس يتابع تعلم

الإنكليزية ، استعداداً للاتحاق بالمدرسة البروتستانتية السورية في بيروت (الجامعة الأميركية) ليتم فيها دراسته ، ولكن المنية داهمت أباه الواعظ الإنجيلي سنة ١٨٧٩ م ، فلما وُجد غيره ، وكان قد اشتهر بثقافة إنجيلية واسمة ، ليحل محله في الوعظ ، فصعد أنيس منبر الكنيسة يعظ أفراد الطائفة الإنجيلية ، وهو فتى يافع ، على أنه لم ينس الاستزادة من العلم ، فظل يتابع الدراسة والتحصيل ويطلع على آداب اللغة العربية وتاريخها ، ويجهد في حفظ سور من القرآن الكريم لزيادة تمكنه من العربية ، حتى اشتهر بين الناس بالتضلع في علم اللغة ، وبامتلاك ناصيتي النظم والنثر والقُدرة على الارتجال .

وفي سنة ١٨٨٣ م انتسب أنيس سلوم إلى مدرسة في لبنان تعلم (اللاهوت) لزيادة حظه من هذا العلم وتمهيداً لاختياره راعياً للكنيسة الإنجيلية في حماة ، فلما عاد إليها ، بعد سنة أتم خلالها دورة أهله للمنصب الذي كان بطمع فيه ، عين راعياً لتلك الكنيسة ، فقام بخدمتها على خير وجه ، حتى كانت سنة ١٨٩٥ م ففيها اضطر أنيس سلوم إلى مغادرة حماة تاركاً منصبه الديني لاجئاً إلى قرية (بشمزين) من أعمال الكورة في جبل لبنان ، مبتعداً عن مضايقة السلطات المحلية له بعد أن وفد على حماة متصرف جديد كان يضمّر له شراً لشعر نظمه ممتدحاً به أحد خصومه يوم كان متصرفاً على مدينة عكا من أعمال فلسطين .

وفي قرية بشمزين تابع أنيس سلوم نشاطه في الحقلين الديني والأدبي بالقدر المستطاع ، فلما كانت سنة ١٨٩٧ م دعت الطائفة الإنجيلية في دمشق إلى رعاية كنيستها ، فانتقل إليها يتولى الشؤون الطائفية فيها ، ولم تنص عليه مدة حتى عرفته دمشق كلها خطيباً جهوري الصوت في المحافل السياسية



الاستاذ أنیس - لوم

والوطنية ، ومتكلماً يحسن الحديث في الندوات العلمية والأدبية ، فضلاً عن شهرته في الوعظ والإرشاد في الكنيسة الإنجيلية . سمى **أمير البيان الأمير شبيب أرسلان** يخطب مرة في حفل أقيم بدمشق في حزيران سنة ١٩١١ م ، فكتب الأمير في جريدة « المقتبس » يصف الحفل وكان مما كتبه عن أنيس سلوم قوله : [.. وأما الخطيب الأنيس فهو خطيب فطورة وواعظ طبعاً ، لو أطلال أكثر مما قال لما أملّ سامعاً ، وقد كنت ترى أحياناً من الفصاحة في إشاراته ما يباري الفصاحة في عباراته إن لم يزد عليها . ولذلك أطرب الحضور نظمه فضلاً عن مرسله ، وصفت له الأيدي تصفيقاً ..] .

وفي سنة ١٩٠٩ م انتخب أنيس سلوم نائباً في **المجلس العمومي لولاية سورية** عن مدينة حماة ، ثم تكرر انتخابه عدة مرات ، وفي ربيع سنة ١٩١٦ م ، وكانت نيران الحرب العالمية الأولى قد اندلعت ، وخضعت سورية للحكم العسكري المباشر ، قام قائد الجيش العثماني الرابع ، بنفي كثير من رجالات البلاد الوطنيين والسياسيين إلى بلاد الأناضول ، وكان أنيس سلوم واحداً من المنفيين إلى مدينة (توقات) من أعمال ولاية سيواس ، وظل منفيّاً إلى منتصف سنة ١٩١٨ م يوم صدر عفو عام عن المنفيين السياسيين ، فعاد أنيس إلى دمشق ، قيل جلاء الأتراك عنها ، ولما تألفت الحكومة العربية فيها ، عينته مشرفاً على لغة الدواوين ثم عضواً في الشعبة الأولى للتأليف والترجمة ، كما عاد راعياً للكنيسة الإنجيلية ، وخطيباً لسنناً ومحاضراً حلو الحديث في مختلف المحافل والندوات ، حتى إذا ما كانت سنة ١٩٢٦ م اعتلت صحة أنيس سلوم فخف نشاطه ، ورغب في اعتزال الوعظ في الكنيسة والتزام البيت .

وبتاريخ ١٩٣٠/١١/٧ أقامت الكنيسة الإنجيلية بدمشق حفلة كبرى تكريماً لواعيها السابق . وكانت حفلة مشهودة تناسبت مع مكانة الأستاذ

أنيس سلوم العلمية والأدبية ، تجلت فيها عواطف الناس نحو من كان يبذل جهده في سبيل خدمتهم ، وظل أنيس سلوم ملتزماً ببيته إلى أن وافاه الأجل في العاشر من شهر كانون الأول سنة ١٩٣١ م الموافقة لسنة ١٣٥٠ هـ ، فدفن في دمشق يوم الجمعة في ١١/١٢/١٩٣١ م بمآتم حافل ضم رجال الحكومة ورجالاً مختلف الطوائف ، وكثيراً من العلماء والمفكرين يتقدمهم زملاؤه أعضاء المجمع العلمي العربي .

أنيس - لوم المجهي

عندما تألفت أول حكومة عربية في دمشق ، إثر جلاء الأتراك عنها سنة ١٩١٨ م ، كانت العناية بلغة الدواوين وتصحيح أساليب المراسلات الحكومية ، في طليعة المهام التي تطلعت إلى القيام بها ، وقد وجدت في الأستاذ أنيس سلوم خير من يكلف بالمهمة المذكورة ، فعمدت إليه بالإشراف على لغة الدواوين ومراقبة المراسلات الرسمية من حيث إنشائها ، والعمل على إرشاد الشباب من موظفي الحكومة إلى الفصحى من الأساليب والصحيح من العبارات .

وأخذ الأستاذ أنيس سلوم يجمع شباب الموظفين في غرفته بدار الحكومة ، ويملي عليهم أمالي في قواعد اللغة العربية وأصول الإنشاء ومبادئ البلاغة والبيان . ولكن الحكومة لم تلبث أن عرفت بأن المهمة التي ألقها على عاتق الأستاذ أنيس سلوم مهمة عسيرة تحتاج إلى جهود آخريين معه ، فعمدت بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ م إلى تأليف الديوان الذي أطلقت عليه اسم (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) واختارت لعضويته الأستاذ أنيس سلوم مع أربعة آخرين من العلماء ، ثم عمدت بتاريخ ١٢ شباط

(فبراير) ١٩١٩ إلى تحويل الشعبة المذكورة إلى (ديوان للمعارف) كان نواة
المجمع العلمي العربي .

وقام الأستاذ أنيس سلوم مشاركاً زملاءه أعضاء المجمع العلمي المؤسسين ،
يعمل على تحقيق الأغراض التي أنشئ من أجلها ، وضمن النهج الذي اختطوه
لأنفسهم ، وقد شغل نيابة رئاسة المجمع في دورة ١٩٢٣ م ، وأدار المجمع فترة
من الزمن خلال غياب الأستاذ الرئيس ، وكان في مقدمة الأعضاء حيوية
ونشاطاً ، رثاه نائب رئيس المجمع الشيخ عبد القادر المغربي يوم وفاته ،
فكان مما قاله :

[.. كانت معارف الأستاذ سلوم اللغوية وذوقه الصحيح في الفصح
من كلماتها وأساليبها ثروة المجمع أفادته في ما هو بسيله من خدمة اللغة
وإصلاح أغلاط الكتاب ووضع كلمات جديدة تفي بحاجة الاصطلاحات العلمية
والفنية والإدارية ..]

كما رثاه من زملائه المجمعين الأستاذ فارس الخوري فقال :
[... وله في ناحية اللغة ، التي كان معدوداً بين علمائها الثقات ،
منزلة من التدقيق والتحقيق قلما بلغها تحرير غيره من المعاصرين ، فقد كان
رحمه الله مرجعاً موثوقاً به في ضبط الألفاظ وصحة التركيب وسلامة
الإعراب وحفظ المفردات . مع مهارة غريبة باستحضار الكلمات ووضعها
في مواضعها بطلاقة فادرة ، وسبك متين والنسج رائق ..] .

آثار أنيس سلوم العلمية والأدبية

عندما بدأ الأستاذ أنيس سلوم حياته العلمية معلماً ، صنّف عدداً من
الكتب المدرسية المختصرة في علوم الصرف والنحو والبيان والنطق والاقتصاد

والاجتماع والفلسفة، ولكن عندما مع نجمه في عالم الوعظ والخطابة والشعر،
 أهل الواعظ والخطيب والشاعر، جمع مواعظه أو خطبه لكثرة المرتجل فيها،
 كما أهل جمع شعره على وفرة الجيد فيه (١)، على أن أحد خلفائه في الرعاية
 الكنيسة الإنجيلية بدمشق، تمكن من جمع طاقات ونبد من كل ذلك،
 مع ما قيل في حفلة تكريمه عند اعتزاله منصبه، وما قيل في رثائه عندما توفي.
 هذا وكان أنيس سلوم قد ألقى في ردهة المجمع العلمي عدداً من
 المحاضرات الأدبية والاجتماعية، وقد نشرت بعض محاضراته في الجزء الأول
 من [محاضرات المجمع العلمي العربي] المطبوع في دمشق سنة ١٣٤٣ هـ -
 ١٩٢٥ م، والمنشور من هذه المحاضرات هو :

(١) كان أنيس سلوم يعد في عصره من الشعراء المجيدين، ونحن نجد اليوم فيما يروى
 عنه كثيراً من المقطوعات والأبيات التي تدل على نفس شاعرية رقيقة، كما نجد له
 كثيراً من المساجلات الشعرية مع كثير من علماء أو شعراء عصره، وكلها مطبوعة
 بطابع ذلك العصر، على أن أهم ما امتاز به أنيس سلوم هو الشعر المصنوع،
 إذ كان يحسن التشطير والنظم والنظير والتشجير والتأريخ وغير ذلك من الصناعات
 الشعرية التي كانت شائعة يُبتغى بها، وكان لأنيس سلوم في كل هذه الصناعات
 باع طويل يدل على تمكن من اللغة وسعة مفرداتها لديه، من ذلك بيتان نظمهما
 يؤرخ فيهما وفاة والده قال :

لما مضى من هذه الدنيا أبي وضعت أبكي صارخاً يا والد
 ناداني التاريخ : كفت عن البكا فأبوك في دار السعادة خالد

سنة ١٨٧٩ م

ومنه بيت ارتجله مؤرخاً به وفاة (فضيلة) ائمة زميله المجمع الشيع عبد القادر
 المغربي قال :

علمتها التفوى فثالت أجرها وتلك في تاريخها (فضيلتك)

سنة ١٣٤٠ هـ

- ١ - « العلم » محاضرة أُلقيت في ٢١/٧/١٩٢١ م ، وجاءت في الكتاب في ١٧ صفحة من القطع الكبير .
- ٢ - « العمل بالعلم » محاضرة أُلقيت في ٢٤/١١/١٩٢١ م ، وجاءت في الكتاب في ٢١ صفحة من القطع الكبير .
- ٣ - « الكتب والمطالعة » محاضرة أُلقيت في ٢٧/١٠/١٩٢٢ م ، وجاءت في الكتاب في ٢١ صفحة من القطع الكبير .
- كما حوت مجلة التجمع في مجلداتها الخمسة الأولى الصادرة قبل سنة ١٩٢٦ م ، نبذاً عديدة بقلم الأستاذ أنيس سلوم في تعريف ونقد بعض الكتب الحديثة .

مصادر ترجمته

- توجد ترجمة الأستاذ أنيس سلوم في كل من الكتب التالية :
- ١ - « ذكرى أنيس سلوم » وهو كتاب جمعه شاكر الدبس وقد أشرنا إليه آنفاً ، وطبع في دمشق سنة ١٩٣٤ م ، وفي الكتاب إشارة إلى أن الترجمة منقولة بتصرف عن كتاب « مشاهير حمص » تأليف وجيه وهبة الخوري ، وأنه قيد التأليف ؟
- ٢ - « أعلام الأدب والفن » لأدم الجندي ج ١ ص ٥٠ .



سعيد الكرّمى

١٨٥٢ - ١٩٣٥ م

نشأته ومبائه

في سنة ١٢٦٧ للهجرة الموافقة لسنة ١٨٥٢ للميلاد ، ولد في مدينة (طولكرم) من أعمال فلسطين سعيد بن علي الكرّمى ، في أسرة فلسطينية ، جدّها الأول هاجر إلى فلسطين من مصر ، وكان من أفراد قبيلة من عوب اليمن رافقت عمرو بن العاص إبان الفتح الإسلامي لمصر ، ثم استوطنت إقليم « محافظة الشرقية » منها .

تلقى سعيد الكرّمى تعليمه الأولي في طولكرم ، ثم بعثه والده إلى مصر للاتحاق بالجامع الأزهر ، وفي هذا الجامع تلقى علوم العربية والدين ، حتى تخرج منه بعد بضع سنوات حضر خلالها دروس الإمام الشيخ محمد عبده ، واتصل بالشيخ جمال الدين الأفغاني ، وأحكم الصلات بينه وبين كثير من علماء مصر المشهورين في ذلك العصر .

وعاد الشيخ سعيد الكرّمى إلى بلده في فلسطين ، فانتسب إلى سلك التعليم ، ثم عين مفتشاً للمعارف في قضاء بني سبب ، ثم تولى منصب الإفتاء في قضاء طولكرم ، وكانت إذ ذاك طلائع النهضة العربية المعاصرة بدأت بالتحرك ،

فالتحق سميد الكرمي برجلها منتسباً إلى جمعية « حزب اللامو كزبة العثماني » التي كانت تضم طائفة كبيرة من أحرار العرب ومثقفهم ، فأخذ يعمل معهم في سبيل تحقيق أغراضها في طولكرم وفي غيرها من بلاد فلسطين .

وعشية اندلاع نار الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م ، وبعد اشتراك الدولة العثمانية فيها ، أخذت السلطات العسكرية في ديار الشام تلاحق شباب العرب ومفكرهم منكملة بهم للقضاء على فكرة « الثورة العربية » التي تمنلج في نفوس العرب الخاضعين للحكم العثماني . وكان الشيخ سميد الكرمي في عداد من سبق أمام المجلس العربي في عاليه (لبنان) سنة ١٩١٥ م ، ثم كان اسمه مع من حكم عليهم بالإعدام ، غير أنه نجحاً من الموت الذي لاقاه رفاقه الأحرار ، بفضل سنه التي كانت قد تجاوزت الرابعة والستين .

وفي شهر شباط (فبراير) ١٩١٨ م ، وكانت الحرب العالمية على وشك الانتهاء ، أصدرت السلطات العثمانية عفواً عاماً خرج الشيخ سميد الكرمي على إثره من سجنه في قلعة دمشق ، بعد أن نقل إليها وقضى قرابة سنتين وسبعة أشهر سجيناً ، وأقام الشيخ في دمشق مدة ، ثم قفل راجعاً إلى بلده في فلسطين . ولما قامت في دمشق أول حكومة عربية فيها بعد جلاء الأتراك عنها ، اختارت هذه الحكومة الشيخ سميداً الكرمي بين من اختارتهم أعضاء في الشعبة الأولى للترجمة والتأليف نواة المجمع العلمي العربي ، وقد كان من أعضائه المؤسسين الموظفين ، وقد أقام في دمشق إلى أن دعتة الحكومة العربية التي قامت في شرقي الأردن بعد احتلال الفرنسيين لسورية ، فلبى الدعوة وغادر دمشق في أوائل شهر أيار (مايو) سنة ١٩٢٢ م إلى عمان ، وفيها أسندت إليه حكومتها منصب قاضي القضاء ووكيل الأمور الشرعية ،



الشيخ سعيد الكرسي

وكانت هذه الوكالة أحد مناصب حكومة الوكلاء التي كانت تدير إمارة الشرق العربي ، كما كان ، بحكم منصبه ، يقوم برئاسة مجلس المعارف . وظل الشيخ سميد الكرمي يشغل منصب قاضي القضاة في حكومة شرقي الأردن ، حتى نهاية عام ١٩٢٦ م ففيها اعتزل المنصب الحكومية ، وعاد إلى مدينة طولكرم مسقط رأسه في فلسطين ، وفيها عاش بقية حياته حتى انتقل إلى جوار ربه يوم الأحد في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ الموافق لـ ١٨ آذار (مارس) سنة ١٩٣٥ م وفي ثراها دفن .

سميد الكرمي المجمع

كان الشيخ سميد الكرمي ، من الأوائل الذين اعتمدت عليهم أول حكومة عربية في سورية المعاصرة ، في حمل عبء النهوض بالعربية وإصلاح لغة الدواوين ، فكان من أعضاء الشعبة الأولى للترجمة والتأليف الذين عينوا بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩١٨ م ، ثم أصبح عضواً في «ديوان المعارف» الذي انقلب إلى مجمع علمي بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ م ، وكان من حاضري الجلسة الأولى للمجمع يوم ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م .

عمل الشيخ سميد الكرمي مع زملائه في إقامة بناء المجمع العلمي العربي على أسس متينة ، ولما أُمِنَ منصب وزير المعارف إلى الأستاذ الرئيس محمد كردعي ، تولى الشيخ الكرمي نيابة الرياسة ، فأدار أعمال المجمع وداري الآثار والكتب الظاهرية لمدة سنتين على أحسن وجه ، مشرفاً على إصدار مجلة المجمع في مجلدَيها الأولين مشاركاً في تحريرهما ، وكان من حسن إدارته أن رأت السلطة الفرنسية المنتدبة على سورية ، إظهار احترامها للعلماء العرب

عامة ، وتقديرها بالمجمع العلمي العربي بدمشق بصورة خاصة ، باختيار نائب رئيسه الشيخ سعيد الكرمي ، رمزاً لذلك الاحترام وهذا التقدير . فمُنحته وسام جوقة الشرف من رتبة فارس ، وقد أقيم حفل كبير بمناسبة هذا الاختيار ، بتاريخ ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٢١ م بدار الحكومة بدمشق حضره أركان الحكومة ، وافتتحه مدير المعارف العام الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بكلمة قال فيها : يعلق الآن وسام جوقة الشرف من رتبة (شغاليه) على صدر عالم كبير من علماء الأمة ، خدم مجتمعا لترقيته ونهوضه ، وسمى لإحياء آدابها لينير بها الأفكار الخاملة المظلمة . الأستاذ الشيخ سعيد الكرمي من الأعضاء العاملين في المجمع العلمي العربي توفر منذ نشأته على خدمة الغرض الذي أنشئ لأجله ، وهو خدمة اللغة العربية في علومها وآدابها وبث الحضارة العربية في نفوس قراء لغتنا ، ودار الآثار التي أنشأها المجمع ودار الكتب التي زاد في أسفارها ضعفاً ، والمحاضرات التي يلقاها كل أسبوع أعضاؤه ورجال العلم من أهل الإخصاء ، ومجلته التي تنشر كل أعماله ، كل ذلك من الأعمال التي قام بها مجتمعا على كثرة المقاومين في مبدأ أمره ..] .

وكان مما قاله الشيخ سعيد الكرمي بعد الاحتفال بتعليق الوسام على صدره :
[لما أمدني الحظ بوقوفني بين هؤلاء السادة الأكابر ، لأتقلد الوسام الذي لا يعطى إلا لأهل المآثر :

عطست بأنف شامخ وتناولت يداي أثريا قاعداً غير قائم ..
لقد صرت الآن كاسمي سعيداً ، وسأخطو في خدمة أمي إن شاء الله شوطاً بعيداً ، فاني حملت منةً أثقلت كاهلي ، وضاق عن شكرها لساني وقلمي ، وسأواظب على الدءاء للوطن الذي شرفني خدمته ، وبجلتي بنير استحقاق أمته ، أن يسعد في عهد الحكومة الحاضرة ... (١)] .

(١) انظر مجلة المجمع مج ١ ص ٢٧٧ .

ووفى الشيخ سميد الكرمي بمهده فظل يوالي إدارة المجمع العلمي ، مشاركاً في تحرير مجلته إلى نهاية شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٢ م ، يوم قبل دعوة حكومة الشرق العربي فنادر دمشق إلى عمان متزلاً وظيفته في المجمع العلمي العربي ، على أنه ظل عضواً مراسلاً له في كل من شرقي الأردن وفلسطين .

وكان من أعمال الشيخ سميد الكرمي الجمعية ، في مطلع إقامته بعمّان ، محاولته مع لفيف من العلماء والأدباء المقيمين فيها ، تأسيس مجمع علمي للشوق العربي يكون نظيراً لمجمع دمشق ، وتم إقناع أمير البلاد بجلال هذه الفكرة وبضرورة تبنيها والعمل على تحقيقها للنهوض بالعربية وخدمة آدابها في القطر الأردني ، ومناظرة سورية في هذا المضمار ، وبتاريخ ٤ ذي الحجة سنة ١٣٤١ هـ ، الموافق ١٧ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٣ م ، تلقى رئيس الحكومة الأردنية من رئيس الديوان الأميري الكتاب ذا الرقم ٨٠٥ التالي نصه :

[جواباً عن كتابي غامتمكم المؤرخين في ٢٧ حزيران رقم ١٤٦٨ و ٨ تموز ١٩٢٣ رقم ١٥٥٤ ، ورغبة في إحياء الآثار القومية ، ورفع منار المعارف العربية ، فقد صدرت إرادة سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي العظيم بتأسيس « مجمع علمي » بحماية سموه العالي ، يكون رئيساً له سماحة الأستاذ وكيل الأمور الشرعية الشيخ سميد الكرمي وأعضاؤه : الفيلسوف العلامة رضا توفيق بك ، والأستاذ اللغوي الفضال الشيخ مصطفى الغلاييني ، والأستاذ الفاضل السيد رشيد بقدونس ، ومدير الجريدة الأدب السيد محمد الشريقي ، ليكونوا أعضاء عاملين ينتخبون إخوانهم من الأعضاء الفخريين في الأقاليم العربية كافة على الطريقة التي يقررونها ، ليكون ذلك عاملاً قوياً من عوامل إحكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد . كما أن الأعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة إدارية لمصلحة الآثار .

وقد أمر سموه أيده الله بإنشاء مجلة باسم «مجلة المجمع العلمي في الشرق العربي» على أن يقوم بشؤونها أعضاؤه العاملون ، وأن ينفق على إنشائها من واردات الجريدة والمطبعة الرسمية .

فتفضلوا بإبلاغ من يلزم لإجراء ما يجب وفقاً لمنطوق الإرادة المطاعة .
واقبلوا التحيات والاحترام [.

ورحب المجمع العلمي العربي بدمشق بالمجمع الجديد ، ونشرت مجلته في ص ٤٦ من المجلد الرابع لسنة ١٩٢٤ م خبر إنشاء المجمع العلمي في الشرق العربي ، قائلة : [. . . وعلمنا أنه انتخب أعضاء شرف له العلماء الرصفاء أحمد زكي باشا ورئيس مجدهنا العلمي السيد محمد كرد علي والشيخ أحمد عباس الأزهرى والأب أنستاس الكرملى والسيد إسعاف النشاشيبي ، وفي تلك النشرة ان المجمع سيعنى بإحياء اللغة العربية ، ونشر المدارس والمؤلفات وإلقاء المحاضرات ، وإنشاء دار كتب وإصدار مجلة شهرية . فنرحب بهذا الرصيف الجديد] .

ورغم أن هذا المجمع العلمي بدأ أعماله وعقد أعضاؤه العاملون بولاية الشيخ سميد الكرمي عدداً من الجلسات قرر فيها جملة من المقررات المتعلقة باللغة والمصطلحات الادارية ، إلا أن عوامل عديدة أدت بعد فترة من الزمن إلى توقف أعماله ثم إلى إلغائه .

وعندما لحق الشيخ سميد الكرمي سنة ١٩٣٥ م بالرفيق الأعلى ، كان المجمع العلمي العربي بدمشق في أزمة داخلية ومجلته متوقفة عن الصدور ، فلما عاودت صدورهما أشارت في ص ٣١٨ من المجلد ١٣ ، إلى وفاة الشيخ الكرمي عضو المجمع العلمي باثة حزنها عليه ، دون أن تتمكن من الوفاء بحقه عليها ، وإعلائها ، بنشر هذه الترجمة له اليوم ، نفيه بعض حته .

منزلة الشيخ سعيد الكرمي وآثاره العلمية

كان الشيخ سعيد الكرمي من طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة ، ففياً بالدين وباللغة عالماً بأسرارها ، أديباً يحسن الخطابة والاستشهاد ، فاثراً يحب السجع في كثير من الأحيان ، يقرض الشعر وله قصائد يحاكي فيها شعراء الجاهلية بالجزالة والصور البدوية ، كما له شعر من قبيل الموشحات ، ونظم على طريقة علماء اللغة ، في تسهيل النحو وبعض علوم اللغة ، كما كان يعنى بنظم شعر التاريخ .

أما آثار الشيخ سعيد الكرمي العلمية فهي قليلة لا تتناسب مع منزلته العلمية والمكانة الاجتماعية التي له ، وذلك لاشتغاله في أول أمره بالشؤون السياسية ، ولتسمنه فيما بعد المناصب الحكومية الرفيعة وانشغاله بها ، هذا إضافة إلى ما طبع عليه من زهد وحب للتصوف ، على أنه كان في صدر شبابه قد طبع سنة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م ، رسالة في التصوف بعنوان (واضح البرهان في الرد على أهل الإهتان) .

وعندما كان يشرف على إصدار مجلة المجمع العلمي العربي ، كان يشارك في تحريرها ، باحثاً في أهمية دور الكتب الوطنية وفائدتها في المجتمع ، واصفاً نفائس المخطوطات والاعاديات ، معروفاً بالجديد من المطبوعات ، ومن أم الموضوعات التي نشرها في هذه المجلة بحث طويل بعنوان (الإعلام بمعاني الإعلام) وهو محاولة ترتيب جديد لكتاب (الاشتقاق) لابن دريد ، وقد استغرق من المجلة ما يقرب من خمسين صفحة من القطع الكبير ، نشر في سبعة من أجزاء مجلدي السنتين الأولى والثانية . وله بحث آخر بعنوان (اللغة والدخيل فيها) استغرق نشره تسع صفحات من المجلد الأول بدءاً من ص ١٢٩ .

كما ألقى الشيخ سعيد الكرمي في ردهة محاضرات المجمع ، بتاريخ ٨ تموز (يوليو) ١٩٢١ م محاضرة بعنوان (بماذا يكون انتظام المجتمع الإنساني) وقد نشرت في مجلة المجمع ، وجاءت في أربع عشرة صفحة (١) .

مصادر ترجمته

لم أعثر على ترجمة للشيخ سعيد الكرمي بقلمه ، كما لم يترجم أحد ترجمة وافية ، وقد استقيت كثيراً من المعلومات عنه من ابنه الأستاذ عبد الكريم الكرمي (الشاعر أبو سلمى) الذي أخبرني بأنه يعد كتاباً عن حياة أبيه وآثاره العلمية .

على أن ترجمة مقتضبة للشيخ الكرمي وردت في المصادر التالية :

١ - « مجلة الأديب » بقلم يعقوب عويدات ، بيروت عدد حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ م .

٢ - « أعلام الأدب والفن » لأدم الجندي ج ١ ص ٣٦٨ .

٣ - « معجم المؤلفين » لعمرضا كحالة ج ٤ ص ٢٢٨ .



- ٥ -

عبد القادر المغربي

١٨٦٧ - ١٩٥٦ م

نشأته ومبائه

ولد عبد النادر بن مصطفى المغربي في مدينة اللاذقية على الساحل السوري في الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٨٤ هـ الموافق لسنة ١٨٦٧ م ، وكان أبوه قد سكن اللاذقية عندما انتقل إليها ليتولى فيها القضاء ، وهو من مدينة طرابلس ، إحدى مدن ساحل بلاد الشام ، ولد فيها لأسرة كان جدها ، ذو الأرومة التركية ، قد هاجر إليها من بلاد تونس الخضراء في المغرب العربي ، فنسب إلى هذا المغرب هو وأحفاده من بعده .

تلقى عبد القادر المغربي علوم الدين واللغة على شيوخ عصره في طرابلس بعد أن عاد أبوه إليها ، كما رحل إلى بيروت يتلقى العلم عن شيوخها ، وما شبّه إلا وقد حفظ المتون في الفقه واللغة والأدب ، فمِن في إحدى وظائف القضاء الشرعي الكتابية ، وبقي في وظيفته بضع سنوات ، رحل بعدها في سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية ، طلباً للمعرفة وسمياً وراء وظيفة أعلى ، وفيها التقى بكثير من رجال الفكر وعلماء العصر ، وفي طليعتهم الشيخ جمال الدين الأفغاني فأحكم الصلة معه



السَّيِّحُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمُرْتَبِي

متلقياً عنه فكرة الإصلاح الديني والاجتماعي ، مرتبطاً عن طريقها بالإمام الشيخ محمد عبده ، وما أن عاد الشيخ عبد القادر المغربي إلى طرابلس سنة ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م ، حتى عين عضواً في مجلس معارفها ، فأخذ ينشر فكرته ويدعو إلى حرية الرأي والتجديد حتى ضاق بفكرته العلماء المترمون ، وضائق بآرائه السلطات الحاكمة ، فبدأت بمضايقته ومراقبة خطواته ، ثم عمدت إلى اعتقاله في مدينة بيروت لمدة أشهر ، فلما أفرجت عنه ولاحق له فرصة للهرب من مضايقاتها ، فرّ بفكرته وآرائه إلى مصر للالتحاق فيها بأعوان الإمام الشيخ محمد عبده ، وكانت هجرته هذه عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م ، السنة التي توفي فيها الإمام .

ظل الشيخ عبد القادر المغربي على عهد الإمام ، يتصل بأشباعه من العلماء والفكرين ويوثق الصلات بينه وبينهم ، وأخذ يحرر في جريدة « الظاهر » ، ثم انتقل سنة ١٩٠٦ م إلى جريدة « المؤيد » ، ينشر فيها المقالات الجريئة والبحوث الطريفة ، داعياً إلى تبني فكرة شيخه الأفغاني ومحمد عبده . وشغل الناس بمصر بمقالات الشيخ وبحوثه ، وعليها قامت صداقات وصلات ودّ كثيرة بينه وبين كثير من الفكرين والأدباء المعجيين بما كان ينشره ، أو يحدثهم به في الندوات الخاصة .

وفي أواخر سنة ١٩٠٨ م أعلن الدستور العثماني ، وتنسبت سورية والبلاد العثمانية الأخرى روائح الحرية ، فهاج الشيخ عبد القادر المغربي الشوق إلى مرايع صباه ومهوى فؤاده ، فخف عانداً إلى طرابلس ، وقد عبّر أحد كبار شعراء مصر في ذلك العصر عن اللوعة التي تركها الشيخ المغربي في نفوس أصدقائه وعارفي فضله ، إذ كتب إليه الشيخ محمد عبد المطلب قصيدة طويلة يعتذر له عن عدم الخروج لوداعه ، قائلاً فيها :

فهل مبلغُ أشواقِ مصرَ وأهلِها نسيمُ يواني «المغربي» فيُسمِعا
أقام بها حيناً من الدهر لم يكن سوى البحر فياضاً ، سوى الليث أروعا
سوى الشرعِ آداباً، سوى الحلمِ شيمَةً سوى الفضلِ جلباباً، سوى الصدقِ مهيما
له قلمٌ يعلو به الحقُّ إن جرى وكان به يحلو «المؤيد» مشرعاً
إذا استلته في العضلات رأبته به اللهُ تبيانَ الحقائق أودعا
ثوى بيننا في سيرة نبوية نثمُّ بها رَوْحاً من المسك أسطعا
أسامت إليه الأحداثُ بأرضه وربّ مسيٍّ رامِ ضرّاً لينفعا (١)

وكان مما حدث خلال الفترة التي قضاها الشيخ عبد القادر المغربي في مصر، أن وجه إليه بعض علماء اللغة نقداً شديداً لتساهله في استعمال المفردات العربية والدخيلة وبعض الكلمات المولدة ، في المقالات التي كان ينشرها في «المزبد» بين سنتي ١٩٠٦ - ١٩٠٩ م ، فما كان من الشيخ إلا أن أخذ ينشر ردوداً على منتقديه يحتج بها لنفسه ، فألفت ردوده كتاباً طبعه في مصر سنة ١٩٠٨ م باسم (الاشتقاق والتعريب) وأعدت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه سنة ١٩٤٧ م ، بعد أن أضاف الشيخ إليه مباحث وفوائد جديدة .

وعاد الشيخ عبد القادر المغربي إلى مدينته طرابلس ، كاتباً مرموقاً يحور في مختلف الجرائد والمجلات ، ويكتب الصحف المصرية ، داعياً إلى نهضة اجتماعية شاملة ، وفي سنة ١٩١١ م أنشأ في طرابلس جريدة « البرهان » واستمر في إصدارها إلى سنة ١٩١٤ م ، وقد توقفت بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى ، فكلفتها الحكومة العثمانية بالتعاون مع الأمير شكيب أرسلان في العمل على

(١) تنوف أبيات القصيدة على السنين وهي مثبتة في ديوان عدنان الخطيب المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٢ بشرح إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شالي من ١٣٩ .

تأسيس مدرسة علمية عالية في المدينة المنورة ، ولكن ظروف الحرب حالت دون تحقيق هذه المهمة ، ثم كان واحداً ممن كلفوا بالتعاون مع الشيخ عبد العزيز جلاويش سنة ١٩١٥ م من أجل تأسيس « كلية صلاح الدين الأيوبي » في مدينة القدس ، لغرض تخريج دعاة للدين الإسلامي يجمعون بين الثقافتين الدينية والعصرية ، وقام بتدريس « السيرة النبوية » و « فنون البلاغة » في هذه الكلية .

وفي سنة ١٩١٦ م ، عندما قررت السلطات العسكرية في سورية اصدار جريدة عربية بدمشق باسم « الشرق » ، اختارت الشيخ عبد القادر المغربي مديراً لهيئة تحريرها ، فجاء الشيخ دمشق وأقام فيها ، ولما جلا الأتراك عنها سنة ١٩١٨ م ، اختارته الحكومة العربية التي تألفت إثر ذلك ، للمشاركة في النهوض بلغة الدواوين ، ثم كان عضواً في « ديوان المعارف » ، ثم أصبح عضواً متفرغاً في المجمع العلمي العربي ، وقد كلف سنة ١٩٢٣ م بتدريس اللغة العربية وآدابها في معهد الحقوق العربي بدمشق .

وفي سنة ١٩٤١ م ، انتخب الشيخ عبد القادر المغربي نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وظل يشغل هذا المنصب إلى أن انتقل إلى دار الخلود صباح يوم السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٥ هـ وفق السابع من حزيران (يونيو) سنة ١٩٥٦ م ، فشيعته دمشق بجوكب حافل اشترك فيه أهل العلم والفكر باكين العالم المصلح ، والأديب الموهوب المتحلي ، بكارم الأخلاق يوارى الثرى في مثواه الأخير ، بسفح جبل قاسيون جبل دمشق الشامخ .

عبد القادر المغربي المجمعى

عندما عازمت الحكومة العربية في سورية سنة ١٩١٨ م ، على نقل لغة الدواوين من التركية إلى العربية ، واستحدثت ديواناً لهذه الغاية أطلقت

عليه اسم «شعبة الترجمة والتأليف»، بدأ أعضاء هذا الديوان بالقاء دروس خاصة على الموظفين، بقصد تعليمهم أصول إنشاء المراسلات واعطائهم فكرة عن قواعد اللغة، ولم تجد الحكومة، لقطف ثمرات هذا العمل بأقصى سرعة ممكنة، بدءاً من الاستمانة بجميع من كان يومئذ مقيماً في دمشق من أساتذة العربية وأدبائها، على اختلاف الأقطار العربية التي كانوا منها، وكان الشيخ عبد القادر المغربي واحداً من هؤلاء الذين شاركوا أعضاء شعبة الترجمة والتأليف حمل العبء الذي أنقي على كواهلهم، فلما رأت الحكومة في الثاني عشر من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ م إنشاء «ديوان المعارف» وعهدت برياسته إلى الأستاذ محمد كرد علي، كان الشيخ عبد القادر المغربي أحد الأعضاء الثمانية الذين عينوا فيه، ثم أصبح بتاريخ الثامن من حزيران (يونيو) ١٩١٩ م، مع زملائه السبعة من أعضاء (المجمع العلمي العربي) المؤسسين، الذين حضروا الجلسة الأولى للمجمع في المدرسة المادلية الكبرى بدمشق بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ الموافق لـ ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م.

أخذ الشيخ عبد القادر المغربي، بما عرف عنه من نشاط ودأب على العمل، يبذل جهده مع زملائه لتحقيق الأغراض التي رسموا لأنفسهم نهج الوصول إليها في الناحيتين اللغوية والأدبية، وكان أكثر الأعضاء، الذين تنفوغوا للعمل المجمع، إنتاجاً ببحوثه اللغوية ومحاضراته الأدبية والاجتماعية، وقد نيفت المحاضرات التي ألقاها في ردهة مجمع دمشق فقط، ونشرت في مجموعات محاضراته أو في مجلته على الخمسين، وكثير منها قيّم مبتكر.

وانتخب الشيخ عبد القادر المغربي من قبل زملائه أعضاء المجمع نائباً للرئيس أكثر من مرة، وأشغل وكالة الرئاسة في فترات غياب الرئيس

مدداً مختلفة ، وفي نهاية عام ١٩٣٤ م ، وبعد أن تعثرت خطوات المجمع ، وتوقف نشاطه وصدور مجلته كلية بدءاً من عدد أيار (مايو) ١٩٣٣ م ، عهدت الحكومة إلى الشيخ عبد القادر المغربي بإدارة المجمع والإشراف على دار الكتب الوطنية فقام بما عهد إليه خير قيام ، رغم الظروف السياسية والمادية القاسية ، التي كانت سبباً أعاق المجمع عن مواصلة رسالته ، وقد تمكن من إعادة إصدار المجلة بدءاً من عدد أيار (مايو) سنة ١٩٣٥ م ، فأتم بأعدادها المجلد الثالث عشر الذي كان بديء به سنة ١٩٣٣ م ، ولكن الأزمة المالية ، تبعاً للظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد السورية ، عادت ففرضت على المجمع التوقف عن إصدار مجلته بدءاً من أول سنة ١٩٣٨ م ، وظلت محتجبة حتى انقضت الغيوم الناشئة عن الأهواء السياسية ، فنهض المجمع من كبوته سنة ١٩٤١ م ، بإجماع أعضائه على إعادة انتخاب الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الوياصة والشيخ عبد القادر المغربي لنيابة الرئاسة ، فتعاون الرئيسان معاً على الدفع بالمجمع خطوات واسعة قوية ، عوضت عليه ما كان خسره من زمن أعاقه عن مواصلة جهوده في خدمة العربية .

ولما وافى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، الأجل سنة ١٩٥٣ م وانتخب أعضاء المجمع الأستاذ خليل مردم بك خلفاً له ، استمر المجمع في خط سيره الحميد ، بفضل تعاون الرئيس الجديد ونائبه الشيخ عبد القادر المغربي التعاون الوثيق .

* * *

وعندما أشىء بجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٢ م ، كان الشيخ عبد القادر المغربي أحد اثنين من سورية ، اختيرا ليكونا عضوين عاملين في المجمع ، وقد حضر الشيخ المغربي جلسة الاحتفال بافتتاح المجمع في الرابع

عشر من شهر شوال سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ م ، واستمر بحضور جلساته كل عام بانتظام حتى السنة التي وافاه الأجل، بها ، فقد منعه حادث ألم به من حضور الجلسات الأخيرة .

وأسمهم الشيخ عبد القادر المغربي بنصيب كبير في أعمال مجمع القاهرة ، واشترك في أكثر لجانته ، ونشر مقالات وبحوثاً عديدة في مجلته ، ولا تكاد تخلو دورة للمجمع منذ تأسيسه من بحث له فيها أو أكثر ، كما سجل المجمع ذلك في الكتاب الذي أصدره سنة ١٩٦٦ م بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تأسيسه باسم « **المجمعيون** » . ومن أهم مواقفه في الدفاع عن لغة المضاد ورسم حروفها ثورته العارمة ، رغم حلول شمائله وكريم أخلاقه ، في جلسة المجمع رداً على اقتراح الأستاذ عبد العزيز فهمي بإبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وليس أبلغ من وصف الأستاذ عباس محمود العقاد لفضيلة الشيخ يومئذ ، فقال وهو يرثيه : [.. كان رحمه الله لا يشور حتى يهدأ بعد قليل .. وفي إحدى الثورات بينه وبين الأستاذ عبد العزيز فهمي رحمه الله ، كان الأستاذ عبد العزيز أسرع إلى الرضى من صاحبه فصالحه وألح عليه في قبول دعوته إلى الغداء بنادي محمد علي .. وكنت من المعارضين للكتابة بالحروف اللاتينية ، فقلت لعبد العزيز « باشا » إنك بهذه الطريقة يا باشا تغري الناس بمعارضتك .. فقبض على يدي وهو يقول : وأنت أيضاً تحضر الصلح .. ولم يدع يدي إلا في السيارة إلى طريق المائدة ، ولم نبرح المائدة يومئذ ، حتى كنا قد استوعبنا من تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السيد جمال الدين ، ما غملى به « مؤانده » الصفحات (١) ..] .

(١) جريدة الأهرام عدد ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٥٦ .

وعندما انتقل الشيخ عبد القادر المغربي سنة ١٩٥٦ م إلى الرفيق الأعلى ،
بكي زملاؤه في الجمعين شمائله العالية ومعارفه الواسعة ، ونفته بحلة جمع
دمشق في عددها الصادر في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٥٦ م ، مشيدة
بنشاطه الجهم في رحاب المجمع من أجل نشر رسالته مدة تزيد على خمس
وثلاثين سنة ، وكان لمجلته نصيب كبير من نشاطه ، فقد ظل يدها بمقالاته
وأبحاثه اللغوية والأدبية منذ صدورها حتى وفاته رحمه الله ، كما أنها استمرت
إلى ما بعد وفاته بأشهر عديدة تنشر ما كان زودها به من بحوث .

وفي سنة ١٩٦٠ م ، عندما انتخب المجمع العلمي العربي الدكتور عدنان
الخطيب عضواً عاملاً فيه ، ودعاه ليحل محل الشيخ عبد القادر المغربي في
كرسيه المجمع ، ألقى في جلسة استقبله يوم الخميس في ١٢ جمادى الآخرة
سنة ١٣٨٠ هـ وفق ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٠ م خطاباً ترجم فيه
لسلفه مشيداً بمناقبه ومنزله العلمية .

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فما كاد يتصل به خبر وفاة الشيخ
عبد القادر المغربي ، حتى نماه للناطقين بالضاد قائلاً : [تلقى مجمع اللغة العربية
في غمرة من الأسى ، نعى وكن من أوكانه ، صحبه منذ نشأته ، وكان
في مؤتمراته جهر الصوت ، واضح الأثر ، ذلك هو العلامة الكبير الشيخ
عبد القادر المغربي ، بعد أن قضى حقبة مديدة في خدمة اللغة بما كتب
وأنف من بحوث ودراسات . والفقيه الكريم من الرعيل الأول خلال نصف
القرن الماضي ، أولئك الذين نذروا جهودهم لإنهاض العربية وعلاج مشكلاتها
وتطويعها لمتطلبات الحياة المصرية في ميادين العلوم والفنون والآداب . وإن
مصر اتمدكو له أنه كان في صدر نهضتها الحديثة بين رجال الصحافة والأدب
الذين خدموا الأساليب الكتابية ، وأمدوها بأسباب النمو والازدهار . وقد

لبث الفقيه إلى آخر عهد من شيخوخته العامة دائب الجهد ، موصول
 للدرس ، يملأ الجامعات العلمية والأندية الأدبية والصحف السيارة بشمرات كفايته
 وسعة اطلاعه لنصرة اللغة وعون الباحثين والدارسين . وتلك آثاره باقية
 تعلي ذكره في الغالدين .. (١)

ثم عقد المجمع مساء الثالث من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٥٧ م .
 جلسة علنية تأبين الشيخ عبد القادر المغربي فألقى كلمة المجمع أمينه العام
 الدكتور منصور فهمي ، وعندما انتخب الأستاذ محمد القاسمي سنة ١٩٥٨ م
 عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، دعاه المجمع ليحل محل الشيخ
 عبد القادر المغربي في كرسيه الجمعي ، ألقى في جلسة استقبله يوم الخامس
 عشر من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٥٩ م خطاباً ، عدد مآثر سلفه
 الحميدة ومزاياه العالية .

دمشق تؤبى المغربي فقيه العربية والإسلام

بعد وفاة الشيخ عبد القادر المغربي ، تداعت نخبة من زملائه الجمعيين وأهل
 الفكر في دمشق (٢) لإقامة حفل تأبيني له ، وقد أقيم الحفل على مدرج
 جامعة دمشق مساء ٢٦ صفر سنة ١٣٧٦ هـ الموافق ٢ تشرين الأول (أكتوبر)
 سنة ١٩٥٦ م ، تحت رعاية السيد شكوي القوتلي رئيس الجمهورية السورية ،
 حضرته جمهرة كبيرة من العلماء والمفكرين في دمشق ووفود كثيرة من مختلف
 الأقطار العربية ، كما حضره أعضاء مؤتمر الجامع العلمية العربية من مصر والعراق .

- (١) جريدة الأهرام عدد ٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٦ م .
- (٢) تألفت لجنة تنفيذية لتحقيق هذا الغرض برئاسة الدكتور عبد الوهاب حومد وزير
 المعارف يومئذ في سورية ، وكان أعضاؤها السادة : منير المعلاوي ، ومحمد المبارك
 وبدوي الجبل ، وجعفر الحسي ، وسامي الدهان ، وعدنان الخطيب ، ونوى أمانة
 سرها الدكتور محمد أسعد طلس .

وقد افتتح الحفل بمشر من آي الذكر الحكيم ، ثم ألقى الدكتور عدنان الخطيب كلمة الافتتاح استهلها بقوله :

[في صباح اليوم السابع والعشرين من شوال عام خمسة وسبعين وثلاثمائة وألف ، السابع من حزيران عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف ، حمل الأثير على أمواجه ، صوت مذياع دمشق ينعى للعالم الشيخ عبد القادر المغربي ، فكان رجع الصوت موجات من الأمي شملت البلاد العربية كافة ، وموجات من الحزن عمت بلاد الإسلام ، تعبر كلتها عما تكنه هذه البلاد للفقيد الراحل من تجلة وتقدير ، ومن حب واعتراف بالجميل] .

ثم تكلم عن منزلة الفقيد العلمية ومكانته في مختلف البلاد العربية ، وكيف دعت نخبة من أهل الفكر والوفاء ، لإحياء ذكره بهذه الحفلة ، فكان رجع ندائها :

١ - رسالة من مصر بعث بها الرئيس جمال عبد الناصر يقول فيها :
[إن مصر وشبابها الذي تتلمذ على الفقيد الراحل الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، لتشارك سورية الشقيقة في إحياء ذكرى ابن بار من أبناء العروبة ، وأديب من أديب لغة الضاد ، جند قلبه وأوقف قلبه لرفع شأن اللغة العربية ودعم دراستها الحديثة ، فكان عضواً بارزاً في مجعنا اللغوي ، وكان يزود صحافتنا بين حين وآخر بأبحاثه القيمة المتكررة وآرائه الحية الفذة .

وإن كاتباً كبيراً هذا شأنه لن يموت أبداً بل ستظل ذكراه قائمة في نفوسنا ، ماثلة في خواطرنا جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن] .

٢ - ورسالة من مراکش بعث بها السلطان محمد بن يوسف جاء فيها :
[إن للشيخ عبد القادر المغربي فضلاً على الثقافة العربية وتقاليدها ، بما قام به طيلة حياته المميّنة بجليل الأعمال من الأبحاث القيمة في مختلف المواضيع .

ولقد كان من أحسن الممثلين للجمالية الغربية ، في الشرق العربي الذي آوى إليه كغيره فراراً من جبروت المستبدين ، وكل من قصد الشرق العربي من المغاربة سواء في القديم أو الحديث ، وجد فيه من الفضل وأهله ما يجعله في أهله وعشيرته كأنه لم يغادر وطنه ومسقط رأسه . وذلك هو شرف العروبة منذ كانت ولن تزال . فهي **وطن كل عربي** في كل زمن وتحت كل سماء . وما نسينا ولن ننسى موقف الشيخ عبد القادر المغربي من القضية المغربية في عهد الأزمات الأخيرة ، إذ كان في الصف الأول من المناضلين عن حق المغرب الأقصى في الحرية والكرامة [.

٣ - ورسالة من تونس بحث بها الرئيس الحبيب بوقريعة يقول فيها : [مما يسرني ، كما يسر كل مواطن عربي في وطن العروبة جماء ، هو أن نذكر في هذه الفترة من تاريخنا ، ما أسداه رجل الفضل والعلم والتواضع والصدق ، المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي من أيد كريمة لنهضة العربية والإسلام . وأن نذكر بالخصوص كيف استطاع هذا العربي الصادق ، أن يكون من الرواد الأولين الذين استعادوا الصلة بين المشرق العربي والمغرب العربي ، في وقت كانت فيه الصلة مقطوعة والقطيعة مستفحلة .

أما اليوم فإننا بفضل الشيخ عبد القادر المغربي وأمثاله ، وبفضل هذه النهضة المباركة التي سارت فيها أجيال العروبة في الشرق والمغرب ، خطوات مباركة نستطيع أن ننظر من جديد إلى مستقبلنا في كامل الوطن العربي ، نظرة المتفائل الواثق بالمستقبل والمؤمن بإعادة المجد المشترك والوحدة الشاملة في ظل الحرية والرخاء] .

٤ - ورسالة من الرئيس ناظم القدسي عدد فيها مزايا الفقيد وحلو شمائله ، وانتهى إلى القول : [ولبي لأخبر إذ كان لي شوق التتلمذ عليه

سنتين في معهد الحقوق ، فعرفته أستاذاً يتقدم القادة المخلصين الذين أخذوا على عاتقهم إصلاح الأمة العربية وإنقاذ العالم الإسلامي من براثن الاستعمار . فقد كان رحمه الله عالماً ضليعاً ولغوياً فذاً ، ورائداً صالحاً ومرشداً ناصحاً ، شديد التأثير بالحركة الإصلاحية التي بعثها المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده ، والتي كان المرحوم في الطليعة من روادها ، والماملين لها والداعين إليها] .

٥ — ورسالة من السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، أشار فيها إلى مزايا التقيد ومما جاء فيها : [ولم يقتصر نشاطه على رحاب سوريا العظيمة ، وجنباتها الفسيحة ، وإنما جال وصال وترك الآثار الباقية في أرجاء وطننا الكبير] (١) .

(١) كانت الرسائل التي تلقتها لجنة الأمين من عظماء مفكري العالمين العربي والإسلامي ، أكثر من أن يتلى ، في حفل واحد مهما طال زمنه ، المهم منها فضلاً عن تلاوتها كلها ، على أنني تلوت قطوفاً من بعضها ، وكان في طليعة أصحاب الكلمات : الرئيس هاشم الأتاسي ، والرئيس عبد الله اليافي ، والرئيس إبراهيم هاشم ، والرئيس أحمد حلمي عبد الباقي ، والسادة : ظفر الله خان وزين العابدين الهندي ويوسف شاخ وجون بارو ، والأساتذة : أحمد لطفي السيد ورضا الشبيبي ومنير القاضي ومحمد عبد الغني حسن والبير أديب وعيسى الناعوري وعبد الله القلقلي وعجاج نويض وأنيس المقدسي ونظير زيتون وتوفيق قربان وشفيق العلوف ، ومنهم : سامي الصلح وفيضي الأتاسي وأمين سعيد ومحمد الشريقي وواصف البارودي وخليل كنة وعمر بهاء الأميري وجواد الرابطة وراغب العثماني وسابا زريق وعبد الستار السيد وسعيد حمزة وسليمان الظاهر وأحمد الشقيري ونديم الملاح ورشاد دارغوث وتقولا فياض وفؤاد الخطيب وعبد المسيح حداد وشفيق غريال وأغناطيوس حريكة وبشر فارس ومحمد هجة البيطار وعلي دارغوث وفائز المغربي .

ثم ألقى كلمة سورية وزير معارفها الدكتور عبد الوهاب حومد ، فتحدث عن حياة الشيخ عبد الفادر المغربي وعن أفكاره الإصلاحية ، و انتهى إلى القول : [إذا كانت حياة المرء تقاس بما يترك من أثر في وسطه وأمته ، فإن حياة الفقيد كانت أمة من العلماء ، وجيلاً من المجتهدين ، يتحدث عنها طلابه الكثر وقراءه الذين لا يحصون ، بأحلى ما يكون حديث عن تمكن عجيب من اللغة ، وتذوق رفيع للأدب ، وجرأة نادرة في الدعوة إلى الإصلاح والحق .

وإن هذه الحفلة التأبينية التي تفضل فخامة رئيس البلاد الأعلى فشملها برعايته ، لواجب تؤديه الشام نحو رجل وهب حياته لعلوم اللغة والفقه ، وتمقيف بنيتها جيلاً بعد جيل ، ولذلك كان فتنه خسارة لا تموّض ...] .

ثم وقف الدكتور طه حسين ، وأخذ يفصل الكلام عن معرفته بالشيخ المغربي يوم كان تلميذاً بالجامع الأزهر ، وكان الفقيد محرراً في إحدى كبريات الصحف المصرية ، يكتب فيها المقالات الدالة على توقد الذهن الشديد والحرص على نشر الدين الصحيح والقوة في الدفاع عن الأفكار الإصلاحية التي نادى بها الإمام الشيخ محمد عبده ، قائلاً عنه : [كان الفقيه أقوى من القوة في الحق ، وأصلب من الصلب في الدفاع عن العرب والإسلام] ثم تكلم عن دور الفقيد في جمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعن إعجاب زملائه به وحبهم له وكيف كان [حضور الشيخ المغربي إلى مصر يعتبر عيداً من أعياد الجمع اللغوي] وكيف كان [مع السن التي وصل إليها أدنى إلى الشباب من كثير من الشباب] ثم ختم كلمته قائلاً : [بامم الجمع اللغوي المصري وبامم مصر ، أرسل إليه أصدق التحية سائلاً الله أن يشمله برحمته وينزله منازل الأخيار] .

ثم ارتحل الدكتور منير العجلاني ، خطاباً قويا في تعداد مناقب الشيخ عبد القادر المغربي ، وفي وصف الأثر الذي تركه الفقيد في طلابه الجامعيين عندما كان يدرّسهم بعض علوم العربية . وتلاه الأستاذ شاكو الحنبلي ، فألقى قصيدة وصف فيها جهاد الفقيد في سبيل خدمة اللغة والدين وإصلاح حال المرأة المسلمة .

ثم أقيمت خطبة بليغة أعدها الشيخ محمد بهجة الأثري ، يتّين فيها جهود الفقيد في خدمة اللغة وحرصه على النهوض بالأمة العربية عن طريق الدين والثقة . وألقى بعده شاعر العاصي بدر الدين الحامد قصيدة في رثاء الشيخ المغربي ، استهلها بقوله :

أدب مشرق وديننا ودين ومقام في الناهين مكين
وكانت منها الأبيات التالية :

كم سطور ديجتها بيراع هو بالحمد والخلود قمين
في الذرا أنت ، سمعة تملأ الدنيا ومجد في الخالدين مصون
كل عبد إلا البيان هباء هو في الكون روحه المكنون
نم قريراً فالمرء حياً وميتاً والذي تكسب اليدان رهين
لآ مجد في المصطفين عليه يتجلى البيان والتبيين

وانتهى الحفل بكلمة ألقاها الدكتور محمد أسعد طلس ، عدد فيها آثار الفقيد وأهم مؤلفاته ، وانهاها بإزجاء الشكر باسم لجنة التأبين وأسرة الفقيد ، إلى السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، وإلى الملوك والرؤساء وكل الذين أسهموا وشاركوا في تأبين الفقيد العظيم .

بعض أقوال المجمعين في زبيلهم الشيخ المغربي

كتب الأستاذ محمد بهجة الأثري كلمة في رثاء الشيخ عبد القادر المغربي ،
وبما قاله فيها :

[.. وقد تجلت آية « المغربي » في عبقريته اللغوية ، في نزوعه باللغة العربية إلى أغراض الحياة المثلى ، وربط الفكر بها وربطها به . وقد كان يحاول دائماً الإبانة عن طبيعة هذه الوظيفة للغة ، وكيفية الإفادة منها في توسيع نطاقها وتذليل صعابها ، والدلالة على مرونتها وطواعيتها وقدرتها على الاستجابة لنداء حاجات العلوم والفنون والصناعات وشؤون الحضارة ومرافق العمران إلى المصطلحات والألفاظ ، ونداء مطالب الحياة المتطورة المتجددة في جوانب الروح والمادة . وقد عسى نفسه من أجل هذا ، مطالب جسيمة من الإبداع والابتكار ، والهدم والبناء . وقد هدم غير مضارٍ ولا متمسكٍ ، قواعد من قواعد النحاة - كقاعدة اشتقاق الآلة مثلاً - حجرت واسعاً في اللغة ، وحالت دون غزو مفرداتها في مرافق الصناعة ونحوها بطريقة حرة من طريق الاشتقاق القياسية ، وبنى مكانها قواعد رصينة تستجيب لمطالب هذا العصر الحديث من غير خروج على مقاييس اللغة المعتبرة ، استخرجها بذكائه الخاد ، واستنبطها بالامتقراء ، وهو مطلب انقطع العهد بمثله منذ ألف عام ..] .

وعندما رثى الدكتور منصور فهمي ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أشار إلى كتاباته في الصحف المصرية وقال : [.. ولعلنا حين كنا نستمتع بما يكتب المغربي في ذلك الماضي البعيد ، لم نكون من الإدراك والعلم في منزلة تهيم لنا تقدير الآراء ووزن الفكر وتقييمها ، ولم نكون من المعرفة بفنون النقد لأساليب الكتابة وثمرات القلم لكي نعين المسكنة الأدبية التي تختار لأملوب م (١٥)

الشيخ في منازل الكتّابين . على أن شيئاً كان يجذبنا إلى قلمه جذباً وبدفعنا إلى تلمس قراءته دفعاً . ولعل ذلك الشيء كان فيما يفيض به قلم المغربي من إنتاج كان بالنسبة إلى مداركنا الغضة سهلاً ومهزوماً ومفهوماً ، وكان بالنسبة إلى عواطفنا المطاوعة محرّكاً وحافزاً ، فكانت كتابته الخالية من التعقيد والصرامة والعسر ، تبدو كأنها باسمية ومتهللة فتغري بالإقبال عليها ، لما فيها من وضوح التفكير وطلاوة التعبير . [.

وكتب الأستاذ عارف النكدي يؤن زميله الشيخ عبد القادر المغربي ، كلمة قوية معبرة عن عظيم تقديره للزميل الراحل ، جاء فيها : [. . وأستاذنا المغربي - رحمه الله - عرفته الصحافة كاتباً قديراً ، ومرشداً نحريراً ، متخيّر اللفظ مهذب ، منتخل الأسلوب منسجم . وعرفته المنابر خطيباً ملساناً ، ومحاضراً فياضاً ، يثّن اللهجة حاضر البديهة ، ظريف النكتة ، حلو المفاكة . وعرفه الجمع العلمي ، صدرّاً من صدوره ، واسع الاطلاع ، يستصبح برأيه ، ويهتدى بعلمه ، ويرجع إليه في تفهّم ما استبهم من الألفاظ ، واستنق من المعاني ، وفي العويس من دقائق اللغة ومشتبهاتها . وعرفته مجلة الجمع وقراءها ، بمقالاته القيّمة ، وبحوثه الدقيقة ، ونظراته الصحيحة ، ونقداته الصائبة ، وتبعااته وتعليقاته ، فمرفت فيه : الكاتب الأدب ، والمؤرخ الدقيق ، والعالم اللوذعي . . .

وأستاذنا المغربي يميّز بصلابة وثبات في سهولة ويسر ، صلابة في معتقده ، وثبات على رأيه . كان صلباً في دينه ، في غير تعصب وكان غيوراً على لغته في غير تزمّت . . [.

ومما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد ، في رثاء الشيخ عبد القادر المغربي : [. . إن الأستاذ المغربي ليذكر بحوث كثيرة في اللغة ، ولكنه لا يذكر في هذه الأيام خاصة يبحث من بحوثه الكثيرة ، كما يذكر يبحثه عن الاشتقاق] .

وأنتهى الدكتور عبدان الخطيب ، خطابه عن الشيخ عبد القادر المغربي وهو يحتل مقدمه المجمل ، قائلاً :

[لقد اتعبنى الشيخ عبد القادر المغربي ، أول يوم عرفته ، يوم وليمة جبرايا ، حين كنت أجهد لألحق به ، أما اليوم ، وقد شئتم أن أثبتاً مقدمه في صفوفكم ، فقد كلفت أمراً إدياً ، لأن مكان الشيخ بيتنا سيظل شاغراً ولن يسد مسده أحد ، فقد جاد الدهر به يوم ولد ، والدهر كأم الصقر مقالات زور .

لقد جاد الدهر بالشيخ عبد القادر المغربي ، فكان ملء السمع ، ملء البصر ، فسلام عليه يوم ولد ، و سلام عليه يوم نزل دمشق فأحبها وأحبته ، و سلام عليه يوم حنت دمشق على رفاذه مخلدة ذكره ومآثره] .

آثار الشيخ عبد القادر المغربي العلمية:

ترك الشيخ عبد القادر المغربي للمكتبة العربية ، ثروة طائلة من المؤلفات والأبحاث والمحاضرات القيمة في اللغة والاجتماع والدين والأخلاق ؛ وإذا كان الكثير من هذه الأبحاث والمحاضرات سبق أن نشر في المجلات والصحف ، دون أن تضمه دفناً كتاب مستقل ، فإن بعضها ما يزال مخطوطاً لم ينشر ، كبعض مؤلفاته القيمة .

وفيما يلي ثبت بأهم آثار الشيخ العلمية ، المطبوع منها وغير المطبوع :

أولاً : الآثار المطبوعة:

- ١ — كتاب « الاشتقاق والتعريب » طبع في القاهرة سنة ١٩٠٨ م ، وأعيد طبعه فيها سنة ١٩٤٧ م (٦٦ ١٣ هـ) .

- ٢ - « السفور والحجاب » آراء نشرت سنة ١٩١٠ و ١٩١١ م ، وطبعت بمجموعة بدمشق سنة ١٩٥٥ م (١٣٧٤ هـ) .
- ٣ - كتاب « البينات » في جزأين ، طبع في القاهرة سنة ١٩٢٥ م (١٣٤٣ هـ) .
- ٤ - كتاب « الأخلاق والواجبات » طبع في القاهرة سنة ١٩٢٦ م (١٣٤٤ هـ) .
- ٥ - محاضرات عن « محمد ﷺ والرواة » مع محاضرات في موضوعات أخرى ، طبعت سنة ١٩٢٩ م (١٣٤٧ هـ) .
- ٦ - كتاب « جمال الدين الأفغاني - ذكريات وأحاديث » طبع في القاهرة في سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) .
- ٧ - « مناظرة أدبية نفوية بين المغربي والبستاني والكرملي » طبعت في القاهرة سنة ١٩٣٥ م (١٣٥٥ هـ) .
- ٨ - نرح وتحقيق « تانية عامر بن عامر البصري » طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) .
- ٩ - تفسير « جزء تبارك » طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) .
- ١٠ - « على هامش التفسير » طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) .
- ١١ - « عثرات الاسان » من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٩ هـ) .
- ١٢ - تحقيق رسالة « التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه » لابن كمال باشا ، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٦ م (١٣٤٤ هـ) في المجلد ٦ ج ١ وما بعده .

مباني : الأسماء المخطوطة

- ١ - « المعجم اللغوي الألفاظ العصرية » وقد وصل المؤلف فيه حتى حرف الذال .
- ٢ - مجموعة « مقالات وأبحاث » وهي في عدة أجزاء وسبق أن نشرت في الصحف والمجلات .
- ٣ - مجموعة « محاضرات » وهي في مجلد كبير ، ولم يسبق أن نشرت .
- ٤ - كتاب « أحسن القصص في التاريخ النبوي الهندس » .
- ٥ - كتاب « العقائد الإسلامية » .
- ٦ - كتاب « أقرب الطرائق إلى كنز الدقائق » في الفقه الحنفي .
- ٧ - كتاب « فنون البلاغة » .
- ٨ - كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » .
- ٩ - شرح « مقصورة ابن دريد » .
- ١٠ - كتاب « طائفة من الأشعار في وصف الصحارى والقفار » .
- ١١ - كتاب « النخب أو نوادر المعلوم وفرائد الأدب » .
- ١٢ - كتاب « الأسوة المفوية - أصلها وفروعها » .

مصادر ترجمه السبغ المغربي

ترجمت للشيخ عبد القادر المغربي مصادر كثيرة ، وأهم ماوقفنا عليه من المصادر هي التالية :

- ١ - « الشيخ عبد القادر المغربي » محاضرات الدكتور محمد أسعد طلس في معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢ - « الأدب العربي المعاصر في سورية » تأليف سامي الكيالي ص ١٣٧ القاهرة ١٩٥٩ م .

- ٣ — «المجمعيون» كتاب مجمع اللغة العربية في القاهرة ص ١٠٧ القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٤ — « عالمنا العربي » كتاب نعمة زبدان ص ٥٨٢ بيروت ١٩٥٦ م .
- ٥ — « الموسوعة العربية الميسرة » كتاب مؤسسة فرانكلان ص ١٧٢٤ القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٦ — « أعلام الفن والأدب » كتاب أدهم الجندى ج ٢ ص ١٢٠ دمشق ١٩٥٨ م .
- ٧ — « تاريخ الأدب العربي الحديث » بالألمانية كتاب كارل بروكلمان الجزء الثالث سنة ١٩٤٢ م ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .
- ٨ — « المنجد » في الأدب والعلوم معجم فوريديان توتل ، المطبعة الكاثوليكية بيروت .
- ٩ — « قدماء ومعاصرون » تأليف سامي الدهان ، طبع دار المعارف القاهرة ١٩٦١ ص ٢٧٣ .
- ١٠ — « الشيخ عبد القادر المغربي » مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣١ ص ٤٩٨ دمشق ١٩٥٦ م .
- ١١ — « عبد القادر المغربي » رثاء الدكتور منصور فهمي . مجلة مجمع اللغة العربية مج ١٣ ص ١٧٧ القاهرة ١٩٦١ م .
- ١٢ — « عبد القادر المغربي » خطاب الدكتور عدنان الخطيب . مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣٦ ص ٣٣٢ دمشق ١٩٦١ م .
- ١٣ — « الشيخ المغربي » خطاب الأستاذ محمد القاسي . مجلة مجمع اللغة العربية مج ١٤ ص ٢٦٣ القاهرة سنة ١٩٦٢ .
- ١٤ — « الشيخ عبد القادر المغربي » خطاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن في احتفال المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة — مجلة الأديب نيسان (ابريل) بيروت ١٩٦٧ م .



عز الدين التنوخي

١٨٨٩ - ١٩٦٦ م

نشأته وحياته

ولد **عز الدين بن أمين** شيخ السروجية بدمشق سنة ١٣٠٧ هـ الموافق لسنة ١٨٨٩ م . وبهذا الاسم عرف الوليد في أول أمره ، ولكن بآخرته عرف واشتهر باسم **عز الدين علم الدين التنوخي** ، بعد أن عرف أن نسبه يتصل بقبيلة تنوخ العربية فأشاعه .

بدأ عز الدين التنوخي يتلقى علومه الأولية في المدرسة الرشدية الابتدائية بدمشق ، بعد أن كان قد ختم القرآن في المدرسة السباهية ، وقبل أن يتم تحصيله هاجر أبوه إلى فلسطين ، وفي مدينة يافا أقامت أسرة شيخ السروجية إلى جانب ربها الذي كان يتعاطى التجارة طلباً للعاش ، وفيها أتم عز الدين تحصيله الإعدادي ، بعد أن انتسب إلى (مدرسة الفرير الفرنسية) ولما وجد أبوه رغبة منه في الاستزادة من العلم بعث به إلى مصر للالتحاق بالجامع الأزهر .

مكث عز الدين التنوخي في مصر نحواً من خمس سنين ، ثم عاد إلى دمشق بعد أن مر بأسرته في فلسطين ، وأخذ يجلس في مسجد دمشق الجامع ويتكلم فيتحلق الناس حوله ، حتى تحدث الناس عن ابن شيخ السروجية الأزهري الذي يدرس في المسجد دروساً فيها دعوة إلى الإصلاح الاجتماعي تدل على أزهريته وعلى ثقافة تبين عن حداثة وتجديد .

وفي سنة ١٩١٠ م ، اختارته جمعية أهلية ، ألفها بعض أهل الفكر في دمشق ، واحداً من ثلاثة قررت إيفادهم بعثة إلى فرنسا لتابعة تحصيلهم العالي في إحدى مدارسها ، فسافر ومكث فيها ثلاث سنوات حصل في نهايتها على شهادة المدرسة الزراعية في مدينة أوريزون وعلى شهادة في تطعيم الأشجار ، وعاد عز الدين التنوخي سنة ١٩١٣ م من فرنسا ، معرجاً على الآستانة عاصمة الدولة ، يعادل فيها شهادته الفرنسية بالشهادات العثمانية سبيل الوظائف الحكومية إذ ذاك ، وأقام في الآستانة مدة انتهت بتعيينه معلماً للزراعة في مركز بيروت الزراعي ، وكان خلال هذه المدة يتصل بالشباب العربي المتطلع إلى نهضة عربية شاملة ، موثقاً علاقاته بالرواد منهم ، منتسباً إلى إحدى منظماتهم المسماة بـ (المنتدى الأدبي) .

وصل عز الدين التنوخي إلى بيروت معلماً للزراعة ولم تمض عليه في وظيفته سنة ، إلا وكانت نيران الحرب العالمية الأولى قد اشتعلت سنة ١٩١٤ م ، فدعى إلى الخدمة العسكرية ، ودخل مدرسة ضباط الاحتياط في دمشق وقبل أن يتم ورفاقه من الشباب العربي المتحمس الدراسة المقررة لهم ، ألحقوا بالجيش العامل تشتيماً لهم ، وفوجيء عز الدين التنوخي ، وكان مركز اللواء الذي ألحق به في حلب ، بالسلطات العسكرية تلقى القبض على بعض رفاقه ففر مع رفاق آخرين من الخدمة العسكرية وسار هو في طريق العراق



الأستاذ عز الدين التوم

شوقاً فوصل سالماً ، وسار غيره في طريق الحجاز جنوباً فألقي القبض عليهم وسيقوا أمام الديوان العربي في عاليه ثم أعدموا قافلة من قوافل شهداء العرب في العهد العثماني .

وغادر عز الدين التنوخي العراق بعد مدة من وصوله إليه إلى الحجاز للالتحاق بالثورة العربية الكبرى التي كان الملك حسين قد أضرمها في حزران (يونيو) سنة ١٩١٦ م ، وفي مكة عينه الملك مديراً للزراعة في حكومته ، ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى ترك منصبه القائم في وادي غير ذي زرع ، والتحق بجيش الأمير فيصل بن الحسين المتجه يومئذ نحو دمشق .

وفي ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ م ، دخل عز الدين التنوخي دمشق مع الجيش العربي ، إثر جلاء الأتراك عنها ، ثم اختارته الحكومة العربية ، لما عرف عنه من تضلع بالعربية ومعرفة للفرنسية عضواً في لجنة الترجمة والتأليف ثم عضواً في ديوان المعارف نواة المجمع العلمي العربي فكان من أعضائه المؤسسين ، وظل في هذه الوظيفة إلى أن أوقفت أعمال المجمع العلمي في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م تخفيفاً لنفقات الحكومة ، وبتاريخ ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ عين مجدداً في ديوان المعارف ، ثم نقل في أول تشرين الأول (أكتوبر) من السنة نفسها ، مميّزاً الرسائل في المجمع العلمي العربي ، بعد أن عاد المجمع إلى نشاطه ، ولم يلبث أن استقال بعد شهر ونصف ، فعين مميّزاً للرسائل في مديرية الصحة بدمشق ، ولكنه استقال أيضاً في نهاية آذار (مارس) ١٩٢١ م ، وفي شهر آذار (مارس) من عام ١٩٢٢ م ، عين مترجماً في مديرية البرق والهريد ، ولم يحل شهر تشرين الأول (نوفمبر) سنة ١٩٢٣ م حتى أجمع أمره

على الهجرة إلى العراق ، بعد أن أتبعه التنقل في مختلف الوظائف الحكومية وكان العراق قد أصبح ، بعد احتلال الجيش الفرنسي سورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ م ، أمل العرب الجديد .

استقال عز الدين التنوخي من وظيفته في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٣ م ، وسافر إلى بغداد عاصمة الدولة العربية الجديدة ، وقد استقر فيصل الأول الملك النازح عن سورية ملكاً عليها ، وأصبح ساطع الحصري وزير معارف سورية مديراً عاماً للمعارف فيها .

تولى عز الدين التنوخي بادي ذي بدء التدريس في مدارس بغداد الثانوية ، ثم تقل سنة ١٩٢٤ أستاذاً إلى دار المعلمين الأولية ، ثم أستاذاً إلى دار المعلمين العالية ، وعندما تقل إليها أيضاً ساطع الحصري سنة ١٩٢٧ م أستاذاً ، ساعده في إصدار (مجلة التربية والتعليم ^(١)) وأخذ يحرر فيها ، وكان مما نشره عدد من فصول كتاب (قلب الطفل) مترجماً عن الفرنسية .

ودعي عز الدين التنوخي وهو في بغداد ، إلى تأليف بعض الكتب المدرسية ، وكان من عمله ترجمة كتاب عن الفرنسية مؤلفه فرنان ماير أطلق عليه اسم (مبادئ الفيزياء) تعريباً لكلمة Physique الفرنسية ، فكان تعريباً موفقاً شاع واشتهر في أكثر الأقطار العربية بعدئذ .

وفي نهاية سنة ١٩٣١ م حدث ما كرهه التنوخي بعمله . وهيج الحنين في صدره إلى مرابع صباه ، فاستقال من وظيفته ، وعاد إلى دمشق ، وفيها أشغل

(١) صدرت هذه المجلة في أول عام ١٩٢٨ م واستمرت حتى آخر عام ١٩٣١ م ،

انظر مذكرات ساطع الحصري في العراق ج ٢ ص ٤٥ بيروت ١٩٦٨ م .

بدءاً من ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٤ م حتى غاية إيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٦ م،
أمانة سر المجمع العلمي العربي، بتاريخ ١٨ كانون الأول (سبتمبر) سنة ١٩٣٧ م،
عين أستاذاً للعبودية وآدابها في المدارس الثانوية في حمص ثم في دمشق ،
ثم أسند إليه بتاريخ ١ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤٢ م ، منصب مدير
معارف محافظة السويداء ، ثم عين في أول سنة ١٩٤٧ م ، مفتشاً للمعارف
بدمشق وعضواً في لجنة التربية والتعليم ، وفي مطلع سنة ١٩٤٨ م عين
أستاذاً في كلية الآداب الحديثة بجامعة دمشق ، وقد درّس فيها علوم البلاغة ،
وفي نهاية سنة ١٩٥٣ م ، أُحيل إلى التقاعد ، لبلوغه السن القانونية بحسب
القيود الرسمية .

ومنذ سنة ١٩٥٣ م ، تفرغ عن الدين التنوخي للعمل الجمعي ، وقد انتخب
بآخرة نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، فاشغل هذا المنصب العلمي الكبير
بما صرف عنه من تضاع ودأب وتدقيق ، حتى وافته المنية صباح يوم الجمعة في
السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٨٦ للهجرة الموافق للرابع والعشرين
من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٦ للميلاد ، فنماه المجمع وندته وزارة التربية
وبكاه أهل العلم والفضل ، في مختلف البلاد ، وقد وري الثرى في مقبرة
الباب الصغير بدمشق .

عن الدين التنوخي الجمعي

كان الأستاذ عن الدين التنوخي في نهاية سنة ١٩١٨ م ، في عداد المختارين
ليكونوا أعضاء (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) ، ثم كان في عداد أعضاء
(ديوان المعارف) ، ولما تحول هذا الديوان إلى مجمع علمي كان الأستاذ
التنوخي واحداً من أعضائه الثمانية المؤسسين ، وحضر الجلسة الأولى التي

عقدت في ٣٠/٧/١٩١٩ في المدرسة العادلية الكبرى مقر المجمع العلمي العربي بدمشق إلى اليوم .

ومنذ أن هاجر الأستاذ التنوخي إلى بغداد ، أصبح في عداد الأعضاء الواسدين للمجمع العلمي العربي ، وعندما فكر بعض علماء بغداد وأهل الفكر فيها سنة ١٩٣٥ م ، في إنشاء مجمع علمي عراقي على غرار مجمع دمشق ، كان في عداد من انتخبوا ليكونوا من الأعضاء المؤسسين ، غير أن الحياة لم تكتب لهذا المجمع ، على أن المجمع العلمي العراقي الذي أنشئ سنة ١٩٤٧ م ، انتخب الأستاذ عز الدين التنوخي سنة ١٩٦١ م عضواً مراسلاً له في دمشق .

ومنذ سنة ١٩٣٢ م ، عاد الأستاذ عز الدين التنوخي عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي ، يكتب في مجلته ويحقق النفائس من المخطوطات ، وقد ألقى باسم المجمع في حفل تأبين أمير الشعراء أحمد شوقي في ١٣/١١/١٩٣٢ م ، خطاباً عن شوقي واللغة . ولما تقرر إعادة المجمع إلى نشاطه بعد أزمة سنة ١٩٣٤ ، كلف الأستاذ عز الدين التنوخي بأمانة سر المجمع فأشرف على جهازه الإداري وعلى مجلته بدءاً من مطلع تشرين الثاني ١٩٣٤ م ، حتى نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٧ م .

وبتاريخ ١٩/١٢/١٩٥٧ م انتخب التنوخي عضواً في لجنة المطبوعات ومجلة المجمع وبتاريخ ١/١١/١٩٦٢ ، انتخب نائباً للرئيس ، فكان من المنقطعين للعمل الجمعي ، يحقق الكتب ويشرف على المجلة حتى وافته منيته رحمه الله . وقد نعت هذه المجلة في الصفحة ٥٣٨ من المجلد ٤١ لسنة ١٩٦٦ م .

وبتاريخ ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ م ، أقامت وزارة الثقافة والإرشاد القومي حفلة تأبين للأستاذ التنوخي على مدرج جامعة دمشق ، تكلم فيها عن حياته ومنزلته العلمية واللغوية وأدبه وشعره ، كل من الأستاذ سليمان الخش

وزير التربية ، والأستاذ عارف النكدي والأستاذ عبد الهادي هاشم والدكتور شكري فيصل .

وعندما انتخب الأستاذ عبد الهادي هاشم في مطلع سنة ١٩٦٧ م ، عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق ، دعاه المجمع لاحتلال المقعد المجدي الذي خلا بوفاته فقيده المجمع الأستاذ التنوخي ، ولكنه لم يستقبل حتى كتابة هذه الأسطر .

عز الدين التنوخي في رأي زملائه المحققين

أبْن الدكتور مصطفى جواد باسم المجمع العلمي العراقي عز الدين التنوخي ، برسالة وصف بها الحسran الذي لا يعوض بفقدانه ، وكان مما قاله :

[.. كان الأستاذ عز الدين علم من أعلام علماء العرب ومن المتبحرين في مفردات العربية ، ومن الترجمة المتقنين من اللغة الفرنسية إلى العربية ، ألف كتاب « صناعة الإنشاء » وجمع بين القواعد العربية والأساليب العربية ، وترجم كتباً في الطبيعيات والفيزياء ، وهو أول من سماها بـ « الفيزياء » قياساً على الكيمياء ، وعنى كثيراً بترجمة مصطلحات التشريح التي كانت تدرس في العراق ، وبدأ بتدريسها وتدرّس العلوم العربية بالشام والعراق ... وكان تعليمه وتدرّسه خير قدوة للمعلمين والمدرسين والأساتذة ، وكان يعزّز بنسبه التنوخي وبفخر بالعروبة ، ونشر من كتب الأدب واللغة ما هو معروف بين العلماء والأدباء بالتحقيق الدقيق والاتقان والتجري ..] .

وكان مما قاله الأستاذ عارف النكدي باسم المجمع العلمي العربي في دمشق ، في تأييد عز الدين التنوخي :

[.. علمٌ راسخ ، واطلاع واسع ، وتحقيق وتدقيق ، وقوة ذاكرة ، وبديهة حاضرة ، ودأب وجهد ، كل ذلك مكّنه من إنتاج النافع المفيد ،

واخراج الطريف والتليد ، من كتب المتقدمين والمتأخرين ، نشراً وشروحاً ،
ونقلاً ووضعاً ، فأضاف إلى دور الكتب ، وإلى ثروتها السابقة ، ثروة
قيّمة جديدة ..] .

وكتب الأستاذ محمد بهجة الأثري يعزى بالتونخي واصفاً حزنه بفقدته وأنه كان :
[صديقاً حميماً ، حدث صحبته في السنين الطوال ، وعالماً محققاً ذا يد بأسطة
وفضل غزير ، وعربياً مؤمناً صاحب حفاظ على العرب والعربية والإسلام ،
وركناً ركيناً في بنية الجمع منذ ساعة تأسيسه قبل نصف قرن ..] .
وكتب الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي يؤنّ التونخي ويذكر الصداقة
التي كانت تربط بينهما ، وكان مما كتبه :

[لقد كان - رحمه الله - مفهماً بالآداب والمعارف سمحاً كريماً في
تقديره لجهود المعنيين بها ، إذن ليس يبدع أن تمسّق الأذن قبل العين من
كلا الطرفين ، حتى إذا التقينا راعني مخبره ومنظره ، واستهوتني شمائله ،
وسأذكر دائماً تلك المجالس التي كان المرحوم بهم يعقدّها على ضفاف بردي
وفي وسط داريا أثناء زيارتي لبلاد الشام ، والتي كنّا نتجاذب فيها الأحاديث
عن الشعر والأدب ، ونتفكه بروح أخوية صافية ، ومن آيات أدبه وظروفه
وودّه وإخلاصه ، تلك الآيات التي كان يرتجلها ارتجالاً ويوجّهها إليّ في
مناسبات شتى ، منها :

الله يعلم يا عبد العزيز بما	لكم بقلبي من ودّ وإجلال
أحس بالفضل في غيري فأعرفه	ما ينكر الفضل إلا كل ختال
إن السنابل حين الحبّ يملؤها	تحني الرؤوس ويملو الفارغ الخالي] .

وعما ذكره الدكتور شكوي فيصل ، في حديثه الطويل عن أدب التنوخي قوله : [لني حدثكم عن التنوخي الأديب الذي يحسن الشعر ، ويحيد النثر ، وبتفنن المحاضرة ، ويزين البحث . ولكنني أغفلت الأدب الآخر ، أدب النفس .. الذي هو تنويع لأدب المدرس ، فقد كان نبضة حية في صدر الأستاذ التنوخي وكان نوراً نيراً في وجهه وسلوكاً واضحاً في سلوكه .. كان من أطيب الناس معشراً وأصفاهم خلفاً ، وأبعدهم عن كثير من تعقيدات الحياة المعاصرة ..] .

آثار عز الدين التنوخي المطبوعة

قام الأستاذ عز الدين التنوخي بتأليف وترجمة عدد من الكتب المدرسية والجامعية ، كما أنه حقق ونشر بعض ذخائر المخطوطات العربية الهامة ، وفيما يلي ثبت بما نشر له :

- ١ - « الفتح المبين في شرح عينية الرئيس ابن سينا » ، وقد طبعت هذه الرسالة بمصر أيام الدراسة في الجامع الأزهر .
- ٢ - « دروس في صناعة الإنشاء » ، لطلاب المدارس الثانوية في العراق ، وقد طبعت في بغداد أيام كان التنوخي مدرساً فيها .
- ٣ - « مبادئ الفيزياء » ، ترجمة عن الفرنسية لطلاب المدارس الثانوية في العراق ، وهو في جزئين طبعا في بغداد .
- ٤ - « قلب العاقل » ، ترجمة عن الفرنسية نشر ، بمضه في مجلة الترية والتعليم في بغداد ، ثم طبع في دمشق بجزأين .

- ٥ - « المنتقى من أخبار الأصمعي » تحقيق كتاب الإمام الربيعي ، وقد
ظهر في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٥ م .
- ٦ - « تكملة لإصلاح ما تغلط فيه العامة » تحقيق كتاب الإمام الجواليقي ،
وقد ظهر في مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٣٦ م .
- ٧ - « بحر العوام فيما أصاب فيه العوام » تحقيق كتاب الإمام ابن الحنبلي ،
وقد ظهر في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٧ م .
- ٨ - « الإيضاح » شرح كتاب الإمام القزويني في علوم البلاغة ، وقد طبع
في مطبعة جامعة دمشق في ثلاثة أجزاء .
- ٩ - « إحياء العروض » لطلاب كلية الآداب ، وقد طبع في دمشق .
- ١٠ - « الإبدال » تحقيق وشرح كتاب أبي الطيب اللغوي ، وقد ظهر في
جزأين في مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .
- ١١ - « المثني » تحقيق وشرح كتاب أبي الطيب اللغوي ، وقد ظهر في
مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦٠ م .
- ١٢ - « الإتياع » تحقيق وشرح كتاب أبي الطيب اللغوي ، وقد ظهر في
مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦١ م .
- ١٣ - « الإبدال والمعاقبة والنظائر » تحقيق وشرح كتاب الإمام الزجاجي ،
وقد ظهر في مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٦٢ م .
- ١٤ - « مقدمة في النحو » تحقيق وشرح كتاب خلف الأحمر ، وقد نشرته
وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٦١ م .
- ١٥ - « وصف الطر والسحاب » تحقيق وشرح كتاب ابن دريد ، وقد ظهر
في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٣ م . م (١٦)

- ١٦- تحقيق ديوان « السلطان سليمان بن سليمان النهماني » ، وقد طبع في دمشق سنة ١٩٦٥ م .
- ١٧- وشارك الأستاذ التنوخي في نقل « المعجم الكندي العسكري » إلى العربية ، وكان من أعضاء اللجنة المكلفة بذلك ، وقد صدر المعجم بقسميه الفرنسي والانكليزي بدمشق سنة ١٩٦١ م .
- ١٨- وشارك أيضاً في اللجنة التي ألغها الجمع للنظر في «معجم المصطلحات الأثرية» الذي وضعه يحيى الشهابي ، وظهر في مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٧ م .
- ١٩- وكان التنوخي قد بدأ، بتكليف من الجمع العلمي بتحقيق كتاب « الدلائل في غريب الحديث » لفاسم بن ثابت السرقسطي ، وعاجلته المنية قبل إنجازها .

مصادر ترجمته

- كتب الأستاذ عن الدين التنوخي في أول شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٦١ م ، ترجمة لنفسه محفوظة في ملفه الجمعي ، وهي ترجمة موجزة لا تتضمن تواريخ الحوادث الواردة فيها بصورة دقيقة .
- وقد نعتته مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في ص ٥٣٨ من مجلد ٤١ لسنة ١٩٦٦ م وذكرت خلاصة الترجمة التي كتبها بنفسه مع تعديل طفيف ، وقد رجعت في تدوين هذه الترجمة إلى اوثائق الرسمية وبمجموعة مجلة الجمع ، وإلى ذاكرة بعض أصدقاء التنوخي .
- وفي كتاب « معالم وأعلام » لأحمد قدامة ج ١ ص ٢٠٥ المطبوع في دمشق سنة ١٩٦٥ م ، ترجمة موجزة للتنوخي .
- وتفكر وزارة الثقافة في سورية ، في إصدار كتاب ، في سلسلة « العروبة تكرم » عن الأستاذ التنوخي تترجم له فيه ، وتجمع ما قيل في حفلة تأييده .



عيسى اسكندر المعلوف

١٨٦٩ - ١٩٥٦ م

نشأته ومبائه

ولد عيسى بن اسكندر المعلوف ، وهو من أسرة غسانية حورانية ، في ١١ نيسان (ابريل) سنة ١٨٦٩ م (أوائل سنة ١٢٨٦ هـ) في قرية (كفر عقاب) من قرى قضاء النتن في جبل لبنان ، وفي مدرسة هذه القرية تلقى علومه الابتدائية .

ثم انتسب إلى (مدرسة الشور) للمرسلين الانكليز ، يتلقى فيها معارفه الإعدادية ومبادئ الإنكليزية ، ولكن لم يلبث قليلاً حتى تركها منصرفاً إلى الدراسة والمطالعة لوحده . يحضر مجالس علماء عصره أمثال الشيخ إبراهيم اليازجي ويأخذ عنهم ، ويقتني الكتب ملتمحاً ما فيها من مفارح ، وما كاد يبلغ الخامسة عشرة من عمره إلا وظهرت عليه علامت النبوغ واشتهر بالثقافة والاطلاع الواسع ، فكلف بالتدريس في المدارس الخاصة ، فقبل التكليف غير منقطع عن طلب العلم والاستزادة من المعرفة ، فقرأ علوم العربية وآدابها حتى تبحر فيها ، وطالع كتب الإنكليزية وآدابها حتى أتقنها .

وفي سنة ١٨٩٠ م ، انتقل عيسى اسكندر المعلوف إلى مدينة (بعبدا) مركز متصرفية جبل لبنان ، وأخذ يحرر في جريدة لبنان ، وهو يكتب المقالات والأبحاث الأدبية والاجتماعية ويبحث بها إلى مختلف الجرائد والمجلات والتي كانت تصدر في مدينة بيروت ، وفي سنة ١٨٩٣ م ، وكان في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، عين مدرّساً في المدرسة الأرثوذكسية في قرية (كفتين) من أعمال طرابلس الشام ، قضى فيها أربع سنوات عاد بعدها إلى تحرير جريدة لبنان في بعبدا .

وفي سنة ١٩٠٠ م ، كف عيسى اسكندر المعلوف بتدريس علوم الموازية في المدرسة البطريركية الأرثوذكسية في دمشق ، فانتقل إليها غير منقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات ولا سيما مجلة النعمة التي كانت البطريركية المذكورة تصدرها في دمشق .

وانتقل عيسى اسكندر المعلوف بعد سنة ، إلى مدينة زحلة يدرس في (الكلية الشرقية) لمدة قاربت العشر سنوات ، أنشأ خلالها لطلابه مجلة أطلق عليها اسم (الهذب) .

وفي سنة ١٩١١ م ، بدأ بإصدار مجلة خاصة به أسماها (مجلة الآثار) ، وقد صدرت منها ثلاثة مجلدات قبل اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م ، كما صدر بآخرة مجلدان منها خصصها بتاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني .

وظل عيسى اسكندر المعلوف يشتغل بالتدريس في زحلة وفي سوق الغرب ، دون أن ينقطع عن البحث والكتابة والتأليف ، حتى انتهت الحرب العالمية بجلاء الأتراك عن سورية ، فجاء دمشق أواخر سنة ١٩١٨ م ، فمئنته



الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

الحكومة العربية سنة ١٩١٩ م ، عضواً في (ديوان المعارف) نواة (الجمع العلمي العربي) ، ثم أصبح عضواً متفرغاً في الجمع ، فلما بدأت نيران الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين بالإندلاع ، ترك عيسى اسكندر المعلوف دمشق وعاد إلى مدينة زحلة يقيم فيها منقطعاً إلى التأليف والنشر ، وكان حريصاً على اقتناء نفائس الكتب وعلى جمع النادر من المخطوطات التي دونها مؤلفوها بأيديهم أو قرئت عليهم ، وكانت خزائنه تضم حوالي ألفي مخطوطة وعدداً كبيراً من الكتب المطبوعة والدوريات المنوعة .

فلما كانت سنة ١٩٥٢ م ، اعتلت صحة المعلوف وضعف بصره ، فانقطع عن العمل المجهّد وعن السفر وعن الكتابة والمطالعة ، حتى وافته النية يوم الاثنين الثاني من تموز (يوليو) سنة ١٩٥٦ م ، فبكاه العلماء والمفكرون وشيعته مدينة زحلة في اليوم التالي ، بموكب حافل إلى حيث دفن في ترى واديها الجميل ملهم العباقرة الشعر الرائع .

عيسى اسكندر المعلوف المجهّم

لما جلا الأتراك عن دمشق في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وقامت في سورية أول حكومة عربية مستقلة ، تطلعت إليها أنظار المفكرين والعلماء في مختلف أصقاع العالم العربي ، وكان بمن وردها ، ممتازاً بالدولة العربية تتحقق وتقوم حقيقة واقعة ، بمد أن كانت تداعب مخيلاتهم زمناً طويلاً ، عيسى اسكندر المعلوف ، وكان معروفاً فيها مشتهراً بالعلم والفضل وحسن المحاضرة ، ففتحت دمشق للنادم قلبها ، كمادتها بالنسبة لكل عربي ووزير ، وتهادته النوادي الأدبية ضيفاً كريماً ومحاضراً ذا ثقافة متينة وشاعراً فحلاً بجيد النظم والإلقاء .

وعندما أرادت الحكومة في دمشق ، تعريب الدواوين والنهوض بالعربية من كبوتها ، كان عيسى اسكندر المملوك ، في عداد من عينتهم بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ م ، أعضاء في اللجنة الأولى للترجمة والتأليف ، ثم كان بتاريخ ١٢ شباط (فبراير) ١٩١٩ م عضواً في ديوان المعارف ، ثم أصبح بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ م عضواً في الجمع العلمي العربي ، وقد حضر مع زملائه السبعة مؤسسي الجمع الجلسة الأولى التي عقدت في المدرسة العادلية بتاريخ ٣٠ تموز (يوليو) ١٩١٩ م ، وكان من أعضاء القسم اللغوي الأدبي في الجمع .

وعندما عاد الجمع العلمي العربي ، إلى نشاطه ، بعد زوال الظروف التي دعت إلى توقفه عند الاحتلال الفرنسي لسورية ، عين عيسى اسكندر المملوك بتاريخ ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٢١ م ، عضواً متفرغاً في الجمع ، فأخذ يكتب ويحاضر وينشر في مجلته القالات التاريخية والاجتماعية والأدبية اللغوية والتعريفات الدقيقة لفنائس الآثار والمخطوطات والكتب الجديدة ، بما عرف عنه من علم غزير ودأب على المراجعة والتحقيق ، وقد حوى الجزء الأول من كتاب (محاضرات الجمع العلمي العربي) المطبوع سنة ١٩٢٥ م ، على بعض محاضرات المملوك التي ألقاها في ردهة الجمع وهي التالية :

- ١ - د حقائق تاريخية عن دمشق وحضارتها ، وقد أُلقيت مساء ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٠ م ، وجاءت في ٢٧ صفحة من القطع الكبير .
- ٢ - د كيف تحقق الآثار التاريخية ، وقد أُلقيت مساء ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٢ م ، وجاءت في ٢٢ صفحة من القطع الكبير .
- ٣ - د صناعات دمشق القديمة ، وقد أُلقيت مساء ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢ م ، وجاءت في ٣٣ صفحة من القطع الكبير .

وعندما ترك عيسى اسكندر المعلوف الاقامة في دمشق سنة ١٩٢٥ م ،
غدا عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في لبنان ، وما انقطع أبداً عن
مراسلته والتحرير في مجلته بعد ذلك خلال سنوات عديدة .

وكان عيسى اسكندر المعلوف من أبرز علماء لبنان الذين فكروا في تأسيس
مجمع علمي لبناني سنة ١٩٢٥ م ، غير أنه لم يكتب لهذه الفكرة أن تتحقق .
وعندما أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٣٣ م ، كان عيسى اسكندر
المعلوف من الأعضاء الرواد الذين وضعوا الأساس المتين الذي قام عليه
صرح مجمع القاهرة ، وقد اشترك في عدد من لجانه ونشر في مجلته بعض
البحوث اللغوية ، وظل مثابراً على حضور جلسات المجمع كل سنة ، إلى أن
اعتلت صحته سنة ١٩٥٢ م ، فقدم استقالته فانتخب عضواً فخرياً في المجمع .
ويوم وافاه الأجل نعاه مجمع اللغة العربية في القاهرة قائلاً :

[يعرب مجمع اللغة العربية عن بالغ أسفه لوفاة الأستاذ الكبير عيسى
اسكندر المعلوف ، الذي كان من طليعة أعضائه العاملين يوم أسس ،
وقد أسهم في أعمال المجمع بما عرف به من دأب على البحث ووفرة في الجهد
ومشاركة في شتى الدراسات اللغوية مدى عمره المبارك . والمجمع إذ يفقد
هذا العالم الجليل يبعث بأصدق التعزيات إلى أسرته ، وإلى المحبين في سائر
البلاد العربية وكل أديب ومشتغل بالدرس والبحث ، عرف قدر الفقيه وأفضاله
على الحركة الفكرية العربية ^(١)] .

ولعت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
ووصفت رزية المجمع به قائلة بأنه : [أحد أعضائه الأوائل ، الذين

(١) جريدة الأهرام عدد ٥ ثور (يوليو) ١٩٥٦ م .

شادوا صرحه وأثلوا مجده وحببوا العربية إلى أبنائها ، يوم كان القوم
بين عازف عنها منكر لها ، وجاهل بها جاحد فضائها ...
كان الفقيد كويم الخلق ، هادى الطبع ، واسع الصدر ، عميق
الفكر ، جم التواضع ، عالي الهمة ، جواداً بعلمه ..] .

عيسى اسكندر المعلوف في أقوال المجديين

قال الأستاذ حامد عبدالقادر ، وهو يحتل مقعد الأستاذ عيسى اسكندر
المعلوف في مجمع اللغة العربية في القاهرة : [. . نشأ المعلوف منذ صباه محباً
للعلم ، مجداً في طلبه ، مكباً على البحث والدرس ، مولعاً بنشر المعارف ،
حريصاً على أن ينفع مواطنيه بعلمه بتعليم النشء ، وتربيتهم على أسس قوية
سليمة ، ونشر المقالات الصافية في أمهات الصحف والمجلات ، وتأليف
الكتب القيمة في الأدب والتاريخ واللغة وسائر العلوم والفنون ...

ومما يدل على قيمة هذه المقالات أن كثيراً منها ترجم إلى التركية ،
والروسية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والألمانية ، والرومانية ، والإيطالية] .
وقال الدكتور منصور فهمي وهو يرثي زميله المعلوف : [. . تتمثل
الصفات الضرورية لسقيا المعارف البشرية وغنائها في الدأب ، والصبر ، والاجتهاد
الموصول ، والتحصيل النهم ، والجمع المتلاحق ، وكذلك كان المرحوم عيسى
اسكندر المعلوف دؤوباً صبوراً موصول الجد نهماً في طلب العلم جهاماً ،
فكان مثلاً عالياً لهذا الصنف من المحصلين ممن فيهم لغيرهم مدد ، وعندهم
للدارسين ذخيرة صالحة لمن ينتفع بها من المفكرين والبتكرين] .

وقال الدكتور فؤاد صروف في حفل تكريم ذكرى عيسى اسكندر المعلوف : [إن رجلاً يقضي ستين سنة أو تزيد ، يبحث ويحقق ويؤلف ويحاضر وينشر ويخزن مالا يتاح نشره ، ثم يبيحه للباحثين الذين يطلبونه ، كما فعل بالئات الخمس من مجموعة مخطوطاته التي اقتنتها مكتبة الجامعة الأميركية ، ويشترك اشتراكاً فاعلاً حصيناً في ثلاثة مجامع علمية في دمشق وبيروت والقاهرة ، فيشهد دوراتها وبسهم في مناقشاتها ومنشوراتها ، ويصدر مجلة الآثار ويكتب لمجلة - انقطف - وغيرها لهو حثاً رجل من الأقيال] .

ومما قاله الأستاذ عارف النكدي في المعلوف : [العلامة عيسى اسكندر المعلوف زميل كريم وأستاذ جليل خدم وطنه وقاريحه ولقته أجل الخدمات] .
ومما قاله المستشرق الفرنسي الأستاذ لويس ماسينيون في زميله المعلوف : [قد اجتمعنا للمرة الأولى ، يوم صرنا عضوين متخيين بدمشق في المجمع العلمي العربي ، الذي كان قد أسسه صديقنا الأستاذ محمد كرد علي .. ثم حظيت بلقاء الأستاذ عيسى المعلوف مباشرة في القاهرة سنة ١٩٣٤ م ، يوم كنا عضوين دائمين في مجمع اللغة العربية والمؤتمر السنوي للمعجم الكبير ، ثم زاد ما بيننا التعارف في الجلسات المجمعية ، وتغارب آرائنا في المسائل اللغوية الهامة والاجتماعات لتكوين نخب مختارة في المدن والقرى لتعليم الصنائع والحرف الفيدة لصالح الأمة والتي لها تأثيرها على اللهجات اللغوية . وإنني أنوه ببحوث الأستاذ عيسى في اللغة الصناعية الدمشقية الفيدة ، وهي أيضاً موضوع اهتمامي وبحوثي ..]

ومما قاله الأستاذ فيليب طرازي في عيسى اسكندر المعلوف : [إنه جاد الزاج والذهن ، كثير الجلد على الكتابة والمطالعة ، لا يكاد يمل ،

وقد صرف نحو ثلاثين سنة في العمل العقلي الدائم ، طيب القلب لا تتجني ضلوعه على ضئيفة ، ولا يدخل قلبه حب الانتقام ، متساهل في آرائه على غير تروده . [.

ورثي الأستاذ أمين نخلة الأستاذ المألوف برائعة قال فيها :

قعد العلم بعيسى مأتما	واليراع العف والصدر النقاء
شهد العلم المزكى أنه	من هوى خلو ومن لغو براء
برّ بالثقل على النقد له	ونفى عنه تهاويل الرياء
ظفر العلم بعلو فيفة	من يراع كالرياض وضاء
علمت ما الجهد والدأب ولم	تدر ما الدعوى ولا ما الخيلاء
رب سطر لامع في طرسه	بسواد الليل والمين أضاء
لا تبال اللون من أسوده	فالدم الأحمر والخبر سواء !

* * *

يا أبي التاريخ بلغت ذرى	لم تتح علياؤها للنظراء
هات من أنبائه وانظر لنا	هن ليالي الغد من أمس ملاء
وهل الناس - على أطوارهم	في قوالي جدد أو قدماء
ألهوا القوة في الأمس وهل	سجدوا اليوم لغير الأقوياء
وهل الفرد تولى عصره	واستذنته ألوف الجبناء
كان بالميلاد والتاج ، فهل	عاد فيهم برعاع وغشاء
وهل العلم تجلى بأسه	في اجتذاب الخير أو سوق الرخاء
أم تولته بد طاغية	سخر العلم لشر وشقاء

آثار عيسى اسكندر المعلوف العلمية

ترك الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، المكتبة العربية ثروة ضخمة من المؤلفات والأبحاث والدراسات التاريخية والأدبية ، وهي تقدر بنحو سبعين مجلداً ، ولكن من المؤسف أن تكون أكثر آثاره العلمية مخطوطة لم تطبع ، يتنادى محبوه وعارفو فضله بين الفينة والفينة للتعاون على نشرها ، وفيما يلي أهم الآثار التي تركها :

أولاً : الآثار المطبوعة :

١ - « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » ، وقد طبع سنة ١٩٠٨ م في ٧٥٠ صفحة .

٢ - « تاريخ مدينة زحلة » وقد طبع سنة ١٩١١ م ، في ٢٩٨ صفحة .

٣ - « مجلة الآثار » وقد صدر منها ثلاثة مجلدات قبل الحرب العالمية الأولى .

٤ - « تاريخ فخر الدين المعني الثاني » الذي حكم لبنان في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، وقد طبع سنة ١٩٣٤ م في ٤٤٨ صفحة .

ثانياً : الآثار المخطوطة .

١ - « تاريخ الأسو الشرقية » ويقع في ١٤ مجلداً تتضمن أنساب أهم الأسر المعروفة في العالم العربي .

٢ - « معجم الألفاظ العامة والدخيلة » .

٣ - « نوابغ النساء في الشوق والغرب » .

٤ - « تاريخ خزائن الكتب العربية » .

٥ - « تاريخ سورية الجوفية » ويبحث في تاريخ بلاد البقاع وبلبيك .

٦ - « تاريخ حضارة دمشق وآثارها » .

٧ - « تاريخ بلاد حوران » .

- ٨ — « الأمثال العامة » ، معجم مرتب على حروف الهجاء .
- ٩ — « التذكيرة المملوكية » ، تقع في عشرة أجزاء ، تتضمن مجموعة أبحاث ودراسات في العلوم والفنون والآداب والآثار .
- ١٠ — « حياقي » ، وهو كتاب يتضمن أعمال مؤلفه وشيئاً من مذكراته .

مصادر ترجمته المملوك

لم يوف الأستاذ عيسى اسكندر المملوك حتى اليوم ، حقه من الدراسة والتنويه بفضلته وخدماته للغة والتاريخ ، رغم المحاولات التي قام بها نفر من العلماء والأدباء والأوفياء ، وقد ترجمت للمملوك باختصار كل من المصادر التالية :

- ١ — « الموسوعة الدورية المصورة » ص ١٧٢١ .
 - ٢ — « أعلام الفن والأدب » ، لأدم الجندي ج ٢ ص ٢٩١ .
 - ٣ — « مجلة المجمع العلمي العربي » ، مج ٣١ ص ٦٨٢ .
 - ٤ — « مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة » ، مج ١٠ ص ١٦٨ .
 - ٥ — « مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة » ، مج ١٣ ص ٢٧٧ .
 - ٦ — « المجمعيون » القاهرة ص ١٤١ .
 - ٧ — « العلامة عيسى اسكندر المملوك » بقلم ولده رياض . المجلة المخرصة ١٩٦٢ م .
 - ٨ — « مجلة الميذر » عدد خاص برقم ٥١٣ بيروت حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م .
- هذا وكنت قرأت أن الأستاذ يعقوب عودات (البدوي المثلث) ألف كتاباً عن المملوك ، ولست أدري إن كان طبع أم هو في طريقه إلى الطبع .



متري قندلفت

١٨٥٩ - ١٩٣٣ م

نشأته ومبائه

ولد متري^(١) بن ابراهيم قندلفت ، في دمشق سنة ١٢٧٦ هـ الموافقة لسنة ١٨٥٩ م ، في أسرة دمشقية أرثوذكسية المذهب ، وكان أبوه صاحب معمل لصناعة الحرير ، ويرغب في أن يرى ابنه إلى جانبه في مصنعه الصغير ، ولكن الولد لم يكد ينهي تحصيله الأولي ، حتى بدا متمطشاً للعلم والمعرفة ، يصادق الكتب ليل نهار مفتشاً عن مصادر يتلقى العلم منها ، فاستسلم أبوه لرغباته وساعده على الالتحاق ببعض المدارس الأهلية ، كما سمح له بحضور مجالس بعض شيوخ عصره من العلماء ، فشبَّ الولد وهو يتقن العربية والتركية ، وقد ترقف وهو غض الشباب على سيدة أميركية تنسب إلى بعثة تبشيرية هي (مسز كوفورد) فأخذ يتردد عليها بقصد تلقي الانكليزية عنها ،

(١) كان المترجم يرسم اسمه بهذه الصيغة في أول حياته وفي الأجزاء الأولى من مجلة المجمع بدمشق ، ولكن كتابه المطبوع في مصر سنة ١٩٢٨ م حمل اسم مترجه (ديمتري قندلفت) وهذا الرسم للاسم هو الأصل فيه عند ترجمته عن اللاتينية ، وهو فيها (ديمتريوس) والصيغة الأولى هي الشريب الدارج على ألسنة الناس .



الاستاذ ميري فدرلف

فإذا بها تغمره بعطفها ، لما توسمته فيه من أمارت الذكاء واستعداد فطري لإتقان الانكليزية ، وكان أن فتنته عن مذهبه الاوثوذكسي إلى مذهبها الإنجيلي ، فأخذ يساعدها في نقل المواعظ والخطب الدينية إلى العربية ، ثم دفعت إليه كتاب الدكتور بوييد أحد كبار الوعاظ الإنجيليين ، ليعمل على ترجمته إلى العربية ، فقام بالمهمة التي عهدت بها إليه بترجمة الكتاب جاعلاً عنوانه (طوق الأمان لمحدث الإيمان) ، وقدمه إليها في شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٨١ م مع كلمة إهداء قال فيها : [لقد طوّقتي سيدتي من نعم علمك وإرشادانك ، وغمرتني من بحر فضلك وإفادتك ، مذ كنت في روض الصبّا غصّاً نديّاً ، تلاعبه نسيمات الصبا بكرة وعشيّاً ، بما يوقرنى حمّله كلما ذكرته ، وينمشنى شكره كلما نشرته . وإلغاي باكورة من ثمار غرسك ، لعلها تنسيك في تهذيبي بعض العناء ..] .

وقامت السيدة كروفرد بعرض الكتاب على الواعظ الإنجيلي المعروف (مستر مودي) ، فشهد للكتاب بأنه خير ما يحتاج إليه حديثو الإيمان ، وعندئذ قامت (مطبعة الاميركان) في بيروت بطبعه وتوزيعه على مختلف البعثات الإنجيلية التبشيرية في أرجاء البلاد العربية .

وانصرف متري قندلفت بعد هذه البداية الناجحة ، إلى المطالعة والاستزادة من مختلف أنواع المعرفة ، حتى لمع اسمه في ظلام ذلك العصر الحالك ، وأخذت المدارس الخاصة ، تكلفه بتدريس طلابها اللغة الانكليزية والعلوم الاجتماعية ، وكان يقبل التكليف عاكفاً في أوقات فراغه ، على ترجمة كثير من الكتب الاجتماعية إلى العربية .

(١) توجد نسخة من هذا الكتاب بدار الكتب الوطنية - الظاهرية - بدمشق مسجلة برقم (٣٢٥٦) .

وعندما حمي وطيس المارك خلال الحرب العالمية الأولى التي اندلعت نيرانها سنة ١٩١٤ م ، كان متري قندلفت في مجلة **الفكرين العرب** الذين أمر قائد الجيش العثماني في سورية ، بنفيهم مع أسرهم إلى بلاد الأناضول بحجة الحفاظ على أمن الجيش ، ونجم عن هذا النفي المفاجيء ضياع المكتبة القيمة التي كان متري قندلفت قد اقتناها ، وفقدان جميع أوراقه الخاصة والكتب التي كان قد أفنى زهرة شبابه في نقلها إلى العربية .

وأقام متري قندلفت طوال المدة الباقية من أيام الحرب ، في مدينة طوقان من أعمال سيواس في تركية منفيًا ، فلما خمدت نيران الحرب عاد إلى دمشق ، وقد قامت فيها أول حكومة عربية مستقلة ، فعين **أستاذًا في مدرستها التجهيزية** وفي دار المعلمين ، يدرس علم النفس والتربية والإنكليزية ، وعندما قررت الحكومة إنشاء (**ديوان المعارف**) كان متري قندلفت في عداد اعضائه لما عرف عنه من تضلع بالعربية وإتقان للترجمة إليها عن الإنكليزية ، ثم كان **عضوًا متفرغًا** في المجمع العلمي العربي ، فلما كانت سنة ١٩٢١ م نقل مهزأ إلى معهد الحقوق العربي بدمشق ، وبقي فيه سنوات قليلة أحيل بعدها إلى التقاعد ، فمادر دمشق سنة ١٩٢٤ م إلى بيروت حيث أقام فيها عاكفًا على الترجمة والتأليف وتدوين مذكراته ، متنقلًا بين لبنان ومصر في سبيل ذلك ، حتى وافته المنية في مدينة بيروت سنة ١٩٣٣ م وفيها دفن .

متري قندلفت المجهي

عندما أطلقت الحكومة العربية ، بتاريخ ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ م ، على (**ديوان المعارف**) اسم المجمع العلمي ، كان متري قندلفت م (١٧)

الموظف في معارف دمشق وأحد أساتذة المدرسة التجهيزية ودار المعلمين ، واحداً من أعضائه الثمانية المؤسسين ، الذين حضروا جلسته الأولى التي عقدت في المدرسة العادلية بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ م الموافق ٣٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٩ م ، وقد اختير في هذه الجلسة عضواً في القسم اللغوي الأدبي .

وفي نهاية سنة ١٩٢٠ م ، وعندما ابتدأ المجمع العلمي العربي بنشاطه الفعلي ، تفورغ الأستاذ متري قندلفت للعمل المجمع ، وكلف بالإشراف على طبع مجلة المجمع والتحرير فيها وقد تقرر إصدارها بدءاً من عام ١٩٢١ م ، فقام بهذه المهمة ، وصدرت الأعداد الأولى من المجلة وقد حرر فيها باب « آثـار وأخبار » واصفاً فيه بعض العاديات التي أدخلها المجمع في دار الآثار العربية ، وكانت ادارتها جزءاً من عمله ، مسجلاً بعض الأخبار الهامة مثل الاحتفال بذكرى فقيد المجمع الشيخ طاهر الجزائري كما عرّف الأستاذ قندلفت بعض الكتب الهداة إلى مكتبة المجمع مثل كتاب « الأخلاق والواجبات » تأليف الشيخ عبد القادر المغربي ، وكان يوقع ما يحرره باسمه الصريح تارة ، وبالحرفين الأولين من اسمه (م . ق) تارة أخرى .

وألقي الأستاذ متري قندلفت ، في ردهة المجمع بتاريخ الثاني والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٢١ م ، محاضرة عامة بعنوان « إحياء اللغة العربية » ، وبتاريخ ١ آب (اغسطس) سنة ١٩٢١ م ، صدر قرار من وزير المعارف يقضي بإعفاء الأستاذ متري قندلفت من تفرغه للأعمال الجمعية وتعيينه بوظيفة مميز في معهد الحقوق العربي ، حيث قام بمهمة الاشراف الإداري وبأعباء الترجمة إلى العربية . ومن التاريخ المذكور اعتبر من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين حتى وافاه الأجل سنة ١٩٣٣ م .

آثار ميري فنديفت العلمية

كان من جنائيات الحرب العالمية الأولى ، أن فقدت مكتبة الأستاذ ميري فندلفت وفيها كل ما ترجمه أو كتبه وكان مخطوطاً ، ولما أقام في بيروت سنة ١٩٢٥ م عكف ، على ترجمة كتاب الفيلسوف الأميركي جون ديوي John Dewy المعنون « المدرسة والاجتماع » The School and Society ، وهو كتاب شهير في أصول التربية والتعليم وقد ترجم إلى لغات عديدة ، وطبعت ترجمته إلى العربية دار المعارف في مصر سنة ١٩٢٨ م ، بناءً على توصية من الأستاذ بولس الخولي أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأميركية في بيروت ، وقام الأستاذ أمير بطر أمين الجامعة الأميركية في القاهرة بالتعريف بالكتاب في عدد حزيران (يونيو) من « منتطف » سنة ١٩٢٧ م ، ثم كتب مقدمة لترجمته قال فيها : [لقد أتيح لي أن أتصفح الكتاب فصلاً فصلاً ، مع مقابلته بالأصل ، والحق أنني وجدت معرّبه الفاضل ، شديد الحرص على آراء المؤلف ، أميناً في نقلها إلى العربية فقرة فقرة ؛ إن لم أقل عبارة عبارة ، مع مراعاة المعاني وسبكها في قالب عوبي قشيب ، والمبالغة في التدقيق والتمحيص انتقاءً للفردات المناسبة للمكان المناسب .

أما معرب هذا السفر الجليل ، فقد توخى الدقة وأمانة الترجمة ، وأحسن اختيار الألفاظ لتأدية المعنى بأسلوب لا تعوزه السلامة ولا تنقصه البلاغة ، خال من التعقيد والحشو والاطناب .

وليس جون ديوي ، بالمؤلف السهل الذي يبسط آراءه فيدرك مغزاها لأول وهلة الصغير والكبير ، وليس من السهل على علماء الانكليزية من أهلها قراءة مؤلفاته وفهم ألفاظها وسبر غورها ، فكأن صاحبها أراد أن يصوغها في قالب من الألفاظ يناسب ما احتوت عليه من فلسفة المعاني وعمق الأفكار .

غير أن العرب ، لم يترك شاردة أو واردة في الكتاب إلا وحل رموزها وأجلى غامضها ، وأخرج السّقر للقراء **درة في تاج الأدب عامة والتربية والتعليم خاصة** .

وفي المقدمة القيمة التي قدم بها الأستاذ كتابه بها إلى القراء أشار إلى مذهب مؤلفه في أصول تربية الطفل قائلاً انه : [اعتمد في بيان تلك الأصول ما أجمع عليه كبار المصلحين المربين ، من إطلاق حرية الطفل في حركاته ومجلسه واتباع ملاحظيه في غرفة الدرس على وجه لا يمترض فيه هيبة المعلم ولا رهبة العقاب عند المراقبة والضبط والاشراف ، اقتناصاً لميوله ورغباته الفطرية وتطبيقاً على ما يلائمه من طرق التعليم الحكيم في ذلك الطور الغض من التماء البشري ، إلى آخر ما أوضحت به ماري منتستوري كبرى المربيات العالمات العاملات ، وتابعها فيه عظام المربين وجرى عليه المؤلف في كتاب (**مدرسة القيد**) الذي غني النفس بإخراجه إلى عالم التعليم الشرقي بعد عهد غير بعيد إن شاء الله] .

ويظهر أن العرب بعد نشر هذا الكتاب ، أخذ يعمل في ترجمة كتاب جون ديوى (**مدرسة القيد**) وكتاب المربية الإيطالية الشهيرة السيدة منتسوري عن (**تربية الأطفال ومدارسهم**) ولكن لم تَرَ ترجمته لهذين الكتائين النور نظراً لوفاة العرب سنة ١٩٣٣ م (١) .

(١) كتبت إلى المربية الفاضلة السيدة أليس قدلفت الابنة الوحيدة للأستاذ متري قدلفت ، أسأله عن بقية آثار والدها العلمية فأفادتني بأن جميع كتب أبيها وأوراقه فقدت للمرة الثانية عند وفاته وحيداً في بيروت خلال وجودها في الولايات المتحدة الاميركية تتابع دراستها في جامعة كولومبيا ، وبعد رجوعها للوطن لم تثر سوى على مخطوطة ترجمة كتاب السيدة منتسوري المشار إليه ، وأنها تقوم ببذل جهود لنشر الترجمة في القاهرة .

مصادر ترجمتي قندلفت

لم أعثر على ترجمة الأستاذ متري قندلفت ، في أي مصدر من المصادر المطبوعة أو المخطوطة ، حتى أن ملته المجعومي لم يتضمن أي معلومات تفيد شيئاً عن نشأته وحياته وآثاره العلمية ، وذلك لقصر المدة التي قضاها في الجمع زمن تأسيسه من جهة ، ولهجرته بعدئذ من سورية من جهة ثانية ، وقد جمعت المعلومات التي اوردتها في هذه الترجمة ، مما عثرت عليه ، أو مما اتصل بي من آثاره أو وجدته في بعض الوثائق الرسمية ، ومما روته لي السيدة أليس متري قندلفت ، ومما سمعته من بعض من يعرفه من الأحياء .

كما أنني لم أجده عند أحد من أقرباء أو أصدقاء الأستاذ قندلفت ، أي رسم شمسي منفرد له ، غير أنني عثرت أخيراً على الرسم المطلوب عند الأستاذ برهان الكيلاوي الدمشقي ، أحد هواة اقتناء رسوم الحكام والشعورين من الرجال .

(يتبع)

عدنان الخطيب



امارة مجهولة

المكان ، الزمان ، السند ، الامارة

مطلع الامارة

مكان الإمارة : هو بلدة « بادس » ، وقد عثاني طول البحث عنها منذ أواخر سنة ١٩٥٥ أيام ظفرت بنص معاهدة بين البندقية وبادس موقع بإمضاء أميرها .

واقتربت من بادس في رحلة كنت بها مع الملك محمد الخامس ملك المغرب السابق عليه رحمت الله ، وبلغنا « الحُسَيْمَة » في ريف المغرب الأقصى ، ولم أكن أدري أن بادس التي أبحث عنها كانت على مقربة من الحسيمة ، وعدت من تلك الرحلة ولم يتح لي أن أراها أو أرى موضعها .

وجاءني من أعلامي بعد ذلك أن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بين « سبتة » و « مليلية » جزيرة صغيرة اتصلت مؤخراً بالبحر المغربي ، فأصبحت شبه جزيرة ، وأنها كانت تسمى « حَجَرَة بادس » أو « حَجَر بادس » أو « حصن بادس » لقرتها من بلدة بادس المغربية ، التي هي موضوع بحثي . وقرأت في كتاب « المغرب » (١) ، أن بادس مدينة تاريخية من المدن المؤسسة في القرن الأول للفتح الإسلامي لعبت دوراً خطيراً في تاريخ المغرب ،

(١) للصدّيق بن العربي ص ٦٥ .

وقد اندثرت الآن ولم يبق منها شيء غير الاسم ، قال : وموقعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، أمام الجزيرة المعروفة بنفس الاسم ، وفي الطريق بين سبتة ومليلة .

وفي تاريخ تطوان (١) : بادس ، جزيرة أو شبه جزيرة على البحر الأبيض المتوسط ، هي الآن في يد الأسبان .
وفي الدليل الأزرق المغرب (٢) ما ترجمته :

على الشاطئ المغربي بين مدينتي سبتة ومليلة الأسبانييتين أمام قرية « القميرة » المسماة بالأسبانية بنيون دوفيليز دولا قرية Penion de velez de la gomera تقع بلدة بادس وهي قرية صغيرة على نهر يدعى باسمها ، كان الرومان يسمونها بارينتينا Parientina وكان لمينائها شأن في القرون الوسطى ، في موصلات « فاس » الخارجية ، وأهل الميناء بعد استقرار الأسبان في القميرة . ه
وتكرر ورود ذكرها في تاريخ المغرب القديم :

- ١ — أمر عبد المؤمن سنة ٥٥٧ هـ ، بإنشاء الأساطيل ، فكان منها بطليحة وسبتة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة (٣) .
- ٢ — وفي سنة ٦٠١ هـ بنى عامل الريف ، من قبيل الناصر ، واسمه « يعيش » سور بادس ولمدية ومليلة ، حياطة من فجأة العدو (٤) .
- ٣ — وأمر السلطان يعقوب ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة سنة ٦٧٤ هـ (٥) .

(١) للأستاذ محمد داود ١ : ٤٤٥ .

(٢) Guide Bleu Maroc الطبعة الثامنة ١٩٤٥ ص ٤٩٦ .

(٣) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٢ : ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ١٩٥ .

(٥) أيضاً ٣ : ٤٢ .

- ٤ - وفي سنة ٦٧٨ هـ ، قدم من بادس وسلا وآنفى خمسة عشر أسطولاً انضمت إلى بقية الأسطول في مرفأ سبتة (١) .
- ٥ - وفي سنة ٧٦٠ هـ ، ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة وفر منصور ابن سليمان إلى بادس ، فقبض عليه ، وجيء به إلى السلطان أبي سالم فقتله (٢) .
- ٦ - وبادس (في القرن السادس للهجرة) مدينة متحضرة ، فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغمارة يلجأون إليها في حوائجهم . وهي آخر بلاد غمارة (٣) .
- ٧ - وأخرجت علماء ، منهم عبد الحق بن اسماعيل البادسي ، مصنف « المقصد الشريف » ، في صلحاء الريف ، رأيت مخطوطة منه في خزانة الرباط (المجموع ١٤١٩ د) فرغ من تأليفه سنة ٧١١ هـ . وانظر مجلة المجمع العلمي العربي ١٢ : ٦٠

الزمــــــــــــــــانه

زمن البحث في الامارة المجهولة هو ، القرن العاشر للهجرة ، والخامس عشر الى أوائل السادس عشر للميلاد .

السند

وسند البحث : معاهدة عقدت يوم ١٩ رمضان سنة ٩١٣ هـ الموافق ٢١ يناير ١٥٠٨ بين الأمير منصور بن يوسف ، والقبطان لَوَزِيْمَانُ البندقي ، في بلدة بادس .

(١) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٣ : ٥٢ .

(٢) أيضاً ٤ : ٧ .

(٣) الشريف الادريسي ، في نزهة المشتاق كما في الحلل السندسية ١ : ٦٨

وكان قد اتفق لي الاطلاع على الأصل الفريد لهذه المعاهدة ، بينما كنت أقتبب أضاير « الأركيفيو » الأربع عشرة ، في البندقية ، وما فيها من رسائل ووثائق واردة عليها من بعض ملوك المغرب وسلاطين مصر ، والدولة العثمانية .

نص المعاهدة

الحمد لله وحده ، هذه معاهدة وشروط عقدها القبطان الكبير في قومه ، العزيز بين أبناء جنسه الحبيب الأصيل إفرز يزمان هداه الله ، بينه وبين الأمير المعظم الأسعد الأنجد أبي علي منصور بن يوسف كان الله له ، وأصلح قوله وعمله ، وكانت المعاهدة بينهم في حين وصول القبطان إلى مرسى مدينة بادس أمستها الله .

الأول — أول المعاهدة والشروط أن الصلح مُتَعَقِد بين المسلمين من أهل بادس وعملها ، وبين البنادقة وعملها ، من يوم تاريخ هذه المعاهدة ، طول ما يبقوا يسحوا ويحجوا لبادس من الآن لِقُدَام إن شاء الله .

الثاني . العقد الثاني أن كل جفن يحجيء من تحت عتلام الشنيورية من أرض البنادقة فإنه ينزل في مدينة بادس أمستها الله ، مؤمناً في نفسه وماله على هذه المعاهدة التي عقدها القبطان مع الأمير أبده الله ، من غير زيادة ولا نقصان إن شاء الله .

الثالث — العقد الثالث ألاّ يأسر أحد من البنادقة أحداً من أهل بادس وعملها ، ولا يأسر أحد من أهل بادس أحداً من البنادقة وعملها ،

من بعد هذه المعاهدة . ومها ظهر أسير عند كلي الفريقين فانه
يحرر من الأسر في الساعة التي يرى فيها إن شاء الله .

الرابع — الرابع لا يؤخذ أحد بذنب أحد . مثل أن يكون لمسلم دين*
على نصراني بندي بما مضى من سالف الأعوام ، ويريد المسلم أن
يحبس فيه أحداً من البنادقة ، فان ذلك لا يكون إن شاء الله .
الخامس — العقد الخامس إذا جاء تاجر نصراني بندي في جفن من أجفان
النصارى غير أجفان البنادقة فان مآمنته ومعتزمته يكون على
ما في هذه المعاهدة من غير زيادة ولا نقصان بعون الله .

السادس — العقد السادس إذا هال البحر على الطرائد في مرسى بادس ، أو
دهمهم عدو* أو تشكر لهم سفينة واحتاجوا إلى النزول في البر
فإنهم مؤمنين (كذا) في أنفسهم وفي أموالهم بعون الله .

العقد السابع إن تجار البنادقة ينزلوا بسلمهم في مدينة بادس
أمنها الله يبيعون ويشتررون على أنهم إذا باعوا شيئاً لمسلم بمائة دينار
(دينار) ذهباً فانهم لا يفارقون المسلم المشتري حتى يحملونه ، لأن
المشتري يُغرّم على مشتراه عشراً غير ربع وذلك سبعة ذهب
ونصف من كل مائة ، فان فرط النصراني* البائع في المشتري ،
فانه يغرم* بدلاً منه سبعة ونصفاً من كل مائة إن شاء الله .

السابع — العقد السابع إن جميع ما يشترونه من القمح والدقيق والخبز
وغير ذلك من الفواكه والخضّر فانهم يرفعون ذلك للطرائد
بغير مغرم يلزمهم على ما ذكر بعون الله .

الثامن — العقد الثامن أن الورقي (؟) الذي في طريدة القبطان إذا يبيع سلعة بما يتي ذهب التي تجب عليه فيها خمسة عشر دينراً ذهباً فإنه يُحرّر ولا يغرّم منها قليلاً ولا كثيراً إن شاء الله . وكذلك رئيس كل طريدة وهو رئيس* في كل طريدة فإنه يحرّر له من مفرمه الذي يبيع به سلعته سبعة دنانير ونصف دينار ، ولا يُزاد عليها ولا يُنقص بمون الله .

العقد التاسع ، إذا هرب إلى الطرائد أسير نصراني من بادس وعملها فانهم يُنزلونه لصاحبه ، وإن حملوه معهم ويُخرجوه في أرض النصارى ويطلقوه فانهم إذا جاءوا لعام آخر يُحبس فيه واحد منهم إن شاء الله .

على جميع ما ذكر من المعاهدة والشروط توافق الأمير أبو علي منصور أعز الله أيامه مع القبطان الحسيب لوزي زَمَانُ البندقي* أكرمه الله ، وكتب جميع ما ذكر بينها محمد بن أحمد الرزيني وفقه الله يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان المعظم عام ثلاثة عشر وتسماية وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر يَنَيَّرُ المَجَمي الذي من عام الف وخمماية وثمانية أعوام . هـ

1

20

[illegible]

صورة فوتوغرافية عن الخطوة التي فيها نضج الماشية

(1) (2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17) (18) (19) (20) (21) (22) (23) (24) (25) (26) (27) (28) (29) (30) (31) (32) (33) (34) (35) (36) (37) (38) (39) (40) (41) (42) (43) (44) (45) (46) (47) (48) (49) (50) (51) (52) (53) (54) (55) (56) (57) (58) (59) (60) (61) (62) (63) (64) (65) (66) (67) (68) (69) (70) (71) (72) (73) (74) (75) (76) (77) (78) (79) (80) (81) (82) (83) (84) (85) (86) (87) (88) (89) (90) (91) (92) (93) (94) (95) (96) (97) (98) (99) (100)

[illegible][illegible]

القعدة الثامنة اذ اخرجنا الى البحر اشد ايسر تضرع اليه في كل حين
 وعمل له قلا تسمع نحيي لوفته لطاحيه وان جعلت معدي
 وتغني حوته في اذن الشيطان ويكلموني ولا تفرج اذا اجابوا
 اعلم ان احسن نجاة من به واحدة من هذه في شدة الله
 على جميع ما ذكره المعاهدة والسرور كما يقول الامير
 ابو علي منصور رضي الله عنه مع العبدان الخسيسين
 ابو زكريا طاب الله وجهه في حقه الله من كتب سبع مائة في
 بعض ما يحمله من هذا السرور وبقية الله يوم القيت الدابة
 من بين يديه وهذا في المعاهدة على ان لا تفرج وتسمع
 في اليوم الخامس والعشرون من شهر ربيع الثامن من عام
 الف وثلثمائة وثمانين اعيان

صورة فوتوغرافية عن نعمة نص المعاهدة

الامارة

ليس فيما وقفت عليه من تواريخ المغرب أي ذكر لامارة في بادس ،
تولاها أو قام بها أمير يدعى « منصور بن يوسف » ولعله كان مستقلاً غير
تابع لإحدى دولتي عصره : الوطناسية المرينية ، ودولة بني الأحمر ، وإلا
لمافاته أن يشير في بدء المعاهدة ، أو ختامها إلى الدولة التي هو من عملها .

- وبلاحظ في السطر الرابع من الصفحة الأولى من نص المعاهدة ، فراغ
كان قد تركه الكاتب لاسم الأمير منصور ، وملاه هو بخطه على طريقة
سلطين المغرب في تحلية رسائلهم بتوقيعاتهم في أعلى الرسائل ، وانفرد هذا
بادخال اسمه في صلب الفقرة الأولى من المعاهدة .

ثم ، هل هناك أكثر من التشابه في الأسماء ، عندما نجد في تاريخ
المغرب كبيراً من الوطناسيين اسمه ، يوسف بن منصور (بن زيان الوطناسي)
قد تولى خلع سلطان فاس أبي عبد الله الحفيد سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ؟
أم يذهب بنا الحدس إلى أن منصور بن يوسف صاحب معاهدة بادس ،
سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٨ م ، هو ابن ليوسف بن منصور بن زيان ؟ فتكون
الإمارة « وطناسية » يُلحق ما يمكن أن يُعرف عنها بتاريخ الوطناسيين .
هذا خاطر يسنح عند محاولة التعرف إلى نسب منصور وأوليته ، لا يدخل
في صميم موضوع « الإمارة » .

أما مادة التاريخ لبلدة بادس ، بعد زمن المعاهدة ، فتوفرة ، وأم
ما يتعلق يعحفنا منها ، أن الإسبان احتلوا جزيرة بادس في ٢٣ يوليو ١٥٠٨ م

٢٣ صفر ٩١٤ هـ أي بعد زهاء سبعة أشهر من توقيع المعاهدة ، وأورد صديقنا محمد بن تاويت النطواني^(١) نصوصاً مفيدة لأحداث وقعت في بادس وما حولها في بعض أعوام ١٥٢٢ - ١٥٦٤ م (٩٢٢ - ٩٧١ هـ) لم أجد فيها ما يستعني في كشف حقيقة «الإمارة المجهولة» التي يمكن أن يكون اسمها منذ الآن في تاريخ بادس «إمارة منصور بن يوسف» ، إلى أن يظهر عنها من نشوئها ومدتها ، وعلاقاتها بجاراتها ، مالا يزال فيما أحسب ، في عالم الغيب .

زويل بيروت :

خبر الدين الزركلي



(١) في مجلة نطوان : العدد ٥ الصفحة ١١٦ .

العقل بين النظريتين المادية والروحية

المقدمة

في العقل وعقيدة الوعي

يقول أحد الفلاسفة [إن الإنسان كلما أمعن في دراسة العلوم من ناحيتها المعنوية ، والمادية ، ازداد اعتقاداً بأنه ليس في العلم ما يمنع انفاقه مع أبعد الفلسفات ، لأننا لانعلم إلا الظواهر والقشور ، وأما الحقيقة والعلة فتأبيان أن تنكشفا لنا .

نعم ! العلة ، والحقيقة هما ما يسعى العقل دائماً لاكتشافها وفهم حقيقةها فهل يوفق إلى ذلك ؟ يجب العلم بأننا لا نزال نسمى . ولكن المجردات لاتدخل نطاق التجربة ، ولذا ولحيننا يتمكن العلم من إيجاد الوسائل التجريبية لفهم حقيقة العقل الذي هو وسيلة المعرفة ، فستبقى المجردات في نطاق الفلسفة التي تبحث عن الحقيقة ، ويبقى العلم يفرض نظرياته لحل المبهات ، والنوامض ومنها مانسميه المجردات [كالعقل والروح ، والقوة ، والعلة ، والنهاية ، والأزلية ، والجمال] الخ .

وما دام العقل هو الوسيلة للمعرفة والإدراك ، فمن الضروري الإحاطة به من حيث وجوده ، وماهيته ، وفعله ، وكيفية حصول الوعي ، والإدراك وماذا تكون نهايته بعد مفارقتة الحياة وفناء الجسم ؟

إن الأسئلة التي تثيرها ذاتنا التي نعبّر عنها « بالأنا » وهي شغوفة دائماً بالبحث والتجري عن المعميات والمجردات إذ هي من خاصيته الطبيعية الإنسانية العاقلة ، لا بد من الإجابة عليها حتى لا تبقى شاغلة الفكر وموجبة الشعر والحيرة لما نحس بوجوده ونشعر بفعله .

إن البحث عن ماهية العقل وأفعاله وكيفية حصول الإدراك والوعي يتناوله علم النفس ، وعلم الحياة ، وعلم الفيسيولوجيا ، وعلم التربية والسلوك وعلم الأمراض العقلية ، وعلم الفلسفة ، وعلم اللاهوت . وكلها تتناوله بحسب علاقته بها منفرداً وعلاقتها به مجموعاً .

ونحن حبا بالعلم وإجابة لرغبات النفس ، وإزالة للشك ، والإيهام ، نبحث عن العقل كمظهر من مظاهر الحياة ، ونرى من الفائدة أن نشرح ما يزيد حسب ماترويه العقيدة المادية ، والعقيدة الروحية ، ولا تدخل بالتفصيلات الفلسفية ولا بالأراء البيقولوجية ، ولا بالنظريات المادية لتعقدها ومسمتها . (إن العقيدة الأولى هي ما يرويها السير « ارثوركيت » وهو من علماء المادة . و (العقيدة الثانية هي ما يرويها السير اوليفر لودج) وهو من علماء الطبيعة .

وحيث إن الدكتور « هالبرتون » أحد علماء الفيسيولوجيا له عقيدة واضحة خاصة به يرويها ، وهي حد وسط بين العقيدتين فسنعرضها إتماماً للبحث ، وللسامعين الباحثين أن يحكموا بالأرجحية لأحدها حسب المبدأ القائل [أقرب المبادئ إلى الحقيقة ما وافق الاختبار وما طبق الواقع] .

١ — نظرية [ارثوركيت في العقل وماهية :

يقول السيد « ارثوركيت » ، إن الإنسان مازال منذ القديم يبحث عن الحياة وأمرارها ، وما يظهر من فعاليتها في محيطه الخارجي وفي محيطه

الداخلي . وفي رأس المسائل التي كانت تشغله أيضاً بظواهرها البارزة ، مسألة العقل وطبيعته وأفعاله ، وكيفية عمله ، ومسألة العقل والعلاقة بينه وبين المادة ، والجسم ، وبينه وبين الروح والنفس ، والوعي والإدراك ، وبينه وبين الضمير ، والإلهام والوحي والرؤيا ، والأحلام ، وكان يتساءل هل العقل غير « الأنا » ، والذات ، أم هو العقل الفيسيولوجي للجهاز العصبي الذي تتوقف أفعاله ومظاهره ، على عمل الخلايا الدماغية وعلى المواد الحياتية والكيميائية ، والقوى الميكانيكية والفيزيكية ؟

وهل هو كسائر وظائف أعضاء الجسم المتعددة خاضع لسنن الطبيعة من نشوء ونمو وغذاء وإفراز ، وامتصاص ، وتوالد ، وتوقف ثم ضعف وانحلال وزوال .

٢ - عجائب الحياة لا تعد ولا تحصى :

إن عجائب الحياة ولا شك لا تعد ولا تحصى ، ومنها أننا لا نجد اثنين من ملايين المواليد يقطعان رحلة الحياة في طريق واحدة . فقد تحدث لاثنتين أو أكثر مغامرات فذة تختلف عن مغامرات الآخرين . ولذا تختلف العقائد باختلاف الطريق التي يقطعها كل منا في حياتنا ، فعقائد الناس عن الغوامض من الظواهر والقوانين والأفعال الروحية ، والأفعال العقلية ، والآثار الأدبية والمادية تختلف اختلافاً شديداً كثيراً ، أو قليلاً ، بحيث لا تتماثل بهذا الخصوص عقيدتان كل التماثل .

٣ - أسباب الاختلاف والتباين في العقائد :

أما أسباب الاختلاف فلأن الإنسان كما قلنا مطبوع بطابع البحث والسؤال عن المبهم . ومن المتعذر عليه أن يصيب اتفاقاً تاماً في العقائد ، والتفكير ،

والعواطف ، والمشاعر . وعليه بقدر ما تختلف سبلنا في الحياة تختلف عقائدنا كذلك .

ومعظم الناس مقضي عليه أن يسير في السبيل الممهدة أمامه ، وهم في الغالب لا يملكون من الفراغ أو الرغبة ، ما يمكنهم من دراسة ما يمرض لهم من ضروب الاختبار ، وتمثيلها ، وقليل من الناس من يتاح له أن يختار طريقة ويخططها ، وكما أننا لا نجد اثنين من الملايين من الناس يقطعان رحلة الحياة بطريق واحدة ، كذلك لا نجد اثنين يستهلان الحياة بزيادة واحد من قوى الجسد والعقل ، فملى كل وجه وسمة شخصية تدفعه عند انبثاقه من الرحم ، وكل طفل يهل على الأرض يهل ببصمة على أنامله خاصة به دون غيره ، وفقاً لقانون [التباين والتشابه] . وما يصدق على وجوه المواليد وبصمات أناملهم يصدق على أدمغتهم ففي الدماغ توجد [١٨٠٠٠] مليون خلية عصبية دقيقة لا ترى إلا بالميكروسكوب أي (المجهر) . وهي مقسمة الوظائف والطوائف ، كل طائفة منها متصلة بالطوائف الأخرى ، وخطوط الاتصال بينها تزدري بأكبر لوحة تليفون وأكثرها تعقيداً .

ومن غرائبها أنك لا تجد بين هذه الخلايا خلية واحدة منفردة عن الأخرى ، وجميعها يشترك في تناول الرسائل التي تنال على الدماغ عن طريق العيون ، والأذن ، والأصابع وغيرها من حواس الجسم وأعضائه . هذا السيل المتدفق من الرسائل يبدأ عند الولادة ولا يقف حتى الموت . وهو أساس اختباراتنا فإذا تفهمنا هذه الصورة لبناء الدماغ وصلته بخبرة الإنسان ، وتجاربه ، سهل علينا أن نفهم كيف أن هذه الصورة الجديدة تؤثر في تغيير معتقداتنا ، أو في بعضها على الأقل .

٤ — رأي السير ارثور كيت بمادية العقل :

يتساءل السير « ارثور كيت » هل الدماغ مزدوج التركيب ؟ ثم يقول : عني المشتغلون بالمباحث الطبية عناية خاصة بدماغ الإنسان ، فوجدوا تركيبه معقداً كل التعقيد ، وطرق تأدية عمله مهمة ، يصعب الكشف عنها ، ومع ذلك ثبت لهم ان تعقيد الدماغ ومقدرته على تأدية عمله يسيران جنباً إلى جنب ، فالمقل له أساس مادي دليله أن دماغ الطفل من ولادته إلى سن المراهقة يزداد وزناً ، ويكبر حجماً ، ويزداد تركيبه تعقيداً ، وكلما اتسع نطاق عمله نما . فإذا أصيب الدماغ في دور من أدوار النمو بآفة أو علة أوقفته عن نموه وظلّت مقدرة صاحبه العقلية ناقصة . وبقيت حيث هي لا ترتقي ولا تنمو . كذلك لو أن مرضاً من الأمراض أصاب هذا الجانب من الدماغ ، أو ذلك الجانب عطّل الملكة العقلية التي مركزها في ذلك الجانب المريض . فالتهاب الدماغ السحائي (١) إذا أصاب دماغ طالب في المدرسة أوقف نموه العقلي وترك في خلقه أثراً سيئاً دائماً .

والأطباء في إمكانهم أن يحدّثوا الدماغ فيضعفوا بعض أجزائه ، ويضعفوا بذلك الملكات المتصلة بها ، وبإمكانهم أن يحققوا بعض الأجزاء الأخرى بمواد مختلفة ، فيغيروا بذلك تصرف العقل ، وشعوره ، وبعبارة أخرى إن الدماغ آلة حية تحرق الوقود ، وتحول القوة إلى شعور ، وفكر ، وذاكرة ، وعاطفة ، من ارادة وغيرها من الملكات العقلية والنفسية . فإذا قطعنا مصادر الوقود التي يحرقها الأوكسجين عن الدماغ وقفت خلايا الدماغ عن العمل وخمدت فعاليتها كما تخمد النار إذا حبس عنها الهواء ، أو نفذ الوقود .

(١) نسبة إلى سحايا الدماغ . وهي الأوعية الدموية الشعرية الدقيقة المنتشرة في الأغشية الموصلة التي تغذي النخاع وتلافيفه .

ولذلك يرى بعض العلماء بأن الدماغ عضو مزدوج التركيب مؤلف من مادة وروح . والذي جمعهم عليه أن كل حقيقة تمكنوا من امتحانها واثباتها تحتم عليهم القول بأن العقل والروح مظهران من مظاهر فعالية الدماغ الحي كما أن اللهب مظهر من مظاهر الشمعة المحترقة .

٥ — الرأي الثاني القائل باستقلال العقل وعدم ماديته :

وهو رأي (أوليفر لودج) أحد علماء الطبيعة ويرى البعض الآخر وفي مقدمتهم السير « أوليفر لودج » أن الدماغ قائم على الاعتقاد بأنه آلة مادية لوحدة غير مادية ، هي « الروح » .

والروح في رأي السير أوليفر كما سنرى متميزة عن الدماغ تميز الموسيقى عن القيثارة الذي يمزف عليه الفنان . وهو وزملاؤه مسوقون إلى هذا الاعتقاد لأنهم يستطيعون أن يفسروا به الكثير من الظاهر الروحية .

ويقولون بأن « بروغو بلازما » الدماغ ليس إلا آلة لالتقاط ما يأتي من الخارج من العالم المطلق فتجمل منه جسداً حياً يستخدمه لأداة مظهره ، ثم لا يلبث أن يتجرد عن هيكله المادي ويرجع إلى حيث أتى . والفرق بين الرأيين أن عالم الحياة يقدم الجسم والشمعة ، على الروح واللبب والعالم الروحاني يمسك الأمر ويقدم الروح على الجسد واللبب على الشمعة .

٦ — خلود الحياة في نظر الماديين والروحانيين :

ولذا في نظر الأول أن الحياة خالدة مادامت الأرض صالحة ، وعنده أن كل إنسان يولد وفي جسمه عناصر الخلود . وفي نظر الثاني أن الشخصية خالدة ومستقلة ولها عالمها وحياتها .

٧ — رأي السير اولايفر لودج في الجسم والعقل :

يقول السير اولايفر لودج وهو عالم من علماء الطبيعة [إن العلماء ينقسمون إلى قسمين فريق يشتغل بالمادة ، دون النظر إلى ما وراءها من عامل روحي قد يكون موجوداً وذي علاقة بها ، وفريق يشتغل علماءه بالمادة ولكنهم ينظرون إلى ما وراءها من عامل روحي (قد يكون موجوداً) وذي علاقة بها .

الأولون نسميهم علماء المادة لأنهم لا يعلمون المادة مظهراً آخر غير ما وجدوه في مشاهداتهم وتجاربهم . والآخرون يسمون علماء ما وراء الطبيعة لأنهم يعلمون أن في الطبيعة مظاهر أخرى عديدة لا يمكن تحليلها وتفسيرها بالأسباب المادية البحتة . بل يقرون بوجود القوة المطلقة [واجبة الوجود] يسندون إليها خاصية المظاهر المتعددة في الوجود ويطلقون عليها قوة « ما وراء الطبيعة » ويمدون الحياة ، والعقل والروح والفن والجمال والإبداع ، وخلق النظام من مظاهرها .

ويقول هؤلاء العلماء أيضاً إن في الوجود ثلاثة أشياء يستطيع الإنسان الوصول إلى قسم منها ، ويعجز عن الوصول إلى ما تبقى منها .

وهذه الأشياء الثلاثة هي [الحقيقة ، والجمال ، والخير] التي إذا تكاملت في موجود سمي قدسياً وإذا نقصت فلا وجود للكمال لأنها مجردات ضرورية لإتمام الوجود الكامل .

إن البشر إذا لم يصلوا تماماً إلى إدراك هذه الأمس العاملة ، فيستطيعون أن يسموا وراءها والعقل على إدراك واحدة على الأقل منها ، ضمن قابليتهم ومحدوديتهم .

ولكن باتساع مدارك العقل واستنارته بالمعرفة قد يتسنى لهم مع تضافر الجهود الصادقة أن يحصلوا على جزء من العناصر الباقية .

٨ — الغاية من العلم :

ولما كانت الغاية من العلم كشف المجهول ، وإدراك الحقيقة . فإن العلماء يخطئون كثيراً إذا حصروا بحثهم ودراساتهم في نقطة واحدة من الدائرة ، وحجبوا بصيرتهم عن رؤية مافي الوجود من نقاط أخرى تفيد المعنى وتدل على القيم التي يملكها الواقع الواضح . نعم ! إن المعرفة لديهم قد تكون كثيرة ، ولكن يجب أن لا ينقصهم الشيء الأكثر بالنسبة لمجموع الأشياء حتى لا يضلّوا الهدف وبفوتهم البحث عن كل شيء .

٩ — ما نراه الفلاسفة الحقيقيين :

إن الفلسفة الحقيقية لا تنظر إلى الشيء بعين واحدة ومن جهة واحدة ، بل يجب أن ننظر إليه من نواحيه العديدة وجهاته المختلفة ، ونراه بكل الميول والوسائل . وتدرس قضاياها واحتمالاتها من جميع نقاطه ، وترجم عن الحقيقة والأمر الواقع ، فتتخذ صاحبها من هفوات العقول الضيقة ، والمدارك المحدودة في الذين يظنون التكامل في أنفسهم وصحة العلم والإحاطة لديهم . ومادام من خواص الوجود ، دوام تبدله وتنوعه وتحوله ، فالعالم مها أبدى من قوة المعرفة والبصيرة لا يستطيع وحده تمييز جميع الموجودات ودرسها بأجمعها ، ولذا تحتم على أهل العلم أن ينقسموا فرقاً فرقاً كل يشغل في دائرة اختصاصه ، وبذلك توسعت دائرة العلم واستحال الانفراد بها ، وصعب على الواحد ادعاء الإحاطة بها لا يعلم لأن ما يمكن للواحد معرفته لا يخرج عن نقطة واحدة من خضم اللانهاية .

١٠ — اتساع عين العلم :

ومما لا شك فيه أن عين العلم قد اتسعت فأصبحت ترى في الكون فضاء لا حده له ، تسبح فيه عوالم من الأجرام منها مشعل واحد ، ومنها مظلم بارد ، تفرقت بدون قصد لكنها اتبعت النظام والترتيب في حركاتها وعلاقاتها ، وهي وحركاتها قابلة القياس والتحديد ، يعرفها العلم ويخبر عن أماكنها ويعينها .

والمادة إذا ففحصناها عن كثب بما لدينا من كواشف ومقاييس وضوابط ومعايير وآلات دقيقة صحيحة نجدها من مركبات وجواهر Molecules & Atoms ذات حجم وبناء وطور معلوم ، ونجد الجواهر - والعلم يدرك وجودها - ليست منتهى ما تتركب منه المادة بل هي ذاتها مركبة من الكثرونات وبروتونات سلبية وإيجابية ، تظهر أنها أيضاً مركبة من أشياء أخرى بالكتل الكبيرة ، ولها حركة معتادة ذات منطقة وقوانين جميلة تتحرك بموجبها ، وترتيبات محفوظة ضمن الجواهر تسير على غرارها .

وعندما نقرب من المنطقة الداخلية لدراستها تترامى لنا كأنها خالية ، وهي في الواقع مملوءة بشيء يصير جميع أجزاء المادة وبذبيها إلى « كل » ، عام يحمل القوة والاهتزازات من واحد إلى آخر .

ومن أوضاع الذرات المعقدة يتجلى لنا انبعاث شيء جديد للحقيقة ، قادر على تكوين الأسامات الطبيعية للمضويات الحية التي لا يشابه درسها درس الأعمال الكيميائية ، لأن مقدرة العقل على ذلك لا تزال محدودة . على أننا وإن تمكنا من البحث عن هذه المضويات فتدقيقاً لنا لا تستقيم إلا بالدلائل الفيزيائية والكيميائية التي عرفناها ولكن بواسطة تبقى وحدها عاجزة عن إيقافنا على الحقيقة فنضطر للتعليل والفهم أن نرجع إلى مانسليه

فعل الحياة . ونكوّن منه علماً يسمى (علم الحياة) يدرس التركيب الذري والأخلاط الناشئة عنه في الأحياء ، وتطور النشوء والارتقاء ، وحصول النمو وقوانينه .

١١ — الحياة ومصدرها وفعلها :

والحياة منها تكن هي التي تسيّر قوة الوجود ، وهي آتية من الشمس تتحول منها لإيجاد بنية لا يمكن للكيمياء ولا الفيزياء إيجادها بدون فعل الحياة ومساعدتها . فالقوّمات البحرية ، وخلايا النحل ، وأعشاش الطيور ، والأشجار ، وكل ما في الطبيعة من المظاهر الحية شاهد على تلك القوة الخاصة بأعمالها وأفعالها في نوايس المادة والأثير ، تساعدنا ولكن ليست المسببة لوجودها .

١٢ — ماذا يفتج عن الحياة ؟

وبفعل الحياة واختباراتها الذاتية نعلم بأن الفرح والسرور واللذة والألم والحب والبغض والكدر والحبور والقصد والإرادة والرغبة والتفرد ، والشعور ، والإحساس ، والأمل ، والإلهام ، والوحي والإيمان هي حقائق موجودة لا مجرد وهم ، وينفيها الشك والجحود الأعمى . إنها حادثة ومن جملة الأشياء الكونية منها يكن اعتبارها .

وقد وجد « علم النفس » وغيره من فروع العلم للبحث عنها وعن الروح البشرية التي تمارسها . وإذا كان علم الدين قد تناولها من ناحيتها العلمية فإن علم اللاهوت نظر إليها من جهتها الفلسفية . وكلاهما من العلوم الكلية يبحثان الكلمات كما تبحث بقية العلوم عن جزئيات الوجود ، كعلم التاريخ ، وعلم الجغرافيا وعلم طبقات الأرض ، وعلم الاجتماع ، وعلم الطب وعلم الحيوان

والنبات وعلم الرياضيات ، وعلم الزراعة والفلاحة ، وعلم المعادن والكيمياء وعلم الميكانيك وعلم الآلات والصناعة وما يتفرع عنها ؛ وكلها تتعلق بالأرض وما عليها ولكن هل يستطيع الإنسان أن يلم بكل شيء ؟

إن العلم مهما بلغ من السعة والعمق والشمول لا يستطيع أن يلم بكل شيء يتعلق بالوجود . فداثرة الأدب والفن والشعر والموسيقا ومملكة الخبير والجمال لا تزال خارجة عن حدوده ، ولكن لا بد من اللجوء إليها والبحث في حرمها وفهم أسرارها ، واكتشاف ما فيها .

أجل ! يجب البحث حياً بالحقيقة ، لأننا إذا أنكرنا وجودها جعلنا علوم المادة وفلسفة الطبيعة لا تزيد قيمتها عن قيمة العظام المجردة من اللحم إلا شيئاً قليلاً ، مع أننا نستطيع أن نكسوها لحماً ونبعث فيها دماً وحياة وروحاً .

١٣ - الروح البشرية تحب الأدب والشعر والفن :

والحقيقة التي يسلم بها كل صحيح العقل أن الروح البشرية تحب الأدب والشعر والفن وتحب التعمق فيها أكثر مما تحب تحريات العلم وتخبطاته . ولماذا ؟ لأن الروح تحب أن تلهو وتهيم في فضاء الخيال المطلق . ومن حقها ذلك مادام لها وهيامها يسببان وجود الجمال في الموسيقا ، والشعر والغناء ، والبناء والهندسة والرسم والنحت والتصوير .

وهل بغير ذلك نجد في رسالة الغفران للمعري ورسالة الجحيم لدائي ، وفي روايات شكسبير وفي السونوات ، والبايتيون ، وفي معابد بعلبك وفي تاج محل بالهند ، وفي قصور الزهراء في قرطبة والحراء في غرناطة ، وفي جامع الصخرة في القدس ، وفي الرسوم والصور وأشعار الشعراء الخالدين ما نجد وتذوقه من جمال وروعة وإبداع ، وتناسق وعبقرية وإلهام .

ولكن هل الاكتشاف في هذه المنطقة هو المقصود ؟ أم المقصود الإيجاد الحقيقي له ؟ إذ لولاه لما كان للفن وجود بمظمة العلماء والأدباء وتعبدته النفوس ، وتخضع له الرؤوس ويهيم به (دانتي ، وانجيلو ، وشبلر وبتوفن وواغنر ، وزرياب ، وإبراهيم الموصلي ، ورباب ، وعليه المهدي ، ورابعة المدوية ، وابن الفارض وابن عربي) ، ولما عشق الأنبياء والعلماء والصوفيون والفنانون والأدباء والشعراء مبادئ الحق والحقيقة والجمال والخير والمحبة ، وتعالى نفوسهم في عملها حيث شاهد كل منهم بقدر بصيرته واستعداده لمحات من الحقيقة لا تتغير فهاموا وسعدوا ! إن طرق البحث مها تعددت فهي واحدة وسواء أكانت في الدين أم في العلم ، أم في الفن ، فهي تتجه لنقطة واحدة [الحقيقة] لأنها هدف الجميع وغاية الغايات .

١٤ — الحقيقة والمادة :

وما دام لنا شعور حي يوجهنا نحو الحقيقة ، ويدفعنا وراءها . فأفهامنا لا بد واصله إلى المحيط القدسي محيط الخير والمحبة والجمال ، وبسمينا للوصول إليه ، وهي أمنية تسيطر على كل نفوس البشر نصل إلى معرفة الحق كما قال كيت : [إن الحقيقة لا يقدر على حصرها أحد ، ولا على احتكارها أحد أو جماعة ، لأنها جزء من القدسية . ومع أنها حقيقة والوصول إليها يندر فهي تحير العقول بعظمتها ، وعنها تظهر صحف الجمال وصورها بأبدع مما تتصور ، وبأبهى مما يمكن للعقل إدراكه] . ولما كانت الأشياء على ما ذكر من الصورة فكيف نقول ببادية العلم ورضى من رجل العلم في أي طور من أطواره أن يحول بصره عن رؤية آيات الوجود ويتجاهل معاني الموجودات وصورها التي لا تمتد . وكيف يجوز حصر الفكر في نطاق قوانين المادة وحركة الذرات والجواهر ، وهل هذا هو طريق الصواب ؟ وهل كل

شيء في الطبيعة خاضع لقوانين المادة الأساسية ، مع أنها قد تكون بذاتها خاضعة لقوانين أخرى نجهلها !

لقد قال « لاپلاك » عندما سأله نابوليون أين الله ؟ في عالم الرياضيات ! أجابه [إنني لم أحتج لحل هذه القضية] . إذ كان يستخرج نظرياته بحسب قوانين المادة والقوة فقط ، ولذا كان جوابه ناقصاً من جهة فلسفة الوجود كما كان جواب زميله « نيوتون » الذي عندما استكمل علمه في تدقيق مسائل الطبيعة شعر بالنقص الذي يعتريه في التعليل فرجع عن رأيه وقال بالحقيقة . ولكي يتضح اختلاف الهدف لبيان الفرق بين من ينشد الحقيقة المطلقة ، وبين من ينشد الحقيقة المقيدة بالمادة نقول : إن « نيوتون » اختصر علم السماء بقوانين وأنظمة أساسها الفرضيات الرياضية ثم آمن بالحق فأوحى إلى العالم بصحيح المبادئ التي جمعت كل ما في المادة من جواهر فردية وحركات ذرية . والكثرونات ، وكهارب ، وايونات ، قابلة الحل ببراهين تستمد أساساتها من الفرضيات الرياضية والمبادئ الميكانيكية ؛ وأما « لاپلاك » فقد ابتدع فرضيته المشهورة التي تخالف الفلسفة الإلهية . فقال [أعطني مقدمات وأعطني ذكاء بشرياً رياضياً يفوق الحدّة لأعين لك طريق كل جوهر فردي ، وأعين محركه الذي سار عليه ، والذي سيسير فيه بكل ما في الطبيعة من ماض وحاضر ومستقبل يمكن حسابه بدون صعوبة] .

١٥ — ليس من السهل قبول دعوى المادة :

ولو صح قول (لاپلاك) فهل من السهل الجزم بمسألة مبدأ الآنية أي آنية الحياة في سلم الأطباء ؟ كلا ! لأنها لا تزال تحت البحث . إن طريق الذبابة وهي تلعب حول الشيء المعلق ليصعب تعيينه ، واستنتاجه من المقدمات الفيزيكية والمبادئ الميكانيكية ، فكيف كل ما في الحياة وفي

سلم الحيوانات ، والنباتات ، والإنسان من مظاهر الحياة ؟ ولذا فالقول برأي حاكمة المبادئ المادية في تلك العوالم لا يزال مشكوكاً فيه وفي صحتها ولا يمكن حل مسائل الحياة بقوانين مادية .

١٦ — الحياة وما هيئتها :

وهي الحياة ؟ إنها ظاهرة لانعرف غير أعراضها ، وهي تستخدم المادة وتستكملها وتحول الجهد الفيزيكي Physical Energy إلى طرق جديدة فتقطع لسان البر لتوصل بين بحرين ، وتقيم الجسورة والقناطر لتوصل البرين ، تخرج من الأرض شجراً ، وزهراً ، وثمرأً ، ورطباً ، وفاكهة مختلفة أزواجاً إنها تمطر السماء فتسيل فيها الجداول والأنهار وتبدل حالة الاقليم ، وتشق مغارث المياه ، وتخر من الجبال ، وتفتت الصخور ، وتنشئ ما صنعتها المدنية من بناء وعمران ، ولا يقتصر عملها في الأحياء العليا بل تعمل في الأحياء الدنيا تكلايا النحل ، وتستهلك حبة القمح لتخرج من البويضة ريشاً بديع اللون والشكل ، ومن البذرة زهوراً زاهية لاعد لها . وتطعم دود القز ورق التوت لتوجد أجنحة الفراشة الجميلة ، وخيطان الحرير للكسوة والزينة وإذا ما ارتقت علت بروح الإنسان فوق جميع الموانع المادية والعنوية والجسمانية ، وسكنت مناطق الذهن لتلمو بالخيال والفن والشعر والألحان ، وتتخذ الأشياء الخارجية عن نطاق الحس واللمس مادة مغذية لذاتها تلتذ بها نفوسنا وتشعر بأنها قريبة من ذلك الوجود الكامل القدسي .

إذاً ما نعرفه عن هذا المؤسس العامل الذي أسميناه الحياة قليل جداً . وقليل بالنسبة لما مستوجده الحياة . ألا نتذكر بأن كثيراً من الأفعال التي نسميها كيميائية قد برهن باستور أن سببها كائن حي ، وأن هذا الكائن

الضئيل المجهرى يدبر ما ظهر من تفاعلاتها ، ونتائجها الكيميائية بطريقة عجيبة شبيهة بالتفاعلات الكيميائية التي يجريها الكيميائي في مخبره ؟ أليس التخمر ، والهضم ، من أعمال الأحياء المجهرية خلايا كانت أم فيروس ، أو جراثيم ، لها خدمة زراعية ، ووظيفة في نشر الأمراض والأوبئة ومحاربتها ؟

كيف يتعمى البصير عن رؤية الحق أمام هذه المظاهر الحية ! وكيف يجحدها النطق السليم ! ألا يكون الجحود تقليداً ومكبرة ؟

١٧ — ما يقبر العقل ويرركه النطق ؟

إن ما يفعله العقل ويدركه النطق ، هو أن الحياة شيء حقيقى ، وموجود ثابت . يفيدنا القول به بقاء باب التحقيق والبحث مفتوحاً ويمكننا من طرق أبواب عالم المجهولات واكتشافها ، ولعل يوماً يأتي فننتدى إلى ثمرة الموضوع الذي له ما بعده . ولا بد من القول أن غاية ما وصل إليه علمنا عن الحياة أنها (فرضية) تلازم المادة وخواصها ولكن قد يكون للحياة وجهة أخرى . إننا نجدها تشرق وتغيب وتظهر في المادة الجامدة مدة ثم تفارقها ، ولها نظير في عالم الطبيعة كقطرات الندى ، تظهر فوق الأشياء اليابسة ثم تختفي ، ولكن إن كانت قطرات الندى لا توجد إلا فوق جسم يابس تقف عليه ، ويتراءى للجهل أنها تظهر وتختفي وهي مرتشحة عن الجماد ، وإذا كنا نعرف عنها غير ما عرفه ذلك المخلوق ، إذ نعلم سبب حصولها ، وأن لها وجوداً دائماً ثابتاً ، وإنما تكونت بشكل غير مرئى وغير ملموس وهو البخار وما وجوده إلا حادث موقت لا يلبث أن يزول ، أفلا يتضح لنا من هذا التشابه الظاهري كيف تتجلى الحياة عند حلولها في المادة كما تشير إليه الآية [وجعلنا من الماء كل شيء حياً] وندرك مظاهرها السامية

خاصة عندما ندقق في الدرجات العليا من الأحياء كالإنسان حيث يوجد فيه العقل والإرادة وهما ليسا جهداً إنما يستخدمان الطاقة ويسوقانها للطريق المؤدية إلى الغاية ، كأنما يقصدان شيئاً لا نعرفه ثم يبلغانه ومن خاصيتها التمييز بين الحق والباطل ، بين النبيل والحقير ، بين الصدق والكذب بين النافع والضار ، بين القبيح والجميل ، وبين الناقص والكامل ، وبمعلان فيما هو خارج عن نطاق قوى المادة ، ولها دوافع أخرى ، ويتأثران من المستقبل ويستكشفان المجهول والماضي ، ويتنبأان عن المستقبل . ان الدليل واضح مع الملاحظة أن قوة الانفجار عمياء تنطلق من مكانها فلا تزيد ولا تنقص . ولا ضابط يصلح أن يكون عاملاً لها يدير نفسه ، ولهذا تعتبر الطاقة كالقوة تحفظ وتبقى تحت تأثير المدير لها ، بواسطة القوى المادية ومساعدتها أيضاً . ومن هذا يتضح أن تغيير مجرى الحركة أي حركة المادة يحتاج لقوة تعمل عليها خلوها بذاتها من الآنية Spontaneity أي العفوية ، ولكونها عطلة من بذاتها أيضاً = Inert .

وحيث إن المادة غير لية ، فالضغط يدفعها إلى الأمام ، وتسير في حركتها عمياء لا يؤثر فيها المستقبل ولا لها طريق تلقائي معين ولا غاية محدودة .

١٨ - العقل ومزاجه :

أما الخلق الحي ذو العقل السليم فوضعه خلاف ما تقدم . إنه يدفع إلى الأمام شاعراً بحاله وترحاله ، ومدرِكاً لما يأمر أو يؤمر به ، وينقاد أو ينفر منه ، وله صفات وخواص تميزه منها الجوع والمعطش والرضى والغضب . وإدراك الأشياء على ما هي عليه ، وإطلاعه على المستقبل وسيره في الطريق المعين . أما عقله فمن مظاهره الإرادة والرغبة والنية والغاية ، وإن أنكر

بعض العلماء وجود القصد والغاية في الوجود وقالوا بنظرية «التصادف» ، ولكن جحدوهم لا يسلم به مادام الوجود يملك الإبداع والنظام ، والإيجاد ، ومادامت الإنسانية تملك الغاية والإرادة والأمل فعلينا أن نتمسك بالعقل لشعورنا بوجوده فينا ، وشعورنا بقوة التدبير في العالم الحي والجامد ، ويؤيد مدعائنا ما نشعر به ونشاهده ، ونقول عن المادة معها تكن إنها [حمولة العقل] .

وان حلولة فيها وسيلة للظهور والعمل المتبادل في صور الأشياء وأشكالها . وهو ينطوي ضمن تركيبات المادة المعقولة ، سواء أكانت عاطلة أم جامدة . هذا طريق الجبل أليس هو رمزاً صحيحاً لشيء إنساني ؟ نعم ! إنه رمز العقل ليهدي الساري إلى جهة معينة ، ويوصله إلى غاية مقصودة . مع أن الطريق بذاته عطل والجهد لم يكن جهد الطبيعة إنما من عمل العقل ، كالصوت الموسيقي تخرجه آلة ناخقة بحركها محرك ميكانيكي ولكن العقل يدير العامل . وهو الموجد للنغم ، وخالق الإيقاع والتناسق . ولولا دماغ الموسيقار لما وجدت النوبة ولما كان للصوت وظيفة . فإيجاد اللحن والأنغام وتنفيذها يحتاج الآلة ، وهي تحتاج في وضمها وترتيبها لفاعل يترجم النغم عن عقله وهو بعيد عنها بعد الشرقين .

١٩ - ماهية العقل ومظاهره :

وبعد فالدماغ آلة العقل وبه تظهر مظاهر الحياة بأكل ما يمكن وتبقى محفوظة في المادة . وقد يقال بأن الموسيقى يمكن تجسيمها بالنوبة فتبقى محفوظة معها طال الزمن ، ولكن فاته أن المحفوظ ليس رسم الصوت ولا صور الحوادث والوقائع كما هو في الشريط السينمائي أو الشريط المسجل ، وإنما عقل الفنان وعقل الممثل ، وعقل المتكلم . وعمل الإنسان أبدعه ذهنه

فأتج الموضوع ومثل الرواية ، وأنشأ الآلات والمصانع ، وخلق من الجاد والحجر ، والحديد ، والخشب ، والذهب أشكالاً وصوراً وأشياء وبقي خالداً فيما صنعه ووضعه . ولو فرضنا أن يد الحدثان امتدت إلى النوبة أو غيرها غربتها ومحتها . فهل باستطاعة المادة أن تميدها ؟ إنها لا تعود من ذاتها ولكن لو بقي الصانع أو الواضع حياً لأعاد العمل بقوة عقله سواء أكان الأثر قطعة موسيقية أو بناءً ، أو رسماً ، أو مصنفاً أو آلة أو لعبة أو شِعراً أو رواية . وبكلمة أخرى إن العقل لم يمت وفي استطاعته أن يعيد ما أنشأه وجسمه مرة ثانية . ومن هذا يتبين أن إدراك الشكل الجميل بذات المعنى ينبه الفكر إلى إبداع شيء آخر ، أبداع من الشكل الأول ويدل على بقاء العقل وفعاليته .

٢٠ — حقيقة مذهب المادة :

لهذا كان مذهب المادة حقيقة فائصة لم تسكمل معدتها للتصور والتحديد . فما يظهر في المادة هو تولنها بالحياة . والذي يبقى لها الحياة هو حملتها انطباعات العقل ، ذكريات الراسم الذي أوجد ما أوجد ورسم مارسم ، وألبس الصور المعنى والروح والنغم ، فذهب عمره [وهو مدة بقاء الدماغ في فعاليته] وبقي عمله حافظاً لشخصيته ، وأليفاً لمعانيها ، ومدلولاتها . وهذا ما جعل في ألوان العلام رمزاً خالداً يحفظ ذكرى البسالة ، والبطولة ، والشجاعة ، والوطنية ، والتضحية ، وشهادة أرواح الألوفا من أبناء الوطن رفعت الراية لأجلهم ، تذكّر من ينظر إليها من الجنود الأحياء بإخوانهم فيمجدونها ويعبدونها لمعانيها وذكرياتها .

وإني لأعتقد بأن لبعض الآثار الشخصية التي تتعلق بأشياء أرضية معاني ربما تكون مبهمة ، لكنها لبعض العقول النيرة سيفتر واضح المعنى ندرك

ماهيته وراميها . ومن هذا القبيل ماذا توحى إليه العبادات والطقوس الدينية ، والترتيلات الروحية والعادات العقائدية ، فإن المؤمنين بها ، وإن أيدوا المذاهب المادية ، ولكن سبب وجودها هو المبالغة بالشيء أو نكرانه بتاتا أي نكران المادية .

إن المادة موجودة في كل شيء بنسب مختلفة كوجود الراديوم والأثير ، وهي تتجسد لإظهار العقل . ولكن لتجسد درجات ، أكلها أجسامنا المادية لما نحن عليه ، ومع هذا فتجسدها بهذه الصورة هو منتهى الكمال ، وقد يحتمل أن شخصيتنا لا تظهر في العالم الأرضي بل في عالم آخر ، إذا قلنا بوجود « النفس السامية المطلقة » .

ويجب أن نتذكر بأن تجسد العقل في البشرية درجات أعظمها ما ظهر في المصلحين أصحاب الرسالة وفي العلماء أصحاب العقول النيرة ، وفي المبدعين والفنانين والمخترعين .

والحقيقة أننا لو نسبنا دوران الأفلاك ، وتوجات النور ، وحركات الأثير ، وغروب الشمس وشروقها ، وهذا الكون اللامتناهي ، الى العقل الفيزيكي والكيميائي ، وإلى الصدفة العمياء ، وأنكرنا النظام العام ، والتنوع ، والإبداع والجمال الظاهر في الأشياء والمعاني ، وأنكرنا الحياة ومعانيها ومظاهرها ؛ لفضينا على العلم والعلماء الذين هدتهم معرفتهم وهدتهم بصيرتهم إلى الاعتقاد بأنهم يمثلون عقلاً فوق العقول ، وقوة مدبرة فوق كل قوة هي « الله » . الذي قال عنه (غاندي) بطلَ الآله أن يكون إلهاً إذا قام الدليل المادي على وجوده . وقال القرآن الحكيم [وفي أنفسكم أفلا تبصرون] .

٢١ - الرأي الثالث رأي البروفسور هالبرتون «أمر علماء الفيزيولوجيا :

يقول الموما إليه [لا يشك أحد بأن فينا شيئاً نعلم به ، وندرك الأشياء على ما هي عليه . ونميل بواسطته نحو الشيء ، ونقبض ، ونشرح ونألم ونتلذذ بحسب ما يؤثر فينا ونعظم مما سبق اختباره وتجربته في ذهننا ونسميه « العقل »] .
ويختلف العلماء في تعيين ماهية العقل ، ومركزه ، وكيفية عمله ، وعلاقته بالجهاز العصبي ، فالأوائل يقولون بأنه قوة روحانية حبست في الجسم ، ونور يشع من القلب ويسمونه « النفس » ويدعون أنه « الروح » التي تتصل بالذات الإلهية ويطلقون عليه أسماء أخرى تفيد وجود شيء فينا لولاه ما عرفنا الموجودات . والمتأخرون ينظرون إليه كأنه وظيفة من وظائف الدماغ ، ولكن تختلف ماهية هذه الوظيفة وكيفية حدوثها . ثم يقولون بأن العقل شيء غير مستقل ، ويننون نظريتهم على أساس أن الوعي هو محصول فعالية خلايا الدماغ كالصفراء تفرزها خلايا الكبد ، وكالانقباض المشاهد في عضلات الرجل أو اليد عند الحركة ، وكلاهما نتيجة لفعالية الخلايا العضلية في العضوين المذكورين ، وبحسب نظريتهم إن إدراك الموجودات ومعرفة الأشياء هي نتيجة فعالية الدماغ ولا شيء سواه .

ثم يقول الأستاذ « هالبرتون » إن أساس المشاهدة والقياس في المثال الأخير ليس فيه صحة البرهان ولا دقة الاكتشاف ، وما ادعوه لا يقرهم من الحقيقة .

أما نظريتهم في ذلك خلاصتها :

أولاً : إن بعض الإحساسات المختلفة التي نشعر بها يتوقف مظهرها على سلامة وصحة البقع الموضعية المعلوم مكانها في القشرة الدماغية Cerebral cortex

ثانياً : إن المخدرات والمنهات كالكلورفورم والكحول ، والأفيون ،
والقوفاين ، والقهوة ، والمورفين ، والحشيش تؤثر في مجرى الإدراك .
ثالثاً : إن بعض النشوهات والآفات العصبية ، وبعض الأمراض الدماغية
يعمقها نقص أو اختلال في القوى العقلية .

وهي حقائق لا شك فيها يدعونها ، ومفهومها واضح . ولكن الرد عليها
يثبت استقلال العقل وبين الحقيقة . ثم يرد عليهم الأستاذ ويقول إن مادة
الأعصاب الدماغية وإن كانت أساساً لمظاهر الوعي والإدراك لكنها لا تدل
على عدم الاستقلال ، ولا على صحة الادعاء بأن هذا الفعل يصدر عن تلك
المادة . إن أكثر الفلاسفة يختلفون في المدعي الأول ، ويمتقدون أن جميع
المادة حية كانت أو جامدة تنتج عن فعالية العقل (١) ويقولون لولا العقل
لما كان وجود ولا إدراك لخواص الصوت ، واللون ، والثقل والصلابة إلى
آخر الخواص التي يتألف منها عالمنا « غير العقلي » .

نعم ! إن الصفراء إفراز ناتج عن فعالية الكبد لكن المحصول في هذه
الحالة [فيزيكي] مكون من فعل فيسيولوجي أي وظيفي ، تركب من فعلين
كيميائي وميكانيكي . وأما في حالة الوعي فإن قلنا الدماغ هو الذي يفرز
نكون قد خلطنا بين فعلين في آن واحد [مظهر العقل الذهني] و [مظهر
الفعل الفيسيولوجي] مع أننا لا ندرك أمر العلاقة بينهما . وعليه بدلاً من
القول [إن الفعالية الفيسيولوجية هي السببة للفعالية العقلية ، نقول إن

الفعاليتين المذكورتين تعملان في خطين متوازيين بعضهما لبعض ، وإن العلاقة بينهما

مجهولة لدينا] وبهذه الفرضية وهي (توازي القوى الفيسيولوجية والقوى العقلية)

يسهل علينا حل معالقات المسائل العقلية ولكن يبقى لدينا سؤال واحد عظيم

(١) فذهب (ديكارت) يقول لماذا أنا موجود ؟ لأنني أفكر ، فلولا العقل
لما عرف الوجود .

وغير قابل الحل ، وذلك معرفة أيها يفعل بالآخر ، العقل يفعل بالدماغ ، أم الدماغ يفعل بالعقل ؟

والجواب : ان كل فعل عقلي يعقبه أو يرافقه تبدل دماغي ، لكن رسم هذا التبدل صعب ودراسته أصعب ، ولو أمكن تحقيقه يوماً ما ، لما اقترب العلم من العلاقة بين الدماغ والعقل ولا بقدر ذرة واحدة . ومثله جهل الشمعة بأن جسمها يضيء ، أو جهل الجسم المشع بالنور أنه يضيء على غيره . ولهذا علينا أن لا نخلط في الفهم بين هذا التوازي . لأن الفعل العقلي شيء ، والفعل الفيسيولوجي شيء آخر ثم يقول : ومن الحق أن نبحث عن الشعور ونعني به الدافع فان فعلنا خلطنا بين علمين متباينين . والنسبة بينها نسبة الشيء إلى ظله أو إلى صورته .

وعلماء العقل يميزون فعاليتيه بثلاثة مظاهر . (الأول الاطلاعية = Cognitive)

وهو مظهر يجعلنا واعين لمداركنا ، أو مدركين للأشياء التي نعتبر بها . والثاني العاطفية (Affective) وهو مظهر يجعلنا تتلذذ ونتألم من حالتنا الإدراكية . (والثالث الإرادية = Conative) ، وهو مظهر آخر يجعلنا غيل نحو الشيء ونطلبه ونسعى لنيله .

ومن الملاحظ : أن في كل حالة عقلية تظهر هذه المظاهر . ولكن بنسب مختلفة من حيث البروز والشدة ؛ ففي الإدراك ، والحفظ ، والتخيل ، والتصور ، والمحاكاة ، تكون الاطلاعية أقوى وأشد بروزاً .

وفي حالة الحب والبغض والحزن ، والفرح ، والأمل والخوف تكون العاطفية أشد تقدماً وأقوى بروزاً وفي حالة الرغبة والحرص ، والتعلك ، والطلب ، تكون الإرادية أقوى وأشد بروزاً .

والوعي له حالات تفيدنا ما هو الفرق بين الوجود الخارج عن أنفسنا أي الظاهر ، والوجود الداخل ضمن شعورنا أي الباطن . ومن وجود هذه العلاقة بين الظاهر والباطن نستدل على فمالية الذات ، التي تختبر حالات الواعية فتتطلع وتحس وتريد .

وفي الحقيقة لا يمكن تصور وجود حالة نفسية مالم تكن الذات مخبرة لها . فإذا ظهرت الحالة النفسية فإنها تمتزج مع اختبارات الذات أي النفس ، الموجودة سابقاً وتعمل لتغير بها ، أو لتصلحها . وعلى هذه الكيفية تقوم فعاليتها متكيفة بحسب الحالات الواعية واختباراتها ومكيفة لها .

وفي النتيجة يجب أن نعلم أن حالات الوعي ليست وحدات [مستقلة] بل جهاز العقل مثل جهاز العصب المركزي يشغل كموجود واحد مستقل بالرغم من ميزاته المركبة .

هذه هي خلاصة رأي الدكتور « هالبرتون » ، تأخذ شكلها الوسط بين العقيدتين ، ولم أشأ الدخول في بيان تفصيلي لكيفية وقوع فعل الوعي من الجهة الفيسيولوجية لأن الكتب الخاصة بهذا العلم تتناول بمحة بزيد من الإسهاب والشرح . وإنما أوردته لأثير انتباه القارئ إلى ضرورة التعمق بأبحاث [العقل] حتى نزداد يقيناً بأن هذه المنحة التي منحتها إياها الحياة وموجد الحياة ، لأثمن شيء في الوجود . فمعرفة أنفسنا بقدر ما وصل إليه العلم يجعلنا ندرك مسؤولياتنا في تنمية قوانا العقلية والحفاظة على سلامتها وعلى فعاليتها . إذ لا شيء أثمن من العقل ، ولا شيء أكمل منه في الخليقة ، وإذا اختل أو اعتل نقصت قيمة الإنسان وقل اعتباره وفسدت حياته ، ولا حياة لمن لا عقل له . ولا عقل لمن لا يدرك نفسه ، ولا علم لمن لا معرفة له بالحياة .

العوامل الخفية في التطور اللغوي

من المعلوم أن الإنسان قد اهتدى منذ عهد عريق في القدم إلى استنباط الكتابة واستعمالها في شتى حاجاته . وكانت كتابته في أول عهدها عبارة عن رسوم بدائية ساذجة يستعين بها على التعبير عن ضروريات حياته البسيطة . لكنّ الإنسان لم يبق في طوره البدائي طوال العصور التي مرت عليه . بل أخذ مع كروور الزمن يرتقي ويتقدم في الاختبار والمعرفة . وبتقدمه وارتقائه ارتقت لغته الكتابية أيضاً . وما زالت تسير في طريق الارتقاء حتى أصبحت ذات قوالب لفظية معينة وتراكيب تقوم على قواعد منظّمة .

على أن تلك القوالب والتراكيب لم تتوقف عبر التاريخ عن التطور ، ذلك لأن الجماعة الإنسانية نفسها قد طرأ عليها منذ عهدها الأول تغيرات وتحولات كثيرة كان نتائجها أنها توزعت إلى كتل عديدة مختلفة البيئات والاختبارات . وبالتالي متباينة اللهجات واللغات .

ولقد عني فقهاء اللغات قديماً وحديثاً بدراسة تاريخها وأسباب غيورها وتقدمها وقطعوا شوطاً بعيداً في الكشف عن الوشائج التي تربط بعضها ببعض . فأوصلهم ذلك إلى الجزم بأن اللغة لم تأت الإنسان رأساً عن طريق التوقف كما زعم بعض القدماء بل نشأت وفت ككل حيّ تبعاً لناموس التطور الطبيعي العام . وإنما لا تزال حتى الآن خاضعة لهذا النظام . والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى وأين من أن تحتاج إلى تبيان . ونظرة واحدة

على ما دخل ولا يزال يدخل كل لغة من أوضاع جديدة كافية لأن ترى أثر التطور المستمر في لغات الأمم جماء ، وإن كان هذا الأثر يتفاوت فيها بالنسبة إلى أحوالها ودرجة تقدمها . خذ مثلاً لغتنا العربية إبان نهضتها الأخيرة فقط ونأمل ما استجدّ فيها وتولد من كلمات واصطلاحات في شتى حقول العلم والحضارة ، سواء أكان ذلك عن طريق الوضع أو عن طريق الترجمة . فهي دون مغالاة تتجاوز الألف بين ما كان من قبيل الماديات ، أو ما كان من قبيل المعنويات .

* * *

والتوليد وضماً ، أو ترجمة ، قديم في العربية . على أنه قد اتسع كثيراً في هذا القرن الأخير ومعظمه جار على ألسنة الكتاب وأقلامهم . وكثير منه قد دخل حرمَ المعاجم فأصبح متأصلاً في اللغة .

وما يصدق على التوليد في اللغة العربية يصدق عليه في شتى اللغات العالمية الحية إلا أن أساليبه قد تختلف بين لغة وأخرى . فالتوليد في العربية عملية داخلية تتم عادة بواسطة الاشتقاق الصرفي طبقاً لأصول هذه اللغة . فيستعان عليه باستعمال الصيغ الصرفية المعروفة من مصدر أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو اسم مكان أو اسم آلة أو مبالغة وما إلى ذلك . يمثّل يسميه بسمّة الاشتقاق الداخلي لا بزيادات خارجية عليه كما هي الحال في اللغات الإفرنجية . حيث يحدث التوليد بواسطة سوابق أو كواسم تضاف إلى الألفاظ الأصلية . كما ترى في الأمثلة التالية :

Operation — أي (عمل أو عملية) فإذا سبقتها (Co) تصبح Cooperation أي (التعاون) .

Like — أي (يودّ) أو يستحسن أما Dislike (فتعني يكره) .
 Teach — أي (يعلم) أمّا مع الكاسمة (Able) فتعني (قابل للتعلّم) .
 Ordinary — أو Ordinaire — معناها الشيء العادي فإذا تقدمتها Extra أصبحت تعني (ما فوق العادي) .

Poison — أي (السمّ) أضف إليها ous نصير Poisonous أي الشيء (السامّ) .

Coherent — أي (المتّمسك) — incoherent غير متماسك أو متفكك
 Stand — أي (يقف أو ينتصب) — Under stand (أي يقف على معنى الشيء) .

وقس على هذه الأمثلة ما لا يمكن حصره في مثل هذا المقام .

وقد أخذ بعض هذا النوع من التوليد الأجنبي يتسرّب إلى العربية فصرنا نقول مثلاً : برقية لاسلكية — ولون فوق البنفسجي — الفلسفة اللاأدرية — تعاليم لادينية ، وخام كبريتيد (Blend sulphide) وحامض بروخليك (Brono acetic acid) وأمثالها مما اضطرّ إليه ناقلو الأوضاع والاصطلاحات الكيماوية والأحيائية والطبية وسواها من العلوم الطبيعية إلى اللغة العربية . وكما دخل اللغات أوضاع جديدة عن طريق التوليد والترجمة دخلها كذلك أوضاع جديدة عن طريق الاقتباس بعضها من بعض . فاللغة الواحدة كثيراً ما تتبنى لفظاً أجنبياً لا فائدة من تكلف ترجمته . وهو أمر يكاد يكون شائعاً على درجات متفاوتة في جميع اللغات . ويطلق العرب على هذه الألفاظ المقبسة اسم الألفاظ الدخيلة أو المرربة .

ولقد حاولت بعض الدول الحديثة بدافع من عصبيتها القومية أن تستغني عما انتشر في لغتها من ألفاظ دخيلة وأن تستعيز عنها بوضع ألفاظ أصيلة

فوجدت في ذلك من المشقة والإسراف في الوقت والجهد ما صدّتها عن التهادي في مثل هذه المحاولة . فكيف يمكن للتركية أو الفارسية مثلاً أن تجرّد نفسها مما تأصل فيها من الألفاظ العربية ، وهو شيء كثير جداً يكاد يطنو على الألفاظ الأصلية وكذلك كيف تستطيع اللغات الأوروبية أن تجرّد نفسها من أصولها اليونانية أو اللاتينية . وهذا شأننا في ما دخل العربية من أوضاع أجنبية وشاع على الألسنة والأقلام في الأوساط الأدبية والعلمية . وقد شعر بذلك العاملون في حقل اللغة وأدركوا استحالة التخلص منه . حتى إن جمع اللغة بمصر وهو من أشدّ المحافظين على أصالة اللغة وعلى الأخذ بأسباب رقيّها ونموّها لم يسمعه إلا أن يعترف بفائدة التعريب . ولكنه احتاط لضّرر التهادي فيه فأجاز ، كما ورد في مقرراته ، استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ، (١) .

فالتوليد وضعاً وترجمة ، والتعريب ، وسائر ما طرأ على ألفاظ اللغة من تجديد وتغيير ومن نموّ واندهار إنما هو حدّث تطوّري كان ولا يزال يحدث في مختلف الألسنة البشرية على أشكال ودرجات شتى ، ووراء عوامل طبيعية تعمل باستمرار دون أن نراها أو نحسّها بها . وفي الغالب قلّما ننتبه إلاّ إلى نتائجها . وها نحن أولاء نثبت أهم هذه العوامل .

العامل الرضني — ويراد به تأثير الزمن في تحويل بعض الألفاظ من

معنى إلى معنى آخر . ولنمثل عليه أولاً ببعض ألفاظ أجنبية :

Meat — كلمة إنكليزية معناها اللحم الذي نستعمله للطعام . على أنها

لم تكن قديماً على ما يظهر محصورة في هذا المعنى . بل كان

يقصد بها الغذاء عامة . وعلى ذلك وردت في التوراة المترجمة إلى الانكليزية في عهد الملك جايمن قبل نحو ٢٥٠ سنة ، إذ قال الله لآدم مشيراً إلى ما خلق من أنواع النبات To you they shall be for meat أي لك تكون طعاماً . وبكروار الزمن تحولت عن معناها العام واستقرت على معناها الخاص المعروف الآن .

Virtus — كلمة لاتينية معناها الأصلي « الرجولة » أو قوة الرجل . أما الآن فقد تجاوزت هذا المعنى في بعض اللغات . فهي في الإنكليزية (Virtue) وفي الفرنسية (Vertu) أي الفضيلة والخلق الحميد أو المروءة في الإنسان رجلاً كان أو امرأة . Plume — كلمة فرنسية تعني قلم الحبر . وهي في معناها الأصلي ريشة من جناح طائر . ولما كانوا قديماً يستعملون للكتابة ريشة الطائر فقد علق بها مع الزمن هذا الاستعمال فاكتسبت معنى القلم .

Board — كلمة انكليزية . يراد بها في الأصل قطعة من الخشب مستطيلة مسطّحة الشكل يوضع عليها الطعام . ومع الزمن تحولت إلى أن صارت تعني الطعام نفسه كما في قولنا للنزول في فندق ما (With bodging and board) أي مع التام والطعام ، وتحولت أيضاً إلى معنى ظهر السفينة — في مثل قولهم Fell over board أي سقط من على ظهر السفينة . Étoner — كلمة فرنسية تعني بوجت بعنف أو دهش دهشاً شديداً . وهي من أصل قديم Extonare أي ضربته الصاعقه . وينطبق عليها تماماً قولنا في العربية صمق للخبر .

Tawdry — كلمة انكليزية يراد بها ما كان من السلع رخيصاً أو تافهاً وقد زخرف ظاهره زخرفة مبتذلة . وأصلها مما كان يعرض قديماً للبيع من مثل هذه السلع الرخيصة في عيد القديس Taudrey فلصق به هذا الاسم .

Fee — ويراد بها ما يترتب من مال لقاء خدمة أو عمل ينتفع به . كقولهم مثلاً (School fees) أي رسوم التعليم في المدرسة . وهذه الكلمة من أصل جرمانى قديم (Feoh) وكانت تعني الماشية من بقر وسواها ، مما يرجح أنهم كانوا قديماً يستعملون المواشي بدل النقود في معاملات البيع والشراء أو تسديد الديون والحسابات^(١) .

Trampire — كلمة من أصل لاتيني معناها يخرج النفس — يرشح وقد اكتسبت في اللغة الانكليزية مع الزمن معنى إضافياً هو تسرب الشيء الخفي إلى الخارج كقولهم :

It transpired to the press that woill not the cabinet stay on more than a weak .

أي تسرب إلى الصحافة أن الوزارة لن تبقى أكثر من أسبوع .

Bureau — (فرنسية) أي مكتب أو طاولة للكتابة . وأصل معناها قماش كانت تغطي به المكاتب في الدوائر الرسمية فتحول معناها إلى المكتب نفسه أو الدائرة .

وقد يكون عمل الزمن في اللغة عن طريق المجاز . كالأمثلة التالية :
 Chair - Chaise — أي الكرسي . وقد اكنسبت مع الزمن معنى جديداً فلم
 تعد تقتصر على أداة للجلوس بل صار يكتن بها عن مركز
 رئيسي في الجامعات أو دوائر الحكومة وسواها فيقال مثلاً
 كرسي الأدب — كرسي الرئاسة — كرسي القضاء .

Bar — تعني أصلاً دكة خشبية تحجز القضاة عن أصحاب الدعاوى ،
 أو تستعمل لتقدم عليها زجاجات الشراب ، فأصبحت يكتن
 بها عن مجلس القضاء نفسه أو عن محل المشروبات الروحية .
 وهناك عدد وافر من أمثال هذه الكلمات في اللغات الأجنبية ، كما أن
 منها عدداً غير قليل في لغتنا العربية . قديماً وحديثاً
 — ومن أمثلة ذلك ما يلي :

الكفر — هذه اللفظة تعني في الأصل التنغطية من فعل كفر أي غطي
 وستر فتحوّل إلى معنى الإلحاد .

الصفرة — وهي في الأصل الخلاء مطلقاً . ثم استعملت في العلوم الرياضية
 للرتبة الخالية من الكم .

النحو — وهي كما يقولون من نحنا ينحو أي قصد يقصد ثم أصبحت
 تعني العلم المعروف (في اللغة العربية) .

المقامة — وهي أصلاً المجلس أو المقام تلقى فيه القصص أو المظلمات
 فتحوّل إلى هذا النوع من القصص المسجع الذي عرف به
 الهمذاني والحريزي ومن جرى مجراها قديماً وحديثاً .

القطار — أصل معنى هذه اللفظة صف من الجبال يقطر بعضه إلى بعض .
 وهو الآن يكتن به عن عربات سكة الحديد .

- اللواء — أي الزاية أو العلم . ويسكن بها الآن عن صاحب رتبة رفيعة في الجيش .
- فتّان — في كتب اللغة القديمة اسم يطلق على الحمار الوحشي لتفتّنه في العدو . وهو الآن لقب لصاحب الموهبة الفنية أو لمُحترف الفن .
- الشفّز — في الأصل جُشجر الضب أو اليربوع . وهو حفرة كثيرة التعاريج والتعمية ومنها جاء المعنى الحاضر للكلام العمّى .
- الجيب — في الأصل طوق القميص أو الثوب . وهو الآن أشبه بكيس صغير يخاط بالثوب من الداخل لحفظ الأشياء .
- السفرة — معناها في الأصل طعام المسافر وهي الآن ما يوضع عليه الطعام .

وقس على هذه الأمثلة القليلة كثيراً من الألفاظ التي كان للزمن فعل ظاهر في تحويل معانيها . أما كيف أو متى حدث هذا التحول فذلك مما يصعب تحديده . فطرق التحويل تختلف باختلاف الظروف والأسباب . ولا سبيل لنا إلا أن نقول إنه أمر قد حدث في زمن ما . .

العامل الاجتماعي : ويراد به ما كان سبباً في توليد ألفاظ في لغة ما نتيجة

لاحتكاك أهل تلك اللغة بسواهم من الشعوب ، إمّا عن طريق الاتصال التجاري أو الفكري أو السياسي . وهذا باب واسع جداً أكتفي منه بقليل من الأمثلة :

- Marble — كلمة إنكليزية معناها البلاط الذي يستعمل في الأبنية — وقد أخذت عن الفرنسية Marbre أما أصلها القديم فجرماني Marmaros أي حجر أو صخر .

أنيس المقدسي

Mayor انكليزية { أي محافظ المدينة أو المقاطعة . وأصلها لاتيني (Major)
Maire فرنسية { أي الأكبر أو الأعلى .

Conscience — (الضمير) أو شعور داخلي في النفس بما هو خير وما هو شر ، واللفظة واحدة في اللغة الفرنسية وهي من أصل لاتيني
(Conscuntia) .

Befteek — افضلة فرنسية مأخوذة عن الإنكليزية لنوع من لحم الطعام (Beefstiak)

Magnanimous انكليزية { صفة للرجل الشهم أو ذي المروءة . مأخوذة عن كلمة
Magnanim فرنسية { لاتينية مزدوجة Magnus أي كبير و Animus
أي روح أو نفس . (أي ذو الروح الكبيرة) .

Philosophy — الفلسفة — في كل اللغات مأخوذة عن كلمة يونانية مزدوجة معناها

حب الحكمة وهي Filosofia — (Philis حب و Sophia حكمة)

Coffee — Café — وهذه كلمة عالية مأخوذة عن العربية (القهوة) وأصل معناها
الحجرة ثم تحولت إلى مقليّ البنّ المعروف .

Saffron — Safron — أيضاً كلمة عالية مأخوذة عن كلمة زعفران العربية .

Admiral — Amiral — وهذه أيضاً من أصل عربي هو أمير البحر . ومثلها القلي
والجبر (Alkali — Algebra) وكثير غيرها من الألفاظ

الأجنبية التي أخذت عن العربية عن طريق العلم والتجارة
أو السياسة أو الدين ، وخصوصاً في الفارسية وفي التركية .

كما أن هناك أيضاً كثيراً جداً من الألفاظ الأجنبية التي
دخلت العربية قديماً وحديثاً عن هذا الطريق كقولنا ،

وهو قتلّ من كثر ، أو نقطة من بحر :

ديوان — قطان — آجر — سكر — أفيون — ازميل —
كيلو — قطار — فستان — قيراط — طابور — اكسوجين —

ريال - توابل - منبر - تلفون - فيلم - بورصة - بنك -
سراي . الخ الخ .

ويدخل في هذا الباب ألفاظ صيغت من أسماء أعلام اشتهروا
باختراع شيء أو إيجادته . ومن ذلك في الإفرنجية -

Pasteurize - أي عقم الحليب أو سواه على طريقة Pasteur العلامة
الفرنسي المشهور .

Galvanize - أي لبس الحديد بالزنك - نسبة إلى العالم الإيطالي Galvani .
Algorism - اصطلاح حسابي مستمد من اسم الرياضي العربي الكبير الخوارزمي
أما في العربية فنجد أمثال :

الرهدينيات - (الرماح) نسبة إلى امرأة اسمها ردينة كانت تصلح الرماح .
تبرمك - أي جاد بالعطاء نسبة إلى البرامكة وزراء الدولة العباسية
الذين عرفوا بكثرة العطاء .

تمرد - أي طمى وتجرّر نسبة إلى غرود الجبار الأسطوري . ومثلها
تفرعن - نسبة إلى فرعون .
وغير ذلك .

(العامل الجغرافي) : نظرة عامة إلى عدد من اللغات الراقية في العالم ترينا

ما للموقع الجغرافي من أثر في تطورها . فكل بلد تربط أبنائه لغة واحدة
كان في أول أمره مؤلفاً من أقاليم مختلفة اللغات أو اللهجات ثم قضت
الأحوال أن تغلب إحدى هذه اللغات على سواها فتصبح اللغة القومية
العامة مع احتفاظها ببقايا من اللغات أو اللهجات الأخرى .

هكذا أصبحت لغة لندن مثلاً هي لغة الإنكليز الرئيسية أو الجامعة .
ذلك لأن لندن هي العاصمة والمركز الأكبر للحياة العلمية والسياسية والاجتماعية

والتجارية . وباطراد تقدمها العلمي وارتفاع مستواها الحضاري استطاعت لهجتها أو لغتها تدريجياً أن تتغلب بل تقضي على شتى اللهجات واللغات الإقليمية .

وكذلك قل في اللغة الفرنسية اليوم فهي في الواقع لغة باريس العاصمة وموطن الطبقة الراقية وأهل العلم والأدب وأرباب القيادة السياسية فكان من الطبيعي أن تطغى على سائر اللغات واللهجات الإقليمية في فرنسا . والألمانية هي لغة برلين التي ترجمت إليها التوراة على يد لوثر الشهور وقد جرى مثل ذلك في كثير من البلدان .

وإذا التفتنا إلى لغتنا العربية السائدة اليوم في الأوساط الأدبية الراقية بين كل الشعوب التي تنطق أو تكتب بها وجددها بالأكثر وريثة لغة قريش ، بل لغة مكة عاصمة العرب الدينية والعمرانية . قال ابن فارس في فقه اللغة : وأجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشاً أفصح العرب أنسيةً وأصفاهم لغة . وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً (ﷺ) فجعل قريشاً قطبان حرمه وولاة بيته . فسكان وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفتدون إلى مكة للحج ، ويتحاضرون إلى قريش في دارهم . وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلاتهم التي طبعوا عليها . فصاروا أفصح العرب ، وهذا ماذهب إليه الفارابي في كتابه المسمى بالألفاظ والحروف كما ذكر السيوطي في الزهر (١) وعليه أكثر فقهاء اللغة العربية قديماً .

وللعامل الجغرافي أثر في ما اكتسبه اللغة من هجرة أهلها واستيطانهم بلاداً جديدة كما حدث للغة الإنكليزية مثلاً بعد أن استقرت في أميركا الشمالية وأصبحت اللغة السائدة فيها . فقد دخلها ألفاظ وأوضاع إقليمية جعلتها ذات صيغة خاصة حتى صار بعضهم يطاقون عليها اسم اللغة « الإنكليزية الأميركية » أو الأميركية فحسب . وهذا يصدق على كل لغة هاجرت من موطنها الأصلي واختلط أهلها بسواهم من الشعوب .

ومن الأثر الجغرافي في اللغة نشوء ألفاظ فيها ترجع إلى أسماء بعض المدن والأقاليم كالألفاظ التالية المستعملة في اللغات الأوروبية :

Dmask — تطلق بين الافرنج على نسيج كانوا يستوردونه من دمشق
ثم أطلق عليه اسم دمشق محرفاً .

Mousline — نسيج حريري رقيق مأخوذ من اسم موطنه الأصلي
الموصل في العراق .

Calico — نسيج قطني يرجع اسمه الإفرنجي إلى مدينة Calient
الهندية التي كان يستورد منها .

Balas—Balais — وهي البلخش حجر كريم موطنه بلخشان .

Benjoin — Benzoin — صنع من جاوى سماه العرب ابان جاوي وعنه نقل
إلى الافرنجية .

Tabby — Atabis — نوع من القماش ينسب إلى محلة في بغداد قديماً كانت
تسمى العتاية ذكرها ابن جبير في رحلته . قال :
وبها تصنع الثياب العتائية .

ومن الإفريقية أيضاً :

لفظة البورجوازية Bourgeoisie ومعناها الطبقة المترفة أو المترفة وأصل الكلمة من bourg أي المدينة وكان يدعى ساكن المدينة بورجوازي ثم صارت تعني هذه الطبقة الخاصة من الشعب .

ونقول في العربية المهتمد والهندواني أي السيف المصنوع في الهند — والصيني نوع من الآنية الخزفية ينسب إلى الصين والكشمير نوع من الأنسجة نسبة إلى مقاطعة الكشمير في الهند ، والكوفية غطاء للرأس ينسب إلى الكوفة في العراق — وعُبْقَرِيّ نسبة إلى عبقر ، وهي في أساطير العرب موطن الجن وينسبون إليها كل رائع أو متفوق .

والتبغدد أي الزهو بالنفس تشبيهاً بأهل بغداد قديماً . ومثلها عدد من الألفاظ المنسوبة إلى أسماء بلاد أو أماكن كتأمرك وتفرنس وأتهم وأنجد رغرّب وأشام وأمين وأصحّر (من الصحراء) وغيرها .

وهناك عوامل أخرى أثرت في اللغة فأحييت بعض ألفاظها وقضت على سواها أو أضافت إليها صوراً معنوية لم تكن من قبل . ومنها :

العامل الاقتصادي : ويراد به الميل الفطري إلى تغليب لفظ على لفظ

توفيراً على الذهن ما قد يتكبده من مجهود لا داعي له ، كتفضيل اللفظ السهل الواضح المألوف على الشاق أو غير المألوف . وهكذا تدور الألسنة والأقلام على استعمال ألفاظ دون مرادفاتها كقولنا مثلاً :

المراة	بدلاً من	السَّجَّجِجِل	والرقص	بدلاً من	الرفق
الخادم	==	النادل أو المناهن	و أمين السر	==	الناموس
السائق	==	الحوذي	و الشرطي	==	الجاويز

الفتنان المحترف	بدلاً من التكسب	و الهامي	بدلاً من المدره
ومندبل السفرة	== المشوش	و الجبة	== الدلق
والرصاص	== الصرفان	و الخمر	== الخندريس
واللوياء	== الدجـر	و الباذنجان	== المغد
وربان السفينة	== التناخوداه	و الواش	== الحشيتة
والبسكويت	== الخبائر	وغيرها كثير	...

ومن باب الاقتصاد الذهني في اللغة الخروج أحياناً عن قاعدة الاشتقاق الأصولي فنستبدل حرفاً بحرف آخر أدلّ منه على المعنى المراد . وهكذا نستعمل الآن (دعاية) (Propaganda) بدلاً من (دعاوة) لأن هذه وإن كان الفعل واوياً لا تعطينا المعنى المقصود .

ونقول (قيّم) السلمة بدلاً من قوّم لأن (التقييم) مأخوذة من القيمة لا من الفعل قوّم . ونقول هو (أحيل) منه أي أكثر حيلة لا (أحول) . وايس ذلك بدعة في العربية ، فالقدماء قالوا مسنيّة بدل مسنوة ، والعلماء بدل العلواء ، ومرضيّ بدل مرضو ، والقصوى بدل القصيا ، وأليط بالقلب بدل ألوط وأمثالها (راجع أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٦١٥ - ٧١٧) .

العامل اللغوي ، والمعنوي :

وبما أدّى إلى توسع اللغة وغو مفرداتها استعمال حروف المعاني مع الأفعال للدلالات خاصة — كاستعمالنا الأفعال التالية في غير معناها الأصلي :

أتى (جاء) نقول أتى عليه أي أنفق أو أهلكه
ضمّ (جمع) ضم جناحه إلى الناس أي ألان لهم جانبه
عثر (زل وكبا) عثر عليه وجده

عهد (عرف) نقول عهد إليه بالأمر أوصاه به أو أوكاه إليه
 قعد (جلس) = قعد للأمر . اهتم به وقعد عنه انقطع
 مثل (حضر) = مثل به نكثل به
 بسط (نشر) = بسط فلاناً على فلان سلطه عليه ، وبسط من فلان
 أرا ل احتشامه

دعا (طلب الحضور) = دعا على فلان طلب له الشرف ودعاه طلب الخير
 سكن (هداً) = سكن إلى فلان استأنس به واستراح إليه
 فزع (خاف) = فزع إليه التجأ ، فزع من نوعه انتبه
 وقف (قام) = وقف على الشيء اطلع عليه ، وقفه عن الشيء منعه .

ومثل هذا التوسع نجده في غير العربية من اللغات الأجنبية . في الإنكليزية
 خذ مثلاً الفعل (give) ومعناه الأصلي (يمطي) ولكن هذا المعنى يتغير
 بحسب الحرف الداخل عليه فإذا قلنا (give up) صار المعنى (يترك) أو
 (يستسلم) وخذ فعل get (حصل على) نقول get up (ينهض)
 أو get in (يدخل) . ومثل هذه التعبيرات شائعة في عدد غير قليل
 من أفعالهم .

ويدخل في هذا الباب عندنا التضمين اللغوي وهو استعمال فعل مع أحد
 الحروف بمعنى فعل آخر وقد أقره مجمع اللغة بصر وسواها وجعله قياسياً
 بشروط هي (١) تحقيق المناسبة بين الفعلين (٢) وجود قرينة تدل على المعنى
 (٣) ملائمة للذوق العربي .

ومن باب العوامل اللغوية ما سماه الأقدمون بالقلب والإبدال وهو واسع
 جداً وقد أسهبوا في شرحه ووضعوا الكتب فيه .

والمعقول أن هذا التوسع في معاني الأفعال بواسطة الحروف لم يوضع في الأصل وضماً على يد علماء اللغة بل جاء سليقة وإغماً أقره العلماء بعد أن جرى على الألسنة والأقلام ثم مكّنه الاستعمال العام .

ولنستطرد هنا إلى القول أن أكثر هذه التحولات التي طرأت على اللغة لم ترق أولاً المحافظين المتشدين فكانوا يهاجمونها ، وقد حدثت في كل عصر مشادات بينهم وبين المجارين لناموس التطور الذين يرون فيه متسعاً لتنمية اللغة وصلها . وكان الزمن غالباً في جانب هؤلاء .

ومن المحافظة المتشددة عند بعضهم مثلاً كتاب درة النواص للحري صاحب المقامات المشهورة . فقد تتبع ما رآه أو توهمه من أغلاط الكتاب في زمانه فجاء بالغث والسمين مما حمل بعضهم ومنهم الخفاجي شارح كتابه على تفنيد كثير من انتقاداته . وقام بعد الحري في عصر مختلفة من حذا حذوه وتابوعه في مثل قوله — إن كلمة التشويش خطأ وصوابها التهويش ، وإن الطرب يستعمل للحزن والفرح على السواء . وإن أراضي جمع أرض خطأ وصوابها أرضون ، وإن النسبة إلى مثل فاكهة وياقوتي فاكهي وياقوتي لا فاكهاني وياقلاني ، وإن القافلة هي الرفقة الراجعة من السير لا غير .

إلى غير ذلك مما لم يثبت مع الزمن . وقد حاول إبراهيم اليازجي وهو من هو في علم اللغة انتقاد أغلاط الكتاب فأجاد ، ولكنه غالى في التشدد فأصاب الحري وسواه من المتشدين . وتبعه حتى وقتنا الحاضر عدد من أهل الغيرة على اللغة فضللوا السبيل في كثير مما زعموه ، ذلك لأنهم لم يعيروا أي اهتمام لغير ما نقل في كتب اللغة ، ولم يكتثروا لما أثبتته الاستعمال العام مما لم ينقل في كتب القدماء .

ولم يكتف بعض من أهل عصرنا الحاضر بتقليد المتزمّتين السابقين في تخطئة مانوهموه مخالفاً للأصول بل تجاوزوا ذلك كثيراً حتى تركوا أوضاعاً صحيحة متعارفة داعين إلى مرادفات لها . هي وإن تكن صحيحة ، لم تجبر في الاستعمال مجرى الأولى .

فغلبوا مثلاً صيغة أسهم على صيغة ساهم بمعنى المشاركة .
وتبعهم في ذلك كثيرون الآن . ولا غبار على أيّ منها . إلا أن صيغة فاعل أدل على المشاركة من صيغة أفعل . ولذا شاعت قبلاً في الأوساط الأدبية وهي الأولى بالاستعمال .

وغلبوا أيضاً صيغة أسمى على صيغة سمّى في مثل قولهم (أسمى ابنه كذا) وصار الكثيرون يتحاشون استعمال سمّى ، مع أن هذه هي الفضلى وهي التي يتصرف اللسان والقلم بمشغقاتها فنقول (تسمية الأشياء) (لا إسمائها) . وتقول (إلى أجل مسمى) بالتشديد لا غير .

وتوهّموا أن قولهم (أفاد من الشيء) أصحّ وأفصح من القول (استفاد منه) وهو وهم غريب يتمسكون به ويخشون أن يقال عنهم غير فصحاء إذا استعملوا سواء .

وانقلبوا مؤخراً على الإصلاح الشائع بين الكتاب وهو (بصفته كذا) بدلاً من (بوصفه كذا) في مثل قولهم (بصفته رئيساً أو مسؤولاً) والواقع أن استعمالهم (بوصفه كذا) ضعيف . لأن معنى (بصفته كذا) لكونه كذا أو لبوت هذه الصفة فيه . لا لأننا نصفه بها كما يزعمون .

وانتهى بعضهم لمخاربة النسبة إلى الجمع الكثير زاعماً أنه يجب رده إلى الفرد . مع أن النسبة إلى هذا الجمع هو مذهب صحيح من مذاهب

النحاة الكوفيين . وهو أولى في أكثر الأحيان من النسبة إلى مفردة .
 وإذا كان بعضهم لا يزال يرى أن النسبة إلى الدول دُولِي هي الصحيحة فما
 قوله في النسبة إلى — أمم — عقائد — عمّال — صحف — أخبار — حقوق —
 ملوك — كتاب — شعوب ، وكثير غيرها .

وينادي بعضهم بالويل والنبور إذا جمع أهل القلم اليوم بأئس على بؤساء
 زاعمين أن الصحيح في جمعها هو بؤس . كما أنهم مثلاً يرفضون لفظة
ماكل ويقولون الصحيح أكل . وهكذا زاعم يفضلون التضيق على أنفسهم
 وسوام ورفض القياس والاشتقاق الذي تستسيغه السليقة اللغوية والاستعمال
 بحجة أنهم يصلحون اللغة ويغارون على ما رواه الأقدمون منها . كأنه لا يجوز
 لغة أن تتطور مع الزمان نحو الأسهل والأفضل والأدل على المراد مع
 المحافظة على القياس العربي الفصيح .

* * *

قلنا إن انماوس التطور أثراً فعالاً ، بل الأثر الأكبر في تجديد اللغة
 واختيار الأنسب من ألفاظها . وهنا فلنقف قليلاً متسائلين — ما هو ناموس
 التطور ومن الذي ينفذه في أقوال الناس وكتابتهم . وما هي خصائص البلاغة
 اللفظية المجمع عليها عند الأمم على اختلاف لغاتهم ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من أن نوضح ما نقصده باللفظة
 هنا فنحن لا نقصد بها الانظة التي عناها الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز
 وأسرار البلاغة ، أي تلك التي تتوقف بلاغتها على حسن نظمها في الجملة
 أي على ما لها من دلالات بالنسبة إلى موقعها في الكلام . فهذه هي اللفظة
 الأدبية التي يمتنى بها البلاء في الإنشاء الأدبي العالي . وإنما نقصد اللفظة

من حيث هي وحدة كلامية ذات معنى خاص . وهي التي توضع أو تختار لتدلّ بنفسها على شيء معيّن أو لتحديد معنى من المعاني . ومثل هذه اللفظة هي ضالّة أرباب العلوم والأساتذة ، العالمين في حقول المعرفة بحثاً عن المعلومات الزاهنة وإثباتاً للحقائق .

فإذا كان لبلاغة اللفظة الأدبية العالية مقاييس أوضحها علماء البلاغة وأرباب البيان ، فإن لللفظة العلمية المحددة المعنى مقاييس يجب مراعاتها إذا أردنا لها الحياة . والمُجمّع عليه قديماً وحديثاً أن فصاحة أو بلاغة اللفظ تقوم على الأسس التالية :

(١) تفضيل الأسهل على الأشق (٢) تفضيل الأوضح على الأقل وضوحاً
(٣) التألّف على الحوشي (٤) التناسق الحروف على التنافر (٥) اللطيف
الجرس على الخشن . وإذا تحرينا هذه الأسس وجدنا أنها ترجع إلى ناموس عقلي ويقتضي وجوب الاقتصاد على انتباه السامع أو القارئ ، وعلى المجهود الذي يبذله لإدراك المعنى المقصود . وهذا هو هدف التطوّر اللغوي .

بقي أن نقول إن التطور اللغوي لا يتم عمله خارج العقل البشري أو بالأحرى دون وجود سليفة جمالية في النفس البشرية هي أساس الذوق الأدبي العام الذي يختار الأفضل والأصلح ويوطده مع كروار الألبام .

وإذا اعتُرض أن الذوق العام لا يُعتمد عليه إذ هو يختلف باختلاف البيئة ودرجة التقدم الفكري والخبرة العلمية . وإنما الاعتماد في هذا الشأن على أهل الاختصاص ممن مارسوا اللغة وحذقوا قواعدها وأدركوا أمرارها ، قلنا ذلك صحيح فالذوق العام لا شأن له عادة في وضع الألفاظ النوية ولكنه في الواقع ذو قدرة فعّالة على قبول أو رفض ما يرضه أهل الاختصاص

وغيرهم . وهو الحَكَم الأخير في إبقاء الأصلح والقضاء على سواء مما يُعرض عليه . وقاريخ اللغات شاهد على هذه القوة الخفية التي تعمل باستمرار على تنمية اللغة . نعم إن الذين يبحثون ويصوغون الألفاظ الجديدة للأشياء الجديدة والمعاني المستحدثة هم فئة مختارة . على أن السليقة اللغوية العامة والتي نسميها الذوق المثقف العام هي عند التحقيق القوة التي تعمل في الخفاء وفي كل أمة لترقية لسانها والمحافظة على عناصر الحياة فيه ، ولا بد لنا من مراعاتها في الوضع والترجمة والعمل على تهذيب اللغة وتوسيعها وإلاّ صحّ فينا قول الشاعر :

ومكلف الأيام ضدّ طباعها متطلّب في الماء جذوة نار

أنيس المقدسي



الجهاد ومسوغاته الشرعية

في التاريخ صفحات سوداء ، سطرتها أيدي الطغاة والبغاة بمداد الظلم والعدوان . فجاءت مسجلاً قائماً خافلاً بصور التقتيل والتعذيب ، والتشريد والتخريب . ومن أشنع هذه الصفحات ما ارتكبه ، ويكرر ارتكابه اليوم ، الصهاينة وأعدائهم من المستعمرين في فلسطين . من ذلك ذبح الأطفال والنساء والأهلين المزل من السلاح ، وقتل الأسرى وتعذيبهم وتسخيرهم بأقوى الأعمال ، وغصب البيوت والأموال ، والتمثيل بالجرحى والمعزة ، وقصف المستشفيات ، وتدمير المعابد ، وانتهاك حرمت سائر الأماكن المقدسة ، التي هي من أعز تراث المسيحية والإسلام .

ومعلوم أن هذه الأعمال الوحشية قد حرمتها مبادئ القانون الدولي المسلم بها ، والمدونة في الاتفاقيات الدولية الصريحة ، أمثال اتفاقيات لاهاي لسنة ١٨٩٩ المعدلة في سنة ١٩٠٧ ، وبروتول جنيف لسنة ١٩٢٥ ، واتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ .

وقد تجاهل الصهاينة وأعدائهم هذا كله ، لا سيما اليوم في الذكرى العشرين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وذلك على الرغم من مقررات مؤتمر الأمم المتحدة لهذه الحقوق المنعقد في طهران منذ عدة شهور ، ذلك المؤتمر الذي سجل انتهاك إسرائيل لتلك المبادئ والاتفاقيات ، ودعاها إلى احترامها والتقيدها . غير أن ذلك كله بقي من دون جدوى ، وكأنه صرخة في واد .

لا بل زاد في تغطرس إسرائيل ومن وراءها ، وفي إصرارهم على تصرفهم الغاشم .

ففي هذه الأيام العصبية ، إثبات أمثال هذه الأعمال الرهيبة ، كثرة الكلام عن فرض الجهاد لدفع المدوان وإزالة آثاره الغاشمة . فكانت هذه فرصة مفيدة لبحث هذا الموضوع الخطير ، وليبين أحكامه الشرعية ، بوجه وجيز ، وفق ما يسمح به هذا المقام .

ولا بد من الإشارة ، بادية بدء ، إلى أن السلم مبدأ جوهرى في العلاقات الدولية الإسلامية ، وأن السلم والمسألة من صفات الإسلام ومشتقاته . فواجب السلمي له فرض لازم ، لا سيما متى جنح له العدو وامتنع عن القتال . وهذا ما حث عليه القرآن الكريم بقوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ... فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَفْتُلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السِّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ... وَإِنِ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (١) .

وهكذا جعل الإسلام السلم ، لا الحرب ، هدف الحياة الاجتماعية ، والمثل الأعلى للتعايش بين الأمم المحبة للسلام والعدالة . وقد نشأ الجهاد في الأصل لداعي الضرورة ، كوسيلة لحماية المسلمين من اضطهاد المشركين ومضايقتهم . ثم تنظم كحرب مشروعة لحماية الدين والديار ومنع الظلم والمدوان . ولقد حافظ دائماً على صفته هذه كحرب وقائية ودفاعية وزجرية ، ولم يسوّغ أبداً كتدبير عدواني .

والجهاد لغة معناه بذل الجهد والطاقة . وشرعاً هو « بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو

(١) سورة البقرة (٢) ٢٠٨ ، والنساء (٤) ٩٠ ، والأفغان (٨) ٦١ .

المبالغة في ذلك ، (١) . وبعبارة أخرى ، الجهاد قتال مشروع يستوجب التضحية بالأنفس والنفائس ، في سبيل غاياته الشرعية ، ووفق شروطه المفروضة . والجهاد فرض ثابت بالأدلة الشرعية المعروفة . وأهمها نص القرآن الكريم ، حيث ورد فيه آيات صريحة عديدة (٢) . منها :

« وقالوا في سبيل الله ... وجاهدوا في الله حق جهاده ... انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (٣) .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم » (٤) .

نعم القتال كره للناس ، لما فيه من مشقة وعذاب وتضحية وأخطار وويلات . لكن على الرغم من ذلك ، كتب عليهم فرض الجهاد ، لأنه ضروري للمصلحة العامة . ومن المعلوم ، في القواعد الكلية الشرعية ، أنه « يختار أهون الشرين » ، كما « يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام » (٥) .

(١) تعريف علاء الدين الكاساني ، في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (القاهرة ، ١٣٢٧ — ١٣٢٨ هـ ، سبعة أجزاء) ج ٧ ص ٩٧ .

(٢) راجع كتاب الأم للشافعي (بولاق ، ١٣٢٥ هـ ، سبعة أجزاء) ج ٤ ص ٨٤ — ٨٥ .

(٣) سور البقرة (٢) ٢٤٤ ، والمج (٢٢) ٧٨ ، والتوبة (٩) ٤١ .

(٤) البقرة (٢) ٢١٦ .

(٥) وردت القاعدتان في مجلة الأحكام العدلية العنابة (بالمادتين ٢٦ و ٢٩) ، نقلاً عن كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم (المطبعة الحسينية المصرية ، ١٣٢٢ هـ) ص ٣٥ ، وكتاب المجامع للخادمي وشرحه المنافع للكوزلحساري (الاستانة ، ١٣٠٨ هـ)

فكره القتال وما ينتج عنه من شر ومن ضرر خاص على الأفراد أولى بالاختيار والتحمل من الضرر العام الناتج عن ظلم المعتدي وما يستتبعه من شرور الذل والاستعباد والتدمير والإفناء وعموم البلوى .

والجهاد فرض كفايه فقط ، في قول الجمهور في المذاهب الفقهية السنية ، لا سيما المذهب الحنفي ، خلافاً لما ذهب إليه الخوارج ، الذين قالوا بأن الجهاد ركن سادس من أركان الإسلام . وكذلك هو فرض كفاية في المذهب الجعفري (١) .

وهذا معناه أن الجهاد مفروض على جميع من هو من أهل الجهاد ، إنما إذا قام به بعضهم وحصلت الكفاية بذلك سقط التكليف عن الباقين . وتأيداً لهذا القول ، يستند الفقهاء ، علاوة على السنة النبوية الفعلية ، إلى نص القرآن الكريم ، الذي حذر من إرسال جميع المؤمنين للقتال ، وأوصى بابقاء فريق منهم يتخصصون في فقه الدين ، ويعلمونه أبناء قومهم . وقد جاء ذلك واضحاً في الآية الكرعة :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (٢) .

أما إذا لم تحصل الكفاية بما قام به بعض المؤمنين من الجهاد بأن هجم العدو على بلد ، فعندئذ يصبح النفير عاماً ، ويصير الجهاد فرض عين ، أي فرضاً واجباً على كل واحد من المسلمين . وهذا ثابت بالآية الكرعية ، التي مرت سابقاً ، وهي « انفروا خفافاً وثقالاً ، كما هو ثابت أيضاً بالآية :

(١) انظر شرائع الإسلام للشيخ الحلبي (طبع بيروت ، جزآن) ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) سورة التوبة (٩) ١٢٢ .

وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه،^(١) .

ويعتبر من المكلفين بواجب الجهاد ، بوجه الاجمال ، كل رجل ، بالغ ، قادر على الجهاد ، صحيحاً ومالياً . ذلك لأن القتال يستوجب توافر هذه الصفات والمؤهلات . فهو إجهاد وعناء وبلاء ، لا يقدر عليه إلا من انصف بالرجولة ، والبلوغ ، والصحة ، واليسار . ومعلوم في قواعد الشرع الكلية أن شرط التكليف هو القدرة على المكلف به ، مع التيسير للمشقة والحرص^(٢) .

لذا ، يعفى من واجب الجهاد ، بسبب العجز الصحي أو المالي عن القتال ، كل من المريض ، والأعمى ، والأعرج ، والزمين ، والمثقل ، والشيخ الهرم ، والفقير الذي لا يجد ما ينفق^(٣) . وقد ورد هذا الإعفاء في أكثر من آية قرآنية كريمة ، منها :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ... ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ... »^(٤)

(١) التوبة أيضاً ١٢٠ .

(٢) الموافقات للشاطبي (الطبعة الرحمانية ، القاهرة ، أربعة أجزاء) ج ٢ ص ١٠٧ ، وفائدة التشريع في الإسلام لصاحب هذا المقال (الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١)

ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

(٣) البدائع ج ٧ ص ٩٨ .

(٤) سور التوبة (٩) ٩١ ، والنور (٢٤) ٦١ ، والفتح (٤٨) ١٧ .

وبعنى من الجهاد أيضاً الأولاد الصغار ، لأنهم يدخلون في فئة الضعفاء المنوم بهم . إنما يجوز للأب أن يأذن المراهق بالقتال . أما الولد البالغ الذي له أبوان أو أحدهما ، فلا يجوز جهاده إلا بإذنها ، لأن طاعتها فرض عين . وهو ألزم مما هو فرض كفاية كالجهاد (١) .

وكذلك تعفى النساء من الخدمة العسكرية ، لضعف بنيتهن . وقد استبدل بها لجهتين الحج إلى مكة المكرمة ، بالاستناد إلى الحديث الشريف : « جهادكن الحج » (٢) . فلذا ، لا يجب الجهاد على المرأة غير المزوجة ، ولا يجوز جهاد المزوجة إلا بإذن زوجها .

أما في حال النفير العام ، يوم يصبح الجهاد فرض عين على كل مكلف ، فيباح للنساء أن يخرجن للجهاد حتى من دون إذن أزواجهن ، كما يباح للصغار أن يخرجوا من دون إذن والديهم .

وقد زاد بعض الفقهاء إلى لائحة الأفراد الذين يصيهم الإعفاء من الغزو العلماء الذين ليس في بلدهم أئمة منهم أو من يساويهم ، وذلك خوف ضياعهم في المارك (٣) . وهذا ، بلا مرأ ، من أحسن الاجتهاد ، لما فيه من تعزيز للعلم وتقدير للعلماء ، وحرص على المصلحة العامة .

ثم أن الفقهاء توسعوا في تفصيل تصنيف المكلفين ، وشروط التكليف . وما ذلك إلا دليل عنايتهم بهذه القضية الحيوية المصيرية ، وتدقيقهم في ترجيح المصالح المتعارضة فيها . وهذا كله واضح في كتب الفقه المعتبرة . ولا مجال لتفصيله في هذا البحث الوجيز .

(١) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (دار السعادة ، ١٣٢٤ هـ ، خة أجزاء) ج ٣ ص ٣٠٤ .

(٢) البخاري بشرح العيني (القاهرة ١٣٤٨ هـ ، ٢٥ جزءاً) ج ١٤ ص ١٦٤ .

(٣) رد المحتار ج ٣ ص ٣٠٥ . والأهم ج ٤ ص ٨٥ ، والبدائم في الموضع المذكور .

أما مسوغات الحرب ، فكانت أيضاً موضع عناية الفقهاء والمؤلفين . وهي ترجع جميعاً إلى الدوافع التي تسبب الحرب وتبررها من الناحية الشرعية والواقعية .

فإن خلدون يعتبر أن أصل جميع الحروب إرادة انتقام بعض البشر من بعض ، وإن سبب هذا الانتقام في الأكثر يعود إلى أربعة دوافع ، تندرج الحروب وفقاً لها في أربعة أصناف . فالدافع الأول هو الغيرة والمنافسة ، كما يجري في الحروب بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة ، والثاني هو المدوان ، ويكون في الأكثر من الأمم الوحشية الساكنين بالفقر ، لأنهم علقوا أرزاقهم بسلاحهم ، وجملوا همهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم . والدافع الثالث هو الغضب لله ولدينه ، وهو المسمى في الشريعة بالجهاد . أما الدافع الرابع ، فهو العناية بالملك والسعي في تمهيده ، كما يكون ذلك في حروب الدول مع الخارجين عليها والناجين لطاعتها . فهذه ، بعبارة ابن خلدون ، « أربعة أصناف من الحروب . الأولان منها حروب بني وقتة . والصنفان الآخران حروب جهاد وعدل ،

وبكلمة أخرى ، لم يعتبر ابن خلدون الحرب مشروعة إلا إذا كان الدافع لها الجهاد في سبيل الله والدين ، أو تأديب البغاة والعصاة (١) . أما التي يكون الدافع لها الغيرة والمنافسة والمدوان ، فلها لا تسوغ بحال .

وكذلك اتفق الفقهاء على أن الحرب عمل مكروه بغيض . فلا تباح إلا في أحوال استثنائية ، تبررها ضرورة قطعية ، ولا تسوغ إلا إذا استوفت شروطها المفروضة . وعلى هذا الاعتبار ، قسمت مسوغات الحرب

(١) مقدمة ابن خلدون (المطبعة البية ، القاهرة) ص ٢٣٥ . م (٢١)

إلى الأقسام الآتية : وهي حماية النظام الاجتماعي ، وحماية الدين وأماكن العبادة ، ودفع العدوان عن الديار ، ومنع الظلم .

فالقدم الأول ، وهو حماية النظام الاجتماعي ، تندرج فيه تدابير العنف المشبهة بالحرب ، التي تلجأ إليها الدولة أحياناً ، بغية توطيد السلطة وحماية النظام العام في داخل أراضيها . فهي تشمل محاربة البغاة الخارجين عن طاعة الدولة ، وتأديب قطاع الطرق ، وأهل الرّدة . ففعل هؤلاء جميعاً هو من نوع الجرائم التي تمس الدين وأمن الدولة ، وتخضع من ثم لأحكام قانون العقوبات الداخلي ، وبهذا الوصف تخرج عن موضوعنا التعلق بالجهاد . فنكتفي لذلك بشرح مسوغات الحرب الشرعية الأخرى :

أولاً — حماية الدين وأماكن العبادة :

لا مرأى في أن حرية العقيدة من الحقوق الأساسية ، التي أقرتها الدساتير الحديثة الراقية ، والإعلان الدولي لحقوق الإنسان . وقد أقرتها أيضاً الشريعة الإسلامية ، وأكدت حرمتها وحمايتها . فالآية الكريمة « لا إكراه في الدين » (١) دليل قاطع على هذه الحرية ، علاوة على الأدلة الأخرى العديدة الواردة في الكتاب والسنة ، والتي لا مجال لتفصيلها في هذا المعرض .

فمن هذه القاعدة الذهبية استدل الفقهاء على أنه يباح للمسلمين أن يقاتلوا دفاعاً عن دينهم ، كما يباح لهم ذلك لتأمين حرية الدين والعبادة لغيرهم . ونحن نذكر بمض الآيات الكريمة تأييداً لذلك :

« وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » (٢) .

(١) سورة البقرة (٢) ٢٥٦ .

(٢) البقرة (٢) ١٩٣ .

ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، (١) .

... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، (٢) .

فأما كن العبادة لغير المسلمين وردت في الآية المذكورة قبل مساجد المسلمين . وهي كهذه تتمتع بالنعمة والحماية . فأما كن العبادة جميعاً تباح الحرب للدفاع عنها ، لمنع هدمها وتخریبها ، لأنها حرب في سبيل الله ، ودفاع عن حرية العقيدة ، وعن أماكن يعبد فيها الله عز وجل ، ويشاد فيها بذكر اسمه الخالد أبداً . وإنما اسم الله ذي العلى والجلال والإكرام هو أكبر شفيع جمعة كل مكان يذكر فيه . وإن هذا ، بلا ريب ، من الأمثلة المثالية على النظرة الإسلامية الواسعة للتسامح الديني ، ومن المؤيدات الفعالة لحرية العقيدة . ولا تقدّر قيمة هذه الأحكام الحقيقية إلا إذا قورنت بما يجريه الصهاينة اليوم ، بعد أربعة عشر قرناً ، من تخريب وتدمير وانتهاك الحرمات الأماكن المقدسة والمعابد والآثار الشريفة المباركة ، في نفس بيت المقدس ومدينة الخليل وغيرها من مدن فلسطين المزينة .

فأذن ، لا تكون الحرب عادلة ومشروعة في هذه الحالة ، أي حماية الدين وأماكن العبادة ، ما لم تكن ضرورية لنعمة الإسلام ، ولحماية الأديان السماوية جميعاً ، ولحماية المعابد حيث يذكر فيها كثيراً اسم الله تبارك وتعالى .

(١) سورة الممتحنة (٦٠) ٨ - ٩ .

(٢) الحج (٢٢) ٤٠ .

ثانياً — دفع العدوان عن الديار :

الدفاع عن النفس حق ثابت ، سواء في القانون الداخلي أم في القانون الدولي . وهذا الحق بالذات أساس الحرب الدفاعية ، الواردة في ميثاق الأمم المتحدة ، والتي أقرها الشرع الإسلامي ، وأعلنها في كثير من الآيات القرآنية الصريحة ، وبوجه خاص في الآيات الكريمة الآتية وهي :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . . . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » (١) .

أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . . . » (٢) .

فالقatal ، إذن ، يجوز للدفاع عن النفس ولدفع العدوان ، وذلك ممن اعتدى عليهم ، أو ظلموا افتراء ، أو أخرجوا من بيوتهم وشردوا من ديارهم وطردها من أوطانهم بغير حق ، كما حصل لأهل فلسطين في هذا القرن العشرين . فالجهاد في هذه الحالة ليس جائزاً ومشروعاً لحسب ، بل هو من أولى الواجبات الدينية والوطنية والاجتماعية ، ومن مقومات حياة الدول ، ودعائم كرامة الأوطان والمواطنين جميعاً .

غير أن القتال ، إذا جاز ووجب في سبيل دفع العدوان ، فإنه لا يجوز ابتداء ولا اعتداء ، كما لا يجوز قتال من ألقى السلم ورد الغصب وكف عن الحرب ، ولا قتال غير المحاربين من النساء والشيوخ والرضى . فالآيات القرآنية صريحة بتحريم الحرب العدوانية . وكلها محكمة ، ليس فيها ناسخ

(١) سورة البقرة (٢) ١٩٠ و ١٩٤ .

(٢) الحج (٢٢) ٣٩ - ٤٠ .

ولا منسوخ . ولا تحتل أي تأويل أو تفسير آخر ، في قول أهل العلم من الأقدمين والمحدثين^(١) .

ثالثاً — منع الظلم :

علاقات الحياة الاجتماعية ، سواء أكانت بين الأفراد أم القبائل أم الدول ، إنما تبنى على العدل والتعاون في إنجاز هذا الهدف ، وعلى منع الظلم والإثم . وإن القرآن الكريم قد حضّ الناس على تأدية هذا الواجب في آية عامة صريحة ، حوت الأمر والنهي الآتيين :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »^(٢) .
وهناك أمثلة أخرى من القرآن الكريم ، توضح هذا التعاون في محاربة الظلم ، وذلك في آيات بينات هي :

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين »^(٣) .
وواجب التعاون هذا ، في مكافحة الظلم والفساد في الأرض ، إنما هو نتيجة الأخوة الإنسانية ، وللتضامن الاجتماعي المفروض بين البشر . فكل اعتداء على أحدهم يعتبر موجهاً إليهم جميعاً ، ويوجب على الجميع التناصر لدفعه وإزالته . وبدل على هذا التضامن ما أوضحه القرآن الكريم في المثل الآتي :

(١) انظر بهذا المعنى قول فضيلة الشيخ محمد بهجة البيطار ، في مجلة المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٦ ، ص ٥١٦ .

(٢) سورة المائدة (٥) ٢ .

(٣) سورة النساء (٤) ٧٥ ، والبقرة (٢) ٢٥١ ،

« من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ... » (١) .

فظلم لإسرائيل وأعوانها لأهالي فلسطين ، وجرائمهم الوحشية التي ارتكبوها ويرتكبوها كل يوم على مرأى من العالم أجمع ، وتحدياً للأمم المتحدة ولقراراتها ، لا تصيب الفلسطينيين وحدهم ، ولا العرب وحدهم ، ولا المسلمين والمسيحيين وحدهم . بل تصيب أبناء البشر جميعاً ، لأنها انتهاك للبادئ الأساسية التي بني عليها العمران والشرائع جميعاً . وعلى هؤلاء أن يتضامنوا لإزالته بالجهاد الإنساني الفعال ، لا بالحماسة الكلامية تلقى من على المنابر الدولية ، ولا بالنصوص المجردة تحبّس في أوراق الموائيق الزائفة .

ولا بد من الإشارة إلى أن الحرب ، الدفاعية عن العدل والاحترازية من الظلم ، ليست مباحة عندما يقع العدوان أو الظلم على الدولة الإسلامية فحسب . بل هي تباع شرعاً أيضاً عندما تكون هذه الحرب مطلوبة لمساعدة دولة مظلومة أخرى حتى وإن كانت غير إسلامية . وتصبح هذه المساعدة واجبة إذا كانت مستندة إلى معاهدة للمساعدة المتبادلة ، عملاً بجمرة المعاهدات في الشرع ، المبنية على نص القرآن الكريم في آياته البينات . ومنها :

« وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ... وأوفوا بالعهود إن العهد كان مسؤولاً » (٢) .

« إلا » الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين » (٣) .

(١) سورة المائدة (٥) ٣٢ .

(٢) سورة النحل (١٦) ٩١ ، والإسراء (١٧) ٣٤ .

(٣) سورة التوبة (٩) ٤ .

« وإن استنصروكم في الدين فمليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق واثق مما تعملون بصير » (١) .

وهكذا ، نحن نرى أن التضامن لرفع الظلم واجب شرعاً ، لا سيما إذا كان مؤكداً بميثاق . فمندئذ يقدم الوفاء بالعهد حتى على التناصر بسبب الدين . فالحق يعلم ولا يمل عليه ، ورفع الظلم واجب ، والجهاد في سبيل ذلك مفروض ومقدس .

وعلى الجلة ، ينبغي للجهاد أن يستوفي شروطه المفروضة ، وأن يتوافر فيه أحد مسوغاته الشرعية وغاياته النبيلة ، التي نوهنا بها ، وهي حماية الدين وأماكن العبادة ، ودفع المدوان عن الديار ، ومنع الظلم عن الناس . فهذا النوع من الجهاد ، المبني على مسوغه ومقتضياته الشرعية ، مقدس بكل معنى الكلمة . وللقيام به أكبر الثواب في الدنيا والآخرة . فالتاريخ العربي خصص صفحاته المذهبة لسيرة النبي (ﷺ) ولأبطال العرب الميامين ، كما حفظ التاريخ الإنساني العام أنصع صفحاته لسير الأبطال من جميع الأمم . ثم إن القرآن الكريم كرم المجاهدين بتنويه خاص ، وجعل جزاء الشهداء في سبيل الله الإقامة الخالدة في الجنة ، وفقاً للآيتين :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ... ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون » (٢) .

(١) الأنفال (٨) ٧٢ .

(٢) سورة التوبة (٩) ١١١ ، وآل عمران (٣) ١٦٩ .

وكذلك أنزلت السنة النبوية الشريفة واجب الجهاد في سبيل الله بين أوائل الفروض المرغوب بها ، وذكرته مع أحب الأعمال إليه تعالى ، بعد الصلاة على وقتها ، ثم برّ الوالدين (١) . وقد جاء في الحديث الشريف : «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ، (٢) .

وهذا ، بلا مرأى ، تأكيد سام لبطولة من يضحي في سبيل المبادئ الروحية الخالدة ، وانثل الوطنية العليا ، وتقدير جدير لنضال من يذود عن عز الديار ، ومجد الوطن ، وكرامة المواطنين .

صبي المحمّداني



(١) البخاري بشرح العيني ج ٥ ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع ج ١٤ ص ١١٤ .

تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام

والمجمع العلمي اللبناني

تمهيد

كثيراً ما لاحظت أن الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني . ويعود ذلك إلى قلة السنين التي قضاها هذا المجمع وإلى نقصيرنا ، نحن اللبنانيين في تدوين أعماله . وهي أعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رأيت أن أتلافى هذا التقصير على أن أتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، وأعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مرّ العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى فحسب رابطة الأسباب بالمسيبات .

العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي «العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب» الذي صدر سنة ١٩٥٧ جعلت هذا العنوان عنواناً لفصل الثالث منه . حيث بينت بالأدلة أن القرون الثلاثة التي تبدأ بطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن العاشر منه كانت قروناً ذات طابع عربي في العالم سواء أكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية ، أم في النواحي الصناعية

والزراعية والثقافية ، وأنها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جمعت عنوان الفصل الرابع « أين من سادوا وشادوا وبنوا ؟ » يتناول انهيار العرب ، وتغلب الأعاجم عليهم إلى أن استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال فسيحاً في هذا المقال للتبسط في جميع أطراف هذا الموضوع ، وإنما أكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية ، فقط ، وذلك نتيجة للأحداث السياسية .

الحملات الصليبية على سورية وما حولها

لقد دعا كل من البابا سيلفستر الثاني في سنة ١٠٩٣ هـ = ١٠٠٢ م والبابا غريغوار السابع في عام ١٠٦٨ هـ = ١٠٧٥ م ، ملوك أوروبا وأصحاب الاقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دعوتيهما ذهبتا أدراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصام بين الأسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها وبعد نحو عشرين سنة من هاتين الدعوتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كافية لجمع كفة الأوروبيين من أجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت أولاهها في سنة ١٠٩٩ هـ = ١٠٩٦ م ، والأخيرة منها في سنة ١٢٦٩ هـ = ١٢٧٠ م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، ونسلطوا على بيت المقدس إلى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ = ١١٣٧ - ١١٩٣ م) وأخرجهم من فلسطين وما حولها ، ثم كان للمماليك البحرية خلفاء الأيوبيين بمصر شرف صد الحملات الصليبية الأخرى عن مصر ، وإخراجها من كافة بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد وأعني بها سورية ظلت نحو جيلين دار حرب فكسد فيها سوق العلم والأدب ، ولولا الحاجة الماسة إلى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها أيضاً . هذا فضلاً عن أن أكثر بيوت العلم قد أقفلت في تلك الحقبة ، وأن المكتبات قد احترقت بفعل تلك الحرب . وحسبنا أن نذكر أن مكتبة طرابلس التي احترقت في عهد الصليبيين ، أو أحرقوها ، كانت على ما قيل تحفل بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من أسباب ذبول الحضارة العربية في الشرق .

الحملة المغولية على بلاد الإسلام

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من الشرق فأودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية خف المغول إلى اكتساح بلاد الشام . وم قوم غزاة كانوا ينزلون في منشوريا بين نهري سنكاري والأيرتس ولطالما هددوا الصين ، وتعرضوا لها حتى اضطر أحد أباطرتها شي هنج في تشييد السور الكبير ، ابتداء من سنة ٢٤٠ إلى سنة ٢١٠ ق م ليكون سداً بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو على ما ثبت بكتابي الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كأنك تراها ، وذلك بعد زيارتي له نفس سد ذي القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم . غير أن هذا السور لم يقوَ فيما بعد على دفع غارات المغول ، بل إن ملكهم جنكيز خان الذي أنشأ امبراطورية كانت تمتد من بحر اليابان إلى بحر قزوين تعدم إلى الصين وفرض على حكومتها الشرقية جملاً لقاء حراسة الحدود ، كما أن ولده كويلاي نقل عاصمة بلاده من قره كروم إلى بكين . وكان جنكيز خان يرنو بعين الطمع إلى بلاد الإسلام لما بلغه عن خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من تنازع ملوك الترك في أطرافها ، وبالإضافة إلى

ضعف الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الأعاجم إلا السلطة الروحية فتقدم إليها حتى استولى على تركستان . ولكن الأجل عاجله قبل أن يدرك أمنيته من البلاد العربية . ولما بويغ الخان منكو بن طولي ، سنة ١٢٤٦ م ، عهد إلى قائده هولاكو فتح بغداد ، كما عهد إلى قادة آخرين اكساح أقاليم أخرى .

وقد أرسل هذا الخان وفداً إلى لويس التاسع ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية السابعة بدعوه فيها للانفاق بينها على المسلمين ، كما أن عطف هولاكو على النصارى إذ كانت أمه وزوجته مسيحيتين أغرى البابا اسكندر الرابع بدعوته إلى اعتناق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته على المسلمين ، ولكن هولاكو استنكر هذه الدعوة ، وبقي على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينها فلم يصل إلى توحيد العمل وانما اقتصرت العلاقات بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولاكو بغداد ، سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م ، قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها ، وألقوا في دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال (م ١٩ ص ٣٩٢) : « شيئاً لا يعبر عنه » ثم لما استتب له الأمر فيها سير جنوده إلى فتح الشام ، وقد تمكنوا من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير أنهم لم يتعرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين ، وأهمها أنطاكية ويافا وعكا . أما فطائهم فيها ولا مسيحيي حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت الحد الذي ارتكبهوه في المراق . وكان أشدها تعرضهم للعسكيات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .

نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

« إن الملوك إذا دخلوا قرية جعلوا عليها سافلها » . فيكفي القول أن بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن ، أي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد إلى أواسط القرن الثالث عشر ، يكفي هذا القول لتقدير سوء أحوالها المادية والمعنوية فضلاً عن الثقافية . ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك الحروب الداخلية بين الأسرة السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل أيوب ، فاهيك بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من حصيلة كل ذلك اندراس المكتبات ، وإفقال المدارس ، وضياع الأوقاف المحبوسة على تلك المدارس والأعمال الخيرية ، وتخطيط الأفلام ، ومحل الفرائح . على أن هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ، وإنما استمرت وبرزت على أشدها في مطلع القرن الخامس عشر بحملة تيمورلنك التركي على آل عثمان وعلى بلاد الشام ففضبت على البقية الباقية من معالمها الثقافية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلم كان قد التجأ بعد سقوط بغداد إلى مصر وسورية . وقد رعا الأيوبيون بمصر والباليك بعدم فزدهر بمصر ، واتعمش بلاد الشام التابعة لهم إلا أنهم طاردوا الفلسفة ولاحقوا ذويها . وفي ذلك الحين تناولت حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ، ولكن هذه المدارس وغيرها قضت عليها حملة تيمورلنك فأضاعت الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلو لا تلك النهضة العلمية التي برزت بمصر خلال حكم بني أيوب وخلفائهم المماليك وشيخووس الطلبة السوريين لتلقي العلم ولا سيما في أزهرها لاندurst الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها علم أو أديب في المعنى الصحيح . وعلى الرغم من أن كثرة العلماء أمسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح العقول ، ومن أن أكثر الأدباء أمسوا يعمون بالألفاظ الرنانة والعبارات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فإن البلاد لم يدركها القحط الكلي . بل ظهر فيها من العلماء والأدباء نفر أتيح لهم أن يتمتعوا بالشهرة كأن عساكر المتوفى سنة ٦١٦ هـ ، وابن الفارض ٦٣٥ ، وابن الأنير ٦٣٧ ، وابن تيمية المولود سنة ٦٦١ هـ .

عهد السلطنة العثمانية

كان من المفروض في بني عثمان الذين أتيح لهم أن يقيموا امبراطورية عظيمة على أنقاض الممالك العربية وعلى أنقاض الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض فيهم أن يستغلوا مخلفات هاتين الأمميتين وأن يعطوا العالم حضارة جديدة أو أن يسيروا على الأقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الأولين ، الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والأدب ، وتحلوا بها ، انصرفوا عن كل ذلك إلى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في أوروبا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحرية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الأوروبي المقدس الذي أبرم ضدهم . وبهذا وذاك ظلوا بعيدين عن العلم والأدب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من

الغرب إلا بعد أن أشرقت دولتهم على الانهيار . على أنهم ما إن فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجحود ومباشرة الإصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فحسب . فأنشأ السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ م - ١٧٧٤) مدرسة الفنون الحربية . ولكن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م - ١٨٣٩) ما إن أتبع له القضاء على الانكشارية ، هذه الطنعة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى أراد الانطلاق في سبيل الاقتباس من أوروبا . وفضلاً عن بنائه المعهد الطبي باستامبول فقد أوفد بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد أوروبا . كما أن خلفاءه شرعوا يعنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز إنشاء مدارس إعدادية وعسكرية كانت الغاية منها إعداد الموظفين للحكومة ، وإعداد الضباط للجيش .

وأما الشعب فلم يكن أحد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ من سباته بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، وأصبح توافاً للمعرفة ومجارات الركب العالمي فلم يسمه إلا الإقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي أنشأتها الطوائف . فكانت العاقبة أن رعايا السلطنة العثمانية ، الذين هم في الأصل لا يشكلون وحدة قومية ، أمسوا كتلاً متباينة الأهداف في السياسة ومتباعدة في النطاق العلمي . وكل ذلك أفضى في النهاية إلى متاعب واجبتها السلطنة عجبت في زوالها :

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة وغاب عنها تولى رعيها الأسد

النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

أثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام ، والأندلس وصقلية ، وفي أعقاب هجرة علماء بيزنطة إلى بلاده بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية

سنة ٨٥٧ هـ = ١٤٥٧ م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر انتفاضة كانت منطلقاً لحياة جديدة في الأجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وإنما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية .

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه إلى بناء مطرد لم ينس أبدأ بيت القدس . وآية ذلك أن ملك إسبانيا فيليب الثاني اكتسب فرصة وجود الأمير فخر الدين المعني الثاني في ضيافته بصقلية ، وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة ولكن الأمير أبى واستنكر وفضل العودة إلى بلاده على التواطؤ مع الأجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة إلى الدول الأوروبية ظلت فلسطين ماثلة أمام أعين هذه الدول . ولا سيما منذ تداعت السلطنة العثمانية . وأصبحت كل واحدة منها تسعى لأن تؤمّن نصيبها من إرث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الإرساليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتح لأن هذه الإرساليات لم يكن يهد إليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وإنما كانت تعمل كدائرة استخبارات لتسهيل الفتح ، والاعداد له بشق الوسائل . ومهما يكن من أمر هذه الإرساليات التي ترجع أولها إلى عهد الأمير فخر الدين المعني المشار إليه فإنها ولا شك عملت لبعث نهضة ثقافية في سورية ، ولا سيما بلبنان ، رافقتها نهضة تجارية واجتماعية .

ثم كان لاحتلال نابليون بونابرت لمصر سنة ١٢١٣ هـ = ١٧٩٨ م أثر كبير في نهضة الشرق العربي ، ذلك لأن هذا الفاتح الكبير استصحب معه لواء النبل بعثة علمية فنية كانت حافلة بأشهر علماء فرنسا . فوضعت التصاميم الإصلاحية وقامت بمحض المشاريع العمرانية التي كانت فيما بعد منطلقاً لنهضة

هذا المشرق الحديثة في عهد الأسرة العلوية ، وخيدويها ولا سيما في لبنان الذي ساهم أبنائه في النهضة المصرية باكرًا .

النهضة الثقافية في لبنان :

مذ عني الأوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بادروا إلى الاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولا سيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء إلى روما ، وإلى أكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساعموا فيها بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزاً لهم وللمتخلفين منهم للاتفات إلى وطنهم ، فأنشأوا في عام ١٠٤٢ هـ = ١٦٣٢ م المدرسة الأولى في قرية حوقة ، والثانية في حلب عام ١٠٧٨ هـ = ١٦٦٢ م وكانت أولى المطابع تلك التي استجلبها البطريرك نثناسيوس دبلس إلى حلب في مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبدالله زاهر في دير مار يوحنا الطبشة في الحنشارة بلبنان ، هذا وفي غضون تسابق الدول الأجنبية إلى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرها أدرك البيرونيون ، وعلى رأسهم رجال الدين ، مغبة ترك تربية أولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لإنشاء المدارس الوطنية فاتحة أبوابها لجميع الطوائف . وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الإقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب ، على المزيد من فتح المدارس وإصدار الصحف ، وإنشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتأليفها . وقد رافق هذا الإقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولا سيما الأدبية والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية إلى اللجوء

للتعاون مع الأجانب ، الذين كانت تحميمهم الامتيازات من أجل تأليف الجمعيات المنشودة . وقد ألت بعض علماء بيروت وأدبائها سنة ١٨٥٨ بالتعاون مع بعض المرسلين الأميركيين والجمعية العلمية السورية ، التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة . وخدمة الأدب فعاشت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث أن عادت للحياة في عام ١٨٦٧ ، وأصدرت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكن هذه الجمعية لم تعيش طويلاً .

وفي أعقاب ذلك تبدل الوضع في سورية حينما نصب مدحت باشا الملقب بأبي الدستور والياً عليها سنة ١٨٧٩ م . فهو إذ كان يطمع بالاستقلال في بلاد الشام على غرار خديوية مصر وذلك بتشجيع فرنسا ، فشرع يتحجب إلى أهلها فأطلق لهم شيئاً كثيراً من الحرية . وكان الجو الذي بدا في أيام ولايته وما بعدها مشجعاً لبعض أهل العلم والأدب من البيروتيين لأن يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة ١٨٨١ م بالاستقلال عن الأجانب . ولعلمهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثيل بالأوروبيين ومجامعهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العاميين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لإنشاء الدائرة العلمية المارونية برياسته . ولم تكن أطول عمراً من سابقتها . ذلك بأن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م) لم يكن برتاح للتكتلات الشعبية الأمر الذي أدى إلى انحلال الجمعيات الخيرية أيضاً ، وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية . ولولا أن جمعية شمس البر الأدبية كانت تستند إلى رعايه الأميركيين وحمايتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديد الحذر من مؤامرات الدول الأجنبية التي كانت تحاك حوله . ولذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الأجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حمله على التشديد في المراقبة والمراقبة على الشبهات أحياناً . من ذلك أن شاعراً بيروتياً ، وأظنه مصباح البرير نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حي كل يوم في ازدياد والهوى يأتي على غير المراد
 فقامت قيامة الولاية في بيروت ، واتصب الميزان . لماذا ؟ — لأن
 للسلطان أحاً اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبوبع السلطان عبد الحميد
 مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بأنه يمرض بالعاقل الخلوغ ، وسبق للمحاكمة .
 وفي عهد كهذا ليس من المنتظر أن تتألف الجمعيات ، وإذا تألفت لم
 يكن من المقدر لها أن تعيش .



المجمع العلمي اللبناني

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الموفورة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب ، ولما أصبح له شبه كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقانون الأساسي والحكم الدستوري اتجهت أنظار الطبقة المثقفة فيه إلى أن تكون لها هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي ، وذلك بإنشاء مجمع علمي أسوة بسورية منذ عام ١٩١٩ ، فرفعت أصواتها مطالبة بهذا المجمع . وكان الشيخ ابراهيم المندر الأديب الكبير عضواً في المجلس اللبناني اللبناني فأنار هذا الموضوع ، ثم كانت له وقفات حوله قوة خلال عام ١٩٢٧ سرعان ما أثمرت . فقرر المجلس إنشاء المجمع المنشود على الرغم من أن الانتدات ، الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيده عن شقيقاته ، لم يكن راضياً عن هذا العمل . واستناداً إلى قرار المجلس المذكور أصدر رئيس الجمهورية الأستاذ شارل دباس قانوناً بإنشاء

بجمع علمي لبناني وذلك في ٢٠ شباط ١٩٢٨ غايته المحافظة على اللغة العربية ، ورفع شأنها ، والعناية بالمباحث والأعمال المتعلقة بأصولها وآدابها ، والحفاظ على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بإدارة الشؤون العلمية وتنظيمها ، وأصدر مرسوماً آخر بتعيين السادة الآتية أسماءهم أعضاء لهذا المجمع : الشيخ إبراهيم المنذر ، والشيخ عبد الله البستاني ، والشيخ أمين تقي الدين (١) ، والشيخ منير عسيران ، والشيخ محمد الحسيني ، والأستاذ بولس خولي ، والبطريك أغناطيوس أفرام الرحاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخورى بولس عبود ، والأستاذ وديع عقل ، والأستاذ الياس فياض ، والشيخ أحمد عمر المحمصاني ، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، والأب لويس المعلوف ، والشيخ حسين مغنية .

وفي التاسع من شهر آذار ١٩٢٨ افتتح المجلس أعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيراً للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبته التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيساً ، والشيخ أحمد عمر المحمصاني ، والأستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس . وقد اتخذ المجمع في أول الأمر وزارة المعارف والتربية الوطنية مقراً له ، ثم انتقل إلى دار الكتب الوطنية ، ووالى اجتماعاته فيها إلى أن استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الأسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والأب لويس معلوف ، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، والشيخ محمد الحسيني ، والشيخ حسين مغنية في جلسات المجمع الأولى فقرر هذا اعتبارهم أعضاء مراسلين وانتخب بدلاً عنهم السادة : الشيخ علي زين ، والخورى جرجي

(١) وهم من المشايخ المدينين الذين تحمل أسرم هذا القـب .

سيتي ، الذي أصبح من بعد مطران السريان بدمشق ، ، وجرجي صفا ،
 وأسد رستم ، ومحمد جميل بهيم . ونتيجة لهذا التبديل اجتمع المجمع في ٢٥
 تشرين الأول ١٩٢٨ وانتخب الاستاذ ودبيع عقل رئيساً له ، والياس بك
 فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع
 خلاله نظامه الداخلي .

ولما أزف موعد الانتخاب في السنة اثنائية ، وشعرت السلطة بأن نية
 أكثر أعضاء المجمع منصرفة لانتخابي الرئاسة تحركت فوراً لأنني كنت من
 أشد المعارضين لبنيان اللاتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد عهدت إلى
 الشيخ بشير الخوري المندوب من وزارة المعارف للإشراف على الانتخابات
 لاسمي لتوجيه الأعضاء إلى تجديد الرئاسة الأستاذ ودبيع عقل ، وذلك في
 جلسة الانتخاب المحددة في ١٨ تشرين الأول ١٩٢٩ ولما بات مساعيه بالفشل
 تحول بركيته إليّ ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرئاسة الأستاذ عقل السنة
 أخرى على أن أعلن ذلك زملائي . فكان جوابي له : « أني لم أكلف أحداً
 منهم أن ينتخبني ، كما أني لا أعلم من هو المرشح عند كل منهم ، فكيف
 يسوغ لي من بعد أن أطلب منهم أن لا ينتخبوني لمنصب الرئاسة فأعرض
 نفسي لقول قائل : من أخبرك أني مزعم أن أصوت لك ؟ . » ولما استولى
 عليه اليأس أجل الانتخاب ربما يقابل نسيبه الرئيس الشيخ بشارة الخوري .
 ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى عاد حاملاً إليّ بشري الوعد بتعييني وزيراً المعارف
 والتربية الوطنية إذا تخلّيت عن رئاسة المجمع . فقلت له مبتهماً « أنت تعلم
 يا شيخني أني لست من طلاب الوظائف ، كما نعم أيضاً ، مما نشرته الصحف
 في حينه ، أني كلفت بإشغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع
 المهدي ، فكيف تريدني التحول الآن عن مبدأي ؟ فما وسع البشير إلا السكوت
 على مضض . ولما جرى الانتخاب يومئذ أسفر عن إحرازي معظم الأصوات

الرئاسة ، وعن انتخاب الشيخ إبراهيم المنذر والأستاذ سميد عقل معاونين لها .
وهنا مجال للتنويه بالأستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ، ذلك لأنه
تعاون معي في نطاق خدمة المجمع ، وكان شيئاً لم يقع من قبل ، وكرس
جريدته الراسد للتكلم بلسانه .

وكان أول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع
في العام الفائت بتوزيع أعضائه على أربع لجان عهد إلى كل منها أن تعمل
بجد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة إليها وهي :

اللجنة الأولى « الإدارية » : ومهمتها القيام بالأعمال الإدارية ، وتحضير
الموازنة المالية كل عام . وكانت تتألف من السادة : محمد جميل بهم ووديع
عقل وإبراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » : ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات
للعامية العلمية الجديدة والمسميات الحديثة . والتعاون مع الجامعات العلمية العربية
الأخرى توصلًا لوضع معجم يوفي حاجة العصر . وكانت تتألف من الشيخ
منير عسيران ، والشيخ إبراهيم المنذر ، والياس بك فياض ، والشيخ
أمين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » : التي عهد إليها بالإضافة إلى التحقيقات
التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على أسلوب علمي حديث . وكانت تتألف
من الأساتذة أسد رستم ، وبولس الخولي ، والخوري جرجس ستيقي ،
والسيد علي زين ، ومحمد جميل بهم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » : التي عهد إليها وضع إحصاء عام
للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية
تسهيلاً لراجعها . وكان قوامها الشيخ أحمد عمر الممصاني ، والشيخ عبد الرحمن
سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد إليها على خير وجه في جو من التعاون والوثام ورفعت إلى المجمع تقاريرها لتكون أساساً للبحث والإقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

١ - تقرير اللجنة الإدارية :

تناول التقرير الأوضاع العلمية والأدبية في البلاد العربية ولا سيما لبنان كما تناول إنشاء المجمع العلمي اللبناني وأعماله منذ نشأته حتى ذلك التاريخ ، وأشار إلى ما عقد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعدها . ولا سيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين الجامعات العربية الأخرى . كما أنه أشار إلى بعض الدعوات الخارجية التي وردت له ، وعلى رأسها دعوة المجمع الأدبي العام في باريس .

٢ - تقرير اللجنة اللغوية :

بعد أن أكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر الجامعات العلمية العربية ، وبعد أن أشار إلى آراء طائفة من أكابر كتاب العرب بشأن إصلاح اللغة توصلت اللجنة إلى الاستنتاج بأن هؤلاء على خلاف في وجهة السير . فبينما أن بعضهم يقبل بما يقرره الأفراد المعنيون باللغة فإن البعض الآخر كان يرى أن للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم رأى المجمع العلمي اللبناني قبل أن يجزم في هذا الشأن أن ينتدب رئيسه الحالي الأستاذ جميل بيهم فيقصد مصر ، ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض ، ويسمى لإيجاد صلة بين الهيئات اللغوية والجامع العلمية في الأقطار العربية تمهيداً لعقد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لأجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية .

« ولقد سافر الأستاذ الرئيس إلى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لها مهمته فلقى منها الارتياح التام . ثم أخذ يث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض أهل الفضل والوجاهة بما عقدوا من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تألفت لجنة في القاهرة من كبار مفكرها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل العهد حتى نقلت إلينا الصحف البشري بإنشاء الجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية . »

وبعد أن أشار التقرير إلى البيان الوافي الذي وضعه سنة ١٩٣٨م الشيخان عبد الرحمن سلام ، وأحمد عمر الحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية ، وأوجزاه ، قالوا في الختام : « لذلك نرى أن باب الاشتقاق في اللغة العربية يجب أن يفتح على مصراعيه توصلاً إلى استخدام الأفعال والأسماء والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتسع بذلك مجال الإنشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانون من المشاق والمصاعب . » ومضى يقول « وسننظر فوق ما تقدم في أصول اللغة ، أي قواعدها الأساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والإنشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الأئمة لم يطرح منها باب ، ولا عدت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لأنهم رزحوا تحت أعبائها ، وضاعوا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التي يجب أن تطرح من كتب اللغة تسهيلاً لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الأمنية من الصعوبة تجاه المتفنيين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتعايرها الشائنة مستعينين بأقطابها المدققين العاملين الضارين في مشارق الأرض ومغاربها . »

٣ — تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

أشار التقرير إلى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على أحوال بلاده وقوفاً صحيحاً ولم بكل ما فيها من المعالم والآثار بالإضافة إلى تراجم كبار اللبنانيين الذين تركوا خير ذكر في العلم والأدب أو الوجهة مع العمل البناء . ثم مضى يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة إلى الجامع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة أن يعنى المجمع في بدء أعماله ، عناية خاصة بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والأنهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وأن يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفرق من أساتذة الجامعات الأميركية والفرنسية في بيروت . فطلبنا إلى حضرة الأب هنري لامنس اليسوعي أن يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، وإلى الأب جبرائيل لوفتك أن يكتب مقالة في جغرافية الجبل الاقتصادية كما أننا رغبنا إلى بعض أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، وهم الفريد داي ، وبوليوى برون ، والدكتور وليم فاندريك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . وأما القسم الأكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى وعدد النفوس فيها ، والمذاهب ، والأنهار والينابيع والجبال والناحور .

والمابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ، ومواطن الآثار ، وأهم الحاصلات الزراعية والمنتجات الوطنية إلى غير ذلك من الشؤون عدا أماكن الاصطياف . ورفعنا هذه الجداول إلى وزارة الداخلية الجلية لتأمر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وقد أعيدت الجداول المذكورة ، معبئة ، وعهد بها إلى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها .

٤ — تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

أشار التقرير إلى الصعوبات التي تعترض من يتقب عن هذه المخطوطات ، ولا سيما لأن أكثرها موزع على مكتبات خاصة لم تعمل بعد أيدي الباحثين إلى التحري عنها . وأكثرها غير معروف ثم بينت اللجنة أنها بدأت بإحصاء ما في مدينة بيروت ، وأنها مستترع من بعد في البحث عما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى إذا اكتمل العمل تنظم منه معجم محيط ليسهل الرجوع إليه على أن يشمل هذا المعجم إشارة إلى موضوع كل كتاب ، وإلى الزمن الذي وضع فيه ، وإذا كانت له مزية أخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما أحصلته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الأميركية	١٨٣	مجلدا	و	١٣٤	رسالة
مكتبة الآباء اليسوعيين	٢٤٥	مجلدا	و	٠٤٤	رسالة
دار الكتب الوطنية	٠٤٨	مجلدا	و	٠٢٠	رسالة
	٤٧٦			١٩٨	

وفي هذه المناسبة يطيب لي أن أذكر أن مكتبة المخطوطات في داري تحتوي على ٤١ مخطوطة بعضها ليس له نسخة ثانية في المكتبات الأخرى .

إلى الأمام في خدمة العرب والعربية :

وقد استمع المجمع إلى تقارير لجانه وناقشها ، وحث أعضائها على المزيد من النشاط حياً بالقيام بالتبعية الملقاة عليهم على خير وجه . وقرر في الجلسة التي عقدها يوم ٢٩ آذار ١٩٢٩ تكليفني بأن أفاوض المجمع العلمي العربي بدمشق من أجل التعاون على تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت إليه في مصر فأنجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالاً لصاحبها (الأخطل الصغير) الأستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع إكمال دائرة المعارف التي أصدر بعض أجزاءها الأستاذ بطرس البستاني قبل حين ، فرحب المجمع بهذا الاقتراح وفوض إلى اثنين من أعضائه : الشيخ عبد الرحمن سلام والأستاذ جرجس صفا ، لدرس هذا الموضوع وليقدم كل منهما تقريراً في الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلاً عن ذلك فقد قرر إنشاء نادٍ يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة عربية على أن يجعل من هذا النادي داراً للمحاضرات . ومحجاً لطلاب المعرفة .

إلغاء المجمع العلمي اللبناني :

كان بين الأستاذين المحاميين أميل اده والشيخ بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد الانتداب وبعده . فلما خلف الأستاذ اده الشيخ بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد عزلة لبنان واعتماده على فرنسا لم ترق له اتصالات المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية واللغوية العربية . لذلك فوجئ المجمع في عهده بمرسوم صادر عن رئاسة الجمهورية مؤرخ في

٣ شباط ١٩٣٠ يقضي بإلغائه تحت ستار التوفير على الخزينة . فكان لهذا المرسوم أثر سيء ، ولا سيما على أعضائه الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، لا يريدون جزاءً ولا شكوراً ، فقدموا استدعاءً إلى وزارة الداخلية بطلب الترخيص لهم لتابعة العمل باسم الجمع المذكور دون الاعتماد المالي . ولكن الجمع اضطر فيما بعد إلى التوقف لأن مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات لا يطول عمرها إذا لم تمدّها الحكومات بالمساعدة . ثم ما برح أعضاء الجمع ، الذين كانوا يشعرون بالفراغ ، يطالبون بإعادته ، وقد استجاب لهم المجلس النيابي عام ١٩٤٤ . وقرر تخصيص مبلغ من المال لإعادة الجمع . ولكن الحكومات المتتالية ضربت صفحاً عنه ففقد نحيبه هكذا قبل القطاف .

(بيروت)

محمد جميل بيهم



العلم القديم

بين الشرق والغرب

نَعْنِي بالعلم القديم — أو بالفلسفة القديمة ، إذا شئت — ذلك العلم الذي كان قبل الإسلام . لا شك في أن العلم قديم قديم الإنسان ، غير أن تاريخ العلم متأخر عن نشأة العلم لأن جانباً كبيراً جداً من ذلك العلم القديم قد ضاع ، كما ضاع جانب كبير من الشعر الجاهلي وغير الجاهلي عند العرب وعند غيرهم .

وحينما يأتي الدارسون اليوم إلى دراسة العلم والفلسفة فانهم يبدأون بالدراسة المنظمة الشاملة للعلم والفلسفة عند اليونان ، وربما بدأ نفر منهم ينتفض من العلم القديم قبل اليونان . فما سبب ذلك ؟ وإلى أي حد كان العلم القديم يونانياً غريباً ؟ وإلى أي حد كان ذلك العلم شرقياً غير يوناني ؟ أقدم الذين وصلت إلينا أخبارهم من فلاسفة اليونان ثاليس الملطي . ولا ريب في أنه قد كان قبل ثاليس هذا فلاسفة وعلماء يونانيون لم تصل إلينا أخبار علمهم موثوقة أو كثيرة . فثاليس بالإضافة إلى الشعر العربي . كان ثاليس الملطي من ملكطية ، على الجانب الغربي من آسية الصغرى وليس من بلاد اليونان القائمة في أوروبة ، ولكنه كان على كل حال يوناني النسب يوناني اللغة .

ويخبرنا ثاليس عن نفسه أنه زار بلاد مصر متعلماً ، تعلم هنالك الهندسة في الأكثر ، كما قيل إنه زار بلاد ما بين النهرين متعلماً أيضاً فتعلم هنالك

الفلك على الأكثر . ولو لم يقل لنا ثاليس ذلك كله عن نفسه لوجدناه مدوناً في فلسفته وعلمه لا حجاب دونه .

أ — يرى ثاليس أن الماء أصل الوجود ، وأن الأرض لوح سابح على الماء . وهذا رأي مصري قديم جداً ، فالتون عند قدماء المصريين (النون هو الماء) مصدر الوجود حتى أن الله عندهم خرج من النون . والشمس في كل يوم تطلع من الشرق ثم تغيب في الغرب في النون ، مارة فيه تحت الأرض ، حتى تستعيد نشاطها لتطلع في اليوم التالي نشيطة قوية .

ب — ويُنسَبُ إلى ثاليس الملطي نظريّات في الهندسة منها أن مجموع الزوايا الثلاث في المثلث تساوي زاويتين قائمتين (مائة وثمانين درجة) ؛ ومن هذه النظريات أن قطر الدائرة يُنصّف الدائرة ، وأن الزاويتين المتقابلتين في المثلث المتساوي الساقين متساويتان ؛ إذا تقاطع خطان مستقيمان فكل زاويتين متقابلتين تتشكّل من تقاطعهما متساويتان ...

لا ريب في أن ثاليس الملطي كان مهندساً (أو رياضياً ، كما يقال الآن) عبقرياً ، وأنه أول من أدرك الحاجة إلى تنظيم علم الهندسة (في نطاق التاريخ الذي وصلت إلينا أخباره) ، ولكن المعارف الهندسية التي تنكشف عنها هذه النظريات المنسوبة إلى ثاليس كانت معروفة عند قدماء المصريين من الناحية العملية في بناء الأهرام والهياكل قبل أن تشرق شمس الحضارة على بلاد اليونان .

ج — ويبدو في تاريخ العلم أن ثاليس الملطي قد عرف الميزولة (الساعة الشمسية ، وقيل إن الذي عرفها — أول ما عرفت في اليونان — كان أناكسمندروس تلميذ ثاليس) . على أن الراجح أن ثاليس (أو أناكسمندروس) قد أدخل الميزولة إلى اليونان آتياً بها من بابل أو من مصر . ويجوز عندنا في تاريخ العلم أن يكون ثاليس أو تلميذه أناكسمندروس قد اخترع الميزولة

ابتداء من عند نفسه ، فالزولة أداة فطرية بسيطة لمعرفة أقسام الزمن بوساطة الشمس . ولكن الذي نعرفه من التاريخ القديم الثابت أن بابل ومصر والصين قد عرفت المزولة منذ العهد الأقدم .

ومن مشاهير المهندسين (علماء الرياضيات والهندسة) في تاريخ اليونان فيثاغورس (ت ٥٠٣ ق.م) . يبدو أن فيثاغورس كان تلميذاً إثمليس . والذي نعلمه من حياته أنه غادر جزيرة ساموس مسقط رأسه وجاء إلى مصر وتعلم فيها على الكهّان في الهياكل . ثمّ إنه جاء إلى فينيقية (سورية الساحلية) ومكث فيها مدّة طويلة وعرف المذهب الباطنية واعتنق بعضها . وكذلك يبدو أن ذلك قد حمّله على أن يذهب (أو أن يذهب ثانية) إلى مصر لأن مصر كانت مصدر المذهب الباطني في ذلك الزمن فمكث في مصر مدّة لا تقلّ عن اثني وعشرين عاماً يدرس الهندسة والفلك والمذهب الباطني . ولما فتح قبيل الفارسي مصر عاد فيثاغورس في ركابه إلى بابل حيث مكث اثني عشر عاماً يدرّس الحساب والموسيقى وعلوم أخرى من علوم الجيوس . ولما عاد فيثاغورس إلى ساموس كان قد أصبح في السادسة والخمسين من عمره . غير أن فيثاغورس وجد أن الأحوال السياسية في جزيرة ساموس لا تزال سيئة فتابع طريقه إلى جنوبي إيطاليا .

واشتهر فيثاغورس بإنشاء جمعية سرّية في إيطاليا ، كما نسب إليه وضع النظرية الهندسية المقرّنة باسمه والتي تسمّى أيضاً نظرية السلم (لأنّ السلم الملقى أعلاه على الجدار يشكّل مع الجدار والأرض التي بين أسفله وأسفل الجدار مثلثاً قائم الزاوية) . هذه النظرية تقول بأن المربع المنصوب على وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين المنصوبين على ضلعي ذلك المثلث . واشتهر عن فيثاغورس قوله بالتناسخ (تقلّب النفس في أجسام أحياء كثيرة من النبات والحيوان والإنسان) . أمّا الجمعية الرّيّة وأمّا

التناسخ فأتى الشرق ظاهر فيها بلا شبهة . وأما النظريات الهندسية فالغالب أن له عدداً منها وأن العدد الأكبر منها من عمل آله (تلاميذه وأتباعه) . ومعظم هذه النظريات أقدم في الشرق (في مصر وبابل) من عهد فيثاغورس . وتعلّق الفلاسفة اليونانيّون زماناً طويلاً ، بنظرية العناصر الأربعة (بأن الوجود مؤلّف من أربع عناصر هي الماء والهواء والتراب والنار) وأورثوا العالم الوسيط هذه النظرية الخاطئة . وهذه النظرية في الأصل نظرية هندية . ونطوي أحقاب العلم والفلسفة في اليونان حتى نصل إلى أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م .) ولد أفلاطون في أثينة وطوّف كثيراً في الأرض وزار مصر . وفي مصر تمقّل أفلاطون بين الآثار والمباني وأدرك فضل تلك الحضارة العريقة . وقد ترك لنا أفلاطون في كتاب تيهاس حواراً بين صولون الحكيم (اليونانيّ) وبين كاهن مصري جعل فيه الكاهن المصري كأنه يتهمكم بحضارة اليونان الطفلة . من هذا الحوار :

الكاهن المصري : يا صولون ، يا صولون ، أتم اليونانيّين أطفال أبداً . ليس ثمة شيء يصح أن يسمّى « اليونان العتيقة » .

صولون : وما تعني بهذا القول ؟

الكاهن المصري : أتم ذوو نفوس طفلة ، كلّ واحد منكم كذلك . انكم في اليونان كلّها لا تملكون مذهباً واحداً قديماً أو مستمداً من تراث جليله الكبير بالهية .

ليس من المعقول أن يكون هذا الكلام هزواً بالحضارة اليونانية ، ولكنّه احترام بالغ للحضارة المصرية القديمة . ثمّ إنّه معرفة بالحضارة المصرية القديمة . وهذا - بطبيعة الحال - تأثّر بالغ بالعلم الشرقيّ . وفي كثير من كتب أفلاطون - في كتاب السياسة (الذي يسميه كتابنا الحديثون « الجمهورية » ،

تسمية خاطئة) - وفي كتاب النواميس شيء من العلم الشرقي ومن الأثر البارز للعلم الشرقي (من فارس وبابل) .

والأثر الشرقي في أرسطوطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م .) فيلسوف اليونان والفيلسوف المطلق ، قليل البروز ، ذلك لأن العمل الأسامي لأرسطو كان في تدوين الفلسفة التي وقعت إليه وتنسيقها وتقدها . غير أننا نجد عند أرسطو (أرسطوطاليس) عنصراً مهماً من هذا الأثر .

كان علماء اليونان الطبيعيون قد أخذوا عن الهنود القول بالعناصر الأربعة - كما أشرنا آنفاً - ثم جاء لويكوبوس فرد القول بالعناصر الأربعة وقال بأن الأجسام مؤلفة من الذرات . وخلف لويكوبوس تلميذه ديمقريطس (الذي مر ذكره) فوسّع القول بالذرة . ومع أن قول لويكوبوس وتلميذه في الذرة كان مزيجاً من العلم والخرافة فإنه كان أقرب إلى المعقول وإلى الواقع : إن الأجسام كلها مؤلفة من ذرات ذات طبيعة واحدة . ولكن بعض الأجسام يختلف عن بعض لاختلاف الذرات فيه بالحجم والعدد والترتيب (لا في النوع) . وجاء أرسطوطاليس فرد القول اليوناني بالذرة ورجع إلى القول الهندي (الشرقي) بالعناصر الأربعة . وكان ذلك خطأ من الأخطاء العشر التي وقعت في فلسفة أرسطو أو التي وقع فيها أرسطو في فلسفته .

أمّا بعد أرسطو - وبعد حملة الاسكندر المقدوني (تلميذ أرسطو) على الشرق (في سورية ومصر والعراق وفارس والسند - غربي الهند) فإن الحضارتين اليونانية والشرقية تمازجتا وأثر بعضها في بعض تأثيراً كبيراً . وكان فعل الفكر الشرقي في الفكر اليوناني أكبر حتى استحال أن نسمي العلم والفلسفة اللتين تلتا حملة الاسكندر علماء وفلسفة يونانيّين . م (٢٣)

لا نستطيع الآن أن نستعرض تاريخ العلم والفلسفة هنا استعراضاً وافياً ، ولكن يكفي أن أشير إلى أن أفليدس صاحب الهندسة المشهور كان إسكندرياً . وأن نيقوماخس صاحب كتاب المدخل إلى علم الحساب شرفي من عنبر في سهل البقاع من الشام (في الجمهورية اللبنانية اليوم) . وأفلوطين صاحب مذهب الفيض والإشراق مصري من أسبوط . ثم إن بطليموس صاحب كتاب المجسطي في الفلك إسكندري من مصر . غير أن هؤلاء جميعاً كتبوا باللغة اليونانية .

* * *

لعل نقرأ من القراء قد عجلوا وظنوا أنني إنما أردت بهذا المقال أن أسلب اليونانيين فضلهم على العلم والفلسفة أو أن أرفع شأن الشرقيين تعصباً وعصية .

إن هذا شيء لم يخطر لي في بال - إلا استدراكاً وظناً أن يفعل أحد ما أريد من نفسي ألا أفعله . إن العلم إنساني لا يحد بتخوم على سطح الأرض ولا بسدود في مجرى التاريخ ، ولا تستأثر به قومية ولا يستقل به مذهب . ثم إن الحضارات كلها تطوّر نشأ بعضها من بعض ، فأخذ المتأخرين أسباب الحضارة عن الذين تقدّمهم والزيادة فيها بقدر ما يحتاجون إليه وبقدر ما يطبقون أمر طبيعي . ومن ظن أن حضارة نشأت بين ليلة وضحاها مقطوعة من كل شيء قبلها فقد ظن عجزاً .

وإذا كان اليونانيون قد أخذوا كثيراً من علمهم وفلسفتهم عن الشرقيين ، فلماذا عرف هذا العلم وتلك الفلسفة باسم الذين أخذوها عن غيرهم ولم تعرف باسم الذين ابتكروها ثم أخذوا عنهم ؟ هذا هو الأمر الذي دفعني

في الواقع إلى اختيار هذا الموضوع الذي جعلت له هذه المقدمة الطويلة التي سبقت .

إنَّ ترديد النظر في معالم الحضارة الشرقية من شرقيّ الصين إلى غربيّ مصر يجعلنا نقف أمام حضارة باهرة - من الناحية العملية ومن الناحية النظرية أيضاً - . إنَّ معالم الحضارات الشرقية ماثلة أمامنا ، ولا يمكن أن يكون الذين أقاموا الأهرام مثلاً - وقد كشفوا في دقّة البناء ماتعياً عن مثله الآلات الحديثة - جاهلين للقواعد المتّصلة بعلم الهندسة من الناحية النظرية أيضاً . وكذلك إذا نحن نظرنا في التقاويم التي عرّفها الشرقيّون عموماً - في الصين والهند ثمّ في بابل ومصر خاصّة - أدركنا وشيكاً أن البابليّين والنصريّين القدماء كانوا على جانب كبير من العلم العملي والنظري في الحساب والفلك . ثمّ إذا نظرنا إلى التحنيط وإلى عدد من الصناعات كالنسيج والصباغ والصياغة وصنع السيوف رأينا فيها براعة في الكيمياء والفيزياء عظيمة جدّاً . فلماذا إذن ، ننسب العلم القديم إذا درسناه في نطاق التاريخ المعروف إلى اليونان ولا ننسب منه إلى أمم الشرق القديم سوى تنف متفرقة .

لقد كان لذلك سببان في الشرقيّين القدماء وسببان في اليونانيّين الغربيّين . كان العلم في الشرق القديم من الدين ، وكان الكهّان الذين يستقلّون به يضنّون به على الناس لأنه كان مقدّساً لا يجوز أن يتّصل به عامّة الناس . من أجل ذلك ظلّ نتاج الفكر الإنساني في الشرق القديم سرّاً يتلقّاه الصالحون من الخلف عن سلفهم بالرواية . فلمّا انقرض أولئك الذين كانوا يظنّون في أنفسهم ذلك ذهب نتاج الفكر معهم ونشأ الخلف الجديد في أميّة . بذلك خسر الذين كشفوا عن قواعد العلم والمعرفة حقّهم في نسبة الفضل في ذلك إليهم .

ومع أن معظم ما بقي لنا من العلم الشرقي القديم قضايا تدل على عبقرية بالغة ، فإنها في الأكثر قضايا عملية مفردة ، لعل أصحابها لم يجمعوها عامّة حتى تنطبق على كل ما يشابهها من القضايا — ولعل أصحابها عرفوا ذلك وفعلوه ولكن لما ضنوا به وكنموه ثم ضاع ظننا نحن انهم لم يفعلوا ذلك — . من أجل ذلك نستطيع أن نقول ، مثلاً ، إن المصريين بلغوا ذروة البراعة في الهندسة والحِمل (الميكانيك) — ممّا يدل عليه بناء الأهرام ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إنهم وضعوا علم الهندسة أو دوّنوا علم الهندسة . أما اليونانيون فتناولوا علماً كثيراً من الشرق — لا شك في ذلك — ثمّ أضافوا إلى ما تناولوه من الشرق أشياء من عندهم ، مما لا شك فيه أيضاً ، ولكنهم زادوا على الشرقيين في أمرين :

١ — لقد جمعوا ما ابتكروه إلى ما كانوا قد تناولوه من الشرق ثمّ نظّموا ذلك كله — في وقت متأخر طبعاً — واستخرجوا منه علوماً محدودة بقواعد . ومع العلم بأن كثيراً من حقائق الهندسة لم يكن يونانياً ، بل كان شرقياً من قبل اليونان بألوف السنين ، فإننا نسمي الهندسة علماً يونانياً (مع أن الذي دوّن الهندسة نفسه شرقي من الاسكندرية في مصر . وسأرجع إلى أفقليدس مدوّن الهندسة مرّة أخرى حين أتكلّم على الصلة بين اللغة وبين العبقرية) . فقضايا الهندسة إذن لم تكن كلها من عمل اليونان ، ولكن علم الهندسة علم يوناني .

الهندسة علم يوناني بعامل التنظيم والتدوين لا بعامل المادّة التي جمع منها . إن العلم — في هذا الشأن — لم يكن المادّة التي جمعت ، بل كان التنظيم الذي خلق من هذه المادّة مجموعاً .

٢ - إن علماء اليونان بذلوا العلم للناس من جميع الأجناس والطبقات ،
فلما ذهبوا هم لم يذهب علمهم معهم ، بل بقي في غيرهم ، ولكن ظلّ
يحمل اسمهم .

* * *

وهنا أعود إلى صلة اللغة بالعقيدة ونسبة العقيدة إلى اللغة أو إلى القومية .
نحن لا نعلم أن افلاطون صاحب الهندسة كان شرقياً من الاسكندرية
وأن أفلوطين صاحب المذهب الاسكندراني على المشهور كان من أسبوط في
صعيد مصر ، وأن نيقوماخس صاحب الحساب كان من عنجر في بقاع
العزير من بلاد سورية (الجمهورية اللبنانية اليوم) ، وأن فرفوروس صاحب
المدخل إلى علم النطق كان من صور الواقعة على الشاطئ الشرقي من البحر
الأبيض المتوسط ، إلا إذا اطلعنا على ذلك في كتب التاريخ . ولكننا حينما
نقرأ نتاج هؤلاء في اللغة اليونانية نقول عادة إنَّ هذا النتاج كان يونانياً .
حتى إنَّنا نقول إنَّ المذهب الاسكندراني الذي رأى النور في مدينة الاسكندرية
(ومن هنا جاء اسمه) فوُلِدَ ونشأ على أيدي ثلاثة من الشرقيين من أهل
الاسكندرية هم فيلون اليهودي وأمونيوس سكئاس (أمون الحتمال) وأفلوطين
هو مذهب يوناني ، مع أن الغاية الأساسية من نشأة هذا المذهب (الدفاع
عن العقائد الدينية اليهودية والنصرانية) لا صلة لها باليونان . ولكنَّ اللغة
التي عُرض هذا المذهب فيها كانت يونانية والاتجاه الذي سلكه هذا المذهب
في الجدل والتخريب كان يونانياً . وهكذا سُمِّي هذا المذهب بلغته واتجاهه
لا بقومية منشأه .

* * *

وفي مصر المبتانيّ ثقيلَ العلم للعرب عن الأمم السابقة ، ثقل عن الهند والفرس واليونان ، ولا ريب في أن الأساس الذي قام عليه التفكير الفلسفي عند العرب كان العلم الأجنبي الذي أخذ عن العلم في الهند وفارس والصين واليونان . ولا شك في أن عدداً من أوجه هذا العلم قد تبدل على أيدي العرب تبدلاً أخرجهم عما كان عند أصحابه بل جعله خلاف ما كان عند أصحابه كالجبر والكيمياء . ثم كان ثمة علوم أخذها العرب عن غيرهم فزادوا فيها زيادات كبيرة كالطب والفلك . أمّا الهندسة فقد ثقلت للعرب عن اليونان ولم يزيدوا هم فيها شيئاً - ذلك لأن اليونان لم يتركوا في الهندسة إمكان زيادة مستزيد - ولا زاد أحد غير العرب في الهندسة الاقليدية شيئاً . ومع ذلك فإن مجموع هذا العلم الذي أخذناه عن غيرنا لا يزال يسمى عندنا وعند مؤرخي العلم من أبناء الأمم المختلفة العلم العربي . وفي هذا العلم أمر واحد ظاهر هو الأعداد . أخذنا نحن الأعداد عن الهنود فسمّيناها الأرقام الهندية . ثم أخذها العرب عنّا نحن فسمّوها الأرقام العربية ، ولو أنهم أخذوها عن الهنود مباشرة ، كما فعلنا نحن ، لسمّوها كما سمّيناها نحن « الأرقام الهندية » .

وتعميل في العلم والفلسفة الذين أخذناهما عن غيرنا - أو أخذنا أصولها عن غيرنا على الأصح - نفر من المسلمين من أبناء أقوام مختلفة : كان في علمائنا وفلاسفتنا الفارابي التوحي والغزالي الفارسي وابن باجة الفرنجي . ولكن هؤلاء كتبوا باللغة العربية كما فعل الكندي وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون - وهؤلاء الأربعة عرب - فسمّينا نحن هذا النتاج كونه - كما سمّاه غيرنا أيضاً - العلم العربي ولقد كان بالإمكان أن نسميه العلم الإسلامي لأن الغاية الأولى التي اقتبسنا ذلك العلم من أجلها كان الإسلام : أخذنا أصول الرياضيات والفلك لمعرفة المواقيت وعروض البلدان لضبط

مواعيد الصلوات والصيام ، وأخذنا المنطق وما وراء الطبيعة حتى نستفيد منها أدلة وبراهين على صحة العقائد الإيمانية . ولكثنا لو سمعنا هذه العلوم وهذه الفلسفة العلوم والفلسفة الإسلامية لثقل أمأنا اعتراض هو أن هذه تسمية قاصرة ، فإن نفراً كثيرين من المسلمين كتبوا في العلم والفلسفة بلغات غير اللغة العربية ، ونحن لا نعالج في العادة أوجه العلوم والفلسفة التي عالجوها . تلك هي المشكلة التي اعترضت مؤرخي الفلسفة الأولين ثم خرجوا من مأزقها بأن سموها النتاج الذي ظهر في اللغة اليونانية العلم اليوناني ، مع أن نفراً كثيرين من أولئك الذين خلقوا هذا العلم اليوناني ، لم يكونوا يونانيين .

* * *

بين يديّ العدد السابع من نشرة دورية (بلا تاريخ) تسمى «الجمال» (يُصدّرها قسم الصحافة والنشر بوكالة الإعلام الأميركية ، بيروت) فيها مقال اسمه المستعربون في أميركا يتكلّم على ثلاثة من هؤلاء هم هاملتون جيب الانكليزي وغوستاف فون غرونيباوم اليهودي النمساوي وفيليب حثي العربي (من لبنان) . إن النشرة الأميركية الرسمية تمدّ هؤلاء الثلاثة مستعربين (يهتمّون بالشؤون العربية) لأنهم يكتبون باللغة الانكليزية ، مع أن فيليب حثي عربيّ أصيل ولكن معظم كتب الدكتور حثي باللغة الانكليزية ، فهو إذن مؤلّف انكليزي . وبما أن اللغة التي يتكلّم بها الإنسان ويكتب بها ويجعلها حاملة آرائه تكسب اتجاهاً عقلياً معيناً مخالفاً لرأي الذين يتكلّمون لغاتٍ غير لغته ، عدته النشرة الأميركية أميركياً (وهو أيضاً أميركي الجنسية منذ عام ١٩٢٤) ثم جعلته مستعرباً يهتمّ بالأمور العربية ، لا عربياً لأنّ اتجاهه الفكري هو اتجاه اللغة التي يكتب عادة بها .

* * *

بهذا المعنى قيل عن الفلسفة اليونانية إنها يونانية لأنّ المفكرين الذين كتبوا بها خضعت آراؤهم للاتجاه الفكري اليوناني ، مع أن عدداً كبيراً منهم لم يكن يونانياً .

ومع هذا كلّهُ فإنّ الصلة بين اللغة وبين الثقافة معدودة عند بعض الناس مشكلة : اللغة وسيلة للتفاهم فقط ، أم هي حاملة لخصائص ذاتية تجعل المتكلم بها منسباً إلى اتجاه فكري دون اتجاه فكري ؟

أنا أرى الرأي الثاني ، ولكنّ هذا لا يمنع من طرح القضية للبحث ؛ لا لأنّ الرأي الأوّل صحيح بل لأنّ جماعات مثا قد ذهبوا إلى ذلك فتجب أن نعرف آراءهم مقرونة بالمبادئ وبالأمثلة .

الدكتور عمر فروخ



بعض الكلمات

عن الأدب العربي الحديث

في المغرب الأقصى

لا أزال أتذكر أقوال صديقي المغربي الأستاذ محمد الصادق عفيفي حينما أهدي إليّ كتابه عن الأدب المغربي فقال إن الثر في المغرب لا يزال ينمو في براعمه كما لم تتقدم شخصيته وطابعه بشكل مكتمل — فقد أشار الأستاذ عبد اللطيف السحرتي الناقد المصري العبقري إلى أننا جبال الأطلسي بالرغله من عديد من الحقائق الطبيعية والأفكار الأساسية والتجارب الناضجة التي تقدم نفسها لمؤلفي المغرب ، إلى جانب شجاعتهم الفائقة لاسترداد حقوقهم الاستقلالية ، بقي معظم الإنتاج المغاربة في الغموض ، وأكثره ذهب مع الريح ! ، وهذا قول قاس لا ينتسب إلا إلى الماضي الغابر ، لأنه يوجد الأمل بأن المغرب الإسلامي سوف يشيد من جديد المؤلفين الذين سيتفتنون بأغاني الشابي ، أو يقص ويروي مثل ابن طفيل ، أو ينشر العطور مثل نفح الطيب للهروي وإذا ما كان الأدب الثري في المغرب لا يزال جيناً مستغرقاً في نومه في رحم الانتعاش الثقافي ، فإنه سوف يندفع قوياً في القد مثل الصبي الشديد وينمو ويكتمل .

إن الأستاذ صادق العفيفي حاول أن ينعش ويقوي بتحليله النقدي المؤلفين الشباب ، حاثاً إياهم على مباراة أندادهم في مصر ، غير أنه يخشى

بأنهم سوف لا يستطيعون الوصول إلى السمو الذي بلغه طاهر حسين أو Chehow ، Maupassant ومحمود تيمور لأن الخبرات الشخصية تختلف من عصر إلى عصر وبعض المؤلفين يتوقف عند وصف بعض الأحداث والآخرين يشكّونها أو يفسرونها ، والبعض الآخر يتأثر بها فقط .

ويقوّي العفيفي تأكيداتِه عن كيفية الذوق التي تتغير مع الزمن ، مordاً مثلاً : كيف أن عباس العقاد لام يوماً ما أحمد شوقي قائلاً بأنه - أي شوقي - رغم ارتفاعه يفتقر إلى الانسجام والاقتراس ، ويستعمل تعبيرات سوقية ، غير أنه الآن حول بشدة موقفه عن أمير الشعراء ، ونظر باستصغار لأشعار جيلنا لأنها تفتقر إلى الوزن والقافية ! ومن مثا يمكن أن يعرف ماذا تكون وجهة نظر العقاد عن ذلك بعد ثلاثين عاماً - لو كان حياً ؟

ويجب علينا الحذر عند استعراض أدب هو في دور التنقيح والنضوج حتى إن واحداً من الكتاب يتقدم من درجة لدرجة . وبقي البنائي وزياده وطويس وصفيين ، بينما نجد أن القامي وبنجلون يعرضون الأفكار الجديدة ، وبعض الشبان من الكتاب يميلون إلى استجابة ، للقصص الملهمة والرمزية ، وإلى نقد الحياة الاجتماعية - ويظهر بذلك أن ثمار المحصول الأدبي متنوع - وهو غنيّ بالتماشه وهو تراث الإبداع العربي التقليدي يعني المتميز وانعكاساً للكتابة الشرقية العربية الحديثة ، وأنفاس من الغرب الأوروبي أيضاً وهذه طلعة لا تقل ولا تزيد عما هو معروف في نواحي البحر المتوسط - وقد روّى كتاب المغرب تعطشهم للإلهام ، خصوصاً من مصر وفرنسا ، وقد حمّسهم وادي النيل بثقافته المتصاعدة بالعروبة - أما فرنسا فلها خلال

احتلالها العسكري والمدني لغتتهم بروح النبوغ - فن التأثير المصري برز
 العقاد والزيات وطه حسين وتوفيق الحكيم، بينما كانت روائع فرنسا القديمة
 Dumas, Hugo, Balzac, Corneille, Racine, Molière, Lafontaine
 Moupassant, Flaubez كانوا أعمدة الإلهام منذ بدء التعليم الثانوي
 فصاعداً . بينما ترسل العهد الجديد إلى الأمام بأفكاره المجدبة ، والتي
 فتحت أعين الكتّاب المغاربة على روائع المؤلفين الروسين أمثال
 Chehow, Gogol, Tolstoy, Dostoyewesky, Gorkiy وعبر المحيط
 الأطلسي Carlyle, Dickens, Shakespeare وآخرين غيرهم . وقد برز
 موكب من الكتّاب والمفكرين الذين لم يكتمل بعد كياناتهم ، ويفتقرون إلى
 اختبار ناقدٍ غربي لكن لا نستطيع أن ننسى أن أسلاف هؤلاء المؤلفين لم
 يفهموا كلمة من العربية قط ، وكانت هذه الحال نتيجة إهمال سياسة الأجانب
 أثناء الاحتلال الفرنسي ، وإلى جانب التأثير الآنف الذكر نجد مسمة رقيقة
 من الأدب الإسباني الحديث قد هبت على سواحل المغرب .

وكنتيجة لجميع الروايات التي جمعها العففي من أصولها المختلفة فإنها تختلف
 بانساع عن نظرتها العامة ، غير أن اعتباراً واحداً لا يزال يربطها ، وهذا
 هو محاولة خلق عملٍ فنيٍ بالرغم من جميع الصعوبات اليومية المادية الواقعية
 والإدارية فيما يخص الإدارة ، فالمغرب قاصي ككثيراً من الشرور الاجتماعية
 والاستغلال الاقتصادي ، غير أن على الأدب أن يكسر القيود الاصطناعية
 ويجب أن يظهر نفسه في فن ناصع الثوب .

فقد دافع يوسف نجم عن كلمة الشعراء : « الفن للفن » وكذلك استشهد
 محمود تيمور الذي صرح في فن القصص بأن الكاتب يجب أن يشبع جميع
 استمالات محيطه الاجتماعية ، غير أنه يجب عليه أن يبتز عن أفكاره بإخلاص ،

وبكل قدرة مواهبه ، غير مكبّل بالقيود ، وبلا إدغام أو انحراف ، أو مع صفة التقاليد .

ويمكن تقسيم قصة النثر المغربي إلى ثلاث مراحل ، وتمتدّ المرحلة الأولى من عام ١٩٠٥ إلى ١٩٢٩ وخلالها ظهرت مؤلفات متعددة غير متكاملة ، وموضوعاتها وطابعها تختلف عن المقامة والقصة والأقصوصة أو التراجم والروايات التمثيلية - وقد عضد النوع الأخير وصول فرقة تمثيلية مصرية عام ١٩٢٣ بقيادة الشيخ سلامة حجازي^(١) وبعده فرقة فاطمة وشدي ويمكن أن نعتبر محمد القاري أوّل من أعدّ تمثيلية مسرحية من أربعة فصول وهي : اليتيم المهمّل . وقد أعلنت أعضاء جمعية طلاب المدارس الثانوية في مدينة فاس عن مسابقة لإنتاج قصة اجتماعية أخلاقية للمسرح - ومما يستحقّ الاعتبار ، فإنّ الدافع قد تولد في مدرسة القرويين الدينية المحترمة في فاس - وكانت نتيجة المسابقة قصة مسرحية في ثلاثة فصول وأربعة مناظر واسمها : « الفضيلة » وكتبتها هو عبدالله الجواوي ويمتد مضمون القصة خلال حديث دائر بين صديقين اضطر أحدهما لإيقاف دراسته في مبدأ حياته ، بينما يوجه صديقه المسمود الأسئلة إليه فافتنا نجاهد بعدد الظروف التي أعاقته عن دراسته ، وبدور الحوار حول التعليم والتشجيع عليه وعن الظروف الصحية ، وكل ذلك لكي يكون لمساعدة مواطنيه في رفع مستواهم وخلق الحياة الملائمة للتعليم . وقد شرح الكاتب أهدافه بهذه القصة ، ولكن يبرر التأخر الذي سببه الاستثمار الهادف إلى إفقار الشعب وحفظهم في أغلال الجهل . ورغم أن القصة ساذجة فقد نتج عنها إنشاء المال المدارس الابتدائية في فاس والرباط والدار البيضاء ، والتي كان يدرس فيها اللغة العربية وأسس الدين الإسلامي . فقد كانت

(١) المعروف أن الشيخ سلامة توفي عام ١٩١٧ م . (لجنة المجلة)

معيماً للوجدان الوطني الذي أهملته السلطات الغربية . ولم يجرؤ العمال على إطلاق لقب مدرسة عليها حتى لا يجد الفرنسيون الحجج لإغلاقها .

وعلى كل حال فإن تعليم الحساب والجغرافية والتأريخ في هذه المدارس الدينية قد حرمت ودُرست في السر فقط .

وفي شمالي البلدان إلى تطوان قام **عبد الخالق الطويس** إلى عام ١٩٢٢ بتجربة مماثلة في شكل مسرحي وقصته : « انتصار الحق بالباطل » ذات ثلاثة فصول هي نوع من المواعظ الخلقية والتربوية .

ولم تكن التجربة الثالثة من هذا النوع ، من المسرحيات بل ساعدها ظهور بعض الدوريات مثل مجلة المغرب ، والثقافة المغربية ، والغرب الجديد ، التي قدّمت القصص الوصفية . وكان الجديد من هذه التجارب أن بعض الكتّابات تعرضن لأهدافها مثل **ملكة الفامي** التي طُبعت لها قصة بعنوان : « الضحية » .

وبدأت المرحلة الثانية مع مستهل عام ١٩٣٠ وأبرزت أحد المحاصيل الأدبية المثمرة . وكتب خلال هذه المرحلة **علال الفامي** و**مختار السوسي** و**عبد القادر حسن** القصص الشعرية . وقد استعادت الروح الوطنية حقوقها كاملة ، وأوجدت الاصطلاحات في الفكر واللغة التي نمت عن بقايا المعرفة الأوربية التي عظمها الهاء الشرقي . وإن من أكبر ممثلي هذا الاتجاه هو **عبد المجيد بنجلون** وقد قادته وطنيته المتحمسة وطلب العلم في مصر إلى التبصر في انطباعاته حول ضفاف النيل ، وتجربته للغرب التي صوّرها في العدد غير المتناهي من القصص التي سُطرت بسرعة على الورق ، ولكن مع ذلك فإنّ لها الذوق الفني . وقد ترجم عشرات الأقاصيص الغربية من الانجليزية والفرنسية والروسية بقصد توجيه مواطنيه - غير أن الحظ حرمه

نهائياً مثل العديد من معاصريه - حرره من الاستمرار في حماسه الأدبي إذ أن الالتزامات الرسمية والتوظيفات الإدارية قد استنفدت جميع قدراتهم . وقد ألفت تلك المرحلة الضوء على اتجاهين : اتجاه يقوده **بنجلون** و**عبد الرحمن القامي** و**عبد الكريم ثابت** وآخرون ، الذين اعتبروا بأن واجبات الكاتب في خلق الأقصوصة هي لأجل الفن . وقد تطورت موضوعات قصص هذه المدرسة في فترة زمنية قصيرة وحافظت على الوحدة الرمزية والمكانية مصوّرة جوها الذي عزم الكاتب على نقله للقارئ مع زرع الخوف أو المرح والسمة والأمل أو الحسرة في نفسه . فالكصّاص الحقيقي في رأيهم هو ذلك الشخص الذي يدعجك في جو القصة كما لو أنك تعيش وتتفلس مع أبطالها . وإن أسلوب هذه القصص يكشف عن الإلهام بها وتشرب مؤلفيها للبيئة النفسية ، الواقعية ، وفي بعض الأحيان الرمزية . وإن الخبرات الذهنية هي عماد منظرم العام ، وترفع وجهة النظر هذه من قيمة اللون الفني لأعمالهم الأدبية . ويؤكد **عبد المظيف السعوي** في كتابه أهمية الأصول الفسائية لكتابة القصة ، التي استمر في قوله ، بأنها غير موجودة في معظم القصص العربية الحديثة .

أما الاتجاه الآخر لكتّاب النثر المغاربة فهو القصص التمثيلي الوصفي . وإن ممثليها المبرزين هم **أحمد بناني** و**عبد الله إبراهيم** و**عبد الله طويس** و**أحمد زيادة** وآخرون . وطابع هذه المدرسة هو قصة مماثلة للصورة ، التي تؤثر على كل من الكاتب والقارئ . وقد فتح كتّاب هذا النوع من القصص عيون الجماهير على الخراب والاستعمار في المغرب وعلى وجه الخصوص لفت انتباههم إليه ، وهم قد فضّلوا موضوعات الظروف الاجتماعية . ولوانتظرنا أن وضعهم تجاه الحكم الأجنبي كان من النوع الإبداعي والرمزي كنا خائنين

في الرجاء ، لأن الواقع هو أن كُتِّبَ هذه المدرسة قد بدأوا اتجاهها واقعياً جريئاً قد يكون تقريباً قريباً من قص الحكايات أو الأخبار .

إن الكاتب الموهوب أحمد بنتاني وُظف في البلاط الملكي ومع الأسف هجر دراسته التاريخية وكتابة القصص ، لكنه قد قدّم لنا في إحدى قصصه المعنونة بـ « صاحبنا ، شخصية تكاد تكون مألوفة » في كثير من البلدان رغم أنها غير شعبية ، فإنها ناجحة جداً ، لأنه ظل لرؤسائه في العمل ، فإن جميع المصادفات يمكنها أن تستمر عبر مجراه الخاص ، وحتى الشؤون الخاصة لرئيسه وأمور تدير منزله فإنها تعتمد على إدارة صديقنا الطيبة . إن أسلوب البناني يذكرنا بسهولة وبحرية بديع الزمان للمذاني بينما تشابه أبطاله مع أمثالها عند Dostoyewsky . وقد صور البناني بطله كأحد فقرات المجتمع المغربي المحافظ جداً ، بينما الأمر والحل في أيدي الأجانب الذين يكافح ضدهم بكل قواه .

وإن أبطال عبد الله إبراهيم مأخوذه من التاريخ ومن وقائع الحياة اليومية في البلاد . وقد استعمل المؤلف المحيط التاريخي للهرب من انبعاث الرقابة . ويبدو على أسلوبه الطابع الفلسفي الواقعي ويذكر فيه أشخاصاً وهميين . أما صور طويس فإنها تشبه السيّر إذا قيس مع إنتاج البناني أو عبد الله إبراهيم .

ومنذ عام ١٩٥٦ م فقد بزغ الاستقلال في المغرب ودخلت كتابة القصص في مرحلة جديدة . وللأسف ، فإن الحصة الكبيرة للقصص لم تضمن بعد الإتمام الفني ، ورغم أن هذا يجب أن يسيطر على الانفعال الناجم عن الفكر ، ومع ذلك تبرز نخب مختارة من الكتاب المغربيين أمثال الحبابي والريسوني والسميحي والبناني وبراده وبو علو ولتوني والموايشي

والمواري واخطائي وعبد الله جلال . وعلى كل حال فإننا يجب أن نشير إلى نوع من الخوف من النقد عند الشبان المؤلفين . لذلك نجدهم يخشون حتى عرض إنتاجهم على الأصدقاء .

محمد صادق العفيفي في كتابه : القصة المغربية الحديثة تلخص عدداً كبيراً من القصص وعلّق عليها مشيراً إلى مزايا الأدباء ويقدم لنا تاريخ المغرب وحياته الاجتماعية وتقلب الحياة اليومية في موضوعات لا حصر لها للتعبير الأدبي ، وإن الكتاب المغربيين سوف يجدون الطريق الذي يقودهم نحو أهداف مشابهة مع التي تحكم في بلاد الناطقين بالضاد الأخرى ويكونون مشيرين للفجر الجديد في الأدب العربي الحديث (١) .

المستشرق

البركنور عبد الكريم جرمانيوس

(بودابست)



لمحة عن التاريخ الليبي

منذ أقدم العصور الإسلامية تأسست في القطر الليبي مدارس كثيرة لبث العلوم الدينية واللغوية والأدبية في ذلك البلد العربي الصميم ، ولقد قام بإنشاء تلك المدارس رجال من حكامه الأسبقين ومن لغيف من أعيانه وسرانه ، ولا تزال تلك المدارس قائمة إلى الآن في تلك الربوع ، وكل من يتصفح مراجع التاريخ الليبي يجد فيه تراجم أعلام من العلماء ، من الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم وبث الثقافة الإسلامية في تلك المعاهد ، وهذه لمحة تاريخية تتعلق بذكر ما تركه رجال النهضة العلمية والأدبية من تراث علمي وأدبي ولغوي في ليبيا ، وذلك من أواسط القرون الإسلامية إلى اليوم ، ولا يخفى على المطلعين على التاريخ ، أن ليبيا انتابها كوارث وعن وحروب طاحنة ذهبت بالطارف والتالد مما خطه علماءؤها من مؤلفات في شتى العلوم ، وما نظمته شعراؤها من شعر رائع يمتزج بالنفوس رقة ، ولكن الحمد لله الذي أزال ذلك الكابوس الاستعماري عن ليبيا ، وأصبحت قائمة على قدميها تجاري الأمم الراقية ، وتبحث عما تركه أسلافنا من تراث علمي ، إن النهضة العلمية اليوم في ليبيا أصبحت في تقدم مستمر ، فقد أنشأت فيها كثيراً من المدارس الابتدائية والثانوية في جميع أرجاء المملكة ، كما أنشأت فيها جامعة عصرية تحتوي على كليات الحقوق والآداب والعلوم والهندسة والتجارة والمعلمين والزراعة ، وإن عدد الطلاب والطالبات في تلك المدارس والجامعة حوالي ٥٠٠ ألف طالب وطالبة ، وهذه النهضة قامت بعد استقلال ليبيا أي منذ ستة عشر

عاماً فقط ، وفصلاً عن ذلك فإن البعثات الجامعية ترسل كل عام إلى الجامعات في القاهرة وبيروت ولندن وباريس وبروكسل وأنقرة وغيرها ، وبذلك أصبح الوعي العلمي منتشراً بين طبقات الشعب الليبي ، الذي كان محروماً من جميع وسائل العلم والتعلم إبان الحكم الإيطالي الغاشم ، وآثار العلماء والأدباء والشعراء الليبيين كانت منعمورة في زوايا الإهمال بسبب الكبت الفاشستي ومن قبله أيام حكم الأتراك الذي كان لا يقيم وزناً للعلماء العرب وآثارهم ، كل هذه الأسباب كادت تقضي على تراثنا الذي خلفه أسلافنا رحمهم الله ، وفي هذه المحة أقدم عرضاً موجزاً عن رجال العلم والأدب والتاريخ في ليبيا من المتقدمين والمتأخرين أيضاً ، وعلى سبيل الانغودج أذكر لفيقاً منهم :

علماء اللغة

١ - من علماء اللغة أبو اسحق ابراهيم بن الأجدابي من أعلام القرن السادس ، اشتهر بعلم اللغة وله كتاب قيم أسماء كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ وهو مطبوع في بيروت منذ ثمانين سنة ، وقد مدح هذا الكتاب بعض الأدباء المتأخرين بهذين البيتين :

من كان يطلب في الغرب وسيلة من شاعر أو كاتب متلفظ
أو كان يعني في الكلام بلاغة فليحفظان كفاية المتحفظ
ومن مؤلفاته أيضاً كتاب الأزمنة والأنواء وهو مفيد جداً في فنه ، وقد طبع حديثاً في دمشق .

٢ - ومن كبار علماء اللغة الذين أحرزوا قصبات السبق في هذا الميدان ، العلامة جمال الدين محمد ابن منظور صاحب لسان العرب أحد أعلام القرن الثامن ، وهو أشهر من أن يُعرَف ، حيث إن تأليفه المذكور جمع فيه ما لم يجمعه غيره من مشاهير اللغويين في معاجهم ، وهو يحتوي على ثمانين

ألف مادة من كلام العرب حسبما قرره العلماء في هذا الصدد ، فضلاً عن ذلك فهو كتاب تفسير وشرح لغريب الحديث ، وفيه بحوث مستفيضة في علوم النحو والصرف والاشتقاق واللغة ، كما أنه يشتمل على مجموعة كبيرة من أمثال العرب وغير ذلك من الفوائد ، وابن منظور لبي صميم حيث رفع نسبه في مادة ج ر ب من اللسان إلى الصحابي الجليل روفيع بن ثابت الأنصاري دفين مدينة البيضاء بليبيا ، فضلاً عن ذلك فأنزل نفسه تولى قضاء طرابلس ، ولابن منظور مؤلفات أخرى ، منها مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ومختصر الأغاني ، وثمار الأزهار في الليل والنهار وهو صغير ومطبوع قديماً في مطبعة الجوائب بمدينة « فروي » اسطنبول .

العلماء والفقهاء

من علماء الشريعة العلامة أبو الحسن النمر من رجال القرن الخامس صاحب التأليف المسمى بالكافي في الفرائض ، وقد أثنى عليه ابن خلدون في المقدمة ثناءً عطرأ ، ومن الفقهاء الكبار أيضاً عمر بن عبد العزيز الطرابلسي من رجال القرن السادس ، ذكره ياقوت في معجم البلدان ، وهو القائل في كتب الغزالي :

هذب المذهب حنبل أحسن الله خلاصه

بسيط ووسيط ووجيز وخلاصة

ومن الفقهاء المتضلعين في المذهب المالكي أبو عبد الله محمد الخطاب من أعلام القرن العاشر صاحب مواهب الجليل أشرح مختصر أبي الضياء خليل ، وهو شرح مستوفى في ستة مجلدات ضخمة طبع على نفقة سلطان المغرب الأسبق المرحوم عبد الحفيظ ، ومنهم العلامة أحمد زروق صاحب المؤلفات

المدينة ومن ضمنها شروحه على حكم ابن عطاء الله التي بلغت سبعة وعشرين شرحاً حسبما ذكره في نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ومن كبار علماء الشريعة على مذهب أبي حنيفة النعمان العلامة محمد كامل بن مصطفى مفتي طرابلس الأسبق ، ومن مؤلفاته الفتاوى الكاملة في الحوادث الطرابلسية ، وهي مطبوعة ومتداولة بين العلماء ، وله حاشية على تفسير البيضاوي لا تزال مخطوطة في مكتبة الأوقاف بطرابلس ، ومن علماء الشريعة أيضاً العلامة عبد الرحمن البوصيري قاضي طرابلس الأسبق ، وله عدة مؤلفات منها المحاكمة بين ابن حبر والعيني وحاشية على الجوهر المكنون .

المؤرخون

من المؤرخين القدماء أبو الحسن علي بن مخلوف الطرابلسي كان له اهتمام بالتواريخ وصنف تاريخاً لطرابلس ، وكان فاضلاً في فنون شتى ، أخذ عنه السلفي وهو من أعلام القرن السادس ، ذكره ياقوت في معجم البلدان عندما تكلم على طرابلس ، ومنهم ابن غلبون المؤرخ وهو صاحب التاريخ المسمى بالتذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار ، والمؤلف من علماء القرن الثامن عشر ، ومنهم أحمد بك النائب الأنصاري صاحب التاريخ المسمى بالمنهل المذهب في تاريخ طرابلس الغرب في جزأين ، وهو مطبوع ومتداول بين طلاب التاريخ والأدب في ليبيا ، ومن المعاصرين الذين ألفوا في التاريخ الليبي محمد بن مسعود خريج دار العلوم بالقاهرة ، ألف تاريخ ليبيا العام في جزأين ، وله غير ذلك في التاريخ والجغرافيا والاجتماع ، ومنهم أيضاً مصطفى بعبو خريج كلية الآداب بالقاهرة ، فانه ألف الجمل في تاريخ ليبيا ، ومن الليبيين الذين تخرجوا من الأزهر وألفوا في التاريخ الليبي طاهر الزاوي فانه ألف : أبطال الجهاد ، وأعلام ليبيا ، وليبيا بعد الفتح العربي .

الصحافة الليبية

إن أول جريدة صدرت في طرابلس كانت بتاريخ ١٨٦٦ ، وكان اسمها طرابلس الغرب ، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية ، وهي الجريدة الوحيدة في ذلك الوقت ، ولقد استمرت على الصدور أسبوعياً إلى أن احتلت إيطاليا البلاد الليبية في سنة ١٩١١ ، وهي نظيرة أمثالها من الجرائد الرسمية التي كانت تصدر حينئذ في بلاد الامبراطورية العثمانية ، وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صدرت صحف متعددة في طرابلس قام بإصدارها صفوة من رجال العلم والأدب والسياسة ، نذكر منها : مجلة الفنون وهي نصف شهرية ، جريدة الترقى ، العصر الجديد ، الكشف ، تعميم حريت ، وهي جريدة أسبوعية كان يصدرها المحامي محمد قذري باللغة التركية ، ثم المرصاد ، اللواء الطرابلسي وهي لسان حال حزب الإصلاح الوطني ، الرقيب ، الوطن ، البلاغ ، بريد طرابلس ، الوقت ، الذكرى ، الإصلاح ، العدل ، بريد برقة ، ليبيا المصورة وهي مجلة شهرية ، ثم في عهد الاستقلال صدرت عدة صحف ومجلات ، منها طرابلس الغرب وهي يومية وبرقة الجديدة ، والرائد يومية أيضاً ، والطليعة ، والحرية ، والميدان ، هذا ولا يخفى على المطلع على ما نشره تلك الصحف الليبية في العمود السالفة وفي عصر الاستقلال أيضاً ، أن أكثرها يتمشى ومياسة الحكومة شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وأن القليل منها جداً يقوم بنشر مقالات وطنية تهدف لخدمة الوطن والصالح العام ، ويتنقد في دائرة ضيقة إجراءات الحكومة التعسفية ، ولقد أصدرت الكتلة الوطنية بطرابلس زمن الإدارة البريطانية جريدة باسم صوت الأحرار ، ولكن تلك الإدارة ومن جرى على غرارها قضى عليها في مهدها بدون مبرر قانوني .

الشعراء في ليبيا

في هذا البلد العربي الصميم ~~كثير~~ من الشعراء الذين نبغوا في القرن العشرين ، وأكثر هؤلاء الشعراء ترموا خطى الولدين من الشعراء كأبي العليب المتني والبحري وأبي تمام وأضرابهم من فحول الشعر والأدب ، والقليل من شعراء ليبيا من يسير على غرار الشعر المصري الذي لا يتقيد بأوزان الخليل والقافية ، وهؤلاء الشبان الذين ينادون بتحرير الشعر من الأوزان والقافية هم قلة لا يؤبه لها ، وكل من له أدنى ذوق أدبي عندما يقرأ ما ينشره هؤلاء الذين يدعون تجديد الشعر العربي من قيود العروض والقوافي ، يتبين له بوضوح تام أن شعرهم ليس بعربي ، ولا يمت للشعر العربي بصلة ما ، وقائل هذا الشعر المختل الأوزان والقوافي والمعاني أيضاً ، هو رابع الشعراء الذي قيل فيه « وشاعر من حقه أن تصفحه » إن بث هذه السخافات الشعرية بين الناشئة وطلاب الأدب العربي مما يفسد ملكات الناشئين الذين يتتبعون ما ينشر على الجلات والصحف اليومية في الشرق العربي كله ، وأرجو أن يقوم أنصار الأدب وحماة لغة العرب ، بحملة أدبية تردع أولئك الشبان عن غيهم فيما ينشرونه الفينة بعد الفينة من الشعر المسعى عندهم بالشعر الجديد ، وبذلك تتقوم ملكات رواد الأدب ، وتنشأ الناشئة العربية على أسس قوية من اللغة وأساليب فصحاء العرب ، والشعراء الليبيون أكثرهم يترسم خطى شعراء الصدر الأول في الإسلام ، ومن هؤلاء أحمد الشارف وأحمد رفيق المهدي رحهما الله وأحمد الفقيه حسن أطال الله في عمره ، ودواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة مطبوعة ومتداولة بين رجال الأدب العربي ، وهؤلاء الثلاثة هم البارزون من شعراء ليبيا ، وإلى القراء الكرام مقتطفات

من شعر المرحوم أحمد الشارف الذي كان رئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية بطرابلس ، وهذه إحدى قصائده قالها في حرب الكالين مع اليونان بعنوان :

« حياة على الضيم بنس الحياة »

لقد آن للعزم أن يصدقا وحملته اليوم ان تكذبا
وأسيافنا أخذت موثقا بأن يبلغ السيل منها الزبي

* * *

رعى الله جيشاً غدا قائماً بدق الطبول وخفق البنود
فجرد من عزمه صارماً ليعرف مركزه في الوجود
سبقي الزمان له خادماً كما كان يخدم تلك الحدود

* * *

قد اخترقت خيله مأزقاً حذاراً على المجد أن يذهب
وحتم على السيف أن يسبقا إذا لم يجد في العلا مطلباً

* * *

ولا بمجيب القوم من عنصر غدت منه نار الوغى تستمر
كذا المجد يقضي على معشر حياتهم آذنت بالخطر
جزاء لما كان في وسيفه وما جاء في ذلك المؤثر

* * *

بحيث البراع غدا مطلقاً فيكتب ما شاء أن يكتب
ولسنا على الضيم نرضى البقا ولا ننصر الدين والمذهب

* * *

ولما تعذر فصل القضا وزاد اللجاج وطال الخصام
أنى السيف بالرغم لا بالرضا لحسم القضية بين الأنام
فإن الحسام إذا ماضى يُنزه عن شبهة الاتهام

* * *

فلا غرو إن جد يوم القضا وسالت نفوس بجد النضا
فما الشرق أوجب أن تهرقا ولكما الغرب قد أوجبا

* * *

حياة على الضيم بئس الحياة ونعم المات إذا لم نفز
لقد قام فينا وكمال الصفات بأوفر حظ وأكمل عز
فتى أدرك الأمر قبل الفوات ومهما بدت فرصة يتنهز

* * *

حريص على الشرف المنتقى بإدراك ما كان مستصبا
وقد أوشك الضيم أن يحدقا ولكن أباه بكل الإبا

هذه القصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات كأنه زوج لشعره في الحساس
والوطنيات ، وقد طرق الشارف أبواب الشعر ، فنظم في الفخر والمدح
والرثاء والغزل وفي غير ذلك ، فمن قصائده في الرثاء هذه القصيدة التي رثى
بها ملك العراق الأسبق المرحوم فيصل بن الحسين ، وهي :

سهاد على أجفاننا قد تحكما وحزن بأعماق القلوب تحبا
وأعظم خطب في الورى فقد سيد أقام له الشعب العراقي مأتما
يشق على سمعي مقالة نعيمه وأكره أن ألقى بها متكلم
فلو مدت الأمداد من نحوه يداً على أمة الإسلام كان المقدم
ولم تبك أقطار العروبة وحدها عليه ولكن كل من كان مسلماً

إمام سسري ^٢ أرجمي سميدع	بصير إذا ما دبر الأمر أحكما
ولا عجب أن قام بالأمر وحده	على جده جبريل صلى وسلما
مكارم في دار السلام تأيت	ومجد للأبناء الرسول تبتما
ومدت سراة القوم أعظم حادث	ولكنه في فيصل كان أعظما
هو الدهر لا تفرك منه ابتسامة	إذا غضب الضرغام يوماً تبسما



ومن الشعراء المجيدين في ليبيا أحمد رفيق المهدي أحد هؤلاء الشعراء الثلاثة المذكورين آنفاً ، وهو شاعر مطبوع يجيد في كل باب من أبواب الشعر ، فمن قصائده في رثاء المركز ماركوني هذه القصيدة وهي بعنوان :

« نظيرك نادر في الكائنات »

نظيرك نادر في الكائنات	« لحق أنت إحدى المعجزات »
رسول الفن أنت ظهرت تهدي	بآي الكهرباء البيئات
نقلت الصوت فهو بغير سلك	يحل في قوى متموجات
وأرسلت الصدى في البرق يسري	أميناً حافظاً للرسلات
طوى الآفاق بين فم وإذن	فزال بذاك تحريف الرواة
وأصبحت الإذاعة من مكان	تمم بسرعة كل الجهات
فأغنت في الدعاية عن كثير	من الصحف العديدة والدعاة
وتلك يد لتشر العلم جاءت	بمعجزة تفوق المعجزات

أمر كوني ريثتك لاحترامي وحي للمباقرة الدهاة
وأنت أجلمهم عندي لأنني رأيتك فوق هاتيك الصفات
نفمت الناس أجمع باختراع خلا من كل أنواع الأذاة
فكم لك من يد كانت شفاءً لآلام البرية في الحياة
وكم أشفت على عطب سفين دعتك فكنت أسباب النجاة
ولم تك مثل من يسمى ليأني بما يقضي على باقي الحياة
يفكر في اختراع الموت قتلاً بفاز خائق ومفرقات
ولكن كنت تسمى لاكتشاف يخفف شر تلك المهلكات
فليتك طال عمرك كي ترينا غرائب مايزلن مكتمات

* * *

علوم العصر ان بسقت وأثت فأنت لها بمنزلة النواة
كشفت بفضل نور العلم سراً سيكفل حل عقم المشكلات
فهذي رؤية الصور استطعنا على بعد نراها واضحات
رأينا من تكلم من بعيد كما يبدو على سطح المرات
وسوف نرى بفضلك عن قريب طريقاً لاكتشاف النيرات
مسائل لا يزال العلم يسمى ليجملها لرأيك طائعات
وكان بعد رأيك مستحيلاً فأصبح في عداد المعينات
وصار الفخر في كل اختراع يعود إليك في ماضٍ وآت
فما اسوى علاك يقال حقاً وعلو في الحياة وفي المات ،

ونكتفي بهذه القصيدة للدلالة على مكانة الشاعر الذي أجاد في رثائه
للمركيز ماركوني العالم الإيطالي الشهير الذي يعد بحق أستاذاً للمخترعين
المعاصرين ، ونختم هذه اللوحة التاريخية ببعض ما جادت به قريحة السيد أحمد
الفقيه حسن رئيس مجلس الأوقاف بطرابلس ، وهو من الشعراء الذين فازوا
بقصبات السبق في مضمار الشعر والشعراء ، وديوانه ضخمة وقد طبع حديثاً ،
وهذه إحدى قصائده وهي بعنوان :

« ليبيا المستقلة »

عزم أهـاب ليبيا متقدما	ودعا إلى استقلالها وتكلم
وطن يؤيد حقه أبناءه	وطن إلى صيابة العرب انمى
ضحى بأبطال وبرهن أنهم	كانوا له يوماً حماة للحمى
فالفخر ما ضحى به أبناءه	والمجد ما كتبت صحيفته الدما
هبوا إلى استقلاله بين الأورى	ولنيله طرّفوا السبيل الأقدام
عقدوا الخناصر للجهاد وقد رأوا	أن يستقل وأن يصاب ويكرما
قوم أبت أخلاقهم أن يخضعوا	لأغاصب العاتي وأن يتحكما
طبعوا على كرم فكان جهادهم	لأنصر والمجد المؤئل سلما
وطن يقده بنوه وما رأوا	من صالح يوماً بأن يتقسما
جمعت طرابلساً وبرقة وحدة	تبقى على طول المدى لن تفصما
هذي لتلك يد وتلك لهذه	سند إذا ما الخطب أصبح مضرما
هي وحدة الوطن الذي أضحى بها	عما يحاول في الحياة مترجما
نادى بها أبناءه فتوحدت	كل الجهود لكي يعيش مكروما

فاليوم تظفر ليبيا إذ أبرمت للمقصد الأسمى اتحاداً محكما
 رفعت عقيرتها لنيل حقوقها بين الشعوب وقد أبت أن تهضما
 فالشرق أجمع لا يزال مؤيداً لرجالها ولسميهم مترسماً
 لا غرو إن نجحت قضية ليبيا فالشرق فاه بحقها مترغماً
 والحق ما استندت دعائمه على حجج مؤيدة فكان مدعماً

هذه إحدى قصائد أحمد الفقيه حسن في الميدان السياسي ، وقد طرق موضوعات كثيرة في شعره ، ولولا خوف الإطالة لذكرت من قصائده ومن قصائد الشعراء أحمد الشارف وأحمد رفيق ما يبرهن على أن هؤلاء الثلاثة هم في طليعة شعراء العرب في هذا العصر ، وما ذكرته من شعرهم يؤيد ما قلته فيهم ، والخلاصة إن النهضة العلمية والأدبية سائرة قدماً إلى الأمام في ليبيا ، وذلك بسبب الموارد الطبيعية في البلاد ، ورغبة الشعب في طلب العلم في جميع مراحله .

(طرابلس)

علي الفقيه حسن



المتحف الوطني بدمشق

(نواة المديرية العامة للآثار والمتاحف)

في عبده الخميني

لمحة تاريخية عن مولد المتحف ونموه :

إن بلادنا الحبيبة بموقعها الهام المتوسط في العالم القديم ، وبشعبها الذي الطموح الفعّال ، لعبت دوراً كبيراً في إنشاء الحضارة الإنسانية وازدهارها على مرّ العصور . وإن تربتنا الطيبة خبأت لنا آثار الماضي ، وحفظت لنا الشواهد الصادقة على إسهام الإنسان العربي في خدمة الإنسانية .

في عصر الجود والانحطاط في العهد العثماني تفشى الجهل وساد التواكل والكسل وعدم المسالة . في ذلك الوقت بالذات كان الغرب قد تفتح ، وأخذ يبحث عن أصول الحضارات ، فأخذ يفتش بلادنا باحثاً ومنقباً ، ولما كانت السلطات غافلة ، وهي تجهل أصلاً قيمة التراث الحضاري ، فإن آثارنا المكتشفة عفواً وقصدأ أخذت طريقها إلى الغرب ، وراجت تجارة الآثار رواجاً عظيماً ، وذهب جزء كبير من تراثنا في هذا السبيل .

تذهبت الدولة العثمانية في آخر القرن التاسع عشر ، فأُسست متحف استانبول حفظت فيه أيضاً بعض الآثار المكتشفة في بلادنا . ولما أراد السلطان عبد الحميد الثاني أن يكرم الامبراطور الألماني ولهم الثاني ، سأله هذا أن يهديه المخطوطات

السريانية المودعة في قبة الخزانة من جامع بني أمية ، فقدّمها إليه دون أن يعلم قيمة هذه الهدية .

ظهر في دمشق في آخر القرن التاسع عشر بوادر من اليقظة والتفتح من الطبقة المثقفة النابذة كان على رأسها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، كان من آثارها أن أنشئت المكتبة الظاهرية ، وجمعت فيها المخطوطات القديمة . جمع القنصل الألماني مجموعات أثرية هامة طوال مقامه في دمشق في أول هذا القرن العشرين ، ولما انسحب الألمان من بلاد الشام بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى وضعت مديرية المعارف آنذاك يدها على هذه الخلفات وخزنتها .

كانت أول بادرة تدل على وعي الشعب العربي في بلاد الشام في فجر الاستقلال سنة ١٩١٩ أن سارعت الطبقة المثقفة النابذة إلى تأسيس الجمع العلمي العربي ومتحف دمشق . وأقرت المؤسساتان في بناء المدرسة العادلية الكائنة في باب البريد .

كانت المجموعات الأثرية الخزونة في مستودع مديرية المعارف هي النواة الأولى في المتحف ، ثم أخذت تنمو شيئاً فشيئاً بضمّ النقي والمكتشفات الطارئة ، والاكتشافات التي تمتّ عن طريق التنقيب العلمي ، واقتناء القطع الهامة من السوق الأثرية . . . هذا وقد قدّم بعض المواطنين أيضاً التحف التي كانوا يملكونها . . .

صُنِّفَت الآثار في المتحف القديم تبعاً للموضوع والمادة (١) ، وكان من بين المروضات بعض التحف الفولكلورية كالحمل وشعائر الطرق الدينية ، كما كان بينها بعض الطُرَف الحديثة . هذه التحف والطُرَف أصبحت فيما

(١) راجع دليل مختصر للأستاذ الأمير جعفر الحسني - دمشق ١٩٣٠ .

بعد نواة لمتحف الثقاليـد الشعبية الذي أقرّ في قصر العظم بدمشق ،
وافتح سنة ١٩٥٤ .

أخذت المجموعات تتكاثر حتى ضاق بناء المدرسة العادلية عن استيعاب
هذه المجموعات ؛ ففكرت الدولة السورية في بناء متحف جديد يليق بحفظ
التراث القومي ، فاخترت الأرض المجاورة للجامعة وتكية السلطان سليمان ،
وكانت أرضاً واطئة مرزغية مزروعة بأشجار الكينا (الأوكاليتوس) .
استصلحت الأرض ، وعهد إلى المهندس السيد إيكوشار وضع تصميم لمتحف
دمشق يكون قابلاً لتنفيذه على مراحل .

انتهى بناء القسم الأول سنة ١٩٣٦ في أثناء تسلّم الوطنيين الحكم . وكان
هذا القسم مؤلفاً من ردهة بعد المدخل ورواقين وأربع قاعات في الطبقة
الأرضية ، وردهة وثلاث قاعات في الطبقة العلوية ؛ أعيد في قسم من القبو
إنشاء مدفن للأسرة التدمرية (يرحاي) ، كما أعيد في الجهة الشرقية للمتحف
إنشاء كنيس^(١) دورا أوروبوس ، وكان الجناح الجنوبي مخصصاً لمكاتب
الإدارة والعمل الفني .

في ذلك الوقت كان متحف حلب قد تأسس منذ سنة ١٩٢٩ ، فارتأت
السلطات الأثرية حينذاك أن يختصّ متحف حلب بالآثار السورية القديمة التي
تمود إلى ما قبل الغزو اليوناني ، وأن يختصّ متحف دمشق بالعهود الكلاسيكية^(٢)

(١) من الجدير بالذكر أن القطع الفنية التي تؤلف الكنيس وهي حصة سورية كانت
قد نقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية مقابل تعريض ، إلا أن الأستاذ الأمير
جعفر الحسيني محافظ متحف دمشق إذ ذاك ، أصرّ على الاحتفاظ بها فأعيدت إلى دمشق ،
وأعيد إنشاء الكنيس .

(٢) اليونانية والرومانية والبيزنطية .

والإسلامية . وعلى هذا الأساس حصل تبادل بالقطع الأثرية بين المتحفين ، وشملت آثار العهود الكلاسيكية متحف دمشق ما خلا قاعتين خصصتا لآثار الفن العربي الإسلامي ، إحداهما في الطبقة الأرضية والأخرى في الطبقة العلوية .



في سنة ١٩٣٦ جرى التنقيب في قصر الحير الغربي الواقع على بُعد ٨٠ كم إلى جنوبي غربي تدمر برئاسة الأستاذ دانييل شلومبرج ، فارتأى المسؤولون الآثريون إذ ذاك أن تنقل العناصر الزخرفية إلى متحف دمشق ، وبماد فيه إنشاء قسم من القصر إلى جوار القسم الأول من بناء المتحف ، فأعيد إنشاء القسم الأوسط من الجهة الشرقية ، وهو يتضمن الواجهة الرئيسية والباب والدهليز وجزء من رواق الباحة والدارين الملاصقتين الدهليز . ما كان من الممكن أن يحافظ على اتجاه القصر كما كان بالأصل ، فأتت الواجهة الرئيسية متجهة إلى الشمال عوضاً عن الشرق .

استمرت أعمال نقل الزخارف وتصنيفها ورسمها وترميمها وجمع أجزائها ووضعها في مكانها من البناء زمناً طويلاً ، ذلك لأن البلاد وقعت منذ سنة ١٩٣٩ في حالة حرب ، ولأن هذه الأعمال تتطلب الدقة والتروّي . وأخيراً تمّ هذا العمل الهام في سنة ١٩٥٠ ودُشّن القصر في السنة نفسها في عهد المدير العام الدكتور سليم عادل عبد الحق . وكانت هذه أول خطوة توسعية للمتحف الوطني بدمشق .



كان الجناح الجنوبي من القسم القديم من المتحف مشغولاً بمكاتب الإدارة والمعمل الفني على نحو ما ذكرنا آنفاً - فنقلت المكاتب إلى البناء الإداري الجديد في الجهة الجنوبية الغربية من المتحف ، والمعمل الفني إلى قبو هذا

البناء ، وأعيد تنظيم هذا الجناح من جديد ليكون لاثنًا بالمعارض الأثرية والفنية ، وخاصة لأنه يتميز بوجود باب خاص له . في سنة ١٩٥٢ نظم أول معرض أثري في هذا الجناح ، وقد عرضت فيه نتائج تنقيبات فنية أجريت في ماري ورأس الشمرة (اوغاريت) والرقّة والرصافة كانت المكتشفات القديمة منها نواة لفرع الآثار السورية القديمة الذي أحدث بعد قليل . صدر في سنة ١٩٥٣ تشريع جديد أصبح فيه المتحف الوطني بدمشق مؤلفًا من الفروع الآتية :

- ١ - فرع الآثار السورية القديمة ، حفظت فيه الآثار التي تعود إلى ما قبل العهد اليوناني (من الألف الثالث حتى القرن الرابع ق . م) .
- ٢ - فرع الآثار السورية من العهود اليونانية الرومانية والبيزنطية .
- ٣ - فرع الآثار العربية الإسلامية .
- ٤ - فرع الفن الحديث ، وقد نكوّن هذا الفرع بنتيجة إقامة عدّة معارض فنية دورية منذ سنة ١٩٥٠ ، اقتصي من كل منها عدد هام من اللوحات الجيدة ، فكانت المقتنيات نواة هذا الفرع .



في سنة ١٩٥٣ أنشئ الجناح الجديد من المتحف إلى غربي قصر الخير الغربي ، وهو مؤلف من ثلاث طبقات ومستودعات تحت مستوى الأرض . وقد خصصت الطبقة الأرضية لفرع الآثار العربية الإسلامية ، والطبقة الأولى للفرع الحديث ، والطبقة الثانية لتكون مقرًا للمعارض الأثرية والفنية المؤقتة . في سنة ١٩٥٤ دشنت الفروع الثلاثة الجديدة : فرع الآثار السورية القديمة ، فرع الآثار العربية الإسلامية ، فرع الفن الحديث .

في سنة ١٩٥٥ أعيد تنظيم الجناح الجنوبي (الطبقة العلوية) من القسم القديم ، وأقيم فيه معرض المكتشفات الأثرية الثاني ، فكان المعرض تظاهرة علمية موفقة ، أثارت انتباه الاختصاصيين إلى سورية وأهميتها في الميدان الأثري والمتحني .



في سنة ١٩٥٦ وضع الحجر الأساسي لامتداد الجناح الغربي للمتحف الوطني بدمشق ، وكان المشروع يتضمن إضافة رواق وست قاعات للفرع الإسلامي وقاعة محاضرات ومكتبة ، وإضافة ثلاث قاعات للطبقة الأولى حيث مقرر الفرع الحديث .



في سنة ١٩٥٨ أهدى المرحوم جميل مردم بك رئيس الوزراء الأسبق العناصر الفنية لقاعة داره الشامية المؤرخة من سنة ١١٥٠ هـ = ١٧٣٧ م ، فرأى المسؤولون إحلال هذه العناصر في قاعة المحاضرات وإكمال الزخرفة على النسق نفسه ، بحيث يُمثّل فيها الفن الشامي في القرن ١٢ هـ = ١٨ م . عهد بالعمل إلى الفنان الدمشقي الأصيل المرحوم السيد محمد علي (أبو سليمان) الخياط وأولاده وصنّاعه ، فأنت أعمال التركيب والإكمال جيدة .

ضمّ إلى الجناح الغربي سنة ١٩٦٠ رواق كان بطلّ على الملعب المجاور نقل إليه فرع الآثار السورية القديمة ، وعندئذ وصل المتحف في توسمه إلى غايته .

انتهت الأعمال العمرانية وأعمال تنظيم المتحف من جديد في سنة ١٩٦٢ ودشنت الأعمال الجديدة باحتفال رسمي . وإلى هنا نستطيع أن نقول إن المتحف الوطني بدمشق استكمل لوازمه الأساسية ؛ لكننا في الواقع لا نقبل

أن يتجمّد المتحف على هذا الشكل إلى مدى طويل ، فإن الآثار تتدفق من عدة مصادر على المتحف ، ومن الطبيعي أن نطلّ مرّين نساير سنة التطور والنمو . لهذا يبدو لنا أنه من الضروري أن نضع في مشاريعنا المقبلة بناء متحف خاص بالآثار السورية القديمة ومتحف خاص بالفرع الحديث ، ومن ثمّ يستطيع الفرعان الباقيان أن يتوسعا في المساحات التي مستغفر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن مكتشفات ما قبل التاريخ في سورية غدت كثيرة ، وهي تبشر بأن في سورية من هذا التراث المفرق في القدم شيئاً هاماً وعظيماً . ومن الطبيعي في هذه الحال أن ينشأ متحف خاص بما قبل التاريخ تسهم فيه كلية العلوم في جامعة دمشق ، أو يخصص جناح هام في المتحف المزمع إنشاؤه للآثار السورية القديمة ريثما تنهيا الإمكانات لإنشاء متحف خاص .



هذه لمحة عن تطوّر متحف دمشق منذ سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٦٩ ، لكن ما ذكرناه يتعلق بمتحف دمشق بالذات فقط ، وهو ليس بكاف لأن محافظ متحف دمشق القديم ما كانت أعماله مقتصرة على تنظيم المتحف وعرض الآثار واستقبال الزوار ؛ وإنما كان يشرف على قضايا تهريب الآثار ومراقبة تجار الآثار ومصادرة الآثار التي يتاجر بها بصورة غير قانونية ، كما كان يُعنى أيضاً بترميم الأبنية الأثرية . إذاً كان متحف دمشق القديم نواة المديرية العامة للآثار والمتاحف الحالية . ومن حقنا أن نلقي نظرة على هذه المديرية وفروعها وتنظيماتها وتتبع تطورها لتكون الصورة التي رسمتها كاملة .



تطور متحف دمشق من الناحية الإدارية حتى أصبح مديرية عامة:

كان متحف دمشق واسمه قديماً « دار الآثار الوطنية السورية » من الناحية الإدارية تابعاً لرئاسة المجمع العلمي العربي ، وإدارة المؤسستين مرتبطة بالحكومة الوطنية في ظل الانتداب الفرنسي . وكان في هيئة المفوضية العليا إدارة الآثار القديمة تولاها الأستاذ فيرولتو ثم الأستاذ سيرينغ . وكانت هذه الإدارة هي التي تشرف على جميع آثار سورية ولبنان وتمنح رخص التنقيب ، وقد سنّت قانوناً للآثار ، ووضعت تنظيماً لم تكن جميعها في مصلحة البلد ، ولكننا يمكن أن نذكر للحقيقة والواقع أن المشرفين من الفرنسيين على مصلحة الآثار كانوا مخلصين لها ، ولم يتهاونوا في حمايتها ، ما خلا عدداً ضئيلاً اشتغلوا لمصالحهم الشخصية . أما الذين أدّوا خدمات عظيمة لسورية فهم الأستاذ فيرولتو ، الأستاذ سيرينغ ، الأستاذ سوفاجه ، الأستاذ دونان ، الأستاذ شلومبرجه ، الأب ستاركي ، المهندس ايكوشار ، المهندس آبي . . . وهؤلاء كانوا مقيمين في سورية يعملون في الإدارة والتنقيب وترميم الأبنية الأثرية ، ودراسة الآثار ونشرها ، ويشرف بعضهم على بعثات التنقيب الأجنبية لئلا يساء الاستعمال .

أما علاقات متحف دمشق بالإدارة الأثرية الفرنسية ، فقد كانت علاقة ودّ وتفاهم بصورة عامة ، وقد تشكلت لجنة إدارية مشتركة برئاسة رئيس المجمع العلمي العربي ، أمين سرها محافظ متحف دمشق الأستاذ الأمير جعفر الحسني ، وأعضاؤها الأستاذ فيرولتو عن المفوضية العليا ، السيد راجي مستشار وزارة المعارف ، الأستاذ أوستاش دولوري مدير المهد الفرنسي في دمشق ومستشار الفنون الجميلة ، وعضوان من المجمع العلمي العربي ، كانت هذه اللجنة تدعى إلى الاجتماع بناء على اقتراح أمين السر وموافقة الرئيس . لم تجتمع هذه اللجنة إلا مرة واحدة .

لا يمكن أن نفعل دور المعهد الأثري الفرنسي في بيروت والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (الذي كان في الوقت نفسه مركز الفنون الجميلة) في إيواء العلماء الفرنسيين والمهندسين والعاملين في الحقل الأثري وفي تشجيع الفنون الجميلة وخاصة الصناعات اليدوية الدقيقة (الأرتيزانا) وحفظ بعض التقاليد الشعبية... ومن الجدير بالذكر أن قصر العظم بدمشق كان مقر المعهد الفرنسي ، وفيه أحييت هذه الفنون .



بعد انتهاء عهد الانتداب وجلاء القوات الفرنسية سنة ١٩٤٦ وحصول سورية على الاستقلال التام ، كان لا بد من وضع تشريع وتنظيم جديدين للآثار ، عندئذ أحدثت مديرية للآثار العامة جعل مقرها أولاً في قصر العظم بدمشق ، ثم نقلت إلى البناء الجديد المجاور لمنحف دمشق .

وضع قانون جديد للآثار سنة ١٩٤٦ كان أول ما بلغت النظر فيه حماية الآثار القومية ، وقد حُرِّم على بعثات التنقيب أن تقاسم البلد آثارها بالتساوي ، وإنما سمح لها بأن تأخذ انقطع المتكررة ؛ ولما كان لا يوجد في الآثار القديمة قطعتان متكررتان ، لأنها جميعاً من صناعة يدوية ؛ لذا فإن البعثات اكتفت بحققها في السبق بالنشر وأخذ النسخ الجصية عن القطع الأثرية التي تهتمها ، وسمح لها في حالات خاصة استعمارة الآثار بقصد دراستها كالرقم الفخارية وإعادة. عندل قانون الآثار سنة ١٩٦٣ مسابقة لسنة التطور ، وقد سمح القانون الجديد بمنح البعثات الأثرية بعض الآثار المتماثلة .



كان جهاز مديرية الآثار العامة ضعيفاً في سنة ١٩٤٦ ، وقد توسع ملاكها على مراحل : سنة ١٩٤٧ ، سنة ١٩٥٠ ، سنة ١٩٥٣ ، سنة ١٩٥٩

وقد غدا اسمها في الإصلاح الأخير « المديرية العامة للآثار والمتاحف » ، وأصبحت منذ سنة ١٩٥٣ ثم ١٩٥٩ مكونة من المديريات الآتية : مديرية الشؤون الإدارية ، مديرية المتاحف ، مديرية التفيتش ، مديرية التنقيب (الحفريات والدراسات) ، مديرية الهندسة ، مديرية الوثائق التاريخية ، مديرية العمل الفني ، شعبة التوجيه ، شعبة التصوير ، أمانة المكتبة (ملحقة بمديرية الشؤون الإدارية) .

صار للمديرية العامة فروع في المحافظات على درجات متفاوتة أهمها : مديرية آثار ومتاحف المنطقة الشمالية (وهي تضم متحف حلب والأجهزة الإدارية والفنية المائلة لدمشق الإشراف على حماية الآثار وترميمها وحفظها ...)

أحدث متحف حماة منذ سنة ١٩٥٦ ، ونظم سنة ١٩٦٠ في قصر العظم بحماة ، وجعل أيضاً مقراً مفتش المنطقة الوسطى . في الوقت نفسه أحدث متحف طرطوس وأفر في معبد طرطوس الأثري ، وأنيط بمحافظ المتحف الإشراف على الأعمال الأثرية في الساحل . أنشئ أيضاً متحف تدمر في بناء جديد وعيّن له محافظ متحف ، أنيط به الإشراف على المنطقة الأثرية . وكان متحف السويداء قد أنشئ منذ سنة ١٩٢٥ ، فلما للمتحف وبات من الضروري جداً إنشاء متحف جديد ، ومحافظ متحف السويداء يشرف أيضاً على الأعمال الأثرية في الجبل . أنشئ في بصرى متحف في سنة ١٩٦٧ في أحد أبراج القلعة ، وسمّي له محافظ يشرف في الوقت نفسه على جميع الأعمال الأثرية في حوران .

لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف مشاريع جديدة لإنشاء عدة متاحف في حمص ودير الزور واللاذقية ، وقد بات من الضروري جداً أن يمسد النظر في ملاك المديرية العامة فيوسع لتلبية الحاجة الملحة ، حتى تستطيع هذه المديرية أن تنهض بالأعباء الملوطة بها .

منجزات المديرية العامة للآثار والمتاحف :

بحسن بنا أن نختتم هذه الكلمة بخلاصة سريعة عن المنجزات التي أعطاها متحف دمشق منذ أن كان نواة حتى أصبح مديرية عامة في مدى نصف قرن .

١ - أشرنا إلى المتاحف المحدثه في المحافظات لكننا لم ننوّه بإنشاء متحف النقايد الشعبية والصناعات القديمة منذ سنة ١٩٥٣ وإقراره في قصر العظم بدمشق . إن هذا المتحف يعتبر من أجود المتاحف العالمية لموقعه في المدينة القديمة ، ولإطاره الجميل في أحسن دور دمشق ، ولعناية القائمين عليه التي تبدو في جمال العرض وحسن التنسيق وكمال الذوق .

بعد أن وضعت المديرية العامة يدها على المدرسة الحفمية التي خربتها الغارة الفرنسية سنة ١٩٤٢ ورمتها ، فقد أحدثت فيها متحفاً تمثل فيه المدرسة العربية القديمة وتطور الخط العربي . هذا المتحف في طريق الإعداد الآن . ويجدر بنا أيضاً أن نشير إلى بناء متحف حلب الجديد الذي سيكون بعد الانتهاء من إعداده من أحسن متاحف الشرق الأوسط . فهو يضم ثروة هامة من الآثار السورية القديمة وعدداً لا بأس به من الآثار الكلاسيكية والعربية الإسلامية .



٢ - عيّنت المديرية العامة بترميم الأبنية الأثرية في جميع أرجاء القطر العربي السوري حسب إمكانياتها المادية ، وكانت طبعاً تفضل الأهم على المهم ، واستطاعت في هذه المدة أن تنقذ مواقع أثرية وأبنية من الانهيار ، ولا بد من أن نشير إلى بعض الأعمال الضخمة التي حققتها في تدمير وبصرى والرقّة وحالياً في أفامية والرصافة وقلعة حلب وقلعة الحصن وقلعة المرقب وقلعة صلاح الدين والمدرسة الحفمية بدمشق والمطبخ المعجمي بحلب ... بالإضافة

إلى المؤازرة الهامة التي تقدمها إلى وزارة الأوقاف في إنقاذ المباني الدينية ،
وبخاصة جامع بني أمية في دمشق .



٣ - **الاهتمام بالتنقيب** ^(١) عن الآثار وتشجيع البعثات الأجنبية المختصة
على العمل في بلادنا لإلقاء الضوء على تراثنا العظيم . سنذكر فيما يلي ثبثاً
بالبعثات الأجنبية وآخر بالبعثات الوطنية :

البعثات الأجنبية : بعض هذه البعثات لا يزال مستمراً ، وبعضها انقطع
منذ زمن : البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ الدكتور **كلود شيفر** العاملة في
رأس الشمرة (أوغاريت) .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **أندره بارو** العاملة في تل حريري (ماري) .
البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **سيريف** التي عملت في تدمر .
البعثة الفرنسية التي عملت في حمص برئاسة الأستاذ **سيريف** .
البعثة الفرنسية برئاسة **فوزول وإشراف** الأستاذ **سيريف** في سيرهوس .
البعثة الفرنسية التي عملت في المدن الميتة في الشمال برئاسة الأستاذ **تشارلنكو** .
(وقد كان عملها يستهدف أخذ المخططات والدراسة أكثر من التنقيب) .
البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **شلوهربرج** في قصر الحير الغربي .
البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **دومينيل دوبيسون** في قطننة (الشرفة)
وخان شيخون وتدمر .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذين **جورج سال** و**أوستاش دولروي** في
مسكنة على الفرات .

(١) عرضت هذه الفقرة من البحث على السيد نسيب صليبي (من مديرية المحفريات والدراسات) .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **تورو وانجنان** والأستاذ **دونان** في أرسلان
طاش وتل أحمر وتل حاجب والعشارة .

البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ **بول بيزار** في تل النبي مند (قادش) .

البعثة الدانماركية برئاسة الأستاذ **هارولد إنهولت** في حماة .

البعثة الدانماركية برئاسة الدكتور **ريس** في تل سوكلس (قرب جبلة) .

البعثة البلجيكية برئاسة الأستاذ **هايانس** في أفامية .

البعثة البلجيكية برئاسة الأستاذ **بالتي** في أفاميه .

البعثة البلجيكية برئاسة الأستاذ **فيفيه** في تل قنّاص (حوض الفرات) .

البعثة الأمريكية الفرنسية المشتركة برئاسة الأستاذ **كيمون** بالاشتراك مع
أستاذة جامعة ييل في دورا أوروبوس منهم الأستاذ **كربلنغ** والأستاذ

براون والمهندس **بيرسون** .

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ الدكتور **أوليف غرابار** في قصر الخير الشرقي.

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ **الف سولمكي** في يبرود .

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ **كون** في جرف العجلة (قرب تدمر) .

البعثة الأمريكية برئاسة الأستاذ **فان لون** في الربيط ولسنكجية (حوض الفرات)

البعثة الإنكليزية برئاسة الأستاذة **سيتون ولياهز** في تل رفعة .

البعثة الإنكليزية برئاسة الأستاذ **مالوان** في المينا (قرب انطاكية) **ولل براك**

وشاكو بازار .

البعثة الألمانية^(١) برئاسة الأستاذ **فون أوبنهايم** في تل حلف .

البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ **شفيدر** ثم الأستاذة **أوتودورون** في الرصافة .

(١) يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه البعثة الأثرية الألمانية برئاسة الأستاذ **فون أوبنهايم**
قامت بالتغيب في الواقع عنه قبل الحرب العالمية الأولى بين سنتي ١٩١١ - ١٩١٣ .

- البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ كولوتيز في الرصافة .
 البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ الدكتور مورتغافوت في تل الفخيرية ثم
 في تل الخورة .
 البعثة الألمانية برئاسة الدكتور كلاوس بريش في جبل أميس (البادية) .
 البعثة البولونية برئاسة الأستاذ ميخائيلوفسكي في تدمر .
 البعثة الإيطالية برئاسة الأستاذ ماتبي في تل مردوخ .
 البعثة السويسرية برئاسة الأستاذ پول كولار في تدمر .
 البعثة اليابانية برئاسة الأستاذين سوزوكي وكوبوي التي قامت بتحريات
 في مواقع إنسان ما قبل التاريخ .
 البعثة الكندية برئاسة الأستاذ بيير كانيفيه في الغاب (شمالي قلعة المضيق) .
 البعثة السويدية برئاسة الأستاذ ألفريد هالدر في تل الصالحية (غوطة دمشق) .

البعثات الوطنية :

- قامت هذه البعثات بمواسم متعددة في المواقع المذكورة فيما يلي ،
 ولا يزال أكثرها مستمراً :
 بعثة التنقيب في الرقة برئاسة الدكتور سليم عادل عيسد الحق ومؤازرة
 الأستاذ دونان وتنفيذ السيد نصيب صليبي .
 بعثة التنقيب في الرقة برئاسة السيد نصيب صليبي .
 بعثة التنقيب في الرقة برئاسة الأستاذ قاسم طوير .
 بعثة التنقيب في أم حوران برئاسة الأستاذ عدنان البني بالاشتراك مع
 السيد نصيب صليبي والسيد نظمي خير .
 بعثة التنقيب في عمريت برئاسة السيد نصيب صليبي ومؤازرة الأستاذ دونان .
 بعثة التنقيب في تل الكزل برئاسة الأستاذ عدنان البني ومؤازرة الأستاذ
 دونان والسيد نصيب صليبي .

بمئة التنقيب في تدمر برئاسة الأستاذ عدنان البني وعضوية الأستاذ
خالد الأسعد والسيد نسيب صليبي .

بمئة التنقيب في تدمر (مدفن طاعي والمقبرة الشرقية والجنوبية) برئاسة
الدكتور سليم عادل عبد الحق وتنفيذ السيد نظمي خير وعبيد الله .

بمئة التنقيب في تدمر (الدفن الشرقية الجنوبية) برئاسة السيد نسيب صليبي
بالاشتراك مع السادة : عبيد الله ، نظمي خير ، سليمان المقداد .

بمئة التنقيب في مينة البيضاء برئاسة الدكتور هشام الصفدي بالاشتراك
مع السيد نسيب صليبي والرحوم أكوب كيريشيان .

بمئة التنقيب في عين دارا برئاسة الأستاذ فيصل الصيرفي .

بمئة التنقيب في دمشق (الحريقة) برئاسة الأستاذ عدنان البني وتنفيذ السيد
نسيب صليبي .

بمئة التنقيب في دمشق (الخراب) برئاسة الأستاذ عدنان البني وتنفيذ السيد
نسيب صليبي .

بمئة التنقيب في دمشق (الجامع الأموي) برئاسة الأستاذ عبد القادر الريحاني .
بمئة التنقيب في دمشق (فاخورة الصالحية) اشترك بها السيد ونيف الحافظ

والسيد نظمي خير .

بمئة التنقيب في تل الرماد قرب (قطنسا) بمؤازرة الأستاذ هنري
دوكوتانسون (تكليفاً) .

بمئة التنقيب في تل الحورية وتل أبو الشويحات بمؤازرة السيد لوفوي (تكليفاً)
والأستاذ عبد القادر الريحاني في موسم ، والسيد نسيب صليبي في
موسم آخر .

بمئة التنقيب في تل عشترة (حوران) برئاسة الأستاذ علي أبو عساف .

بعثة التنقيب في تل الخزامى (مطار دمشق الدولي) برئاسة الأستاذ هنري
دوكوتانسون تكليفاً بمؤازرة السيد مصطفى المالك وثلاثة خبراء
من الأجانب .

بعثات التنقيب برئاسة السيد رئيس الحافظ في دير القدس وأم نير وطيبة
الإمام وقحانة وصوران وأم جلال (اكتشاف قطع هامة من الفسيفساء) .
بعثة التنقيب في بصرى برئاسة السيد سليمان المقداد .
بعثة التنقيب في قنوات وشها برئاسة السيد غالب عامر .
بعثة التنقيب في اللطامنة بمؤازرة الأستاذ مودومان ثم الأستاذ هيزمون كلاوك .



٤ - أولت المديرية العامة عنايتها بحماية الممتلكات الأثرية ومنع سوء
الاستعمال في التنقيب عن الآثار بصورة غير مشروعة وتهريب الآثار ، وكانت
الدارة المختصة في معالجة هذه الأمور هي مديرية التفقيش . ومن الحق أن
نذكر أن هذه المديرية قدّمت خدمات كبيرة سواء أكان في تقديم الدراسات
والاقتراحات في ترميم الأبنية الأثرية ، أم في منع التنقيب السري وتهريب
الآثار وإساءة الاستعمال أياً كان شكله .



٥ - المنشورات : أم منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف هي
« مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية » وقد صدرت بانتظام منذ سنة ١٩٥١ .
أصدرت المديرية العامة باللغات العربية والأجنبية أدلة وكتب عن المتاحف العربية

السورية والمواقع الأثرية ، ونشرت بعض الكتب التاريخية والأثرية والفنية النافعة وبعض النشرات المبسطة . وأصدرت أخيراً مجموعات من الصور الملونة عن روائع التحف المحفوظة في متاحفها .



وأخيراً نحب أن نقول : إن ما ذكرناه هنا ليس إحصاءً تاماً مبنياً على استقصاء دقيق ، وإنما هو رصيد مجمل عن نشاط وأعمال هذه المؤسسة في مدى نصف قرن . وإذا قيس هذا الرصيد بالإمكانات الفنية والمالية والبشرية لهذه المؤسسة الصغيرة ، فإننا نجد أن منجزاتها شيء يذكر في حياة هذه البلاد . وإننا لندعو أن تهتم الدولة في رعاية هذه المؤسسة وتشجيعها ومدتها بالأموال اللازمة حتى تستطيع أن تلعب دورها وتقوم بالأعباء المترتبة عليها بشكل أكمل .

محمد أبو الفرج المش

المحافظ الرئيسي للمتحف الوطني بدمشق



ذكريات... المجمع العلمي العربي

والأستاذ محمد كرد علي

في أعقاب الفتح العربي لبلاد الشام أواخر عام ١٩١٨ وجلاء الجيش
العثماني عن ربوعها قامت في المنطقة الشرقية من بلاد الشام تحت إمرة القائد
العام لجيش الثورة العربية الثمالي (ال الشريف فيصل بك) - الملك فيصل
فيما بعد - حكومة عربية عسكرية مؤقتة تمثل أماني الثورة وحركة التحرير
العربي في تلك الأيام وتنادي بدولة عربية متحدة تضم الأراضي العربية
الحررة وتبوء الأمة العربية في المشرق مكانها تحت الشمس . وانطلاقاً من
تلك الأماني شرع روادها وحملها لوائها يوفرون أسباب قيام تلك الدولة بجميع
مُشخصاتها ، وكان من أهدافهم بالإضافة إلى بناء الجيش العربي النظامي
(القوات المسلحة) أن ينقلوا سلطان الدولة إلى الشعب عن طريق المنظمات
الشعبية والانتخابات النيابية العامة ، وأن يرفعوا صرح التعليم الجامعي بنقل
علومه وفنونه من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وأن يجعلوا من لغة
الضاد لغة التعليم والتدريس في جميع الكليات بما في ذلك (الكلية الحربية)
مع تعريب جميع المصطلحات العلمية والفنية بما في ذلك مصطلحات التدريب
المسكري وفنون الحرب والرتب والألقاب العسكرية والمدنية ، وكنيجة
حتمية لهذا المنهج أنشئت منذ قيام الحكم العسكري (لجنة التأليف والترجمة)
أواخر عام ١٩١٨ .

* * *

هذه اللجنة تحولت في فترة وجيزة وبصلاحيات أوسع إلى (ديوان المعارف) ، وهذا الديوان لم يلبث حتى ألغته الحكومة القائمة وأحلت محله (المجمع العلمي العربي) ليكون أوفى بحاجات النهضة القومية الحديثة ، وعهدت برئاسته إلى المنفور له الأستاذ محمد كرد علي لكفاءته العلمية والأدبية وشهرته الواسعة فكان أول رئيس لهذا الصرح الشامخ كما أمتنتي مميزاً للمجمع ، وإن أبقيتي في منصب (أمين السر الخالص لحاكم سورية العسكري العام) على سبيل الاستعارة ، ومن غير أن تقطع صلتني الوثقى بالأستاذ الرئيس .

وتابع الأستاذ كرد علي سيره الموفق في إدارة المجمع وفي التخطيط لمنهجه وحمل سراحه ، فانسح بحاله وأصبح أكثر من ندوة لغة أو مصطلحات ، بل أصبح مركزاً ثقافياً هاماً يتطلع إلى إحياء التراث العربي والإسلامي ، وذلك بالقاء المحاضرات الممتعة - يلقيها الزملاء وعلماء وأدباء مختصون - ووضع البحوث القيمة ونشر المخطوطات المطوية النادرة وعقد الصلوات وتبادل المعلومات مع كبار المستشرقين ورواد العلم في المغرب والشرق . وقد أنشئت للمجمع مجلته الخاصة فحفلت بمقرراته وبحوثه وظلت مناراً لآثاره وبستاناً لأزهاره وثماره . ولم يكن كرد علي في مسلكه ومنهجه وما وجّه إليه المجمع مع زملائه إلا مرآة لمذهب أستاذه أو مدرسة أستاذه (الشيخ طاهر الجزائري) رحمه الله . تلك المدرسة التي فتحت عينها على أضواء الدستور العثماني الأول (دستور مدحت باشا أبي الأحرار العثمانيين) وعلى حركة اليقظة العربية الأولى والإصلاح الإسلامي منسجمة إلى حد كبير مع دعوة السيد جمال الدين الأفقاني وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ محمد عبده .

وكان الشيخ طاهر الجزائري من الذين استهوام العلم فمشقوا المعرفة للمعرفة ، وتبحروا في المقول والمنقول ، وعاشوا عيشة زهد وتقشف واستغراق في الهوايات الروحية والحياة الفكرية ، وله في العلوم العربية والإسلامية

مؤلفات قيمة منها (توجيه النظر إلى أصول الأثر) و (التقرب إلى أصول التعريب) و (التبيين في معاني القرآن) ومن أمتع كتبه المخطوطة وأنفعها (الكناشات) وقد علمت أنها فقدت بعد وفاته لسوء حظ المكتبة العربية (١) . والشيخ طاهر هو الذي أسس مكتبة الملك الظاهر وحشد فيها نفائس المخطوطات والطبوعات ، وهي المكتبة التي آلت إلى المجمع العلمي العربي وكان الأولى أن تسمى (المكتبة الطاهرية) لا (الظاهرية) نسبة إلى مؤسسها وتخليداً لذكره الطيب وعمله البرور .



أعود بعد ذلك لمتابعة كرد علي أتأثرُ بخطاه ، وأتحدث عن مثداه وممسه ، مشيراً إلى أبي عرف الأستاذ أول ما عرفته سنة ١٩١٢ عندما غادرت بيروت إلى دمشق لتوثيق الصلات وشد الأواصر بين طلاب البلدين ، وكانت الحركة الطلابية العربية في أوج نشاطها وعنفوان شبابها ، وللكرد علي يومئذ صحيفتان صحيفة (المقتبس) اليومية ومجلة (المقتبس) الشهرية ، أولاهما تدعو إلى التحرير السياسي والثانية إلى التحرير الفكري . كانت الصحيفتان مركزاً من مراكز القوة الأدبية في بلاد العرب ، ولهما أثر محمود في توجيه الشباب العربي ، والدعوة إلى رفع الكيائم وشد العزائم ، وقد كان الكرد علي يومئذ ثالث ثلاثة في دمشق : (شكري المسلي) نائب دمشق وخطيبها الشجاع في البرلمان العثماني ، و (عبد الوهاب الانكليزي) مفتش الملكية أو المفتش الإداري والداعية الأنيس الرصين إلى الإصلاحات الادارية في بلاد العرب ، و (الأستاذ كرد علي) نفسه وهو صاحب القلم الحر والنقد اللاذع المر ، وشدهما كانت متبطلاً بلقاء الأستاذ المناضل في مكتب (المقتبس) لما تميز به رحمه الله من لطف المقابلة وحسن المجاملة ووضوح المداولة ، ورأيت عنده الدكتور (صلاح الدين القاسمي) شقيق العلامة (الشيخ جمال الدين القاسمي) صاحب

(١) لم يقد وهي محفوظة الآن بدار الكتب الطاهرية . (المجلة)

(مصطلح الحديث) وناشر (لقطة العجلان) الإمام الزركشي . أما الدكتور القاسمي فقد كان طبيباً وأديباً ومن النقاد الموهوبين المنصفين ، تصدى ابن أمروفا في نقد الكاتب المجدد (مصطفى الطفي المنفلوطي) فنشر في مجلة المقتبس مقالاته المتسلسلة (نظرات في النظرات) فأبدع وأنصف وأفاد ، وقد تعارفنا في هذا اللقاء لأول مرة وتبادلنا الأحاديث القومية والأدبية ، وحدد الأستاذان بحماسة وكياسة معالم الطريق ، وانتهى بنا المجلس على خير ما أوردنا . وقد كان الأستاذ كرد علي يومئذ غير مأمون الجانب لدى غلاة الطورانيين حتى إذا تشبهوا باضطهاده ، في فترة من فترات تهمرم فرّاً إلى الغرب وتنقل في أرجائه ، واتصل بدور كتبه ومتاحفه ومماهده ومعايده ، واضطلع عن كتب على مسالك الحياة الغربية والتقدم المادي والأدبي في أوروبا ، وكتب كتابه (غرائب الغرب) فازداد بذلك شهرة ومكانة ، ودار الفلك دورته فلم ألق الكرد علي إلا في صيف عام ١٩١٤ قبيل الحرب العالمية الأولى ، وكنت في طريق عودتي إلى ديار الشام من القاهرة ، فمررت بدمشق وعلمت أنه قد عاد إلى الوطن ولم يستأنف إصدار صحيفته ، بل لزم بيته مكباً على دراساته التاريخية الخاصة ، فزرت في منزله مشوقاً إلى لقائه ، ووجدت عنده زائراً آخر هو (الشيخ محمد الخضر حسين) التونسي من كبار علماء تونس وأحرارها ، وهو الذي تولى بعد زمن طويل ولمدة من الوقت مشيخة الجامع الأزهر في عهد الثورة المصرية الحاضرة . وقد أُنِستُ بقاء الأستاذين الكبيرين معاً ، وتبادلنا الأحاديث عن المغرب والشرق ، وكان الكرد علي في سبيله إلى إنجاز كتابه الكبير (خطط الشام) الذي سلخ في تأليفه وجمع مواد أربعة عشر عاماً ، وأعلمنا في ذلك المجلس أن رحلته إلى الغرب وما اطلع عليه في دور كتبه من مخطوطات عربية وإسلامية نادرة ولا سيما في (روما) قد أعانته كثيراً على إنجاز مخطوط كتابه (خطط الشام) . م (٢٦)

ودعنا الأستاذ مقتبطين ببقائه المؤنس وحديثه النافع ، ولم ألقه بعد ذلك حتى عام ١٩١٥ وكانت الحرب العالمية الأولى قد عمّت خطبها واستفجرت كرمها وأخذت تهب رياح الاضطهادات المشهورة في بلاد العرب ، وقائد (عربستان) أو قائد الجيش الرابع (جمال باشا) قد بدأ يسوق أحرار الأمة إلى (الديوان العرفي) في عاليه بمقد وعنف ، وجاء دور صاحبي الكرد علي (شكري المسلي) و (عبد الوهاب الانكليزي) فكان نصيبها كجعله الشهداء الأبرار وجهه أغبر وموت أحرار . وليس الكرد علي على رأسه فأثر (الفقيه) ، ولبس ثوباً غير ثوبه كما حمل قلماً غير قلمه ، ودخل فيما أسماه بعد ذلك (أدب الحرب) وهو ما سمعته يمتع به كتابيه (النهضة العلمية) و (الرحلة الأنثوية) وعندما وضعت الحرب أوزارها وجلا العثمانيون عن الوطن ظل ملتصقاً بوطنه ، وهو يعلم أن له من الماضي الحافل ومحصول فتحه المضاء ما يغطي على الزوان ورحب به المهدي العربي الجديد ولم يتخل عنه إخوانه القدماء ، بل التقوا معه على درب العلم فولوه رئاسته ، فكان أول رئيس للمجمع العلمي العربي على ما أسلفنا .

وكان البقاء كل البقاء والذكرى أنفع الذكرى لهذا المجمع العلمي ورائديه الأول ، وقد مر على تأسيسه نصف قرن ، وما زال راسخ البنيان مشرق الإيمان والبيان ، ومسيرته هي المسيرة تلوح على الدوام شعلة في قمة ، وعلماً في أمة .

محمد الشربجي



نظرة في مجمع اللغة العربية في دمشق

إدارات التربية (المعارف) عندنا عبارة عن إدارة المدارس الابتدائية والثانوية لا غير ، ثم دخلتها مؤخراً ، إدارة الكليات ثم الجامعة ، وكلها إدارة مدرسية لا غير .

وإن ما يرفع العلوم والآداب إلى مستوى مقبول ومركز على ثقافة راقية المؤسسات العلمية والأدبية والفنية ، وهذه هي جماع الثقافة المقبولة .
وإن جهودنا التفتت إليها من وقت قريب . وكانت المدارس العلمية تقوم بها ، فأنصرفت عنها الأذهان لما لحقها من خمول نوعاً من عدم العناية بها ، وإهمال رعايتها .

وعندنا في الشام أول مؤسسة عربية علمية أدبية تكونت على يد أفاضل كانوا حريصين على ثقافة الأمة وأن ترتفع عن مستواها هذه المؤسسة .
كان الأستاذ محمد كرد علي المغفور له زاول الصحافة مدة وأظهر جريدة المقتبس ، ومجلة المقتبس وعلم قيمة التعاون العلمي ، ولحظ أن من أجله ما ينفع ثقافة الأمة وإعلاء شأنها .

اجتمع مع أفاضل من أهل الشام ، وأكابر رجالهم لهذا الغرض . فقرروا تأليف (مجمع علمي بدمشق) ، فلم تمنع الدولة في تشكيله بل رحبت بالمشروع وتم رسمياً . ودعي للمشاركة فيه جماعة من أفاضل أهليه . ومن سائر الأقطار

العربية والإسلامية والأجنبية . وكان تأسيسه في سنة ١٩١٩ م . ولم تمض مدة حتى تأسست له :

١ — (مجلة المجمع العلمي بدمشق) ، وصدر أول عدد منها في سنة ١٩٢١ م ثم سميت أخيراً بـ (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) . والآن بهذا الاسم ودامت من حين صدور أول عدد منها إلى اليوم مستمرة النشر . وهذه المجلة أكبر ظاهرة لأعمال المجمع المهمة . في خلال عمرها اللديد . ونأمل لها الحياة السعيدة الطويلة .

وفي بحوثها أفادت الثقافة والدراسات العربية كثيراً ، وصارت من جلّ المصادر . اشترك في تحريرها علماء وأدباء كثيرون . وتراكت بحوثهم فصارت لا يستهان بها للمتبعين . ومصدراً مهماً من مصادر الدراسات العلمية . وقد نرى فيها ما نراه في غيرها .

٢ — ولم تقف أعمال المجمع عند هذا ، وإنما نشر بعض المحاضرات على حدة .

٣ — أحيت بعض التراث النافع من آثار الأمة .

٤ — نشرت بعض آثار كتابها وغيرهم .

٥ — أسست خزانة كتب يحتاجها المتبع كثيراً ، ولا يستغني عنها بوجه ، ومن جملة ما فيها مجلة المجمع . وصارت مجموعة كبيرة .

وبذلك زادت في الثقافة والثروة العلمية . وفي هذا العمل الجليل ما يشكر عليه المجمع . ويمثله ترداد الحركة العلمية والأدبية وتنتمش وتتوالى البحوث ، وترسخ في نمو وازدياد وتكامل ونشاط .

عاش المجمع عيشة طيبة نافعة ، نرجو له الدوام مادامت الحياة بخالدة سعيدة في تكامل وتزايد . ومجلته روضة مختلفة الألوان . وفيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين . فيها من المعرفة ضروب . ومن الثقافة أنواع شتى .

لا تقابل بجهود شخص ، بل هي مجموعة جهود . وبذلك علت قيمتها ، وارتفع قدرها . وزاد ثمنها ...

ونحن الآن في زمن تقاربت أقطاره الشاسعة ، وحصل إمكان تعاون ثقافي أكبر في أقطار عديدة . فمن الضروري التعارف ، وتبادل هذه الثقافة ليعلو المستوى العلمي والأدبي ، استفادة من كل تجدد ، اتصلت مجامعه ، وزاد تبادل الثقافة . وجل ما نتمناه أن تؤكد الصلات ، وأكثر ما همنا إحياء التراث العربي . ليزيد في ثقافته الأمة ، من جنس ما تتطلب فقد كشف عنها الغطاء ، وفيها نشاط العلوم والآداب التي هي أولى بنا ، ونحن أحق بها ، وأهلها ، واليوم خزائن الكتب مفتوحة ، ومعدة للراغبين . وفيها ما يطمئن الحاجة العلمية والأدبية مما تدعو للمعرفة المكنية ، وتعين الماضي الجليل للأمة وعلاقة كل قطر به وربما شارك أقطار عديدة . وتقديم خدمة من الواحد خدمة لكل . وهذا المجموع ثروة متراكمة ومهمة من مدة تحتاج إلى إشارة وإحياء .

وفق الله العاملين لخير الأمة

عباس المزاي



آراء وأبناء

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٨٨ / ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الدكتور حسني سبيع

١٠ الأستاذ عارف النكدي	٢ الدكتور أسعد الحكيم
١١ عبد الهادي هاشم	٣ أجمد الطرابلسي
١٢ الدكتور عدنان الخطيب	٤ الأستاذ جعفر الحسني (الأمين العام للمجمع)
١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار	٥ الدكتور جميل صليبا
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	٦ حكمة هاشم
١٥ محمد كامل عياد	٧ سامي الدهان
١٦ الأستاذ محمد المبارك	٨ الأستاذ شفيق جبري
١٧ وجيه السمان	٩ الدكتور شكري فيصل

الأعضاء المرسلون

الجمهورية العربية المتحدة	الجمهورية العربية السورية
٥ الدكتور أحمد زكي	١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٦ طه حسين	٢ الأستاذ عمر أبو ريشة
لبنان	٣ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٧ الأستاذ أمين نخلة	٤ الدكتور قسطنطين زريق
٨ أنيس المقدسي	

السودان

٢٥ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٦ الأستاذ حمد الجاسر

٢٧ = خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٨ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٩ الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور

٣٠ = محمد الفاضل ابن عاشور

٣١ = عثمان الكماك

المملكة المغربية

٣٢ الأستاذ عبد الله كنون

٣٣ = علال الفاسي

إيران

٣٤ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٥ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي

٣٦ = أبو الحسن علي الحسيني الندوي

باكستان

٣٧ الأستاذ عبد العزيز الميعني

٩ الدكتور صبحي المحمصاني

١٠ = عمر فروخ

١١ الأستاذ محمد جميل بهم

فلسطين

١٢ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الاردنية الهاشمية

١٣ الأستاذ محمد الشريقي

١٤ الدكتور ناصر الدين الأسد

الجمهورية العراقية

١٥ الأستاذ أحمد حامد الصراف

١٦ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث

١٧ الأستاذ عباس الغزاوي

١٨ الشيخ كاظم الدجيلي

١٩ الأستاذ كوركيس عواد

٢٠ الشيخ محمد بهجة الأثري

٢١ الدكتور مصطفى جواد

٢٢ = فيصل دبدوب

٢٣ الأستاذ ناجي معروف

٢٤ = محمود شيت خطاب

اسبانية	٣٨ الأستاذ محمد صغير حسن معصومي
٥٠ الأستاذ غومز (اميليو غارميا)	٣٩ = يوسف البنوري
النمسة	فرنسة
٥١ الدكتور اشتولز (كارل)	٤٠ الدكتور بلاشير (رجبس)
٥٢ الأستاذ موجيك (هانز)	٤١ الأستاذ كولان (جورج)
ايطاليا	٤٢ = لاومت (هنري)
٥٣ الأستاذ جبريلي (فرانسيسكو)	٤٣ = ماسه (هنري)
هولاندة	بريطانية
٥٤ الدكتور شخت (يوسف)	٤٤ الأستاذ أوربي (أ. ج.)
الدانيمرك	٤٥ = جيب (أ. ه. ر.)
٥٥ الأستاذ بدرسن (جون)	المانية
فدلاندة	٤٦ الأستاذ ريتز (هلموت)
٥٦ الأستاذ كرميكو (يوحنا هتثن)	السويد
البرازيل	٤٧ الأستاذ ديدرغ (س.)
٥٧ الأستاذ رشيد سليم الخوري	الولايات المتحدة الاميركية
المجر	٤٨ الدكتور ضودج (يارد)
٥٨ الدكتور عبد الكريم جرمانوس	٤٩ = فيليب حتي



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

- ٢٢ الأب جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطنطين الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ = راغب الطباخ
٢٨ = عبد الحميد الجباري
٢٩ = عبد الحميد الكيالي
٣٠ = محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ أمين موييد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الأستاذ ميري قندلفت
٣٩ = عز الدين القنوشي (نائب الرئيس)
٤٠ = نظير زيتون
٤١ = الرئيس الأمير مصطفى الشهابي
الجمهورية العربية المتحدة
٤٢ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٣ = رفيق العظم

الجمهورية العربية السورية

- ١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ = سليم البخاري
٣ = مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ = أنيس سلوم
٦ = جميل العظم
٧ = سليم عنجوري
٨ = عبد الله رعد
٩ = رشيد بقدونس
١٠ = أديب الثقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناؤوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ = محمد البزم
١٦ = سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الأستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ٦٩ الأستاذ أحمد لطفي السيد | ٤٤ الأستاذ أحمد كمال |
| ٧٠ عباس محمود العقاد | ٤٥ أحمد تيمور |
| ٧١ خليل ثابت | ٤٦ أحمد زكي باشا |
| ٧٢ الأمير يوسف كمال | ٤٧ الدكتور يعقوب صروف |
| ٧٣ الأستاذ أحمد حسن الزيات | ٤٨ السيد محمد رشيد رضا |
| لبنان | ٤٩ الأستاذ حافظ إبراهيم |
| ٧٤ الأستاذ حسن بهم | ٥٠ أحمد شوقي |
| ٧٥ الأب لويس شيخو | ٥١ الشيخ أحمد الاسكندري |
| ٧٦ الشيخ عبد الله البستاني | ٥٢ الأستاذ أسعد خليل داغر |
| ٧٧ الأستاذ جبر ضومط | ٥٣ داود بركات |
| ٧٨ عبد الباسط فتح الله | ٥٤ الدكتور أمين المعلوف |
| ٧٩ الشيخ عبد الرحمن سلام | ٥٥ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي |
| ٨٠ مصطفى الغلاييني | ٥٦ الشيخ عبد العزيز البشري |
| ٨١ الأستاذ عمر الفاخوري | ٥٧ الدكتور أحمد عيسى |
| ٨٢ بولص الخولي | ٥٨ الأمير عمر طومسون |
| ٨٣ أمين الريحاني | ٥٩ الشيخ مصطفى عبد الرازق |
| ٨٤ الأمير شكيب أرسلان | ٦٠ الأستاذ أنطون الجميل |
| ٨٥ الشيخ إبراهيم المنذر | ٦١ خليل مطران |
| ٨٦ الأستاذ جرجي بني | ٦٢ إبراهيم عبد القادر المازني |
| ٨٧ الشيخ أحمد رضا | ٦٣ محمد لطفي جمعة |
| ٨٧ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف | ٦٤ الدكتور أحمد أمين |
| ٨٩ فيليب طرازي | ٦٥ الأستاذ عبد الحميد العبادي |
| ٩٠ الشيخ فؤاد الخطيب | ٦٦ الشيخ محمد الخضر حسين |
| | ٦٧ الدكتور عبد الوهاب عزام |
| | ٦٨ منصور فهمي |

الجمهورية التونسية

١١٢ الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب

الجمهورية الجزائرية

١١٣ الشيخ محمد بن أبي شنب

١١٤ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١١٥ الأستاذ محمد الحنجوي

١١٦ عبد الحي الكتاني

تركية

١١٧ الأستاذ زكي مغامر

١١٨ أحمد أتش

ايران

١١٩ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني

١٢٠ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١٢١ الحكيم محمد أحمل خان

فوننة

١٢٢ الأستاذ فران (جبرئيل)

١٢٣ هوار (كليمان)

١٢٤ بوقا (لوسيان)

١٢٥ مالنجو

٩١ الدكتور تقولا فياض

٩٢ الشيخ سليمان ظاهر

٩٣ الأستاذ مارون عبود

٩٤ - بشارة الحوري (الأخطل الصغير)

فلسطين

٩٥ الشيخ سعيد الكرمي

٩٦ الأستاذ نخلة زريق

٩٧ الشيخ خليل الخالدي

٩٨ الأستاذ عبد الله مخلص

٩٩ - محمد إسعاف النشاشيبي

١٠٠ - عادل زعير

١٠١ الأب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

الجمهورية العراقية

١٠٢ الأستاذ محمود شكري الآلوسي

١٠٣ - جميل صدقي الزهاوي

١٠٤ - معروف الرصافي

١٠٥ - طه الراوي

١٠٦ الأب أنستاس ماري الكرملي

١٠٧ الدكتور داود الجيلي

١٠٨ الأستاذ طه الهاشمي

١٠٩ - محمد رضا الشبيبي

١١٠ - ساطع الحصري

١١١ - منير القاضي

١٤٥ الأستاذ ماهر (ادوارد)

الولايات المتحدة الأمريكية

١٤٦ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)

١٤٧ = هرزفلد (ارنت)

١٤٨ = سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٤٩ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)

١٥٠ = برتاز (ايفيكن)

اسبانية

١٥١ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٥٢ الأستاذ لويس (دافيد)

إيطالية

١٥٣ الأستاذ جويدي (اغنازيو)

١٥٤ = فالينو (كارلو)

١٥٥ = غريفي (اوجينيو)

سويسرة

١٥٦ الأستاذ مونته (ادوارد)

١٥٧ = هس (ج . ج .)

بولونية

١٥٨ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

١٢٦ الأستاذ كي (ارتور)

١٢٧ = باسه (رينه)

١٢٨ = ميشو بلير

١٢٩ = مارسيه (وليم)

١٣٠ = دوسو (رينه)

١٣١ = ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٣٢ الأستاذ مرجليوث (د . س .)

١٣٣ = بفت

١٣٤ = براون (ادوارد)

١٣٥ = كرينكو (فريتز)

١٣٦ = غليوم (الفرد)

ألمانية

١٣٧ الأستاذ هومل

١٣٨ = ساخاو (ادوارد)

١٣٩ = هوروفيتز (يوسف)

١٤٠ = هارتمان (مارتين)

١٤١ = ميتفوخ (أوجين)

١٤٢ = بروكلين (كارل)

١٤٣ = هارتمان (ريشارد)

المجر

١٤٤ الأستاذ غولد صير (اغناطيوس)

الدانبارك	تشكوسلوفاكيا
١٦٣ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)	١٥٩ الأستاذ موزل (الوا)
١٦٤ = استروب (ج .)	
السويد	هولاندة
١٦٥ الأستاذ سترستين (ك . ف .)	١٦٠ الأستاذ هورغرنه (سنوك)
البرازيل	١٦١ = اوراندوك (ك .)
١٦٦ الأستاذ سميد أبو جرة	١٦٢ = هوتسا (م . ت .)



بيان أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق للدورة سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ (١)

نستهل هذه الدورة لعام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ برئاسة رئيسنا الجديد الأستاذ الدكتور الفاضل حسني سبيح الذي أجمع السادة الأعضاء على انتخابه في آخر جلسة من الدورة السابقة المنعقدة بتاريخ الثلاثين من شهر أيار ١٩٦٨ لهذا المنصب العلمي الخطير فجاء خير خلف لخير سلف وأتمت هذه المناسبة لأقدم لسيادته باسمكم جميعاً أطيب الترحيب متمنين في عهده للمجمع دوام الازدهار والمزيد من التوفيق في خدمة أغراضه العلمية رحم الله السلف ومد بصر الخلف وأيده بعنايته .

يطيب لي ياسادتي أن أعرض لكم بياناً موجزاً عن مجتمكم في دورته السابقة وما حققه خلالها من الشروعات وما ينوي القيام به في دورته الحالية .

المطبوعات :

قرر مجلسكم الموقر في دورته السابقة طبع عدد من المخطوطات أوكل إلى أمانة المجمع العمل على تنفيذها إلا أنه حالت بمض الصعوبات دون تحقيق أكثرها مع الأسف منها صعوبات مالية ، ومنها إدارية وهي التي عرقلت سير أعمال المجمع وأضررت بها ، وهنالك سبب آخر لا يقل خطورة عما ذكرت وهو حجز مطابع دمشق عن تلبية حاجة المجمع وإنجاز مطبوعاته في مواعيدها وعذرها هو أزمة المال التي تشكو منها أكثر المطابع ، وعلى الرغم من كل ذلك فقد تمكنا من إنجاز طبع الكتب الآتية :

(١) تلي هذا البيان في الجلسة الافتتاحية لمجلس المجمع المنعقدة بتاريخ ٣ تشرين الأول ١٩٦٨ .

- ١ - ديوان صاحب شرف الدين الأنصاري .
 - ٢ - رسالة آداب المشرة وذكر الأخوة للغزي .
 - ٣ - الأمير مصطفى الشهابي - حياته .
- وقاربت الكتب التالية على النهاية وستصدر خلال الأسابيع القليلة القادمة وهي:
- ١ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الوطنية (قسم الحديث) .
 - ٢ - " " " " " " (قسم الطب) .
 - ٣ - خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ملحق شعراء الشام) .
 - ٤ - التنبيه على حدوث التصحيف لحزمة الأصفهاني .

المجلة :

صدر منها المجلد (٤٣) لعام ١٩٦٨ ، ويمتاز هذا المجلد بوفرة بمحوته التي وضمتها نخبة من الباحثين السوريين وغيرهم من أعلام العرب ، مما حملنا على مضاعفة حجم المجلة وزيادة صفحاتها وهذا الإقبال المتزايد على الكتابة بالمجلة هو دليل على مكاتبتها وتقدير العلماء والأدباء والباحثين لها .

مطبوعات جديدة :

علينا في هذه الدورة السابعة إنهاء ما تبقى من الكتب التي قرر مجلسكم طباعتها وعددها / ١١ / كتاباً في دورته السابقة وحالت الظروف دون إنجازها مع إضافة الكتب الجديدة التالية :

- ١ - ديوان الخالدين جمع وتحقيق الزميل الدكتور سامي الدهان .
- ٢ - قطب السرور لأبي إسحق القيرواني : تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .
- ٣ - كتاب اللامات للزجاجي : تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- ٤ - ديوان ابن هرمة جمع وتحقيق السيد محمد نفاع .

الوفيات :

فجع الجمع خلال الدورة السابقة بوفاة رئيسه المرحوم الأمير مصطفى الشهابي بعد تسع سنوات من توليه رئاسة الجمع ، وهو ثالث رؤسائه بعد المغفور لهما محمد كرد علي و خليل مردم بك وقد فقد الجمع بوفاته علماً من أعلام اللغة العربية وعضواً من أبرز أعضائه العاملين على تحقيق أغراضه ، ومن الوفاء لذكرى الفقيد تسجيل هذه الحقيقة وهي أن مدة رياسته كانت من أزهى ما عرفه بجمعنا خصباً منذ تأسيسه حتى يومنا هذا . وقد كتب في مجلة الجمع الزميل الدكتور عدنان الخطيب سيرة وافية عن حياة الفقيد ومنزله العلمية وهي تغنيننا على التكرار تفعمده الله برحمته وأجزل ثوابه .

وتوفي من الأعضاء المراسلين المرحومان :

- ١ - الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) من لبنان .
 - ٢ - الأديب الكبير أحمد حسن الزيات من الجمهورية العربية المتحدة .
- رحمها الله رحمة واسعة .

انتخابات :

- ١ - انتخب الأستاذ الدكتور حسني مبيح رئيساً للجمع خلفاً للرئيس الراحل المرحوم الأمير مصطفى الشهابي .
- ٢ - الأستاذ وجيه السمان عضواً عاملاً خلفاً للمرحوم فارس الخوري .
- ٣ - الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً خلفاً للمرحوم عز الدين التنوخي .

ملء الشواغر :

- على مجلس الجمع في هذه الدورة ملء الشواغر التالية :
- ١ - نائب الرئيس .
 - ٢ - الأمين العام .
 - ٣ - عضوان عاملان خلفاً لمرحومين الدكتور مرشد خاطر والأمير مصطفى الشهابي .
 - ٤ - أعضاء مراسلون من البلاد العربية والأجنبية .
 - ٥ - وظائف إدارية في الجمع ودار الكتب الظاهرية .

إنشاءات :

أنهى الجمع هيكل الجناح الجديد الملحق بدار الكتب الوطنية الظاهرية ونأمل أن يتم البناء نهائياً خلال الدورة الحالية . وقد عهد استكمال نواقص البناء إلى متعهد . على أن ينجزها خلال ستة أشهر من تاريخ المباشرة ، سيتمتع البناء الجديد لنحو (٣٠٠) قارئ أي أضعاف ما تمتوع به غرفة القراءة الحالية ، ونأمل أن نحصل في ميزانية العام القادم على الاعتمادات الكافية لنهي المرحلة الثانية والأخيرة من برنامج توسيع دار الكتب المذكورة لتمكين من استيعاب نحو (٥٠٠) قارئ في قاعات مجهزة بجميع وسائل الراحة الحديثة . لم يطرأ على دار الكتب الوطنية ما يجب بيانه فهي تسير سيرها المعتاد ، وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لوقاية المخطوطات من أخطار الطوارئ فحمت نقائسها ضمن صناديق ممدنية .

م (٢٧)

شعبة التصوير :

أنجزت خلال هذه الدورة الأعمال التالية :

- ١ - تصوير وتحميض (٢٤٠) فلماً (ميكرو فلماً) .
 - ٢ - تصوير (٨٠٤) مخطوطات من مختلف المقاييس والحجوم .
 - ٣ - الصور المسحوبة (١٨٠٠٠٠) صورة ميكروفلم .
- وبذلك يصبح مجموع ما صور من مخطوطات دار الكتب حتى الآن (٧٥٠٠) مخطوط أي نحو ثلثي الموجود فيها .

الخاتمة :

هذا أيها الزملاء يحمل ما حققه المجمع في الدورة السابقة وزجو أن نوفق في السنين المقبلة إلى مضاعفة الجهد في سبيل خدمة الأغراض التي نعمل من أجلها جميعاً والله الموفق وبه نستعين .

الأمين العام

جعفر الحسيني



تقرير

إلى الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
عن الاشتراك في الحفل التأسيسي الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة
للرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي

مقدم من الزميلين : رئيس المجمع الدكتور حني سبيع والعضو الدكتور
شكري فيصل .

الزملاء الأفاضل :

تحية طيبة . وبعد فقد كان بجمعكم الموقر تلقى رسالة من زميله مجمع
اللغة العربية في القاهرة يطلب منه الإسهام في الحفل التأسيسي الذي قرر إقامته
للرئيس السابق المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة في ٢٩/١٠/١٩٦٨

وقد عرض الموضوع على اللجنة الإدارية في جلستها المنعقدة يوم الخميس
الواقع في ٢٤/١٠/١٩٦٨ فشكرت لمجمع القاهرة صنيعه ورأت ضرورة
الاشتراك في الحفل للمكانة البارزة التي كانت للفقيد الكبير الذي شغل رئاسة
مجمعنا تسع سنوات وكان عضواً عاملاً فعالاً في مجمع القاهرة منذ انتخابه فيه
سنة ١٩٥٤ وأدى واجبه نحو اللغة العربية والفكر العربي في تصميم ومتابعة
وإخلاص قل أن يكون له مثيل .

وبعد سلسلة من الاتصالات والمحادثات الرسمية وافقت المراجع المسؤولة

في الدولة على المشاركة بالزميلين مقدمي هذا التقرير الموجز واللذين يسعدهما أنهما قاما بهذه المهمة التي أنيطت بهما نيابة عنكم وتمثيلاً لجمعكم الموقر :

١ — غادرنا دمشق مساء يوم الأحد الواقع في ٢٧/١٠/١٩٦٨ وكانت اجراءات السفر قد انتهت آخر الدوام الرسمي فوصلنا القاهرة ليلاً .

٢ — وبادرنا في صبيحة يوم الاثنين ٢٨/١٠/١٩٦٨ للاتصال بالأمين العام لجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ الدكتور ابراهيم مذكور ثم التقينا به عقب ذلك في دار الجمع ودار حديث أولي كان هدفنا الرئيسي منه الحرص على تأكيد الروابط القوية التي تصل بين الجمعين ، والأهداف التي تجمعهما والطريق المشتركة التي لا بد من تعاون القوى على قطعها في هذه المرحلة الخطيرة من مراحل التطور العلمي والفكري في الوطن العربي .

وكان يجمعنا في هذا الحديث وفي الأحاديث الأخرى التالية الإعانة المشترك بأن اللغة العربية يجب أن تكون هي أداة البيان في هذا التطور ، لأن كل تطور علمي يتم بعيداً عن اللغة العربية سيكون بعيداً عن روح الأمة ونقطة انقسام خطير بين عقلاها المتجدد وروحها الأصيلة .

وقد جهدنا أن نؤكد على وحدة الجمعين وتمائلها الكامل في الأهداف والنظام والإدارة وأن كل منها لا يخرج عن أن يكون فرعاً في عاصمة من القطرين ، وأنه لا شيء يشغل أعضاء بحكم الموقر مثل متابعة المسيرة المشتركة في هذا السبيل .

٣ — ولقد كانت النقطة الأولى التي أكدنا عليها في طريق الهدف هذا التواصل الذي يجب أن يبلغ أبعد آماده بين الجمعين فقد غبرت سنوات أوشك

ففي هذا الاتصال أن يؤول إلى شيء من جمود أو ما يشبه ما يكون جموداً ، لا في نطاق المؤتمرات والدورات فحسب بل حتى في نطاق تبادل المطبوعات الذي هو أدنى حدود التواصل في الطريق المشتركة لذلك أثراً موضوع مطبوعات مجمع اللغة وتشتمل على ما يلي :

- أولاً : مجموع البحوث والمحاضرات وقد صدر منه ٣ أجزاء .
- ثانياً : مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع وقد صدر منها عشرة أجزاء .
- ثالثاً : مجلة المجمع وقد صدر منها حتى الآن ٢٣ مجلداً .
- رابعاً : معجم ألفاظ القرآن الكريم وقد صدر منه أربعة أجزاء الأولى منها مفقود .

وعلمنا بعد أن الجزئين الخامس والسادس وهما خاتمة الأجزاء قدما للطبع وإنهما سيصدران قريباً وسيتم ذلك أن تعاد الطبعة (لفقده بعض الأجزاء) على ورق أفضل وبناية أكمل .

٤ - ونجد من الحق علينا أن نقول أن السيد الأمين العام لمجمع القاهرة كان يشاركنا هذا الاهتمام ويدفع قبلنا إليه ، ذلك لأن أحدنا الدكتور مسيح كان بدأ في رحلة سابقة إلى القاهرة في الجولة الأولى في هذا الموضوع وانتهينا إلى إقرار التواصل الكامل في هذا الشأن : شأن المطبوعات .

٥ - غير أن المشكلة التي حدثنا الأمين العام أنها واجهته هي ضخامة العدد المرسل من المطبوعات بعدد أعضاء المجمع المقرر . وضمانة وصوله واختيار أفضل السبل إلى ذلك إما عن طريق الجو وهو متعذر لضخامة النفقة ، أو عن طريق البحر وتواجهه فكرة ضمان الوصول . ولكنه لم يقعد عن

مواجهة المشكلة فقد اتصل بالسيد سفير الجمهورية العربية السورية الأستاذ سامي الدروبي وتحدث معه في هذا الشأن بغية الوصول إلى سبيل مضمونة في ذلك ووعدته سيادة السفير بكل عون .

٦ - وقد استمر هذا الحديث الأول نحواً من ساعة ثم حان موعد جلسة الجمع العامة التي تعقد الساعة الحادية عشرة من كل يوم اثنين خلال انعقاد دورة الجمع وبجضرها جميع الأعضاء فدعينا إلى حضورها والتقىنا بيده الجلسة بأكثر الأعضاء في أحاديث قصيرة كان قوامها دائماً التقدير لجمعكم والحرص على تتبع نشاطه وحين أقبل الدكتور طه حسين رئيس الجمع متكئاً على ساعد زوجته من طرف ، وأحد الزملاء من طرف آخر ، افتتحت الجلسة بكلمة مؤثرة صادقة الطول على التحية والتعزية : التعزية بالفقيد الراحل على أنه فقيد اللغة العربية التي طالما جهد في سبيلها وعمل على خدمتها وكان له في جلسات هذا الجمع نصيب يمين ، والتحية للوفد الذي جاء من دمشق ليشترك في تأيين الفقيد الكبير وجمعكم الذي أنابه .

ورد الدكتور حسني سبوح مذكراً بأن الأمير الراحل لم يكن فقيد المحميين فحسب وإنما كانت له جولات في إعلاء شأن الأمة العربية فهو فقيداً كذلك .

ثم أخذ الأعضاء في مناقشة بعض المصطلحات التي وردت على مجلس الجمع من لجانه المختصة وكانت في قسمين مصطلحات في السينما والدرج ومصطلحات في علم الخلية ، وانتهت المناقشة باقرار أكثرها وإعادة أغلبها إلى اللجان المختصة لإعادة النظر فيها في ضوء ما كان من اعتراض . واختتمت الجلسة في الساعة الواحدة .

وبادر الوفد إلى زيارة السفارة السورية لتسابعة الحديث الذي كان مع سيادة الأمين العام مع سيادة السفير بغية إرسال المطبوعات التي ينوي جمع القاهرة إرسالها .

٧ - وقد شهدنا في اليوم التالي حفل التأيين الذي أقيم في الساعة السادسة بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع (١٦ شارع رمسيس) وشهده أكثر الجمعيين وصفوة من العلماء ومن السوريين المقيمين في القاهرة واعتذر عن الحضور الدكتور طه حسين وأتاب عنه نائب الرئيس الأستاذ أحمد زكي المهندس كما اعتذر سيادة السفير السوري لوعكة صحية أصابته وشهدت حرمة المصون الحفل مشاركة فيه ومعتذرة عنه . وافتتح نائب الرئيس الأستاذ أحمد زكي المهندس بكلمة رصينة رثى فيها الفقيد الراحل واقفاً عند أبرز ملامح حياته .

ثم ألقى الدكتور عبد الحليم منتصر كلمة بجمع القاهرة فتحدث عن حياة الفقيد وعن أعماله العلمية حديثاً شاملاً تابع فيه مراحل هذه الحياة وأنواع هذه الأعمال وكان خطابه مليئاً بالتقدير لمكانة الفقيد والإكبار الأثر الذي خلفه والجهود الذي بذله في سبيل إغناء العربية بالكثير من المصطلحات العلمية وقواعد التعريب ، وتوحيد المصطلح العربي بين المتكلمين بالعربية جميعاً .

وتحدث بعده الدكتور حسني سبوح فشكر لجمع القاهرة صنيعة ولالأستاذ المهندس والدكتور المنتصر كلمتهما وأنها أوفيا الحديث عن سيرة الفقيد حقه وأن بجمع دمشق أصدر كتاباً للزميل الدكتور عدنان الخطيب استوفى فيه حياة الراحل وترجم له ترجمة حافلة وأنه لذلك لن يكرر ما كان من حديث وإنما سيتناول في كلمته الفقيد ذاكرياً ما عرفه منه وما رآه فيه منذ كان

بينها أول لقاء إلى أن اختاره الله لجواره وإن زيارته الأسبوعية خلال مرضه أناحت له إدراك جوانب من شخصيته ، لعل من أبرز ما فيها من نحو فكري الاعتزاز بالعربية لغة وبالعربية قومية وبالعربية وطناً و لعل أبرز ما فيها من نحو سلوكي الدؤوب على العمل في نطاق اللغة العربية حتى الأيام الأخيرة من حياته وكانت الكلمة بعد ذلك للأستاذ الشاعر عزيز أباطة عضو مجمع اللغة فالقى قصيدة رائعة بث فيها شجونه وآلامه ، وطوف في ميدان التساؤل القلق عن الوجود والمصير ، وخص واقع اللغة العربية والحياة العربية بوقفه متألماً وكانت القصيدة صورة عن البيان العربي المشرق والشعر القوي الرزين .

ثم تحدثت السيدة ثريا الحافظ بدم آل الفقيد وكان مرتركز حديثها هذه الصلة الروحية التي كانت تربط بين الفقيد وبين مصر العربية من عهد بعيد صلة أنطقته بعض الشعر ، أوردت في كلمتها طرفاً منه .

وقد ألقى أحد السادة الإداريين من الجمع برقية كريمة في الفقيد في شكر المجمع وانتهى الحفل في الساعة السابعة والنصف .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن من تقاليد مجمع اللغة في القاهرة أن يعتبر مثل هذه الاحتفالات جلسة من جلساته التي يشارك فيها الجمهور .

٨ — وفي اليوم التالي أعاد الوفد اتصاله بالإخوان من زملاء مجمع القاهرة لاستكمال الحوار في الأمور الجمعية المشتركة ودار الحديث حول مائدة غداء دعانا إليها الأمين العام وحضرها نائب رئيس المجمع أحمد زكي المهندس وأحد السادة الإداريين .

وكان هدفنا في هذه المرة تعميق موضوع الصلات والتعرض إلى ألوان النشاط حول تبادل الأقلام في المجلتين ودورات المجمع ومؤتمرات المجمع وشؤون مجمية أخرى نوجزها فيما يلي :

أ - في موضوع الصلات : كان هنالك اقتراح أن يقوم بمجمعنا كذلك بتزويد أعضاء مجمع القاهرة بالمجلة والمطبوعات ولا أشك في أنكم أيها السادة الزملاء توافقون على هذه الخطوة تقوم بها بدءاً من العام الجديد ١٩٦٩ شداً للأواصر وتمكيناً للمجمع من أداء رسالته .

ب - في موضوع النشاط المشترك تحدثنا عن تبادل الأقلام في المجلتين فيشارك الأعضاء هنا في مجلة القاهرة ويشارك أعضاء مجمع القاهرة في مجلة مجمكم الموقر .

ج - واقترحنا أن نكون كذلك على صلة قريبة وسريعة ومستمرة بأعمال اللجان عندهم ، أو على الأقل بالمصطلحات التي يؤديونها بنية الاجتماع على مصطلح واحد .

د - دار حديث حول مشاركة مجمع دمشق في دورة مجمع القاهرة ، وبدا لنا أن ذلك إذا كان متعذراً من نحو مادي في هذا العام فيسكون موضع اهتمام إخواننا هناك وإصرارهم في العام القادم .

هـ - كذلك حول دورة جديدة لمؤتمر المجمع اللغوية وسنتحدث إلى الزملاء الأكارم خلال مدارس هذا التقرير عن بعض التفاصيل في تحديد هذه النقاط .

٩ - وقد حرص الإخوان المجمعون في القاهرة خلال هذه اللقاءات المتصلة على أن يقدموا لإخوانهم هنا في دمشق أطيب تحياتهم ويسعدنا أننا نودنا بها وأننا ننقلها إليكم مشفوعة بأعظم الأمل في أن نظفر بالتعاون الكامل على استعادة صلات المجمعين وتوحيد خطاهما لتضاعف جهودها .

١٠ - وقد عدنا في اليوم التالي مباشرة إلى دمشق .
إننا إذ نقدم هذا التقرير يسرنا أن نتحدث إليكم فيه لعلنا نخلص إلى بعض الاقتراحات العلمية في النواحي المختلفة التي تعرضنا لها أو أية ناحية أخرى ترون من الخير الحديث فيها .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس

المركنور منسي سبع

المركنور شكري فيهل



مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

(المجمع العلمي العربي سابقاً)

خلال خمسين عاماً (منذ إنشائه إلى سنة ١٩٦٨ م)

السنة	الرقم	
١٩٢١	١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الأول) عدد صفحاته ٤٠٠ صفحة
١٩٢٢	٢	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثاني) عدد صفحاته ٣٩٢ صفحة
١٩٢٣	٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثالث) عدد صفحاته ٣٩٨ صفحة
١٩٢٤	٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الرابع) عدد صفحاته ٥٨٦ صفحة
١٩٢٥	٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الخامس) عدد صفحاته ٦٩٢ صفحة
	٦	محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول) عدد صفحاته ٣٧٢ صفحة
١٩٢٦	٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد السادس) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٢٧	٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد السابع) عدد صفحاته ٥٨٤ صفحة
١٩٢٨	٩	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد الثامن) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٢٩	١٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد التاسع) عدد صفحاته ٧٨٤ صفحة
١٩٣٠	١١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد العاشر) عدد صفحاته ٧٨٤ صفحة
	١٢	نشوار المحاضرة لأبي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق مرجليوث . عدد صفحاته ١٨٨ صفحة .
١٩٣١	١٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١١) عدد صفحاته ٥١٤ صفحة
١٩٣٢	١٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٢) عدد صفحاته ٤٧٩ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٣٢	١٥	رسالة التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق حسن حسني عبد الوهاب . عدد صفحاتها ٣٦ صفحة .
	١٦	نشوار المحاضرة لأبي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق مرجليوث . عدد صفحاته ١٩٦ صفحة .
١٩٣٣-١٩٣٥	١٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٣) عدد صفحاته ٤٧٩ صفحة
١٩٣٦	١٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٤) عدد صفحاته ٤٩٦ صفحة
	١٩	رسالة تكملة لإصلاح ما تغلط به المامة للجواليقي بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاتها ٧٨ صفحة .
١٩٣٧	٢٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٥) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
	٢١	بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي : بتحقيق عز الدين التنوخي عدد صفحاته ١٢٠ صفحة .
	٢٢	ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق ف . جبريالي . قدم له خليل مردم بك . عدد صفحاته ٥٨ صفحة .
١٩٣٩	٢٣	رسالة المنتقى من أخبار الأصمعي : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاتها ٩٠ صفحة .
١٩٤١	٢٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٦) عدد صفحاته ٥٧٧ صفحة
١٩٤٢	٢٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٧) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٤٣	٢٦	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٨) عدد صفحاته ٥٧٧ صفحة
١٩٤٤	٢٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ١٩) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
	٢٨	رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري بتحقيق محمد سليم الجندي . عدد صفحاتها ٣٣٠ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٤٥	٢٩	المهرجان الألفي لأبي العلاء الميري : قدم له خليل مردم بك . عدد صفحاته ٤٠٠ صفحة .
	٣٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٠) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٤٦	٣١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢١) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
	٣٢	تاريخ حكام الإسلام لطهير الدين البهقي : بتحقيق محمد كرد علي
	٣٣	المستجد من فعات الأجواد لأبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق محمد كرد علي . عدد صفحاته ٢٨٦ .
	٣٤	ديوان ابن عنين : بتحقيق خليل مردم بك عدد صفحاته ٢١٨ صفحة
١٩٤٧	٣٥	كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق محمد كرد علي . عدد صفحاته ١٢٨ صفحة .
	٣٦	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قيم التواريخ) وضعه الدكتور يوسف المش . عدد صفحاته ٤٦٨ صفحة .
	٣٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٢) عدد صفحاته ٥٧٦ صفحة
١٩٤٨	٣٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٣) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٣٩	الدارس في تاريخ المدارس للنعمي (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لأحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والدارس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني . عدد صفحاته ٦٧٤ صفحة .
١٩٤٩	٤٠	ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة خليل مردم بك . عدد صفحاته ٢٧٤ صفحة .
	٤١	غوطة دمشق : تأليف محمد كرد علي عدد صفحاته ٢٩٢ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٤٩	٤٢	الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) بتحقيق الدكتور جميل صليبا . عدد صفحاتها ٧٥٠ صفحة .
	٤٣	طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق الأستاذ ك. ر. سترميتين . عدد صفحاته ٢٩٢ صفحة .
	٤٤	عثرات اللسان للشيخ عبد القادر المغربي عدد صفحاته ١٥٢ صفحة
	٤٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٤) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
١٩٥٠	٤٦	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٥) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٤٧	كنوز الأجداد تأليف محمد كرد علي . عدد صفحاته ٤٤٠ صفحة
	٤٨	ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان . عدد صفحاته ٤٣٤ .
	٤٩	فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الرامي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ١٨٢ صفحة .
	٥٠	تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني . عدد صفحاته ١٥٢ صفحة .
	٥١	الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكنفراوي الاستانبولي شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ١٩٤ صفحة
١٩٥١	٥٢	ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق خليل مردم بك . عدد صفحاته ٣٦٨ صفحة .
	٥٣	ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق خليل مردم بك . عدد صفحاته ٣٩٤ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٥١	٥٤	الدارس في تاريخ المدارس للنعماني (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني . عدد صفحاته ٨٣٢ صفحة .
	٥٥	الرسالة الجامعة المنسوبة للمعريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا . عدد صفحاتها ٤٣٤ صفحة .
	٥٦	تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٩٤٨ صفحة .
	٥٧	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٦) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
١٩٥٢	٥٨	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٧) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٥٩	البصرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق محمد كرد علي عدد صفحاته ٢١٤ صفحة .
١٩٥٣	٦٠	أسماء مؤلفات ابن تيمية لشمس الدين ابن قيم الجوزية : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاتها ٣٢ صفحة .
	٦١	صحيفة هام بن منبه أقدم تدوين في الحديث النبوي : بتحقيق الدكتور محمد حميد الله . عدد صفحاتها ٦٤ صفحة .
	٦٢	سفر خالد بن الوليد من العراق إلى الشام : لطف الهاشمي . عدد صفحاته ٦٢ صفحة .
	٦٣	تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية في العهود التالية لأيام العباسيين للأستاذ عباس الغزاوي عدد صفحاته ٥٤ صفحة
	٦٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٨) عدد صفحاته ٦٩٠ صفحة
١٩٥٤	٦٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٩) عدد صفحاته ٦٤٠ صفحة
	٦٦	محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني) عدد صفحاته ٥٩٨ صفحة

السنة	الرقم	
١٩٥٤	٦٧	محاضرات المجمع العالمي العربي (الجزء الثالث) عدد صفحاته ٥٩٨ صفحة
	٦٨	تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الثانية - القسم الأول) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٧٤ صفحة .
	٦٩	تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهد العثماني للأستاذ عباس المزوي . عدد صفحاته ٥٤ صفحة
١٩٥٥	٧٠	أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٤٨ صفحة .
	٧١	خريدة القصر وجريدة العصر للمعاد الأصفاني الكاتب (قسم شعراء الشام - الجزء الأول) بتحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٧٢٤ صفحة .
	٧٢	محمد كرد علي « حياته وآثاره » : الدكتور سامي الدهان . عدد صفحاته ٧٠ صفحة .
	٧٣	رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا : بتحقيق محمد صغير حسن المعصومي . عدد صفحاتها ٦٠ صفحة .
	٧٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٠) عدد صفحاته ٧٠٢ صفحة
١٩٥٦	٧٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣١) عدد صفحاته ٧٠٢ صفحة
	٧٦	قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٤٥٢ صفحة .
	٧٧	الزيارات بدمشق للقاضي محمود المدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عدد صفحاته ١٣٤ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٥٦	٧٨	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الأول يتضمن فهرس المجلدات المشر الأولى) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٧٩٠ صفحة .
	٧٩	ديوان أبي حصينة السلمي المعري (الجزء الأول) : بتحقيق محمد أسعد طلس . عدد صفحاته ٤٩٢ صفحة .
	٨٠	تاريخ المجمع العلمي العربي : تأليف الأستاذ أحمد الفتيح . عدد صفحاته ٣٢٦ صفحة .
١٩٥٧	٨١	أمرار العربية لأبي البركات الأنباري : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٥٢٤ صفحة .
	٨٢	ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري . (الجزء الثاني) : بتحقيق محمد أسعد طلس . عدد صفحاته ٣١٦ صفحة .
	٨٣	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٢) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
١٩٥٨	٨٤	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٣) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
	٨٥	ديوان ابن الخياط : بتحقيق خليل مردم بك . عدد صفحاته ٤٢٠ صفحة
	٨٦	الثقافة الإسلامية في الهند (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) لعبد الحفي الحسني الندوي . عدد صفحاته ٣٥٨ صفحة
	٨٧	أخبار البحتري لأبي بكر الصولي : بتحقيق الدكتور صالح الأشر . عدد صفحاته ٢٥٨ صفحة .
	٨٨	فتيا فقيه العرب لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي : بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ عدد صفحاته ٥٢ صفحة . (٢٨)

السنة الرقم

- ١٩٥٩ ٨٩ تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٩٠ صفحة .
- ٩٠ جريدة القصر وخريدة العصر للهاد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام — الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٧٢٨ صفحة .
- ٩١ رسالة ابن فضالان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة : بتحقيق الدكتور سامي الدهان عدد صفحاتها ٢٠٨ صفحة
- ٩٢ مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٤) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
- ١٩٦٠ ٩٣ مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٥) عدد صفحاته ٧٠٤ صفحة
- ٩٤ نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميني عدد صفحاتها ٣٨ صفحة .
- ٩٥ كتاب النفس لابن باجه الأنديسي : بتحقيق الدكتور محمد حسن عدد صفحاته ١٥٤ صفحة .
- ٩٦ المثنى لأبي الطيب اللغوي : بتحقيق عز الدين التنوخي عدد صفحاته ١٤٠ صفحة .
- ٩٧ ديوان خليل مردم بك . عدد صفحاته ٤٨٢ صفحة .
- ٩٨ الإبدال لأبي الطيب اللغوي (الجزء الأول) : بتحقيق عز الدين التنوخي عدد صفحاته ٤٨٤ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦١	٩٩	الإبدال لأبي الطيب اللغوي (الجزء الثاني) : بتحقيق عز الدين التتوخي . عدد صفحاته ٧٢٤ صفحة .
	١٠٠	النوادر لأبي مسهل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٢٤ صفحة
	١٠١	النوادر لأبي مسهل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٣٣٨ صفحة
	١٠٢	الإتباع لأبي الطيب اللغوي : بتحقيق عز الدين التتوخي . عدد صفحاته ١٥٦ صفحة .
	١٠٣	اعتاب الكتاب لابن الأبار : تحقيق الدكتور صالح الأشر . عدد صفحاته ٣٢٨ صفحة .
	١٠٤	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٦٦٢ صفحة .
	١٠٥	مجلة مجمع اللغة العربية « مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً » (المجلد ٣٦) عدد صفحاته ٧٠٨ .
١٩٦٢	١٠٦	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٧) عدد صفحاته ٧٠٨ صفحة
	١٠٧	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني — القسم الأول) : يتضمن فهرس المجلدات (١١ — ٢٠) وضعه الأستاذ عمر رضا كجالة . عدد صفحاته ٤٦١ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٢	١٠٨	فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثانية (الجزء الثاني - القسم الثاني) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ٣٤٠ صفحة .
	١٠٩	الجامع في أخبار أبي الملاء المعري وآثاره لسليم الجندي (الجزء الأول) بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم . عدد صفحاته ٥٨٥ صفحة .
	١١٠	فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم علوم القرآن) : للدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٧٤ صفحة .
	١١١	معجم المصطلحات الخراجية بالإنكليزية والفرنسية والعربية ويشتمل على ألف مصطلح ونيف . بقلم الأمير مصطفى الشهابي . عدد صفحاته ٣٤٥ صفحة .
	١١٢	الإبدال والماقية والنظائر للزجاجي : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ١٥٢ صفحة .
	١١٣	شعر الراعي النميري وأخباره : جمعه ناصر الحفاني وراجعه وجمع شواهد عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ٢١٥ صفحة .
	١١٤	مختصر الكلام في الفرق بين من اسم أبيه سلام وسلام : لابن معمر الحسيني الجواني . بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٤ صفحة .
	١١٥	رسالة شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها ل محمد بن القاسم الأنباري : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عدد صفحاتها ١٦ صفحة .

السنة	الرقم	
١٩٦٢ - ١١٦		الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره (الجزء الثاني) لسليم الجندي بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم عدد صفحاته ٦٦٢ .
١٩٦٣ - ١١٧		تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد العاشرة) : بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهران . عدد صفحاته ٥٢٤ صفحة .
١١٨		فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة (الجزء الثالث - القسم الأول) وضعه الأستاذ عمر رضا كعالة . عدد صفحاته ٤٨٩ صفحة .
١١٩		فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة (الجزء الثالث - القسم الثاني) وضعه الأستاذ عمر رضا كعالة . عدد صفحاته ٢٦٥ صفحة .
١٢٠		حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثاني) لعبد الرزاق البيطار : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٥٠٦ صفحة .
١٢١		حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثالث) لعبد الرزاق البيطار : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار . عدد صفحاته ٥١٠ صفحة .
١٢٢		فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الفقه الشافعي) : وضعه الأستاذ عيد الغني الدقر . عدد صفحاته ٣٦٢ صفحة .

<u>السنة</u>	<u>الرقم</u>	
١٩٦٣	١٢٣	خريدة القصر وجريدة المصر (الجزء الثالث) في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن للهاد الأصفهاني الكاتب : بتحقيق الدكتور شكري فيصل . عدد صفحاته ٢٨٤ صفحة .
	١٢٤	وصف المطر والسحاب لابن دريد : بتحقيق عز الدين التنوخي . عدد صفحاته ١٥٢ صفحة
	١٢٥	كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاتها ٥١٨ صفحة .
	١٢٦	كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور عزة حسن . عدد صفحاته ٤٣٢ صفحة .
	١٢٧	الألفاظ العربية والموضوعة الواردة في السنوات العشر الثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي : جمع وترتيب الأستاذ عمر رضا كحالة . عدد صفحاته ١٧٠ صفحة .
	١٢٨	المقدمة من كتاب المسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسي : بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي عدد صفحاته ٢٦ صفحة .
	١٢٩	أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية للأمير مصطفى الشهابي . عدد صفحاته ٢٤ صفحة .
	١٣٠	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٨) عدد صفحاته ٧٠٨ صفحة
١٩٦٤	١٣١	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٣٩) عدد صفحاته ٧٠٨ صفحة

- | السنة | الرقم | |
|-------|-------|---|
| ١٩٦٤ | ١٣٢ | فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر) وضعه الدكتور
عزة حسن . عدد صفحاته ٤٤٠ صفحة . |
| | ١٣٣ | الحيدة لمبد العزيز الكتاني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا . عدد
صفحاته ٣٠٤ صفحة . |
| | ١٣٤ | جمهرة المئين تحليل مردم بك : بتعليق وإشراف الأستاذين عدنان
مرم بك وأحمد الجندي . عدد صفحاته ٣٢٠ صفحة . |
| | ١٣٥ | شعر دعبل الخزاعي ، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر . عدد
صفحاته ٥٥٨ صفحة . |
| | ١٣٦ | سؤال في يزيد بن معاوية لابن تيمية : بتحقيق الدكتور صلاح الدين
المنجد . عدد صفحاته ٢٣ صفحة . |
| | ١٣٧ | قرة الميون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحى : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٢٤ صفحة . |
| ١٩٦٥ | ١٣٨ | الوهراني ورقته عن مساجد دمشق لمحمد بن عجز الوهراني : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٢٠ صفحة . |
| | ١٣٩ | ما بنته العرب على فعال للصفاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
عدد صفحاته ٢٠٠ صفحة . |
| | ١٤٠ | زجر التابح « مقتطفات » لأبي العلاء المري : بتحقيق الدكتور أحمد
الطرابلسي . عدد صفحاته ٢٥٣ صفحة مع المقدمة والاستدراكات . |

السنة	الرقم	
١٩٦٥	١٤١	أخلاق الوزيرين (أو مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي : تحقيق الأستاذ محمد بن تاووت الطنجي . عدد صفحاته ٧٠٠ صفحة .
	١٤٢	ديوان ابن النقيب عبد الرحمن كمال بن محمد الحسيني : تحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي . عدد صفحاته ٣٤٣ صفحة .
	١٤٣	مقدمة كتاب الحشائش والأدوية للبسقوريدس بترجمة مهران بن منصور بن مهران : تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٩ صفحة .
	١٤٤	المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (طبعة ثانية منقحة ومزودة) : بقلم الأمير مصطفى الشهابي . عدد صفحاته ٢١٩ صفحة .
	١٤٥	مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٤٠) . عدد صفحاته ٨٩٦ صفحة .
١٩٦٦	١٤٦	مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً) (المجلد ٤١) . عدد صفحاته ٨٩٦ صفحة .
	١٤٧	تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . عدد صفحاته ٣٨٠ صفحة .

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

تموز «يوليو» سنة ١٩٦٩ م

ربيع الآخر سنة ١٣٨٩ هـ

بقايا الفصحاح

تتصرف المائة في طوائف من الألفاظ الفصيحة تصرفاً عجيباً ،
فإنما أن تنقل معانيها من الحقيقة إلى المجاز وإنما أن تحوّل هذه المعاني عن
وجهها الشريف إلى وجهٍ دنيء ، ثم نراها في كثيرٍ من الأحيان تحافظ
على معاني بعض التراكيب فلا تختلف هذه المعاني عما كانت عليه قبل ألف
سنة ، وقد نجد لها تطلق أسماءً فصيحة على بعض المسميات إلا أن هذه
المسميات لا تلبث أن تذهب فتعوت الأسماء بذهابها أو تسكاد .

فمن الألفاظ التي حوّلت المائة معانيها عن وجهٍ إلى وجهٍ لفظة :
الشبرقة ، لقد عاشت هذه اللفظة في لغتنا المائة في دمشق حتى يومنا هذا ،
ولكنّها لم تمش على أصل معناها فقد تصرفت المائة في هذا المعنى بعض
التصرف ، فمن معاني الشبرقة في اللغة الفصيحة : نهش البازي الصيدَ

وتزريقه وقطع الثوب . . . أمّا الشبرقة في لقتنا العامة فلها معنى آخر ، فالشبرقة أن يشتري الولد من ههنا وههنا على سبيل التسلية ، فالأهل يدفعون إلى ولدهم يسيراً من المال ويقولون له اذهب إلى السوق وتشترق ، أي اذهب واشتر ما يروقك من مأكول أو مشروب ، اذهب وأنفق ما أعطيناك ، فأَيُّ صلةٍ بين معنى هذه اللفظة الفصيحة وبين معناها العامي ، أَيُّ صلةٍ بين نهش البازي صيده وتزريقه وبين شراء الولد ما يمرُّ به في السوق ، لانجد في الظاهر شيئاً من هذه الصلة ، ولكن إذا اجتهدنا في الأمر بعض الاجتهاد اهتدنا إلى ظِلٍّ من الصلة على سبيل المجاز ، فكما نهش البازي صيده ويمزقه حتّى لا يبقى من هذا الصيد أثر فكذلك ينفق الولد مادفعه إليه أهله من المال في شراء كذا وكذا حتى لا يبقى من هذا المال شيء ، فكما أن البازي نهش صيده فكذلك الولد نهش ماله أي صرفه كلّهُ . هذا تعليل قد نصيب فيه أو نخطئ ولكنّا نقبله على ظاهره حتى نهتدي إلى تعليل أقوى .

ومن هذا القبيل لفظة : النشّال الشائعة على ألسن أهل مصر ومعناها : المارق ، فالنشّال في اللغة الفصيحة كشدّاد من يأخذ حرف الجرقة ، وهي الرغيف ، فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه ومن معاني : نشل الشيء أسرع زعه ، من هذا يتبيّن لنا أنّ النشّال العامية أصلها فصيحة ولكنّ العامة تصرّفت في معناها فنقلت هذا المعنى من وجه إلى وجه على سبيل المجاز ، فكما أنّ من ينشل الشيء يسرع زعه ، فكذلك من ينشل الشيء من الثياب يسرع زعه بحيث لا تقع عليه عين صاحبه ، وكما أنّ النشّال الفصيحة من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه فكذلك النشّال العامية من يأخذ الشيء من ثياب صاحبه فيغمسه في جيبه ويستأثر به ، فالعنيان الفصيحة والعامي متقاربان ولكن هذا التقارب على سبيل المجاز .

ومن هذا النمط ، وإن كان الأمر يختلف بعض الاختلاف لفظة :
 الشعوذة ، فقد اتسعت العامّة في معنى هذه المادّة وفسحت لآفاقها ، فالشعوذة
 في اللغة خفّة في اليد وأخذ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في
 رأي العين وهو : مشعوذ ومشعوذ ، (بكسر الواو وفتحها) ، إلاّ أنّ
 العامّة اختارت كسر الواو ولم تكثف بأصل معنى هذه المادّة فقد وسّعت
 آفاقه ونقلته من معنى ضيق إلى معنى أرحب ، فلجأت إلى المجاز وأطلقت
 الشعوذة على كل نوع من أنواع الخفّة والسحر في السياسة أو العلم أو الدين
 ونظائر هذه الأمور ، فلم تبق الشعوذة في لغة العامّة والخاصّة خفّة في
 اليد أو أخذاً كالسحر ولكنها أصبحت خفّة في كثير من الأمور ، فهي
 خفّة في ستر حقائق الأشياء ، فالشعوذ يرنا السياسة بغير ما عليه أصلها
 في رأي العقل وكذلك يرنا العلم أو الدين أو ما شابه ذلك ، وإذا كان
 المشعوذ قد يطول أمر شعودته في خفّة يده أو سحره فإن المشعوذ في أمور
 السياسة أو الدين أو العلم قد يُفضح أمره في هذه الخفة وفي هذا السحر
 فينكشف باطنه وتعرف شعودته ، وما أظن أن لفظاً من الألفاظ أقوى
 من لفظ الشعوذة في الدلالة على هذه الطبقة من الناس .

بقيت لفظة لا تحتاج إلى كثير من التعليل ، فهي عامية ولكن أصلها
 فصيح ، نقول في لغتنا العامة : فلان ذلق ... أو فلان ذلق لسانه ...
 ونحن نريد بقولنا هذا أن فلاناً كان يكتم عنّا أشياء ولا يريد أن يبوح بها
 إلاّ أنه في خلال حديثه قد تخونه الذاكرة فيبوح بما كان يكتمه فنقول :
 فلان ذلق فقال كذا وكذا ... وقد تعدّي العامّة هذه المادّة وتستعمل
 الفعل المشدّد فنقول : ذلّقه حتى قال كذا وكذا ... ماذا نجد في اللغة ،
 إنّا نجد : ذلق اللسان كفرح ذرب فهو ذلق وأذلق ... وذلق اللسان
 كنصر وكرم فهو ذليق وذلق بالفتح إلى آخر ما جاء من مشتقات هذا الفعل ،

فاللسان الذليق هو اللسان الحديد ، البليغ ، ثم نجد معنى أذلقه : أفلقه وأضعفه ، ولا يزيد التوسع أكثر من ذلك في معاني هذه المادّة ، فالقول العامي : ذلق فلان فقال كذا وكذا .. لا يطابق القول الفصيح : ذلق اللسان فهو ذليق بمعنى بليغ ولكن قول العامّة : ذلقه فقال كذا وكذا .. لا يمد كثيراً عن أذلقه بمعنى : أفلقه وأضعفه ، فقد يأتي بمد هذا الإقلاق أو هذا الإضعاف حمل الإنسان على البوح بما يكتّم ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الأغاني في الكلام على وقعة بدر ، فقد قبض على غلامين اعترفا بأنهما سقاء لقريش ولكن القوم رجوا أن يكون الغلامان لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، فالذي يهمننا منه إنما هو فعل : أذلقوهما وما أدسى إليه هذا الإذلاق ، أي هذا الإقلاق والإضعاف ، فقد أدسى إلى الاعتراف بما يرضي الذين ضربوا الغلامين ، وإن كانت بقية الخبر تدلّ على أن الغلامين كانا صادقين فهما لقريش وليس لأبي سفيان .

فإذا رجعنا إلى قول العامة : ذلقه فقال كذا وكذا ... وجدنا شيئاً من التقارب بين القول العامي والقول الفصيح ، والفرق بينهما أن العامّة تستعمل : ذلقه بالتشديد ، واللغة الفصيحة تستعمل : أذلقه ، ومهما يكن من الأمر فإن الإذلاق أو التذليق إنما نتيجته البوح بما هو مكتوم سواء أوقع الإقلاق والإضعاف أو لم يقع .

وإذا انتقلنا من هذه الطبقة من الألفاظ إلى طبقة ثانية وجدنا أن العامّة قد تتصرف في بعض المعاني أقبح تصرف ، فمن الألفاظ الفصيحة لفظة : العلق ، (بكسر العين وتسكين اللام) ، ومعناها في اللغة : النفيس من كل شيء ، والجمع : أعلاق وعلوق ، إلا أن هذه اللفظة لم يبق لها في لغة العامّة معناها الفصيح ، فقد تصرف فيها أسوأ تصرف فأطلقت العلق

على كل مَحْثٌ أو متغَيِّجٍ من الناس ، وهي تريد به أقبح الذم ، ولا يسرّ أحداً أن يقال فيه أنه علق ، واختارت العامة من صيغة الجمع : العلوق وطرحت الأعلاق في لغتها ، فإذا قالت في جماعة من القوم أنهم علوق فقد بلغت من قبس تصويرهم في المجتمع كلّ مبلغ ، وهكذا نجد أن بعض الألفاظ الفصيحة قد تنحدر في لغة العامة من ألقها الأعلى إلى الأفق الأدنى .

وإذا كانت العامة قد تنصرف في بعض الأوقات في معاني فئةٍ من الألفاظ فإنها قد تحافظ في كثيرٍ من الأحيان على معاني تراكيب فصيحة استعملت في قديم أدبنا ، من هذه التراكيب : فلان يدي ورجلي ... الكلام معك ضائع ... يتعلّم الحجابة على رؤوس اليتامى والمساكين .

نجد في الأغاني في أخبار منصور النعري هذه العبارة : استقبلت منصوراً النعري يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً ، واجماً ، كئيباً فقلت له : ما خبرك ، فقال : تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي والقيّمة بأمرى وأمر منزلي فهذه العبارة : فلان يدي ورجلي لا تزال مستفيضة في لغة العامة ، وقوّتها ظاهرة ومعناها جزل ، فالذي يكون يدك ورجلك في أمورك إنما هو المعوّل عليه في هذه الأمور ، لا تستطيع أن تعمل عملاً دونه ، وهل يستطيع أن يتحرّك من لا يده له ولا رجل ، وهكذا نجد أن التراكيب السهلة ذات المعنى الخصب قد تعيش دهرًا طويلاً في لغة العامة فضلاً عن لغة الخاصة .

ومثل هذا التركيب في القوة قولنا : الكلام معك ضائع ... في أخبار حمّاد الراوية في الأغاني أن الطرمّاح أنشده قصيدة في مسجد الكوفة ، فلمّا سمعها حمّاد ادّعاها ونفاها عن الطرمّاح ، فطال الكلام بينها في هذا الشأن حتى قال الطرمّاح لحمّاد : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع .

قد يشتدّ النزاع بين رجلين وقد يكون أحدهما على حقٍ فيحاول أن يقنع الآخر بالحجة ، أو أن يويّجه إن كان يستلزم التوييح أو أن يدخل على ذهنه فكراً من الأفكار فيجده كأنه حائط ، لا يقنع ولا يلين ولا يأخذ بالصواب ، فتنفذ حيلته معه فلا يهتدي إلى سبيل من السبل في رده إلى الصواب ، فلا يجد في مثل هذه الحال أبلغ من قوله : الكلام معك ضائع ... فلا الحجة تنفع ولا التوييح يفيد ولا المنطق ينجح ، فكل أمرٍ من هذه الأمور ونظائرها لا طائل فيه ، فالكلام مع هذا الرجل ضائع ، فهذه العبارة تغني عن كل حجة وعن كل توييح وعن كل منطق فضلاً عن أنها تجتنبنا كل عاقبة غير محمودة ، فما أحسن شيوعها على ألسن العامة والخاصة حتى يومنا هذا .

أمّا التركيب الأخير : فلان يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامي والمساكين فلا تقلّ قوّته عن أخويه ، نقرأ في الأغاني في نسب أبي العتاهية وأخباره أن أبا العتاهية لما تنسك جلس يحجم اليتامي والفقراء ليضع من نفسه وليكتسب الثواب وهو لا يعرف ما يحتاج إليه كل واحدٍ من الناس إلى أن يخرجهم من الدم على قدر طبعه ممّا إذا زاد فيه أو نقص منه ضرر المحجوم ، فقال بشر لأبي العتاهية : ما أراك إلاّ أردت أن تتعلّم الحجامة على أفقاء اليتامي والمساكين !

هذه العبارة شائعة على ألسن الناس ، عامتهم وخاصتهم ، إلاّ أنهم يستعملون الرؤوس بدلاً من الأفقاء ، فقد يتناول أحدنا لأمرٍ من الأمور ولم يأخذ لهذا الأمر عدته ولا هيئاً له أسبابه ولا عرف مصادره وموارده ، ومع هذا فهو يدّعي العلم بهذا الأمر فيأمره على جهله به والله أعلم بما يتم فيه على يده من الأذى ، ولكنه يريد أن يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامي .

ولا أريد أن أختتم هذا المقال دون الإشارة إلى لفظة قد تدلّنا على موت الألفاظ ، فإن الألفاظ حياة ، إن لها ميلاداً وموتاً ، من الألفاظ الشائعة في بنياننا لفظة : المشرقة ، فالمشرقة ، مثلثة الراء ، موضع القعود في الشمس بالشتاء ، وقد حافظت العامّة على هذا المعنى في لغتها ، فلم تنحرف هذه اللفظة عن معناها الفصيح ، وإذا كانت المشرقة مثلثة الراء فإن العامّة اختارت فتح الراء في كلامها ، إلاّ أن هذه اللفظة التي عاشت في دمشق زمناً طويلاً قد أوشكت أن تموت ، والسبب في ذلك عمراننا الحديث ، فالدور القديمة لها مشرقات ، وكان أهل هذه الدور يقعدون فيها بالشتاء للدفء أو ينشرون فيها غسيلهم ، فهي من أصل الدور وهي غير مسطوح الدور ، ولكن عمراننا الحديث قد خلا من هذه المشرقات فأكثر الأبنية أصبحت ذات طيقان وكلّ طاقٍ خالٍ من المشرقة ما خلا الطاق الأعلى فإن له سطحاً فأهله يقولون : السطح ولا يقولون : المشرقة ، وعلى هذا نجد أن هذه اللفظة التي لا تزال تعيش في حارات دمشق القديمة قد ماتت في الحارات التي استفحل فيها العمران الحديث .

شفيق جبري





فقيه العروبة
الأستاذ الكبير ساطع الفهمري

فقيه العرب

الأستاذ ساطع الحصري

في صبيحة يوم الثلاثاء الواقع في الخامس من شوال سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٦٨ م، روع العالم العربي صوت من بغداد ينمى إليه الأستاذ الكبير ساطعاً الحصري ، وكان لهذا الصوت صدى حزن وألم عمّ أرجاء الوطن العربي كافة ، فقد خسر العرب بوفاته واحداً من أكبر علماء التربية والتعليم لديهم ، وفقدوا رائداً من أقدم رواد النهضة العربية الحديثة ، وداعية من أشد الدعاة إخلاصاً لفكرة العربية البتّة ، ومناضلاً من أشد المناضلين حماسة في الدفاع عن « القومية العربية المعاصرة » أفنى سمعه وبدد ضياء عينيه في تأريخ « الثورة العربية » ، وتحديد معنى « القومية العربية » وفي الدفاع عنها بالتصدي لكل من خطّ حرفاً ليس في صالحها ، أو فاء بكلمة ليست في جانبها ، أو صدرت عنه حركة قد تسيء إليها ، كان صلباً في عقيدته ، لا تخلو ردوده أحياناً من قسوة ، كما كان ثابتاً على رأيه ، ينذر أن يتزعزع في مواقف الدفاع ، ولو تحالف عليه كل الأقوياء سواء براكزم أو بجهنم له أو بتقديره إياهم ، وقد حلا للكثيرين من الكتاب ورجال الصحافة إطلاق لقب « أبو العرب » عليه ، فقد عاش مؤمناً بالعروبة ، منافعاً عن الأصالة العربية ، ومات عن ثروة ضخمة من المؤلفات حاول فيها ترسيخ مفهومه للقومية العربية ، وإفهام خصوصها من شعوبيين أو من عرب تأمّنين .

ولقد خسر مجمع اللغة العربية بدمشق بموت الأستاذ ساطع الحصري ،
 عضواً من أبرز أعضائه الموالين ، فقد انتخبه المجمع في الجلسة التي عقدها
 في ١٧ من شباط (فبراير) سنة ١٩٥٥ م عضواً تقديراً لمسكاته العلمية ،
 واعترافاً بما أداه للعربية من خدمات بآرائه الصائبة ومقترحاته المفيدة ، وقد صدر
 مرسوم جمهوري بتاريخ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٥٥ م .
 رحم الله فقيدنا الكبير رحمة واسعة ، فقد كان عالماً من أعلام الفكر
 العربي المعاصر ، وفيما يلي نبذة عن نشأته وحياته وآثاره .

★ ★ ★

نشأته ومبانيه

كان محمد هلال الحصري ، من أهالي مدينة حلب في شمالي سورية ،
 قد قضى شطراً من شبابه في مصر يدرس في الجامع الأزهر علوم الشريعة
 والعربية ، فلما أجز ، عين قاضياً في مدينة دير الزور ثم نقل إلى مدينة حماة
 السوريتين ، ثم عين رئيساً لمحكمة استئناف ولاية اليمن ، وفي مدينة
 صنعاء أقام القاضي الجديد سنة أو تزيد ، فلما كان الخامس من شهر آب
 (أغسطس) عام ١٨٨٠ ميلادية الموافق لسنة ١٢٩٧ للهجرة ، ولد له فيها
 غلام أسماه « ساطعاً » .

لم يرق محمد هلال الحصري الحلبي في صنعاء ، أكثر من سنتين نقل بمدها
 إلى أضة ثم إلى أنقرة من بلاد الأناضول ، فإلى طرابلس الغرب في ليبيا ،
 ثم أعيد ثانية إلى اليمن ، فإلى قونية في تركيا ، فثانية إلى طرابلس الغرب ،
 وهكذا كان الموظفون في الدولة العثمانية لا يستقر أحدهم في وظيفة عين فيها
 أكثر من سنتين على الأعم الأغلب ، وكثيراً ما كان أطفال هؤلاء الموظفين
 ينتقلون مع آبائهم كما وقع لساطع وليد الحصري الحلبي .

وعندما انتقلت وظيفة القاضي الحصري إلى طرابلس الغرب للمرة الثانية سنة ١٨٩٣ م ، كان ساطع ، الذي فاتته الدراسة الابتدائية النظامية ، قد استطاع بجده الشخصي واجتهاده الشديد ، دخول القسم الإعدادي من المدرسة الملكية الشاهانية ، في استانبول . فتركته الأسرة المسافرة إلى ليبيا تلميذاً داخلياً في هذه المدرسة ، على أن يلحق بها في العطلة الصيفية ، وقد لحق بها في عطلة أول سنة ، ولما كانت عطلة السنة الثانية ، لحق بأسرته وهي في بني غازي حيث كان أخوه الأكبر يتولى وظيفة النيابة العامة فيها ، ولم تأت عطلة السنة الثالثة ، إلا وكانت وظيفة رب الأسرة قد انتقلت إلى استانبول ، فاستراحت واستراح الشاب الساطع ، واستطاع أن يكمل دراسته العالية في المدرسة الملكية سنة ١٩٠٠ م بتفوق ملحوظ .

عين ساطع الحصري ، بعد تخرجه مباشرة ، مدرساً للمعلوم الطبيعية في إعدادية (يانيا) عاصمة مقاطعة أبروس وهي اليوم جزء من دولة اليونان ، فظل في هذه المدرسة إلى سنة ١٩٠٥ م . وخلال مدة السنوات الثلاث الأخيرة من إقامته في يانيا عين « مأمور معية » ، إذ كان أمثاله يمينون كذلك تمهيداً لتعيينهم في الوظائف الإدارية ، مع السماح له بتدريس بعض ما كان يتولى تدريسه .

وفي سنة ١٩٠٥ م عين ساطع الحصري قائمقاماً لقضاء (رادو وبشته) في ولاية قوصوة ، ذي الأكثرية البلقارية ، وكان القضاء سياسياً في المنطقة النمساوية من المراقبة الدولية التي كانت قد فرضت على ولايات ماكدونيا الثلاث ، ثم نقل ساطع قائمقاماً لقضاء (فلورينه) في ولاية هناستر ، وكان هذا القضاء في المنطقة الإيطالية من المراقبة الدولية .

بقي ساطع الحصري قائمقاماً في (فلورينه) حتى الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م ، ولما كان هوام مع الانقلابيين ، عهدوا إليه يوم إعلان الدستور بمهمة شرح

أهدافهم في عاصمة الولاية « مناستر » فقام بخطب في الجماهير يحمّسهم لتأييد الانقلاب ، وفي وفود المهنيين به يشكّونهم على تهاونهم .

ولم يمض على إعلان الدستور شهران ، إلا وأحب ساطع الحصري العودة إلى العاصمة ، فترك الوظائف الإدارية ، واهتماً في العودة إلى تولى التعليم في المعاهد العالية ، فكان بدءاً من نهاية عام ١٩٠٨ م : أستاذاً للتربية في جامعة استانبول (دار النون) وأستاذاً لعلم الأقسام في المدرسة الملكية الشاهانية ، وقد أطلق عليها فيما بعد اسم « مدرسة العلوم الإدارية والسياسية » ، وأستاذاً لعلمي التربية والاجتماع في مدرسة (دار الخلافة العلمية) وفي (دار المعلمين العالية) . وقبل أن ينتقضي عام ١٩٠٩ م ، عين ساطع الحصري مديراً لدار المعلمين ، فأحدث تعيينه هزة كبيرة في الدار ، إذ أعقبه حدوث انقلاب جذري في نظامها وأصول التدريس فيها ، وإقامة نظام جديد مبني على أحدث أساليب التعليم ، مما كان له أثر كبير في تبديل اتجاهات التعليم في جميع ممالك الدولة العثمانية .

وقام ساطع الحصري أثناء توليه مديرية (دار المعلمين) بتأسيس مدرسة أطلق عليها اسم (المدرسة الحديثة) متبعاً في أنظمتها أحدث أساليب التربية والتعليم التي عرفتها البلاد الأوروبية .

احتل ساطع الحصري ، بما قام به من تبديل في نظم التربية والتعليم وبما نشره من مؤلفات ومقالات ، مكانة عالية في الدولة العثمانية وتمتع بمركز علمي مرموق ، وأخذ اسمه مقروناً بالتقدير يتردد في كل المحافل العلمية والتربوية ، وقد انتخب عضواً في « جمعية المطبوعات العثمانية » منذ يوم تأسيسها ، وكان من آخر المراكز التي تبوأها في العهد العثماني رئاسة « مؤتمر المطبوعات » .

ظل ساطع الحصري يعمل ويدأب في إصلاح نظم التربية والتعليم في الدولة العثمانية ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، ولكنه ماكاد يسمع أنباء جلاء الأتراك عن دمشق ودخول الجيش العربي إليها ، إلا وتطلع إلى هذه الدولة الفتية تقوم في دمشق بعد زمن طويل من سقوط الدولة العويبة الكبرى ، فما أن تلقى إشارة تدعوه الحكومة العربية بها إلى سورية ، حتى غادر استانبول ، رغم ما عرضه عليه الأتراك للبقاء في منصبه ، ووصل دمشق في مطلع عام ١٩١٩ م ، فبادرت الحكومة العربية فيها إلى تكليفه بالإشراف على ممارف الدولة فكان على التوالي :

١ — مفتشاً عاماً للمعارف في سورية ، من تاريخ ١٦/٤/١٩١٩ حتى ٣٠/٤/١٩١٩ م .

٢ — مديراً عاماً للمعارف في سورية ، من تاريخ ١/٥/١٩١٩ حتى ٩/٣/١٩٢٠ م .

وبوم أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية ووضع دستورها الأول الملكي بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ م ، قامت في دمشق أول حكومة عربية دستورية ، واختير ساطع الحصري وزيراً للمعارف فيها ، فمارس مهام الوزارة من تاريخ ١٠/٣/١٩٢٠ حتى تاريخ ٢٧/٧/١٩٢٠ م ، يوم احتل الجيش الفرنسي دمشق ليفرض على الشعب السوري ما أسمته عصبة الأمم بـ « الانتداب » .

غادر ساطع الحصري سورية مع ملكها البعيد عن العرش فيصل الأول ، مرافقاً مليكه في رحلاته التي انتهت به ملكاً على العراق ، وفي بغداد تولى الحصري المناصب التالية :

١ — معاون وزير المعارف من تاريخ ٥/٣/١٩٢٢ إلى ١٧/١/١٩٢٣ م .

٢ — مدير المعارف العام من تاريخ ١٧/١/١٩٢٣ إلى ٣١/٨/١٩٢٧ م .

٣ — أستاذ علم التربية في دار المعلمين العالية من تاريخ ١٩٢٧/٩/١ حتى

١٩٣١/١٠/١ م .

٤ — مراقب التعليم العام من تاريخ ١٩٣١/١٠/١ حتى ١٩٣١/١٢/٢٢ م .

٥ — عميد كلية الحقوق من تاريخ ١٩٣١/١٢/٢٣ حتى ١٩٣٤/١٠/١١ م .

٦ — عميد كلية الحقوق ومدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٤/١٠/١٢ حتى

١٩٣٥/٩/١٦ م .

٧ — مدير الآثار القديمة ومراقب التربية والتدريس العام، من تاريخ

١٩٣٥/٩/١٦ حتى ١٩٣٦/٩/١٢ م .

٨ — مدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٦/٩/١٣ ، وظل يتولى هذا المنصب

حتى الحادي عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٩٤١ م ، يوم أبلغت الحكومة العراقية ، التي ألفت عقب فشل الثورة ضد الانكليز ، ساطعاً الحصري مدير الآثار القديمة ، قراراً بنزع الجنسية العراقية عنه بوصفه سوري الأصل ، وبضرورة مفادته الأراضي العراقية ، فنادرها باليوم نفسه ووصل مدينة بيروت وفيها أقام أربع سنوات .

وفي أعقاب جلاء الجيوش الفرنسية عن سورية سنة ١٩٤٥ م ، قامت الحكومة السورية بتكليف ساطع الحصري بجهة الإشراف على إعادة تنظيم المعارف ، وعينته مشاوراً فنياً لها لشؤون التربية والتعليم ، وظل يقوم بهذه المهمة ثلاث سنوات .

وفي ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٤٧ م ، دعيته وزارة المعارف المصرية لإلقاء محاضرات في اجتماعات التربية في معهد التربية في القاهرة ، فاستمر يلقي المحاضرات في هذا المعهد مدة ثلاث سنوات أيضاً ، قامت خلالها جامعة الدول العربية بترشيحه لمنصب المشاور الفني للإدارة الثقافية ، فشغل هذا المنصب من أول سنة ١٩٤٧ م ، بما عرف فيه من دأب على العمل وإخلاص فيه ،

حتى نهاية عام ١٩٥٠ م ، إذ بدا له أن يستقيل منه فاستقال . على أنه قبل عرض الإدارة الثقافية بأن يدبر معهد الدراسات العربية العالية ، الذي قررت جامعة الدول العربية بمساعيه افتتاحه في القاهرة ، واستلم إدارة المعهد اعتباراً من أول نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٣ م ، متولياً فيه كرمي " القومية العربية " . وفي سنة ١٩٥٦ استقال من إدارة المعهد ، ولم تمض سنة دراسية واحدة بعد ذلك حتى قرر ترك المعهد نهائياً ، لأنه لم يستطع تطبيق جميع ما يدين به من آراء ، فاستقال من التدريس أيضاً .

هذا وكانت الحكومة العربية السعودية قد كلفته خلال سنة ١٩٥٤ م ، بدراسة أحوال المعارف في المملكة ، وتقديم تقرير عن وسائل إصلاحها ، فقام بهذا الواجب خير قيام ضمن الحدود المرسومة وبحسب ما رآه مفيداً .

المراسلات التي اشتهرت الفقيه وشيخ فبرها

عندما كان ساطع الحصري في " المدرسة الملكية الشاهانية " في استانبول ، لم يكن يرضى لنفسه الا كثفاء بالمحاضرات النظامية تلقى عليه ، وبالكثب المحددة المطلوبة منه ، فقد خلق شديدا الرغبة بالعرفه والتقصي ، محباً للدراسة والتحصيل ، مولعاً بالعلوم الرياضية ، مندفعاً وراء كشف دقائقها ، فأخذ يلتهم كل ما تقع عليه يده من كتب ومجلات تبحث فيها ، مستعيراً من أصدقائه طلاب مدرستي الهندسة والأركان الكتب المقررة عليهم ، وبدأ يُعرف بقدرته على حل العويص من مسائل الرياضيات العالية ، فأطلق عليه رفاقه اسم " آوشيمد " وبه اشتهر مدة طويلة من الزمن .

وكما أولع ساطع الحصري بالعلوم الرياضية ، أولع بالعلوم الطبيعية ، واستهواه تشريح الحيوانات وتحنيطها ، فأثقف ذلك ، حتى كان في طليعة ما يفعله في المدارس التي تولى إدارتها ، إنشاء متاحف للتاريخ الطبيعي فيها .

ومن العلوم التي استهوت فقيدها أيضاً ، علوم النفس والتربية والاجتماع ، فأخذ يتبحر فيها ويفوص وراء مشاكلها ، حتى غدا أستاذاً الذي يشار إليه بالبنان في استانبول يوم كان فيها ، وعميد أساتيدها في أرجاء العالم العربي فيما بعد .
وعما ساعد ساطعاً ، في إتقان هواياته وإتقان أبحاثها ودقائقها ، الرحلات الدراسية التي قام بها إلى البلاد الأوروبية خلال أعوام ١٩١٠ - ١٩١٧ م ، فقد زار كلاً من إيطاليا وسويسرة وفرنسة وانكلترة وبلجيكا وهولندة وألمانية ورومانية وبلغارية ، دارساً في كل منها نظم التربية والتعليم المطبقة والميوس التي يشكى منها ، والاتجاهات الحديثة التي يفكر فيها المصلحون في مختلف البلاد المذكورة .

اشترك ساطع الحصري في المؤتمر الدولي الثاني للتربية الأخلاقية في لاهاي سنة ١٩١٢ م ، وكان من أعضاء عمدة معهد جان جاك روسو الذي أسس في صيف السنة نفسها ، كما اشترك في المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع في استانبول سنة ١٩٣٢ م ، ممثلاً لدولة العراق ، كما مثله في المؤتمر الدولي للحفريات الأثرية في القاهرة سنة ١٩٣٧ م . وقد جرى انتخابه سنة ١٩٣٨ م عضواً في لجنة المتاحف الدائمة المنبثقة عن اللجنة الدولية للتعاون الفكري .



مؤلفات الفقيه وأماه

كان الفقيه من أكثر المفكرين العرب تدويناً لدراساته وبحوثه وآرائه والحوادث التي وقعت معه ، وقد نشر أكثرها كتباً يتداولها الناس ، إلى جانب العديد من مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون .

كانت آثار فقيدها المطبوعة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، مكتوبة بالتركية اللغة الرسمية للدولة العثمانية ، وهي تنقسم إلى قسمين بحسب زمن كتابتها :

القسم الأول : آثاره قبل إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م
وهي عبارة عن سلسلة من الكتب المدرسية في عديد من العلوم الطبيعية ،
وكانت وزارة المعارف العثمانية قررت تدريسها في جميع أنحاء الدولة ، وتبين
موضوعاتها من المناوين التالية :

- ١ - معلومات زراعية ؛ ٢ - دروس الأشياء (المدارس الابتدائية) .
- ٣ - علم الحيوان ؛ ٤ - علم النبات ؛ ٥ - تطبيقات زراعية
(للمدارس الثانوية) .

وللفقيد مقالات كثيرة في مسائل عملية ، وفي وصف مخترعات حديثة ،
نشرت له في المجلات العلمية والأدبية ، وعناوين بعضها كالآتي :
نحو القطب - التلغراف اللاسلكي - الأشعة المجهولة - الحياة في الناجم -
مناظر النروب : في الأرض ، وفي الكواكب .

القسم الثاني : آثاره بعد إعلان الدستور

أ - الكتب التي ألفها الفقيد :

- ١ - كتاب « فن التربية » ، ويشتمل على مجموعة دروسه في دار المعلمين ،
وهو في مجلدين .
- ٢ - « انتوغرافيا » [علم الأرقام] ، وهو كتاب يشتمل على مجموعة دروسه
في المدرسة الملكية .
- ٣ - « تقارير » [لايحه لرم] ، وهي عبارة عن كتاب يتضمن مجموعة
التقارير التي قدمها إلى وزارة المعارف ، بعد عودته من رحلته
الدراسية الأولى سنة ١٩١٠ م .
- ٤ - « الوطن » ، وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات في الوطنية والتربية الوطنية .
- ٥ - « الأمل والعزم » ، وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات .
- ٦ - « اليابان واليابانيون » ، عنوان محاضرة عن نهضة اليابان وعواملها .

ب — المجلات التي عمل الفقيه على إصدارها :

- ١ — «أنوار المآلوم» ، وهي مجلة في المآلوم والكشوف العلمية ، وقد صدر منها مجلد واحد .
- ٢ — «التدريسات الابتدائية» ، مجلة تعليمية صدر منها ثلاثة مجلدات .
- ٣ — «مجلة التربية» ، صدر منها عشرة أعداد فقط ، وكانت الأربعة الأولى مصورة .

ج — المقالات التي دجها الفقيه :

اشتهر الفقيه بالمقالات الكثيرة التي كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات ، متميزاً أي مناسبة يستطيع فيها أن يدلي برأيه ، أو يدافع عن مبادئه أو يشرح فيها أفكاره وعقيدته .

وليس من المهمل على المرء تقصي كل ما كتبه الفقيه ونشره ، على أن معظم مقالاته كانت تربوية واجتماعية ، وكان قسم كبير منها نقداً أو دراسة للقضايا الإصلاحية الكبرى ، وبعضها كان سياسياً ؛ وكان من أهم المقالات التي نشرها في العهد العثماني ، وكان لها صداها في الرأي العام المقالات التالية :

- ١ — آثار الاستبداد وبذوره الباقية (أربع مقالات متتابعة) .
- ٢ — في سبيل إصلاح المآلوف .
- ٣ — نظرية شجرة الطوبى والتفكير العلمي .
- ٤ — دور كهام ونظرياته الاجتماعية (نقد) .
- ٥ — دفاع عن مدحت باشا .
- ٦ — قضايا التنظيمات .
- ٧ — معروض تورينو وطرابلس الغرب .
- ٨ — خطاب إلى طلعت بك .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الفقيه نشر مقالات عديدة خلال سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ م في مجلة «نيو حقيقت» ، التي كانت تصدر في مناستر ، بصورة سرية قبل إعلان الدستور ، وبصورة علنية بعد إعلانه ، وظل الفقيه يرسلها ويكتب فيها إلى ما بعد انتقاله إلى استانبول .



أما آثار الفقيه التي تؤلف ثروة ضخمة للمكتبة العربية ، فهي على نوعين أيضاً :
النوع الأول : ١ - مقالات منشورة في مختلف صحف ومجلات البلاد العربية ، ضمن الفترات الزمنية التالية :

أ - خلال وجود الفقيه في سورية (١٩١٩ - ١٩٢٠ م) ، وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » ، نشر فيها عدة مقالات تربوية ووطنية .

ب - خلال وجود الفقيه في العراق (١٩٢٢ - ١٩٤١ م) وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » ، أيضاً ، وصدر منها خمسة مجلدات بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣١ م ، وفيها كثير من المقالات والبحوث القيمة التي كتبها الفقيه .

ج - بعد إخراج الفقيه من العراق ، وقبل إقامته في مصر ، نشر كثيراً من المقالات والمحاضرات والأبحاث وقد جمع أكثرها في كتب مستقلة ، وكانت صحف بيروت ودمشق والقاهرة ومجلاتها ، ومجلة « الرسالة » في طليعتها ، هي الميدان الذي كان فقيدها يناضل على صفحاتها .

د - بعد استقرار الفقيه في القاهرة ، أخذ ينشر آراءه ودراساته نشرًا منظماً ، كونه أهم مؤلفاته القيمة .

النوع الثاني : - الكتب ، وفيما يلي ثبت بما عرفناه منها :

١ - « الفرواء الخلدونية » (الألفباء) .

٢ - « مرشد الفرواء الخلدونية » (طريقة تعليم الألفباء) .

٣ - « مساعد الفرواء الخلدونية » .

٤ - « دروس الأشياء » ، في أربعة أجزاء .

٥ - « أصول التدريس » و « أصول تدريس اللغة العوبية » ؛ كل بحث في جزء .

٦ - « رسائل إلى بول مونزو » ، نظرات نقد لتقرير مونزو عن معارف العراق .

٧ - « الإحصاء » ، مجموعة محاضرات في كلية حقوق بغداد .

٨ - « آراء وأحاديث في التربية والتعليم » .

٩ - « آراء وأحاديث في الوطنية والقومية » ، وهذا الكتاب والذي

قبله تضمننا مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات التي نشرها الفقيه

في مختلف الصحف والمجلات ، وقد طبعها في القاهرة سنة ١٩٤٤ م .

١٠ - « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » نشرت أولاً في بيروت

سنة ١٩٤٤ ، ثم أعيد طبعها منقحة مزيده في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

١١ - « يوم ميلاد » ، مذكرات الفقيه عن الأيام الأخيرة للدولة العربية

السورية سنة ١٩٣٠ م . وقد طبع في بيروت أكثر من مرة .

١٢ - « تقارير » ، وتتضمن دراسة مستفيضة حول المعارف في سورية ،

صدرت في جزأين طبعاً في دمشق ، الأول سنة ١٩٤٤ والثاني ١٩٤٥ م .

١٣ - « صفحات من الماضي النوبي » ، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م .

١٤ - « آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة » ، طبع في القاهرة

سنة ١٩٥١ م .

- ١٥ - « آراء وأحاديث في التربية والاجتماع » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ١٦ - « آراء وأحاديث في القومية العربية » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م وأعيد طبعه في بيروت للمرة الرابعة .
- ١٧ - « العروبة بين دعائمها ومعارضها » ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٢ م .
- ١٨ - « محاضرات في نشوء الفكرة القومية » ، طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٩٥١ م ، وأعيد طبعه في بيروت للمرة الخامسة .
- ١٩ - « العروبة أولاً » ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٥ م . ثم أعيد طبعه فيها أيضاً للمرة الخامسة .
- ٢٠ - « دفاع عن العروبة » ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٦ م . وقد أعيد طبعه فيها للمرة الثالثة سنة ١٩٦٨ م .
- ٢١ - « آراء وأحاديث في اللغة والأدب » ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٨ م .
- ٢٢ - « المحاضرة الافتتاحية » ، في معهد الدراسات العربية العالمية ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٢٣ - « البلاد العربية والدولة العثمانية » ، طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٥٧ م ، وأعيد طبعه للمرة الثالثة في بيروت طبعة مزيّدة ومنقّحة .
- ٢٤ - « حوليات الثنافة العربية » ، وهي مجموعة دراسات وإحصائيات عن الثقافة العربية في أرجاء الوطن العربي ، صدرت منها الأجزاء التالية :
- ١ - السنة الأولى : عن السنوات التي سبقت ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وطُبعت في القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

- ٢ — السنة الثانية : عن سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٣ — السنة الثالثة : عن سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٤ — السنة الرابعة : عن سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٥ — السنة الخامسة : فيها صلة ما انقطع حتى سنة ١٩٥٧ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
- ٢٥ — « البلاد العربية منذ ظهور الإسلام » ، خريطة زمنية طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٢٦ — « آراء وأحاديث في الوطنية والقومية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الخامسة سنة ١٩٦٦ م .
- ٢٧ — « حول الوحدة الثقافية العربية » ، وقد طبع في بيروت .
- ٢٨ — « ماهي القومية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية .
- ٢٩ — « الاقليمية .. جذورها وبذورها » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ م .
- ٣٠ — « حول القومية العربية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- ٣١ — « ثقافتنا في جامعة الدول العربية » ، وقد طبع في بيروت .
- ٣٢ — « مذكراتي في العراق » ، الجزء الأول وفيه حوادث سنة ١٩٢١ حتى ١٩٢٧ م ، وقد طبعت دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- ٣٣ — « مذكراتي في العراق » ، الجزء الثاني وفيه حوادث سنة ١٩٢٧ حتى سنة ١٩٤١ م ، وقد طبعت دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٨ م .

بين الفقير وبينني

تربطني بالفقيد الكبير صلة ودّ وتقدير عظيمة ، تمتد جذورها إلى سنة ١٩٣٩م يوم كنت في بغداد أزوره مع إخوان لي من شباب العرب المتحمسين لعروبهم . كان الفقيد وهو شيخ يثني نحو الستين من عمره ، يستحوذ على كل تقديرنا واحترامنا ، لاندفاعه وحماسة في الدفاع عن القومية العربية ، حماسة لا تعدّها حماسة الشباب ولا اندفاعه . وتوثقت صلاتي بالفقيد عندما أقام في دمشق سنة ١٩٤٥م ، ثم اشتدت بعد أن أقام في القاهرة وكثر ترددي عليها ، أزوره أو يزورني فأقضي معه ساعات أفيد فيها من علمه وخبرته وقوته في الدفاع عن آرائه .

وعندما أخرجت مطابع دار العلم للملايين في بيروت ، كتاب « حول القومية العربية » لفقيدنا الكبير سنة ١٩٦١م ، قمت بتعريف الكتاب بكلمة نشرتها مجلة الجمع العلمي العربي في الجزء الأول من المجلد السابع والثلاثين لسنة ١٩٦٢م ، وقلت مستهلاً تعريفي بالكتاب : [هذا كتاب جديد تصدره المطبعة العربية للعلامة ساطع الحصري ، إنه الحلقة الثامنة من السلسلة القومية ، سلسلة الكتب التي نشرها الأستاذ الحصري على الناس ، يحدّثهم فيها حديث المعلم الوثائق بعلمه ، وحديث المؤمن القوي الإيمان بما يعتقد ، يحدّثهم فيها عن القومية بفهمها العام ، وعن القومية العربية بصورة خاصة] .

وكان من تقدي للكتاب فقد التعريف الذي أورده الأستاذ الحصري بأن : « العربي من تكلم بالعربية » ، وقد قلت في ذلك : [.. لا بد لنا إذن من إضافة عنصر الإرادة إلى هذا التعريف الناقص حتى يتم بقولنا :

«العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً»^(١) ، ومن المعلوم أن الشعور والإرادة هما العاملان المثالي الأساسيان في قيام جميع القوميات . وأدّى نقدي هذا إلى ردّ وتوضيح كتبه الأستاذ الحصري ، ثم إلى تعقيب مني على ردّه ، وقد نشرنا في الجزء الثاني من المجلد المذكور من مجلة مجمع دمشق . على أن ما دار بيني وبين الفقيه الكبير من جدال حول تعريف العربي ، وما كان يدور بيننا أحياناً من مناقشات حول القومية عامة ومدى علاقتها بالإسلام خاصة ، ما كان يفسد ما بيننا من ودّ صاف وتقدير عظيم ، صورته في كلتي التي أشرت إليها آنفاً قاتلاً فيها : [إن الأستاذ الحصري يضاف على كل ما يكتبه فضلاً من إيمانه بالقومية العربية واعترازه بها ، فيزيد المؤمن إيماناً والمعتز اعتزازاً ، وهو يفرض على قارئه الاحترام ، ولو كان له رأي يخالف رأيه ، أو كان يحتفظ لنفسه بقيودٍ على بعض نظرياته ، وذلك لأن من يكتب عن عقيدة راسخة وإيمان لم يمتوره شك ، يوم كان المؤمنون قلة ، وظلام المستقبل يكتنفهم ، جدير بالاحترام] .



من أصدقاء موت الحصري

مات ساطع الحصري ، بعد حياة مديدة قاربت التسعين من السنين عدداً ، وكانت حافلة بالحركة الدائمة والنشاط الجسم والأفكار القيمة العميقة ، وأحدث موته صدى أليماً في أرجاء الوطن العربي ، وحنناً لدى المفكرين عامة ، ولدى دعاة القومية العربية منهم بصورة خاصة ، وكان من أهم الأصدقاء الدالة على مكانة الفقيه في العالم العربي إعلان (اتحاد الصحفيين العرب) عن إقامة جنازة

(١) واضع هذا التعريف هو الأمير مصطفى الشماخي رئيس المجمع العلمي العربي الراحل . انظر كتابه عن « الاستعمار » ج ١ ص ١٣ القاهرة ١٩٦٥ م .

دروية يطلق عليها اسم (جائزة ساطع الحصري السنوية) ، وقد أعلن عن تخصيص ثلاث جوائز لسنة ١٩٦٩ م ، ذات قيمة مالية كبيرة تدفع لأحسن ثلاثة بحوث تقدم في أحد الموضوعات التالية :

- ١ - أثر القضية الفلسطينية في حركة الوحدة الدوبية .
- ٢ - التكامل الاقتصادي العربي .
- ٣ - موقف ساطع الحصري من النظم التربوية الحديثة .

★ ★ ★

رحم الله ساطعاً رحمة واسعة وغفر له وأنزله منازل الأبرار
من عباده المؤمنين .

عدنان الخطيب



نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٧ —

٢٠٥ (الجنب)

Plèvre (f.)

ف

Pleura

ز

في الأصل . — الجنب ، مجتمع الأضلاع وأسفل الضلوع .

في (ق) . — الجنب والجانب والجنبه شيق الإنسان وغيره والجنب معظم الشيء وأكثره .

قلت : في الطب يقبل استعماله مع الغشاء .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — الجنب ، كيسٌ لا فتحة له من غشاء مصلي ، يُغطّي الزور ويُعلّف الرئتين اليمنى واليسرى .
ما أضفته :

١ — غشاء جنب رقبتي

Plèvre cervicale

ف

Cervical pleura

ز

٢ — غشاء جنب ضلعي

Plèvre costale

ف

Costal pleura

ز

٣ - غشاء جنب حجابي

Plèvre diaphragmatique ف

Diaphragmatic pleura ز

٤ - غشاء جنب مننصفي

Plèvre mediastinale ف

Mediastinal pleura ز

٥ - جنبي

Pleural ف ، ز

٦ - ذات الجنب

Pleurésie ف

Pleurisy ز

٧ - ذات الجنب (= رر سام)

Pleurite ف

Pleuritis ز

٨ - جناب

Pleurodynie ف

Pleurodynia : pleuralgia ز



(٢٠٦) الخلف = القُصَيَّرُ

Côte flottante ف

Floating rib ز

في الأصل . - ومما يلي البطن يقال له الخلف وهي أيضاً القصوى .
(الخلف ما قصر من أضلاع الجنب ودق . شرح المحقق) .

في (ق) . - الخلف تقبض القدماء ؛ وأقصر أضلاع الجنب . ج خلوف ؛
والظاهر وما ولي البطن من صفار الأضلاع ؛ وحلمة ضرع الناقة ... الخ .
والقصوى ، والقُصَيَّا في (ق) أيضاً : الغاية البعيدة .

ملاحظتي . — على اعتبار (القصوى) الغاية البعيدة ؛ فالذكرورة في الأصل مرادفةٌ للختلف تكون صفةً لمحذوف هو (الضلع) (أي الضلع القصوى) . وفي رأيي أنها — وإن صحّت مرادفةٌ — مصحّفةٌ عن (القصيرى : وهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب) . فيصح تخصيص (القصيرى) للضلع الثانية عشرة من أضلاع الهيكل البشري : لأقصى الأضلاع وهي أقصرها أيضاً . ولذا وضعتها مصحّحةً في (الرقم ٢٠٦) .

★ ★ ★

(٢٠٧) الخاصرة

Flanc (m.) ; côté ف

Flank ; side ز

في الأصل . — والخاصرة عند ذلك (قلت : أي عند أسفل الضلوع كما يتبين من سياق الجملة التي قبلها) .
في (ق) . — الخَصْر ، وسَط الإنسان ، وأخص القدم ؛ والخاصرة ، الشاكلة وما بين الحرقفة والقصيرى .

قلت : أما الشاكلة فهي من الفِراس الجلد بين عُرْض الخاصرة والثَّفينة (هي من البعير الركبة ؛ ومن الإنسان مجتمع الساق والفخذ ؛ ومن الخيل موصل الفخذين في الساقين من باطن) .

وأما القصيرى فهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب .
في (ل) . — الخاصرة قسم البدن ، من الأضلاع حتى الوركين ؛ وعلى التوسع جانب الجسم .

★ ★ ★

(٢٠٨) الصِّفاق

- Péritoine (m.) ف
 Peritoneum ز
 في الأصل . — جليدة البطن التي تلي الجلدة الظاهرة (= ما بين الجلد والصران) .
 في (ق) . — الصفاق ككتاب ، الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والصران ، أو جلد البطن كله .
 في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — غشاء مصلي كاس أعضاء البطن داخلاً ، مغلفٌ وحافظٌ جميع الأعضاء الموجودة في هذا الجوف .
 ما أضفته :

١ — صفاق جداري

Péritoine pariétal ف

Parietal peritoneum ز

٢ — صفاق حَشَوِي

Péritoine viscéral ف

Visceral peritoneum ز

٣ — صفاقي

Péritonéal ف ، ز

٤ — التهاب الصفاق

Péritonite ف

Peritonitis ز

★ ★ ★

(٢٠٩) الحَشَوَةُ = الحَشَى والحَشَا (*)

Viscère (m.); entraille (f.) ف

Viscera; entrail; bowels ز

في الأصل . — في البطن ، مما ضمت عليه الضلوع .
 في (ق) . — الحَشَا ما في البطن ج أحشاء . والحَشَى مادون الحجاب
 مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ؛ أو ما بين ضلع الختلف
 التي في آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن والحِضْن ؛ وحشوة
 الأرض بالضم والكسر حشوها ودغلتها .
 في متن اللغة . — الحشوة بالضم والفتح ، من الشاة : جوفها وأمعاؤها ،
 أو جميع ما في بطنها عدا الشحم ؛ وفي الأرض حشوها ودغلتها (على المجاز) .
 في (ل) . — الكلمة الأولى (Viscère) تطلق على كل من الأعضاء
 التي توجد في أجواف الجسم كالدماع والرئتين ، والقلب الخ .
 والكلمة الثانية (Entrailles) تُطلق على الأمعاء وهي الرَبَض .
 قلت : الكلمتان مترادفتان في الطب ، يراد بهما الأحشاء عامة .
 ما أضافته :

١ — ألم الأحشاء

Viscéralgie	ف
Visceralgia ; neuralgia of visceral nerves	ز

٢ — مبحث الأحشاء

Splanchnologie	ف
Splanchnology	ز

٣ — هبوط الأحشاء

Viscéroptose ; splanchnoptose	ف
Visceroptosis	ز

٤ — حشوي

Viscéral ; splanchnique	ف
Visceral ; splanchnic	ز

٢١٠) الحجاب

- Diaphragme (m.) ف
 Diaphragm ; midriff ; phren ; diaphragma ز
 قلت : و (الحاجز) كذلك . وقد يقال الحجاب الحاجز صفة للأولى .
 في الأصل . — الحجاب من الحشا ، جليئدة اللحم يحجز بين الصدر والبطن .
 في (ق) . — حجبته حجباً وحجاباً ستره كحجبته . والحجاب البواب .
 والحجاب ما احتجب به . ج حُجِبَ ، ولحمة رقيقة مستبطنة بين الجنين
 تحول بين السَّحَر (أي الرئة) والقَصَب .
 في (ل) . — عضلة عريضة جداً ورقيقة تفصل الصدر عن البطن .
 بتقبضها يزداد حجم القفص الصدري وبالتالي الشهيق .

ما أضفته (أقسامه) :

١ — حُزَم ضلعية

- Faisceaux costaux ف
 Pars costalis ز

٢ — حُزَم قَصِيَّة

- Faisceaux stérnaux ف
 Pars sternalis ز

٣ — حُزَم قطنية

- Faisceaux lombaires ف
 Pars lumbaris ز

٤ — فُوْهَة المريء

- Orifice œsophagien ف
 Foramen œsophagicum ز

٥ — فوهة الوتين

Orifice aortique	ف
Aortic opening	ز

٦ — فوهة الوريد الأجوف السفلي

Orifice de la veine cave inferieure	ف
Foramen venae cave	ز

٧ — مركز حجابي

Centre phrénique	ف
Central tendon	ز



(٢١١) الفؤاد = القلب

Cœur (m.)	ف
Heart	ز

في الأصل . — الفؤاد ، القلب .

في (ق) . — الفؤاد القلب أو أخص منه .

في متن اللغة . — القلب الفؤاد أو المضخة منه الملتقة بالنياط ، أو الحلقة

السوداء في جوفه . ج قلوب .

والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده أو لحركته وبضه (مذكر) أو هو وسط القلب أو غشاؤه أو وعاءه أو داخله أو ما يتعلق بالمرء من كبد ورثة وقلب فيكون أعم من القلب ج أفئدة .

في (ل) . — القلب عضو زوّري محفور (١) وعضلي يبضوي الشكل وهو عضو رأس للدورة الدموية . يغلّف هذا العضو ، التأمور (٢) . ويتألف أساساً من عضلة هي عضلة القلب (٣) . أما باطنه فتؤلف من الشغاف

أي بطانة القلب (٤) . في هذا العضو أربعة أجواف : أذينة (٥) وبطين أيمن (= القلب الأيمن) ، وأذينة وبطين أيسر (= القلب الأيسر) . الأذينة والبطين الأيمن يتصلان بصفتيق (٧) - أي مصراع [ثلاثي الشرف (٨) من الأيمن ، وإكليلي (٩) من الأيسر] لا يسمح بمرور الدم إلا من الأذينة نحو البطين الأيمن . والدم يصل بالأوردة الجوفاء إلى الأذينة اليمنى ، ويمر إلى البطين الأيمن الذي يدفعه إلى الرئة حيث يتخلص من غاز حمض الفحم وحيث ينشحن بالأكسجين ، ثم يعود بعد ذلك إلى الأذينة اليسرى ويمر إلى البطين الأيسر وأخيراً يوزع على أعضاء البدن كافة ماراً بالوتين (١٠) . أما عضلة القلب نفسها فتروى من الدم بالشرابين والأوردة التاجية (١١) التي تأتي إلى العضلة القلبية بالدم اللازم لعملها (للقيام بوظيفتها) . وهناك جملة عصبية مستقلة (١٢) تعمل على تنظيم تقلصات القلب . والجملة العصبية المستقلة هذه هي نفسها تراقبها ضفيرة (١٣) قلبية مؤلفة من تشعبات (١٤) الودي (١٥) ونظير الودي (رئوي معدي) اللذين ينقلان إليها التنبيهات الواردة من الناظم القلبي (١٦) الموجود في البصلة السيسائية (١٧) هـ .

وإليك ما يقابل الأرقام ، باللغتين الفرنسية والانكليزية :

- ١) Creux { hole , hollow , pit }
- ٢) Péricarde { pericardium }
- ٣) Myocarde { heart muscle }
- ٤) Endocarde { endocardium }
- ٥) Oreillette { oricle of the heart }
- ٦) Ventricule du cœur { ventricle of the heart }
- ٧) Valvule { valve }
- ٨) Tricuspide { tricuspid }
- ٩) Mitral { mitral }
- ١٠) Aorte { aorta }
- ١١) Coronaire { coronary , coronal }

- ١٢) Autonome [autononous]
 ١٣) Plexus [plexus ; network]
 ١٤) Ramifications [ramifications]
 ١٥) Sympathique , parasympathique [Sympathetic ,
 parasympathetic]
 ١٦) Cardiorégulateur [cardioregulator]
 ١٧) Buble rachidien [spinal or rachidian bulb]

أهم ما أضافته عن القلب :

١ - قلب جنيني

Cœur foetal ف
 Primitive heart ; foetal heart ز

ملاحظة . - أقسام هذا القلب الجنيني نسيجياً سبعة ، ذكرتها في
 الاستدراك - الجنين) فليرجع إليها المستزيد .

٢ - قلب متحرك

Cœur mobile ف
 Wandering heart ز

٣ - قلب متشحم (أو شحيم)

Cœur gras ف
 Fatty heart ز

٤ - قلب مسترخ

Cœur en goutte ف
 Pendulous heart ; drop - herat ز

٥ - قلبي ، مقوي القلب

Cordial ف ، ز

٦ - قلبي عرقى

Cardio - vasculaire ف
 Cardiovascular ز

٧ - قليات

Cordiaux	ف
Tonics ; cordials ; restoratives	ز

٨ - قلاب (مرض قلبي)

Cardiopathie	ف
Cardiopathy	ز

٩ - قلوب (متخصص بأمراض القلب)

Cardiologiste ; cardiologue	ف
Cardiologist	ز

١٠ - مبحث أمراض القلب

Cardiologie	ف
Cardiology	ز

١١ - مقلوب (مصاب بقلبه)

Cardiaque	ف
Cardiac	ز

١٢ - تخطيط القلب الكهربائي

Électrocardiographie	ف
Electrocardiography	ز

١٣ - مخطط القلب ، الكهربائي

Électrocardiogramme ; E C G	ف
Electrocardiogram	ز

أقسامه :

آ - صفحة ابتدائية للمشارك البطني

Phase initiale (Q R S) du complexe ventriculaire (E C G)	ف
---	---

Initial deflection of the ventricular complex (Q R S) ; Q R S - group of ecg	ز
--	---

ب - صفحة انتهائية المشترك البطيني

Phase terminale (T) du complexe
ventriculaire (E C G) ف

Terminal deflection of the
ventricular complex (T) (ecg) ;
Q R S T - group of ecg ز

ج (مشترك أذيني ؛ قفزة - ب)

Complexe auriculaire ; ressaut P (E C G) ف

Auricular comlex ; deflection P (ecg) ز

د - مشترك بطيني

Comlexe ventriculaire (E C G) ;
Complex Q R S T ف

Ventricular complex ecg ;
Q R S T — group of ecg ز

(يرادفه : مخطط بطيني)

(Ventriculogramme [ventriculogarm])

ه - القسم البدائي المشترك البطيني

Partie initiale du complexe ventriculaire ;
Complexe Q R S (E C G) ف

First position wave of the ventricular complex ;
Q R S — group of ecg ز

(يرادفه : مشترك بدائي)

(Complexe initiale [initial complex (ecg)])

١٤ - مقوّر للقلب

Cardio - tonique ; tonicardiaque ف

Cardiac Stimulant ; cardiotonic ; cardiac tonic ز

(٢١٢) الخَلْب

.....

ف ، ز
 في الأصل . - الخَلْب ، غشاء القلب .
 في (ق) . - الخَلْب ، الظُّفْر ... والحَيَمة رقيقة تصل بين الأضلاع
 والكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شيء أبيض رقيق لازق بها ... الخ .
 في معجم المتن . - الخَلْب ، الظُّفْر عامة ؛ حجاب القلب والكبد ،
 أو الحَيَمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو زيادتها ، أو شيء
 أبيض رقيق لازق بها ، أو عَظِيم مثل ظفر الإنسان لاصق بالحجاب مما يلي
 الكبد ، أو حجاب القلب ، أو حجاب ما بين القلب وسواد البطن
 والخَلْب ، الفُجْجُل ، وورق الكرم العريض .

قلت : ووفق التعريف في أصل المقالة ، هل هو التأمور (Péricarde) ؟ ؟
 ووفق التعريف في (ق) و (المتن) هل هو ما كان يطلق عليه (Pératoine) ؟ ؟
 أم هل هو الوَرَب (Intercoastal) أي الفضاء ما بين ضلعين ؟ ولولا ذكر
 المؤلف للخَلْب في مقالاته لأسماء أعضاء الإنسان ، لزدتُ أم هل هو الفُجْجُل
 (Radis) أم ورق الكرم (Feuilles de vigne) ؟ ؟

★ ★ ★

(٢١٣) النِيَّاط

Aorte (f.)

Aorta

ف

ز

في الأصل . - نِيَّاط القلب عرقه الذي يملق به (= العرق المعلق به
 القلب ، حسب شرح المحقق) .

في (ق) . - نَاطِه تَوَطُّا عَلَّقَه . والأنواط المعليق . والنِيَّاط ككتاب
 الفؤاد ، ومعلَّق كل شيء ، أو عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ج أَثَوِطَة

وأنواط ونوط بالضم . وعرق مستبطن الصلب تحت المتن كالنائط ، أو النائط ممتد في الصلب .

في متن اللغة . — النياط ، الفؤاد . وعرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه . أو عرق مستبطن الصلب تحت المتن ، وهو العرق النائط . والنياط العرق المعلق به القلب ج نياط .

ملاحظتي . — لم أنين على التأكيد ما يقصد من عرق القلب الذي يعلق به (والمعلق به القلب حسب شرح المحقق) . ثم إن النياط في (الرقم ٢١٣) جمع والشرح مفرد . وفي (ق) مفرد والجمع أنوطة وأنواط ونوط . وإن ما يعلق به القلب من المروق عديدة فلاي منها "يخصّص النياط ؛ فبحسب التشريح الوصفي للقلب في اليوم الحاضر أرى أن هذا العرق الغليظ الذي نيط به القلب — كما في (ق) وفي متن اللغة — (هو الوتين) وشعبه . وهذا ما جعلني أضع مقابلاً له الكلمتين الافرنجيتين في (الرقم ٢١٣) .

أهم ما أضفته عن أقسام الوتين :

١ — وتين صاعد

Aorte ascendante

ف

Ascending aorta

ز

٢ — وتين نازل

Aorte descendante

ف

Descending aorta

ز

٣ — قوس الوتين

Crosse de l'aorte

ف

Arch of the aorta

ز

وأهم ما أضفته عن شعب الوتين :

(أ) السباتي الأيسر

Carotide gauche	ف
Left carotid	ز

(ب) شريان تحت الترقوة

Artère sous - clavière	ف
Subclavian artery	ز

(ج) شريان رئوي

Artère pulmonaire	ف
Pulmonary artery	ز

(د) جذع عَضُدِي رَأْسِي

Tronc brachio - cephalique	ف
Brachiocephalic artery ; innominate artery	ز

وعلى وجه عام أضفت :

١ - التهاب الوتين

Aortite	ف
Aortitis	ز

٢ - رسم الوتين الشعاعي

Aortographie	ف
Aortography	ز

٣ - وتيني

Aortique	ف
Aortic	ز

(٢١٤) حَبَّةُ الْقَلْبِ

ف ، ز
في الأصل . — سويداء وهي عِلَاقَةٌ في جوفه (!) . ويقال للكبد والرئة والفؤاد ، وسواد البطن .

في (ق) . — ... وحبّة القلب ، سويداءه أو مهجته أو ثمرته أو هنة سوداء فيه . والعَلَقُ ، الدم عامة أو الشدبد الحرة أو الغليظ أو الجامد ؛ والقطعة منه عِلَاقَةٌ .

في معجم المتن . — حبّة القلب ، وسطه ، سويداءه ، وهي هنة سوداء فيه ، أو العِلَاقَةُ السوداء داخله ؛ ثمرته ومهجته .

ملاحظتي . — أيّة عِلَاقَةٍ هي في جوف القلب ؟ هل هي قطعة لحمية ثابتة في تكوينه ، أم خُثارة دم جامد فيه (كما في ق) ؟ أم إن الحَبَّة محض وصف عاطفي (؟) لثمرته أو مهجته (؟) . وفي ظني أن أكثر هذه الأوصاف يذكرها من شاهد قلباً مُزَع من حيوان مذبوح أو ميت فرأى فيه (عِلَاقَةُ سوداء ، أو هنة سوداء) . ولا شك أنها خُثارة دم من عروق القلب الخاصة أو مما تخر من الدم في جوف القلب إثر الذبح أو الموت . أو — وهو الأغلب في الاحتمال — لعل هذه الهنة (لا العِلَاقَةُ) هي مصاريع القلب إذا نُظِر إلى القلب مقطوعاً أو مشرّعاً .

ومن اثبات اليوم أن أية عِلَاقَةُ دموية أو خُثارة مها دَقَّت قد تسبب انسداداً لأحد الأوعية ، خطراً على الحياة سمي (حُشَاء أو سُدَاد Infaretus) .

لهذا لا يصح بوجه من الوجوه أن يُقبل وجود عِلَاقَةٍ في القلب بمعنى الخُثارة الدموية ، في حال الحيوان ، فيجب أن يطوى ذكرها في معجم عربي حديث .

★ ★ ★

الكنوز صلاح الدين الكلبى

(يتبع)



صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٥ -

النظرة الجديدة إلى الاسلام في القرن الثامن عشر :

إن النزعة العقلية التي تميزت بها « حركة النور » في القرن الثامن عشر كان لها تأثير كبير في تغيير نظرة الأوربيين إلى الشرق عامة . فقد كانت هذه الحركة تسمى ، قبل كل شيء ، إلى التحرر من سيطرة الكنيسة ومن القيود التي فرضتها على الحياة الفكرية . وكانت الجماهير قد عرفت الشيء الكثير عن البلاد الشرقية بفضل كتب الرحلات الحقيقية أو الخيالية التي شاعت في هذا العصر . وكان الإعجاب عظيماً بحضارة الصين خاصة . فأخذ الكتاب بنوهون بديانة (كونفوشيوس) وما امتازت به من حكمة وتسامح ويستندون إلى ذلك في مهاجمة تعصب رجال الدين المسيحي . ثم اتسع نطاق الاهتمام فشمل الهند وفارس والشرق الإسلامي كله .

وقد تبدلت النظرة إلى الرسول ﷺ ، فترى الفيلسوف (لايبنتز Leibniz) يعتبره مبشراً بالديانة القطرية . ولعل أبرز ممثل للاتجاه الجديد هو الكونت (هنري دوبولنفيه Henry de Boulainvilliers) (١٦٥٨ - ١٧٢٢) الذي مات قبل أن يتم كتابه عن (حياة محمد) ^(١) فنشر بعده في لندن سنة ١٧٣٠ وأعيد طبعه في أمستردام سنة ١٩٣١ .

(١) Le Comte Henry de Boulainvilliers : La vie de Mohamet, avec des réflexions sur la religion Mahometane et les coutumes de Musulmans. London 1730; 2ed. Amsterdam 1931.

يصرح (بولنفيه) بأنه يريد إثبات تفوق الإسلام على المسيحية . وهو قد وصف الرسول ﷺ بأنه مشرع حكيم ، متطور ، قاد شعبه إلى الحضارة وجاء بديانة « عقلية » لتحل مكان العقائد اليهودية والمسيحية المشبوهة . ثم إنه يهاجم الذين يشكّون في صدق الرسول ﷺ ويبين أن كل ما قاله محمد ﷺ عن تعاليم الدين الأساسية صحيح ولو أنه لم يكشف عن كل الحقائق .

لكن لا بد من الملاحظة أن (بولنفيه) لم يكن يعرف العربية وأن كتابه لم يأت بمعلومات جديدة . فهو قد جمع مادته من المؤلفات الأوروبية وأراد أن يستخدم الموضوع لمكافحة سيطرة الكنيسة .

ولقد لخص ناشر الكتاب رأي المعاصرين فيه بالعبارة التالية ضمن رسالة بعث بها إلى المستشرق الفرنسي (جان غانيه Jean Gagnier) ، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (اوكسفورد) ، قال : « إن (بولنفيه) يمزج تاريخه بكثير من التأملات السياسية التي تعجب القراء لما فيها من طرافة وجراءة » .

جان غانيه :

على أن المستشرق (غانيه) رأى في هذه التأملات الطريفة والجريئة خطراً كبيراً وشعر بأن من واجبه التحذير من كل تطرف والدعوة إلى اتباع الطريق الوسط بين ضلال المتعصبين وحماسة المتهوسين . وكان قد سبق لغانيه أن نشر القسم المتعلق بسيرة الرسول من تاريخ (أبي الفداء) باللغة العربية مع الترجمة اللاتينية في سنة (١٧٢٣) فقام بعد صدور كتاب (بولنفيه) وألف في سنة (١٧٣٢) كتابه عن « حياة محمد » باللغة الفرنسية .

ينين من مقدمة هذا الكتاب أن (غانيه) ليس صادقاً في ادعائه الحياد . فهو لا يقتصر على مهاجمة كتاب (بولففيه) ، الذي يزعم بأنه يستحق الحرق بل يظعن في الرسول أيضاً . وعلى الرغم من أن (غانيه) قد استند إلى القرآن والحديث وروايات المؤلفين المسلمين في وصف حياة الرسول ﷺ وشخصيته وأعماله وحاول أن ينقل النصوص بأمانة فإن التحزب واضح في اختيار الشواهد وفي طريقة عرضها .

(سميل) و (سافاري) :

إننا نلمس الرغبة في الإنصاف وحب الحقيقة عند مستشرقين آخرين برزا في ذلك العهد وقاما بترجمة القرآن من جديد :

الأول هو المستشرق الانكليزي (جورج سميل George Sale) (١٦٩٧ - ١٧٣٦) الذي مهد لترجمة القرآن^(١) بتقدمة ضافية بحث فيها عن العرب قبل الإسلام وعن حالة اليهودية والنسحية في الشرق عند ظهور الرسول ﷺ وعن القرآن وتعاليمه ثم نفى عن الرسول المطاعن التي اعتاد الكتاب المسيحيون تكرارها وقارن بين محمد ﷺ والمشرعين اليونانيين .

أما المستشرق الثاني الفرنسي (كلود أتيان سافاري Claude Etienne Savary) فقد كتب في مقدمة ترجمته للقرآن^(٢) يصف الرسول ﷺ بأنه أحد أولئك الرجال العظام الذين يظهرون من وقت إلى آخر فيقلبون أوضاع العالم ويقودون البشر في طريق التقدم والنصر . ثم يقول : « ونحن إذا أمعنا النظر في سيرة محمد ﷺ لا بد أن نشعر بالاعجاب تجاه المعجزات التي تستطيع العقوبة البشرية تحقيقها إذا ما ساعدتها الظروف . فالرسول محمد ، على الرغم من

(١) George Sale, The Koran, London 1734 .

(٢) Claude Etienne Savary, Le Coran : Paris 1752 (2.ed. 1783).

أنه ولد بين عبدة الأصنام ، قد استطاع أن يسمو إلى عبادة الإله الواحد . وهو قد لاحظ في رحلاته كيف كان المسيحيون يتنازعون وتلعن كل طائفة منهم الأخرى وكيف أن اليهود الذين هم حثالة الشعوب لا يتزحزون عن تقاليدهم البالية . وعلى العكس من المسيحيين واليهود أمس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافي الفضيلة ويعاقب الرذيلة . . . »

وبعد أن ينوه (سافاري) بعقريّة الرسول السياسية والعسكرية وبمقدرته في السيطرة على البشر يصرح بأن الغربي المتنور ، وإن لم يعترف بنبوءته ، لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهرت في التاريخ .

إن الباحث العديدة عن حياة الرسول ﷺ وشخصيته التي ظهرت في القرن الثامن عشر كانت خاضعة للزعات السياسية والاتجاهات الفكرية ، إنها كانت تهدف إلى الدفاع عن مبدأ معين أو فكرة سابقة ، لذلك كان الاختلاف شديداً والتناقض ظاهراً بينها . وهي بالإجمال كان محكوماً عليها بأن تبقى عقيمة لا تؤدي إلى كشف حقائق جديدة أو إلى تقدم المعرفة . هكذا نرى (فولتير) يمثل لنا هذا الاضطراب إذ اختار شخصية الرسول موضوعاً لرواية تمثيلية (١) هاجمه فيها على أنه رمز للتعصب الديني ثم عاد في كتابه عن الأخلاق والعادات ، (٢) يلتزم الاعتدال في الكلام على الرسول ويعترف بنبوغه وعظمته .

(قارلايل) :

وقد ظل الرأي السائد بين الأوروبيين عن الرسول ﷺ غامضاً وأقرب إلى المعارضة والعداوة ، وقبل كل شيء ، بعيداً عن التحقيق التاريخي حتى

(١) Voltaire : Le Fanatisme ou Mahomet, le Prophète, Paris 1741.

(٢) Voltaire, Essai sur les mœurs, Paris 1756.

منتصف القرن التاسع عشر إذ قام ، من جهة (قارلايل) يدعو إلى الإنصاف ومن جهة ثانية ، بدأ غيره من المستشرقين يرجعون إلى المصادر العربية القديمة ويتبعون طرائق النقد التاريخي في دراستها .

في يوم الجمعة ، الثامن من آذار سنة ١٨٤٠ ألقى المستشرق الانكليزي (توماس قارلايل Thomas Carlyle) (١٧٩٥ - ١٨٨١) المحاضرة الثانية من سلسلة محاضراته التي جمعها من بعد في كتابه المشهور « الأبطال وعبادة الأبطال » (١) وكان موضوعها : (الرسول محمد) . قال (قارلايل) :

« لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصني إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً خداع مزور . وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة ، الخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا . أكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتكة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً . فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج وبإصدافان منهم ذلك التصديق والقبول فما الناس إذن إلا بله ومجانين وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق . » [تعريب : محمد السباعي]

ثم حلل (قارلايل) شخصية الرسول وكشف عن نواحي عبقريته التي تتجلى فيها أسمى معاني الوحي وانتهى إلى أن محمداً ﷺ كان مخلصاً في دعوته ، صادقاً في عقيدته مثل غيره من العظماء المؤمنين .

(١) Thomas Carlyle : On Heroes, Hero - Worship and the Heroic in History.

London 1849

وكان (قارلايل) من الكتاب الانكليز البارزين يمتاز بأسلوب رائع ، فاستطاع أن يترك أثراً عميقاً في الرأي العام الاوروبي . إلا أن محاضرته عن الرسول لم تكن بطبيعة الحال ، تتضمن شيئاً من البحث في المصادر التاريخية ومناقشة الروايات ...

(وايل) والبحث التاريخي الانتقادي :

لذلك كان المستشرق الألماني (كوستاف وايل Gustav Weil) (١٨٠٨ - ١٨٨٩) ، حينما نشر كتاب «محمد الرسول ، حياته وتعاليمه»^(١) على حق في قوله بأن كتابه هذا هو أول دراسة ذاتية مستقاة من المصادر العربية منذ كتاب (غانيه) الذي انقضى عليه أكثر من قرن ، عدا أن (غانيه) قد اقتصر على نقل بعض الأخبار عن (ابن العربي) و (أبي الفداء) دون أي نقد تاريخي . وهذان المؤلفان من الكتاب المتأخرين الذين لا يمكن الوثوق بهم .

إن (وايل) أيضاً يريد الاعتماد على المصادر العربية ، ولكنه يعتقد ، من جهة بضرورة الرجوع إلى جميع المصادر الممكن الحصول عليها ولا سيما المصادر القديمة ، ثم يطالب من جهة ثانية ، بالخضاع هذه المصادر إلى النقد التاريخي ومقارنتها وتمييز الروايات الصحيحة من المدسوسة أو المزورة أو المحرفة . ويمكن القول بأن (وايل) قد افتتح مرحلة جديدة في دراسة سيرة الرسول ﷺ . فهو أول مستشرق بحث بطريقة انتقادية في الروايات المتناقلة عن الرسول وحاول أن يميز الأخبار القديمة التي تستحق التصديق من الأساطير المتأخرة التي ليس هناك من دليل على صحتها . وهو لم يكتف

(١) Gustav Weil, Mohammed der Prophet, sein Leben und seine Lehre, 1843.

بالمصادر المعروفة قبله ، بل بحث في المكتبات عن مختلف المخطوطات المتعلقة بالسيرة واختار منها كتاب « إنسان العمون في سيرة الأئمين المأمون » المعروفة بالسيرة الحلبية ، تأليف (برهان الدين علي بن ابراهيم الحلبي) ، ثم تاريخ « الخميس » (الحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري) . والمؤلفان من رجال القرن السادس عشر ، ولكنها قد نقلت حرفياً كل ما عثرا عليه في الكتب القديمة منذ القرن الثاني للهجرة حتى عصرهما . وبعد ذلك أرسل إليه الأستاذ (إيwald) ، المستشرق الألماني ، مخطوطة هامة جداً هي (سيرة ابن هشام) التي قام (وايل) في سنة ١٨٦٤ بت ترجمتها إلى الألمانية بعد أن تولى (وستنفلد Wuestenfeld) تحقيق النص العربي ونشره . ثم أقدم (وايل) على دراسة القرآن بمساعدة تفسير الجلالين وحاول ترتيب الآيات حسب تعاقبها الزمني ليستعين بها في متابعة حياة الرسول . وبعد ذلك سعى إلى دراسة شخصية محمد الإنسان والنبي والمشرع بصورة موضوعية دون أي تحيز ديني .

وكان طبعياً أن يراجع (وايل) كل المؤلفات الأوروبية عن حياة الرسول . وقد درس أيضاً بحوث (جايجر Geiger) و (جيروك Gerock) عن علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية .

والنتيجة التي انتهى إليها (وايل) من دراسته تلخص في قوله :
« بالنظر إلى ما قام به محمد من نشر أسمى التعاليم الواردة في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) بين شعب لم يصل إليه أي شعاع من نور الإيمان ، يجب على غير المسلمين أيضاً أن يعتبروه رسول الله . »

منذ نشر كتاب (وايل) تقدمت دراسات المستشرقين خطوات عظيمة وكشفت عن كثير من الحقائق الجديدة . ولكن لا ينكر أن لهذا العالم

فضل السبق إلى البحث العلمي الدقيق . والأحكام التي وصل إليها العلماء بعده لا تختلف بالإجمال كثيراً عن رأيه . . .

(دو برسفال) :

هكذا نرى المستشرق الفرنسي (قوسان دو برسفال Coussin de Perceval) يصدر ، بعد بضع سنوات ، حكماً مماثلاً في كتابه عن « تاريخ العرب » (١) ، الذي خصص الجزء الثالث منه لوصف حياة الرسول . ويتلخص رأيه في « أن محمداً (ﷺ) كان صادقاً ، مخلصاً ، مؤمناً بأنه مرسل لإتقاذ أمته من الضلال وبمبها إلى الحياة . . » وهو قد اقتصر على استعراض ما ورد في المصادر العربية دون تحليل ونقد . ولكنه كان يمتاز على المستشرقين السابقين بمعرفته العميقة للغة العربية وباطلاعه الواسع على أخبار العرب ، كما إنه استخدم مصادر جديدة لم تكن معروفة قبله . بذلك أصبح كتابه مرجعاً هاماً يستقي منه الباحثون . وإليه خاعة استند (رينان Renan) في دراساته عن الإسلام ومقارنته بين مختلف الأديان . وهو يصف الإسلام بأنه « ديانة طبيعية ، فطرية ، جدية ، متساحمة ، معقولة . . . »

تطور الطريقة التاريخية — الانتقادية :

لم يكن (وايل) و (دو برسفال) يجهلان مالحق أخبار الرواة المسلمين من تحريف وتزوير بسبب المنازعات الطائفية والاختلافات المذهبية . ولا شك في أنها يمتازان على من سبقهما من المستشرقين بالسعي إلى التمييز بين الروايات الصحيحة والكاذبة . ولكن طريقتهم في النقد كانت تعتمد كلياً على مجرد

(١) Coussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes . . . Paris 1847—1848.

الذوق السليم ولم تستند إلى نتائج البحث التاريخي نفسه . فيها لم يلاحظا كما ينبغي أن كتب السيرة قد تطورت في طريقة تأليفها وأسلوب كتابتها تبعاً لما حدث من تطور في العقيدة الإسلامية ذاتها . وقد غفلا عن أن الكثير من التعاليم والتقاليد التي شاعت بين المسلمين في العصور المتعاقبة وأصبحت تعتبر من صميم الإسلام لم يكن لها أي صلة بالعقيدة الإسلامية الأصلية . وقد بدأ المستشرقون ينتهون إلى هذه الناحية حوالي سنة ١٨٦٠ كما يستدل من مؤلفات عديدة عن حياة الرسول ظهرت في ذلك العهد ، أهمها هي مؤلفات (موير) و (شبرنجر) و (فولدكه) .

الدكتور محمد كامل عياد

(للبحث صلة)



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)^(١)

— ٤ —

١٦ - ووردت في الصفحة ١٦٢ ترجمة أبي فراس علي بن محمد بن غالب العامري المعروف بمجد العرب وقد جاء فيها « شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ولبس أخيراً لبس الأتراك وتوفي بالموصل سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة » . ولم يعلق الشيخ الفاضل محقق الكتاب عليه شيئاً ، لأنه لم يعرف من سيرته ومراجع ترجمته ما يعلقه ، ولذلك بقي الخطأ لا يبدأ في سنة وفاته التي جعلته من أهل القرن الثامن للهجرة ، مع أنه من أهل القرن السادس ، ترجم له العماد الأصفهاني المتوفى في أواخر المائة السادسة للهجرة وهل يترجم أديب من المائة السادسة لأديب من المائة الثامنة (٢) ؟ ! قال العماد الأصفهاني : « الأمير مجد العرب مظفر الدولة أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري - رحمه الله - هو الداهية الدهياء وأعجوبة الدنيا ، يصب الشعر في قالب السحر ويُباهي الفضلاء بالنظم والنثر ... وقصائده بالشام أجزل وأحسن مما أنشأه بالعراق » (٣) .

(١) نشر أول هذا البحث في الصفحات ٢٧٢ و ٥٥٣ و ٧٤٩ من المجلد (٤٣) .
(٢) أزل هذا الوهم قدم التحقيق في خريدة القصر « قسم الشام ج ١ ص ٧٩ » فقد نقل هذا الوهم إلى الحاشية الأولى من الصفحة المذكورة وجاء فيها « توفي بالموصل سنة ٧٥٣ » .

(٣) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » مخزن الخريدة ٣٣٢٦ و ٢٧ .

وقال العماد أيضاً : « وآخر عهدي به بالموصل سنة ٥٧٠ لا بسأزي الأتراك ، جليساً للأملاك » . وقال محب الدين ابن النجار : « علي بن محمد بن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر مجيد جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ونشر فضله وأظهر نبهه » ، ثم نقل بإسناده من تاريخ دمشق مشافهة من مؤلفه ابن عساكر ما هذا نصه « علي بن محمد ابن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر بنداوي قدم دمشق وأنا ببغداد وسمع منه بها شيئاً من شعره صدقنا أبو الندى يغمز بن ألب شاوور المقيء وكان يذكره ويثني عليه ويصفه بالبلاغة والكرم » ، ثم قال : « كتب إليّ أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب ، وذكر موجز ما ذكر في الحريدة من سيرته ثم قال ابن النجار أو العماد : « توفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسة (١) » .

وذكره ابن الفوطي في الملقبين بالظفر قال : « المظفر مجد العرب أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري الأديب الشاعر ، كان من أعيان الأدباء وأماثل الشعراء (٢) » . وذكر له بيتين من الشعر ولم يذكر وفاته ، وهو أمر عجيب الوقوع من ابن الفوطي وهو مؤرخ بنداوي وابن النجار مؤرخ بنداوي وتاريخ وفاته مثبت في تاريخه (٣) .

١٧ - وكرر في الصفحة ١٧٧ التصحيف الذي ذكرته في تعقيبي على الجزء الأول وهو جعل « النيرين » مثنى النيرب الموضع النزاه المشهور قرب دمشق « النيرين » وذلك في قول ابن وداعة الكندي :
ويوم لنا بالنيرين رقيقة حواشيه خال من رقيب يشينه

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ و ١٢٤١ » .

(٢) تلخيص جمع الآداب « ج ٥ الترجمة ١٢٣٥ من باب الميم من طبعة الهند » .

(٣) ومن ذكر وفاته الصفدي قال : « وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسة » .

« الوافي بالوفيات نسخة المجمع اللغوي العربي بدمشق ، الورقة ١٨٢ » .

١٨ - ووردت في الصفحة ١٨٨ ترجمة « علي بن يحيى القاضي الوجيه المعروف بابن الذروي ، شاعر مجيد وكانت وفاته بالديار المصرية سنة » . ولم تذكر السنة ، وقال الشيخ الفاضل في تعليقه : « لم أعر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . مع أن له ترجمة في خريدة القصر (١) ، وقال محققو الكتاب : « نقلنا هذه الترجمة من المغرب لابن سعيد . . . ولم نقلها من مختصر الخريدة لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله الهماد في الخريدة . . . وقد توفي ابن الذروي سنة ٥٧٧ ، انظر ترجمته في المغرب وفي كتاب الروضتين ٢ : ٢٧ . . . وحسن المحاضرة ١ : ٢٦ » .

١٩ - وردت في الصفحة ١٩٣ ترجمة « علي بن يوسف بن شيبان جلال الدين المارديني المعروف بابن الصفار » ولم يحل محقق الكتاب على مرجع آخر لترجمته ، وقد جاء في الترجمة « وتولّى كتابة إشراف ديبس ثماني عشرة سنة » . فمن هؤلاء إشراف ديبس ؟ تركهم المحقق على حالهم من التصحيف ، والصواب « تولى كتابة إشراف ديبس ثماني عشرة سنة » . وهو ما ذكره اليوناني ، وجاء في الحاشية القديمة من كتاب اليوناني « ديبس بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينها فرسخان » .

٢٠ - وورد في الصفحة ٢٤٣ « حكي أن أبا الهيجاء بن عمر بن شاهين صاحب النطيحة قال : كنت أسير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد . . . » . ولم يبحث الشيخ الفاضل عن « النطيحة » هذه ما هي ؟ والقصة في فوات الوفيات تدور حول « قصر العباس بن عمرو الفنوي » ، قال ياقوت الحوي في معجم البلدان في « قصر العباس بن عمرو الفنوي » ما هذا نصه « وقرأت في كتاب ألفه عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير : حدثني أبو الهيجاء بن عمران بن شاهين أمير البطيحة . . . » . وذكر القصة ،

(١) خريدة القصر ، قسم مصر ج ١ ص ١٨٧ .

ففي البطيحة لا النطيجة ، ثم إن الشيخ الفاضل أعاد نشر وفيات الأعيان وقد وردت هذه القصة بعينها في ترجمة أبي حسان المقلد بن المسيب العقيلي .
والبطيحة وجمعها البطائح كما في معجم البلدان لياقوت : « أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة ، فانفق في أيام كسرى أبروز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات بخلاف العادة فمُجِز عن سدها فنبطح الماء في تلك الديار والعمارات والزراع ، فطرده أهلها عنها . . . » . والتممة والتفصيل في المعجم .

٢١ - وجاء في ترجمة القاسم بن محمد الواسطي الأديب الشاعر - ص ٢٥٩ - « وقرأ اللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وجاء في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالخط على عميد الرؤساء أيوب » . وأشار الشيخ في الحاشية إلى أن ترجمة القاسم واردة في معجم الأدباء لياقوت الحموي وبغية الوعاة للسيوطي ، ولكن من فوائد الإحالة الاستفادة من المقابلة ، ففي معجم الأدباء « قرأ النحو بواسط وبغداد على الشيخ مصدق بن شبيب ، واللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وفي بغية الوعاة « عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . والصواب هو ما ورد في معجم الأدباء وبغية وغيرهما لا ما ورد في فوات الوفيات ، قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « هبة الله ابن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء ، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر ، شيخ وقته ومتصدر بلده (١) . . . » . وقال السيوطي : « هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء (٢) . . . » ونقل قول ياقوت . وقال

(١) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ٢٣٤ طابعة مرغولوث .

(٢) البغية « ص ٤٠٧ » .

كمال الدين ابن الفوطي : « عميد الرؤساء أبو منصور هبة الله بن حامد بن أحمد ابن أيوب الحلبي اللغوي (١) ... » .

٢٢ - وورد في الصفحة ٢٦٥ في ترجمة قرواش بن مقلد العقيلي « فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدر بن مقلد ابن أخيه » . وكنت نقلت هذه الجملة في الكلام على وفاة قرواش في النقرة الثالثة عشرة ، والصواب « قريش ابن بدران » بالألف والنون قال المهاد الأصفهاني الكاتب : « وفي سنة ٤٥٣ توفي قريش بن بدران وتولّى ولده مسلم إمارة بني عقيل (٢) » . وقال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٣ من الكامل : « ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة : في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين ... » . وقد ذكره على هذه الصورة في كامله غير مرّة ، وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي وفاته في سنة ٤٥١ قال في وفياتها : « قريش بن بدران أبو المعالي ويلقب بعلم الدين أمير بني عقيل ، كان داهية بجيلاً سفاكاً للدماء بعيد الغور غداراً (٣) ... » .

٢٣ - وجاء في الصفحة ٢٨٨ في ترجمة لوط بن يحيى أبي مخنف الأزدي أن من كتبه « حديث روستنقياذ » فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب معلقاً : « في ب روستنقياد وفي الفهرست روستنقيان » . قلت : إن الشيخ أحال بترجمته على معجم الأدباء فكان حرياً أن يقابل بين الاسمين في الكتاتين أولاً ، ففي معجم الأدباء « روستنقياد » على ما جاء في طبعمته مرغوايوث الأولى

(١) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ قسم ١ ص ٩٦٦ نشرة وزارة الإرشاد السورية بتحقيقي » .

(٢) زبدة النصرة في دولة آل سلجوق « ص ٢٢ طبعة مطبعة الموسوعات بالقاهرة » .

(٣) « مرآة الزمان » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ٦٧ « . وورد في ترجمة الأمير ابن أبي حصينة من معجم الأدباء ٤ : ٦٩ قريش بن بدران بن الفلّاح بن المسيب .

« ٤ : ٢٢١ » ، وهذا هو أقرب إلى الصحة من غيره ، والصحيح « روستقباد » بالذال المعجمة ، فقد جاء في كتاب المسالك لابن خردادبه - ص ٦ - « طستوج روستقباد » قال : « وترجمة الطسوج : الناحية » ثم قال في الصفحة ١٣ : « طستوج روستقباد » ، الحنطة ألف كر ، الشعير والدخن ألف وأربعمائة كر ، الورق مائة ألف وسبعون ألفاً . وتكرر الاسم في الصفحة ٢٣٥ والصفحة ٢٣٨ .

٢٤ - وجاء في الصفحة ٢٩٦ في ترجمة مالك بن نويرة ما نصه « فقتل خيرار بن الأزور مالكا وسمع خالد الداعية ، فخرج وقد فرغوا منهم » . فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه معلقاً على الداعية : « وفي ب الداعية وما أثبتناه موافق لما في ث » ، قلت : « وليكن موافقاً لما في تلك النسخة فما الفائدة ؟ القارئ المبتدئ يحتاج إلى الصحيح فما معنى الداعية هنا ؟ الداعية هي الدعوة كالكاذبة بمعنى الكذب ، ولا حادي على استعملها هنا ، فالصحيح السليقة يدرك أنها « الواعية » أي الصُراخ على الميت ونحوه ، ولكن الشيخ الفاضل رضي بالوجود ، ثم إن المؤلف - أعني ابن شاکر الكتبي - صرّح في أول الخبر بأنه نقله من كتاب الأغاني ، فلم يرجع الشيخ إلى كتاب الأغاني ، على حين كان ذلك من السهولة بمكان ، قال أبو الفرج : « فقتل خيرار بن الأزور مالكا » ، فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغوا منه ^(١) . وقال محقق ذلكم الجزء من الأغاني : « الواعية الجلبة والصُراخ على الميت ونبيه . ح الراعية ، وفي سائر النسخ ما عداها ومب الداعية ، صوابها من النسختين والطبري » . قلت : صوابها قبل كل شيء من السليقة العربية والذوق اللغوي العربي وعليها اعتمدت .

(١) الأغاني « ج ١٥ ص ٣٠١ طبعة دار الكتب المصرية » .

٢٥ - وورد في الصفحة ٣١٠ في ترجمة نصير الدين الطوسي وذكر تأليفه « ورسالة أبي نجم الدين السكاني » فمن أبو نجم الدين السكاني ؛ الصحيح أن « أبي » تصحيف « إلى » فهي رسالة علمية أرسل بها النصير الطوسي إلى نجم الدين ، ومن نجم الدين هذا ؟ مرةً به الشيخ وهو المترجم في هذا الجزء نفسه - ص ١٣٤ - باسم « علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين السكاني (كذا) دبيران بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء وبمدها راء وألف ونون القزويني المنطقي الحكيم » . وقال الشيخ معلقاً على السكاني : « في ب السكاني » . ووقف عند هذا القول ، لأنه لم يجد مرجعاً تاريخياً آخر لهذا العلامة . والذي علمناه وحفظناه هو « السكاني » بالياء والباء وكذلك ورد في ترجمة الصفدي له ، قال : « علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين السكاني دبيران (بفتح الدال ...) القزويني المنطقي الحكيم (١) ... » وكان ابن شاكر نقل ما ذكر الصفدي بنصّه ونبي ذكر سنة مولده . وقال حاجي خليفة في « الملخص » من كشف الظنون : « الملخص في الحكمة والمنطق للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ست وستائة وشرح أبو الحسن علي بن عمر القزويني السكاني (٢) ... » . وقد كان قال في « الشمسية » من كتابه المذكور : « الشمسية من مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالسكاني » . وقال الصفدي في ترجمة ابن واصل الجموي : « وحضر حلقة نجم الدين السكاني المعروف بدبيران المنطقي (٣) » . وكرر الصفدي هذه الجملة ولم ينقص منها حرفاً في تاريخه للهميان (٤) . وبذلك القول أن

- (١) الوافي بالوفيات « نسخة بمجمع اللغة العربية بدمشق المصورة » ١٣١١ هـ .
 (٢) كشف الظنون « طبعة وكالة المعارف التركية ، العمود ١٨١٩ هـ ومنه أي من شرح الملخص نسخة في دار كتب ليدن واسمه فيه « السكاني » .
 (٣) الوافي بالوفيات « ٣ : ٨٥ » .
 (٤) نكت الهميان « ص ٢٥١ » .

التواريخ والفهارس والاجازات أجمعت على أنه « المكاتبى » حتى جرجي زيدان وإن كان متأخراً لا يتخذ وحده حجة فقد قال تحت عنوان « العلوم الدخيلة في العصر المغولي... » في الفلسفة ١ - نجم الدين الكاتبى القزوينى ويعرف بدبيران توفي سنة ٦٥٧ له الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية (١) «... » . وورد كذلك في كتاب الاجازات من بحار الأنوار للعلامة محمد باقر الإبرانى المجلسى ، وروضات الجنات للخونسارى .

٢٦ - وجاء في الصفحة ٣١١ من الترجمة المذكورة « قال شمس الدين الحريري قال حسن بن أحمد الحكيم... » . فال مؤلف نقل قول مؤرخ من المؤرخين ، والذي علمناه وحفظناه أنه « شمس الدين الجزري » لا الحريري ، وإذ كان ابن شاكر الكتبى قد اقتبس أكثر تراجم كتابه من الوافى بالوفيات فلننظر ماذا يقول في ترجمة النصير الطوسى خاصة بهذه المسألة ، قال : « قال شمس الدين الجزري قال حسن بن أحمد الحكيم (٢) » . وشمس الدين الجزري من مشهورى المؤرخين وإن لم يطبع تاريخه .

٢٧ - وورد في الصفحة عنها « والرصد البيسانى في حدود الشام » . فعلق الشيخ عليه مانصه « فى ث البناني » . ولم يعلم القارىء الشادى أيها الصواب . وجاء في كتاب الصفدى المذكور « والرصد البناني في حدود الشام (٣) » . والكتاب مطبوع باعتناء المستشرق هـ . ريتز ، ولم يعلق ريتز عليه شيئاً ، والصواب « الرصد البستاني » نسبة إلى عبد الله محمد بن جابر الحراني البستاني ، قال القفطى : « وكان بعض أُرصاده التي ضمها زيجها في سنة تسع وستين ومائتين من الهجرة ، ومن ذلك في سنة سبع وثمانين [ومائتين]

(١) تاريخ آداب اللغة العربية « ٣ : ٢٥٠ » .

(٢) الوافى بالوفيات « ١ : ١٨٢ » طبعة استانبول سنة ١٩٣١ .

(٣) الوافى بالوفيات « ١ : ١٨٣ » .

ولا يعلم أحد في الإسلام ، بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب
واعتحان حركاتها ، (١) .

وقال ابن خلكان : « أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الأصل ،
البتّاني الحاسب النجم المشهور صاحب الزيج الصابي ، له الأعمال العجيبة
والأرصاد المتقنة ، وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين إلى
سنة ست وثلاثمائة ، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين
ومائتين ، وكان أوحده عصره في فنه ، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة
علمه ، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له
قصر الحضرمي ولم أعلم أنه أسلم لكن اسمه يدل على إسلامه ، وله من التصنيف
الزيج وهي نسختان أولى وثانية ، والثانية أجود ... والبتّاني بفتح الباء
الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الأكراني : بكسرهما ، وبتشديد التاء المثناة
من فوقها وبعد الألف نون . هذه النسبة إلى بتّان وهي ناحية من أعمال
خرّان (٢) ... » . وفي هذا كفاية للابتناء .

٢٨ — وورد في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب »
وقال في الحاشية معلقاً : « في ب حميد الرؤساء » . وقد أشرنا إلى ذلك في
النقطة الحادية والعشرين وبرهنا على أن عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب
لا هبة الله أيوب ولا حميد الرؤساء ولا سيد الرؤساء فأغنى ذلك عن الإعادة .

٢٩ — وورد في الصفحة ٣١٩ ترجمة من اسمه في هذه الطبعة من هذا
الكتاب « محمد بن محمد بن بنان أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب ، من أهل

(١) أخبار الحكماء « ص ٢٨٠ طبعة ليبزيك » .

(٢) وفيات الأعيان « ٢ : ١٩٦ طبعة إيران وهي أصح الطباعات إلى الآن » . وقال

الذهبي في المقتبه : « وبكسر ذلك وقيل بالفتح والتشديد (البتّاني) [محمد بن جابر

ابن سنان الحراني البتّاني الصابي صاحب الزيج ، هلك بعد الثلاثمائة » .

مصر وأصله من الأنبار . فعلّق عليه المحقق ما هذا نصه « له ترجمة في شذرات الذهب ٤ : ٣٢٨ وسماه محمد بن محمد بن أبي طاهر بن محمد بن بيان الأنباري ، وقال : توفي في ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ وله تسع وثمانون سنة ، وذكره الذهبي في وفیات ٥٩٦ محمد بن محمد بن بيان الأنباري ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي محمد بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن بيان الأنباري . قلنا : إذا لم ينص المؤلف على الحروف المشبهة فليس لنا حق في أن نلقي العهدة عليه ، ثم إن تعليق الشيخ لم يقننا على الوجه الصحيح في تسمية هذا المين من الأعيان ، فالصحيح الرجوع إلى الكتب الضابطة . قال الزكي المنذري في وفیات سنة ٥٩٦ : « وفي ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر توفي القاضي الأثير ذو الرئاسة أبو الطاهر محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاسة أبي الفضل محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاسة أبي الطاهر محمد بن بُنان الأنباري الأصل المصري المولد والدار الكاتب ، بالقاهرة ودفن من القدر . ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمائة . . . وبُنَان بضمّ الباء الموحدة وفتح النون وبعد الألف نون أخرى (١) » . وقد قلنا هذا الضبط إلى حاشية ترجمته في مختصر تاريخ ابن الديبثي (٢) .

٣٠ - وجاء في الصفحة ٣٢١ ترجمة أبي الحسن محمد بن محمد بن أحمد البُصروي وجاء فيها « وبُصري قرية بدجيل دون عكبرة » ، كذا وردت عكبرة بالهاء ، وأشار المحقق إلى أن للرجل ترجمة في النجوم الزاهرة ومعجم البلدان - يعني في بُصري - على حين أن له ترجمة في تاريخ بندا للخطيب البغدادي « ٣ : ٢٣٦ » ، والمتنظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ٨ : ١٥٢ » .

(١) الكلمة لوفيات النفاة « نسخة المجمع العلمي العراقي للصورة ، الورقة ٣ » .

(٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديبثي « ١ : ١٢٢ طبعة

المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥١ بتحقيقي » .

والوافي بالوفيات للصفدي « ١ : ١٢٠ » . قال الخطيب البغدادي : « محمد بن محمد بن أحمد بن خلف أبو الحسن الشاعر البصري ، من أهل بصرى وهي قرية دون عكبرا » . فهي إذن إما « عكبرا » وإما عكبراء لا « عكبرة » كما جاء في فوات الوفيات بتحقيق الشيخ ، وكأن الصفدي نقل قول الخطيب فقد قال : « وبصرى قرية بدجيل دون عكبرا » . وقال بإقوت : « عكبرا بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة وقد تمد ويقصر والظاهر أنه ليس بعربي » ،

٣١ وورد في الصفحة ٣٤٣ « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الفدوشي أبو نصر الكاتب الأوائى » . هكذا ورد « الفدوشي » و « الأوائى » بتشديد الشيخ لاواو ، من غير أن يحيل على كتاب أو يذكر الأسباب ، لأنه لم يجد لترجمته مظنة غير هذا الكتاب ، فلماذا شدّد الواو وأكد صحّة الباء ؛ والصواب « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود بن أبي عبد الله ابن علي بن محمود الفروخي أبو نصر الكاتب الأوائى (١) » . فالفروخي وهو من الأنساب المشهورة تصحف عليه إلى « الفدوشي » . والأوائى تصحف عليه إلى « الأوائى » فشدّد الواو ، وقال العماد الأصفهاني الكاتب : « السديد أبو نصر محمد بن أحمد بن محمود الفروخي الكاتب الأوائى ، من قرية يقال لها أوانا بدجيل وهي ذات سوق كالبلة كبيرة (٢) » .

وقال ابن العماد في وفيات سنة ٥٥٧ : « وفيها أبو نصر محمد الفروخي الكاتب ، كان أديباً فاضلاً ، من شـمـره ... » (٣) . وأورد له بيتين ،

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٠٩ ، ١١٠ » .

(٢) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٧ الورقة ٨٢ » .

(٣) شذرات الذهب « ٤ : ١٨٠ » .

ولا أرى حاجة إلى ذكر الكتب الخطية كذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي^١ وتاريخ الإسلام للذهبي وإنما أجتزئ باختصار الذهبي لتاريخ ابن الديلمي فإنه مطبوع وقد جاء فيه « محمد بن أحمد بن محمود بن الحسين الكاتب أبو نصر ، من أهل أوانا (١) - يعني الأواني - والد شيخنا محمود وكان كاتباً شاعراً توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة (٢) » . وبما ذكره ياقوت في معجم البلدان قال : « أوانا بالفتح والنون ، بلدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة من نواحي دجيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلقاء في أشعارهم ... وينسب إلى أوانا قوم من أهل العلم ... وأبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الأواني ، كاتب سديد وشاعر مجيد وله رسائل مدونة وأشعار حسان منها رسالة في حسن الربيع أجاد فيها وله غير ذلك ومات بأوانا سنة « ٥٥٧ » .

٣٢ - وورد في الصفحة ٣٤٥ في ترجمة ابن سيد الناس أبي الفتح محمد ابن محمد اليعمرى « فكاد يدرك القمر ابن السخاوي فعاقه بليتين » . وفي مصدر آخر « الفخر بن النجاري » ذكرها محقق الكتاب في الحاشية وهي الصواب عندي ، وبقي تصحيف في « فعاقه » والصواب « ففاته » أي توفي قبل وصول المترجم له إليه بليتين ، ولو جاء قبلها لوجده حياً وسمع منه أو قرأ عليه .

٣٣ - وجاء في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة أبي العبر الهاشمي « وعلى رأسه قطعة رقة جبك مشدود بالشوطة » . وهذه الجملة العربية أحلها التصحيف

(١) قلت في الحاشية : « قال ابن عبد الحق في المراسد : بلدة من دجيل كثيرة البساتين والشجر بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من فوقها ، تحاذي عكبرا ، كانت بينهما الدجلة واستعالت عنهما » .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٥ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي .

إلى النبطية والسليقة العربية تحكّم بأنها في الأصل « وعلى رأسه قطعة رُمّة من جبل مشدود بأنشوطه » . أو أنها « وعلى رأسه رُمّة جبل مشدود بأنشوطه » . فشرح بعضهم الرُمّة بالقطعة فأدخلها الناسخ في الأصل ، على ما أحسب .

٣٤ - وجاء في الصفحة المذكورة « وفي كتاب بئر الدر باقي نوادره » . ولم يبحث المحقق عن كتاب بئر الدر ولا عن مؤلفه ، والصواب « نثر الدر » أو « نثر الدرر » بالنون ، جاء في كشف الظنون « نثر الدرر في المحاضرات لأبي سعيد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنة [٤٢٢] في سبع مجلدات كلها بخط بلنفة على عدة أبواب لم يجمع مثله . . . » . وهو كتاب معروف مشهور منه أجزاء في دور كتب المالمين وخزائنها .

٣٥ - وورد في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة ابن الظهير الإريلي محمد بن أحمد الأديب « وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستائة » . وإذا كان الشيخ الفاضل أحال بترجمته على الوافي بالوفيات والجواهر المضيئة لزمته الاستفادة من الإحالة ، ففي الوافي بالوفيات ١ : ١٢٣ « ولما توفي سنة سبع وسبعين وستائة دفن بمقابر المصوفية » . والفرق عشرون سنة ، وما في الوافي هو الصواب ، أما إحالته على الجواهر المضيئة فأخذها من حاشية ترجمته في الوافي بالوفيات وهي لمحقّق ذلك الكتاب ، أعني الوافي ، وهي إحالة ناقصة ومغلوط في أرقامها ، أما نقصانها فإن ترجمة هذا الأديب مُوردة في الكتاب على حسب ترتيب اسمه « ٢ : ١٩ » فلم يقف عليها محقق الوافي بالوفيات بل أحال على ترجمة ثانية له في الجواهر المضيئة في باب « ابن فلان » وفيها سنة الوفاة قد سقط رقمها الأوسط فجاءت « ٦٠٧ » وأما سنة وفاته في ترجمته الأصلية فهي سنة « ٦٧٧ » كما في الوافي بالوفيات ، وقال المقرئ في وفيات سنة ٦٧٧ : « وتوفي مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر ابن الظهير الاريلي

الحنفي عن خمس وسبعين سنة بدمشق^(١) ، ووهب ابن الهادي فقد لقبه « الظهير » مع أنه لقب أبيه قال في وفيات سنة ٦٧٧ : « وفيها الظهير العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الاربلي الحنفي الأديب . ولد سنة اثنتين وستائة باربيل . . . »^(٢) . ثم إن عمره معلوم وهو « ٧٥ » سنة . ووردت في الصفحة ٣٧٧ ترجمة « بهاء الدين كافي الكفاة أبي المعالي محمد ابن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب المؤلف صاحب التذكرة المشهورة التي هي من أمتهات كتب الأدب أو أمثاتها على قول بعضهم ، فعلق الشيخ الفاضل على اسمه ما هذا نصه : « له ترجمة في الوافي ٢ : ٣٥٧ وفي بغية الملتبس ، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة ٦٢٦ بتحقيقنا) . وفي شذرات الذهب ٥ : ٣٢ وسماه الحسن بن محمد بن الحسن وذكر وفاته في سنة ٦٠٨ » .

قلت : الذي ذكره مؤلف الشذرات وأشار إلى اسمه الشيخ الفاضل هو ابنه « الحسن » الأديب المتصرف المشهور عند المختصين بالتاريخ ، لا هو ، وإنما تابع ابن الهادي شمس الدين الذهبي - رحمه الله تعالى - في وهمه بإسناده تأليف التذكرة إلى الابن^(٣) لا إلى الأب مؤلفها بإجماع المؤرخين ، وإجماع منسج الكتاب الخطي ، وقد ناقض ابن الهادي نفسه بعزوه التذكرة إلى الحسن ابن حمدون ، فإنه قد ذكر الوالد مؤلفها في وفيات سنة ٥٦٢ وفات الشيخ وجدان ترجمته بسبب من أسباب الغفلة التي تعرض لكل إنسان ،

(١) الملوك « ج ١ ص ٦٥١ » .

(٢) الشذرات « ٥ : ٣٥٩ » .

(٣) وذلك في كتابه « العبر في خبر من عابر » ج ٥ ص ٢٧ وتاريخ الإسلام .

قال ابن العماد في وفيات تلمس السنة : « وفيها محمد بن الحسن بن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية ، ولأه المستنجد ديوان الزمام ، ووقف المستنجد على كتابه فوجد فيه حكايات توم غضاضة من الدولة ، فأخذ من دست منصبه ونحس إلى أن رُمس (١) » .

أمّا ابنه الحسن بن محمد بن حمدون الذي ظنّه الشيخ إياه فأشهر من أن يذكر ، ترجم له ياقوت الحموي ترجمة مفصلة (٢) ، قال : « الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعد الكاتب ، قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي وذكر عمه أبي نصر محمد بن الحسن كاتب الإنشاء . . . » . هكذا قال ياقوت مع أن ترتيب كتابه معجم الأدباء ليس على ترتيب كتب التاريخ التي تقدم أسماء المحمدين لشرف هذا الاسم ، فياقوت نقل هذه المقدمة من تاريخ آخر (٣) وما علقها ولا فكر في دلالاتها ، فكيف تقدم اسمها وترتيبه يوجب إيرادها في جزء المحمدين المتأخر عن هذا الجزء ؟

هذا وقد وردت ترجمة أبي سعد الحسن بن محمد بن حمدون في مختصر تاريخ ابن الديلمي الذي اختصره الذهبي (٤) ، وذكره عن الدين ابن الأثير

(١) الشذرات « ٤ : ٢٠٦ » .

(٢) معجم الأدباء « ٣ : ٢٠٩ » طبعة مرغوليوت الأولى .

(٣) الظاهر لي أنه نقلها من ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي والتاريخ المجدد لمدينة السلام فابن الديلمي قال في ترجمة الحسن : « وقد تقدم ذكر أبيه وجده » وعني بجده الحسن بن محمد بن علي ابن حمدون وقد ترجم له .

(٤) المختصر المحتاج إليه « ٢ : ٢٣ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي .

في وفيات سنة ٦٠٨ قال : « وتوفي أيضاً أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ابن حمدون التغلبي المدوي وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالماً » . وقد كان ذكر أباه في حوادث سنة ٥٦٢ ووفاته مسجونا .

٣٧ - وجاءت في الصفحة ٣٨٣ ترجمة « شمس الدين محمد بن دانيال ابن يوسف الموصلی الأديب المقتنّ المشهور ، الذي اخلط شعره بترجمة إبراهيم بن سليمان بن حمزة ابن النجار الدمشقي المجود المتوفى سنة ٦٥١ بعد توليه نقابة الأشراف (١) ، مع أنه كان في هجاء أحمد بن البقاعي التهم بالزندقة المقتول عليها سنة ٧٠١ » بين القصرين (٢) ، وجاء في ترجمة ابن دانيال ما هذا نصه « وكانت وفاته بالديار المصرية في شهر سنة ثمان وستائة » . فكيف يهجو المتوفى سنة ٦٠٨ رجلاً قُتل سنة ٧٠١ ؟ ثم إن ابن شاكر قال في ترجمة ابن دانيال هذا : « قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره ... » . ولم يراجع الشيخ الفاضل ترجمة ابن دانيال في تاريخ الصفدي للرجال وهو الوافي بالوفيات « ٥١ : ٣ » لأنه لم يحمل عليه في الحاشية ، وترجمته واردة في تاريخ رجال القرن الثامن لابن حجر ، قال ابن حجر : « مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ (٣) » . وفي تاريخ ابن تغري بردي في حكام مصر قال ابن تغري بردي في وفيات سنة « ٧١٠ » من تاريخه الموصوف : « وتوفي الحكيم الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال الموصلی صاحب النكت الغريبة والنوادر العجيبة وهو مصنف

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب « ص ٨ - ١٠ » .

(٢) راجع الجزء الأول أيضاً « ص ١٣٤ » .

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٣٦ : ٣ . م (٥)

طيف الخيال (١) «...». وفي تاريخ القرظي الكبير فقد قال في وفيات سنة
 «٧١٠» منه : «ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف
 ابن معتوق الخزاعي الموصل في ثامن عشرين (٢) جمادى الآخرة ، ومولده
 بالموصل سنة سبع وأربعين وستمائة وكان كثير المجون (٣) ». وفي تاريخ
 ابن العماد الحنبلي فقد ترجم له في وفيات سنة ٧١١ قال : « وفيها الأديب
 الخليل الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال مؤلف كتاب طيف الخيال (٤) »... ».

مصطفى هداد

(بغداد)

يتبع :



(١) النجوم الزاهرة « ٩ : ٢١٥ » .

(٢) أي الثامن والعشرين .

(٣) السلوك « ج ٢ ص ٩٥ » .

(٤) الشفارات « ٦ : ٢٧ » .

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

— ٤ — (١)

٣ — تخریب الدیار

من المعاني العامة الأساسية في شعر الوقوف على الأطلال ذكر خراب الديار واندثار بقاياها بعد رحيل أهلها . وقد ألح الشعراء على هذا المعنى ، فذكروه كثيراً في أشعارهم ، حتى لا تكاد تخلو منه قصيدة في الوقوف على الأطلال . والصفة العامة التي تشترك فيها الديار وبقاياها جميعاً في هذا الشعر هي صفة القديم والبلى . كما أن الصفة العامة التي تشترك فيها جميع التشبيهات والتساوير التي أتى بها الشعراء في معرض وصف الديار وبقاياها هي صفة القدم والبلى أيضاً .

وقد ذكر الشعراء في عرضهم هذا المعنى الأسباب في خراب الديار واندثارها . فحاولنا استقراء هذه الأسباب ، فانتهى بنا الاستقراء إلى أن الشعراء يرجعون خراب الديار إلى عاملين اثنين . أحدهما تقادم العهد ومرور الزمن ، وثانيها حوادث الطبيعة .

أما تقادم العهد ومرور الزمن فقد جعله الشعراء سبباً لخراب الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، ولكنهم لم يهتموا به كثيراً ، ولم يقفوا عليه

(١) نهر القدم الأول في الصفحات ٣٥١ و ٦٣٥ و ٨٤٩ من المجلد (١٣)

طويلاً ، فما كان يرد في أشعارهم إلا الفينة بعد الفينة . وما كان ذكرهم له مع ذلك إلا سريعاً خاطفاً ، لا يعتمد على تصوير أو تشبيه ، ولا يعدو الإشارة العابرة . قال عبيد بن الأبرص (١) :

تغيّرت الديارُ بذِي الدفينِ فأودِيَ اللّوى ، فرمالِ لِنِ
فخرَجَ جِيّ ذِرْوَةٍ ، فقفا ذِيالِ يُعَنِّي آيَه سلفِ السنينِ (٢)
فقد تغيّرت آيات الديار وتعت ، لأن مرّة السنين قد بدت بها عن أيام
غناها بأهلها وساكنها .

وأما حوادث الطبيعة فقد جعلها الشعراء سبباً لخراب الديار أيضاً ، وذكروها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها وأفرطوا في ذلك ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . وحوادث الطبيعة التي اعتاد الشعراء أن يذكروها منذ الجاهلية ، ولم يكادوا يخرجون عن ذكرها في العصور التالية ، هي الرياح وما تذرّيه من التراب والرمال ، والسحاب وما ينشأ عنه من الأمطار والسيول . قال النابغة الذبياني (٣) :

أمن ظِلَمة الدِّمَنِ البوالي بمُرْفَضِ الحَبِيّ إِلَى وِعَالِ
تعاوَرَهَا السَّواري والفُوادي وما تُذْري الرِّيحُ من الرِّمالِ (٤)

* * *

ذكر الشعراء فيما يتعلق بالرياح أنها تعفي الديار ، وتمحوها بما تسفي عليها من الحصى والتراب والرمال ، فتدفعها وتخفيها عن العيون . وقد عدّوا في

(١) ديوانه ١٣٢ .

(٢) الخرج بمعنى الوادي ها هنا . وآيَه : أي علاماته وآثاره ، واحدها آية .

(٣) ديوانه ٦٤ .

(٤) السواري : السحاب التي تنشأ في الليل ، من سري يسري ، إذا سار ليلاً . والفوادي : السحاب التي تنشأ في الفداة ، أي الصباح ، من غدا يغدو ، إذا سار في الفداة .

معرض ذلك أكثر أنواع الرياح المعروفة عند العرب ، ومنها الرياح اللينة اللطيفة مثل ربيع الصبّا ، ومنها الرياح الشديدة العنيفة مثل ربيع الشمال . وذكروا منها أيضاً الرياح التي تهب في فصول السنة المختلفة ، كالمصايف وهي الرياح التي تهب في الصيف ، والمرباع وهي الرياح التي تهب في الربيع . وقد عمد الشعراء في ذكر الرياح إلى شيء من الوصف والتصوير . فشبّوها أنينها بحنين النوق وهي تحين^(١) إلى أولادها التي سلبت منها حينئذ حزيناً موجعاً . قال إياس بن عامر أعشى طرود^(٢) :

وعرّصة الدار تستنّ الرياح بها تحين^(٣) فيها حنين الولد السائب^(٤)
والتشبيه واقع بين حنين النوق الحزين الرتيب وبين دوي الريح الكثيب الرتيب حين هبوبها ومرورها بالديار . ولم يكثر الشعراء من تشبيه صوت الرياح بحنين النوق ، فلم ترد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال إلا نادراً . وربما كان السبب في ذلك دقة هذه الصورة ، وحاجتها إلى حس رفيف دقيق ، يخترق حجاب الواقع المنظور إلى ما لا تراه العينات .

على أن هؤلاء الشعراء قد أكثروا في وصف تخريب الديار من تشبيه الرياح بالعروس وبأذيال ثوبها التي تجرّها وراءها . قال الأسود بن يعفر في ذلك^(٥) :

جرّت بها الريح أذيالاً مظهرّة^(٦) كما تجرّ ثياب الغوث العرس^(٧)

(١) ملحقات ديوان الأعشى ٢٨٤ .

(٢) تست الرياح بها : أي تسرع فيها

(٣) ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ ، واللسان (فو) .

(٤) القوة : عروق نبات يستخرج من الأرض ويصنع بها الثياب . والعرس : جم عروس .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

جرت عليها رياح الصيف ، فاطردت^٢ والريح فيها تعفيا بأذيال (٣)
فالريح تمر بالديار وقد جرت وراءها سحبا من التراب والرمال ، تطمس
بها آثار الديار ، كما تجر العروس أذيال ثوبها خلفها ، وتطمس بها آثار
أقدامها على الأرض .

وقد لاحظ الشعراء حركة الرياح الدورية في دفن آثار الديار بما تحمله
من التراب والرمال ، ثم الكشف عنها بنسف التراب والرمال . فكلما دفنته
هذه بالرمل سفرت عنه الأخرى الرمل وأظهرته . لاحظوا هذه الحركة
الدائمة ، وشبهوها بعمل النسج ، نسج الثياب .

قال امرؤ القيس في مطلع مملقته (٤) :

قفا بك من ذكرى حبيب ومزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فاليفقراء لم يعف رسمها لما نسجت^٥ من جنوب وشمال (٤)
فشبه حركة الرياح الدورية من جنوب مرة وشمال مرة بعمل نسج الثياب ،
لأن الحائك يداول في حركته أثناء النسج مئة مرة ، ويسرة أخرى .
وقال ذو الرمة في ذلك أيضاً (٥) :

خليبي^٦ ، عوجا عوجة ناقتيكا على طلل بين القلات وشارع
به ملمع من منصفات نسجته كنسج الباني برودة بالوشائع (٦)

(١) ديوانه ١٠٧ .

(٢) جرت عليها : أي جرت الريح التراب عليها كما تجر السوس أذيال ثوبها .

(٣) ديوانه ٨ .

(٤) نسجتها : تعاقبت عليها مرة هذه ومرة هذه . والجنوب : ريج الجنوب .
والشمال : ريج الشمال .

(٥) ديوانه ٣٥٥ .

(٦) المصفاة . الرياح الشديدة والوشائع : لقاقت النزل ، واحداثها وشية .

فالرياح العاصفة تلعب بالديار ، وتنسج آثارها بألوان وأشكال مختلفة كما ينسج الصانع المياني الثوب ، ويزينه بالوشائع . والصورة هنا تختلف عن الصورة الأولى ، لأن امرأ القيس اهتم بالحركة ، وعُني برسم حركة المداولة في هبوب الرياح على آثار الديار ، وفي عمل الخائك في نسج الثوب ، بينما اهتم ذو الرمة بالألوان والأشكال الحادثة من عصف الريح بآثار الديار ، ومن تزيين الصانع ثوبه بالوشائع حين نسجه .

* * *

وأما فيما يتعلق بالسحاب وتخريبها الديار فقد جعل الشعراء السحاب تعفي الديار بما ينشأ عنها من أمطار وسيول تمحو الرسوم ، وتجرف الدمن ، وتهدم النشئي . وقد أكثروا من وصف السحاب والأمطار والسيول في ممرض وصف تخريب الديار . وأكثروا من ذكر أنواعها وأشكالها وألوانها ، دون أن يعمدوا كثيراً إلى التصوير والتشبيه . ولكنهم وصفوا خلال ذلك العواصف وثورات الطبيعة وزحف السحاب وهطول الأمطار ، فأثروا من ذلك بصور جميلة شيقة ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . ولقد فاق الأخطل أصحابه في ذلك كله . وهذا وصف له لعاصفة هبت على آثار ديار أحمته ^(١) :

دَمِنَ تَدْعُذْعُهَا الرِّيحُ ، وَتَارَةً تَسْقَى بِمَرْتَجِيزِ السَّحَابِ ثِقَالَ ^(٢)

بَاتَ بِمَانِيَةِ الرِّيحِ تَقْسُودُهُ حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا بَغِيرَ حِيَالٍ ^(٣)

(١) ديوانه ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الدمن : الآثار التي يتركها الناس في الديار ، واحدها دمنة . وتدعذعها : نفرها .

(٣) تقوده : أي تقود الرياح السحاب .

في مظلم غَدِيقِ الرَّبَابِ ، كأنما يَسْقِي الأَشْقَ . وعالجاً بدوالي (١)
فهو يصور هنا عاصفة ثائرة ، نرى فيها الرعد مرتجزاً مدوياً ، والسحاب
متراكماً ثقيلًا ، تدفعه الرياح الهائجة ، فيتدافع ويقبل بالمطر غزيراً كثيفاً ،
وقد أظلم الجو ، واسودت جوانب السماء . وكل ذلك في لفظ يسير ، وحمل
قليلة قصيرة ، تمضي سريعة كسرعة العاصفة الهائجة .

٤ — الحيوان الذي يألف الديار

كان العرب في الصحراء يتوخَّوْنَ في الأرض التي يتزلونها الخصب
والإنبات وملاءمة شروط الحياة . ولذا كانوا يختارون أخصب الأماكن ،
وأغناها بالماء والكأل لتزولهم . ويبدو لنا أن وخوش الصحراء كانت تألف
هذه الأراضي أيضاً ، وتوطن بها ، بعد أن يخليها أهلها ، ويرحلوا عنها .
كأن لها غريزة تشبه غريزة الإنسان في البحث عن المكان الملائم لشروط حياتها .
وكان العرب يعمرون في أسفارهم ورحلاتهم بالديار التي همجروها ، فيرون
الحيوانات تسرح وترتع في الأماكن التي عمروها هم في الأيام الماضية ، وقضوا
فيها شطراً من حياتهم ، يرونه عزيزاً غالياً ، فكان ذلك يؤلمهم ويثير في
نفوسهم ذكريات حلوة جميلة . ولذا كان الشعراء يذكرون هذه الحيوانات
التي أوطنت بديارهم في شعر الوقوف على الأطلال ، كأن نفوسهم نأسى لذلك ،
وكأن لسان حلهم يقول : ما أقسى صروف الأيام ! لقد عمرنا هذه الديار
حيناً من الدهر ، ثم اضطررنا لهجرها ، فسكنتها بعدنا الوحوش . وكأننا

(١) في مظلم : أي في سحاب مظلم ، والسحاب المظلم يكون مليئاً بالماء . والغدق :
السحاب الغزير المطر . والرباب : السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب .
والأشق وعالج : موزمان . والدوالي : جمع دالية ، وهي الدولاب يديرها الثور ،
أو الناعورة لسقي الأرض .

بهؤلاء الشعراء يضمنون بهذه الديار على الوحوش ، لأن فيها بقية من ذكريات حياتهم الماضية ، مازالت أطيافها تتردد جاثية ذاهبة في ساحاتها وجناباتها .
ومها يكن من أمر فقد ذكر الشعراء الحيوانات التي تألف الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، وأكثروا من ذكرها ، حتى جعلوا ذلك معنى من المعاني اللازمة التي وردت في هذا الشعر على مدى العصور .
وحوانات الصحراء قليلة ليست بالكثيرة . ومن استقراء شعر الوقوف على الأطلال نجد أن الشعراء لم يذكروا فيه سوى البقر الوحشي والظباء والنعام ، وصغار هذه الحيوانات أحياناً ، ثم الطيور ، ولا سيما الحمام . وقد أكثر الغزلون البداء من ذكر الحمام ، وتغنوا بصوته خاصة دون غيرهم من الذين سبقوهم أو الذين جاءوا بعدهم .

ويمكننا أن نقول إن الشعراء قد ذكروا هذه الحيوانات في ممرض وصف الديار بالخلو والإقفار . فمرة يقولون إن الديار خالية مقفرة ، ليس بها أحد سوى قطيع من البقر ، أو سرب من الظباء ، أو إجل من النعام ، كما قال المرقش الأكبر (١) :

أُمتْ خِلاءٌ بعد ساكنها مقفرةٌ ما إن بها من إرَمٍ (٢)
إلا من العين ترعى بها كافارصيين مشوا في الكمم (٣)
بعد جميع قد أراهم بها لهم قيابٌ ، وعليهم نعم (٤)
ومرة يقولون إن الديار قد أفقرت من ساكنها ، وتبدلت بهم الحيوانات ،

(١) الفضليات ٢٢٩ .

(٢) من إرم : أي من أحد .

(٣) العين : بقرات الوحش ، واحدتها عيناء . والكمم : القفلات .

(٤) الجميع : القوم المجتمعون النازلون في موضع واحد . وعليهم نعم : أي لهم أنعام تروح عليهم ، وهي الإبل .

كما قال النابغة الذبياني (١) :

عهدتُ بها حياً كراماً فبُذِلَتْ خناطلَ آجالِ النعامِ الجوافلِ (٢)
ترى كلَّ ذيئالٍ يعارضُ رَرْباً على كلِّ رَجَافٍ من الرملِ هائلِ (٣)
يثرنُ الحصى حتى يباشرنَ برده ، إذا الشمسُ مدَّتْ ريقها، بالكلالِ (٤)

وقد وصف الشعراء هذه الحيوانات بصفات كثيرة ، وشبهوها في أثناء ذلك تشبيهات مختلفة ، حسب أنواعها كما رأينا في المثالين الذين ذكرناها . ولكنهم لم يقفوا على صور معينة يتداولونها ، ولا يخرجون عنها ، كما كان الأمر في وصف الديار وتصويرها مثلاً . ونحن نذكر ، إلى المثالين السابقين ، طرفاً من هذه التشبيهات على مسيل المثال .

شبهَ طرفة النعامَ بالإماء ، وهن يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن في قوله (٥) :

حابي رسمٌ وقفتُ به لو أطيع النفس لم أرمهُ
لا أرى إلا النعامَ به كالإماء أثرفتُ حُرْمُهُ

والصورة طريفة جداً ، فالنعام قوائمه طويلة ، تبدو دقيقة بالقياس إلى جسمه الثقيل المشرف ، ويزيده إشرافاً ريشه المتدلي على جانبيه . وهو

(١) ديوانه ٦٣ .

(٢) الخناطل : الجماعات ، واحدها خنطة وخنطل . والآجال : قطعان النعام ، واحدها إجّل .

(٣) الذئال : نور الوحش الطويل الذيل والربب : قطيع بقر الوحش . والرجاف : من الرمل : الذي يتحرك وينهار حين وطئه من لينة . والهائل : الذي ينال .

(٤) ريق الشمس : لعابها وهو يبدو في الهاجرة كأنه يسيل من شدة الحر . بالكلال كل : أي يثرن الحصى بالكلال كل ، وهي الصدور ، واحدها كلال كل .

(٥) ديوانه ١٥٠ .

يُشَبِّه هذه الحالة الإمامَ اللواتي يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن ، فتبدو أجسامهن دقيقة رقيقة تحت هذه الحزم العريضة الشرفة .

وشبَّه عبيد بن الأبرص الأطباءَ بأباريق الفضة في قوله (١) :

بُدِّلَتْ مِنْهُمْ الدِّيارُ نَعَاماً خاضباتُ رِزْجِينٍ حَيَّطَ الرِّثَالِ (٢)
وِطْبَاءٌ كَأَنَّهُنَّ أَباريقُ الْجِيسِ ، تحنو على الأطفالِ
والصورة هنا طريفة جداً أيضاً . والطباء تشبه أباريقَ الفضة حقاً بطول أعناقها وحسنها في دقتها ورقمتها ورشاقتها وبياضها .

وقد أكثر الشعراء من وصف بقر الوحش بالعَيْنِ وطول الذيل والحنَس . قال النابغة الذبياني (٣) :

أَهاجَكَ مِنْ سَعْدِكَ مَعْنَى المَاهِدِ بِروضَةٍ تُعْمِي فُذاتِ الأَساوِدِ
تَعاوَرَها الأرواحُ بِتَنَسِيفِ رَبِّها وَكُلُّ مُلَيْثٍ ذِي أَهاضِبٍ راعِدِ (٤)
بِها كُلُّ ذِيالٍ وَخِساءِ رَعوِي إلى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَمْلِ فارِدِ (٥)
وهم قد أكثروا أيضاً من وصف هذه الوحوش بأنها مَوْشِيَّةُ الأَكَارِعِ ، ولا سيما الشعراء الأمويون ، حتى صار ذلك شبه قاعـدة عامة عندهم .

(١) ديوانه ١٠٦ .

(٢) نعام خاضبات : خضب الكلاء سيقانها في الربيع . والحيط : جاعة النعام .
والرثال : فراخها ، واحدها رأل .

(٣) ديوانه ٣٣ .

(٤) تعاورها : تداولها هذه مرة ، وهذه مرة . والمك : السحاب يكون مطره دائماً . والأهاضيب : دفنات المطر .

(٥) الحنساء : بقرة الوحش التي في أنفها حنَس . وزرعوي : تطف وترجع .
والرجاف من الرمل : الذي يتحرك وينهار لليه .

قال الأخطل (١) :

فما به غيرٌ مَوْشِيٍّ أكارعُهُ إذا أحسَّ بشخصٍ نابيٍّ مَثَلًا (٢)
يرعى بخيفٍ أحياناً ، ونضَّره أرضٌ خلاءٌ وماءٌ سائلٌ غَلَلًا (٣)
والشعراء منذ الجاهلية قد اعتادوا كذلك عند ذكر هذه الحيوانات
أن يذكروا معها صفاتها أحياناً ، وهي تتبع أمثاتها ، أو تمتشي أمامها .
قال زهير (٤) :

هاج الفؤادٌ معارفُ الرسمِ قفرٌ بذِي الهضبات كالوشمِ (٥)
تعتاده عينٌ مَلَمعةٌ تَرْجِي جَاذِرَها مع الأدمِ (٦)

الذكر - عزة مسن

(يتبع)



(١) ديوانه ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) مَوْشِيٍّ أكارعُهُ : أي نور في فوائمه سواد وياض . ومثل : أي إذا أحس
بشخص آتٍ زال عن موضعه .

(٣) خيف : وادٍ بالجزيرة . وسائل غَلَلًا : أي يسيل متعللاً من مكان إلى مكان .

(٤) ديوانه ٣٨٢ .

(٥) معارف الرسم : علاماته المعروفة .

(٦) العين : بقرات الوحش ، واحدتها عيناء ، سميت بذلك لسعة أحداقها . والملمعة :
التي بها لمع تخالف سائر لونها . والجاذر : أولادها ، واحدتها جؤذر . والأدم :
الظباء البيض .

أبو علي القالي و كتابه الأملالي

هو أبو علي القالي البغدادي . واسمه اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان . وجدته سلمان هذا مولى عبد الملك ابن مروان الأموي (١) . ولد سنة ٢٢٨ هـ ، ٩٠١ م . وقيل سنة ٢٨٠ هـ في بلدة « منازجرد » أو « منازکرد » في إرمينية من أعمال ديار بكر بالقرب من بحيرة « وان » التي تقع شرقي الفرات . ومنازجرد — كما يقول باقوت — بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم (٢) ، وأهلها أرمين وروم ، وفيها قلعة عرفت بهذا الاسم . غير أننا لا ننجح إلى رأي باقوت الذي يثبت منازجرد بأنه مشهور ، بدليل أن أبا علي نفسه عدل عن الانتساب إليه وآثر بلداً آخر أكثر شهرة وهو « قالي فلا » الذي كان مركزاً للمجاهدين والغزاة المسلمين . وإلى منازجرد ينسب الشاعر أبو نصر النازي صاحب الأبيات المشهورة في وصف الطبيعة ، ومنها قوله :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعف الفيث العميم
زلنا دوحه فحنا علمنا حنوّ الرضعات على القطيم
يروع حصاء حالية العذارى فتلمس جانب المقصد النظيم

وحين بلغ أبو علي الخامسة عشرة من عمره شعر أن منازجرد القصية لا تقسم لطامحه فشد الرحال إلى بغداد طلباً للعلم ، وكانت منتجع الأدباء

(١) انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤ . وفي إنباء الرواة ١ : ٢٠٧ لا يرد ذكر سلمان بل سليمان عوضاً عنه ، كما يذكر الحميدي في جذوة القتبس أن جده سليمان كان مولى محمد بن عبد الملك .

(٢) معجم البلدان ٥ : ٢٠٢ . وخلاط كما يذكر باقوت عاصمة إرمينية .

وقبله الطلاب والمريدين ، وفي إيهاء مساجدها كان يتربع شيوخ اللغة والأدب والنحو .. ومن حولهم حلقات حاشدة من طلاب المعرفة أمثال القالي . وقد روى أبو علي نفسه قصة رحلته ولقبه لتلميذه أبي بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » ، فقال :

« رحلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة ، فأثقت بالوصل ، وكتب عن أبي يعلى الموصلي وغيره . ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمائة ، فأثقت بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . . . » قال الزبيدي : « وسألت أبا علي لم قيل له القالي ؟ فقال :

« لما انحدروا إلى بغداد كنا في رُقعة ، فيها أهل قالقلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثغر ، ورأيت الناس يعظمونهم . فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قالقلا وهي قرية في منازل جرد ورجوت أن انتفع بذلك عند العلماء فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي »

وفي هذا النص ما ينم على عصامية القالي ، وأنه وهو الغريب في بلد كبير مثل بغداد كان عليه أن يبدأ الطريق من أوله وأن يجد له مكاناً بين الزحام ، حتى قبض له أن يبلغ أقصى درجات الشهرة في الشرق والغرب . ونحن لا نعرف الكثير عن هذه المرحلة من حياة أبي علي مرحلة إقامته بالعراق . وبوسعنا القول إنه استطاع أن يعقد صلات علمية وثيقة مع شيوخ العلم في الموصل وبغداد ، وأن نباهته لفتهم إليه وجعلته مقرباً إليهم . وأغلب الظن أن شهرته أخذت تستفيض بعد وفاة أكثر شيوخه وبخاصة ابن دريد صاحب كتاب « الجمهرة في اللغة » . وإذا ذاك استقل أبو علي * بشخصيته وتم له التضج ، وغدا بذكائه واقتداره في الرواية وتمكنه في اللغة ذا شأن في بغداد . يؤيد ذلك ما تذكره كتب الأدب

والتراجع من أمر إرسال خليفة قرطبة الأموي إليه يستدعيه وهذا يعني استفادة شهرته حتى بلغت الأندلس . وقد يكون من أسباب إثاره دون سائر العلماء بهذه الدعوة السامية أن جده البعيد سلمان أو سليمان في بعض الآراء كان مولى لعبد الملك بن مروان الأموي . غير أن بروكلمان ينجح إلى خلاف هذا الرأي ، فيرى أنه لم ينه للقالى ذكر في بغداد وأنه لما لم ير بعد دأب خمس وعشرين سنة أن دراساته قد أبتع ثمرها وآت أكلها عول على الرحيل إلى بلاد المغرب^(١) . ويبدو أن بروكلمان يفترض أن أبا علي رحل عن العراق مهاجراً يائساً ، ويفعل أمر دعوة الخليفة الأندلسي له ، وفرق كبير بين هذا الحافز وذلك .

ومها يكن من أمر فقد كان خروج أبي علي من بغداد قاصداً إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ وكانت سنة يومئذ تناهز الأربعين . وقد مر أبو علي بأرض مصر حيث علم بوفاة أحمد بن عبد ربه^(٢) صاحب كتاب « العقد الفريد » . ثم بلغ المغرب ووصل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ بعد نحو ثلاث سنوات ، فاستقبل استقبالاً عظيماً وكان في مقدمة مستقبله الأمير الحكم ولي العهد ولقيف من وزراء والده الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ولاية الأندلس من الأمويين في قرطبة ، وكان أول من تلقب بألقاب الخلافة وتسمى بأمر المؤمنين وأقوى من حكم الأندلس . وكان الناصر قد استدعاه بعد أن بلغته شهرته وعلم فضله ، فوكل إليه أمر تعليم ابنه ، وعهد إليه بتربيته وتهذيبه ، « فتلقاه الحكم بالجميل ، وحظي عنده ، وقرب منه ، وبالع في إكرامه . ويقال إنه هو كان قد كتب إليه ، ورغبه في الوفود عليه . وكان قبل ولايته الأمور وبعد أن صارت إليه ، يبعثه على

(١) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٨ .

(٢) تراث الإنسانية ، العدد الأول من المجلد الخامس . بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .

التأليف وينشطه بوسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط والإكرام ، (١) ويعد الحكم بن عبد الرحمن من أشد ملوك الأندلس شغفاً بالعلم وأكثرهم اشتغالاً به وحرصاً عليه . وبعضهم يعزو إلى القالي هذا الفضل وأنه غرس في نفس تلميذه الحكم حب المعرفة (٢) ، ولكننا لا نذهب إلى هذا المدى في تأثير أبي علي في الحكم ، لأن الحكم كان في الثامنة والعشرين من عمره سنة وصول أبي علي إلى الأندلس (٣) .

استوطن أبو علي قرطبة ونشر علمه بها وألف فيها أكثر كتبه ، وفي طليعتها كتاب الأمالي والنوادر وكتاب البارع في اللغة ، وكان يعلي معارفه أيام الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ، « فاستفاد الناس منه وعوتلوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله » .

وكما عرف أبو علي في العراق وسائر المشرق بالقالي عرف أيضاً بالبغدادي بين أهل المغرب والأندلس بعد رحيله إليهم . وقد يرى بعض الباحثين في إطلاق المغاربة الأندلسيين لقب البغدادي على أبي علي ما يشير إلى مذهبه في اللغة والنحو والتصريف الذي اتسم به نتيجة إقامته في بغداد وأخذته عن عدد من الشيوخ البغداديين في العراق . فكأنه الناقل لهذا المذهب البغدادي والمبشر به في المغرب والأندلس . غير أننا لانجح إلى هذا الرأي لأسباب ؛ منها أن مدرسة بغداد لم تكن مدرسة متميزة بالمعنى الدقيق وذات ملامح بارزة كما كان شأن مدرستي الكوفة والبصرة المتنافستين ، ولكنها

(١) جذوة القنيس في ذكر ولاية الأندلس ١٥٥ .

(٢) ينجح الأستاذ أحمد أمين إلى هذا الرأي في كتاب « ظهر الإسلام » ٣ : ٨٢ - ٨٣ .

(٣) تولي الحكم خلافة الأندلس من ٣٥٠ - ٣٦٦ سنة وفاته ، وكان مولده سنة ٣٠٢ .

(٤) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

حصيلة مشتركة للتفاعل العلمي بين البصريين والكوفيين ، وإن كان الميل إلى البصريين غالباً عليها . يؤيد ذلك ما نجده في العديد من كتب السلف من تجاوز لمذهب بغداد ، مثل كتاب « طبقات النحويين واللغويين » لأبي بكر الزبيدي ، فقد ميز البصريين من الكوفيين ثم أنبهم المصريين والأفريقيين والأندلسيين بل إن كتاب الزبيدي نفسه يصنف أبا علي القالي في الطبقة السابعة من اللغويين البصريين وبعده من أصحاب ابن دريد ، كما يجعله في موضع آخر من كتابه في الطبقة المباشرة من النحويين البصريين ويذكر أنه من أصحاب ابن درستويه (١) . يضاف إلى ذلك أن أكثر من ترجوا لأبي علي في القديم أشاروا إلى أنه كان أعلم الناس بنحو البصريين . على أن أبا علي نفسه لم يكن في مصنفاته البارزة نحوياً بقدر ما كان لغوياً بعني بنوادر العربية وغريبها ، ولغات العرب وأشعارهم ، يتم على ذلك كتاباه الكبيران : الأمالي والبارع . وقد ذكر الحميدي أن « أكثر من يحدث عن القالي بالغرب أو يحكي عنه يقول أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، نسبوه إليها لطول مقامه بها ووصوله إليهم منها » أما أبو علي نفسه فقد آثر أن يجمع بين النسبتين حين استهل كتابه « الأمالي » بقوله : « قال الشيخ أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي رحمه الله .. » .

سُبُوح القالي :

أتيج لأبي علي أن يتلمذ على نخبة من العلماء الأجلاء ، فأخذ الحديث النبوي في بغداد عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي محدث العراق في عصره . (٣١٧ هـ) وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني من فقهاء

العراق (- ٣١٦ هـ) وأبي سعيد الحسن بن زكريا السدي البصري (- ٣١٩ هـ) ، ويوسف بن يعقوب القاضي (- ٢٩٧ هـ) وابن صاعد يحيى ابن محمد (- ٣١٧ هـ) ، وأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرئ (- ٣٢٤ هـ) ، وحسين بن اسماعيل الحاملي ... وكلهم من علماء الحديث الذين تضبط عليهم الرواية بدقة وتشدد . وحين قصد أبو علي إلى الموصل في أول مقامه بالعراق لازم فقيها وعالمها أبا علي الموصلي .

وما من شك في أن هؤلاء الشيوخ المحدثين تركوا أثراً منهم عند أبي علي القالي من حيث اعتماده الكبير على الرواية والحفظ وتوحيه الدقة والاعتقان وحرسه على التمسك بالأسانيد ، على غرار كتب الفقه والحديث ، مما نلنسه بوضوح في كتب القالي وبخاصة في الأمالي والبارع .

وأخذ أبو علي علوم العربية عن أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ويمد أبرز تلاميذ المبرد (- ٢٨٨ هـ) ، وأبي إسحق إبراهيم بن السري الزجاج من تلاميذ المبرد أيضاً (- ٣١١ هـ) ، وأبي الحسن علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير (- ٣١٥ هـ) ، وأبي عبد الله إبراهيم بن محمد المعروف بنفطويه (- ٣٢٣ هـ) ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب الجهرة (- ٣٢١ هـ) ، وأبي بكر بن محمد بن السراج النحوي (- ٣١٦ هـ) ، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري من أبرز علماء الكوفة (- ٣٢٨ هـ) ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومن شيوخ أبي الفرج الأصبهاني (- ٣٢٥ هـ) ... وسوى هؤلاء من اللغويين والنحويين . وكان أكثرهم من تلاميذ المبرد اللامعين وعرفوا مثله بكثرة الحفظ ودقة الرواية وبغلبة الطابع العربي في ذلك كله بعيداً عن المؤثرات الفارسية التي كانت ترفد الفكر العربي من الفرس واليونان وتنجلي في نتاج فئة أخرى من الأعلام كالجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج الأصبهاني وقدامة بن جعفر وسوام .. على

تفاوت في مدى هذا التأثير. وثمة شيوخ آخرون أخذ عنهم أبو علي ومنهم ابن شقير والمطرز وجحظة وابن قتيبة الابن ... غير أن أبرز من أخذ عنهم أبو علي أبو بكر بن دريد ، فقد كان شديد الملازمة له والأخذ عنه ، كما ملأ كتبه بأخباره وأقواله ومجالاته ، « وقد روى عنه كتابه الجهرة رواية واعية متقنة ومخطه » . وعندما توفي حزن حزناً شديداً وقال : « لا أرجو أن أقيم بعده في بغداد » . وهذا ما حدث بعد حين من الزمان ، فلم يلبث أبو علي في العراق سوى بضع سنين رحل بعدها إلى الأندلس . وقد كان آخر ما أورده أبو علي في كتابه « النوادر » قصيدة طويلة في رثاء ابن دريد ، وكأنه أراد بها أن تكون خاتمة لكتابه الجليل ودليلاً على ما يمكنه لشيخه من محبة ووفاء .

تلاميذ الفالي :

رحل أبو علي عن بغداد وهو يناهز الأربعين ، ولم يتح له أن يترك أثراً كبيراً في تلاميذه هناك . على أن الحال كان على خلاف ذلك في الأندلس حيث ذاع فضله وكثر قاصدوه ولعل الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي كان في طليعة الذين أفادوا من علمه . وأبرز من تعلموا على أبي علي إطلاقاً أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ، وهو لغوي كبير اشتهر بكتابه « مختصر العين » و « طبقات اللغويين والنحويين » ، وكان إماماً في الأدب ولكن عرف فضل أبي علي فقال إليه واختص به واستفاد منه وأقر له ، (٢) وتذكرنا ملازمة الزبيدي لأبي علي في قرطبة بتلازمة أبي علي لابن دريد في بغداد . وفي مؤلفات الزبيدي جانب كبير مما أخذه عن

(١) مقدمة الجهرة في اللغة ١٧ .

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت ٧ : ٣٠ ، وجذوة الفتيح للحميدي ١٥٤ .

شيخه وكان يحمله إجلال أبي علي لابن دريد ، وفيه يقول (١) : « ولا تعلم
أحداً من المتقدمين ألف مثله »

ومن النابهين الذين أخذوا عن أبي علي أحمد بن أبان اللغوي (٢) وبذكر
السيوطي أنه صنف كتاباً اسمه « العالم » في اللغة ويقع في مئة مجلد ، وقد
رتبه على الأجناس ، وبدأ فيه بالفلك وختم بالذرة . وأغلب الظن أن هذا
الكتاب حصيلة تأثر ابن أبان بالقالي في زعته اللغوية ، ولعل صاحب « العالم
في اللغة » كان يضع نصب عينيه كتاب « البارع في اللغة » لأبي علي
ويحرص على مباراته في مادته وحججه .

ثقافة القالي :

إن معرفتنا بشيوخ القالي تتيح لنا أن نقف على طبيعة ثقافته ولون
معارفه ، كما تلقي في الوقت نفسه ضوءاً على مذهبه في اللغة ومنهجه في
التأليف . وقد رأينا أن معظم شيوخه في الموصل وبغداد كانوا نخبة مشهورين
ومحدثين بارزين ائسموا بالطابع العربي الخالص وعرفوا بالضبط والإتقان .
وأكثر من ترجوا لأبي علي يشيرون إلى اقتداره في النحو ، فيصفه
ياقوت بأنه أعلم الناس بنحو البصريين (٣) ، ويحمله القفطي في عداد أنباء
النحاة ويقول عنه : « إنه قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ،
واستفهمه جميعه وناظره فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره وعلل العلة ،

(١) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

(٢) هو أحمد بن أبان بن سعيد اللغوي الأندلسي ، ترجم له السيوطي وقال إنه كان
علماً إماماً في العربية حافظاً أدبياً سريح الكتابة . توفي سنة ٣٨٢ هـ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين .. (١) وعلى الرغم مما توحى به هذه العبارات فإن النحو لم يستأثر باهتمام أبي علي إلى هذا المدى . ومع أن أبا علي ألف في النحو كتباً مثل كتاب « المقصور والممدود » وكتاب « فلت وأفعلت » ومشاكلها فإن هذه البحوث تعد أدخل في علم الصرف منها في النحو ، وطابعها لغوي أكثر منه نحوي . كما أن مثل هذه الكتب يقل في منزلته وأهميته عن سائر كتب أبي علي اللغوية وفي مقدمتها كتابه « الأمالي » ومعجمه « البارع » فترعة أبي علي اللغوية بارزة في هذين الكتابين وغالبة على ما عداها . وعلى ذلك لا نعد أبا علي في عداد النحاة على علو كعبه في النحو على حين يتبوأ منزلة رفيعة بين اللغويين وأصحاب المعاجم في تراثنا العلمي . ولعل أبا علي في هذا الشأن أشبه ما يكون بالخليل بن أحمد الذي جمعه بعض الذين ترجموا له في عداد النحويين البصريين دون اللغويين ، ومنهم أبو بكر الزبيدي في طبقاته ، على حين عرف الخليل باللغة وكان له فيه معجم المين كما كان لأبي علي معجم البارع . على أن أبا علي عرف لدى بعض القدماء بهذا الفضل وأنه « كان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متقناً لها » (٢) . وهكذا تكونت شخصية القالي على أنه إمام ثبت وحجة ثقة ، وأنه راوية للغة والأخبار في غاية التقييد والضبط . وقد عرف فضلاً عن ذلك بسمة العلم وقوة الحفظ وأنه كان يبلي معارفه عن ظهر قلبه (٣) .

(١) إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٠٥ .

(٢) بغية التمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ٢١٧ .

(٣) إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٠٥ .

كتب القالي :

ألف أبو علي كتباً عديدة مازال بعضها بعيداً عن متناول الأيدي بعد أن عبثت به الأيام . « وكانت كتبه في غاية التقيد والضبط والإتقان . وقد ألف في علمه الذي اخص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته » (١) ومن هذه المؤلفات التي نوردتها كتب التراجم والفنون :

كتاب المقصور والمدود والمموز : وقد بناء على التفعيل ومخارج الحروف من الخلق . وقد وصفه القفطي في إنباه الرواة بأنه « مستقصى في بابيه ، لا يشذ عنه شيء في معناه ، لم يوضع له نظير » . ونعته الحميدي بأنه لم يؤلف في بابيه مثله (٢) ، ويقع في عشرة أجزاء (٣) .

كتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها ، ويذكر أيضاً باسم كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها ، وهو في خمسة أجزاء .

كتاب حلى الإنسان والخيول وشياتها .

كتاب فملت وأفملت : وقد جمعه ثلاثة أمثال ما كان للزجاج (٤) .

كتاب أفعل من كذا (٥)

كتاب مقاتل الفرسان

(١) بغية الملتبس ٢١٨ .

(٢) يرد اسم الكتاب في جذوة المقتبس بأنه كتاب المقصور والمدود والمموز ، ١٥٦ . على حين تورده كتب التراجم الأخرى باسم كتاب المقصور والمدود .

(٣) فهرست ابن خير ٣٥٣ - ٣٥٥ .

(٤) فهرست ابن خير ٣٥٣ .

(٥) انظر بذكره ابن خير وأسنده إلى شيوخه في رواية متسلسلة .

كتاب تفسير القصائد والمعلقات : ولعله هو نفسه كتاب : تفسير السبع الطوال الذي ذكره ياقوت .

كتاب الأمالي ، وذيل الأمالي والنوادر : وهو أجل كتبه وأشهرها .
كتاب البارع : وهو معجم مسهب في ألفاظ العربية .
وينسب إلى القالي أيضاً أنه شرح ديوان ذي الرمة . ولكن أكثر المصادر لا تشير إلى ذلك .

ويحسن بي أن أقف وقفة طويلة بعض الشيء عند كتابين بارزين من هذه الكتب وهما : البارع ، والأمالي .

كتاب البارع كتاب في اللغة (١) ، بناء أبو علي على حروف المعجم . وتذكر كتب التراجم أنه جمع فيه كتب اللغة ، وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء وأنه اختصر الاسناد عنهم . وما يؤسف له أن هذا الكتاب الجليل لم يصل إلينا كاملاً . وقد نشر الأستاذ (A. S. Fulton) الجزء المخطوط لديه في المتحف البريطاني مصوراً عام ١٩٣٣ ، ويقع في ١٤٨ صفحة وقدم له بالانكليزية . غير أن أصل الكتاب أضاف هذا الجزء . وقد ذكر ياقوت أنه يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة وأنه يحتوي مائة مجلد وفي وفيات الأعيان وإنباء الرواة أن كتاب البارع يشتمل على خمسة آلاف ورقة . وأغلب الظن أن الذين تكلموا على البارع من المشارقة لم يصفوه من كتب ، ولذلك يبقى ابن خيبر وهو أندلسي عرف بتدقيقه أفضل من يحددنا عن هذا المعجم الكبير . فهو يحدد حجمه بقوله : « إنه في مائة وأربعة وستين جزءاً ، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست

(١) انفراد حامي خليفة في كشف الظنون بأنه ذكر للقالي كتاباً اسمه « البارع في غريب الحديث » ولم يذكر له البارع في اللغة ، ونظن أن هذا وهم منه ، انظر ١ : ٢١٦ .

وأربعون ورقة ، وبورد ابن خير مزيداً من التفصيل عن هذا الكتاب فينقل عن الزبيدي تلميذ أبي علي قوله . « وهو في اللغات كلها ، زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمئة ورقة مما وقع في (العين) مهملاً فأملاه مستعملاً ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه » (١) .

ويكاد المصنفون يجمعون على إجلال هذا الكتاب ، فيقول فيه الحميدي إنه « كاد يحتوي على لغة العرب » (٢) . ويقول فيه ياقوت إنه « يحتوي على مائة مجلد لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب » ، ثم ينقل عن الزبيدي قوله : « ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله » (٣) . ورغم اشتهار هذا المعجم لم يمل الناس إليه منذ زمن قديم ، يقول السيوطي : « ولم يمرجوا أيضاً على بارغ أبي علي البغدادى » (٤) ولعل ذلك هو السبب في أننا لم تصل إلينا نسخة كاملة من المعجم (٥) ومما يكن من أمر فإن الأندلس تبقى حتى القرن الرابع ليأتها القالي من المشرق وبؤلف فيها كتاب البارغ أول معجم عربي في تاريخها (٦) .

ونفهم مما قاله ابن خير وسائر من ترجعوا للقالي ومن بعض أقوال أبي علي نفسه ان مصنفات أبي علي في معظمها قد ألفتها في الأندلس وأنها

(١) الفهرست ٣٥٤ .

(٢) جذوة المفتيس ١٥٦ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٩ .

(٤) الزهر ١ : ٤٥ ، والمعجم العربي : حسين نصار ٢٨٧ .

(٥) المعجم العربي : حسين نصار ٢٨٧ .

(٦) ذكر ابن خير أن الزبيدي ألب كتاباً اسمه « المسندرك » من الزيادة في كتاب

البارغ لأبي علي البغدادى ، على كتاب « العين » للخليل بن أحمد ، ٣٥٠ .

أهديت من صاحبها إلى الحكم بن عبد الرحمن الناصر، وبخاصة كتاب الأمالي وكتاب البارع وكتاب فعلت وأفعلت . وقد ذكر ابن خلكان أن أبا علي اتخذ قرطبة مقاماً له وأن « أكثر كتبه بها وضعها ولم يزل بها » (١).

كتاب الأمالي

نُتب الأمالي :

الأمالي جمع إملاء على غير قياس . أو أنها جمع أملية كأغنية وأحجية وأثنية وأمسية . وقد ذكر السيوطي أن طريقة الإملاء أعلى وظائف حفاظ الحديث (٢) . وقال حاجي خليفة يصف التأليف في هذا الفن « هو أن يقدم عالم وحوله تلاميذه بالحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ، ويسمونه الإملاء والأمالي . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية » (٣) . فالأمالي كل ما يعليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغة ونحو وأدب . وهي في رأينا تطابق في مدلولها كلمة المحاضرة في العصر الحديث ، بل إن المحاضرة بهذا المعنى اصطلاح قديم إلا أنه لم يشتهر اشتهار الإملاء ؛ فقد ذكر أبو منصور الأزهري أن الأصمعي كان أملى ببغداد كتاباً في النوادر ، فزيد عليه ما ليس من كلامه ، فأنكر ذلك وقال : « خير العلم ما حضرت به » (٤) . وإذا كان ثمة فارق بين

(١) وفيات الأعيان ١ : ٢٠٥ .

(٢) الزهر ٢ : ٣١٣ .

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١ : ١٦١ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ، المقدمة للأزهري .

الأمالي وبين المحاضرات فهو أن الأمالي تتملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاء مرتجلاً عن ظهر قلب ، على حين تتلى المحاضرة من أوراق أعدت من قبل . وبعبير آخر أن المحاضرة صورة جديدة ومتطورة للإملاء تتم بالتركيز ووحدة الموضوع . وكثيراً ما كان يستعاض عن كلمة أملية أو إملاء بكلمة مجلس . وثمة كتب عديدة تحمل هذا الاسم أشهرها « مجالس ثعلب » وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب ، والتداخل بين هذين الاصطلاحين أيضاً شائع . ففي أمالي القالي مثلاً نجد مادة الكتاب مقسمة إلى مجالس ، وواضح أن المراد بكلمة المجلس مايلقى في جلسة واحدة ولعله يشبه الفصل أو الباب . ومن هنا وتبعاً للمدلول الواسع لكلمة الأمالي كثرت الكتب التي تحمل هذا الاسم كثرة بالغة في تراثنا العربي على صعيد اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير ... الخ . وفي كتب التراجم والفنون مثل فهرست ابن النديم وفهرست ابن خیر وكشف الظنون وسواها مصنفات لا تكاد تحصى وتحمل جميعاً كلمة الأمالي عنواناً لها . ولا يعنينا من هذه الكتب إلا ما كان في اللغة والأدب وهو أيضاً كثير نمدد منه ولا نعدده :

- أمالي ثعلب (— ٢٩١ هـ) .
- أمالي اليزيدي (— ٣١٠ هـ) .
- أمالي الزجاج (— ٣١٦ هـ) .
- أمالي ابن دريد (— ٣٢١ هـ) .
- أمالي أبي بكر الأنباري (— ٣٢٨ هـ) .
- أمالي الزجاجي (— ٣٤٠ هـ) .
- أمالي القالي (— ٣٥٦ هـ) .
- أمالي بدیع الزمان الهمداني (— ٣٩٨ هـ) .
- أمالي المرزوقي (— ٤٣١ هـ) .
- أمالي المرتضى (— ٤٤٦ هـ) .

- أُمالي أبي العلاء (— ٤٤٩ هـ) .
- أُمالي ابن الشجري (— ٥٤٢ هـ) .
- أُمالي الزمخشري (— ٥٣٨ هـ) .
- أُمالي ابن الحاجب (٦٧٢ هـ) .

ولسنا ندري على وجه الدقة متى عرفت تسمية الكتب بالأُمالي واختيرت لمصنفات بعضها ، ولكننا زجح أن كتب الفقه والحديث كانت أُسبِق من سواها في هذا الصدد . ونحن زى مثلاً كتاباً في الفقه يحمل اسم الأُمالي لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وهو صاحب أبي حنيفة (١) . وهذا يدل على أن التسمية عرفت منذ القرن الثاني ، ثم شاعت خلال القرنين الثالث والرابع . ولعل أول كتاب بارز في اللغة والنحو والأدب من هذه الزمرة كتاب « مجالس ثعلب » من رجال القرن الثالث ويبقى كتاب ثعلب هذا إلى جانب أُمالي القالي وأُمالي ابن الشجري أشهر كتب الأُمالي في هذا الموضوع .

منزلة أُمالي القالي :

أما كتاب الأُمالي لأبي علي القالي البغدادي فهو أشهر كتبه ، وبه عرف في مضمار التأليف . ولعله أشهر كتب الأُمالي قاطبة . وكثيراً ما يطلق على أُمالي القالي اسم (النوادر) . ولعل هذه التسمية من قبيل إطلاق الجزء على الكل . فالمرور أن جزءاً من الكتاب يلي الأُمالي كان مؤلفه قد ألحقه به وأسماء : « النوادر » كما أن الكتاب نفسه يعرف أيضاً باسم آخر هو « النوادر والأُمالي » ، (٢) .

(١) طبع الكتاب في حيدرآباد سنة ١٣٦٠ هـ ويقع في نيف وسبعين صفحة .

(٢) انظر إنباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

ولكتاب الأمالي منزلة رفيعة في تراثنا العربي ، وقد عرف القدماء فضله وقدموه . يقول ابن خلدون في مقدمته : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم : أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتميين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

وفي تقديرنا أن كتاب الأمالي حظي بشهرة واسعة في الأندلس ، وكان له صدى بعيد في محافلها الأدبية ، لأنه أول كتاب من نوعه ألف في تلك الربوع (١) وغدا عمدة في موضوعه وغودجاً يحتذى في غزارة المادة وغنى النصوص وإتقان الرواية ودقة الضبط . يضاف إلى ذلك ما أصاب أبا علي نفسه مؤلف الكتاب من حفاوة بالغة في إثر وصوله إلى الأندلس وخروج جمع حشد من العلماء وجلة القوم لاستقباله ، على رأسهم الأمير الحكم نيابة عن أبيه الخليفة الناصر وما من ريب في أن نباهة شأن أبي علي على هذا النحو قد انعكست على ما كان عليه في قرطبة وبالتالي على كتابه « الأمالي » .

وكان من أصداء هذه الشهرة أن أبا عبيد البكري الأندلسي (٢) نشط

(١) ذهب الأستاذ أحمد أمين في مجلة « الثقافة » ١٥ أكتوبر ١٩٤٠ إلى أن أمالي أبي علي النواة الأولى التي بندها القالي في الأندلس من علوم المشرق . وفي هذا غلو ولا يتفق والحققة . وهذا الرأي قاده إلى اليوم حين قال إن مشهوري الأدباء في الأندلس ومنهم ابن عبد ربه قد تخرجوا في مدرسة أبي علي . وهذا يعني أن القالي أسبق وجوداً وتأليفاً وأن ابن عبد ربه بمثابة تلميذه ، على حين توفي ابن عبد ربه قبل بلوغ أبي علي الأندلس ، وقد ناقش هذا الرأي بدفة محمد سعيد العريان في تقديمه للمقدّم الفريد .

(٢) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري عالم في اللغة والأسباب والشعر والأخبار سكن قرطبة وتوفي سنة ٤٨٧ هـ .

لشرح الأمالي وتفسير نوادره في كتابين يحمل أحدهما اسم « اللآلي في شرح أمالي القالي » (١) ، والثاني « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (٢) . وعلى الرغم مما يوحى به عنوان الكتاب الثاني من تحامل ومن حرص لدى البكري على تسقط هفوات أبي علي فإن هذه التعليقات زادت شهرة الكتاب استفادة . وإن تصدي البكري للأمالي ينطوي في الوقت نفسه على إقرار بأهمية الكتاب وجلال شأنه .

كما أن أحمد بن عبد المؤمن الشريفي المتوفى سنة ٥١٩ هـ عمده إلى اختصار أمالي القالي . ومن جهة أخرى حرص بعضهم على احتذاء كتاب الأمالي والنسج على منواله ، كما فعل اللغوي الوافد على الأندلس أبو العلاء صاعد بن الحسن الذي ألف للخليفة الأموي المنصور كتاب « الفصوص » على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي (٣) . وكان أبو علي قد أملى كتابه من حفظه في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، ثم أهدى أماليه إلى الخليفة الحكم وأشاد بفضله في خطبة كتابه .

نشر الأمالي :

نشر كتاب الأمالي أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ (٤) .

(١) طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦ م بتحقيق جيد من قبل العلامة الهندي عبد العزيز الميمني ، والكتاب يزيد في حجمه على كتاب الأمالي نفسه .
(٢) عمل على نشره الأب أنطون صالحاني وظهر في أربعة أجزاء بدار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ، وطبع مع كتاب الأمالي نفسه ماعداً بكتاب النوادر . انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٩ .

(٣) انظر جنوة المقتبس لأحبيدي ٢٢٣ .

(٤) ذكر محمد عبد الجواد الأسمي في خلال تصديره طبعة دار الكتب المصرية لكتاب الأمالي أن تاريخ نشره كان سنة ١٣٢٢ هـ ، على حين يذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٩ أن نشره الأول كان سنة ١٣٢٤ هـ ، وبظاهره في ذلك عبد السلام هارون وهو في صدد تقديمه للأمالي الزجاجي . ونحن لم نوفق في الوقوف على الطبعة الأولى .

وقد صنع المستشرقان كرنكو وبيغان فهرس الأشعار التي وردت في كتاب الأمالي وأصدرها في كتاب عام ١٩١٣ بطبعة ليدن . ثم طبع الأمالي ثانية في دار الكتب المصرية عام ١٩٢٦ . وبعد ذلك أعيدت طباعته مرات في القاهرة ودمشق وبيروت ، وأكثرها كان بطريقة التصوير عن طبعة بولاق أو طبعة دار الكتب . وطبعة دار الكتب تشير إلى أن كتاب الأمالي مؤلف من جزئين يليها جزء ثالث هو « ذيل الأمالي والنوادر » ، ثم جزء رابع صغير هو كتاب « النوادر » .

ويبدو أن تقسيم كتاب الأمالي لم يكن على هذه الصورة لأن كتب التراجم تفيد أن صاحبه جعله ستة عشر جزءاً للامعة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءاً^(١) . أما السيوطي فيقول في مقدمة (بغية الدعاة) انه اعتمد عليه في كتابه وأنه في خمسة مجلدات ، وقد كرر هذا القول في كتاب « المزهر » .

مختصر الأمالي :

قال أبو محمد بن حزم « كتاب نوادر أبي علي مبارك لكتاب (الكامل) الذي جمعه المبرد ، واثنان كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فلما كان كتاب أبي علي أكثر لغةً وشعراً »^(٢) . وقد وصف القفطي الكتاب أيضاً فقال^(٣) : « وهذا الكتاب غاية في معناه وهو أنفع الكتب ، لأن فيه

(١) انظر تراث الإنسانية ، المجلد الخامس : العدد الأول ، بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٨ .

(٣) إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٠٥ .

الخبر الحسن والمثل التصرف والشعر المنتقى في كل معنى . وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد في شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ماهي في هذا الكتاب . وفيه القلب والإبدال مستقصى ، وفيه تفسير الإتياع وهو مما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد كثيرة .

على أن القالي نفسه يتكلم في خطبة كتابه على محتوى أماليه فيقول « وأودعته فنوناً من الأخبار ، وضروباً من الأشعار ، وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب اللغات . على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته ، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته ، ولا فناً من الخبر إلا انتخلته ، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته .

ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ . على أني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد وفمرت فيه من الإتياع ما لم يفسره بشر . فإذ الأماي كما أرادها أبو علي أمشاج من الأخبار والأشعار والأمثال ، يتخللها شيء من تفسير القرآن وحديث الرسول . ويطلب على ذلك كله الطابع اللغوي الذي يميز الكتاب ، على حين أننا قلما وجدنا المؤلف يتعرض لقضايا في النحو ، وهو في ذلك يسير في « أماليه » وفي « بارع » أيضاً على هدي أستاذه ابن دريد . ومن خلال سطور المقدمة هذه أيضاً يتجلى أبو علي مؤلفاً شديداً الثقة بنفسه معتداً بعلمه وبخاصة في مجال التصريف . وليس هذا نبجاً منه ، فما بين دفتي كتابه من نصوص قيمة أمر لا ينازع فيه ويدل على أن صاحبه حوى خطير علوم العربية في عصره .

مفرد الأماي :

إن غزارة المادة في كتاب الأماي سمة بارزة فيه ؛ فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يمز وجوده في كثير من كتب الأدب . وإذا تسامعنا

عن المنهاج الذي آثره القالي في كتابه القيم هذا خاب أملنا . إنه أنشبه
 بنجم من المعادن الثمينة تنازلت كنوزه وتوقعت إليه الدروب . وهذه السنة
 في التأليف التي تضيق بالتزام الموضوع وتحديد إطاره ابتدعها الجاحظ
 ووطد أسسها في كتبه ولما استطاع المؤلفون بعده أن يتحرروا منها . وكان
 جديراً بالقالي وقد عاش في القرن الرابع أي بعد المرحلة الجاحظية الرائدة
 بأكثر من قرن أن يعمد إلى شيء من تنسيق الأشباه والنظائر في كتابه .
 فقد رأينا عدداً ممن عاصروه بل سبقوه كان قتيبه وابن عبد ربه ينجحون
 إلى نوع من التوبيع في مصنفاتهم الكبيرة ، برغم بقاء ظاهرة الاستطراد
 فيها . ويمكن القول إن أبا علي مازال في عصره — القرن الرابع الهجري —
 يمثل الاتجاه العربي الخالص ، وينطوي على سمات المحافظة دون أن يسمح
 بمقدار كافٍ للمؤثرات الدخيلة لئلا يؤثر في منهجه ، على حين نجد بين معاصريه
 علماء كانوا في الطرف المقابل كقدامة بن جعفر الذي اصطنع في كتابه
 « نقد الشعر » تقسيمات شديدة التحديد .

لقد كان القالي حريصاً على التمسك بتقاليد العرب العلمية التي كانت
 ترتكز لديه على شعور الوفاء لشيخه العلماء وتتجلى في الرواية عنهم وإسناد
 المنقول إليهم . وهذه الظاهرة تبرز أمامنا في كتاب أبي عبي وتشييع في
 سائر كتبه ؛ حتى إننا قلنا نفع خلال الأمالي على فقرة لاتبدأ بإحدى
 العبارات التقليدية المألوفة : (حدثنا ، أو ، أنشدنا ، أو ، قرأت على
 فلان ...) . حتى إن الرواية عن الآخرين تكاد تظني على ما عداها
 من أقوال المؤلف وآرائه . إن أبا علي في أماليه باغت الشخصية ، يصطنع
 مذهب رجال الحديث في الرواية والإسناد ، ثم يدلي أحياناً بدلوه بين
 الدلاء في تواضع جم .

إن طابع الإملاء واضح في كتاب الأمالي ، وكأنني بأبي علي في مسجد قرطبة وحوله جمع غفير من المريدين والطلاب والمتأدين ، وقد أخذ يسترسل في إيراد الأخبار ويتدفق في إنشاد الأشعار ، ثم يحلو عويصها ويفسر غريبها ويشرح غامضها . وقد تدعو فكرة فكرة أخرى خطرت بباله ، أو قصيدة تذكره بما يشبهها في عبارة وردت فيها أو معنى عرض خلالها ، فإذا الرجل آخر الأمر قد اعتمد عن موضوعه الأول أشواطاً . ولم يكن هذا الاستطراد في ذلك العصر عيباً ، بل كان مزية يراد منها أن تذهب عن الطلاب السأم وتتنقل بهم أو بقراء الكتاب في جواء مختلفة الألوان والطعوم . ولعل من أسباب ضعف التسويب وقلة التنظيم في كتاب الأمالي أن مؤلفه كان يعتمد على طريقة الإلقاء والإملاء من محفوظه وعن ظهر قلبه . ولا ريب أن في هذا اقتداراً يتزعزع الإحجاب . فقد قال القفطي في كتاب أبي علي (١) : « وأملأه ظاهراً من قلبه ... وارتمل تفسير ما فيه » . وأبو علي نفسه يعتمد بغزارة محفوظه فيقول في خطبة كتابه : « فأملت (٢) هذا الكتاب من حفظي » . ويؤثر عن القدماء أنهم كانوا يرون أن الحفظ أعلى منازل العلم ، وأن الحفاظ في أسمى منزلة بين الفقهاء والمحدثين . لقد كان أبو علي من هذا القليل ، وهو يباهي بأنه حوى علوم السلف ، غير أنه لم يكن يحرص على تجاوز هذا النطاق . ويبدو هذا الاعتداد أيضاً في خطبة كتابه حيث يقول .

« لما رأيت العلم أنفس بضاعة أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتى حوت خطيره ، وأحرزت رقيقه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شاردته ، ورويت نادره » . وهذا النص واضح الدلالة

(١) إنباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) أملت الكتاب على الكاتب إملاً وأملته عليه إملاً أي قلته له فكتب عني ،

والأولى لغة الحجاز وبني أسد والثانية لغة بني تميم وقيس . (الجملة) م (٢)

على حرص أبي علي على الجمع والاستيعاب ، شأنه في ذلك شأن أكثر المؤلفين القدامى . وقد ذكر ابن بسام (١) أن أبا علي كان يقول لأهل الأندلس : « إن علمي علم رواية وليس بعلم دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، وفي هذا القول ما يكشف عن طابع كتاب أبي علي فضلاً عن أنه يتم على تواضعه ، وهو ماهو بين العلماء في عصره .

وأغلب الظن أن أبا علي كان يأنس من أهل الأندلس وجمهور قرطبة شغفاً بأخبار المشاركة وإقبالاً على علمهم وأدبهم ، فيعمد من جهته إلى إرضاء هذا التطلع في نقوسهم ، ويحرص على أن يهرم بسعة محفوظه وغزارة علمه وكأنه يضع بين يديهم حصيلة ما حواه شيوخه وما آل إليه منهم . ومما يؤيد هذه الرغبة في نفسه أنه وهو الممدود على مذهب البصريين كان لا يتردد في النقل عن الكوفيين وأحياناً عن بعض الكوفيين غير الموثقين . وينبغي أن نقر في الوقت نفسه أن أبا علي لغوي كبير وعالم جليل ، انفتح ذهنه على المعارف كلها دون تمييز بين مذاهب أهلها . وفي فهرست ابن خير ثبت طویل بأسماء الكتب التي حملها أبو علي معه إلى الأندلس ، من بينها كتب لعدد من علماء الكوفة كما أن أبا علي يكثر في أماليه من الرواية عن أبي بكر بن الأنباري وينقل أيضاً عن الكسائي وعن الفراء وعن ثعلب وسواهم من الكوفيين ، وينقل في الوقت نفسه عن سائر اللغويين والنحاة البصريين كالبرد والأخفش وابن درستويه وابن دريد والزجاج .

وفي رأي المستشرق بروكلان أن أبا علي القالي كان أول من نقل علم الأدب إلى الأندلس (٢) وهذه منزلة رفيعة لم يبلغها أحد من المشاركة قبل

(١) انظر مقدمة كتاب الأمالي نقلاً عن جزء مخطوط من الذخيرة .

(٢) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٧ .

أبي علي وبعده في مضمار اللغة والأدب ، ولا يضارعه فيها إلا زرياب في الموسيقى والفناء .

على أننا قد نظلم القالي إذا عددناه في كتابه جامعاً حافظاً للنصوص فحسب فالحق أنه فقيه لنوي قل نظيره ، مقتدر على شرح العويص من الألفاظ ، غير أنه بالإضافة إلى ذلك بل فوق ذلك ذواقة للنصوص ، بصير بجميل الشعر والنثر . ولعل قيمة كتابه الحقيقية إنما تكمن في هذه الناحية ، لأنه حوى زبدة فنون القول وآداب العرب . إن كتاب الأمالي في جملته مختارات أدبية رفيعة تنسم في الثالب بالأصالة والندرة ، وتنطوي في الوقت نفسه على الفائدة والمتعة .

الدكتور عمر الدقاق



ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة^(١)

- ٥ -

(حرف العين)

٢٨٤ - ص ١١٧٣ د عارف حكمت ... أسس مكتبة باستانيول ...
من الملاحظات : إن الموسوعة لم تذكر أنه نقل مكتبته إلى المدينة ،
وما زال فيها ، ولها شهرة بخطوطها .

٢٨٥ - ص ١١٧٤ د عائشة بنت أبي بكر ... كانت أديبة شاعرة .
من الملاحظات : أنها لم تكن شاعرة ...

٢٧٦ - ص ١١٧٥ د عائشة بنت طلحة ... أديبة عالمة ، عرفت
بجهلها ...

في الحديث عن عائشة بنت طلحة تقدم مسألة الجمال على غيرها ، وقد
تكون عائشة أديبة بمعنى ما ، ولكن لا داعي إلى « عالمة » في موسوعة
ميسرة ولا سيما إذا وردت الصفة من غير تخصيص .

٢٨٧ - ص ١١٧٥ د عائشة التيمورية ... لها ديوان اسمه حلية الطراز
ولها كتاب نتائج الأحوال ، أما ديوان شعرها التركي فاسم كشفوفة ...
والآنسة هي دراسة مشهورة عنها حيث أطلقت عليها اسم شاعرة الطبيعة .

(١) نشر أول هذه الملاحظات في الصفحات التالية : ٢٨٥ و ٤٧٧ من المجلد (٤٢)
و ١٠٤ و ٣٤١ و ٦٢٧ من المجلد (٤٣) .

- أ - حلية الطراز - ط . نتائج الأحوال - ط . ب - كشوفه :
 شيكوفه - ط . ج - ليست دراسة مي من الذبوع بحيث يمكن وصفها
 بأنها مشهورة . د - شاعرة الطبيعة : شاعرة الطبيعة .
 الكتيب في الأصل « محاضرة » ألقها مي في جمعية « فناة مصر الفتاة »
 ونشرت فصولاً منها في المقتطف ... وأعادت دار الهلال نشر هذه الفصول
 وزادت عليها ما بقي مخطوطاً منها ؛ وصدرت باسم « شاعرة الطبيعة » ... ويبدو أن
 التسمية من إطلاق دار الهلال مشتقة إبانها من العوامل التي قدمتها مي
 لدراستها الشاعرة : « إن عائشة تيمور طليعة اليقظة النسوية في هذه
 البلاد ... » صدر الكتيب في سلسلة كتاب الهلال . المدة ٦٨ .
 ٢٨٨ - ١١٧٥ « العباس : عم النبي ... وإليه يصعد العباسيون ... »
 من الملاحظات : خير من « يصعد » : ينسب (أو ينتمي) .
 ٢٨٩ - ص ١١٧٦ « العباس بن مرداس ... شاعر فارسي » :
 ... فارس .
 ٢٩٠ - ص ١١٧٦ « العباسيون ... قسّم [الرشيد] دولته قبل
 وفاته بين أولاده : الأمين والمأمون والقاسم ... »
 أصبح من هذا أن يقال بين أولاده : محمد وعبد الله والقاسم ... «
 (أو الأمين والمأمون والمؤمن - إذا كان لابد من ذكر الألقاب) .
 ٢٩١ - ص ١١٧٨ « عبد الله بن رواحة ... شاعر فارسي ... » : فارس .
 ٢٩٢ - ١١٧٩ « عبد الباقي العمري ... له ديوان الترياق الماروقي ،
 وديوان أهلة الأفكار في معاني الابتكار و « زهوة الدهر في تراجم
 فضلاء مصر » .
 أ - الترياق - ط . ولا نعرف عن الكتّابين الآخرين شيئاً يذكر .

ب — تكررت ترجمة عبد الباقي في ثلاثة أماكن من الموسوعة مرة تحت « عبد الباقي » ومرة « العمري » وثالثة « الفاروقي » . وأقل ما يمكن عمله في هذه الحالة أن يترجم له في مكان ، ويحال على هذه الترجمة في الأماكن الأخرى .

٢٩٣ — ص ١١٨٣ « عبد العزيز بن سعود ١٨٨٠ — ١٩٥٣ ... »
أسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب واضع المذهب الوهابي .
لم يؤسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب ، فقد كانت قائمة قبل ذلك ، وكان أميرها محمد بن سعود في الدرعية . ومحمد بن سعود هو مؤسس دولة آل سعود وليس محمد بن عبد الوهاب . وأهم ما يذكر من الأمر أن محمد بن عبد الوهاب لما ضاق ذرعاً ببلدته العيينة لجأ إلى الدرعية وفيها تم الاتفاق بينه ومحمد بن سعود ...

٢٩٤ — ص ١١٨٦ « عبدان : مدينة ج . غ إيران ... » : عبدان .
٢٩٥ — ص ١٢١١ « المسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ... »
خلف ديوان شعر ، ألف عسدة كتب في اللغة مثل : « التلخيص »
وجهرة الأمثال وشرح الحاشية وفي الأدب مثل « معاني الأدب »
والمصون ... الخ .

أ — لم يصل إلينا ديوانه . ب — لم تميز الموسوعة ما وصل من كتبه وما لم يصل ، وما طبع وما بقي مخطوطاً . ج — المصون ، ليس للمسكري أبي هلال وإنما هو للمسكري أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد . وهو مطبوع . (الكويت . تح . عبد السلام محمد هارون ١٩٦٠) .

٢٩٦ — ص ١٢٢٠ « العقاد ... » عني بابن الرومي ، وكتب عنه كتاباً كبيراً ، : كتاباً .

٢٩٧ - ص ١٢٣٦ « عمر أبوريشة ... له عدة قصائد » : له ديوانان وعدة قصائد ...

٢٩٨ - ص ١٢٣٧ « عمران بن حطان ... كان ثقة صادقاً ... » :
... صدوقاً .

٢٩٩ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن قبيصة ... خرج مع امرئ القيس إلى قيصر ، ومات في الطريق ... ذكره امرؤ القيس في مملقته » .
لم يذكره امرؤ القيس في مملقته . وذكرت الرواية أن عمرو بن قبيصة هو المقصود بقول امرئ القيس : بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
٣٠٠ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن كلثوم ... له ديوان أشهره مملقته ... التي رددتها تغلب ... وأخذ شعراؤها يضيفون إليها ، فبلغت قريباً من ألف بيت ، وصل إلينا جزء منها » .
لا قيمة للخبر الأخير ، ولا داعي إلى ذكره - على أي حال - في موسوعة مبصرة .

٣٠١ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن معدي كرب ... شاعر فارسي » : عمرو ابن معديكرب (وهذا الخط أسير) شاعر فارس .

٣٠٢ - ص ١٢٣٨ « العمري ، عبد الباقي ... تزعم الأدب في أيامه ... » .
أ - مرت ترجمته على ص ١١٧٩ من الموسوعة وستمتر تحت الفاء (الفاروقي) .
ب - لم يتزعم الأدب في أيامه .

٣٠٣ - ص ١٢٤١ « عنبرة ... شاعر فارسي » : فارس .

(حرف الغين)

٣٠٤ - ص ١٢٤٩ « غ (غين) ... قيمته في حساب الجمل ١٠٠ » :

١٠٠٠

٣٠٥ - ص ١٢٥٤ « الغزالي ... درس علوم الفقهاء » : الفقيه .

٣٠٦ - ص ١٢٥٧ « الغلابي ، مصطفى ... » لم تذكر له الموسوعة « الدروس العربية » وجامع الدروس العربية .

(حرف الفاء)

٣٠٧ - ص ١٢٦١ « فاجير ، ريتشارد ... » كما يعد من عباقرة الموسيقى فهو أيضاً في الصدارة من كتاب القصص .
مسألة الشطر الثاني من الحكم فيها نظر .

٣٠٨ - ص ١٢٦٢ « فاجيه ، أميل ... » : الصحيح فاگژ [هـ] أو فاج [هـ] لأنه Faguer .

٣٠٩ - ص ١٢٦٣ « فارس أو فارستان ... » لا داعي لـ « فارستان » ولعلها غير موجودة .

٣١٠ - ص ١٢٦٤ « الفاروقي ، عبد الباقي بن سليمان العمري ... » شغف بالشعر الصوفي ومذاهب الرسول ... له ديوان مطبوع باسم « الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي ... » .

أ - تكررت الترجمة للمرة الثالثة . ب - من منشآت : في منشآت .

٣١١ - ص ١٢٦٧ « ... » وفيما يلي ثبت بأسماء سلاطين الفواطم ...

أ - سلاطين : الخلفاء . ب - الفواطم : الفاطميين .

٣١٢ - ص ١٢٧٥ « الفتوة نظام أخذت به بعض البلدان العربية ، يستهدف إعداد تلاميذ المدارس الثانوية للحياة العسكرية » .

لم تشر الموسوعة إلى « الفتوة » في التاريخ العربي وهو أمر جدير أن يرمى ، ولا إلى الفتوة في المعنى الاصطلاحي لدى المتصوفة والشطار ، ولا إلى دلالتها في عهد الخليفة الناصر العباسي (تنظر مقدمة الدكتور مصطفى جواد على كتاب الفتوة لابن المكارم البغدادي الحنبلي - بغداد ١٩٦٠) .

٣١٢ - ص ١٢٨٠ « فرانس ، أناقول ... » لم تذكر الموسوعة بين ما ترجم له إلى العربية « الآلهة عطاش » (القاهرة ، ١٩٥٢) .
٣١٣ - ص ١٢٨٣ « فرح أنطون ... ترجم » أنالا ، لشتاوبريان «
أنالا : Atala .

٣١٤ - ص ١٢٨٧ - ٨ « الفرزدق ... هو أحد الشعراء الثلاثة الذين عدّهم النقاد أمراء الشعر الأموي . تفوق على زميله في الفخر ... » .
أ - من عدّهم أمراء ؟ أي من أطلق هذه اللفظة ؟ إنها ليست مما يطلقه القدماء . إنما هم فحول ...

ب - الشعراء الثلاثة . من هم ؟ كان المناسب أن تنص الموسوعة على أسمائهم : جرير والفرزدق والأخطل .
٣١٥ - ص ١٣٣٢ « فورستر ... روائي انجليزي ... اشتهر بالنقد الأدبي وبخاصة في كتابه أوجه الرواية .

ترجمت له مجموعة من القصص ، وترجم كتابه النقدي بعنوان « أركان القصة » .
٣١٦ - ص ١٣٣٤ « فوق الواقعية أو سيرالية ، حركة أدبية وفنية ...
أسسها ... أندريه بريتون ... » .

أ - سيرالية : Surréalisme . ب - كان المفروض أن يعرف بها في حرف السين (سيرالية) لأنها هكذا عرفت وشاعت . فإذا وصلنا إلى حرف الفاء ، قلنا - إذا كان لا بد من القول - : فوق الواقعية ينظر سيرالية . ج - اندريه بريتون : أندريه [هـ] برتون André Bréton .

٣١٧ - ص ١٣١٣ « فلوير ... أصيب بمرض عصبي جعله يكتب طويلاً في كرواسيه ... » .

كرواسيه : كرواسيه [هـ] Croisset .

٣١٨ - ص ١٣٢٦ وفنون تشكيلية ... في العراق ... حافظ الدروبي ،
وطارق مظلوم وجواد سليم وفاضل عباس واسماعيل الشبخلي ومحمود صبري .
أ - كان الأولى أن يدل تسلسل الأسماء على أمر نسي من المهم
والأهم ، ويكون المناسب في هذه الحالة البدء بجواد سليم .

ب - بين الأسماء التي ذكرتها الموسوعة من لم يبلغ درجة الذكر
ووصفه بالقطب .

ح - أغفلت الموسوعة أسماء لامعة مبدعة مثل فائق حسن ، خالد الجادر ،
جميل حمودي ، كاظم حيدر ، محمد غني حكمت ، ضياء المزايي ...
٣١٩ - ص ١٣٠٢ « فضولي ... اتصل بسليمان القانوني ... فهناؤه
بقصيدة كوفية عليها بجاهية شهرية ... » .

كلمة « ماهية » لانتليق بموسوعة وكان من الممكن استعمال : رسم أو
مرتب أو راتب أو مشاهرة ...

٣٢٠ - ص ١٣١٢ « فلنسيا ... » : بلنسية .

٣٢١ - ص ١٣٥١ « فيلي ، ... عين ... وزيراً للداخلية في العراق
(١٩٢٠ - ١٩٢١) ولكنه استاء من سياسة الحكومة البريطانية إزاء
ذلك القطر فاستقال ١٩٢٥ .

أ - لم يعين فلي - ولا أي انجليزي آخر - وزيراً للداخلية
(أو غيرها) في العراق .

ب - إنما كان مستشاراً للداخلية (١٩٢٠ - ١٩٢١) ثم خرج
من العراق لدى مجيء فيصل . ح - مسألة « امتساء » فيها نظر .

د - لم يبق في العراق بعد ١٩٢١ أي أنه لم يكن فيه حتى ١٩٢٥ .

٣٢٢ - ص ١٩٥٧ فيني ... فرنسي ... من أشهر قصصه ...
شارتون ... ، شارتون مسرحية وليست قصة .

٣٢٣ — ص ١٣٥٨ « فیت ... مستشرق فرنسي ... حقق الجزء الأول من كتاب « الخطط » للمقرزي .
لقد حقق فیت أكثر من جزء .

حرف القاف

٣٢٤ — ص ١٣٦٣ « القالي ... ولد في منز أجرد بأرمينية » منازل جرد (أو منازل كرد . قال ياقوت « منازل جرد بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة وراء ساكنة ودال ، وأهله يقولون بالكاف ... » .

٣٢٥ — ص ١٣٧٢ « قذر البواليع » : « تتركب الأنظمة الحديثة لنقل مياه القاذورات بالمدن إلى مجار من الحديد أو الخرسانة ... ينطلق فيها قذر البواليع من التركيبات الصحية إلى مجاري المنازل ومنها إلى مجاري الشارع » .

أ — هل يكون قذر البواليع مصطلحاً ؟ ب — لم التخصيص بالبواليع ؟ ج — البواليع : البلاليع .

٣٢٦ — ص ١٣٧٣ « قرامطة ... حمدان ولقبه قرميطي أي أحر العينين ... » .

أ — قرميطي : القرمطي . ب — جاء لدى الطبري ، حوادث سنة ٢٧٨ ... وكان في القرية رجل ... أحر العينين شديد حمرتها ، وكان أهل القرية يسمونه : كرميته لحرمة عينيه وهو بالنبطية أحر العينين » .

٣٢٧ — ص ١٣٧٤ « قرائون » : قراءون .

٣٢٨ — ص ١٣٧٥ « قرطاجة » : قرطاجة .

٣٢٩ — ص ١٣٧٦ « قرطاجنة » : قرطاجنة .

- ٣٣٠ - ص ١٣٧٩ « القزويني ، زكريا ... كتاب عجائب البلدان
أو « آثار وأخبار العباد » وفي رواية ... آثار البلاد وأخبار العباد .
٣٣١ - ص ١٣٨٣ « قصة قصيرة ... ادجار آلن بو » : ألن Alan .
٣٣٢ - ص ١٣٩٣ « قم مدينة ... وسط إيران ... يحج إليها الشيعة » : يزورها .
٣٣٣ - ص ١٤٠٨ « قولى خان ، محمد هادي رضا خان » : رضا قليخان
هدايت ...

(حرف الكاف)

- ٣٣٤ - ص ١٤٢٨ « الكاظمي ... له ... ديوان شعر في جزئين ... » :
له ديوان صدرت منه مجموعتان (جزآن) وأعلن عن الثالثة .
٣٣٥ - ص ١٤٤٧ « كربلا ... يحج إلى كربلا الآلاف من الزوار
المسلمين » : يزورها .
٣٣٦ - ص ١٤٦٤ « الكعبة ... ترسل كسوة الكعبة من مصر كل
عام منذ عهد الملك الصالح نجم الدين إلى اليوم » : توقف الإرسال منذ حوالي
عشر سنوات وأقامت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً بكسوة الكعبة .
٣٣٧ - ص ١٤٧٦ « كيلة ودمنة ... ترجها عبد الله بن المقفع إلى العربية
وابتغى في ترجتها إرشاد الخليفة المنصور إلى ما يجب أن يتمسك به من خلق » .
الرأي شخصي وخاص وليس مقررأ ، فهو لا يصلح أن يعرض في
موسوعة ميسرة ، وإذا كان لا بد من ذكره ، وجب الإشارة إلى ذلك
وسبقه بكلمة مثل : ربما ، ويظن ، ويمكن القول ... الخ .
٣٣٨ - ص ١٤٩٦ « كوييه ... من أهم مسرحياته » في سبيل التاج
... التي ترجها المنفلوطي إلى العربية .

أ - كوبيه : كوبيه [٤] Coppée . ب - المنفلوطي لا يترجم ، ولا يعرف الفرنسية ، إنما يترجم له ، ويُلخص ويتصرف . ج - جاءت في اللغة العربية على شكل قصة .

٣٣٩ - ص ١٥٠٧ « كوكتو ... من أشهر مسرحياته « الأبناء المتعبون » ...

أ - مسرحياته : قصصه . ب - الأبناء المتعبون (بكسر العين ، إذا كان لا بد من الاحتفاظ بالترجمة) لأنها Les Enfants Terribles . ٣٤٠ - ص ١٥٠٩ « كولات أدبية فرنسية ، أهم رواياتها « عزيزتي » .

عزيزتي : عزيزي (إذا كان لا بد من الاحتفاظ بترجمة الموسوعة . وإلا فهي حبيبي إذا أريد منها ، وهي شيري Chéri إذا طلبت الدقة والصحة فلقد استعملت اللفظة علماً للفق الذي أحبه بطلة القصة الكهلة Léa . وبهذا الاسم أي (شيري) نقل القصة إلى العربية محمد بدر الدين خليل (القاهرة . سلسلة الروايات العالمية - الدار القومية -) .

٣٤١ - ص ١٩١٩ « كونديه أسرة أمراء فرنسية » : كوند [ه] Condé .

٣٤٢ - ص ١٥٣١ « كيمياء قديمة (الخيمياء) » ، لا معنى ل (الخيمياء)

هنا ، ولا سبب .

(حرف اللام)

٣٤٣ - ص ١٥٣٨ « لاروشفوكو ... شهرته الأدبية تعزى إلى الحكم والأمثال التي برع في نظمها .

أ - إنها خطرات وأقوال أكثر منها (حكماً وأمثالاً) ... Réflexions .

ب - في نظمها : في كتابتها ، لأنها نثر وليست شعراً .

٣٤٤ - ص ١٥٥٩ « لغة العرب ... الأب أنستاس ماري الكرمل -

أصدر جريدة العرب » .

لم يصدر «العرب» الكرمل ، وإنما أصدرتها السلطة الإنكليزية المحتلة ، واختارته محرراً لها ...

٣٤٥ - ص ١٥٧٧ «لوساج ، الن رينيه ... كتب قصة «مغامرات جيل بالاس ...» .

أ - رن[ه] René . ب - «قصة جل بلاس Histoire de Gil Blas .

(حرف الميم)

٣٤٦ - ص ١٦٣١ «الأمون ولم ينتقل الأمون من مرو إلى بغداد قبل ست سنوات » . العبارة غير مستقيمة قد يكون أفضل منها : لم ينتقل الأمون من مرو إلى بغداد إلا بعد مضي ست سنوات على بدء خلافته ...

٣٤٧ - ص ١٦٤١ «متحف الآثار المصرية ...» .

كان المناسب في موسوعة عربية أن تعرف - إلى جوار تعريف متحف الآثار المصرية - بمتاحف الآثار الأخرى ، كالعراقية والسورية ... الخ .

٣٤٨ - ص ١٦٧٠ «مدحت باشا ...» .

ليس من المعقول أن تتحدث موسوعة عربية عن مدحت باشا دون الإشارة إلى تاريخه في العراق .

٣٤٩ - ص ١٦٧١ «مدرسة : ليس أدل على حب المصريين للعلم من أنهم أطلقوا على دور العلم والمعرفة : بيوت الحياة . وبيت الحياة علم عند الفراعنة على كل دار لها صلة بالكتابة والقراءة والثقافة ... وكلها تابعة للعبد ...

... ولا نظن أن المدرسة في مصر القديمة اختلفت كثيراً عن مثيلها أيام المصور الوسطى . فقد كانت كذلك في معابد اليهود ، ثم في كنائس النصارى ، وأخيراً في المساجد عند المسلمين » .

أ - المفروض في كلام على مادة «مدرسة» أن يبدأ - أو أن يتضمن

في الأقل - تعريفاً لها وتحديداً لشوء اللفظة تاريخياً عند العرب - ولكن شيئاً من هذا لم يقع . ب - بل إن الموسوعة لم تتعرض - كما يجب - إلى المدرسة عند العرب والمسلمين ، وبكفي أنها لم تقترب من اسم « النظامية » و « المستنصرية » ... ج - وليس المهم الاختصار على الزمن الفرعوني وإهمال العهد العربي الإسلامي ... د - مسألة « بيوت الحياة » فيها نظر ...

٣٥٠ - ص ١٦٨٠ « مرجليوث ... مستشرق انجليزي ... حقق ونشر « ديوان الحماسة » ...

كلام به حاجة إلى التحديد .

٣٥١ - ص ١٦٨٨ « مرميه ، پرسپر ... تعزى شهرته إلى القصص القصيرة التي كتبها ، ومنها كولومبا ... وكارمن ... »

أ - مرميه ، پرسپر : مرمـ [٩] (أو مريمـ [٩] ، پرسپر . Mérimée , Prosper

ب - كولومبا وكارمن منقولتان إلى اللغة العربية .

٣٥٢ - ص ١٧٣٠ « المقتدر بالله ... وأسس الفواطم دولتهم » : الفاطميون .

٣٥٣ - ص ١٧٥٥ « منصور فهمي ، فيلسوف وباحث عربي ... » .
ليس منصور فهمي فيلسوفاً وإن درّس الفلسفة والأخلاق بالجامعة المصرية .
٣٥٤ - ص ١٧٨٠ « موسوعة ... وكان تطور التأليف الموسوعي الذي يعتمد على الترتيب الأبجدي بطيئاً ... أبجدياً ... أبجدياً ... ثم ظهرت بين عامي ١٩١٣ - ١٩٣١ دائرة المعارف الإسلامية ... وبدأت سنة ١٩٥٤ لجنة من المستشرقين المحدثين بإشراف كرامرز وجيب وبرنارد لويس في إخراج طبعة جديدة ... أبجدياً ... »

أ - كل « أبجدي » : هجائي ب - درست الموسوعة البصرة مانشر بعنوان « دائرة معارف » تحت حرف الميم (موسوعة) كأن الأصل هي

لفظة موسوعة وكأنها اللفظة التي لا توجد سواها ، وهذا غير صحيح ، لأن لفظة « دائرة معارف أشهر وأقدم » ولذا حسن — في أقل تقدير — أن نكتب تحت حرف الدال : دائرة معارف . ننظر موسوعة . ج ... كرامرز : Kramers .

٣٥٥ ص ١٧٨٥ « الموطأ : » كتاب لابن مالك ... انظر ابن مالك ، أنس ص ٢٦ ... »

ابن مالك ، أنس : ابن أنس ، مالك (لأنه مالك بن أنس) .
٣٥٦ — ص ١٧٩٠ « مونتسكيو ... مؤلفه « الرسائل الفارسية » ... وروح القوانين ... »

أ — الرسائل الفارسية : رسائل فارسية Lettres Persannes
مترجم إلى العربية ب - روح القوانين - ت
٣٥٧ — ص ١٨٠٠ « مثذنة ... وكانت تسمى منارة ... » : منارة (كانت ومازالت ...)

٣٥٨ — ص ١٨١١ « النابتة الجمدي ... هاجي ... أوس بن مفرد » : مفراء .

٣٥٩ — ص ١٨١٤ « ناجي ، إبراهيم ... أصدر ديوانين « وراء الغمام » ١٩٣٤ ، و « ليالي القاهرة » ١٩٤٤ ... »

نشر إبراهيم ناجي في حياته ديوانين من شعره ، هما : « وراء الغمام » .. وليالي القاهرة ... ونشرت له دار المعارف بعد وفاته ديواناً ثالثاً هو « الطائر الجريح » ثم تألفت لجنة لجمع شعره في « ديوان ناجي » فصدر عن دار المعارف سنة ١٩٦١ ولكن لهذا الديوان مشكلة فقد ضمه الجامعون شعراً لغير ناجي ... »

٣٦٠ — ص ١٨١٦ « الناصر لدين الله : لقب عدة أمراء زبديين في اليمن ... »

أهملت الموسوعة « ناصراً » مهماً جداً هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المستضيء المتوفى سنة ٦٢٢ من الخلفاء العظام — ولا يمكن أن يهمل .

(حرف النون)

٣٦١ — ص ١٨٢٩ ، زفال ، جيراردي كاتب فرنسي ترجم عن الألمانية كثيراً من المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية « فاوست » ١٨٢٨ وبعض الأفاقيص مثل « بنات النار » ١٨٥٤ و « رحلة إلى الشرق » ١٨٥١ ، وأخيراً « أورليا » ١٨٥٤ .

أ — المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية فاوست . . . : الآثار الأدبية ، ولعلها في الأصل : المسرحيات . ب — يفهم من نص الموسوعة أن كل هذه الآثار المذكورة ترجمات وهذا غير صحيح لأن بنات النار . . . الخ من تأليف زفال . ج — إذا كان تاريخ كتابه « رحلة إلى الشرق » سنة ١٨٥١ — وهو صحيح فلم يؤخره عن « بنات النار » ١٨٥٤ !

٣٦٢ — ص ١٨٣٨ النظامية . . . وقام نظام الملك بالتعليم بالمدرسة . . . وأسألتها جميعاً من أهل السنة

أ — لم يكن نظام الملك معلماً . . . ب — السُّنة : الشافعية .

٣٦٣ — ص ١٨٥٦ « نوح باني سفينة نوح . . . » .

لم تشر الموسوعة إلى أنه « نبي » .

٣٦٤ — ص ١٨٦٨ « نيكلاسوت . . . مستشرق انجليزي . . . ألف

« التاريخ الأدبي للعرب » : تاريخ الأدب العربي Aliterary his. of The Arabes .

(حرف الهاء)

٣٦٥ - - ص ١٨٩٦ « هرون الرشيد ... ثار عليه الخوارج بقيادة الوليد بن طريف الشاري » : الشاري .

٣٦٦ - - ص ١٩٠١ « همدان : مدينة ... بغربي إيران : همدان .

٣٦٧ - - ص ١٩١٤ « هورثون ثنائيل ... روائي وكاتب قصصي أمريكي ، هورثون Hawthorne .

٣٦٨ - - ص ١٦١٤ « هوجو . فكتور ... من أشهر مسرحياته هرثاني ، الترجمة الإنجليزية ١٨٣٠ ... ومن أعظم رواياته : البؤساء ١٨٦٢ « عربيها الشاعر حافظ إبراهيم » .. دفن في البانتيون .. »

أ - Hernani مهمة في تاريخ المسرحية الفرنسية (الرومنطيقية) ، وعام ١٨٣٠ تاريخها بالفرنسية وهو أولى أن يذكر من تاريخ الترجمة ... ب - حافظ إبراهيم لا يعرف اللغة الفرنسية ولم يعرب البؤساء وإنما ظهر باسمه تعريب لجزء يسير من هذه الرواية الضخمة . إن الذي عربيها هو منير بلمبكي وجاءت مترجمة في خمسة مجلدات (بيروت . دار العلم للملايين ج - البانتيون : البانتيون Panthéon .

٣٦٩ - - ص ١٩٢٩ « هيكل ، محمد حسين ... ولد في قرية هيكل بركز السنبلاوين بمصر ... »

جاء في كتاب « الدكتور محمد حسين هيكل » الذي أشرف عليه أحمد لطفي السيد (القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٥٨ وكتب فيه حياة محمد حسين هيكل الدكتور حسين فوزي النجار : « ولد .. لأبوين من صميم الريف المصري بقرية كفر عثمان إحدى قرى مديرية الدقهلية . وكان أبوه حسين أفندي سالم هيكل سيد قومه وعشيرته ... »

(حرف الياء)

٣٧٠ — ص ١٩٩٧ يونس بن حبيب لغوي ولد ببلدة (جبل)

بالمراق »

جبل : جَبَل ، قال ياقوت : جَبَل (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها
ولام) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي — وينظر
نور القبس المختصر من المقتبس ص ٤٨ : « قيل إنه من أهل جَبَل » ؛
أنساب السمعاني (الجَبَلِي) ، ابن خلكان (يونس) ٦ : ٢٤٥ .

المركنور علي جواد الطاهر



كتاب «الجوهرتين»

Al Hamdani: Kitab al Gauhratain Al 'Atiqatain Al - Ma'istain
von Christopher Toll, Uppsala 1968 P. 389.

الهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب لسان اليمن ، كما اختار أن يلقب نفسه ، طود من أطواد الثقافة العربية ، ومع شهرته لدى المستشرقين فإنه يكاد يكون مغموراً بين بني قومه من العرب ، إلا منذ عهد قريب حيث تصدى لنشر بعض مؤلفاته أحد أبناء اليمن وعلمائها : الأستاذ المحقق محمد ابن علي الأكوع الحوالي الحميري ، فنشر الجزآن الأولين من « الإكليل » وقام بتحقيق « صفة جزيرة العرب » ، فأعدهُ للنشر ، ومن قَبْلُ طُبِعَ هذا الكتاب طبعتين ، وطبع الجزآن : الثامن والعاشر من كتاب الإكليل .

والهمداني كما قلنا في كلمة سابقة ، واسع جوانب المعرفة ، وهو مع ما قاساه في حياته من ضيق وحس وتعذيب ، لم يترك مجالاً من مجالات العلم المعروفة في عهده إلا أُلْفَ فيه ، فقد أُلِفَ في الفلسفة « سرائر الحكمة » ، وصل إلينا منه الباب العاشر في التنجيم ، ويصف صاعد الأندلسي وابن القفطي الهمداني بأنه فيلسوف ، ويقول صاعد في « طبقات الأمم » ، مامعناه : إنه لم ينبغ في الفلسفة من العرب سوى اثنين : أبو اسحاق الكندي ، وأبو محمد الهمداني ، وقد عرفه علماء الأندلس قبل أن يعرفه المشارقة ، فوصلت إليهم كتبه ، واستفادوا منها - كما هو الحال مع أبي علي الهجري - قبل أن تصل إلى المشارقة .

ومن مؤلفات الهمداني غير « الإكليل » ، كتاب « الحرث والحيلة » وكتاب « الإبل » ، وكتاب « القسي والنبال » ، وكتاب « القنوى » ، وكنت ظننت أن هذه الكلمة محرفة عن القوس ، غير أنني رأيته يذكر هذا الكتاب في مؤلفاته . ومن أهم كتبه : كتاب « الجوهريتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء » ، ولعل هذا الاسم المسجوع الطويل مما نفر الباحثين عن العناية به ، وقد سبق أن تحدثت عنه في هذه المجلة (١) ، وتحدثت عنه في مجلات أخرى ، وقت بنسخه ، وهياته للنشر ، غير أن ذلك لم يتهياً لي ، بل تهياً لأستاذ غربي جليل هو (كريستوفر ثول) .

وقد قام بترجمة الكتاب إلى الألمانية ونشر الترجمة مع النص العربي ، في منشورات (جامعة ابساله سنة ١٩٦٨) بعد أن وضع للكتاب مقدمة باللغة الألمانية ، تحوي موجزاً عن تحصيل الناصر ثم ترجمة موجزة للهمداني فوصفاً للمخطوطات الثلاث المعروفة من الكتاب ، مخطوطة جامعة ابساله ومخطوطة مكتبة المشرق الألماني (جلازر) في مكتبة ميونخ ومخطوطة مكتبة امبروزيانا في ميلانو في إيطاليا والأولى أوفى النسخ ، ثم دراسة مفصلة عن موضوع الكتاب . وقد بذل المحقق الناصر جهداً كبيراً في إبراز الكتاب بأوضح صورة استطاعها .

ولا بدرك ذلك الجهد إلا من اطلع على النسخ المخطوطة ، فرأى رداءتها ، وكثرة التحريف فيها وإيراد كثير من الكلمات غير معجمة ، ومنها كلمات لأسماء آلات في التعدين ، لا تحوي كتب اللغة التي وصلت إلينا وصفها ، وأخرى كلمات أعجمية كان الهمداني يتلقاها مشافهة من المعدنين في اليمن ، وكانوا من الفرس ، وكلمات عربية فصيحة يوردها الهمداني ، ولكنها بما تضمنت معجمات اللغة بإيضاحه ، والهمداني لغوي كبير مترجم في كتب اللغويين ، وشاعر تصدّى العالم النحوي ابن خالويه ، لجمع ديوانه في ثلاثة أجزاء وشرحه .

ولقد بلغ من حرص الناشر الكريم أنه عمد إلى الكتاب ، فنسخه بخط يده ، ثم صور ما نسخ ، لكي يسلم من هفوات الطبع ، وأشار في ذيل الصفحات إلى اختلاف النسخ ، وخرّج بعض الأشعار ، ورجع إلى مصادر كثيرة عربية وعجمية ، فاستحق بعمله التقدير ، «كل» التقدير ، من كل ذي غيرة على التراث العربي . ولعل من مظاهر التقدير لعمل هذا الأستاذ الكريم أن نشير إلى بعض ملاحظات قد تفيده أو يستفيد بها من يقتني مطبوعته ، مؤازرة في إخراج هذا الكتاب بأقرب صورة إلى الأصل ، وندع الحديث عن موضوعه ، فقد أوضحناه في كلتنا النشرة قديماً في هذه المجلة .

آ — لقد استعصى على الناشر الفاضل فهم كلمات كثيرة من هذا المخطوط فاكتمفى بأن وّضَعَ في أمكنتها قطعاً ، وأشار إلى صورها في الهوامش ، وكنا نرى إبقاء الصورة بموضعها من الكتاب ليكون أسهل للقارى ، خاصة وإن الناشر الكريم صور ما كتب تصوريا ، ولهذا لا يستعصى عليه أن يصور الكلمة الغامضة نفسها .

ب — ظهر لي عند مطالعة الكتاب أن الناشر الفاضل أورد كلمات على غير وجهها الصحيح ، فرأيت ذكر بعضهما مما أُميلُ إلى صحته ، أما الكلمات التي أخالف الناشر الفاضل في كيفية نطقها ، مما عول فيه على إحدى النسخ ، فإني أترك ذكرها لوقت آخر . وسأشير إلى صفحات النص العربي حسب ترقيم الناشر الكريم .

١ - ص ١ : (فلم يقل) : (فلم يعمل) . بالعين المهملة .

٢ - ص ١ : (يأكلون التراث... يحبون المال) : (وتأكلون التراث... وتحبون المال) آية قرآنية معروفة .

٣ - ص ٢ : (فصحاء مسكين العرب) : (فصحاء مساكين العرب) .

- ٤ - ص ٢ : (يقول العرب بينهم) : (تقول العرب بينهم) .
- ٥ - ص ٢ : (آتَيْتُهُ) : (أَتَيْتُهُ) .
- ٦ - ص ٢ : (رِضَى عِوَضًا) : (رِضَى عِوَضًا) .
- ٧ - ص ٢ : (وَكَانَ أُسَاوِرَةً ... الْفُرْسِ) : (وَكَانَ أُسَاوِرَةً ... الْفُرْسِ) .
- ٨ - ص ٢ : (وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا دِينَارًا) : أَرَى حَذْفَ كَلِمَةِ (دِينَارًا) إِذْ لَا مَحَلَّ لَهَا .
- ٩ - ص ٣ : (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا) . وَهِيَ آيَةٌ قُرْآنِيَّةٌ .
- ١٠ - ص ٣ : (وَيَقُولُ الْعَرَبُ) : (وَتَقُولُ الْعَرَبُ) ، وَالْهَمْدَانِي يَكْرُرُ هَذَا التَّعْبِيرَ كَثِيرًا .
- ١١ - ص ٣ : (وَلَا إِنْ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى) : (وَلَا أَنْ لَنَا بِكَلِمَةِ التَّقْوَى) كَمَا فِي نَسْخَةِ إِسْأَلَةِ وَهْبٍ يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى .
- ١٢ - ص ٣ : (إِنْ الَّذِينَ يَكْتُزُونَ) : (وَالَّذِينَ يَكْتُزُونَ) كَمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ١٣ - ص ٣ : (ثُمَّ مَا يُشَدِّدُ اللَّهُ ... مَا يُشَدِّدُ) : (ثُمَّ مَا تَشَدَّدَ اللَّهُ ... مَا تَشَدَّدَ) .
- ١٤ - ص ٣ : (وَمَا أَوْتَيْتُمْ ... لَتَرْبُوا ... يَرْبُوا) : (وَمَا آتَيْتُمْ ... لَيَرْبُوا ... يَرْبُوا) آيَةٌ قُرْآنِيَّةٌ .
- ١٥ - ص ٤ : (عَدَى بْنُ زَيْدٍ) : (عَدَى بْنُ بَدَا) . وَانْظُرْ ضَبْطَ هَذَا الْأِسْمِ فِي كِتَابِ الْإِكْلَامِ ، لِابْنِ مَآكُولٍ ١ : ١٢٣ .
- ١٦ - ص ٤ : (مِنْ بَرَكَةِ ابْنِ مَارِيَةَ) : (مِنْ تَرَكَةِ ابْنِ مَارِيَةَ) . وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ .

- ١٧ - ص ٤ : (ابن الرقيات) : (ابن قيس الرقيات) . الشاعر المعروف .
- ١٨ - ص ٤ : (وثروه وباعوه) : الصواب حذف الواو : (باعوه) .
- ١٩ - ص ٤ : (يَكْفُ الْمُتَّقِدُ) : (يَكْفُ الْمُتَّقِدُ) .
- ٢٠ - ص ٥ : (كانت بَشَّارَةً وَنَهَّارَةً) : (كانت تُشَارُهُ وَتَهَّارُهُ) .
- والحديث معروف ، وانظره في « تاج العروس » ٣ : ٢٩٥ و ٥٣٨ و ٦١٩ .
- ٢١ - ص ٥ : (فزوجتها حورانيا) : (فزوجها حورانيا) .
- ٢٢ - ص ٥ : (من زالها) : (من بزالها) . انظر ، التاج ، ٧ / ٢٢٦ .
- ٢٣ - ص ٥ : (تَنْشِقُ) : (تَنْشِقُ) .
- ٢٤ - ص ٦ : (كل أَيْتَانِ) : (كل إَيْتَانِ) .
- ٢٥ - ص ٦ : (يَرَجِيعُ ماء الدُرِّ) : (تَرَجِيعُ ماء الدُرِّ) .
- ٢٦ - ص ٦ : (لا يشرف) : (لا يشرب) .
- ٢٧ - ص ٦ : (رَفِمْ وَجْهَهُ) : (رُقِمْ وَجْهَهُ) .
- ٢٨ - ص ٦ : (وما قرب منها) : (وما غزر منها) .
- ٢٩ - ص ٦ : (والجليل والعراق) : (والجبل والعراق) .
- ٣٠ - ص ٧ : (ما كان أعلاه) : (ما كان أغلاه) .
- ٣١ - ص ٧ : (مجذوف) : (مجذوف) أي مقصوص الذنب .
- ٣٢ - ص ٧ : (في مولد) : (في مولود) .
- ٣٣ - ص ٨ : (وقيل : إبل المسجد) : (وقيل : بَلِ الْمَسْجِدِ) .
- ٣٤ - ص ٨ : (وثاني عسجد) : (وثاني عسجد) . من أرجوزة الرداعي التي وصف بها طريق الحج .
- ٣٥ - ص ٨ : (فيا له بيتاً) : (فيا له بيت) .
- ٣٦ - ص ٨ : (وجه المروس) : (وَجْهَةُ المَرُوسِ) .

- ٣٧ - ص ٨ : (وهي المذاهب) : (وهي المذاهيب والمذاهب) .
- ٣٨ - ص ٨ : (تَنْضُمُ اللام) : (يَضُمُّ اللام) .
- ٣٩ - ص ١٠ : (الأحلول مدرها وهي النزاعة) : (الأملول يذرّها ، وهي البراعة) .
- ٤٠ - ص ١٠ : (وسمي الرجال) : (وسمي الرجل) .
- ٤١ - ص ١٠ : (ومثل قول (. . .) وغيره : ما نبأ مصمئل) : (ومثل قول التائب : خبّرنا ما تابنا مصمئيل) وهذا شطر بيت من قصيدة تأبط شراً ، التي أولها :
- إِنَّ بالشَّيْعَبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلٌ دَمُهُ مَا يُطْأَلُ
والهمداني يعبر عن تأبط شراً ، بقوله التائب كما في شرحه لقصيدته الدائمة ، الورقة ٤٠ النسخة الخطية .
- ٤٢ - ص ١٠ : (أَوْ دَقَّتْ عَلَيْهَا) : (أَوْ دَقَّتْ عَلَيْهَا) . وقد فسر الهمداني العلة في الكتاب .
- ٤٣ - ص ١١ : (واني شاري البعير) : (وأيّن شاري البعير) .
- ٤٤ - ص ١١ : (فحسنه ما قلت) : (فَحَسَّنَهُ مَا قُلْتُ) .
- ٤٥ - ص ١١ : (في ما) : (في من) .
- ٤٦ - ص ١١ : (اسماء من اسماء) : (اسماء من أسماء) .
- ٤٧ - ص ١٢ : (الفلال) : (القلال) .
- ٤٨ - ص ١٣ : (وكل ناكٍ من الجواهر) : (وكل ناهي من الجواهر) وكلمة ناهي يستعملها الهمداني .
- ٤٩ - ص ١٤ : (دائمة مستديمة) : (دائمة مستديمة) .
- ٥٠ - ص ١٤ : (جلبجت الأرض) : (خلخلت الأرض) .
- ٥١ - ص ١٥ : (وناسبه انصالاً طبعياً) : (وماسبه انصالاً طبعياً) .

- ٥٢ - ص ١٦ : (من اوجه بين) : (مزاجه بين) .
- ٥٣ - ص ١٦ : (تسعة درجات) : (تسع درجات) .
- ٥٤ - ص ١٦ : (فكذلك) : (فذلك) .
- ٥٥ - ص ١٦ : (فصارت رأس الحمل) : (فصارت من رأس الحمل) .
- ٥٦ - ص ١٦ : (الخلاوة فيه) : (الحرارة فيه) .
- ٥٧ - ص ١٧ : (حَرَّان) : (حَارَّان) .
- ٥٨ - ص ١٨ : (يسر اجزاء الحجر) : (يشد اجزاء الحجر) .
- ٥٩ - ص ١٨ : (القهر من هذه الحجارة) : (الفهر من هذه الحجارة) .
- ٦٠ - ص ١٨ : (قبول صدقه) : (قبول صدقة) .
- ٦١ - ص ١٨ : (كالحجر التي) : (كالحجرة التي) .
- ٦٢ - ص ٢٠ : (على الذات والدوام) : (على الدأب والدوام) .
- ٦٣ - ص ٢٠ : (ما لا انقض له) : (ما لا انقضاء له) .
- ٦٤ - ص ٢٠ : (وفسادها) : (وفساده) .
- ٦٥ - ص ٢٠ : (النيازك والنوائب) : (النيازك والذوائب) .
- ٦٦ - ص ٢٢ : (بقي الحرارة) : (نفى الحرارة) .
- ٦٧ - ص ٢٢ : (حرارة الاج) : (حرارة الأجسام) .
- ٦٨ - ص ٢٢ : (البخارات المتجدد) : (البخارات المتجددة) .
- ٦٩ - ص ٢٣ : (في اجزاء نفسه) : (في اجزاء اليبس) ،
- ٧٠ - ص ٢٣ : (يملان مكة) : (يبعلا مكة) .
- ٧١ - ص ٢٤ : (الاغوج) : (الاغرج) .
- ٧٢ - ص ٣٤ : (افقمة) : (أقيمية) وهو منهل معروف . ويسمى
أفاعية أيضاً .
- ٧٣ - ص ٢٤ : (وابناء شمام) : (وابنا شمام) وما اتان .

- ٧٤ - ص ٢٥ : (يعملونه) : (يعملونه) .
- ٧٥ - ص ٢٥ : (بخار) : (بخارى) .
- ٧٦ - ص ٢٦ : (مدحج) : (مدحج) .
- ٧٧ - ص ٢٧ : (حجرته) : (حجرته) .
- ٧٨ - ص ٢٧ : (معروفا) : (معروفا) - بالقاف .
- ٧٩ - ص ٢٧ : (وتقصد) : (وتقصد) .
- ٨٠ - ص ٢٨ : (لا تفرق) : (لا تفرق) .
- ٨١ - ص ٢٨ : (خلة التيسر) : (خلة التبر) .
- ٨٢ - ص ٢٨ : (على العرقين) : (على المراقين) .
- ٨٣ - ص ٢٩ : (وتبرأ منه الذهب) : (وتبين منه أسته الذهب المتشزر) .
- ٨٤ - ص ٢٩ : (أو أن) : (أو أن) .
- ٨٥ - ص ٣١ : (ففقع الذهب) : (ففقع الذهب) .
- ٨٦ - ص ٣١ : (يحذو اللسان) : (يحذو اللسان) .
- ٨٧ - ص ٣١ : (حتى ينقياها) : (حتى ينقياها) .
- ٨٨ - ص ٣٢ : (النار اذا انسفرت) : (النار إذا استعمرت) .
- ٨٩ - ص ٣٢ : (يسبك) : (سبك) .
- ٩٠ - ص ٣٢ : (ثم (. . .)) : (ثم أحير الماء والهواء) :
- ٩١ - ص ٣٢ : (ولم . . . الماء والهواء) : (ولم ينقص احاررا شديدا يطير الماء والهواء) .
- ٩٢ - ص ٣٢ : (نصفى بيضة كيمتين) : (نصفى بيضة كيمتين) .
- ٩٣ - ص ٣٢ : (التضمدة . . . يضمد) : (التضمدة . . . يضمد) .
- ٩٤ - ص ٣٢ : (فاذا عم الصف الدواء) : (فاذا تمم الصق الدواء) .
- ٩٥ - ص ٣٣ : (تضايغ لقوم) : (بضائع لقوم)

- ٩٦ — ص ٣٣ : (الاذهاب والتور) : (الاذهاب والتشهور) .
- ٩٧ — ص ٣٣ : (حتى يصل البرودة ويرتقي) : (حتى تصل البرودة وترتقي) .
- ٩٨ — ص ٣٣ : (خلة الزاج ودقته) : (جلة الزاج ودقته) .
- ٩٩ — ص ٣٣ : (بمائه ذلك) : (بمائه ذلك) .
- ١٠٠ — ص ٣٤ : (حدة الزاج على قدر حدته) : (حدة الزاج على قدر جِدَّتِهِ) .
- ١٠١ — ص ٣٤ : (كيلا نزل ... شيء) : (كيلا يَزِلُّ ... شيء) .
- ١٠٢ — ص ٣٤ : (وان استحسن أحدها) : (وإن استحسن أحدها) .
- ١٠٣ — ص ٣٥ : (الجرش) : (الجَرْش) .
- ١٠٤ — ص ٣٥ : (ما ينقص ..) واحدة ما (..) : (ما ينقص في المعاد ، وأخذ ما يزيد) .
- ١٠٥ — ص ٣٥ : (بما صف ... المطرقة) : (بما صف الالبمارمى بأثر المطرقة) .
- ١٠٦ — ص ٣٥ : (من جهات فيها) : (من جهات : منها) .
- ١٠٧ — ص ٣٦ : (قدر مُرَاوَةٍ) : (قدر مُرَادِهِ) .
- ١٠٨ — ص ٣٦ : (بما انفق) : (بما اتَّفَقَ) .
- ١٠٩ — ص ٣٦ : (الشعث والكلام) : (الشغب والكلام) .
- ١١٠ — ص ٣٧ : (حبة واكثر) : (حبة ، حبة ، واكثر) .
- ١١١ — ص ٣٧ : (لنا ان نظير) : (لها أن نظير) .
- ١١٢ — ص ٣٧ : (ذلك يستوي) : (ذلك لأن يستوي) وانظر ص ٣٨ .
- ١١٣ — ص ٣٧ : (وآمن السباك أن يسوط) : (ومن السباك من يسوط) .
- ١١٤ — ص ٣٨ : (اثنان مستعملان ورأيته) : (اثنان : مُسْتَعْمَلٌ ، ورأيته) .

- ١١٥ — ص ٣٨ : (تبلغ قدرهن) : (يبلغ قدرهن) .
- ١١٦ — ص ٣٩ : (حذو القيدة بالقيدة) : (حذو القذوة بالقذوة) .
- ١١٧ — ص ٤٠ : (وايها حذاءها) : (وانها حذاءهما) .
- ١١٨ — ص ٤٠ : (كما يتها) : (كما نبتها) .
- ١١٩ — ص ٤٠ : (وايها جذرها) . (وانها جذرها) .
- ١٢٠ — ص ٤٠ : (الارادة) : (الإدارة) .
- ١٢١ — ص ٤٣ : (جادت النار) : (جارت النار) .
- ١٢٢ — ص ٤٣ : (فقد فيه) : (فقد أصبح فيه) .
- ١٢٣ — ص ٤٣ : (سوى فذلك) : (سواء ، فذلك) .
- ١٢٤ — ص ٤٤ : (خمسة في نسق سوى) : (خمسة ، في نسق ، سوى
- محمد بن ابراهيم بن محمد محمد بن ابراهيم بن محمد
- ابن عبد الرحمن ، من محمد عبد الرحمن بن محمد ،
- إلى محمد) . • من محمد إلى محمد) .
- ١٢٥ — ص ٤٤ : (وان ما ذهبوا له) : (وان ما ذهبوا إليه) .
- ١٢٥ — ص ٤٤ : (لا يسقط عن خطائين) : (لا يسقط عن خطائين) .
- ١٢٦ — ص ٤٤ : (ولا يبين ضعفه) : (ولا يميز ضعفه) .
- ١٢٧ — ص ٤٥ : (فاذا استوت على انها) : (فاذا استوت ، علم أنها) .
- ١٢٨ — ص ٤٥ : (من الكفة الأخرى) : (في الكفة الأخرى) .
- ١٢٩ — ص ٤٦ : (كل ما يفرغ من هذه) : (وكل ما تفرع من هذه) .
- ١٣٠ — ص ٤٧ : (أو رجحانات) : (أو رجحان) .
- ١٣١ — ص ٤٨ : (أو حزن كثيرة الوعث) : (أو طرق كثيرة الوعث) .
- ١٣٢ — ص ٤٨ : (ينادى الى هذا) : (يتأدّى إلى هذا) .
- ١٣٣ — ص ٤٨ : (من المياء إلى الريق) : (من المياء إلى الرنق) .

١٣٤ — ص ٤٨ : (ما يستوى بين الناس) : (ما يسوي بين الناس) .
 ١٣٥ — ص ٤٨ : (اجر الساق البتراء وقدر بما) : (أختر الساق والسر ،
 وقدر له بما) .

١٣٦ — ص ٤٨ : (على ما (. . .) إليه) : (على ما يغلب إليه) .
 ١٣٧ — ص ٥٠ : (تم : باب حكومة) : (تم : باب حكومة) .
 ١٣٨ — ص ٥٠ : (فينتي أن يعرف ذلك ، فأما) : (فينبغي أن يعرف
 ذلك تماماً ، فأما) .

١٣٩ — ص ٥٠ : (فإن تصور) : (بأن تصوّر) .
 ١٤٠ — ص ٥١ : (فحينئذ تجسّي) : (حينئذ يجييء) .
 ١٤١ — ص ٥١ : (تقابض من جنوبها) : (تفايض من جنوبها) .
 من قاض .

١٤٢ — ص ٥١ : (بصرف بئس) : (بصرف نفيس) .
 ١٤٣ — ص ٥١ : (فاذا استوت هتدمة) : (فاذا استوت هتدمت) .
 ١٤٤ — ص ٥١ : (ولا تغدو به الجفنة) : (ولا يسدونه الجفنة) .
 ١٤٥ — ص ٥١ : (فنشع ما كان) : (فتنبع ما كان) .
 ١٤٦ — ص ٥١ : (حيّ به) : (حيي به) .
 ١٤٧ — ص ٥١ : (يخل من القلة) : (يخل من القلة) .
 ١٤٨ — ص ٥١ : (ثخيناً ، لأن) : (ثخيناً ، لثيناً) .
 ١٤٩ — ص ٥٣ : (لما في أول) : (كما في أول) .
 ١٥٠ — ص ٥٣ : (ثم يعتمد) : (ثم يعتمد) .
 ١٥١ — ص ٥٣ : (ثم عره عليه وعمد) ، (ثم عره عليه عرّعة
 غليظة ، وعمد) .

- ١٥٢ — ص ٥٤ : (إذا يصح) : (إذا نصح) .
- ١٥٣ — ص ٥٤ : (فورت) : (قُورِتْ) .
- ١٥٤ — ص ٥٤ : (امرأته قد احب) : (امرأته فقال : أُحِبُّ) .
- ١٥٥ — ص ٥٤ : (ففرغ) : (ففرع) .
- ١٥٦ — ص ٥٥ : (ليست بعده) : (ليست نقده) .
- ١٥٧ — ص ٥٥ : (عن بعض المفسدين) : (عن بعض المفسرين) .
- ١٥٨ — ص ٥٥ : (وجففت . . .) : (وجففت بتين) .
- ١٥٩ — ص ٥٦ : (الثخان) : (التجاب) . والتجاب — ككتاب — ما أذيب مرة من حجارة الفضة ، أو اخلط من الفضة يكون في حجر المدن (اللسان) ، وهو المقصود هنا — كما يفهم من الكلام .
- ١٦٠ — ص ٥٧ : (النفيس الغزير) : (النفيس الغريز) .
- ١٦١ — ص ٥٧ : (الرداة) : (الرداءة) .
- ١٦٢ — ص ٥٧ : (المشاش) : (الأمشاش) .
- ١٦٣ — ص ٥٧ : (ولا يشاءه) : (ولاشاه) . من الملاشاة
- ١٦٤ — ص ٥٧ : (فعلى عصر ذلك) : (فعلى عكس ذلك) .
- ١٦٥ — ص ٦٠ : (المرتضاة الحروف) : (المرتضاة لأن أصلها الحروف) .
- ١٦٦ — ص ٦٠ : (فهي ناهية) : (فهي ناهية) أي جيدة .
- ١٦٧ — ص ٦١ : (الجب وهو الجرة) : (الحِبُّ وهو الجِرَّة) .
- ١٦٨ — ص ٦١ : (في الارطال) : (من الأرتال) .
- ١٦٩ — ص ٦١ : (لأنها تهوى) : (كأنما تهوى) .
- ١٧٠ — ص ٦١ : (وقد تهرج) : (وقد يهرج) .
- ١٧١ — ص ٦٢ : (فعزل جله) : (فعزل ما به) .
- ١٧٢ — ص ٦٢ : (الاخلاص) : (الخلاص) .

- ١٧٣ — ص ٦٢ : (على حَدِّهِ) : (على حَدِّهِ) .
- ١٧٤ — ص ٦٢ : (يَلاما) : (تَلَامَا) . من الملامة .
- ١٧٥ — ص ٦٣ : (وبه نفس ، وأما الذي لا نفيس فيه) : (وبه
نقش ، وأما الذي لا نقش فيه) .
- ١٧٦ — ص ٦٣ : (تعمد الطبخ) : (بعد الطبخ) .
- ١٧٧ — ص ٦٣ : (النطائق) : (التطابق) .
- ١٧٨ — ص ٦٤ : (الخوذ والوز) : (الجوز والوز) .
- ١٧٩ — ص ٦٤ : (مدلق بمرار البقر) : (مُدَيَّق بمرار البقر) .
- ١٨٠ — ص ٦٤ : (استفرع) : (استفرع) .
- ١٨١ — ص ٦٤ : (كَيْهٌ الحديد) ، (كَيْهٌ الحديد) .
- ١٨٢ — ص ٦٤ : (ويسمر البائنة من الفلوق ... فيصرف فلقها) :
(وتسمر البالية الفلوق ... فيصرف علقها) .
- ١٨٣ — ص ٦٤ : (النفرى) : (النضرة) .
- ١٨٤ — ص ٦٤ : (متصعد من بخاره) : (فتصعد من بخاره) .
- ١٨٥ — ص ٦٥ : (عند الناس منه) : (عند اليأس منه) .
- ١٨٦ — ص ٦٦ : (فتطلى ماشب) : (فتطلى ماشئت) .
- ١٨٧ — ص ٦٧ : (نحوذ .. وتقي) : (مُجَوِّذ .. وَيُنْقِى) .
- ١٨٨ — ص ٦٧ : (وَلَوْنٌ فثاب) : (وَلَوْنٌ ، فبان) .
- ١٨٩ — ص ٦٧ : (كانت أقل اخذها) : (كانت أقل لأخذها) .
- ١٩٠ — ص ٦٧ : (شيء ما كان) : (شيء مما كان) .
- ١٩١ — ص ٦٧ : (سحائب زَبَد) : (سحائب رُبْد) .
- ١٩٢ — ص ٦٨ : (قد فني عنه) : (قد فثأ عنه) .
- ١٩٣ — ص ٦٨ : (لين اللوز) : (لِأَنَّ اللوز) .

- ١٩٤ - ص ٦٨ : (تكسر من .. ميعانه) : (تكسر من جيدته ميعانه) .
- ١٩٥ - ص ٧٠ : (تخسر وترفع) : (تحسّن وترفع) .
- ١٩٦ - ص ٧٠ : (تبين عتق الذهب) : (بين عتق الذهب) .
- ١٩٧ - ص ٧٠ : (وكما ما هو أخف) : (وكل ما هو أخف) .
- ١٩٨ - ص ٧١ : (اول الكواكب ضررا) : (أقل الكواكب ضررا) .
- ١٩٩ - ص ٧١ : (قصب المصّان) : (قصب المصّار) . وقد ذكره
- في « صفة الجزيرة » ص ١٩٣ .
- ٢٠٠ - ص ٧١ : (قوم بمصونه) : (قوم بمصّرونه) .
- ٢٠١ - ص ٧٢ : (اللواني تحججن) : (اللواتي يحججن) .
- ٢٠٢ - ص ٧٢ : (وجعلوا ما في أرجل) : (رجموا الى ما في أرجل) .
- ٢٠٣ - ص ٧٢ : (بحال اليس) : (لحال اليس) .
- ٢٠٤ - ص ٧٣ : (الحدة .. خلق) : (الحدة .. خلق) .
- ٢٠٥ - ص ٧٣ : (في البقاء) : (في النقاء) .
- ٢٠٦ - ص ٧٤ : (اعظم يدينون به) ، (أعظم ما يدينون به) .
- ٢٠٧ - ص ٧٥ : (صدى المطرقة) : (صدأ المطرقة) .
- ٢٠٨ - ص ٧٤ : (من بمديومئذ) : (من بعد ، ويومئذ) آية قرآنية .
- ٢٠٩ - ص ٧٦ : (واما علة لأن) : (واما علة لين) .
- ٢١٠ - ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ : (النفيت) : (النفيت) .
- ٢١١ - ص ٧٧ : (لينبت الدينار) : (لينبت الدينار) .
- ٢١٢ - ص ٧٧ : (فإنّ فيه الميل) : (بأنّ فيه الميل) .
- ٢١٣ - ص ٧٧ : (وان جل طوقه) : (وان كان جل طوقه) .
- ٢١٤ - ص ١٧ : (وسير* الوضعات) : (وسير* الوضعات) .
- ٢١٥ - ص ٧٨ : (فمن صدر السكة وحفظها) : (فمن حدر السكة وحفظها) .

- ٢١٦ — ص ٧٨ : (ومن يضرب السكة ورفعها) : (ومن نصب السكة ورفعها) .
- ٢١٧ — ص ٧٨ : (يلقاها الراحة) : (تلقاها الراحة) .
- ٢١٨ — ص ٧٨ : (وما كان هشاً في .) : (وما كان هشاً من وجه) .
- ٢١٩ — ص ٧٨ : (وجدة الاكرع مع نباتها) : (وجدة الاكرع مع نباتها) .
- ٢٢٠ — ص ٧٨ : (تحينا) : (تحينا) .
- ٢٢١ — ص ٧٨ : (يصلدم ما تحته) : (يصلدم ما تحته) .
- ٢٢٢ — ص ٧٨ : (فيخرج الأسفل على...) : (فيخرج الأسفل على الثبات) .
- ٢٢٣ — ص ٧٩ : (فقد يصدأ ولكنه) : (فقد يضيء ولكنه) .
- ٢٢٤ — ص ٧٩ : (بنقوش) : (يتنقوش) .
- ٢٢٥ — ص ٧٩ : (وقد يعرف الحديد) : (وقد يعرف الحديد) .
- ٢٢٦ — ص ٧٩ : (لأن البقار) : (لأن النعال) .
- ٢٢٧ — ص ٧٩ : (ثم ريزج وصقل) : (ثم رندرج وصقل) .
- ٢٢٨ — ص ٨١ : (النجلي) : (التخلي) اسم موضع في صفة جزيرة العرب ص ٢٤٠/١٩٠ .



وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

٢ - (١)

ويمكننا أن نعتبر الحقل الرابع من شعر الصنوبري والذي سنقف عنده وصف المياه وما يجري هذا الجرى . ويستوقفنا هنا وصف الثلج ووصف البركة ووصف نهر حلب السمعي بقويق .

على سبيل العموم ، نلاحظ قلّة احتفال الصنوبري بوصف المياه من خلال المقطعات التي في الذيل . ولعل نهر قويق استنزف منه قريحته في هذا الموضوع فما خرج إلينا في سواء بغير العادي . والمياه توصف عنده عادة بالصفاء والرقّة ، وتشبه بالفضّة والبثور ، وسطوح مجاميعها تنغضن إذ ما لمستها يد الربح كأنها الدروع الزردية .

ونحفل بوصف الثلج لقلّة ورود هذا المعنى في الشعر العربي ، ولا حرج . فقلة الثلج في العالم العربي أدت إلى ذلك ولا غرو . في مقطوعة يردّ بها ذكر الثلج لم يأت الصنوبري على شيء سوى ذكر الثلج وتسميته وتشبيهه بالورد الأبيض :

وردُ الربيع مورتد والورد في تشرين أبيض

وله قصيدة أخرى في وصف سقوط الثلج ، يتصلّ الوضع الطبيعيّ فيها بالوضع الإنساني . فنَدَفُ الثلج يحذو الصنوبري لأنّ "يهيب" بصحبه إلى اللبو والقصف . على أن ما يستوقف الناظر حال النهار الضاحك المنقش بغلالة من فضة . وهو ولا شك معنى مطروق من كلام شوقيه ليس لشاعرنا فضل سوى الجمع تحت عنوان جديد . وخلاف هاتين القطعتين « الثلجيتين » لا نعتبر له على شيء في الموضوع .

(١) نمر أول المقال في الصفحة ٨١٠ من المجلد (٤٣) .

أمّا احتفالنا بوصف البركة فلورود معنىً رائع فيه . وقد جاء خلال وصف الشاعر لرياض حلب الشهاء حيث يذكر أن وسط ساحات هذه الرياض بركاً ماؤها زجاج مذاب ، ولجّين مسبوك ، واصفاء ماء هذه البرك تغدو :

هي الجوّ من رقّة غير أنّ مكان الطيور يطير السمك
لقد حاول البحري أن يقول قبل الصنوبري مثل هذا المعنى في قصيدته
بوصف بركة المتوكّل :

يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مَجْمُوحَةٍ كَالطَّيْرِ تَنْقُضُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا
ولكنّه قصّر عن معنى شاعرنا .

وأما الصنوبري ونهر حلب فينبها غرام وعشق . فهو لا يرى من هذا النهر إلاّ المحاسن والفضائل . رياض قويق نضرة مزهرة عبقّة ، تمحّض على آحت الكؤوس ، وماؤه نقي كاللبّور يلمع ككلمم اللؤلؤ ، وهو يأبى أن يحمل على ظهره السفائن ، وله من العلاجيم (١) ما يسبّح بحمد الله له . ولكنّ الذي أفضّ مضجع شاعرنا أن هذا النهر إذا جدّ جدّ الصيف ، غادر الماء جسمه فدا شجيحاً . فيحاول الصنوبري أن يتحلل له العليل ، فيقول أولاً بمرضه :

قويق على الصفراء ركّب جسمه رباه بهذا شهّد وحدائقه
إذا جدّ جدّ الصيف غادر جسمه ضيلاً ، ولكنّ الشتاء يوافقّه
ولكنّ المرض من العيوب ، وأيّ محسن يكنّ في جسد ركّب
على الصفراء ! فيذهب يلتئمّس له العذر من العاطفة السامية ، الحب :

(١) العلاجيم جمعها : علاجيم ، وهو الضفدع الذكر ، وله معان أخرى . (المحلّة)

وقد عابه قومٌ وكلّهمو له على ما تعاطوه من العيبِ، عشّاقُ
 يهابُ قويقٌ أن يُملَّ فإنّما يقيم زماناً ثم يمضي فنشتاقُ...
 كأنّ هذا النهر محبٌ خفيف الظلّ يزور غباً كي يزداد حُبّاً :
 فلو دام في الحبّ الوصالُ ولم يكنْ فراقٌ ولا هجرٌ لما اشتاق مشتاقٌ...
 ولكنّ قويقاً قويّاً في الشتاء ، فما بالُ حُسنِهِ يمدّونه :

تذهبُ أمواجهُ كخيالٍ شقر لها وسطها ذهابُ
 وهل موجه كالخيل وحسب ، إنّه إن شمّ ربح الشتاء تاه وتكبر :
 وناسبَ دجلة والنيل والـنـمـراتَ بهاءً وحسناً وطيباً
 ولكنّ ماءهُ شحيح في الصيف . ما باله هكذا ؟ إن هذا ليؤلم شاعرنا
 ويحزنه . لا يُبدّ وأنّ يمتدّر لهذا . وما له من حيلة أو مخرج سوى
 الخفوت في الاعتذار . فيرثي له ويمتدّر عنه وبشر الشفقة فيك عنك
 تصفح وتعفو :

وإن أقبلَ الصيفَ أبصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كشيما
 إذا ما الضفادع نادينه قويقٌ، قويقٌ، أبي أن يجيبا
 وهنا تكمن الشاعرية .

اسم هذا النهر لا يوحى بالوسيقى اللفظية مطلقاً . ومن جهة أخرى ،
 'يمتدّر' الضفادع مزججاً ممقوتاً . ولكن شاعرنا استعار الواحد للآخر ،
 ومزجها ، فأعطاك أبداع صورة وأدقّ تعبير تنقّ الضفادع له ... وهكذا تقول :
 قويق قويق ... ولكنه لا يجيب ! فهل هنالك من عاتب عليه بعد الآن ؟
 ولا حاجة لنا بعد هذا كليه أن نشير إلى بلاغة التجريد والتشخيص
 والوجدانية فيما مضى .

أما الحقل الخامس من شعر الصنوبري فهو وصف المدن والأماكن . وهو ضربٌ من الوصف لا يمتنا كثيراً إلا بالقدر الذي تناول فيه وصف رياض هذه الأماكن والمدن . وقد ألمحنا لذلك في مكانه حيث تحدثنا عن شعره في الرياض ، صناعيةً وطبيعيةً .

والحقل الأخير الذي سنشير إليه هو ذلك النوع من القصائد التي تحدث بها على مسجتيه فصور شعوره النفسي تجاه الطبيعة وأظهر ذلك واضحاً جلياً . وهذا تهيجٌ وجدانيٌّ صرف .

الشعور العام الذي يرافق هذا الحقل في تلك القصائد واحدٌ في التسلسل ، واضحٌ لا لبس فيه ولا غموض . ولتتمثل على ذلك بعض المقاطع انخلص إلى حكم عام بشأن هذا الحقل الأخير . يقول الصنوبري في إحدى قصائده بعد مطلع غزل :

لا تلمني بالرقتين ودعني إن قلبي بالرقتين رهينُ
يا نديمي ألا تحنّ إلى القصف فهذا أوانُ بيد والحنينُ
إلى أن يقول :

كم غدا نحو دير زكّى^(١) من قلبٍ صحيحٍ فراح وهو حزينُ
ويُشبعه بسنة أبيات في الغزل .

ومن قصيدة أخرى يفتتحها بالوصف حتى يقول :

أيا متنزهي في دير زكّى ألم تكُ نزهتي بك نزهتين
إلى أن يصل بقوله :

(١) ضبط أنورخون كلمة : (زكّى) بالزاي المفتوحة مع السكّان المفتوحة المشددة ، ثم ألف مقصورة أو ألف مدودة وكلاهما صحيح (الدوائر للشابتي ص ١٣٩ كوركيس عواد) . والبيت مضطرب الوزن (المجلة)

ترانا واصليكَ كما عهدنا وصِلاً لا نَنغصه بيمين
ألا يا صاحبي خُذا عِنائي هواي ، سَلَمَتا من صاحبين
لقد غصبتني الخمسون فتكي وقامت بين لذاتي وبينني
وكان اللهم عندي كابن أُمِّي فصرنا بعد ذاك كعتلين

وبين الحين والحين يطلع علينا بيت كهذا :

حُثَّ الكؤوس فإنَّ هذا وَقْتُها وَصِلَ الرياضَ فإنَّ ذا إِبائِها
أو كهذا :

ذَهَبَ كؤوسك يا غلامُ فإنَّ ذا يومٌ مُفَضِّلُ
أو كهذا :

فاشربْ على ذا الشقيق كاساً تشرب عتيقاً على عتيق ...
الملاحظ أنه لو حصرنا كلَّ شعره الذي في هذا الموضوع فإننا نرى قصائده
الوجدانية المتصلة بالرياض ، تبدأ بالحنين إلى الطبيعة ثم إلى وَصَلِها من أجل
اللهو والتصف . فالأمر إذاً أمرٌ لذاتٍ وشهوات ، وما الطبيعة عنده إلا
"مُشْتَجَعٌ للشربِ وحُثُّ الكؤوس . فهل تَعْلُو إذا قلنا إنَّ نُرْعَتَهُ
فواسيةُ الجذور . ولكنه بشدِّد على الروض بدل التشديد على الحُرِّ ومنعولها
كما هي الحال عند زعيم هذه المدرسة ؟ هذا غلوٌّ ولا شك " ، ولكن لا بُدَّ
أن يكون تحته شيء من الصحة والصواب .

* * *

ونختتم هذا البحث بعد أن تدرّج بنا إلى هذا الحد . وقد كان بالإمكان أن يطول ويتشعب . نختتمه بكلمة موجزة قصيرة حول أسلوب الصنوبري الشعري .

أول ما يلفت الانتباه سرعة العطاء الشعري ، وازدحام الصور الوصفية في مخيلة الشاعر حتى تظني عليه ، فإذا به يذكر الأشياء ذكراً دون وصفها . والسرعة تورثه أحياناً التدفق في العطاء ، وهذا غير ما سبق ، لأنه يتأثر على الصورة ويتفتن في إخراجها والتعبير عنها فهو إن قال :

أقحوان وسوسنٌ وشقيقٌ وبهارٌ يُجَنِّيْ وَأَذْرِيونُ

نلمس السرعة في العطاء الشعري حيث ازدحام الصور . وهو إن قال :

وَكأنَّ محمراً الشقيق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوتٍ نشرن على رماحٍ من زبرجد

نلمس تدفق التعبير لصورة واحدة .

ومما يسترعي الانتباه أيضاً الجزالة وشدة الأسر في شعره مما يشجع فكرة سرعة العطاء لديه وتدفق التعبير .

أمّا ألفاظه فستليسة على الموم ، ولأنها تقع له على اللفظة النافرة أو الحوشية المخشّج . فكأنها الكلمات لسلامتها « يأخذ بعضها برقاب بعض » . انظر مثلاً هذا البيت :

وبدا الترجس البديعُ كأنمـثال عيون تنو إليهما عيونُ

حتى إن الوقفة القصيرة ما بين صدر البيت وعجزه قد اختفت في العديد من أبياته فيندو البيتان أو الثلاثة أو الخمسة أحياناً لا يفصل بينها من ناحية تدافع الألفاظ إلا هذه القافية المرنان . وإذا أنت أمام مقطوعة تسلب

النفّس وتأسرُ الأعصاب . وأما تناسق اللفظ والمعنى من جهةٍ وتوافق اللفظ والمعنى والموسيقى الشعرية من ناحيةٍ أخرى فقد رأينا مثلاً رائعاً على ذلك في نداء الضفادع لقويق .

وهناك ظاهرة بارزة بجلاء وهي إغراقه في استمارة ألوان الجواهر والأحجار الكريمة ، وتشبيه ألوان الزهر والتبت بها . وهذا ضرب من التشبيه الخيالي . فلو أخذنا وصفه للرجس حين يقول :

أقداح ياقوت تعاطيكمها أنامل من لؤلؤ رطب

نرى أنه جمع ما بين الأقداح والياقوت والأنامل واللؤلؤ الرطب . والأربعة "تدرك بالحس" المادي منفصلةً ، ولكن متى "جمعت" تعذّر ذلك وأصبح يقع ضمن إطار الخيال . وأغلب خيالاته من هذا النوع ، قريبة النال بعيدة عن النموض والتكثّف . وقلّما يقع شاعرنا في الغلو .

أما الصفة الغالبة على شعر الصنوبري من حيث منطوقية الوصف فنحن لا نرى ذلك عنده كما نرى عند البحري مثلاً من حيث أخذ الأخير المعنى العام للموصوف ثم الدنو شيئاً فشيئاً إلى الجزئيات الدقيقة ، ولم يكن الصنوبري ممن يأخذ المعنى وبشتط في تقليبه على وجوه ، كما كان يفعل أبو تمام ، وإنما نرى معاني الصنوبري وصورة تستقل الواحدة عن الأخرى وتتقدّم أو تتأخّر دون إخلال بالأطوار العام . على أن همه الأول كان دائماً نقل الصورة مستطرفةً إذا أراد التصوير الموضوعي ، وإذا أراد بثّ شعور التعاطف مع الطبيعة أعرق في الوصف الوجداني .

قبل أن تنتقل إلى القصائد المختارة في الذيل أودّ أن أسطّر بعض الحقائق عن حياة الصنوبري .

هو أبو بكر أحمد بن محمد الضبّي (وليس الصيني) الصنوبري . كان في بلاط سيف الدولة الحمداني بالموصل متسلّماً خزّانة كتب الأمير . وقد مدح كبار عصره ووجهاء دولته بالعديد من الطولات ، ناهيك عن مدائح آل البيت الشريف . ثم لما استولى سيف الدولة على حلب انتقل الصنوبري معه ، ومات فيها سنة ٣٣٤ للهجرة .

يقال ، والله أعلم ، إن المتنبي كان من بعض تلامذته أو الناشئة الذين طلبوا رأي الصنوبري بشعرهم واستقوا آراءه في ذلك . ويقال كذلك إن سيف الدولة كان يزوره في جنة كبيرة ابتناها وحشد فيها صنوفاً من الطير والزهو والمياه مما يفوق الوصف .

على أن حياة هذا الشاعر بجهولة الغاية ، وهو كاتب الرومي ، ينتظر من يبعثه من رقاد الأجيال وينفض عنه غبار السنين .

فواز أحمد طوقان



محكمة المياه في بلنسية

قل انقرئ^١ نقلا عن الجغرافي البكري وتشابه اسبانيا بلاد الشام بسحر مناخها وصفاء هوائها ، واليمن بمناخها المعتدل صيفاً وشتاءً ، والهند بعطورها الزكية الرائحة ، وبلاد فارس بأهمية مكوسها وعدن بمتنوجات سواحلها ، .

وعلى ذكر متنوجات سواحلها أقول بأن العرب في أقطارهم لا يعرفون اسبانيا معرفة تامة ، فقد رحلت إلى هذا الفردوس المفقود وسأهت بأم عيني أرض الأندلس وسواحلها ، وكورها ومزارعها ، ومدنها وقصباتها ، وأهلها في حواضرهم وأريافهم ، وعانيت سحنهم وأشكالهم وعاداتهم وأخلاقهم .

وقد تبين لي : بعد أن زرت هذا القطر بأن اسبانيا في حاضرها مدينة للعرب برائثها الحضاري وطابعها الأحيائي (البايولوجي) المتجسم في خلقة أبنائها ، وبوفرة إنتاجها الزراعي وجودته ، وكثالث على أثر الحضارة العربية على اسبانيا أذكر أعمال الري في منطقة بلنسية فإنها شاهد صدق على ما أقول .

لقد حوّل العرب بلنسية إلى بستان حقيقي رغم أن تربتها ليست فائقة الجودة ، كما أن ميزات مناخها ليست أفضل الميزات الزراعية إذ أن نسبة هطول الأمطار منخفضة جداً (٨٠ ، مليمتر في السنة) . ولكن صرف العرب طرق الاستفادة من مياه نهرها الغزير (نهر توريا) منذ ألف سنة أو أكثر فأنشأوا السواقي العديدة تروي الأراضي القاحلة بمياه النهر فأحالتها إلى جنات تجري من تحتها الأنهار .

إن السواقي التي أوجدها العرب مازالت باقية حتى أيامنا هذه ، وهي تشكل عملاً هندسياً رائعاً بشهادة أبرز الشخصيات الفنية الحديثة ، فلا عجب أن أصبحت منطقة بلنسية اليوم عبارة عن بستان كبير كبير الخصب وافر المتوجات ، تلك المتوجات الزراعية التي حازت اليوم تقدير المستهلك وإعجابه داخل اسبانيا وخارجها .

إن هذه اللجنة التي يرجع عهدها الى أكثر من ألف سنة ، تجري فيها سبع سواك تشير أسماءها إلى مصدرها العربي وهي : ساقية قوارت ، وابن عشار ، ومسلطة ، وفهارة على الضفة اليمنى وساقية الترمس ، ومستلياً وراسكانيا على الضفة اليسرى للنهر ، ويتفرع منها قنوات وافر تنقسم بدورها إلى فروع عديدة تشمل مساحة واسعة من أراضي الري .

هذا وقد أشاد الدكتور (روزيه) رئيس جامعة لوزان في سويسرا بهندسة الري المرية في بلنسية إذ قال (لقد طوفت بلاد الأندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فأعجبت بها كل الإعجاب وبما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية فإن أهل هذه الولاية من الأسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأ أبناء جنسكم (ويعني العرب) في القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي ذلك كثيراً من المعالم في أرض الأندلس ، على نفس هذه السكور على وادي الأحمر وغيرها وإلا لهلك ولا من يبكيها فقيح من قضا عليها (راجع مجلة الجمع العلمي العربي ، الجزء السابع من المجلد الثاني غوز سنة ١٩٢٢) .

منها يكن من أمر فإن العرب لم يقتصروا على القيام ببناء القنوات على هذه الطريقة العجيبة بل نظموا أيضاً توزيعها بين المزارعين بشكل قانوني ليستفيدوا جميعهم منها فأنشأوا هيئة تحكيمية تسمى « محكمة المياه » ، قام بخلفها

الخليفة الأموي الحكم الثاني خليفة قرطبة ، وكان قاضيه في بلنسية آنذاك عبد الرحمن بن حبال ، وقد تأسست هذه المحكمة في أواخر عام (٩٦٠ م) وما زالت تقوم بدورها في الوقت الحاضر . وعندما فتح الملك خيمي الأول بلنسية أحترم هذه الهيئة الشرعية وحافظ عليها كما أحترمها جميع الحكام الذين استلموا زمام الأمور في اسبانيا حتى يومنا هذا . واعترف التشريع الاسباني بشرعية وقوانين المحكمة المذكورة اعترافاً صريحاً .

لقد كان عام (١٩٦٠ م) عام الذكرى الألفية لتأسيس « محكمة المياه » ، وحضر الاحتفالات بهذه الذكرى وزير العدل الاسباني وبصحته وزراء الزراعة والأشغال العامة ، وقد أشاد الخطباء في تلك الاحتفالات بالهبة بالحضارة العربية وبماثر العرب الرائعة في الأندلس ، وبما يلاحظ بأن تكفير الاسبان عن خطاياهم التي ارتكبوها ضد العرب قد جاء متأخراً جداً .

أما محكمة المياه هذه الطارفة التليدة فتقام في العراء كل خميس في مدينة بلنسية منذ تأسيسها من قبل العرب حتى اليوم ، وانتخب يوم الخميس من بين أيام الأسبوع لتجري فيه محاكمات المياه لأنه اليوم السابق للعطلة الإسلامية (الجمعة) ويتم اجتماع المحكمة عند مدخل كاتدرائية بلنسية التي كانت المسجد الجامع للمسلمين زمن العرب .

تتألف المحكمة من سبع قضاة يتخبرهم الشعب من بين المزارعين المنتجين ، فاض عن كل ساقية . واختصاص هذه المحكمة هو الفصل في الدعاوى الناتجة عن توزيع المياه . ويقوم عادة الحارس الأكبر لكل ساقية بتقديم الدعوى بناء على طلب المدعي الذي يعتبر نفسه مغبوناً ، فيقدم الاستدعاء ويحضر المدعي والمدعى عليه أمام المحكمة ، ويدافع المدعى عليه عن نفسه ، ويجوز إحضار الشهود والكشف عن الحوادث في المكان عينه ، ولكن يكفي غالباً ببرد الواقع لتعرف المحكمة تفاصيل القضية ، وبعد تداول يجري بصوت منخفض بين أعضاء المحكمة يعلن الرئيس الحكم وهو غير قابل للاستئناف .

لمحكمة المياه ميزات نادرة ، تجري المحاكمة في العراء كما قلنا ، ويتكلم الجميع اللغة البلنسية ، وعلى القضاة أن يرتدوا اللباس الرسمي — وهو عبارة عن قميص أسود — (وهذا الزي تقليد عربي) وذلك قبل الجلوس على مقاعدهم ، وتفرض العقوبة المالية بالنقد المتداول ، ولكنه يجب الإشارة الى قيمتها بالليرات القديمة . ويتقاضى الرئيس عادة نصف ليبرة من الحلوى عن كل جلسة ، وهذه الحلوى تصنع في معمل خاص مشهور بلنسية يكلف بإعدادها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القوانين التي تطبقها المحكمة مقتبسة باكثرها عن قوانين الري التي كانت سارية بعلبك في القرن الثامن الميلادي ، وبعضها مقتبس من مجموعة قوانين (حمورابي) التي ترجع إلى ما قبل أربعة آلاف سنة ، وهذا يعني أن أقدم الشرائع في العالم تطبق في القرن العشرين كل يوم خميس عند مدخل كاتدرائية — مسجد — بلنسية .

إن قوانين بعلبك وشرائع حمورابي دخلت إلى أسبانيا عن طريق الجيش العربي الذي جاء لنصرة طارق بن زياد ، وشارك في فتح بلنسية التي استوطن فيها .

في خلال الحرب العالمية الثانية كان أحد سفراء الدول العظمى بمديريد ذا ثقافة عالية وميل شديد إلى الدرس والتنقيب في البحوث التاريخية ، حضر محكمة المياه ودرس تاريخ نشأتها وبعد أن اطلع على تاريخها الطويل المستفيض قال : يظهر أن هذه المحكمة خالدة إلى الأبد ، ويظهر أن العرب لم يتركوا الأندلس نهائياً بعد .

اقول أجل ان هذه المحكمة خالدة خلود التراث العربي في الأندلس وباقية بقاء السمرة العربية الظاهرة على ملامح الأسبان في الفردوس المفقود .

الدكتور فيصل دبروب



مجتمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحسب مجلّ المقامات وبسبب من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ٤ — (١)

٣ — في الدور والدُور

(الدور — المساجد — البيارستانات — الحمامات — المطاعم —

الحوانيت — الحانات — الأسواق ..)

الدور في التاريخ : لسنّا في حاجة إلى ذكر ما كان القوم عليه من عناية بالعمران وتفنن في هندسة الأبنية وزخرفتها ، فهذا أمر معروف عن حضارة القرن الرابع ، والحق أن كتب الحضارة وصفت لنا كثيراً من الأبنية والقصور ، وإن كانت قد اقتصرّت على قصور الخلفاء والمساجد حيث كثر الإنفاق أو ظهرت آثار الفن وروعته ، وأما دور الشعب ومساكن الطبقة العامة فقد لا نعرف عنها الكثير من خلال تلك الكتب . ولعل أكثر ما نعرفه عنها مقتبس من بعض الكتب الأدبية التي تعرّضت في مناسبات مختلفة ، لوصفها ككتاب « الأغاني » و « المقامات » .

الدور في المقامات : لسنّا نكم أن الهمداني لم يوفّ الدور حقّها من الوصف ، وأن حديثه عنها كان موجزاً ومريباً ؛ إنه يذكر ما كلّقت من

(١) نمر أول البحث في الصفحات ١٢٤ و ٦٠٥ و ٨٢٦ من المجلد (٤٣) .

أموال ، وقد كانوا يتفاخرون بكثرة الإنفاق ، وبذكر أحياناً ما يتصل بدقة الصنعة وجمال الشكل .. وهو إذا فصل في وصف باب أو حلقة ، وليس في وصف البيت وتخطيطه ، ومن الحق أن نشير إلى أن حديث الهمداني عن الدور ووصفها لا يقارب ما نقله « آدم متز » مثلاً في الموضوع نفسه (١) قال الهمداني على لسان أبي الفتح : « واتبيننا إلى باب داره ، فقال : هذه داري ، كم تقدر يا مولاي أنفق على هذه الطاقة ؟ أنفقت عليها والله فوق الطاقة ، ووراء الفاقة . كيف ترى صنعها وشكلها ؟ أرايت بالله مثلها ؟ انظر إلى دقائق الصنعة فيها وتأمل حسن تعريبها فكأنما خطٌ بالبركار ، وانظر إلى حذق النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذه من كم ؟ قل : ومن أين أعلم ؟ هو ساج من قطعة واحدة لامأروض ولا عفن ، (٢) .

وواضح من هذا أنهم يصنعون أبواب بيوتهم من الخشب ويتخذون على الباب حلقة تدور بلول يُطرق بها الباب ، وبالجملة كان الخشب يستعمل كثيراً وكان أحب أصنافه عند السراة خشب الساج الهندي (٣) .

ويتابع الهمداني حديثه عن الدار فيقول : وهذه الحلقة تراها ؟ ... فيها من الشبهة ستة أرباط ، وهي تدور بلول في الباب ... ثم قرع الباب ودخلت الدهليز فقال : عمرك الله يا دار ، ولا خربك يا جدار ، فما أمتن حيطانك ، وأوثق بنيانك ، وأقوى أساسك ، تأمل بالله معارجها ، وتبين دواخلها وخوارجها .. (٤) ، وقال : « فقامت ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : حاجة أفضيها . فقال : يا مولاي تريد كثيراً ؟ يزري بريعي الأمير

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) المقامة الضيرية : ١١٣ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٠ .

(٤) المقامة الضيرية : ١١٤ .

وخربني الوزير ؛ قد جُصِّصَ أعلاه وصُهِرَجَ أسفله ، وسطح سقفيه ،
ومُفْرِشت بالمرمر أرضه ، يزلّ عن حائطه الذرّ فلا يعلق ، ويمشي على أرضه
الذباب فيزلق ، عليه باب غير أنه من خليطي ساج وعاج ، مزدوجين أحسن
ازدواج ، (١) .

وقد كانت الدور موضعاً للاجتماع والسمر ؛ ففيها يجتمعون للسمر
والطرب ، قال : وجملت للدار حاشيتي النهار (٢) ، وقال : بت ذات ليلة في
كتيبة فضل من رفقائي فتذاكرنا الفصاحة ، وما ودعنا الحديث حتى طرق
علمنا الباب (٣) . . .

المساجد في التاريخ : غير خاف أن المساجد من الموضوعات التي عنيت
بها كتب الحضارة الإسلامية ؛ فوصفت بناءها وفنّها وزخرفتها ، وذكرت
عدد العاملين في بنائها ومدى ما أنفق عليها . . . وزاد بعض المؤرخين
فتناول أحوال القوم فيها ؛ قال المقرئ : . . إنهم كانوا يجتمعون في المساجد ،
وقد يولون فيها وينامون . . وروى لنا قصّة حدث بها الأمير عليّ تاج
الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي ذكر أنهم اجتمعوا ليلة في مسجد
فمملوا أسماطاً وأكلوا ثم تحدّثوا وناموا . . وكانت ليلة باردة فناموا عند
المنبر . (٤) وكذلك نقل آدم متر كثيراً من أخبار المساجد واجتماع انهم
فيها ليلاً ونهاراً (٥) .

المساجد في المقامات : لا يقف الهمداني بنا خارج المسجد ليصفه لنا
ولمّا يأخذ بأبديتنا الى داخله ليطلعنا على ما يحدث فيه ويسمنا الأحاديث

(١) المقامة المضيرية : ١٢٢ .

(٢) المقامة الفريضية : ٩ .

(٣) المقامة الناجية : ١٩٩ .

(٤) الخطط والآثار ٢ : ٣١٩ .

(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ٨٥ وما بعدها .

التي تدور في حلقات القوم ؛ فقد كانوا يجتمعون في أفتة المساجد وتدور بينهم الأحاديث المختلفة ويمر بهم المكثون ...

لقد حدثنا الهمداني عن إقبال القوم على الصلاة في المساجد وإجابتهم داعيها ، وعن عادة بعض الأئمة في إطالة الصلاة ، وعما يحدث بعد انقضاءها من مفاجآت المكثين ، وقد حدث مرة أن « نودي للصلاة نداء سمعته وتعين فرض الإجابة ، فانسلت من بين الصحابة أغتم الجماعة أدركها ، (١) وكانت صلاتهم طويلة » تقدم الإمام إلى المحراب فقرأ فاتحة الكتاب ، بقراءة حمزة مدّة وعهزة ... وأتبع الفاتحة الواقعة ، (٢) وانتهت الركعة الأولى .. وقام الإمام إلى الركعة الثانية فقرأ الفاتحة والفارعة ، قراءة استوفى بها عمر الساعة ، واستنزف أرواح الجماعة ، فلما فرغ من ركعته ، وأقبل على التشهد بلحيته ، ومال إلى التحية بأخذه ، وقلت : قد سهّل الله الخرج وقرّب الفرج ، قام رجل وقال : من كان منكم يحبّ الصحابة والجماعة ، فليعرفني سمه ساعة . قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لمرضي . فقال : حقيق عليّ ألا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق ... ، (٣) ويتابع حديثه حتى يصل إلى مطلوبه فيذكر حاجته إلى المال !..

وكذلك يذكر الهمداني تلبية الدعوة إلى الصلاة في المقامة الخيرية حين « ثوب منادي الصبح ... فبادرنا إلى الدعوة وفنا وراء الإمام قيام البررة الكرام . (٤)

(١ و ٢) المقامة الأصفهانية ٥٦ و ٥٧ .

(٣) المقامة الأصفهانية : ٥٨ .

(٤) المقامة الخيرية : ٢٤٥ .

وأما دخول المكديين إلى المساجد فقد مرّ ذكره في المقامة النجارية حيث يقول « حدثنا عيسى بن هشام قال أخطني جامع نجاري معهم وقد انتظمت مع رفقة في سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستتلى طفلاً عُربانياً . . . » (١)

وبشير الهمذاني إلى أنهم كثيراً ما كانوا يعرفون على المساجد تخفيفاً لمشقة أو فراراً من حرّ فيقول في المقامة الرصافية: « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة ، وسحارة القيط تغلي بصدر الفيض ، فلما نصفت الطريق اشتدّ الحرّ وأعوزني الصبر ، فملت إلى مسجد قد أخذ من كل حين سرّة . . » (٢)

البيارستانات : إن اتحاد الناس للبيارستانات أمر قديم ، وقد ذكروا أن هذه الأماكن كانت منتشرة في القرن الرابع (٣) ، بل هي معروفة قبل ذلك التاريخ إذ قيل إن أول من بنى المارستان هو أحمد بن طولون بناء في مصر سنة ٢٥٩ هـ . وكانت أمور المارستانات بيد ذوي المناصب الرفيعة ، حكى ابن الأثير أنه توفي سنة ٣٩٦ عبد الرحيم المرباني الأصمعي قاضي خراسان وقال « وإليه كان أمر البيارستانات » (٤)

وأما الهمذاني فيأخذ بأيدينا إلى مارستان البصرة ويسمنا كلام بعض الجاهل من زلائه ، وقد سمعناه في بحث الردّ على المعتزلة (٥) ، وذلك حين

(١) المقامة النجارية : ٨٧ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٤٧ وما بعدها .

(٤) السكائل ٩ : ٦٦ .

(٥) انظر ما سبق في ص : ٨٤٦ من المجلد ٤٣ .

دخل المارستان مع أبي داود التستكلم^(١)، ورأينا أن الخطيرين منهم كانوا يقيّدون خوف أذاهم إذ أن أحدهم ما هو « إلا شيطان في أشطان »^(٢)

الحمّامات : كانت الحمامات معروفة منذ القديم ، ولكن عناية الناس بها زادت بعد الإسلام ، وذكر الطبري أنه لم يكن للفرس عهد بالحمامات قبل الإسلام . أما عند المسلمين فقد شاعت وانتشرت وتنافسَت البلاد في كثرتها ، على أن ذوي الورع لم يدحوها ، ونقل عن عليّ أنه قال : « بئس البيت الحمام ، تكشف فيه العورات وترفع فيه الأصوات ، ولا تقرأ فيه آية من كتاب الله » . وقد بلغ عدد الحمامات في النصف الأول من القرن الرابع في جاني بغداد عشرة آلاف حمام^(٣) ولم يغفل الهمداني ذكر الحمامات في مقاماته وإنما تحدث عنها وذكر عناية الفاعمين عليها بزيارتها من المستحمّين . لقد طلب ابن هشام أن يرشدوه إلى حمام « واسع الرقعة نظيف البقعة ، طيب الهواء معتدل الماء »^(٤) فأشار إلى ما كان الناس يتوخونه في الحمام ، ثم دخل ابن هشام الحمام وقال « وأنيأه فلم نرقوامه ، لكنني دخلته ودخل على أثري رجل وعهد إلى قطعة طين فلطّخ بها جبيني ووضعها على رأسي .. »^(٥) ثم يتابع حديثه عما جرى له وكيف تشاجر عليه اثنان من المستخدمين كلّ بدعي أنه له و« ما لبث أن دخل الأول فحيثما أخذع الثاني بمضمومة ففقت أنيابه ، وقال : بالكع مالك ولهذا

(١) المقامة المارستانية : ١٢٧ .

(٢) المقامة المارستانية : ١٣٢ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٢ .

(٤) المقامة الخوانية : ١٨٠ .

(٥) المقامة الخوانية : ١٨١ .

الراس وهو لي ، وعطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابها ، وقال :
 بل هذا الراس حقّي ، وملكي في يدي ، ثم تلاكا حتى عيبا ... (١)
 وكان الهمذاني قد أدخلنا حمأً وأطلعنا على ما يحدث فيه ، وكيف
 نستقبل لو ذهبنا إليه ، وأشار إلى أخلاق أصحاب هذه الحرفة ... ولسنا
 ندري سبب الخصاص بين المستخدمين في الحتام ولكن لعلّه أراد أن يشير
 إلى أن كلاً من المستخدمين كان يشتغل لحسابه الخاص ، أو أن صاحب
 الحتام كان يحاسبهم على « الراس » !

المطاعم والخوانيت والمآكل : تحدث كتاب « الوزراء » عن بعض
 ولائم القوم وعاداتهم فيها ، ووصف لنا مثلاً وليمة دعا إليها الوزير ابن
 الفرات جماعة من أصحابه ، وجاء في الحديث ذكر لبعض أنواع الطعام
 والمعادن ، إلا أنه وغيره من أخبار التاريخ غير كاف لعرض صورة عن
 أسواق القوم ومطاعمهم الشعبية وما فيها من المآكل ؛ نعم نحن نجد فيها
 أخبار ولائم العظماء ونسمع أسماء أطعمة عربية وغير عربية ولكننا لا نستطيع
 تصوّر تلك الأطعمة لأنّها سرّدت لنا أسماءها دون أن توصف لنا .

وأما بديع الزمان فقد استطاع بوصفه للجزئيات أن يضع أمامنا
 صورة للسوق وما فيها من خوانيت ومناظر ، وللمطاعم وما فيها من
 مآكل ... ولنترك للهمذاني أن يأخذنا إلى تلك الأماكن كما أخذنا إلى
 الحمام ، وأن يمرّ بنا عبر الطرقات ويقدم لنا بعض المآكل :

يصل الغريب الى البلدة فيشعر — كما شعر السوادي في بغداد —
 بالجوع يستولي عليه ، فيتقدمه الهمذاني أو ابن هشام إلى مطعم شعبي

(١) المقامة الخلوانية : ١٨١ .

(٢) الوزراء : ٢٤٠ .

انتشرت منه روائح الشواء ... وفي هذا المطعم نجد اللحم والخبز والحلوى
وكأننا في مطعم من مطاعم أحيائنا الشعبية في حي السيدة زينب بالقاهرة أو
باب الجابية أو الدرويشية بدمشق .

وإصف الهمذاني لنا مافي هذا المطعم الشعبي من أطعمة فيفصل ويجيد
إجادة تجعلنا أمام ذلك الطعام أو تجعله أمامنا ، بل يقدمه لنا حتى نكاد
نذوقه ونعرف أنه يذوب كالصمغ قبل المضغ .. يقول الهمذاني « ثم أتينا
شواء يتقاطر شوائه عرقاً وتتسائل جوداباته مرقاً . فقلت : أفرز لأبي زيد
من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء . واختار له من تلك الأطباق
وانضد عليها أوراق الرقاق ورش عليها شيئاً من ماء السمثاق ... ،
فانحنى الشواء بساطوره على زبدة تنوره فجعلها كالكحل سحفاً وكالطحن
دقاً ... وقلت لصاحب الحلوى : زن من اللوزينج رطلين ، فهو أجرى في
الحلوق وأمضى في العروق (١) ، وإن كنا لاندري ما اللوزينج فالهمذاني
لا يتركنا كما يتركنا كتاب التاريخ أمام اسم مبهم الدلالة ولكنه يصفه ويوضحه
فيقول « وليكن ليلى العمر يومي الذنر ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ،
لؤلؤي الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ قبل المضغ ... (٢) » .

وبذكر الهمذاني الماء المثلج فيقول : ... « مأحوجنا إلى ماء يشعشع
بالتلج ليقمع هذه الصارّة ويفثأ هذه اللقم الحارّة ... (٣) » ، والماء المشعشع
بالتلج الذي ما يتناوله الناس في الصيف ، ويحكى أنه يوم تولى ابن الفرات
الوزارة ، وكان يوماً شديداً الحر ، سقي في داره أربعون ألف رطل من
التلج في يوم وليلة (٤) .

(١) المقامة البغدادية : ٦٥

(٢ و ٣) المقامة البغدادية : ٦٦ .

(٤) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٤ .

ويذكر الحمداني في مقامات أخرى كثيراً من أنواع الأطعمة ؛ ففي
المقامة الساسانية مثلاً يقول زعيم المكدين :

أريد منك رغيفا	يعملو خوانا نظيفا
أريد ملحاً جريفا	أريد بقللاً قطيفا
أريد لحماً غريفا	أريد خلاً ثقيفا
أريد جدياً رضيعا	أريد سخلاً خروفا
أريد ماءً بثلج	يعشى إناء طريفا
أريد دنّ مدام	أقوم عنه نزيفا (٢)

وفي المقامة المضيرية يحدثنا عن المضيرة وبعدد المواد التي طبخت
بها (٣) ويذكر أن الخبز عندهم كانت أرغفته رقيقة واسعة ينضجونها في التنور
فهي « أوراق الرقاق » (٤) أو هي « صلائق كأنها القباطي » المنتشر أو الفوهي
المصّر ، (٥) تطلع من « تنور مسجور » (٥) ويذكر من مآكلهم البقل
والسمك والبادنجان والتفاح والأنقال ... يقول في المقامة المجاعية ، فما
قولك في رغيف وبقل قطيف الى خدل ثقيف وخردل حرّيف وشواء
صفيّف ، وأوساط محشوة وأكواب مملوءة وأنقال معددة ... ولحم طريّ
وسمك نهري وبادنجان مقليّ وراح قطرثلي وتفاح جنّي ... (٦) كما يذكر

(١) المقامة الساسانية : ٩٧ .

(٢) المقامة المضيرية : ١٢٢ .

(٣) المقامة البغدادية : ٦٥ .

(٤) المقامة النهدية : ١٨٩ .

(٥) المقامة البغدادية : والأرمينية : ١٩٦ .

(٦) المقامة المجاعية : ١٣٣ .

التمر مع الزبدة التي هي « نهيدة » فرق كهامة الأصلع ، (١) وربما شربوا معها الحليب في « أقب قد احتلبن من الجلالد الهرمية » (٢) . ومنها نوع يصنع من اللدقيق الذي يعجن بالحليب ويشوى ويصنع على أشكال مختلفة كالكمك ، ثم يصب عليه العسل ويشرب معه الحليب ، وهو يبين لنا طريقة صنعه ، ويصفها خطوة خطوة (٣) ، ومن ذبايحهم العناق النجدية تقدم مع الخبز وبعض مايقوي الشهية كالخردل والأصباغ (٤) .

ومن طعام فقرائهم الخبز اليابس والتمر الرديء وهو ماقدّم لابن هشام إذ يقول « فأنتنا ابنته بطبق عليه جيلقة ومُحالة ولويّة » (٥)

وأما الأغنياء وأهل اليسار فقد ذكر ابن هشام بعض مآثله عندهم من اللبذ المأكّل والشرب فقال « فلم نزل في صبوح وغبوق نتغذّى بالجدايا الرضّع ، والطباهاجات الفارسية ، والمدقّقات الابراهيمية ، والقلايا المحرّفة ، والكباب الرشيدي ، والخُمْلان ، وشرابنا نبذ العسل ... وتَقَانَا السُلُوز المقتّر ، والسكر والطَبَرَزْد ... » (٦) « وكانت لنا طبّاخة حاذقة فاتخذت عشرين لوناً من قلايا محرّقات .. » (٧) .

وهكذا دخلنا مطاعم القوم وشهدنا بعض ولائمهم وعرفنا بعض مآكلهم ، وما يزال الهمداني يتقدّمنا في الأسواق حتى وقف بنا أمام بائع للفواكه حسن الذوق جيد الترتيب فهو قد « أخذ أصناف الفواكه وصنّفها ، وجمع

(١ - ٤) المقامة النهديّة ١٨٥ وما بعدها .

(٥) المقامة النهديّة : ١٨٩ . والجلفة : قطعة الخبز اليابسة . واللويّة : ما يجفّ .

(٦) المقامة الصيمرية : ٢١٦ .

(٧) » » : ٢٢١ .

أنواع الرطب وصفقها ... (١) ثم وقف أمام بائع الألبان الذي صفق
الأواني النظيفة وفيها أنواع الألبان ... (٢) .

وأما صاحب الخبز فهو يُعنى بنظافة رغفانه ويرمي ماشك في نظافته
حتى استغل ذلك أبو الفتح على نحو ما جاء في المقامة الأرمنية حين قال : وسرنا
في طلب أبي جابر فوجدناه يطلع من ذات بطن تُسجر بالفضا ، فعمد الاسكندري
إلى رجل فاستماحه كفاً ملح وقال للخباز : أعرفني رأس التنور فلإني
مقرور ، ولما فرّج سنامه وجعل يحدث القوم بحاله ويخبرهم باختلاله وينثر
الملح في التنور من تحت أذباله يوههم أن أذى بشيابه . فقال الخباز :
مالك لا أبالك ؟ اجمع أذبالك فقد أفسدت الخبز علينا . وقام إلى الرغفان
فرماها وجعل الاسكندري يلقطها ويتأبطها ... (٣) .

الحانات : وما نزال نسير مع الهمذاني حتى يقبل الليل وتبدأ الحانات
بفتح أبوابها واستقبال زبائنهن ، ولكل حانة باب وكلاب ومستخدمون
يتكفّلون بدواب الزبائن ، وصبايا حسان ، ومطربون ... ففي المقامة
الخرية أنه : لما حُسرَج النهار أو كاد نظرنا فإذا برائيات الحانات أمثال
النجوم في الليل البهيم ، فتهاديتنا بها السراء وتناشرنا بلبلة غراء ووصلنا إلى
أفخمها باباً وأضخمها كلاباً فدُفِعنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منجلّ ،
إذا قنلت الحائطها أحيت ألقاظها ، فأحسنّت تلقيننا ... وأسرع من معها
من العلوج إلى حطّ الرحال والسروج قلنا : هذه الضالّة وأبيك

(١) المقامة الأرازية : ١٤ .

(٢) المقامة الأرمنية : ١٩٧ .

(٣) د د : ١٩٦ .

فمن المطرب في ناديك ؟ قالت : إن لي شيخاً ظريف الطبع طريف
المجون ... ، (١)

في الطرقات : ولا يكفني الهمذاني بأن يربنا ما على جوانب الطريق من
مطاعم وحوانيت وحمامات وحانات وحلاقين ... وإنما يربنا أيضاً ما يعترض
سبيل المارة في عرض الطريق ، فمن قوم تحلقوا حول قراد ، إلى صبية
يستهنئون بالمارّة ... ففي المقامة الفردية يقول : بينا أنا في مدينة السلام
أميس ميس الرجل على شاطئ الدجلة ... إذ انتهت إلى حلقة رجال
مزدحمين ، يلوي الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقني
الحرص إلى ما ساقهم حتى وقفت بسمع صوت رجل دون رؤية وجهه
لشدة الهجمة وفراط الزحمة فإذا هو قراد يُرقص قرده . ، (٢) وفي
المقامة المضيرية أن أبا الفتح حين فرّ من وليمة صاحبه وجعل يعدو أخذ
صاحبه يعدو خلفه ويصيح : يا أبا الفتح المضيرة ... فظن الصبيان أن
المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، (٣) وأخيراً ينبغي لنا أن نذكر أن هناك
جزئيات قافية ومع ذلك لم يغفل الهمذاني عن ذكرها ، وتلك ميزة أدبية
تساعد على التوضيح ، ولا يقوى عليها من الأدباء إلا من كان شديد الملاحظة
حادّ الذكاء لا تفوته ملاحظة الأشياء الصغيرة كما لا يفوته الحديث عنها ؛
فالههمذاني مثلاً يذكر أن بعض الناس كان يحمل ما يشتريه من السوق في
مندبل واسع كما يفعل بعض الناس اليوم ، وأن بعضهم كان يضع ما يشتريه

(١) المقامة الخرية : ٢٤٧ .

(٢) المقامة الفردية : ١٠١ .

(٣) المقامة : ١٢٣ .

في طرف إزاره كما في المقامة الأزاذية حين قبض من كل شيء أحسنه وقرض من كل نوع أجوده ، فجمع حواشي الإزار على تلك الأوزار ... ، (١) أدواتهم : مازالت الحضارة تقدم للإنسان اليوم الكثير من الأدوات والوسائل التي تملأ حياته راحة ورفاهاً ، وتيسر عليه العمل الشاق وتوفر له الكثير من وقته ... وألف الإنسان ما يستعمل حتى نبي ما كان يتخذ سلفه الأول من أداة ومتاع ؛ لقد ألف الكهرباء حتى نبي شكل السراج ، وألف السيارة حتى نبي شكل جده وهو على دابته ... ولقد ذكرنا بديع الزمان بالكثير من أدوات القوم وأثاثهم ؛ أما الأغنياء فإنّ عندهم « حدائق وعُنايب ، وكواعب أثرابا ، وخيلاً مسوّمة ، وقناطير مقنطرة ، وُعدةٌ وعديدا ومراكب وعبيدا .. » (٢) وذكر أحدهم ما كان معه فقال « ومعي جراب دنائير ومن الخريّ والآلة وغير ذلك ما لا أحتاج معه إلى أحد ، وعند بعضهم « صنان ، كل صنّ بأربعة آذان . » (٣) وقصاع كبيرة يذلّ عنها الطيرف ... (٤) ومن أدواتهم الخوان والإريق والطلست والمناديل المطرّزة ، وقد ذكرت في المقامة المضيرية ، وكانوا يستنبرون بضوء السراج وهو حوت مصرور في بعض البحور مخطف الخصور يلدغ كالذنبور ويعتمّ بالنور ، أبوه حجر وأمه ذكر ، ورأسه ذهب واسمه لهب وبقية ذنب ، له في الملبوس عمل السوس ، وهو في البيت آلة الزيت

(١) المقامة الأزاذية : ١٤ .

(٢) المقامة القزوينية : ٩٤ .

(٣) المقامة الصيمرية : ٢١٥ - ٢٢٢ والصن وعاء كبير يشبه السدة .

(٤) المقامة المضيرية : ١٠٩ .

شرّيب لا ينقع ، أكل لا يشبع ، بذول لا يمنع . ينمي إلى الصمود ،
ولا ينقص ماله من جود ، يسوءك ما يسرّه وينفعك ما يضرّه (١)
أما المطبخ فلأنّ تتخيّل ما لم يذكره من أدواته حين تدخله مع
أبي الفتح لترى المرأة فيه وهي تدور من التور إلى القدور ، تنفث فيها
النار وتدفق يديها الأبرار (٢)

ومما كان معروفاً عندهم المغزل ، وقد عرفناه في بعض دورنا القديمة ،
والأمشاط ، وقد ألغز فيها الهمداني في المقامة المغزلية وأورد لكل من المغزل
والمشط كثيراً من الأوصاف . (٣)

وكذلك ذكر في المقامة الساسانية بعض أدواتهم في مثل قوله :

أريد مشطاً وموسى أريد سطلاً وليفاً (٤)

الشطرنج : وهو من وسائل التسلية عندهم ، وقد كان معروفاً من
قبل ، وعُدّ الصولي والخليفة الثامون من المهرة فيه (٥) . أما الهمداني فقد
ذكره حين أراد أن يصف يد أبي الفتح وجولانها بين الصحن فقال

(١) المقامة الابليسية : ١٩٣ .

(٢) المقامة المضيرية : ١١١ .

(٣) المقامة المغزلية : ١٧٤ .

(٤) المقامة الساسانية : ٩٨ .

(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٧ .

إنها « تسافر على الخوان وتسفر بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان وتفقأ عيون الجفان » فهي « تجول في القصعة كالرخ في الرقعة » (١) والرخ من قطع الشطرنج ذو جولة وصوله وقوة ومنعة حتى سماء بعضهم بالقلمسة .
 وورد اسم الشطرنج أيضاً في وصية الاسكندري لابنه حين كان يلقنه أصول التجارة فقال له « كن مع الناس كلاعب الشطرنج ؛ خذ كل ما معهم واحفظ كل ما معك » (٢) .

الدكتور مازن المبارك

(يتبع)



(١) المقامة الجاحظية : ٧٩ .

(٢) المقامة الوصية : ٢١٤ .

نافذة تطل على تاريخ الزيدية

منذ أمد طويل وأنا أتتبع ما يكتب ويقال عن الزيدية ، ولم تكن نفسي مطمئن إلى شيء من ذلك .

ومنذ أمد اطلعت على نص نفيس يكشف القناع عن هذه الفرقة ويوضح تاريخها الذي اختلفت فيه الآراء ، وكنت أحاول نشره في مجلة الجمع العلمي العربي حينما اطلعت على ما كتبه الأستاذ محمود الملاح في المجلد الثامن والثلاثين من (٣٣٤) وكانت العوائق تحول دون ذلك ، والآن وقد كتب لي بعض الفراغ من الوقت غاني اكتب هذه اللوحة لتضاف إلى ما كتب عن هذه الطائفة النامضة مقدماً عليها كلمة تمهيدية .

سياسة بني أمية ومعاوية وابنه يزيد :

كانت سياسة بني أمية تقوم على تقديس رجالاتهم والظمن في خصوصهم خصوصاً الطالبين ، وهذا بديهي لا يحتاج إلى سرد لخصوص تؤيد ذلك .

فمعاوية وابنه يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وأضرابهم كان لهم من القدسية والاحترام في العصر الأموي وإلى منتصف العصر العباسي مثل ما لآل البيت النبوي في عصرنا .

يذكر المقدسي^(١) أنه دخل مدينة أصبهان فوصف له رجل معروف بالزهد والتعبد ، قال : فقصدته وتركت القافلة خلفي وبث عنده تلك الليلة ،

(١) أحسن التقاسيم ص (٣٩٩) والمقدسي هذا كان حياً سنة (٣٧٦ هـ) .

وجعلت أسأله إلى أن قلت : ما قولك في الصاحب (١) ؟ فجعل يلعنه ، ثم قال : أنه أئانا بمذهب لانعرفه .

قلت : وما هو :

قال يقول : معاوية لم يكن مرسلًا .

قلت : وما تقول أنت ؟

قال : أقول كما قال الله تعالى (لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) ، (٢ : ٢٨٦) أبو بكر كان مرسلًا ، وعمر كان مرسلًا ، حتى ذكر الأربعة ثم قال : ومعاوية كان مرسلًا قلت : لا تفعل ، أما الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكًا ، وقال النبي ﷺ : الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة ، ثم تكون ملكًا ، فجعل يشنع علي وأصبح يقول للناس : هذا رجل رافضي ، فلو لم أندرك القافلة لبطشوا بي ، ولهم [أي لأهل أصفهان] في هذا الباب حكايات كثيرة .

ويقول المقدسي أيضاً (٢) : وبغداد غالبية يفرطون في حب معاوية .

وهناك نص يفيد بأن أهل الكرخ كانوا من جماعة معاوية وأنصاره ، فقد سب إبراهيم بن رستم معاوية ، فقال له رجل : لم لاتقول هذا بالكرخ ؟ فقال [إبراهيم بن رستم] ولم لاتصلي أنت على محمد — صلى الله عليه وعلى آله — بالقسطنطينية (٣) .

ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم (٤) : كنت يوماً بجامع واسط وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه فإذا هو يقول :

(١) أي الصاحب ابن عباد .

(٢) أحسن التقاسيم ص ١٢٦ .

(٣) البصائر لأبي حيان التوحيدي ج ٢ ص ٢٠ ، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ،

(٤) ص ١٢٦ .

حدثنا فلان عن فلان عن النبي ﷺ : أن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويفلفه بيده ، ثم يحلوه على الخلق كالعروس ، فقلت له : بماذا ؟ بحاربه عليا ؟ رضي الله عن معاوية وكذبت أنت يا ضال . فقال خذوا هذا الرافضي فأقبل الناس عليّ ، فعرفني بعض الكتب فكركروهم عني .

مثل هذا الاحترام والتقدير عند بعض الناس لمعاوية انتقل إلى ابنه يزيد فكان فيهم من يعتقد مثل هذا أو قريباً منه في يزيد ، وتفيد فتوى الشيخ الإمام أحمد بن تيمية (١) التي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي أن بعضاً من الناس في عصره يعتقد أنه كان صحابياً وبعضاً آخر يعتقد أنه كان نبياً وقد ردّ الشيخ ابن تيمية على هذين القولين وذكر اعتقاد أهل السنة في يزيد راجع (المجلد ٣٨ ص ٤٥٢) من هذه المجلة .

وبعد هذه المقدمة نعود إلى النص الذي أشرنا إليه في أول المقال وهو من طرائف النصوص النادرة .

التعريف بصاحب هذا النص :

هو أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي ، ولد بمدينة ميفارقين في شهر شوال وعاش ما بين سني (٥١٠ - ٥٩٠) رحل خلالها إلى مدن الجزيرة والمراق والشام والعجم قابل فيها الخلفاء وأبناء الخلفاء والملوك والسلطين والعلماء وكبار رجال الحكم ، وألف تاريخاً لمدينة ميفارقين نقل عنه ياقوت الرومي وابن خلكان وابن شداد في الأعلام الخطيرة .

(١) سؤال في يزيد بن معاوية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشره مع جوابه الدكتور صلاح الدين المنجد في المجلد المذكور .

طبع جزء من هذا التاريخ بالقاهرة سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م ، وقام بتحقيقه ووضع مقدمة له دكتور بدوي عبد اللطيف عوض ، وهذا النص مما أثبتته الدكتور في هذه المقدمة ص ٤٣ لطرافته وهو :

في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة هجرية كان مؤرخنا في تفليس وأقام بها مدة ، وهناك اتصل بملك الانجاز وصاحب تفليس الملك ديمتري ابن داود ، ثم التحق بخدمته وبقي عنده مدة ، وسار في ولايته ورأى بلاداً وأماكن كثيرة لم تتج لغيره من المؤرخين والكتاب .

ويسجل لنا ابن الأزرق في تاريخه بعض الحوادث الهامة التي وقعت له مع الملك فيقول ما ملخصه :

بينما كان يسير ذات يوم مع ملك الانجاز إذ وصلا إلى مرج واسع تحت جبل قائمة شامخة ، فتزلا هناك ، وعرفه الملك بأن في هذه القلعة رجلاً غريباً أسيراً من ولاية حلب ، ثم طلب منه أن يصعد إليه في باكورة الغد معتزماً أن يرجو الملك في إطلاق سراحه ، وبينما هو يتأهب للقاء الرجل وقت السحر وصل الخبر إلى الملك أن بعض الولاة قد ثاروا وتمردوا عليه فدعز الملك وارتحل لوقته وارتحل معه ابن الأزرق ولم يقدر له الاجتماع بهذا الرجل .

كما يسجل لنا حكاية طريفة وقعت له مع الملك أيضاً في مدينة الدربند (١) : في سنة تسع وأربعين وخمس مئة رحل ابن الأزرق إلى مدينة الدربند ، وفي ذات يوم خرج الملك ديمتري في عسكره وأخذوا يطوفون من جهة إلى

(١) ويسمىها العرب أيضاً : الباب والأبواب - أو - باب الأبواب وهي بلدة على الشاطئ الغربي لبحر الخزر وهي الساحل الوحيد لبلاد الداغستان . انظر معجم ياقوت مادة : باب الأبواب ، دربند ، خنلق ، وترجمة دائرة المعارف الإسلامية مادة : دربند داغستان . م (١١)

أخرى ويتنقلون من موضع إلى آخر في الولاية ، ولما نزأوا في ولاية الدربند ، وهو الدربند خيزران الذي بناه كسرى ، ترك الملك العسكر في مرج (١) تحت الجبل وأتى إليه الأمير أبو المنظر ملك الدربند ، وكان صهره على ابنته ، واستقبله استقبالا كريما وحمل اليه من الخدم والضيافة والإقامة .

وبينا الملك وعسكره نازلين في هذا المرج ومعهم ابن الأزرق ، إذا بجماعة يأتون إليهم من ضياعهم ، فعبأ أحدهم إلى ابن الأزرق وتحدث معه بالعربية فعجب لذلك ودار بينها الحديث التالي .

من أين أنت يافتي ؟ ، إني ما رأيت بهذه الأرض مستعربا .

من تلك القرية وأشار إلى قرية على قمة في وسط الجبل .

ومن أين هذا الكلام العربي ؟

إن جميع من في القرية عرب ، ونحن جميعا نتكلم العربية .

ومتى حللتم في هذا المكان ؟

منذ خمس مئة سنة .

ومن أي العرب أتم .

نحن من بني أمية ومن كندة ومن قبائل أخرى

وما الذي جاء بكم إلى هذا المكان ؟

لا أعلمك .

ولماذا ؟ — إني أرى أنكم من قتلة الحسين الذين انهزموا من وجه

الختار الثقفي وهربوا إلى هذه الجهات .

وكيف تعلم ذلك ؟

من المعلوم والثابت في الكتب أن جماعة من قتلة الحسين انهزموا أمام

الختار إلى الدربند .

ثم انصرف الفتى .

(١) في الأصل : برج في الجميع ، وما أثبتناه هو ما رجحناه .

ولما مضت تلك الليلة وكان الغد حضر الفتى ومعه جماعة عند ابن الأزرق وتحدثوا ساعة ، وكان فيهم شيخ كبير يسمى محمد بن عمران أخذ ابن الأزرق يسأله عن مقامهم في تلك البلاد ، وكيف استقروا فيها ولم يعودوا إلى بلادهم الأولى ، وكيف احتفظوا بلقمتهم العربية إلى هذا الوقت .

فقال هذا الشيخ : إن هذه البلاد أصبحت لنا وطناً ، ويوصي بعضنا بعضاً أن لا نترك العربية مطلقاً .

ونسأئنا لا تكلم الأطفال إلا بالعربية لكي ينشأوا على اللسان العربي الفصيح .

فقال ابن الأزرق : وكيف أحوالكم هنا ؟

فقال له : في خير ، ما بيننا وبين أحد معاملة ، ولنا هذه الأرض التي مساحتها خمسة فراسخ في مثلها نحرث ونزرع ما نحتاج إليه وما يعارضنا أحد ، وهذا الأمير صاحب الدربند يحسن إلينا ويوفر علينا مصالحنا وكل من ولي أمر هذه البلاد يحسن إلينا ونكون عنده في أحسن منزلة .

وبعد تلك الحادثة الطريفة أخبر محمد بن عمران الفارقي : أنهم حقاً انهزموا أمام المختار ، ولكنهم لا يعلمون أين صارت تلك الطائفة الأخرى وما هي أخبارهم الآن .

فقال له ابن الأزرق : إن العصابة الأخرى التي تقصدها انهزمت إلى الموصل ، وجبل الجزيرة (١) فأنفذ إليها إبراهيم بن الأشتر النخعي وحاربه فانهزموا أمامه ، وهربوا إلى ولاية ميفارقين فأرسل إلى محاربتهم عبد الله ابن مساور ، فانهزموا أمامه إلى جبل السناسنة (٢) فوق ميفارقين ، وأقاموا

(١) الظاهر أنه يريد بهذا الجبل سنجار .

(٢) السناسنة قبيلة من الأرمن لها حصون منيعة تجاور خلاط (تاريخ ميفارقين ص ٧٥) .

عند ملك سنحاريب ملك السامنة وهم طائفة من الأمويين .
فقال محمد بن عمران : صدقت ، ثم قال له : وهل بقي إلى اليوم من
نسلهم أحد ؟

فقال له ابن الأزرق : نعم .

وحينئذ انصرف هؤلاء الجماعة من العرب بعد أن قضوا مع ابن الأزرق
يوماً كاملاً .

وبعد فإن هذا النص لا بدع شكاً لمستريب في أصل اليزيدية ، ويجب
أن يعاد النظر في تاريخ اليزيدية على ضوء هذا النص النادر الطريف .

دمشق : محمد أحمد دهمام



التعريف والنقد

كتاب (الأثيقون)

أو فلسفة الآداب الخلقية

تأليف : ابن العبري

ترجمه عن السريانية الملقان مار غريغوريوس بولس بهنام

عدد الصفحات (٤٤٠) من القطع المتوسط

مطبعة الشباب - القامشلي (سورية)

مازالت الكنيسة السريانية تبدي نشاطاً كبيراً في إرشاد أبناء الطائفة
والمساهمة في الأعمال الوطنية والمحافظة على التراث السرياني .

ومن المعروف أن آثار العلامة (مارغريغوريوس أبي الفرج ابن
العبري) [سنة ١٢٢٦ - ١٢٨٦ ميلادية] تؤلف جزءاً هاماً من هذا
التراث الثقافي . فهو قد ألف ستة وثلاثين كتاباً في الديانة والفلسفة والطب
واللغة والتاريخ أكثرها بالسريانية وبعضها بالعربية كما ترجم إلى اللغة
السريانية كتاب الإشارات والتنبيهات في الفلسفة ، وقسماً من كتاب القانون
في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا . وقد سبق أن ذكرنا في مجلة مجمع
اللغة العربية^(١) كيف أن المستشرق الانكليزي (بوكوك) نشر النص
العربي لكتابه « تاريخ مختصر الدول » وترجمته إلى اللغة اللاتينية وأشرنا

(١) راجع الجزء الثالث من المجلد (٤٣) صفحة (٥٧٣) .

إلى القول الشائع في أن تسميته بابن العبري يرجع سببها إلى أن أباه كان يهودياً اعتنق المسيحية .

على أن نياقة الملفان (بهنام) ، مطران بغداد والبصرة ، الذي ترجم كتاب (الأثيقون) أو (فلسفة الآداب الخلقية) تأليف ابن العبري إلى العربية ينفي في مقدمة الكتاب هذه النسبة ويقول إن سبب التسمية هو أن أباه (أوجدته) كان قد نزح من قرية (عبري) ، التي كانت قائمة يوماً على نهر الفرات بقرب مدينة (ملطية) . وفي الوقت نفسه تكرم قداسة بطريرك انطاكية وسائر المشرق فلفت نظرنا إلى هذا الأمر ، وأرشدنا إلى ما كتبه قداسته في العدد ١٦ / السنة الثانية من « المجلة البطريركية » ، ينقد الأخطاء التي ارتكبها الأب (بولس مورتد) اليسوعي في ترجمة حياة العلامة ابن العبري في دائرة معارف (فؤاد افرام البستاني) ويرد بالأخص على ترداده القول الشائع بين المستشرقين بأن ابن العبري من أصل يهودي . فرأينا من الضروري الإشارة إلى ذلك ...

يجت كتاب (الأثيقون) ، كما يدل عنوانه اليوناني ، في الأخلاق وآداب السلوك وقد قسمه المؤلف إلى أربع مقالات كبرى تحوي كل منها أبواباً وفصولاً شتى . وموضوع المقالة الأولى هو ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه فيستعرض المؤلف هنا الصلاة وفضيلتها وآثارها ثم أعمال النسك والسهر وقوانين النوم وترتيب الزامير وتأثير الألحان وفوائد الصوم والعزلة والغربة وزيارة الأماكن المقدسة . وتبحث المقالة الثانية في أعمال الحياة الجسدية من طعام وشراب . وزواج شرعي وتربية أطفال وإعطاء الصدقات . وفي المقالة الثالثة يتكلم المؤلف على تنقية النفس من الأهواء الشريرة فيشرح معنى النفس ويبين قواها وخصائصها ثم يتمرض إلى ترويض النفس وإصلاح العادات وعلاج الفساده واجتناب عثرات اللسان ، والابتعاد عن

الحسد والحقد والغضب وعن الشهوات وحب المال والرياء والكبرياء والخليلاء .
وأخيراً فهو يكرس المقالة الرابعة لموضوع تجميل النفس بالفضائل من علم
وإيمان وقوة وصبر وشكر وتقوى وزهد وتوكل وصدقة وذكر الله ومحبة
والتفكير في الموت ...

إن طريقة ابن العبري في بحث الموضوعات الأخلاقية تشبه طريقة الإمام
الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين . فهو يستشهد في كل موضوع بأقوال
آباء الكنيسة والقديسين ثم يلجأ إلى التحليل النفسي والبراهين العقلية .
كذلك نلاحظ التشابه مع الإمام الغزالي في تطوره الفكري الذي انتهى به
إلى التصوف (١) فقد تحدث ابن العبري أيضاً في كتابه (الحماسة) عن اجتيازه
مرحلة قاسية من الاضطراب النفسي والتشكيك الى أن أشرقت عليه أنوار
الحقيقة وسار في طريق الصوفية وكيف أنه تأثر في ذلك بآراء ابن سينا
وأمثلة المتصوفين اليونانيين والمسيحيين . ونتجلى زعة ابن العبري الصوفية في
كتاب (الحماسة) وفي عدد من الفصائد ثم في أكثر فصول كتاب (الأتيقون)
وعلى الأخص عند البحث في معرفة الله ومحبه والشوق إليه ، وعند
الكلام على مبادئ الزهد والنسك وأساليب الرياضة الروحية لتطهير
القلب ...

وفي الختام لابد من التنويه بالجهود الصادقة التي بذلها نيافة المطران
(بهنام) في ترجمة كتاب (ابن العبري) النفيس بلغة عربية مشرقة ، واضحة
وسلسة ، كما أنه لا يسعنا إلا لبدء الإعجاب بالمقدمة الشيقة التي صدر
بها الكتاب وتكلم فيها بإسهاب على تصوف ابن العبري .

الدكتور كامل عباد



(١) كما وصف ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » .

المعلم رفيق قيريش

حياته — آثاره

عنوان كتاب أهدت إلى مجمعنا نسخة منه — مشكورة — سفارة الجمهورية التركية بدمشق .

أعدت الكتاب — بمناسبة مرور مائة عام على مولد العلم المثار إليه — أحد أبناء قيريش (فؤاد آرون) أصغر أنجال المرحوم ، وطبع في آنفرة (١٩٦٨) طبعا متقنا . والعنوان على الغلاف الأسود (بحروف سود بارزة) بالحروف التركية الجديدة على رقعة مستطيلة صفراء ذهبية اللون . عدد صفحاته ٢٤٤ . في أولى صفحاته صورة المرقي القدير المرحوم حسين رفيق قيريش أخذت له في استانبول بعد إحالته على التقاعد ، وقد تجاوزت خدمته في التعليم أكثر من نصف قرن تخرّج على يديه إلى الوطن الألوف من النشء المتعلم بالإضافة إلى كثير من الأصدقاء .

كتب (المقدمة) السيد فؤاد نفسه ، برأ بوالده وتخليداً للذكرى أليه الذي قارب الثمانين من العمر يوم غادر هذا العالم الفاني إلى دار البقاء ، تاركاً بعده — إلى الذكر الحسن — مؤلفاته ، وما ترجمه من آثار ، وما نشره وما لم ينشره في عالم المطبوعات ، من المقالات والأشعار أو ماكتبه كمذكرات متناثرة بين أوراقه .

ولا عجب في عمل هذا النجل الذليل وهو الذي أخذ عن أبيه المعلم الحافلة بحياته بالتعليم والإرشاد والوعظ — بله حرصه على تعليم أولاده وتهذيبهم وإرشادهم — الرعاية لحقوق الوالدين برأيهما ، وهو نوع من اتصال عمل التوفى ،

في الدنيا الوارد ذكره في الحديث الشريف : (... وولد صالح يدعو له .
أو كما قال عليه السلام) .

فجمع ما تيسر له من المعلومات المتوفرة في المعاهد والمؤسسات العالمية
والمكتبات الخاصة والعامة من الأصدقاء المخلصين والطلاب الأوفياء ، عدا عما
لديه هو ، من الأوراق كما حصل على صور تذكارية للمرحوم كان أهدي
في حال حياته إلى أصحابه وأصدقائه عدداً منها ؛ وأخرج إلى عالم المطبوعات
كتاباً عن حياة هذا المربي الجليل تبقى ذكرى بين أصدقائه ، وغوذجاً ينسج
على منواله الملمون الشباب الجدد . وهو في خمسة فصول جميل الطبع
حسن التبويب :

في الفصل الأول . — ترجمة حياة رفيق قبريش وأسرته .

في الثاني . — ما أدّاه للوطن من الخدمات الرسمية وغير الرسمية والفخرية .
في الثالث . — آثاره ، المطبوع منها وغير المطبوع من المؤلفات والمترجمات
مع مقالات له في موضوع الدين والأخلاق (اتحاد المسلمين —
فضائل الصوم — يوم الخضر . الخ) وجوابه على عشرة أسئلة
وجهتها وزارة المعارف إلى العلماء والمفتين (بتاريخ ٢٠ شباط
١٩٢٢) وفيها ظهرت مقدرته ، إنشاءً وبياناً وقوةً حجّة ،
وحسنَ جواب ، وكانت فصل الخطاب .

في الرابع . — أشعاره : في الولادات ، في الوفيات ؛ في حرب الاستقلال ،
وذكريات شتى .

في الخامس . — سنواته الأخيرة ، وفاته وما بعد ذلك .
ماحق وجيز . — في تفسيره باللغة التركية للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ،
والأدعية المأثورة .

مبتدأ . — لبعض المصطلحات القديمة وما يقابلها بالتركية الحديثة .

الكتاب ، قصة ' حياة واقعية ، مثيرة فيها غظة ؛ حقيق أن تكون مثلاً يحتذيه جيل صاعد راغب في سلك التعليم .

القصة : تسرد بصدق وبساطة حياة معلم جليل القدر ، واسع الصدر ، تلقى صدمات الدهر وعقباته بثبات ورضى ، واجتاز مراحلها بعزم وحزم ، وهو ينتقل في أرجاء الوطن من وظيفة إلى أخرى في التعليم . ولقد أفى من عمره نصف قرن في التعليم ، فإدارة معاهد علمية من الولايات العثمانية سابقاً منذ سنة (١٨٨٨) [في الشام ، في اللاذقية ، في بغداد ، في كربلاء] فالولايات التركية [سيواس ، وان ، قونية ، استانبول] . قام بوظيفته التعليمية أحسن قيام وخرج منها يوم أُحيل على التقاعد ، ناصع الجين مرتاح الضمير ، فخوراً بما قدّم للوطن من هذا العدد العديد من الشباب انتعلم ، إلى يوم لفظ أنفاسه الأخيرة مودّعاً هذه الدار الخلافة المظاهرة ، بين لفيف من أفراد أسرته وأقاربه الأدينين .

وأروع ما في الكتاب وأدعى للتأثر والاعتبار : ما كتبه في آخر أيامه وهو في سرير المرض بعنوان (في فراش المرض) (ص ١٨٣) يخاطب نفسه ، شعراً ونثراً استلهمه عن إيمانه العميق ، وبخطه وتوقيعه (١٥ شباط ١٩٤٥) . وهي قطعة بليغة حقاً ، فيها تنجلى : التقوى والعقيدة المتينة ، والإيمان الصادق الراسخ في قلب مؤمن مخلص لله تعالى . وبها غظة وعبرة لابن آدم هذا الخلق المعدّ للفناء ، المغرور المتكبر ، على عجزه ، من غير تعقل وتفكير ، الذي تصرعه ' حمة ' جرفوم تلقية في دمه (برغششة *) ضئيلة !

أثارت مطالعة الكتاب في الذكرى - والذكرى تشوق - إلى ربوع المعاصمة التركية القديمة الجميلة ، المليئة بالأحداث التاريخية الهامة التي لقبها شاعرهم المبدع (توفيق فكرت) بـ (المعجوز الفتانة الأرملة البكر) في قصيدته العصماء الرائعة بما اشتملت عليه من حسن الوصف ، والتي رفعت

إلى فئة الشاعرية وعنوانها (الضباب (*)) في يوم غشّي الضباب الكثيف العاصم ، أقول أثارت في نفسي الذكرى والحنين إلى العاصمة استانبول ، القديمة وأكثر ماورد ذكره في الكتاب من أحيائها هو مما تفتحت عيني منذ طفولتي ، على أرجائها وعنت فيها أعواماً طوالاً .

فمرت أمام عيني مرور الصور على الشاشة السينمائية ، كما مرت المدارس التي تلقيتُ دروسي الأولى فيها ، والأسواق والطرق التي نجتازها إلى المدرسة (المكتب) ، والحدائق التي كنا ورفاق المدرسة نلعب فيها ، فرحين دون أن ندرى ما يحبؤه المستقبل .

وشخصت أمام بصري أشباح المعلمين الأتراك الذين أخذتُ عنهم بلقمتهم ، منذ الطفولة ، من (الابتدائي) و (الرشدي) و (السلطاني) وهم لا يزالون من نفسي في محل الإجلال والإكبار .

ومما يلفت النظر - زيادةً - عن كل ماورد عن حياة المعلم المرحوم من جلائل الأعمال تعليمًا وإدارةً - ما كان يتحلى به من التقوى والصلاح والحرص على أداء الفرائض الدينية ، والنصح والإرشاد .

دخل المعلم رفيق ، سلك التعليم في الدولة العثمانية (سنة ١٨٨٨) بالشام (مركز ولاية سورية آنذاك) معلماً للإملاء ، في مدرسة (الرشدية العسكرية) بعد نجاحه في المسابقة التي أجريت لذلك ، وكان في الشام عمه (حسين أفندي) منفياً ، نفاه عبد الحميد الثاني ، الذي لم يَرُقْ له أن يبقى في استانبول أحدٌ ممن كانت لهم صلة بسراري السلطان مراد الخامس . ووالي ولاية الشام إذ ذاك هو أحمد مدحت باشا .

(*) (ميس) بالتركية : ألهمه إياها ضبابُ يوم ، كثيف ، غطى العاصمة ، وهو مطرٌ من شرفة بيته العليا في (بك) ، الذي أسماه (آشان) ومناه (عش الطير) تشبهاً منه ، نفسه - وهو الشاعر الصداح - بالطير المفرد من عشه . ويعدّ الأدباء الأتراك مؤسس مدرسة الشعر الحديث في الأدب العثماني السابق .

وعلى الرغم مما عُرض عليه من الوظائف الملكية الأخرى آثر البقاء في سلك التعليم ، فعلم في الشام ثم في اللاذقية التابعة لولاية بيروت في ذلك العهد ، ثم في مدارس بغداد ، ثم في (سيواس ، وان ، قونية ، استانبول) . ففي بعض منها قام بالتعليم ومعاوناً للمدير ؛ وفي بعض منها كان مديراً . ثم عيّن مديراً للمعارف ، فمديراً لشعبة الحقوق من دار الفنون . ولطول إقامته في البلاد العربية معلماً ، أتقن اللغة العربية تكلماً وكتابة . كما تعلم اللغتين الفرنسية والفارسية فبلغ فيها درجة "تمكّنه من التكلم والكتابة بها" .

في الكتاب صور شتى خارج المتن ، عدا الصورة الأولى للمرحوم ، صور تذكارية في أعوام مختلفة . وخريطة لولاية سدينوب فيها اسم القرية التي ولد فيها المرحوم (*) .

منها بين الصفحتين (١٦ — ١٧) صورة له حين كان بالشام معاون مدير للإعدادية الملكية سنة (١٨٩٢) ، وصورة أخرى له في المدرسة نفسها مع طلبته وهو يلقي عليهم درساً في الهندسة وتطبيقات المسح (١٨٩٣) . وبين الصفحتين (٤٨ — ٤٩) صورة له وهو ملتح ، بعد أن عُين مديراً لإعدادية اللاذقية وعاد مأذوناً لدمشق (١٨٩٧) . وبين الصفحتين (٦٤ — ٦٥) صورة له حينما كان مديراً للمعارف ببغداد ، وصورة أخرى بجانبها وهو بالزي البغدادي بالعباءة والعقال (١٩٠٦) . وصور شتى له في مدارس الولايات التركية واستانبول أخيراً .

(*) ولد عام (١٨٦٨) في قرية (گوللي كوي) في ناحية (گرزة) في ولاية سدينوب الواقعة على البحر الأسود . وتوفي باستانبول (حي بشكغاش) حزينان ١٩٤٥ ودفن في مقبرة (بحي أنندي) ، في حظيرة الأسرة .

وفي الصفحتين (١٤٦ - ١٤٧) رومسٌ لدعاء خطبة الجمعة بالنص العربي وبخط رقمي مشكول ، جميل (يجيد المرحوم الخطين الرقمي والدبواني) .
وفي الصفحتين (١٥٦ - ١٥٧) رومسٌ قصيدةٍ لمروف الرصافي بعنوان (سعادة رفيق بك) يوم كان المرحوم مديراً للمعارف في بغداد وكان الرصافي معلماً للعربية (١٩٠٦) بخط رقمي جميل بالحروف العربية [بعد ذلك ترجمة القصيدة إلى التركية بالحروف التركية الجديدة] .

يشكر نجله الفاضل (فؤاد آرون*) (عمله المجيد هذا في تخليد ذكرى والده المربي المناضل تقدمه الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .
وتشكر سفارة الجمهورية التركية بدمشق ، لهديتها لمجمعتنا نسخة من هذا الأثر التاريخي المتعلق بالعلم والتعليم ، لعله يكون مثلاً جميلاً عن حياة طويلة تقضت بشرف وأمانة ، لمن يطالع من الجيل الصاعد فيقتدي به إذا انخرط في سلك التعليم .

الكواكب

ملاحظة . — لم يرد ذكر قصيدة الرصافي المتعلقة بالمرحوم في ديوان الرصافي المطبوع سنة ١٩٣١ فرأيت من المفيد إثبات نصها هنا خدمة للتاريخ والذكرى .
(ص ١٥٦ - ١٥٧)

(*) ولد السيد فؤاد آرون (سنة ١٩٠٩) في يوم تصيب السلطان رشاد ملكاً على عرش السلطنة ، بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن عرشه (ص ٥) . وهو حالياً مقيم في (يكنيشهر - أهرة) أمداً الله في عمره وأكثر من أمثاله من الأولاد النجباء البررة الأوفياء .

سعادة رفيق بك

معارفنا منك استنارت بدورها
 وقد أصبحت أفلاكها مستديرة
 وكان بنوها يشكون انحرافها
 سميت إلى تقويمها سمي قادر
 محباً لآباء حوت حجراتها
 فكنت لها كالنيت باكر روضة
 فأضحت بها الأزهار رباً نديّة
 تسنى عسبر من طريق رقيتها
 أشار إلى غايتها بدلالة
 له ذل من أرض السياسة صعبا
 تأمل في أحكامها بفراصة
 فألقت إليه بالأمور وائته
 وصارت مقاليد الرياسة رُجماً
 إذا ما طريق للنجاح توغّرت
 وأقلامه في الطرس إن هي أعملت
 تلوح بها الأفسار بيضاً وجوها
 رأت سعة في الفضل منك وفي النهى
 وماجت بنا في بُعد فضلك مثلاً
 وكم لك آراء حكين كواكباً
 أعيدك بالصدق الذي أنت أهله
 على حين قد كانت سراراً شهورها
 بحسن انتظام حيث أنت مديرها
 فما جئت إلا واستقامت أمورها
 بسورة عزم يستحيل فتورها
 رفيقاً بأبناء نضم حجورها
 ذوت لاقطاع النيت عنها زهورها
 تنسّى على الأغصان فيها طيورها
 ولولا رفيق ما تنسّى عسبرها
 فياحبذا الغايات وهو مشيرها
 فلو شاء لانت في يديه صخورها
 فبانت له أعجازها وصدورها
 جدير بأن تلقى إليه أمورها
 إليه ألا نعم المصير مصيرها
 وسار بها عادت سهولاً وعورها
 يروع قلوب المنشئين صريرها
 إذا انتظمت في الصحف سوداً سطورها
 أمانيتنا حتى استطلت قصيرها
 عوج بأبعاد الفضاء أثيرها
 يشق عمى الأبصار بالحق نورها
 من القوم إن القوم يمدح زورها

فديتك إن القوم صالية الحشا بنيران حقد لا يبوخ سعيها
فكم سلكوا بي في مفاوز اللقيلى عليّ تلطّتي بالعيداء هجيرها
قلله أشكو ثم لله معشراً بضام بتضييع الحقوق عثيها
ولست بأحداث الليالي مبالياً أهبت صباها رخوة أم دبورها
أدامك ربّ الناس للناس ناصراً إذا عزّ في دار الهوان نصيرها

بغداد في ٣ مارت سنة ٣٢٢ الداعي

معروف الرصافي

[٣ مارت سنة ٣٢٢ توافق سنة ١٩٠٦ م]



نظرة في معجم

(الطحانة والخبازة والفراثة)

أعدّه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي
بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
بإدارة البيضاء — المغرب

في علم الآليات والحركات (الميكانيك) مبدأ يقول (الحركة الدائمة في الطبيعة شيء مستحيل) . . . على أن ما يبدو في (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) في العالم العربي ، في الرباط - المغرب ، يكاد يجعلني أقول (إن الحركة الدائمة) ليست بشيء مستحيل . وها هو ذا المكتب يحقق هذه الحركة المباركة المستمرة بما يقوم به من جليل الأعمال بنشاط نادر المثال ، واتصال دائم مع سائر الأقطار العربية العملية ليُخرج للناس أحسن ما عمل من ثمرات جهود جبارة تذكر فتشكر . أليس كل هذا (حركة دائمة) دون انقطاع ؟ !

إن ما أخذته على عاتقه هذا المكتب الفذ من عمل ضخم وشاق وما بذله وبذله في هذه السبيل من توضيحات مادة ومعنى لجدير بالإعجاب والإكبار .
لقد أخرج (المكتب) أخيراً (معجم الطحانة والخبازة والفرانة) وصلت إليّ منه نسخة مطبوعة على الطابعة ، إعداداً للطبعة النهائية بالمطبعة ، وهي حاوية من المصطلحات الجديدة الجديدة بكل تقدير لمن عمل على وضعها وانتقاها من بين ما وُضع لها ، ورتبها فأحسن ترتيبها ، ونسقها فأجاد تنسيقها الملائم للغرض (وعدها ٤٨٩ كلمة) بمسند المشاهدة رأي العين لأجزاء مختلف الآلات والأجهزة في أكبر مطبخة في المغرب وأرقاها وأكملها تجهيزات ، في زيارة دراسية لمطابخها ، تحقيقاً وتدقيقاً وتقياً للغرض الذي ابتكرت له ، لتأتي مصطلحات هذه المهنة متوافقة مع مدلولها ، وهي المهنة التي تتوقف عليها أسباب الحياة وأغني الأغذية وعلى رأسها الخنطة فالدقيق ، من طحن ونخل ونخب وعجن وخبز . وهذا حقاً عمل منطقي طريف منطبق على الواقع المشاهد عياناً ، تهناً عليه اللجنة .

هذا وقبلاً ، أخرج هذا المكتب (الديناميكي) معاجم في مختلف الشؤون والعلم والفن . فالشكر والتقدير لنشاط أركانه ولما يتولون إدارته ويسهمون في أعماله بغيرة وحماس عجيبين .

وإذ قد رغبت لجنة المكتب إلى المطالع إبداء رأيه وملاحظته حول ما ورد في المعجم من المصطلحات رأيت - تلبيةً لهذه الرغبة - أن أذكر على صفحات مجلة الجمع العلمي العربي مما وجدت فيه ما يلاحظ عليه من المصطلحات ، خدمةً للمعجم نفسه ، فمسي أن تنظر إليها اللجنة بعين الرضى . وفقنا الله جميعاً لما فيه مصلحة لنتنا الحبيبة إلى قلوبنا ، من نأحيي العلم والفن ، وهدانا للصواب .

وليسكم الآن الملاحظات :

الصفحة	الرقم	
٢	٧	Granulation يقابله : التَّحْمِير ، بالخاء .
٢	٨	يحسن أن تذكر كلمة (طحن) أسوةً بأخواتها السابقات فيقال (الطحن بالمنحاز) بدلاً من (النحر) فقط . وفي التعريف يقال : النحر الدق بالمنحاز أي بالهاون .
٣	١٣	وُضع لكلمة Rendement : مَرْدُود . واختلف على هذه الكلمة . قلت : الأصلح (المَرْجُوع) الفصحى من (جاءني رُجُعي رسالتي أي مرجوعها وهو جوابها) كما في القاموس ، وكأن الفرنسية ترجمة العربية .
٤	١٧	الجشب ، كالجرش : Concassage .
٤	٢١	الكركرة ، بحسب شرحها يقابلها : Remoudre .
٤	٢٣	المهرس : Broiement .
٥	٢٥	يكتفى بكلمة (الهاون) لشهرتها .
٥	٢٦	== (المدق) ==
		وما عدا الهاون ، والمدق ، يترك لما يجدر من آلات السحن .
٦	٣٣	Meuleuse أليست هي (المِطْلَحنة ، بكسر الميم) ؟
٧	٣٩	الناعورة بالمهز à impulsion ، ، ، ، ، ، باضافة (المهز) وهو الدفع .
٩	٥١	العنفة النبّاذة (على التفعيل) والفعل هو النبّذان .
٩	٥٢	الجبّاذة (=) = الجبّذان .
		لما في الفعلين من معنى الحركة [فعلان : الاضطراب والحركة] .
١٠	٥٤	Vanne . و (الخيَّس) Ecluse بمعنى .
١١	٥٥	لعلّها : Moulin à bras . م (١٢)

الصفحة	الرقم	
١٣	٧٥	الجمعية : Bruit de Moulin كما وردت في معجم كليرفيل الفرنسي (انظر النسخة الفرنسية العربية) .
١٣	٧٦	المِدْوَك Pilon d'agate تخصيصاً .
١٥	٨٤	الفَصَّالَة لما يقابل Séparateur أصلح .
١٩	١٠٥	المُفَرِّجَة Brosse à blé الآلة التي تعمل عمل الفرجون .
٢٣	١٢٢	الدِّمُوك ، صفة ° . فالأصلح أن يقال (رحي ' دهوك) كما وردت في القاموس .
٢٤	١٣١	المِسْحَلَة أو المِسْلَخَة ، بالخاء . فيجب تصحيح الخطأ الطبعي .
٢٥	١٣٢	المِخْلَطَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلَة) التي جرت عليها مصلحة التعريب .
٢٥	١٣٣	أليس الأصلح : (مَبْلَغ الاستخلاص) فقد ورد في الرقم ١٤٩ : استخلاص مقابل Extraction .
٢٥	١٣٣	مكرر و (الجاروشة Moulin à bras) .
٢٨	١٤٤	Bluterie : مَنَحْلَة وزان مَفْعَلَة للمكان ، والمعاجم الفرنسية لم تذكر استعمال bluterie اسماً لما يُنَحَّل به !
٢٩	١٥٢	مَبْلَغ (السَّفْسة) مقابل taux مثلما ورد في الرقم ١٣٣ .
٣٢	١٦٢	Silo : هو الكُنْدُوج تخصيصاً . أما (المُرِّي) فهو (بيت يجمع فيه طعام السلطان) كما في القاموس .
٣٣	١٦٨	المِكْيَسَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلَة) ؛ أو (مَكْيَسَة ، على التفعيل ، كما ورد الفعل نفسه في الرقم ١٦٩ .
٣٤	١٧٤	Treuil هو المَنَحْجَتون ، والمَنَحْجَتين .

الصفحة	الرقم	
٣٥	١٧٨	Etiquette : يَفْتَشِجُ (عَرَبِيَّهَا عن التركية يَافَتَنَه) كما وردت في مصطلحاتي العلمية - طبعة ثامنة ١٩٥٩) والاشتقاق منها سهل . أليست هذه أصلح من (البطانة) التي هي (الرُقْمة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه ، سميت كذلك لأنها تُشَدُّ بِطَاقَةٍ من هُدْبِ الثوب ؛ ! - القاموس) .
٣٥	١٧٩	Etiquetage : يَفْتَشِجَةُ . [يَفْتَشِجُ étiqueter ؛ مِفْتَشِجُ étiqueté الخ] .
٣٥	١٨٠	المُقَطَّط (وهو الخيط الذي يُصطاد به الطيور) أصلح من المِقاط ، بكسر الميم ، فهو الجبل يُشَدُّ به .
٣٦	١٨٦	الباضعة الرَدْفُ أو الرَدِيفَة (بدلاً من : المدبورة) . وفي الشرح : باضعة تَرْدِفُها ، كنصر ، أو تَرْدِفُها من أَرْدَفَ) . كل هذا من (الرَدْفُ كالرَدِيف وهو الراكب خلف الراكب ، كما في القاموس) .
٣٧	١٨٧	الباضعة الردوفة أو المَرْدُوفَة تمييزاً لها من الرقم ١٨٦ .
٣٧	١٩٠	لعل الأصلح (المِدْرَعة ، وهي الثوب مُتَمَدَّرع أي يلبس) ، بدلاً من (الميدعة كاليدع ، المكان الذي يُصان فيه الثياب وهو الصَّوَان Garde . robe) .
٣٩	٢٠١	فوق اكسيد الآزوت (بدلاً من بيروكسيد الآزوت) .
٤١	٢٠٦	Issues : مُنْقَايَات (ومثلها Déchets) كذلك .
٤٢	٢١١	ومثلها (الخُشَالَة ، بالشين) كذلك .
٤٦	٢٥٥	Moississures هو : (العَفَن ، العَفَنَات) كما ورد في معجم كليرفيل (انظر النسخة الفرنسية العربية) .

الصفحة	الرقم	
٤٨	٢٣٦	Ergot هو (أرْعُوت ، تعريباً) [وميهاز الجَوْدَار : ergot de Seigle كما وضعته لجنة المصطلحات الطبية ، انظر النسخة الفرنسية العربية - معجم كليرفيل] .
٥٠	٢٥٠	وكذا (ناشطة) بمعنى .
٥٠	٢٥١	وكذا (نشوظ) بالمعنى نفسه وهو نبات الشيء من أرومته أول ما يبدو حين يصدع الأرض .
٦٨	٣٤٣	يكفي بكلمة (المِرْقَاق) . و (الشَّوْبَق ، معرب مشهور) وتترك الباقيات لما يجد من آلات الترفيق .
٧٥	٣٧٥	المَحْمَر ، على اسم المكان ، من الثلاثي وهو ترك المعين حتى يجود .
٨١	٤١٢	الفُتْمَة [بدلاً من (المِلَاط) الذي له معان شتى] من الفَتْم والتفغم .
٨٢	٤١٤	(التحميم بحام ماري) بإضافة حمام ماري ، تخصيصاً باسم مبتكرة الطريقة والجهاز المسمى باسمها .
٨٣	٤١٦	خبْز فطير هو بالفرنسية : Pain azyne .
٨٤	٤٢٨	المِرْتَنَة تقابل Tartine .
٨٤	٤٢٩	الخبز المَقْمَر (والكلمة مشهورة) وأحسبها من (القُمَرَة) وهي البياض فيه كُدْرَة . فهي أصلح من (المشوي) . فالخبز لا يشوى بل يجعل على النار لتعلوه كدرة ، وهو نوع من التحميص .
٨٥	٤٣٤	Biscottes هو البَقْسَمَاط أو الخُشْكَنَان (من الفارسية) على ما ذكر .

الصفحة	الرقم	
٩١	٤٧٢	الأصلح (صَمَّعَ ، بَلِّمَ) بدلاً من (صَبَّغَ ، بَالَبَ) إذ ليس هنا صَبَّغَ بصباغٍ ما . إنما هو (نَمَّيْعَ) والصمغ لَمَّاعٌ مَلَمَّعٌ .
٩٣	٤٧٧	مُهَلِّمَةٌ Gelée ، من الهَلِّامة gel [وهذه من الهَلِّام . والاشتقاق منها وفيه : gélification تَهْلِيم ، se gélifier تَهْلِيمٌ] بدلاً من (مُجَمَّعَةٌ) .
٩٢	٤٧٨	مُرَائَةٌ ، بدلاً من (خَبِيصَةٌ : empoi) .

السكواكبي



مدينة دمشق

عند الجغرافيين والرحالين المسلمين

وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد

استشهد المؤلف في تضاعيف كلامه بقول البحري :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفي مطريها بما وعدا

يثي السحاب على أجيالها فرقا ويصبح الثبت في صحرائها بددا

فلست تبصر إلا واديا خضرا أو بانما خضيدا أو طائرا غردا

نعم : هذه دمشق الغناء ، وهذا كتاب ابنها الصلاح المنجد فيها ،

فأى عنها غير مختار ، لما خفف البعاد شيئا من تعلقه بها ، وصوته إليها .

كان من بعض هذا الهيام بها ، والحنين إليها ، أن بلغ ما أخرجه من

كتب تتعلق بها ، وتتصل بتاريخها وأحداثها ، ثلاثين كتابا ، كان آخرها

هذا الكتاب الذي نتحدث عنه : «مدينة دمشق» ضم بين دفتيه (طائفة

كبيرة من النصوص التي وردت في تواريخ الجغرافيين الرحّالين والعلماء الذين وردوا إلى دمشق وكانوا غرباء عنها : من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الهجري) جمعها من عشرات الكتب من مطبوع ومخطوط .

بلغ من نقل عنهم أربعين شيخاً : من عالم ومؤرخ وأديب . يبدأ بملخصة عن حياة كل منهم : مولده ، ونشأته ، وسائر ما يعرف عنه مما وصل من خبره إليه . ثم يعقب على ذلك بما كتبه هذا الشيخ عن دمشق من أثر وشعر .

ومن يبدأ بهذا الكتاب لا يملك نفسه أن يتركه قبل أن ينتهي إلى آخر صفحة منه .

تقرأ في هذا الكتاب الممتع المفيد من طرائف ولطائف تبدي لك عن محاسن هذه المدينة ، وعمما فيها من عادات وأعراف ، وعمما لاقتنه في حياتها الطويلة — وهي من أقدم مدن العالم إن لم نقل أقدمهن على الإطلاق — من رفعة وعزة ، وضعة وذلة ، وامتنعلا وامتنعاد ، وما فيها من معاهد ومدارس ، ومن جوامع وكنائس ، ومن ضياع ورباع ، ومن متاجر ومصانع ، ومن أسواق وحمامات ومن وقوفات ورباطات ، وما هم عليه أهلها من لطف ولين .

وهذه المحاسن والحمد على شهرتها وشهرة أهلها بها ، لا تنعمه أن ينشر إلى جانب هذا المدح والثناء الحق ، ما قاله بعضهم في ذمها وتفضيل غيرها عليها .

فمن العادات المستحبة التي يذكرها « عن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء والقضاة والخبراء ، فإنه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار وكبار السوق فعل مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبيادية

فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم وفي مسجد ، وبأقي كل واحد بما عنده فيفطرون جميعاً « (١)

أدركنا ذلك في عهدنا يوم كان الرئيس محمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية يدعو إلى مائدته في رمضان الوزارات على التعاقب : وزارة وزارة : وزيرها ورؤساءها وأركانها ثم المتقاعدين والمحامين والوجوه والأعيان ثم أرباب المتاجر والمصانع بحيث لا تخلو مائدته في ليالي رمضان من عشرين إلى ثلاثين مدعواً .

جرى في هذا على سنة دمشق وعلى طريقة وزراء الدولة في الآستانة ، - وكان منهم - ثم هو يودع أضيافه على باب داره بكل ما أوتيته من لطف وتواضع .

وتتبين هذه الأخلاق الدمشقية في ناحية ثانية من نواحي الآداب الاجتماعية . فأت قل أن تعرف صديقاً رفعته الأقدار إلى منصب لم يكن ليحلم به إلا شمع بأنفه ، وتعالى عمن كان يعرفهم ، ونجد الدمشقي وقد بلغ أسمى المراكز - رئاسة الجمهورية مثلاً - لا يزال على كثير من الوضع الذي كان عليه من قبل ، ويظل في كثير من مجالسه على ما كان عليه من ظرف ولطف ونكتة .

(١) وحافظت دمشق على عاداتها هذه فكان وجوهها وأعيانها يدعون في جملة من يدعونهم إلى إفطار رمضان كبار الحكومة . وما كنت أحب هذه الدعوة لرجال القضاء . وكان يزعم أن أرام جامعة جامعة في سوق الأروام ينظر بعضهم بعضاً حتى إذا تكامل عددهم ذهبوا إلى حيث هم مدعوون . فطلبت إليهم أن يقتنعوا عن قبول هذه الدعوات فقد تجبر إلى الخروج ، أو الانهزام بالخروج عما يتطلبه القضاء من تجرد وحياد ، ففعلوا . فارتاحوا وأراحوا (ع)

هذه خطرات رأيت أن أشير إليها ونحن في الحديث عن مدينة كتب لي أن أعيش فيها قرابة أربعين سنة فلا عجب أن يولع بها أبناءها والقيومون فيها ، وأن يمثلهم الأستاذ الصلاح في هذه الكتب الممتعة .

وإذا كان كتاب « مدينة دمشق » قد جمع ما قيل في دمشق من قبل ، فلا بد أن يضاف إلى ذلك ما كان في هذه المدينة الجبارة من وطنية صادقة ، حمل السلطات الأجنبية في كثير من الأحيان أن تحنو أمامها رأسها . بدأت الحركة العربية في بيروت : أدباً وسياسةً وحديثاً . والأدب فيها غالب على السياسة والعمل . فانتقلت إلى دمشق سياسة وأدباً وعملاً . والسياسة والعمل غالبان فيها على الأدب . كان يقع لهذه المدينة أن تضرب عن الأعمال إضراباً عاماً شاملاً ، يبلغ في بعض الحالات أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ، لا يخيفها تهديد ولا وعيد . وقضت في جهادها ربع قرن حتى جلا المستعمر عنها كما جلا عنها غيرهم من المستعمرين من قبل .

وبعد ، فإن لدمشق أن تفخر بصلاح الدين المنجد كما له أن يفخر بها ، مقيماً بها أو نازحاً عنها ، أحسن الله إليه قدر ما أحسن في كتابه هذا إلى وطنه وإلى العلم والأدب .

و (مدينة دمشق) طبع طبياً متقناً على ورق صقيل ، مبوب أحسن تبويب ، وله فهرس قيّمة تعين على الرجوع إلى بحوثه وموضوعاته .

وقد وقع بعض أخطاء مطبعية كان الحق أن يستدركها المؤلف كما استدرك غيرها ، من ذلك ما جاء في الصفحة ٢٩٧ في بيتين لابن نباتة :

دمشق في أرجائها مواضع يصبو إليها ناظر وسامع

ربوعها وقصرها والجامع فهي ثلاثة ما لهن رابع

والصواب : ثلاث ليستقيم الوزن .

وفي الصفحة ٣٠٨

بأكر إلى قهوة مسكية فضحت ذكرى المدام وشئت لي الفناجيننا
تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيه الفناجيننا
ولو أن ألف امريء طافوا بحاناتها قصد النجاة رأيت الألف فاجيننا
وهذه الواو في البيت الأخير من خطأ الطبع لا يستقيم الوزن
إلا بحذفها .

السكرى



الملكة زنوبيا

مشرقية شعرية للأستاذ عدنان مردم بك

يُخرج الأستاذ عدنان ، مسرحيات شعرية يُوفق في موضوعها
وفي أسلوبها .

وآخر هذه المسرحيات « الملكة زنوبيا » جعلها أربعة فصول ، وأهداها
إلى موطن البطولات ، ومهد الحضارات ، المدينة الخالدة : « دمشق » .

وقدم لها بتوطئة موجزة في تاريخ « زنوبيا » وذكر أن السبب الذي
حمله على وضع هذه المسرحية ، زيارة سبقت له إلى تدمر برققة والده
العلامة الفقيه خليل مردم : رئيس المجمع العلمي الأسبق رحمه الله .

والمسرحيات الشعرية العربية قليلة . وقليل من وفق فيها ، حائى شوقي .
وقد يكون الشيخ خليل اليازجي أول من فتح هذا الباب بروايته :
« المروءة والوفاء » . ثم جرى على خطاه ابن أخيه السيد نجيب الحداد
في روايته : « صلاح الدين » .

والصُوبة في المسرحيات الشعرية : أن الشاعر في موضوعه وفي أسلوبه

مقيد غير طليق ، على حين أن الشاعر في غير المسرحية طليق غير مقيد ،
يذهب في قوله كل مذهب .

وفي رواية زنوبيا من المواقف الشعرية الموقفة ما يسيل رقة وعذوبة :
لفظ فصيح في معنى صحيح ، من ذلك قوله :

الغرب في كل عصر لاشرق مصدر شر
شرق وغرب لعمري الضدان في كل أمر

ولعله لو قال « ضدان في كل أمر » لكان القول أكثر انسجاماً .
ومن مستجد قوله :

الناس في كل العصور هم الضواري الكاسرة (١)
خضبوا الأكف بما أسالوا من دماء طاهرة
ومضوا يمشون الفساد قياصراً وأكامرة
ومن الأبيات السائفة :

إن يؤس النفس لو أنصفت من سوء السريرة
والعمى في الناس أصناف وألوان كثيرة
وأشد الداء خطباً حيناً تعمى البصيرة
خطأ أن تصف النور إلى عين ضربة

وأمثال هذه الأبيات الموقفة كثيرة .

وفي الرواية بعض ماخذ لا بد للمؤلف أن يتداركها في طبعة جديدة
إن شاء الله .

والشكر الأستاذ عدنان على هذه الروائع التي يخرجها لقومه ، وهم بحاجة
إليها وإلى أمثالها أسلوباً وموضوعاً .

ع . ه .



(١) ولنا نرى رأي من يخطئ نعت الضواري بالكاسرة . ويحصر « الكوامر »
بنواحي الطيور .

كتاب الهفوات النادرة

تأليف

غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي المتوفى سنة ٤٨٠

حنقه وعلق عليه وقدم له

الدكتور صالح الأشر

هذا سفر نادر من أسفار الثقافة العربية ، ذو موضوع طريف في الأدب والتاريخ . اضطلع بتحقيقه أخي الدكتور صالح الأشر ، وطبعه في سلسلة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ . وقد قدم له بمقدمة طويلة جيدة ، عرّف فيها بالمؤلف ، ودرس الكتاب في موضوعه وأسلوبه وقيمته ، ووصف أصوله المخطوطة ، وشرح طريقته التي اتبعها في التحقيق . خرج الكتاب من بين يدي الدكتور صالح مصححاً منقحاً ، بفري الناس بقرائمه ، ويحتشد الباحثين إلى النظر فيه ، والإفادة منه في الأدب والتاريخ واللغة ، ولا سيما اللغة الحضارية واللغة الدارجة في بغداد إبّان العصور العباسية إلى زمن المؤلف .

أضاف الدكتور صالح إلى الكتاب حواشي وتعليقات جيدة مفيدة في شرح الكتاب وضبطه ، وردّ نصوصه إلى أصولها ، والإشارة إلى وجودها في مصادر أخرى ، والتعريف بالأعلام والشعراء والرواة الذين وردت أسماءهم في متن الكتاب . وكل هذا ينير الكتاب ، ويوضحه . على أن من هذه الحواشي ما لا فائدة كبيرة ترجى منه ، مثل الإشارة إلى بحور أبيات الشعر الواردة في الكتاب . وهي كثيرة نكاد نجدتها في كل صفحة . وهذا مع أن المحقق الكريم قد ذكر بحور هذه الأبيات في فهرس القوافي . فكان له في ذلك معدى ومعدل عن ذكرها في حواشي الكتاب .

والحق بالكتاب فهرس عديدة مفيدة أيضاً . والفهارس مفاتيح ذهبية يصوغها المحقق ، ويضمها في أيدي الباحثين والدارسين ، ليصلوا بها إلى المعلومات والأفكار المكنوزة في طيات الكتاب . على أن الدكتور صالح كلف نفسه فوق ما يلزم ، حين صنع (فهرس محتويات الكتاب) ، فقد أجاز لنفسه أن يضع لكل خبر في الكتاب عنواناً يدل عليه ، وحشر هذه العنوانات في فهرس طويل شغل ما يقرب من ثلاثين صفحة . وهذا لا يفيد أحداً من القراء ، بله الباحثين والدارسين . وفي الفهرس الأخرى ، ولا سيما فهرس الأعلام ، غنى عنه .

* * *

جوّد الدكتور صالح تحقيق الكتاب وضبطه كما ذكرنا آنفاً . ولكن شاب عمله الجيد هنات معدودة ، و « لا تعدم الحسنة ذمّاً » ، كما يقول المثل العربي القديم . وسوف نورد هاهنا أمثلة من هذه الهنات طمعاً بالزيادة في نقاء الكتاب وصحته .

قال الدكتور صالح في الصفحة ٥١ من مقدمته : « وقد ترجمنا لعدد كبير من الأعلام الواردة في الأخبار ، وعدد ضخم من الرواة الذين وردت أسمائهم في أسانيد الأخبار . وأتبعنا كل ترجمة بذكر المصادر التي تترجم لصاحبها » . ولكنه في الواقع ترجم لبعض الأعلام ، وأهمل بعضهم . ولم نعرف خطئه في ذلك ، ولم يذكر سبباً نعرفه .

ففي الصفحة ٩ من الكتاب ورد ذكر المدائني المؤرخ الراوية المشهور ، وعيسى بن موسى العباسي . فترجم المحقق للثاني منها ، وأهمل الأول ، فلم يترجم له مع أنه أحال على كتاب الأعلام للزركلي في ترجمته لعلي بن عيسى . والمدائني مترجم له في الأعلام أيضاً (١٤٠/٥) .

وفي الصفحة ١٠ من الكتاب ورد ذكر إبراهيم بن المهدي وطاهر بن الحسين . فترجم المحقق لثاني منها ، وأحال على كتاب الأعلام . وترك الأول ولم يترجم له ، وهو مذكور في الأعلام كذلك (٥٥/١ - ٥٦) . ومثل هذا كثيراً جداً في الكتاب .

وقد أحال الدكتور صالح في معظم التراجم التي أوردها إلى كتاب الأعلام . وهو لمعري كتاب جيد في بابه . ولكنه ليس من المصادر الأولى ، لأنه كتاب حديث ، يأخذ عن المصادر القديمة في تراجم الأعلام القديمة . والأولى الرجوع إلى المصادر القديمة في الأول ، ثم الكتب الحديثة . فهذا أجدى وأقوم .

* * *

إن معظم الهفوات في الكتاب واضحة ، بينة المعنى والنكتة . إلا أن عدداً منها لا يستبين معناه ، ولا يدرك موضع الهفوة والنكتة فيه إلا بالشرح والبيان ، بسبب اختلاف البيئة ، وتغير الظروف الاجتماعية والتاريخية ، وتطور مدلول الكلمات وغير ذلك من الأمور . ومن الأجدى شرح مثل هذه الهفوات ، وبيان مواضع النكتة فيها .

مثال ذلك الهفوة ٣٤ في الصفحة ٤٧ من الكتاب . فقد سأل أبو إسحق أبا سعد : « هذا الصبي ولد له ؟ » أي ولد الخادم . فأجاب أبو سعد : « يا سيدنا ، خادم لا يكون له ولد ! » . وهذا السؤال هو موضع الهفوة ، والجواب موضع النكتة . وينبغي الخبر من غير إيضاح من المؤلف ، أو شرح وتعليق من المحقق . ويتساءل القارئ العادي ، وربما خاصة القراء : ولماذا لا يكون للخادم ولد ! ولا يعرف السر في ذلك . والسر أن كلمة الخادم صارت تطلق في العصور العباسية ، ولا سيما في بغداد ، على

الخصيصي" من الخدم دون غيرهم . بل تُخصّص بهذا المعنى ، وصارت مرادفة لكلمة الخصي . ولا نجد هذا في معجمات اللغة ، وإنما نعرفه من كتب الأدب والتاريخ بالاستقراء .

ومثل هذا ما جاء في الهفوة ٣١٠ ، في الصفحة ٣١٢ من الكتاب :

« كان علي بن خلف النيرماني ينشد دائماً :

فميناك عيناها ، وجيدك جيدها ولكن أخلاق الرجال تضيق » .

وقال المحقق الكريم في الحاشية (٢) تعليقاً على هذا : « شطران من الطويل » . وقوله هذا صحيح ، ولكنه لا يعني ، ولا يعني شيئاً .

والشطرن الأول من هذين الشطرين صدر بيت معروف لمجنون بني عامر قيس بن معاذ العامري ، من شعر له ، وكان وقع في شراكه ظبية ، فأطلقها وقال :

أيأشبه ليلى ، لا تزاعي ، فأنى	لك اليوم من وحشية لصديق
ويأشبه ليلى ، لا تزالي بروضة	عليك سحاب دائم وبروق
أقول ، وقد أطلقتها من وثاقها :	لأنت ليلى ، ما حبيبت ، طليق
فميناك عيناها وجيدك جيدها	موى أن عظم الساق منك دقيق

(انظر لسان العرب : روع) .

والشطرن الثاني من الشطرين عجز بيت لعمر بن الأهتم النقيري ، من قصيدة له مفضلية مشهورة (انظر المفضليات ١٢٥ - ١٢٧ ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤) . وتام البيت مع البيت الذي قبله :

وكل كريم يتقي الدم بالقرى	وللخير بين الصالحين طريق
امرك ما ضاقت بلاد بأهلها	ولكن أخلاق الرجال تضيق

في الصفحة ٥٨ السطر ١١ - ١٢ :

«ونقلني من الرئاسة والمهالة . وهي المنزلة الزرية والرتبة الدينية» .
ولا يستقيم معنى الكلام بهذه الصورة . لأن منزلة الرئاسة والمهالة ليست
بزرية ، ولا رتبها برتبة دنية . إنما المنزلة الزرية ذات الرتبة الدنية هي
منزلة اللب بالشرنج . فبين الجلتين سقط لم يشر إليه المحقق ، كما ترى .
وفي بقية الخبر دليل على ذلك .

في الحاشية (٤) في الصفحة ٦٥ :

قال المحقق تعليقاً على جملة «ويزهزه ألفاظه» : « ولم نجد في المعاجم
(زهزه ألفاظه) بمعنى أن يقول . زِهْ زِهْ ، استحساناً عند سماع كل لفظة ،
لكن ذلك هو ما يتطلبه المعنى هنا . ونقول : جاء في كتاب (شفاء الغليل فيما في
كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي ص ١٠٠ : «زهزه :
بمعنى تحسين ، مولدة من قول الفرس : زهي زهي» .

في الصفحة ٧٤ السطر ٧ - ٨ :

«وقيل : خرج عبد الملك بن مروان يوماً قاراً ، وعليه جيب خز
متظاهرة ، على علي بن عبد الله بن العباس» .

فوله «قاراً» ما هنا تصحيف . والصواب : «ماراً» . . . على علي بن
عبد الله بن العباس . وقد خيل إليّ في بادئ الأمر أن هذا من الغلط
المطبعي . ثم نظرت فإذا المحقق الكريم يثبت «قاراً» عن اختيار . ويعتبر
«فاراً» الواردة في نسختي (أ) و(ع) تصحيفاً ، كما في الحاشية (٤) .

في الصفحة ٩٤ السطر ٨ :

«واتفق لي ، وهي تحدثني بذلك ، أن موسى وراء الباب» . في هذا
القول غلط لم يصححه المحقق . والصواب : «واتفق لي وهو يحدثني بذلك» .
لأن الحديث كان بين جسد القنائي وبين داود بن الجراح في منزل موسى
ابن عبد الملك . وفي أول الخبر وبقيته دليل على ذلك .

في الصفحة ١٣٢ السطر ١١ :

« وجعلت اليازية تمض على شفاهم—، تظن أن قد هربت » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « ب : هويت » . وما في نسخة (ب) هو الصحيح . و (هربت) لا معنى لها هاهنا . و (هويت) معناها : هلكت ، وهو المقصود هاهنا .

في الصفحة ١٧٧ السطر ١٣ :

« ويحقق الأمر عنده كون الرجل وحده ... » . وفي الحاشية (٥) في ذيل الصفحة ما يشعر أن (يحقق) زيادة من نسخة (ب) ، وأنه كان فيها : « وتحقيق الأمر عنده لكون ... » . وما جاء في نسخة (ب) صحيح لا بأس به ، ولا نرى وجهاً لتغييره كما صنع المحقق .

في الصفحة ١٧٨ السطر ٨ — ٩ :

« قسم الله أجله وتبر عمره » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « تبره : أهلكه » . وفي ب : « بتر » . و (بتر) الواردة في نسخة (ب) ، وهي بمعنى قطع ، أصح وأجود هاهنا من (تبر) التي اختارها المحقق ، وأكثر انسجاماً مع (قسم) .

في الصفحة ٢١٥ السطر ٥ :

« وحدث عن ابن الزنفيلفي ... » . وفي الحاشية (٥) : « ع : الزنفيلفي » . وفيها تصحيف تصحيحه : الزنفيلقي ، أو الزنفيلقي نسبة إلى الزنفيلية أو الزنفيلة ، وهي فارسية معربة أصلها زَنْبِيلَة ، أي الزنبيل كما تقول العامة . (انظر نوادر أبي مسجل ٣٢٧ ، والمغرب ١٧٠) .

في الصفحة ٢٧٩ السطر ٢ :

« كان إسماعيل بن بلبل الوزير يفاوض المعتمد بالله في أمر ... » . الصواب : « المعتمد على الله » . وقد كانت في الأصل « المتضد بالله » .

فصوب المحقق كلمة (المعتضد) كما ذكر في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة ، ونسي تصويب كلمة (بالله) .

في الصفحة ٢٨٧ السطر ١٤ - ١٥ :

« وإنما يبقى لرب الضيعة صباية كصباية الإناء ، ومجة كمجة العرقوب » .
وقال المحقق في الحاشية (٦) في ذيل الصفحة تعليقا على كلمة (كمجة) :
« في الأصول : مجة ، ولعلها مجة ، ويقال : لم يبق في الإناء إلا مجة » .
وما جاء في الأصول هو الصحيح . وأصل هذا القول مثل من أمثال العرب معروف . جاء في لسان العرب (عرقب) : « وفي المثل : الشر الجأء إلى مخ العرقوب . وقالوا : شر ما أجاك إلى مجة عرقوب . يضرب هذا عند طلبك إلى النسيم ، أعطاك أم منعت » . وانظر أيضاً مجمع الأمثال ١/٣٥٨ ، وفيه : « والمعنى : ما أجاك إليها إلا شر ، أي فقر وفاقة » . وذلك أن العرقوب لا مخ له ، وإنما يحوّج إليه من لا يقدر على شيء » .
في الصفحة ٢٩١ السطر ١ - ٢ :

« ولا أزال على حالي حتى تأخذ بيما صحيحاً ، لا شرط فيه ولا خيار ولا مشنوية » . وقال المحقق في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة تعليقا على كلمة (مشنوية) : « كذا في الأصول » . وقوله هذا ينبغي بشكه في صحة هذه الكلمة . ولا داعي إلى هذا الشك ، لأن سياق الكلام صحيح ، والمعنى مستقيم . ومعنى قوله « ولا مشنوية » : أي لارد في هذا البيع (لسان العرب : ثني) . ومنه بيت النابغة الذبياني في قصيدته البائية في مدح عمرو بن الحارث الغساني المعروف بالأعرج :
حلفتُ يميناً غيرَ ذي مشنوية ولا عِبَ إلا حسنُ ظنِّ بصاحب

* * *

هذا وهناك أشياء أخر في الكتاب أقل شأناً مما ذكرنا آنفاً ، أعرضنا عن الإشارة إليها ، لأنها هنات صغيرة تدرك بأقل نظر .

الدكتور هزفة حسن

م (١٣)

آراء وأبناء

تأين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي^(١)

كانت الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٨ م موعداً لجلسة مجلس الجمع العلمية التي دعا إليها الدكتور طه حسين رئيس الجمع لتأين المنفور له الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس جمع اللغة العربية بدمشق ، وقد توفي في ١٤ من مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ م .

وقبل الموعد المحدد أقبل على دار الجمعية المصرية للاقتصاد السيامي والاحصاء والتشريع ، وهي المكان الذي تقرر عقد الجلسة فيه ، جملة من أساتذة الجامعات والعلماء والأدباء وأبناء الجمهورية السورية والبلاد العربية ، وعدد من فضليات السيدات وبمض أفراد أسرة الفقيد .

وكان في طليعة الحاضرين الدكتور حسني سبيع رئيس جمع اللغة العربية بدمشق والدكتور شكري فيصل عضو الجمع ، وقد حضرا من دمشق إلى القاهرة خاصة للمشاركة في حفل التأين .

ورأس الجلسة الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس الجمع نيابة عن الدكتور طه حسين رئيس الجمع المعتذر من التخلف لحالته الصحية ، وحضر الجلسة الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام ولفيف من الاعضاء .

(١) الكلمات التي أقيمت في الجلسة الخامسة للدروة الخامسة والثلاثين لجمع اللغة العربية في القاهرة في تأين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي .

وفي الموعد المحدد أعلن الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع افتتاح الجلسة وألقى كلمته في رثاء الفقيد ، ودعا بعدها الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع لالقاء كلمته ، ثم تلاه الدكتور حسني سبيح رئيس مجمع دمشق فألقى كلمته ، ثم تلاه الأستاذ عزيز أباطة عضو المجمع فألقى قصيدة رثاء ، ثم أعقبته السيدة ثريا حافظ فألقت كلمة الأمانة .

ثم قرأ الأستاذ شوقي أمين رئيس التحرير بالمجمع البرقية المرسلة من كريمي الفقيد بدمشق .

ثم أعلن الأستاذ زكي المهندس انتهاء الجلسة ، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة مساء والكلمات والبرقية جميعها مرافقة لهذا المحضر .



كلمة الأستاذ زكي المهندس

بسم الله الرحمن الرحيم

أقد كان السيد رئيس المجمع المذكور طه حسين يود أن يشاركنا في تأييد الفقيه العظيم والعالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي ، ولكن حالته الصحية اضطرته إلى الاعتكاف والاعتذار ، فباسمه وبإسم المجمع أحبيكم وأشكر لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأييد هذا الرجل العظيم ، وأخص بالنتيجة والشكر السيد رئيس مجمع دمشق ومن معه من الزملاء والأصدقاء الذين وفدوا إلينا لكي يمزجوا أحزانهم بأحزاننا ودموعهم بدموعنا في تأييد الزميل الراحل ، على أن الفجيرة في الشهابي ليست فجيرة بمجمع القاهرة وحده ولا بمجمع دمشق وحده ولكنها فجيرة الأمة العربية بأسرها ، وفجيرة العلم والعلماء في كل قطر عربي .

نحن إذ نبكيه الليلة لا نبكي فيه رئيساً لمجمع أو زميلاً سابقاً في مجمع القاهرة وحسب ، وإنما نبكي فيه رجلاً عظيماً وعالماً جليلاً ، وعربياً أصيلاً من رجال الرعيل الأول الذين يفخر الوطن العربي ويمتز بأسمائهم وتاريخهم .

حقاً أيها السادة لقد فقد العالم العربي في الشهابي ثروة علمية ضخمة ليس من السهل أن تعوض ، أما خسارة الجمعيتين فيه فخسارة فادحة ، فقد كان رحمه الله قوة علمية يوثق بها ويعتمد عليها ، وكم من مسألة علمية أو لغوية عرض لها المجمع في مؤتمراته فكانت للفقيه فيها جولة تتم عن غزارة علم وسعة اطلاع وإحاطة تامة بأصول اللغة ، حتى في الشهور التي يغيب عنا فيها كان دائماً حاضراً معنا بمذكراته التي كان يرسلها الى المجمع حافلة بالتعليقات والمقترحات والتوجيهات النافعة المفيدة .

ولعل الشهابي يعد من طليعة هؤلاء العلماء القلائل الذين استطاعوا أن يوائموا بين القديم والجديد ، وأن يطوعوا اللغة للتعبير عن المصطلح العلمي الحديث ، وعهدنا بكثير من العلماء الطبيعيين أن يضعوا المصطلحات من غير أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث في اللغة ، أو العناية بدراسة تراثنا العلمي العربي القديم للاستفادة منه ، ولكن الشهابي كان على خلاف ذلك ، كان كثير البحث في اللغة العربية قواعدھا وأصولھا وطرق الاشتقاق فيها ، كما كان معنياً كل العناية بدراسة ما وضعه العلماء القدامى من أسماء ومصطلحات ، يفيد من هذا كله في وضع المصطلحات العلمية حتى كتب عنه (أمين المولوف) فقال : لم يكتب في الزراعة منذ صدر الإسلام بلغة أنقى وأصلح من لغة الشهابي . وكان الفقيد إلى جانب علمه وكفايته مثلاً للأخلاق العالية ، كانت له شخصية جذابة ساحرة ، تؤثر فيمن حوله وتحملهم على إجلالها واحترامها . كان هادئ الطبع كريم النفس عف اللسان . عامراً قلبه بالمعاطف الإنسانية الكريمة ، كان بدلي بآرائه في تواضع العلماء ويحترم آراء غيره وإن كانت مخالفة لآرائه .

لقد زاملناه في المجمع أكثر من خمسة عشر عاماً . ولم أذكر أني رأيته يوماً غاضباً من أحد ، أو ساخطاً على أحد ، بل كان محبباً للجميع محبوباً من الجميع . رحم الله الشهابي رحمة واسعة وجزاه عما قدم للعلم واللغة بخير ما يجزي به عباده المخلصين العاملين .

أما الآن أثبتا السيدات والسادة فسيتولى تأيين الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع ، ويليهِ السيد رئيس مجمع دمشق الأستاذ الدكتور حسني مبيح ويليها الزميل الشاعر الأستاذ محمد عزيز أباطة عضو المجمع فيلقني قصيدة في رثاء الزميل الراحل وبعد هذا كله تلقني السيدة ثريا الحافظ كلمة الأسرة ثم تتلى برقية كريمي الفقيد إلى المجمع من دمشق .



كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيعه في غفران زلاتي
أيها السادة الكرام أيها الزملاء الخالدون :

كأنني بفقيدنا العظيم الخالد ، قد تلخص حياته وجهاده في خدمة اللغة العربية في هذا البيت الرقيق من الشعر ، الذي نظمته ، وأوصى أن يكتب على قبره ، وحقاً لقد كانت حياته متميزة بطابع الجهد المني ، الذي يبذله راضياً ، في خدمة اللغة العربية وتطويعها للعلوم المصرية ، تقدم صفوف حماة الفصحى ، الذابين عن حياضها ، النافحين عن حوزتها ، الداعين إلى جعلها لغة العلم الحديث في مختلف فروع وفنونه .

عرفت الأمير مصطفى الشهابي ، في أروقة مجتمعا الموقر ، منذ نحو ربع قرن من الزمان ومنذ ذلك التاريخ ، وقد اتصلت بنا الأسباب ، وكانت آصرة الحماس للغة العربية ، والغيرة الشديدة عليها ، والحفاظ على سلامتها وبذل الجهد لجعلها لغة العلم ، بترجمة المصطلحات العلمية . أمضى آصرة وأقواها . ومنذئذ وقد اتخذت منه في هذا المجال معلماً وإماماً . ولعل الكثيرين منكم يذكرون ، ما كان يدور بيننا من نقاش حول هذا المصطلح أو ذلك ، وأشهد أنني كثيراً ما كنت أسلم بنصاعة حجته ، وقوة عارضته ، وسعة اطلاعه فأناقاد للحق الذي يدافع عنه ويقنع به ، ويكون أغلب الأمر في جانبه ، فلم يكن يرضيه أن نلتزم بأصطلاح استعمله أصحاب الصنعة خمسين عاماً مادام غير مطابق أو غير سليم ، فنأخذ بالتصحيح الذي يرضي اللغة ويرضيه ، ونترك ماشاع على ألسنة الدارسين ، وندعو إلى التزامهم به ، وكان في حرصه على ذلك يدعو إلى استعمال السلطان في نشر ما يقره

المجمعيون من مصطلحات وكنت أرجوه أحياناً أن نترك إلى سلطان الذوق والاستعمال والقدوة الحسنة ، وأنه لا مجال في موضوع المصطلحات العلمية ، إلى تطبيق القول بأن « ما زرع الله بالسلطان أشد مما يزرع بالقرآن » .

وكان يقول ان توحيد هذه المصطلحات ، لا يتم ، كما يفهم الكثيرون ، بمقدد المؤتمرات والندوات أو صنع معجمات من لدن هيئة أو مؤتمر ، وإن أفاد ذلك جزئياً ، ولكن الرسالة أسمى من ذلك وأجل من أن يتطلع إليها فرد أو طائفة ، إذ يجب أن ينظر إلى هذا التوحيد على أنه عمل قومي كبير ، يهم البلاد العربية كلها ، ويستوعب الكثير من الجهد والوقت والمال وقد قدر لهذا العمل منذ ثلاث عشرة سنة ، مبلغ مائة ألف جنيه ، وحسب الزمن الذي يستغرقه بستين شهراً . غير أنه عاد أخيراً ، فضاء عف المبلغ إلى مائتي ألف وأما الوقت فقد قال انه يستطيل بالحساب على الستين شهراً الذي سبق له تقديرها . ويرى في معنى توحيد المصطلحات أن يكون في كل الأقطار العربية « معجم فرنسي عربي » و « معجم انجليزي عربي على الأقل » لتلك المصطلحات ، تعرف فيه الأنفاظ بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً ، يناسب حجم المعجم ، على أن يشتمل المعجم على أصح الأنفاظ العربية أو أرجحها ، على أن تأخذ الحكومات العربية نفسها باستعمال الفاظه دون غيرها في وزاراتها ، ودوائرها وجامعاتها ومدارسها . وأن تصنيف المعجم يحتاج قبل كل شيء إلى أداة تميز المصطلحات بعضها من بعض ، وترجع بعضها على بعض وتستقر على الأصح والأصلح ، وتغضي على طريق واحدة ، ومن رأيه أن يجمعنا الوقر ، هو الأولى والأقدر على وضع هذا المعجم ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا العبء دون تأزر ومساندة من جامعة الدول العربية والعلماء والأدباء العرب ، الذين عرفوا بوضع المصطلحات العربية وتحقيقها ، كل في دائرة اختصاصه وحدود ثقافته ، ورسم منهاج العمل ،

بأن تؤلف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة تسمى لجنة معجم المصطلحات العلمية ، يكون لها شخصيتها الاعتبارية واستقلالها المالي والإداري ، وأن يخصص مجلس جامعة الدول العربية المال الذي يقدر لتصنيف المعجم ، ويأذن للجنة المذكورة أن تصرف في انفاقه بمراقبة أمين الجامعة ورئيس المجمع ، وتتصل اللجنة بالمتخصصين بالمصطلحات في الأقطار العربية ، وتتطلب منهم ، وضع قوائم مصطلحات أعجمية عربية ، ضمن اختصاصهم لقاء مكافآت مجزية ، وتضع اللجنة من هذه المصطلحات والقوائم « معجم المصطلحات العلمية » وتعرضه على مجلس مجمع اللغة العربية ، فيقر ألفاظه ويناقشها في حضرة واضعها من متخصصي الأقطار العربية ، لقاء مكافآت مجزية ، ثم يطبع مجمع القاهرة المعجم ، ويوزع نسخه على دول الأقطار العربية . وتبقى لجنة المعجم قائمة على عملها في مجمع القاهرة ، لإضافة ما يجد من المصطلحات ، وإعادة طبع المعجم وتوزيعه . . . ثم يردد رحمت الله عليه قول الشاعر :

‘مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ النَّاسِ وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا
ثُمَّ يَرِدُ قَوْلُ شَاعِرٍ آخَرَ :

إِكْذِيبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنْ صَدَقَ النَّفْسُ يُزِيرِي بِالْأَمَلِ

وفي الواقع لقد كانت الخطوات العملية ، هي نفسها التي رسمها فقيدنا الراحل ، فيما عدا رصد المال اللازم ، عندما أخذت وزارة البحث العلمي على عاتقها وضع المعجم العلمي العربي الموحد مستفيدة من خبرات المتخصصين مما وضعت به الجامعات والهيئات والأفراد من قوائم ومعاجم إلا أنها لم تجد بنسباً تخفص فيه من نفقاتها إلا البند الخاص بهذا المعجم ، فأوقفت العمل فيه ، بمد سنتين من الجهد المتصل من الخبراء والمتخصصين لم تزد النفقات على بضعة آلاف ، ونيفت المصطلحات التي روجعت ونسقت ووضعت لها الجذاذات على الثلاثين ألفاً وقد كان رحمه الله متفائلاً بهذه اللجان التي ضمت ثلاثة وثلاثين عالماً

نحو نصفهم من أعضاء المجمع وخبرائه المختصين . وكانت تعمل جاهدة لتنفيذ قرار المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي عقد في بغداد سنة ست وستين وتسمائة وألف .

ولم تكن حماسة فقيدنا لغة العربية ، واستعمالها لغة للتدريس في الجامعات ، والتهوض بها لتكون لغة العلم الحديث في مختلف فروعها ، لم يكن حماسة الفائق المتقد لينسيه أهمية التعمق في دراسة اللغات الأجنبية ، لتابعة المسائل العلمية بلغاتها الأصلية ووضع لذلك أربع وسائل لا بد من اتباعها ، للتهوض باللغة العربية ، وجعلها مسارية لكل تقدم علمي ، وهذه الوسائل الأربع هي : أولاً — إنقان تدريس لغة أجنبية حيصة كالفرنسية أو الانجليزية في المدارس الثانوية .

ثانياً -- تدرس تلك اللغة في الكليات الجامعية .

ثالثاً — جلب أساتذة أجنب ، يلقون دروساً ومحاضرات باللغة الأجنبية .

رابعاً — ذكر الألفاظ العلمية في أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الألفاظ مشتركة بين اللغات الحية .

ويقول انه يعتقد أن هذه الوسائل الأربع أو هذه التكافلات — على حد تعبيره — يستطيع الطالب الذي يدرس بالعربية في كليات الجامعة ، أن يوسع بعدئذ معلوماته ويختص في معاهد الاختصاص في البلاد العربية ، ويتابع البحوث العلمية في المجالات الأجنبية المتخصصة .

ويقول اننا نحن العرب ، لانستطيع التخلي عن لغتنا ، ولا عن تراثنا العلمي والأدبي الكبير ، ونحن جادون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، فتممكن بذلك من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية وهو موقف بأننا سنبلغ بإذن الله ما نريد .

لقد كان الأمير الشهابي محجة أولى العلم ، ينهلون من موره العذب ، ويجدون لديه ما طاب من حديث في دقائق العلم ، مزوجاً بالفكاهة الحلوة ، والسمر العذب ، وكان حفيماً باللغة العربية حفيظاً عليها ، وكانت عصبية اللغة العربية ، عصبية كريمة قادرة ، لأنه ذو دراية واسعة بأسرار اللغة العربية ، ويقول أمين الملوفاً عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية ، « ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الإسلام » .

ولا ينسى له الجمهور عامة ، والمشتغلون بعلوم الحياة خاصة ، تلك القواعد التي وضعها الفقيه لترجمة أسماء الأجناس والأنواع للمواليد والأعيان والتي أقرها الجمع منذ سنين وشاعت وزادت بين المشتغلين بالصناعة ، وغدوا يترسمونها في أعمالهم العلمية ومؤلفاتهم ودراساتهم المختلفة ، بالإضافة إلى ما وضعه من أسماء لحلقات التصنيف العليا والدنيا من نحو العالم والأمة والطائفة والرتبة والقبيلة والفصيلة والجنس والنوع والصنف أو الضرب والسلالة وما اتخذ من قاعدة للتصغير في الحلقات الوسطى ، بين كل حلقة وأخرى . ومن تعريب لاسم الجنس ، وترجمة لاسم النوع إن دل على صفة معينة ، أو تعريبه إن دل على اسم علم . ولا مرأى في أن الأمير مصطفى الشهابي من أعظم علماء الزراعة في العصر الحاضر ، ولا يختلف اثنان في أن الأمير هو علامة العربية الأواحد في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده ، كان الباحث الدقيق ، يتحرى أصلح الألفاظ في المعاجم العربية ، وفي كتب النبات والحيوان القديمة ، قام بهذا العمل المضي خير قيام ، وحقق فيه عدداً كبيراً من المصطلحات العربية وضعها أمام المصطلحات الأجنبية ووضع لأسماء النباتات الأجنبية أسماء عربية أو معربة بطريقته الخاصة . وهي الرجوع إلى أصول الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات . وترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام . وغدا الشهابي معروفاً في البلاد العربية

كافة بأنه أحد العلماء الذين أغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وأنه من أوسعهم اطلاعاً على طرائق وضع المصطلحات ، واعترف له كثير من أعضاء المجامع العلمية واللغوية وأساتذة الجامعات بأن كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، هو أنصع دليل وأوفى مرجع يرشد العلماء العرب إلى أصلح السبل التي تتبع في وضع المصطلحات العلمية بلغتنا العربية .

نسبه ونشأته وما تولى من وظائف وتقلد من أعمال :

وهو الأمير مصطفى بن الأمير محمد سميد ، بن الأمير جبهجاه بن الأمير حسين الشهابي ، من أمراء بني شهاب القرشيين الحزوميين الذين دخلوا الشام في الفتح الإسلامي بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، وحكموا في حوران سنة ٥٦٨ هـ ، أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، ثم حكموا وادي التيم بلبنان حتى سنة ١٨٧٠ م وقد ولد في أول نوفمبر سنة ١٨٩٣ في حاصبيا مقر بني شهاب في وادي التيم ، ودرس في المدارس السورية ثم في الآستانة ، ثم في فرنسا حيث تخرج سنة ١٩١٤ حاصلاً على درجة عالية في العلوم الزراعية ، وكان يتقن العربية والفرنسية والتركية ويلم بالانجليزية وبعده عارفوه من أكثر الناس جلدًا على المطامنة والتأليف والمحاضرة .

وقد تقلد عدة مناصب عالية في الدولة ، كما تقلد الوزارة أربع مرات

على النحو الآتي :

١ — مدير الزراعة والحراج سنة ١٩١٨ — سنة ١٩٢٣ .

٢ — مدير الأملاك ١٩٢٣ — ١٩٣٤ .

٣ — مدير الاقتصاد الوطني ١٩٣٥ .

٤ — وزير المعارف ١٩٣٦ .

٥ — محافظ حلب ١٩٣٧ — ١٩٣٩ .

- ٦ - وزير المالية ووزير دولة ١٩٤٢ .
- ٧ - محافظ اللاذقية ١٩٤٢ - ١٩٤٥ .
- ٨ - أمين رئاسة الوزراء ١٩٤٥ .
- ٩ - محافظ حلب مرة أخرى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ .
- ١٠ - محافظ اللاذقية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .
- ١١ - وزير العدل ١٩٤٩ .
- ١٢ - وزير مفوض ثم سفير سورية في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٤ .

وله في مناصب الدولة أعمال عمرانية كثيرة ، منها توزيع أملاك الدولة على الفلاحين لايجاد ملكيات صغيرة ، وتشيد دار الكتب الوطنية في حلب ، ودار الكتب الوطنية في اللاذقية ، وهو من الرعيل الأول من العاملين في القضية العربية ، وكان عضواً في جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد ، وكان أحد أعضاء وفد المعاهدة بين سورية وفرنسا سنة ١٩٣٦ ، وكان عندئذ وزيراً للمعارف .

وقد انتخب سنة ١٩٢٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وفي سنة ١٩٤٨ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع اللغة العربية في مصر ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه ، وفي سنة ١٩٦١ انتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً مراسلاً ، وانتخب عدة مرات عضواً في مجلس المعارف الأعلى في سورية ، وفي مجلس إدارة المتاحف والآثار ، وفي جمعيات علمية وأدبية مختلفة ، وعين عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق ، وممثل جامعة الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسات الاجتماعية .

وفي سنة ١٩٥٣ انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيساً للجنة المواصلات الدائمة وفي سنة ١٩٥٦ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق بالإجماع نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات ، وفي سنة ١٩٥٩ انتخب

بالإجماع رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق خلفاً للمرحوم خليل مردم بك ، فكان الرئيس الثالث لذلك المجمع وجدد انتخابه لرئاسة مجمع دمشق سنة ١٩٦٣ ، ومنح جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٥ وهي أول جائزة تقديرية تمنحها الدولة السورية .

وفي سنة ١٩٦٤ انتخبته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية بلندن عضواً مشاركاً لمجلس هذه الدائرة .

وقد منحته الدولة السورية وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، كما منحته الحكومة المصرية الوسام الأكبر من وسام النيل ، عندما كان سفير الحكومة السورية في مصر .

وقد عكف الأمير الشهابي على دراسة قواعد اللغة العربية ، وكتب اللغة وآدابها وأخذ يكتب في أمم الجرائد والمجلات العربية مقالات وبحوثاً ، يمدّها المعارفون من خالص الأدب الرفيع ، على أن الناحية العلمية واللغوية طغت فيه على الناحية الأدبية ، ولذلك فإنه يعد بحق في عداد العلماء وكبار المفكرين وقد أمضى سنين عديدة في دراسة نباتات سورية وحشراتا واقتصادياتها واستطاع أن يطن العلوم الزراعية الحديثة في أعماله الحكومية أو في مؤلفاته الزراعية ، وقد اشتهر بتحريره لأصلح الألفاظ في المعاجم العربية ونشر كثيراً من إنتاجه في مجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة المجمع اللغوي بالقاهرة وفي مجلات المقتطف والهلل وغيرها .

مؤلفاته :

ليس من اليسير التعريف بما كتب الأمير الشهابي من مؤلفات ومقالات ووسائل ، فذلك في الواقع يحتاج إلى دراسة خاصة ، وكم أود بهذا المناسبة أن أعرض على الجمعيتين أن يعملوا على دراسة أعمال الأعضاء والتعريف

بها . وإني لأشير هنا إلى أم تآليف فقيدها ، تاركاً الدراسة المتخصصة إلى فرصة أوسع ووقت أرحب .

كتاب الزراعة العلمية الحديثة ويبحث في الأتربة والأعمال الزراعية والري والصرف والأسمدة والدورة الزراعية وزراعة الحبوب والقطافى وبعض البقول ونباتات الكلال والنباتات اللينة والدهنية والصيفية .

وكتاب الأشجار والأنجم المثمرة ، يتناول دراسة ثلاثين نوعاً من أشجار الفواكه وجنبتها وأنجمها كالزيتون والكرم والبرتقال .

وكتاب البقول ، ويبحث زراعة أهم الخضروات وعددها خمسون .

وله كتاب في الدواجن وكتاب الدفاتر الزراعية .

ويعتبر معجم الألفاظ الزراعية ، وهو معجم فرنسي عربي لألفاظ العلوم الزراعية الحديثة كالزراعة العامة وزراعة البساتين وعلم الحراج وتربية الخيل والماشية والنحل والسمك والطير الأهلية وماله صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات وآلات وصناعات واقتصاديات . ويعتبر هذا المعجم من أعظم مؤلفاته يضم نحو عشرة آلاف مصطلح ، وضع المؤلف أمام المصطلح الأجنبي أصلح الكلم العربية وعرف كثيراً منها تعريفاً علمياً موجزاً ، ثم كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ومعجم المصطلحات الحراجية بالانجليزية والفرنسية والعربية وكتاب أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية يشتمل على تصويب نحو مائتي خطأ من الأخطاء الشائعة ، في هذا المجال ، وكتاب الشذرات ويشتمل على جانب مختار من بحوثه ومحاضراته ومقالاته العلمية والأدبية والفلسفية والقومية .

كما شارك الأمير الشهابي في وضع وتحقيق ألفاظ المعجم العسكري الذي أصدره الجيش بدمشق وكان رئيس اللجنة التي نقلت ألفاظ المعجم إلى العربية

كما أشرف على ترجمة كتاب تطور الزراعة في الشرق الأوسط لمؤلفه الدكتور دكين ، إلى اللغة العربية .

أما بحوثه ودراساته ومقالاته فهي أكثر من أن يشار إليها ؛ منها نظرة في كتاب البلاغة الأندلسية لابن العوام ، وأسماء نباتات مشجرة ومصطلحات جيولوجية وأسماء الفصائل النباتية ، وجملة المصطلحات النباتية ومدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد ، وتأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوربية . وقد نشر الكثير من هذه البحوث في مجلة المقتطف ، وأعمال المجمع العلمي العربي بدمشق ، والهلل والرسالة والثقافة وغيرها .

حياته وآراءه العامة :

وقد عاش الأمير الشهابي حياته عيشة هادئة منتظمة ، وكانت أعماله الحكومية مرهقة أغلب الأمر ومع ذلك فقد كان يجد متسعاً من الوقت للمطالعة والتأليف وإلقاء المحاضرات ومتابعة الحركة القومية والاستقلالية في سورية والبلاد العربية ، وكان يقول إنه إذا عاش المرء عيشة منتظمة ، استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم على الأقل ، وذلك مما تكن مهنته المعاشية شاقة : وكذلك استطاع الأمير الشهابي أن يشارك مشاركة فعالة في أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق وأن ينشر في مجلته بحوثاً علمية وأدبية ، وأن يضيف إلى لغة الضاد مئات من المصطلحات العلمية ، وأن يؤلف كتباً زراعية فيها دراسات خاصة كثيرة ، وممهماً فرنسياً عربياً هو نسيج وحده في مصطلحات العلوم الزراعية والاحيائية والمواليد الثلاثة واستطاع كذلك أن يشارك مشاركة فعالة خصبة في أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد جاء إلى القاهرة عدة مرات ، وفي كل سفرة تكون محاضراته في النوادي ومقالاته في الجلات والجرائد زينة لهذه

وتلك وكان في مقالاته العامة متابعاً للحركات العلمية والأدبية وداعية إلى القومية العربية وتضامن الدول العربية واتحادها وقد نال بذلك شهرة في مصر تعدل شهرته في سورية . كذلك رحل إلى بغداد عدة مرات بدعوة من وزارة المعارف العراقية حيث ألقى عدداً من المحاضرات العامة فيما هو بسبيله من نشر للمعرفة في أرفع صورها ثم عرفته أثناء القاهرة مرة أخرى منذ انتخب عضواً مراسلاً ثم عضواً عاماً في مجمعنا . وإذا بصوته الجمهوري يجلجل في ردهاته ومجالسه مدافعاً لا يلين عن قضية يرى فيها الحق أو الصواب فلا يجانبه أبداً ويعتبر الأمير الشهابي من أقدم الدعاة إلى إنشاء جامعة الدول العربية . وأن تسير الدول العربية تدريجياً نحو الاتحاد فالوحدة وقد كتب في ذلك قبل إنشاء الجامعة العربية ببضع عشرة سنة .

وكان يقول ان نهضتنا الحديثة يجب أن تؤسس على القومية العربية ، وان تشمل العرب والمستعربين ، وأن العربي في رأيه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً .

وكان من رأيه أن الحكم البرلماني مظهر من مظاهر الاستقلال وعنوان لسيادة الأمة ومن الخير أن تقبل الحكم الديمقراطي والحياة النيابية ، بشرط أن نضمن انتخاب شيوخ ونواب مثقفين عارفين بواجباتهم يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الفردية . وكان عدواً للاستعمار والمستعربين ، ويرى أن معظم الحروب الحديثة من جنائياتهم ، وألف كتاب الاستعمار ، لدحض نظرياتهم ، وبيان أضرارهم في المجتمع البشري .

وكذلك كان الأمير الشهابي من الداعين إلى القومية الوثيقة ، ووجوب حصر جهودنا في نطاقنا العربي خدمة للإنسانية كلها ، وليس من رأيه تفكيك عرى القومية عندنا بفكرة الدعوة إلى الإنسانية الشاملة مادام الغربيون الأقوياء يربون أبناءهم ويسيروا في معاملتهم للشعوب النامية على مبادئ

القومية المتطرفة ، بل والعنصرية أحياناً ، وعلى قواعد الاثرة والاستعمار وعلى ذلك فمن رأيه أن مثالية النظرة الإنسانية لا تناسب شعوبنا التي قصارها الدافع عن كيانها واستقلالها . وقد لخص رأيه في كتابة القومية العربية بقوله « ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهباً محدوداً ، قوامه الأثرة والتعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بغاضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو إلى محبة الإنسانية وخير البشرية ، وحق كل شعب في تقرير مصيره . وقد دعا الأمير الشهابي وعمل جاهداً على نشر التعليم العام والتعليم الفني خاصة ، وتعليم المرأة ، ورفع الحجاب ، مع الاحتفاظ بعاداتنا العربية والتعصب لثقافتنا وعاداتنا وثقافتنا ، واقتباس العلوم والمخترعات الحديثة والسير في جميع أعمالنا على الأسلوب العلمي القويم ، وكان يسفه في مقالاته ومحاضراته الذين لا يأخذون من المدينة الأوربية إلا قشورها دون لبابها .

ولا مرأ في أن الأمير الشهابي من أعظم المثقفين العرب في هذا العصر ، ومن أغزرهم اطلاعاً على العلوم قديمها وحديثها ومن أكثر رجالات العصر الحاضر تجارب في الحكم والوزارة والسياسة وتدل كتاباته على أنه مطبوع على الأدب ، قرأ أمهات الكتب الأدبية قراءة دراسة وتدبر ، كما قرأ في إمعان كتب أكبر الأدباء الفرنسيين ، ولذلك فإنه يعد مشال المثقفين بالثقافتين العربية والاوربية وقد اتسمت كتاباته بالأدب الرفيع ، وعد من الكتاب المبرزين كما اشتهر بأنه من أفصح الكتاب وأقدرهم على معالجة الموضوعات العلمية بالأسلوب العلمي السهل الواضح فهو بلا شك أحد علمائنا الأدباء أو أدبائنا العلماء فقد جمع بين العلم والأدب ، ولذلك سماه شاعر القطرين العالم الأديب ، وقالت عنه الأنسة « مي » إنها ما استمعت مرة إلى بحثه

ودراسته العلمية والأدبية والفلسفية إلا وتمثلت لها «وحدة الوجود» ولا شك أن الذي يطلع على كتابه الشذرات يجب لبراعته في تناول موضوعات فلسفية علمية دقيقة وقال فيه خليل مطران بمناسبة إصدار الأمير معجمه :

يا أميراً أهدي إلى لغة الضاد كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان رجاء حقيقته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا بجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثره في نفع هذا الحمى وفي رفع شأنه

ويقول عنه شكيب أرسلان «انه لأمر العلماء حقاً ، وعالم الأمراء فعلاً ، واني مع شيخوختي هذه لراض أن أنصوي تحت لوائه ، كما أنصوي شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة .

أما جلسات مجمعنا ومؤتمراته . فلها حافظه بمبارات التقدير والثناء والشكر الأمير الشهابي على ما يقدمه من بحوث ودراسات ، وفي ذلك يقول السيد رئيس المجمع في إحدى الجلسات «إني لأعترف بأن كل ما قدمه الأمير للمجمع وشارك فيه كان خصباً دائماً ونافعاً دائماً ، واني لأكرر له الشكر مع أني أعلم ان السيد الأمير لا يحب الشكر والثناء .

وأجمل القول إن فقيدنا العظيم عالم زراعي ألف في العلوم الزراعية كتباً ثمينة قيمة تمد من أصلح الكتب من نوعها وباحث أضاف إلى لغة الضاد عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية وكان مفكر له أثره العظيم في النهضة العلمية والأدبية ، ورجل دولة ، خدم سورية ، خدمات عظيمة في الوزارات والمناصب الكبرى التي وليها ، ووطني عظيم في القضية العربية ، ونشر فكرة القومية العربية ومن الرواد الذين عملوا للاستقلال والوحدة ، ومن

الذين أثروا اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، وعملوا على نموها والحفاظ على سلامتها وجعلها للغة العلم . ظل يعمل في هذا المجال زهاء نصف قرن من الزمان ، يزيد في إثرائها لتواكب ركب الحضارة ، حتى قضى وهو يحمل لواء العلم في الرابع عشر من مايو ١٩٦٨ بعد أيام من كتابة مقال لـ *مجلة الجمع العلمي العربي* بدمشق ، وآخر لـ *مجلة مجعنا* عن رأيه في النسبة للكيمياء ، ومن رئاسة آخر جلسة للـ *مجمع العلمي العربي* بدمشق ، فقدنا فيه عالماً غزير المعرفة ، مترفعاً عن الدنيا ، وسفاسف الأمور ، فيه تواضع العطاء ، وعظمة العلماء ومع وداعته قوي الشكيمة لا يعرف هواده إزاء من يزيغ الحق أو يجافي الاستقامة .

أيها السادة الكرام — أيها الزملاء الخالدون :

لست في حاجة إلى أن أحدثكم عن خلود العلماء في أعمالهم ، وفقيدينا العظيم مثال فريد في الخالدين ، الذين عبروا جسر الحياة في ثقة وإخلاص ، في جد وأدب ، وصبر ومصابرة ، مما يعد مثلاً يحتذى وكأنما أراد لشدة إيمانه ، بحقيقة الموت ، أن يضيء طريق الخلود خلفائه حتى لا يضلوا من بعده أبداً . فكانت هذه الحياة الجادة الخصبة النافعة ، وكذلك هم العلماء يشترتون خلودهم ، بما يقدمون من أعمال ، وما يتركون من نتاج قرائحهم وثمرات أفكارهم . . . وهم أشد الناس إيماناً بأن الموت غاية كل حي ، وإن كل نفس ذائقة الموت ، وأنه « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

ولكأنني بفقيدينا العظيم ، بعيد مسيرة نقر كريم من العلماء العرب القدامى من أمثال ابن الهيثم والبيروني والبغدادى الذين كانوا يستعلون بعلمهم ، ويزهّدون

في الترف والسلطان ، ويعزفون عن الدنيا والصغار . . . فقال ابن الهيثم قولته المشهورة عندما رد لأحد الأمراء ما كان قد دفعه أجراً لتعليمه ، قائلاً : « خذ أموالك بأسرها فلا حاجة بي إليها ، ولعلك أحوج إليها مني عندما تعود إلى ملكك ومسقط رأسك ، يكفيني قوت يوم ، ورد البيروني للسلطان ما أرسله من جمال تنوء بأحمالها من نقود الفضة قائلاً : إنه إن شاء يخدم العلم للعالم ، كذلك فعل البغدادى أيام صلاح الدين الأيوبي حين قال إن العالم الحق يُسمى إليه وإذا اشتهر المرء بعلمه وخلقه سُمي إليه ، وأتمته الدنيا صاغرة ومرضه ودينه مصون .

ذلك هو فقيدنا العظيم واحد من هذه العصابة الكريمة الخالدة من العلماء أعترف بعجزى عن إيفائه حقه من التأيين الكريم ، وإن هذه الدراسة المجلى قاصرة عن الإحاطة بأعماله والتعريف بنتاجه الفكري والعلمي والأدبي وإني لأستشعر ضآلة ما قدمت بالنسبة لما كان مقررأ أن يقدمه أستاذنا الزميل الكبير المرحوم الأستاذ الزيات ، الذي كان قد اختاره الجميع لإلقاء كلمة التأيين ، ولكن يد القدر كانت أسرع إليه ففقد بجمعنا عالين من أعلامه في أقل من شهر من الزمان . فواها للمجمعيين مما يرزأهم به القدر حينأ بعد آخر ، وإذا كانت قلوب الأصدقاء قبوراً حية لأصدقائهم الذين يختارهم الله فوالهني على قلوب الجمعيين من احتمال فقد هذه العصابة الكريمة من أولي العزم من الأصدقاء العلماء الخالدين .

نسأل الله أن يلهمنا جميعاً الصبر ، وأن يعوض أمة العرب خيراً .
والسلام عليكم ورحمة الله

الدكتور عبد الحليم منتصر



فقيدها المجمعين : الأمير مصطفى الشهابي

كلمة الدكتور منسي سبع رئيس مجمع اللغة العربية

إني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أتقدم بالشكر الجزيل إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة لإقامة هذا الحفل التأييدي ، إحياء لذكرى فقيد المروبة ولغة الضاد المرحوم الأمير مصطفى الشهابي نعمة الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وأحسن عزاءنا به جميعاً .

وبعد ، فإنه لما يحز في النفس ويدعو إلى بالغ الأسى ، أن يقف المرء هذا الموقف الحزين لبرثي صديقاً وفيّاً له وزميلاً كريماً عليه ، أبلى أحسن البلاد في إعلاء شأن أمة وتوطيد دعائم وحدتها . وبذل أقصى الجهد في خدمة لغة القرآن الكريم وإغنائها ، وأنفق العمر كله يعمل على إمدادها بالكثير من المصطلحات العلمية حتى تكون هذه اللغة مواكبة للعصر الحضاري الذي نعيش فيه ، غير مقصرة عنه ومتهياة لتواكب العصور الحضارية التي يستقبلها العالم .

لقد ربطتني بهذا الصديق الوفي والزميل الكريم أوثق الروابط منذ عهد بعيد ، فكان لزاماً عليّ أن أقوم هذا المقام في أداء الواجب نحوه وإيفاء ذكراه حقها من التمجيد والتقدير فأتحدث إليكم عن أطراف من معرفتي به طيلة هذه السنين المتصلات التي زاملته فيها وأخبرته بحكم ما كان من عملي في الجامعة والمجمع وما كان من عمله في الوزارات التي وليها والمجمع الذي آلت رياسته إليه .

وبعذرني الزملاء المجمعيون والايخوان المستمعون شهود هذا الحفل إذا أنا تجاوزت المآثر الكثيرة لفقيه المجمعين ، فقد كفاني هذه المؤونة زميلي

الدكتور عدنان الخطيب بالكتاب الذي أصدره باسم مجمع اللغة العربية في دمشق إحياءاً للذكرى رئيسه المرحوم . فقد ترجم له ترجمة حافلة معدداً ما قام به من جلائل الأعمال وما تركه من خلد الآثار ، وما دبحه من بارع المقالات والمؤلفات وما ألقاه من محاضرات وما أوسد إليه من مناصب رفيعة في الدولة ، فأوفى بذلك الرئيس الراحل حقه ولم يترك زيادة لمستزيد .

لقد كانت أولى معرفتي بفقيدنا الراحل عن طريق ما كان يكتبه من مقالات علمية ولغوية وأدبية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجلة المقتطف في القاهرة ، وكانت كلها تشهد له بالمكان الرفيع الذي ارتقى إليه علماً ولغة وأدباً ، ولم يتح لي أن ألتقي به وجهاً لوجه إلا سنة ١٩٣٦ عندما كان وزيراً لمارف الدولة السورية ، فقد استدعاني إلى مكتبه في قصر الحكومة مستفسراً عن بعض أمور الجامعة وكلية الطب خاصة ، فأكبرت فيه حسن اطلاعه مع حداثة عهد ، الكثير من الأمور الفنية الجامعية وسير التدريس فيها ، ثم كان لقائي الثاني سنة ١٩٤٣ عندما كان وزيراً للمالية وكنت رئيساً للجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) وذلك للبحث في موازنة الجامعة ، فسرني أن رأيت فيه طرازاً جديداً من القيمين على بيت المال غير الذين وصفهم المرحوم فارس الخوري في كتابه (علم المالية) نقلاً عن أحد علماء الغرب بقوله : على رب المال أن يكون فظاً غليظ القلب صدهاً . إذ أبدى تفهماً عميقاً لحاجات الجامعة وما ينبغي أن تزود به من مال كي تؤدي رسالتها على أحسن وجه . وتعدد اللقاء بعدئذ وتوثقت الصلات إلى أن كان أحد الزكيين لترشيحي وانتخابي عضواً في المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦ وسرعان ما أتبع ذلك باقتراح انتخابي في معجمكم الموقر عضواً مراسلاً سنة ١٩٦٥ .

ورافقته مرة في السفر من دمشق إلى بيروت لشهود أحد المهرجانات الأدبية فيها فلم أشعر بطول الطريق بما أمتعي به من عذب الحديث كان ينتقل فيه في فنون الأدب والشعر والعلم . . . وحين أطل علينا جبل حرمون الذي يعرف بجبل الشيخ راودته ذكريات صباه لأن بلدة حاصبيا ، وهي مسقط رأسه ، تقع في السفح الغربي من الجبل المذكور فانطلق يردد كثيراً من الشعر الفصيح والعامي الذي يصف هذه المنطقة وما حباها الله من جمال وما جبل عليه أهلها من كرم ومزايا .

وعندما أُحيل إلى المعاش استقر به المقام في دمشق بعد أن تكاثرت أسفاره في الأعمال المختلفة التي وكلت إليه محافظاً في اللادقية وسفيراً في القاهرة ، وتسلم نيابة رئيس المجمع ثم رئاسة المجمع في دمشق ، كثر ترددي عليه في منزله فكانت زياراتي له أسبوعية تقريباً لأشرف على صحته الغالية وأواسيه فيما أصابه وأخفف عنه بعض ما يعاينيه . وما كان لطبيب عصرنا هذا أن يقتصر في طبه على تشخيص المرض ومضاعفاته بالاستناد إلى خبرته وإلى ما أتخفه به العلم من وسائل تكامل وتتطور يوماً بعد يوم ، ولا في علاجه على العقائرات من قديمة وحديثة تكاد تتجدد شهراً بعد شهر ، بل عليه أن يستعصي نفس عليه ويسبر غورها وينفذ إلى أعماقها حتى يكون طبه ناجماً ، إذ لا بد من دعم الطب المادي بطب نفسي لا ندحة له من الركون إليه .

ولا أذيع سرّاً مهنيّاً إذا قلت إن ما أصاب رئيسنا الراحل من داء حلو مر ، حلو اسماً ومر قولاً وفعلاً ، قد تغلغل في صميم بدنه لم يوفر عضواً من أعضائه ولا نسيجاً من نسجه ، اللهم إلا تلك النفس الكبيرة والنيعة التي لم يجد المرض إليها سبيلاً فنجت من وبلاته وظلت سليمة مصانة كأن البدن الذي يحويها ما يزال في ريعان الشباب . فلم يمنعه وقد اشتدت وطأة الداء

عليه في الأشهر الأخيرة ، من ممارسة عمله اليومي في المطالعة والمراجعة والكتابة والتأليف ، إلى جانب اهتمامه البالغ بواقع البلاد العربية وتألمه أشد الألم لما آلت إليه حالة الوطن الكبير من انفصام عرى الوحدة ، ثم من نكبة المدوان . وكان لا يفتأ يفكر ويتحدث عن السبيل إلى كشف الغمة ، والطريق إلى جمع كلمة الأمة ، هذا إلى سوانح لغوية كان يقيد بها وشوارد يسجلها وملاحظات على حركة المصطلحات العلمية يناقش فيها .

ولم يكن ذلك كله يفت في عضده ، وإنما كنت أسمع في زيارتي المتواصلة يردد القول الفرنسي : *Il faut prendre la vie telle qu'elle est* : علينا أن نتقبل الحياة على علاتها ، وكأنه خير مترزع ولا متذمر ولا متمهل من كل ما ألم به .

وما زرته مرة إلا وألفيته منكباً على مكتبه وأكداً الكتب عن يمينه وشماله ، وإذا ما ألح عليه طارئ جديد وألزمه الفرائ رأيت بعض كتبه ملازمة له فلا تفوته سانحة دون أن يركن فيها إلى المطالعة التي كانت سلواه المفضلة .

قلت إن نفسه العظيمة لم تطاوع بدنه في التنازع تحت وطأة الداء بل تردت عليه وتمتعت فسلمت مما أصابه ونجت من ويلات الداء فلم يتطرق إليها الحور ولا الإعياء ، لذا لم يتوقف عن إنتاجه الفكري بل ظل مستمراً ، مستمداً من ذاك المعين الذي لا ينضب من المعرفة ، حتى النفَس الأخير ، ووالى الإشراف على شؤون الجمع العلمية والإدارية ، وكان إذا ما تعذر عليه رؤس الاجتماعات الأسبوعية للجنة الإدارية في الجمع دعاها إلى الانعقاد في داره فلا يترك شاردة ولا واردة دون أن يناقشها .

ذلك هو الإنسان الكامل وذلك هو العالم العامل ، وذلك ما عرفته فيه ورأيتُه منه . رحم الله فقيد الجمعيين زميلنا الراحل وأسكنه فسيح جناته وعوض العربية من ينهض بها مثل نهوضه . وألهمنا وآله جميل الصبر والمزاء .



قصيدة للأستاذ عزيز أباظة

بنا عنا العزاء أبا وليس ،
 ومثلك - أين مثلك - يوم يودي
 وبات الفاقدون كأن ليلا
 وصحبك - بالصحبك - رؤيتهم
 هو الموت الذي لا تنقيه
 إذا ما كره أعجز كل فر
 فليس تنقيك شاحمة الروابي
 ومن لم تطنوه اليوم المنايا
 وبين اثنين نحن فذو مضى
 ولم يرجع فينبأنا منب
 وهل لقيت لذيد الروح روح
 وهل وقعت على ألم مضيض
 وهل تتلو وهل وتسوق أخرى
 سيميا العلم عن علم ويبقى
 وحسب الخلق أن الله لاق
 غداة نعتك للشرق النواعي
 يحس الخلق بالكثرة المضاع
 تردوا في دجاء بلا شعاع
 نواك . وكل وصل لاقطاع
 سرى فينا أذا مع الرضاع
 وخف من البيطاء إلى السراع
 ولا تحميك بأذخة القلاع
 فمن اليه في غده سواع
 إلى السفر البعيد وذو زماع
 أذو ضيق تراه أم اتساع
 دعاها من طوايا الغيب داع
 بما نهله من رثق المتاع
 يقودن زمام أسئلة تباع
 على زحف الدهور قصير باع
 ذنوبهم برحمت وساع

★ ★ ★

مضى شيخ الثقات وفي يديه
 سمي للضاد محمّد الساعي
 وقارع كل ذي ضن عليها
 بقايا للطروس وللإبراع
 فما أمماها . مسمى وساع
 بجاضي المتن مرهوب القيراع

وزاد ينطق العلماء عنها
وطوَّعها لحاجات المعاني
وقرَّعها إلى العلماء رؤساً
وورَّداً دافق الدفَّاع ذلكت
مما جهم صاغها فرداً فأغنى
جلاها خير ما تَجلى عروس
ووصلها بما ضيها وكانت
عجبت لحافدين عدواً عليها
رموها غير مدَّخربن وُسماً
وكانوا أمس يُخفون الطوايا
فصالوا اليوم بالرأي الشاع
إذا استقووا فإن الحق أقوى
تعالى الله كالشها وواق

كنور الصبح مؤلق الشعاع
فأبدع ثم في غير ابتداء
سخيَّ الشَّبْت منضور المراعي
مصادره لهم بعد امتناع
بين غناء جمع واجتماع
عميق دراسة وطويل باع
إلى أن راضها ذات انقطاع
وملء نفوسهم أنثر الضباع
لقد نزلوا على أمر مطاع
على وعَرَّ بموشى الخيداع
وبالخبير المذاع بلا قيناع
وأبقى والسراب إلى انقشاع
محارمها وراع أي راع

★ ★ ★

أيا ابن الكافرين بنوا فأعلوا
قريشيين يقصُر عن مداهم
علت بكم من العيرق المصقَى
وأورثكم مفاخيرة عتيق
فنشأكم على خلقٍ ودين
ومن ورث السموق وكان أهلاً
وجراً لقومه رس الممالي
نهضتم بالعروبة مذ صباكم
وبين السابقين الصيِّد كنتم
ألم يقتل أخوك شهيد رأي

صروح المجد باذخة اليقاع
وباعهم المرجب كل باع
مساع لا تَطاولها مساع
من الأبيات مقصود الرِّباع
وإسداء الجليل والاصطناع
له ضم ارتفاعاً لارتفاع
وزاد فنال غير استقطاع
بديري التدافع والدفاع
رجال السيف منهم واليراع
فأعلت روحه روح الصراع

فبيت أمة^(١) . وصحت ثغور^(٢)
وكنت لعارف^(٣) و(١) هارون تفتى
فأين اليوم نحن ؟ لقد نزلنا
قطعنا العمر بين هوى وهوى
نبيت إذا التوازل داهمتنا
وتلمينا الحياة عن الأفاعي
يداجي بعضنا بعضاً كأن لم
وبغشنا عدو الله صفا
يوأبنا بعلم عن عيان
ويطرقتنا بأفئدة جماع
إذا الهون الذي ذقناه أفضى
نسبنا وقلنا رب شر
متى نجتمع على صفو ورشد

وطار لظى البيقاع إلى التلاع
نخاطر شجاعاً عن شجاع
على حكم انتباض واتداع
وتشجير النزاع من النزاع
تراعيها . ونصبح لاراعى
أعادينا . فتلدغنا الأفاعي
نكن غرضاً لأنياب جياح
وبين صفوفنا عش الصراع
وندفعه بجهل عن سماع
فنلقاه بأفئدة شعاع
إلى بحث فزرم فانتفاع
نخير وانقاع لانفداع
متى ؟! والحق يؤذن بالضياح

★ ★ ★

بني سورة اعتصموا بصبر
مصائبكم بصاحبيكم ملهم
لئن عاف الحفاوة وهو حي

فما رد القضاء بمسطاع
بكل مقف في العرب واع
فقد صعدت إليه مع الوداع

★ ★ ★

نبا عنا العزاء أبا وليس
جباك الله من حلل الدمام^(٢) بجنته ومن طيب المتاع



(١) هو الأمير عارف الشهابي شقيق الفقيه الذي أعدم سنة ١٩١٦ في سبيل القضية العربية .

(٢) الدمام : بصير الخبر .

كلمة السيدة ثريا الحافظ

عن أسرة الفقيد الأثير مصطفى الشهابي

حضرات السادة الأكارم :

باسم كريمي الفقيد ليس ونهلة الشهابي وباسم آل الشهابي عامة أحبيكم
وتوجه بخالص آيات الشكر إلى رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين
وإلى أعضاء المجمع الأفاضل وخاصة الدكتور عبد الحليم منتصر الذي أبّن
الفقيد فوفاء حقه ، وإلى الشاعر الكبير الأستاذ عزيز باشا أباطة الذي رثاه
بسحر بيانه ورقيق أشعاره وإلى كل من شارك وأسهم في هذا الحفل
الكريم بحضوره ومواساته : سائلة المولى ليعنحكم الصحة والعافية وطول
العمر والبقاء وليسبغ على روح الفقيد الغالي الرحمة والخلود ولعمري
فالخلود غدا ضوءاً لماثره القومية ومآثيه العلمية ، فقد وهب حياته كلها للعلم
والبحث والتأليف حتى استدارت من حوله خصائص العظمة والفاخر وشملتته
فأكرمت مثواه وخلدت ذكراه .

ايه : ياروح عمي الحبيب بامن تركت في قلوبنا لوعة لن تحجب ، وفي
عيوننا دمة لن تحجب ، انت مصر التي أحببتها بكل جوارحك ، مصر
التي ناجيتها بأعذب شعر وأصدق عاطفة ونسيت يان ، لن أنسى صوتك
الداقي بنبراته القوية وكلماته البليغة الفصحى وأنت تلقي علي بمضاً من
شمرك في مصر وشدة حبك ووفائك لها ، كنت تقرئي الأبيات وتستعيدتها
حتى حفظتها . نعم مازالت نبرات ذلك الصوت الجهوري تتجاوب في
أصداء سمعي وأعماق نفسي وأنت تقول :

ياساكني مصر لاتنسوا مودتنا
 أنتم بنو عمنا فاجفوا بساحكم
 ياساكني حمى الأهرام ان لكم
 لله نيلكم الخضل شاطئه
 هلا أجبتم أخا ود يثكم
 من قاسيون تحيات المشوقينا
 يا روح فقيدنا الغالي اطمئن في مثواك وانعم في جنان الخلد ، لأن
 مصر الوفة أكرمت اليوم ذكراك ، لا لأنك عضو من أعضاء مجمع اللغة
 العربية فحسب ، بل لأنك علم من أعلام الأمة العربية جمعاء - أمة العرب
 التي تفخر وتباه بك وبأمثالك من علمائها وأدبائها العظام والسلام .



برقية كريمي الفقيه الأمير مصطفى الشهابي

مجمع اللغة العربية

اللفتة الكريمة التي سجلها مجمع اللغة العربية الموقر باحياه ذكرى فقيدنا
 المرحوم الأمير مصطفى الشهابي وطدت في نفوسنا الاعتزاز والوفاء وتلك
 مآثرة من آثار العلماء تتقدم بأوفر الشكر ونأسف لعدم تمكننا من حضور
 الاحتفال أدامكم الله وأبقاكم ذخراً لأبناء أمتنا .

كريمات الفقيه

لميس ونهلة الشهابي



كلمة الدكتور حسني سبيع^(١)

حضرات الزملاء الأفاضل والسادة الكرام

يطيب لي أن أقدم في حفل الاستقبال هذا وجهاً علمياً كريماً من وجوه سورية العربية ، وأستاذاً من أساتذة العلم الحديث الذين يسمدنا أن يكون أمثالهم من الأساتذة بين ظهرائنا . نحن الذين نميش في عصر الذرة وغزو الفضاء .

إن لغتنا الضادية التي نذرنا النفس لخدمتها والارتقاء بها لتواكب حضارة هذا العصر ، ولتكون في مستوى حضارة العصر المقبل ، بأشد الحاجة إلى عالم مختص في هذا الفرع الجديد من علوم الطبيعة ليتحمل معنا عبء هذا الواجب الكبير ، ولنفيد من معرفته الواسعة في اختصاصه ومشاركته الطبية في الاختصاصات الأخرى ، وليسهم معنا إسهاماً فعالاً في إغناء لغة القرآن الكريم بما استجد ويستجد من مصطلحات ، وما أكثرها ؟

أفلا يكون حرياً بنا أن نحتفل إذن هذا المساء باستقبال هذا العامل العالم ؟

ولد السيد وجيه السمان في دمشق سنة ١٩١٣ وتابع دراسته الثانوية فيها ، وكان واحداً من أظهر شبابتنا ، لم يتميز باتجاهه العلمي فحسب ، وإنما امتاز كذلك بمشاركته في فروع المعرفة الأخرى الأدبية والاجتماعية .

وقد أتم دراسته العالمية في فرنسا ، وكان أول سوري استطاع الالتحاق بالدرسة المركزية Ecole Centrale وتخرج منها سنة ١٩٣٧ مختصاً بالميكانيكا

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور حسني سبيع رئيس المجمع في الجلسة التي عقدت مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ لاستقبال العضو العامل الجديد الأستاذ وجيه السمان .

والكهرباء ، وحينما عاد إلى وطنه لم تجد له سلطات الانتداب عملاً يتكافأ واختصاصه وبلغتي مع مؤهلاته فكلف بالتعليم في المدارس الثانوية ، وقبل ذلك مضطراً ودرّس مادة الفيزياء في حلب ثم في دمشق تسعة أعوام ، ألف خلالها ثلاثة كتب في هذه المادة ظل أحدها معتمداً لطلاب الشهادة الثانوية (البكالوريا) مدة اثني عشر عاماً حتى كانت البرامج الجديدة سنة ١٩٥٨

ولما تأسست كلية الهندسة في حلب سنة ١٩٤٦ عين أستاذاً مساعداً فيها ، ثم أصبح عميداً لها حتى سنة ١٩٥٩ ، ولا أزال أذكر زيارتي له مرة في حلب ، عندما كنت رئيساً للجامعة السورية وكلية الهندسة في حلب جزء منها ، الأثر الطيب الذي خلفه في نفسي كعامل عالم وإداري منظم وإنسان يحرص على مثاليته أشد الحرص ، وتتبدى لك غيرته على القيام بعمله بأحسن قيام ، فقد أبلى بلاء طيباً في تأسيس الكلية مع الصعاب الشديدة التي لقيها سواء في إيجاد المدرسين أو في تكوين الخابر واستيفاء تجهيزاتها بالأدوات اللازمة .

ولم يقتصر عمله في تلك السنوات على الاضطلاع بأعباء التدريس والإدارة وإنما أسهم في الأعمال الفنية لمشروعين كبيرين : مشروع مرفأ اللاذقية ومشروع جر مياه الفرات إلى حلب .

ودعي إلى الإنشراف على شركة الجر والتنوير في دمشق والتي أمت سنة ١٩٥١ وآلت مؤسسة مستقلة فميّث مديراً لها ، ونهض بأعبائها وأحلها من مؤسسة ابتدائية لحماً ودماً إلى مؤسسة عربية الوجه واليد واللسان .

وعين في أواخر عام ١٩٥٧ عضواً في مؤسسة الانماء ، ثم نائباً لرئيسها (وهي مؤسسة تعنى بتصميم مشاريع التنمية وتنفيذها) ثم أسندت

إليه وزارة الصناعة المحدثه عام ١٩٥٨ فقام بتأسيس هذه الوزارة أحسن قيام ، واستمر وزيراً لها ثلاث سنوات حتى أواخر ١٩٦١

وأحيل بعد ذلك إلى التقاعد ، وحرصت كلية الهندسة في جامعة دمشق على الاستفادة من عمله فعمدت اليه بالتدريس بصفة أستاذ محاضر وهو اليوم يتابع جهوده العلمية العربية في المؤسسات المختلفة التي يشرف عليها أو يشارك فيها : فهو عضو في المجلس الأعلى للعلوم منذ تأسيسه عام ١٩٥٩ ، ومقرر لجنة النشر العلمي فيه ، وسبق له أن كلف بالإشراف على إدارته خلال السنوات ٦٢، ٦٣، ٦٤ ، ورأس جمعية الفيزيائيين السورية والاتحاد العلمي السوري ويدير مجلة العلوم التي تصدر في دمشق .

وإذا تجاوزنا إلى مؤلفاته التي أشرت إليها للمدارس الثانوية ، فإننا نجد السلسلة من الكتب العلمية القيمة التي انطوت على لغة طيبة سليمة ، وأداء عربي صحيح ، ومصطلحات علمية جديدة في مثل :

كتاب الصواريخ والأقمار الصناعية وقد طبع عام ١٩٦٢ .

وقصة الذرة وقد طبع ١٩٦٤ .

وكتاب الطاقة الذي ترجمه عن الانكليزية .

وكتاب في مجلدين كبيرين في الكهرباء ترجمه بالاشتراك مع زملائه من جامعة دمشق عام ١٩٦٣ .

هذا عدا عن عديد من البحوث والمقالات العلمية التي نشرت في مجلة المعرفة والعلوم ، وأماله التي تضم محاضراته في كلية الهندسة والتي لما تطبع بعد .

هذا هو تعريف موجز بالهندس الأستاذ وجيه السهان الذي نستقبله في هذا الحفل ، وندرك أن انضمامه إلى حلقتنا يسد ثغرة اشتد شعورنا بها ، تتمثل في العناية باللغة العالمية بعلوم هذا العصر ، آملين أن يشتد به أزرنا ، ومقتنعين أنه سيخصص لهذا الجمع الذي يحضنه بفخر بعضاً من وقته ليسهم معنا في تحقيق غاياته في اقتراح المصطلح العلمي .

إتني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أرحب بك أيها الأستاذ الكبير عضواً جديداً وزميلاً كريماً في مجتمعا توبجاً لجهودك في التعريب واستكمالاً لهذه الجهود ومتابعة لها .

وفقنا الله إلى ما فيه خير العرب والعربية في ثقافتها ولغتها وعلومها .

الدكتور حسني سبع



كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان

عن سلفه المرحوم فارس الخوري^(١)

سيدي الرئيس ، سادتي

سلام الله عليكم ورحمته ، وتحية عاطرة إلى جميع الكريم معقل اللغة العربية وملاذها ، وقد شارف التحسين من عمره الحافل بخدمة هذه اللغة ، لغة القرآن الكريم ، لغة المدنية العربية ذات التاريخ المجيد الطويل والحكمة الواسعة والمجد النليد ، ذات الأدب الرفيع في نثره وشعره ، لغة حضارة لمعت دهرأ بأسطع بريق ، وسادت وسيطرت وانفردت بمكانتها السامية أمدأ مديداً .

لقد وكل إليكم ياسادتي أمر الذود عن تراث هذه اللغة وتقاليدها وقواعدها وإحياء علومها وجمع ماتفرق منها في بطون المكتبات في مختلف أنحاء العالم ونشر كنوزها الدفينة واستيلادها بكل جديد تحتاجه على مر الأيام وتجدد العصور ، وإعادة نضارتها وبهاثها كلما اغبر ثوبها أو ضاق عن استيعاب مولدات الحضارة الحديثة . فبالها من مهمة كبرى ورسالة عظيمة تقومون بها على قلة في العدد والمُد .

إن أبناء الأمة ينظرون إليكم بنظر الإكبار والإجلال والتقدير . فخليق بمن أوليتموه منلي شرف الضم إلى ناديتكم والانتساب إلى جميعكم أن يكبر لكم هذه اليد وأن يعمل جاهداً بقسطه من الواجب لتحقيق ماوُضع في هذا المجمع من أمان وآمال . فاسمحوا لي أن أثبت لكم هنا شكري الخالص الذي لا أجدر بهاناً عليه سوى صدق العزيمة في خدمة هذا المجمع ، والعمل على تحقيق أهدافه السامية بما أستطيع من قوة وعزم .

(١) الكلمة التي ألقاها المهندس الأستاذ وجيه السمان مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ في حفلة استقبله في مجمع اللغة العربية بدمشق .

ويقضي واجب الإخلاص أن أرسل من موقعي هذا تحية الخلف المعترف بالفضل إلى أعضاء الجمع الراحلين الذين سبقوا بإداء الرسالة ، وكان لهم شرف وضع أسس هذه المؤسسة والنهوض بها ، وأخص منهم الرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي صاحب الأيدي البيضاء ، نغمده الله وإخوانه برحمته وأحسن لهم الجزاء على ما أسدّوه من خير وحسن صنيع ، وجعل لنا في خلفهم الرئيس الحالي وإخوانه الأعضاء أفضل الميوض .

مهمتي اليوم أيها السادة جد شاقة . يدعوني الواجب إلى الكلام عن العلامة المرحوم فارس الطوري ، العضو الراحل الذي تفضلتم بدعوتي لشغل المقعد الذي خلا بوفاة . وفارستا من النوايا الذين لا يوجد الدهر بأهلهم على أمة من الأمم إلا في النذر . وان من يتأمل في حياته الحافلة الطويلة العريضة وفي أعماله ومآثره العديدة الكبيرة ، يدهش من غناها وازدهارها .

كان رحمه الله متعدد الشخصيات ، كأنما تجتمعت في شخصه عدة رجال نامين عبقريين . متنوع النشاط رفيعه ، زاهر المعرفة جيدها ، كأنما يفرغ من بحر ، موهوباً موقفاً . فهو الطالب النجيب المعصامي الذي لا يعول إلا على نفسه في كسب القوت وتدير وسائله ، ثم هو الأستاذ الخبير والخطيب الفصيح البليغ والكاظم والشاعر المطبوع والسيامي الحاذق ورجل المجالس النيابية ورجل الدولة ، ثم هو فارس منديات السياسة ، المدافع عن حقوق أمته وبلاده أمام جهاذة القانون الدولي ونوابغ السياسة . وهو أستاذ القانون القدير المعجب والمستشار الحقوقي الماهر والاقتصادي الناجح والمفاوض البارع ورجل الأزمات بلجاً إليه عند كل ملمة وخطب ، ثم السياسي العالمي تفتحت أمامه ميادين الأمم المتحدة ومجلس الأمن واللجنة القانونية

فبرز وجلى ، وكان في كل ذلك موضع الإعجاب والإكبار والتقدير من كل من عرفوه أو سمعوه .

إن حياة كحياته مديدة في الزمن ، حافلة بالأعمال الحميدة ، ودعت في ثلثها الأول القرن الماضي وعاصرت بل عايشت في ثلثها الأخيرين هذا القرن ، وشهدت كثيراً من الأحداث الجسام ، فلم تقف منها موقف المتفرج ، بل كان لها دورها الجلل في خدمة بلادها وخدمة المروبة ، وكان لها القدر المثلّي في ميدان السياسة العالمية . . . إن هذه الحياة الطافحة بجسيم الأعمال لأعظم من أن توفى حقها في مثل هذا الموقف وفي أمد محدود حدود هذه الأمسية . لقد ألفت في سيرة فارسنا الكتب وحبرت المقالات ، وأعتقد أنه لا يزال ثمة ما يكتب عنه .

كان رحمه الله موهوباً في اللغات ، يتعلم اللغات الأجنبية بلا معلم فيتنقنها ويصبح فيها خطيباً . تعلم اللغة التركية في شبابه ليتسلح بها في نضاله السياسي أيام الحكم العثماني . فانتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي ، ثم رشح نفسه للنسابة في مجلس البعوثان ولما فاز بالنسابة وأقام في القسطنطينية انكب على تحسين لغته التركية حتى صار يخطب بها بدلافة لسان وفصاحة بيان وثبت جنان . وكانت له مواقف جرأة مشرفة مع زعماء الأتراك دافع فيها عن القضايا العربية خير دفاع ، ولا سيما عن جماعة الأحرار الذين سجنوا أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الثورة على الحكم التركي والعمل على التخلص منه ثم سيقوا إلى المشاق .

وفي إبان تعلمه التركية أخذ يهتم بالفرنسية لتكون له لغة المجتمعات الراقية ، ثم استفاد من إتقانه لها في عهد الانتداب الفرنسي فصار يخطب الحكام الفرنسيين ويناقشهم ويخطبهم بالفرنسية في المناسبات السياسية ، في مهورية أو في فرنسا مدافعاً عن حقوق بلاده .

وتعلم الإنكليزية في صباه وفي شبابه في مدارس الإرساليات وفي الجامعة الأميركية ، وظل طول حياته يزيد ما تعلمه منها عمقاً وإتقاناً . فمكنه هذا الإتقان ، مع ما فيه من صفات الخطيب الكبير ، من البروز في محافل السياسة العالمية . وأعانتته طلاقة لسانه بالإنكليزية ، مع حضور بديهة وتوقد ذهنه وعلمه الغزير وحفظه الكثير ، فارتقى إلى مراتب كبار الساسة والخطباء العالميين . فكان له في قاعات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن والمؤتمرات السياسية مواقف بيان مشهورة أكسبته تقدير أكبر الساسة في العالم ولفتت إليه الأنظار فأدعى أجل الخدمات لسورية ولبنان ومصر وفلسطين . وقد كان بيانه القوي قميناً بأن يجعله يفوز في ترجيح جانب الحق في جميع القضايا التي دافع عنها ، لو أن حسن البيان وقوة الحججة واللباقة ، كانت تكفي وحدها لإحقاق الحق دون أن تدعمها قوة السلاح الغاشمة . ولكن قوى الممركانت أحياناً أكبر من أن يغلها جلاء الحق وسحر البيان .

إزاء إتقانه لهذه اللغات الثلاث ، كان نصيب اللغة العربية ، لغة آبائه وأجداده ، لغة قومه وإخوانه ، من العناية والتعذيب والمطالعة والمراجعة والحفظ النصيب الأسمى وحظها الحظ الأوفر . فأثقتها بما إتقان ، وظل طول حياته يتمدها بالمراجعة والحفظ . فبدأ بالقرآن الكريم ودرسه بتفاسيره حتى صار حجة في التفسير ، ودرس الحديث النبوي الشريف في أمهات كتب الحديث ، وحفظ منها الشيء الكثير ، فكان يستشهد به في أحاديثه ودروسه وخطبه ، ودرس التاريخ العربي والأدب العربي والشعر العربي ونوادر العرب وديوانهم وماثرهم ، حتى قال عنه الأستاذ محمد علي الطاهر أنه « الأصمعي وابن الأثير وابن خلدون في آن واحد ... وأنه سبحانه زمانه ولقمان دهره . فإذا دار البحث حول اللغة العربية فهو إمامها والدائد عن حرمها وحياضها . وإذا كان الكلام على الشعر فهو الشاعر والحافظ والراوي ... »

راض فارسنا الشعر كما راض الخطابة والكتابة والتأليف ، وكما راض في حياته كثيراً من الأمور بمقدرته الفائقة على معالجة الأشياء بانقان وروية وعلم وحسن بصيرة . فسلمت له قيادته وانقاد له طوعاً . وأسعفته في النظم قريحة فياضة غزيرة الدر ، فجاء بقصائد مطولة من أحسن ما يمكن أن يصدر عن شاعر موهوب تحييش نفسه بالشعر ولا يتعاطى شيئاً سوى قرضه . ولو أنه أراد لأصبح من كبار الشعراء فما كانت تعوزه صفة ولا وسيلة ليكون كذلك ولكن عبقريته المتحفزة الطامحة لا تقنع بلون واحد من ألوان النشاط والفعالية مها علت مكائنه فيها ، ولا تكتفي بقطف ثمرة أو ثمرتين من نتاج حقلها الحصب المزدهج بمختلف أنواع الثمار . فلم يشأ أن يكون الشعر وسيلته الوحيدة في التعبير عما يعتلج في صدره ويزدحم في خاطره ، بل تركه الإفصاح عن مشاعره وأحاسيسه الوجدانية أمام المناسبات الكبيرة والحوادث الجسام كما يليق بالشعر أن يكون وبقدرة ليكرم . فنظم في مناسبات الأحداث القومية والدولية والاحتفالات السياسية والأدبية قصائد مطولات ... في حرب الروس واليابان وإعدام شهداء أيار ١٩١٦ والسلام على الجمع التي خرجت لاستقباله وإخوانه عند عودتهم من النفى عام ١٩٢٨ . وألقى قصائد بديعة في مناسبات التكريم والتأبين ، وأذكر له في قصيدته التي قالمها في مهرجان تكريم شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم عام ١٩٢٩ ، وأقيم في هذه الدار المأمرة وصفه لنفسه :

وإني إذا قارعت خصماً قرعته	وخصمي من أسد البيان هصورها
فلي من جنائي جرأة لا تخونني	ولي من بياني حجة لا أعيرها
أطاعني حسادي بسن براعة	يز صليل الرهفات صريرها

ومن محاسنه الشعرية مرثيته لشهداء أيار . قال فيها :

كان التجلد في البلوى يؤاتيني فما له حين أدعو لا يليني
ضاق الفؤاد بالأم تبرحي وفاجمات بنار الوجد تكويني
وطارد الهم عن عيني الرقاد وهل تنام مقلة موتور ومغبون

.....

أبكى على أمة لج الشقاء بها تجري إلى طالع بالبؤس مقرون
ولى الزمان عليها كل معتسف من طينة البغي والطفيان معجون
من معشر جملوا جلّى مفاخرهم منهاج جنكيز أو أنماط نيرون
لاحت لهم فرصة في العرب سائحة فنكلوا واستباحوا كل قانون
دسوا لنا كل مغتر يميث بنا نهبا ويرجع في أموال قارون

وبما أضاف إليها في حفلة ذكرى الشهداء عام ١٩٢٥ ، وذكر حاله في

السجن إثنان محاكمة الشهداء وإعدامهم :

بكيتهم وجدار السجن يحدق بي وعين حافظه بالشرر ترميني
وصاحب الحكم يمليه لكاتبه وناصب الحب في الميدان بدعوني
الحظ قدمهم عني وأخرني حتى أرى دول التاميز والسين
تسدى الوعود بتحقيق العهود لنا عن كل حق بالاستقلال مضمون

حفظ فارسنا كثيراً من شعر العرب ، ولا سيما شعر المتنبي . وكان لا يرضيه من الشعر إلا ما هو عالي الطبقة رفيعها . والشعر ابن المراتبة والثابرة . وقد حالت الحياة بينه وبين أن يشار على ما أحب منه .

كان ميدان الخطابة من أهم الميادين التي برز فيها فارسنا وجلى . بل يكاد يكون أهمها جميعاً . لم تقتصر عبقريته على الخطابة باللغة العربية وحدها ،

بل أجاد في كل لغة خطب بها من تركية أو فرنسية أو انكليزية ... وقد أدرك ذروة الإجادة في خطبه باللغة الانكليزية حينما انفسحت أمامه منصات الخطابة في قاعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن . إن النجاح الذي لقيته كلماته البليغة التي ألقاها هنالك في المناسبات الكبرى كالل دفاع عن مطالب سورية ولبنان في جلاء الجيشين الانكليزي والفرنسي عنها ، والدفاع عن مطلب مصر في جلاء الانكليز عن وادي النيل ، ثم دفاعه الطويل عن عروبة فلسطين ، كان منقطع النظير وأثار في حينه عطف العالم أجمع ما خلا الأعداء ، وكان له أطيّب الأثر في نفوس السامعين من ممثلي مختلف الدول . وأعجب المصريون أيما إعجاب ببيان الساهر وحججه الدامغة التي أوردتها في دفاعه عن قضيتهم ، فقدموا له شكرهم بمختلف الوسائل من تصريحات رسمية وكتب شكر وإهداء أوسمة تقديرية . وامتلأت الصحف العربية بذكر فارسنا وفارسهم وامتداح عبقرية البيان ، فقال عنه الكاتب العربي الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد :

« لأنه من أصحاب عبقرية البيان في أرفع طراز عرف به خطيب من خطباء هذا الزمان . فاقتماد أعنة الكلام ، ولو في لسان غير لسانه العربي ، سليقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته وشيخوخته . »

لعبقرية البيان هذه عند فارسنا عناصر عديدة يجدر بنا أن نقف عندها قليلاً : لم يكن «عبد» خطباً مكتوبة ليتلوها تلاوة كما يفعل الكثير ، بل كان يهيء موضوعه ويتمثله ويكتب له خلاصة بسيطة يضعها بين يديه . وكان عند الإلقاء يوسع هذه الخلاصة بما حفظ وهياً من الموضوع ، ويطورها ويكسوها الكساء المناسب الذي يتفق مع ظرف الساعة وجو السامعين والروح المرفرف على القاعة . وربما بدل ما كان ينوي أن يقول واستبدل به قولاً آخر . لذلك فإن عبقرية البيانية تستمد كثيراً من روحها من نفوس

سامعها في عالم العيان . فهو يستنبط ما يريد أن يقول حين تتلاقى الحياة بالحياة ولا يولد بيانه للاتصال به في عالم الفكر المجرد أو من وراء حجاب . أعانه على قوته الخطائية ذاكرة قوية وبديهة حاضرة وهـدوء وحلم يمكنانه من رباطة الجأش عند حاجته إلى التفكير ، فلا يطيش سهمه ولا ينال المي منه عند الأزمات . ولا ريب في أن خبرته الطويلة في تدريس الحقوق وفي إدارة جلسات المجلس النيابي قد ساعدت على تقوية هذه الصفات في نفسه .

وإذا ذكرنا محاضراته في معهد الحقوق ، ذكرنا ذلك المدد الكبير من الحقوقيين الذين كانوا تلامذته فنبغ منهم كبار القضاة ورجال السياسة والإدارة والأعمال . وكلهم يجمع على أنه الأستاذ القوي الثالي في إتقان الموضوع الذي يدرسه وفي جودة إنقائه له وحسن أدائه . وقد رافق معهد الحقوق منذ نشأته حتى أقصته السلطة المنتدبة عنه عام ١٩٣٦ عقاباً له على زعته الوطنية . شغلت السياسة حياة فارسنا من شبابه إلى كهولته وشيوخته ، فدام نشاطه السياسي قُرابة أربعين عاماً : انتخب للنيابة خمس مرات خلال المدة التي عرفت فيها سورية الحياة النيابية ، ولولا التصديق عليه وإغلاق السلطة المنتدبة الباب في وجه نيابته لظل فيها مادامت هنالك نيابة . وشغل كرسي رئاسة المجلس النيابي أربع مرات . وصار وزيراً ثلاث مرات ورأس الوزارة ثلاث مرات وكان نضاله عنيفاً مع السلطات التركية أولاً ثم مع السلطات الفرنسية ثانياً . وقام في نضاله هذا أشد أنواع العسف والاضطهاد وهددت حياته بالخطر . نفاء الأتراك من سورية إبّان الحرب ثم نفاء الفرنسيون مع إخوانه في الجهاد إلى سجن أرواد وبعثوا به إلى الجزيرة ثم إلى لبنان وفرضوا عليه الإقامة الاجبارية فلم يشن ذلك من عزمه ولا من جهاده .

كان عضواً مبرزاً في أم الوفود السياسية التي بعثت بها سورية إلى فرنسا عام ١٩٣٦ للمفاوضة على معاهدة الاستقلال ، وإلى المؤتمر البرلاني بالقاهرة عام ١٩٣٨ وإلى مفاوضات تأسيس الجامعة العربية . ثم رأس الوفود السورية التي ذهبت إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٢ .

كان له الدور الفعال الثمر في النضال المرير الذي خاضته بلادنا في عهد الانتداب الفرنسي ، كما وفي نضال الدول العربية الأخرى . وكان لأخلاقه الشخصية من هدوء واتزان وحرصانة وفطنة ولمواجهه من ذكاء وبديهة وتوقد ذهن ، ومن علمه وأدبه وحفظه الكثير وذاكرته العجيبة أثرها البالغ في نجاحه في مجال السياسة . كان ينتخب للنيابة بالتزكية وبكلف رئاسة الوزارة عندما تشتد الأزمات ، فلا يجد السياسيون سواء كهناً وملاذاً ، فلا يكاد يتسلم الزمام حتى تنفجر الأزمة وتزول المشكلات .

لمت شخصيته لمعانها الباهر لما ظهر في المحافل الدولية فبز كثيراً من أقرانه الذين جاءوا من مختلف الأمم ، وكان إذ ذاك بين السبعين والسابعة والسبعين من عمره ، أي في السن التي يضؤل فيها عادة نشاط الإنسان وتهالك قواه العقلية وتضعف ذاكرته ويفقد حيويته (١) . أما هو ، فإنه ما كادت تفتح له أبواب الأمم المتحدة ولجانها حتى وجد نفسه في الجوار الذي خلق له حقاً ، ليقوم بالمهمة التي هدفت حياته كلها إليها . فما كان منه إلا أن شمر عن مساعد الجد وأعمل الدرس والمطالعة والتفكير وسهر الليالي في إعداد كلماته وخطبه ودفاعه وهجومه . فأبلى أحسن بلاء وظهر للملأ تفوقه وعبقريته واعتز العرب به أيما اعتزاز .

(١) وكيف يضعف فارسنا في السبعين وهو القائل عن نفسه :

يشد إلى السبعين وهو مزيرها

كانت أول خطبة ألقاها في المحافل الدولية تلك التي خطبها في الثاني من أيار ١٩٤٥ في مؤتمر سان فرانسيسكو بحضور ممثلي ٥١ دولة . تكلم في آخرها عن خطورة المهمة الموكلة إلى المؤتمر ثم أبدى تفاؤله في إمكان تحقيق الفكرة السامية التي تهدف إليها المنظمة العالمية بالاعتماد على العقل الذي يخلق النظام ويعدل الطمع ، وبمعالجة القضايا والمشاكل بروح العقل ، ولولا ذلك لبقيت شوكة في جانب الجسم الدولي .

ثم اقترح أن تقوم محكمة العدل الدولية بمهمة حل المشكلات الناجمة والتي تنتج ، وأن تعمل بالتعاون مع المنظمة المالية وهيئاتها . وأعلن في نهاية خطبته بآ تشكيد جامعة الدول العربية التي اتفقت ولادتها مع ولادة هذه المنظمة المالية ، والتي ستساعد في إقرار العدل والسلم . وختم خطبته ببعض حكم عربية حول الحق والعدل ، واستشهد بقول أبي بكر رضي الله عنه فرجى أن تعتبر المنظمة القوي ضميئاً حتى يؤخذ منه الحق والضعيف قوياً حتى يرد حقه إليه .

كان لخطابه هذا أحسن الأثر في نفوس السامعين من مختلف الدول ، وبرهن على ذلك ما انهال عليه من المديح والثناء من قبل رؤساء الوفود . وذاع صيته في المحافل السياسية . ودعته جامعة جنوب كاليفورنيا بعد انتهاء المؤتمر فمتحته دكتوراه الشرف في الشؤون الخارجية في ٢٩ حزيران ١٩٤٥ وذلك ، بالاستناد إلى توصية لجنة مشتركة من أمناء الجامعة وأساتذتها اعترافاً بأعماله الممتازة في حقل العلاقات الدولية ، .

وزاره يقوم في مجلس الأمن في يومي الخامس عشر والسادس عشر من شباط ١٩٤٦ مرات عديدة ليدافع دفاعاً مطوّلاً عن حرية بلاده وبطالاب بانسحاب الجيشين الانكليزي والفرنسي من سورية ولبنان . يستمد دفاعه

من عدالة القضية ومن علمه النزير بالحقوق ومن ذكائه ولباقته وبديته ، ولا يحجم عن إيراد الشواهد والأمثلة التي تصور وضع بلاده في أذهان الحاضرين بصور بسيطة بليغة . حتى فاز هو وزميله اللبناني باكساب القضية عطف مندوبي الدول ، واستجابات فرنسا وانكلترة إلى الرغبة العامة في الجلاء .

في أواخر عام ١٩٤٦ انتخبت سورية عضواً في مجلس الأمن . فكلفت الحكومة فارسنا بأن يمثلها في هذا المجلس . وكان إذ ذاك في الرابعة والسبعين من عمره ، فظل يقوم بأعباء هذه المهمة الخطيرة طوال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ورأس مجلس الأمن مرتين أولاً في آب ١٩٤٧ وثانيتهما في حزيران ١٩٤٨ . كانت تلك الفترة من الزمن من الفترات الحاسمة في تاريخ الشرق العربي ، إذ عرضت على المجلس ، في جملة قضايا الأمن الدولي ومشكلات الدول ومنازعاتها ، قضية جلاء الانكليز عن مصر وقضية تقسيم فلسطين . هذا بالإضافة إلى انعقاد جلسات منظمة الأمم المتحدة ولجانها . وكان فارسنا يتكلم فيها جميعاً . فدافع عن قضية مصر وجلاء الجيوش الأجنبية عنها في صيف عام ١٩٤٧ حتى في أثناء رئاسته لمجلس الأمن . ولم يقتصر دفاعه على البلاد العربية وحدّها بل تناول جميع القضايا التي لها علاقة بالسلم . وشمل دفاعه جميع الشعوب التي كانت على حق في مطالبتها .

استمر النقاش في مجلس الأمن حول قضية مصر أياماً طويلاً تضافرت فيها جهود فارسنا مع جهود مندوب مصر . وألقى في ٢٦ آب ١٩٤٧ خطاباً باسم الوفد السوري ، لابصفته رئيساً لمجلس الأمن ، ناقش فيه حجج الخصم الانكليزي وفند مزاعمه تفنيدياً قانونياً . وانتهت رئاسته للمجلس بانتهاء آب ولكن الجدل في قضية مصر ظل قائماً يشغل جلسات عديدة

استمرت حتى العاشر من أيلول فتكلم فارسنا مرة ثانية في هذا اليوم مفنداً ما جاء به المندوب الانكليزي من حجج جديدة . ولكن النقاش في المسألة المصرية أجل بدون أن يبت فيه .

أعقب دفاع فارس الخوري آثاراً بليغة في مصر وسورية . وأوردت الصحف ووكالات الأنباء عنه كثيراً من التفاصيل ، وكلها ثناء وشكر واعتراف بالجميل . مثال ذلك ماقالته جريدة الزمان المصرية :

« لن ينسى المصريون أبداً ذلك الصوت الرصين العميق الذي امتزج ذكره إلى الأبد بتاريخ جهادنا في سبيل السيادة والاستقلال . كان صوت كادوجان المندوب البريطاني الجاف يرتفع في مجلس الأمن الدولي وتنبه أصوات أخرى توجه ضرباتها مباشرة أو مداورة إلى حقوق مصر المقدسة ، ويشعر المصريون وهم يسمعون تلك الأصوات النكرام باقबाض في الصدر يندوم لحظات طويلة أو قصيرة . ثم يختلج الأمل في الصدر ويحل محل الاقباض عندما يدوي في ذلك المكان الصوت الذي نقشت نبراته على صفحات الأذهان : وهو صوت فارس الخوري مندوب سورية ورئيس مجلس الأمن الدولي في ليك سكسيس في هذه الدورة التاريخية . فكان يلقي في ذلك الجو الرهيب بضع كلمات نيرة واضحة تعبر عن آراء واضحة نيرة مثلها ، فيهدم حجة الخصم من الأساس . ولكن القضاة في ذلك المجلس كانت تنقصهم النزاهة . ولذلك لم يكتب الفوز للمحامي فارس الخوري في مرافقته المتينة الرائعة . »

وتعاقبت الأحداث سراعاً فظهرت على بساط البحث قضية فلسطين ، تلك المسألة التي يندى لها جبين التاريخ ، ليمثل منها فصل محزن جديد هو من أشد فصولها أسمى ألا وهو التقسيم . شهد فارس الخوري المؤتمر الذي عقد في لندن في مطلع عام ١٩٤٧ لدراسة هذه القضية وألقى هناك رد الوفود

على بيان وزير الخارجية الانكليزي وحذر من التقسيم وعواقبه ، ثم عاد إلى نيويورك ليمضي قدماً في تمثيل بلاده في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن فمرضت قضية فلسطين على الجمعية العامة لهيئة الأمم وطال بحثها في اللجنة السياسية وما تفرع عنها ، ثم في الجمعية العامة من أيار إلى تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ ، حتى انتهى بقرار التقسيم المشؤوم ، بالرغم من جميع الجهود التي بذلها مندوبو الدول العربية ومن بينهم فارسنا خاصة . إذ ألقى عدة خطب من أبلغ خطبه مملوءة بالحجج والبراهين الساطعة التي كانت تكفي لإحقاق الحق لو كانت الدول الكبرى تريد إحقاق الحق . وبعد نجاح التصويت على قرار التقسيم ، أبان فارسنا أن ثلثي سكان العالم أبوا الموافقة عليه إما برفضه صراحة أو بالاستنكاف عنه ، وأن الذين وافقوا عليه لا يمثلون إلا الثلث فقط من سكان العالم ، وينتمي معظمهم إلى دول فائية ليس لها صلة بفلسطين أو بالشرق الأدنى ولا بشؤون القارة الآسيوية . لم يشن الفشل من عزيمته ولم يدخل اليأس على قلبه ، بل ظل يناضل ويكافح فجهد في منع تنفيذ قرار التقسيم أو في عرقلته . ولكن إرادات تفوقه قوة أضعاف أضعاف ، أثبت أن تستمع للحجج والأدلة بل كانت تريد أن تخلق دولة اسرائيل معها كلف الأمر .

سادتي : لفقيدنا الخالد مزايًا حمة غت كلها وازدهرت ولم يغمط بعضها حق بعض . فكأنما هو من نفسه في نفوس ومن عقله في عقول ومن فهمه في أفهام . تتسع ذاكرته للأمور المتباينة وللثقافات المتضاربة ولا يعسر على إدراكه شيء . ومن الدهش أن تكون شخصيته وثقافته عصاميتين . فهو لم ينل في الجامعة الأمريكية سوى شهادة البكالوريوس في الثقافة العامة . ولكنه درس الحقوق بلا أستاذ ولا مدرسة ، فنبغ فيها حتى غدا في

معهد الحقوق استاذاً ممتازاً له مؤلفات قيمة وطلاب كثيرون معجبون به
أيما إعجاب . درس العلوم المالية وأصول المحاكمات وصار نقيب المحامين
وأصبح مرجعاً من مراجع القانون والتشريع . ولم تقتصر معرفته بالقوانين
على نطاق بلاده بل تمتدتها إلى الصعيد الدولي . فبرهن في الميادين الدولية
على معرفته الواسعة الثينة إذ ابتلتها الأيام وامتحنتها الظروف القاسية التي
مرت بها البلاد العربية ، فكانت قوة صامدة راسخة الأسس . تمكن من
أن يقارع هنالك ألد الخصوم وأقواهم وهم من زهرة رجال الدول الكبيرة
في السياسة والقانون . إن انتخابه عام ١٩٤٧ لرئاسة اللجنة القانونية ،
وهي إحدى اللجان الست في الأمم المتحدة ، دليل ساطع على التقدير الذي
كان له في نفوس كبار رجالات الأمم ، ونظير ذلك انتخابه عضواً في
لجنة القانون الدولي ، وقد عدا في محيط الأمم المتحدة شخصية خيالية
ولقب بطل العالم الثالث .

لخص الأستاذ محمد علي الطاهر شخصيته ، وكان جيد المعرفة به فقال :
« مناقش مداور مناوئ مجادل من طراز عال رفيع ، لا يقاطعك إن
حدثته ولا يصادمك ولا يصول عليك في جوابه ، لأنه لقوته وتواضعه
وسخو أدبه وثقته بنفسه يعتمد في مجادلته على الحجة والنص والشاهد بدون
أن يحاول إفهامك أنه أقوى منك أو أعلم أو أحكم أو أوسع إحاطة .
ذلك أنه قد دفع ثمن ما وصل إليه من مقام جليل غالباً ونفيساً : دفعه
سهرأ ودرساً ومتاعب مدة سبعين عاماً من الأعوام التي عاشها وطواها
بزعمة ... وكم نام لذاته وأنداده وهو ساهر لا ينام . »

هذا هو فارس الخوري ، الذي فقد به المجتمع عضواً ممتازاً ، وخسرت
سورية والبلاد العربية ، بل خسرت بموته الإنسانية جماء شخصية فذة
قلما يخلفها الدهر .

سادتي : أستئذنكم الآن في الانتقال إلى موضوع آخر ذي صلة هامة بأهداف المجمع ، تهتم به جميع البلاد العربية وهو من موضوعات الساعة ألا وهو موضوع المصطلحات العلمية ، وجعل اللغة العربية من جديد لغة علمية قادرة على التعبير عن جميع فروع العلم وتطبيقاته بمثل السهولة واليسر اللذين تعبر بهما اللغة الانكليزية أو الفرنسية مثلاً .

تتطور المدنية في أيامنا هذه تطوراً سريعاً ، ويزداد هذا التطور سرعة في كل يوم . ذلك لأن العلم والصناعة اللذين هما عماد هذه المدنية يتقدمان بخطى حثيثة يسوقان فيها ركب الحضارة في سير مغيد ، هو في كل يوم أعجل منه بالأمس . تتسع العلوم ويعد غورها بفضل البحث والاستكشاف اللذين تنفق عليهما آلاف الملايين ، وتضخم ويكثر شمولها وتعدد فروعها ، فينقسم الواحد منها إلى عدد من العلوم الجديدة يصبح كل منها علماً قائماً بذاته له أتباعه ومريده ، فيأخذ بدوره بالاتساع والتعمق ثم بالانقسام من جديد وتظهر له فروع تطبيقية . وعندما يعمد الإنسان إلى الاستفادة من هذه العلوم في حاجاته اليومية تولد ألوان جديدة من التكنولوجيا والهندسة . وليس لهذا التكاثر من حد .

نسوق على هذا أمثلة ثلاثة : لقد ولدت حاجات الحرب العالمية الثانية ، في جملة ما ولدت : الطاقة الذرية والصواريخ والالكترونيات . وأخذت هذه المواليد تنمو وتضخم ويعظم شمولها . إذا نحن حققنا قليلاً في أصل هذه المواليد رأينا أن اكتشاف تفكك الذرة ، الذي هو سبب انتشار الطاقة الذرية قد وقع قبل ختام القرن الماضي بأربعة أعوام فقط ، وظلت بحوث الذرة في دور الاستكشاف حيصة المختبرات حتى اندلعت نار الحرب الأخيرة فأريد لهذا المارد أن يخرج من مقعته الذي هو نواة الذرة . جندوا لذلك جيوشاً من العلماء والمهندسين ورجال الصناعة وبذلوا لهم الأموال بسخاء ، فما كاد عام ١٩٤٥ ينتصف حتى كانت كل شيء قد تم ، فالنظائر المشعة صارت تستعمل في الطب ، واستخدمت الطاقة الذرية للأغراض الحربية والسلمية .

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى عمت التطبيقات وتنوعت واتسعت . فانتشرت اليوم المحطات الكهربائية الذرية في سائر أنحاء العالم واستخدمت الطاقة الذرية في تحريك السفن والغواصات وفي تحويل ماء البحر الملح إلى ماء عذب ، واستخدمت النظائر المشعة في الطب للكشف والمعالجة وفي الزراعة لتعين على دراسة التربة والنبات وتحسين غوه وعلى إبادة الحشرات الضارة وفي الجيولوجيا والآثار لأغراض شتى ، وفي الصناعة لكثير من التطبيقات كما استخدمت القنابل الذرية والحربية النووية للحرب والسلم ، فتستعمل الآن لحفر الكهوف والأنفاق والترع . ويطلع علينا كل يوم شيء جديد في هذا الباب .

أما الصواريخ ، فهي وإن عرفت قديماً في الصين وعند العرب وفي الغرب ، فإن إنتاجها الضخم بشكلها الحديث قد حصل في السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية على يد الألمان . وسرعان ما تسلمت الدول الكبيرة المنتصرة تركة ألمانيا النازية فوضعت اليد على العلماء والمهندسين وعلى ما استطاعت أن تظفر به من مصانع وصواريخ وقطع في الأرض المفتوحة . وفي خريف ١٩٥٧ قذف الروس بأول قمر صناعي إلى الفضاء ليدور حول الأرض . وما زالت الأموال الضخمة تنفق في هذا الباب بالمليارات العديدة كل عام ، وأصبح عدد العاملين في مملكة الفضاء يقدر بمئات الألوف . حتى دار الإنسان حول القمر وأرسل رسله الآلية لتجوس أرجاء الزهرة والمريخ وأصبح دوران مركبات الفضاء حول الأرض وسباحة الإنسان في الفضاء من الأمور العادية التي نسمع بها كل يوم فلا نجد فيها غرابة . واستعملت الأقمار الصناعية لدراسة الأرض والفضاء والكواكب ولدراسة الأحوال الجوية والأنواء وتسهيل سبل المواصلات اللاسلكية والملاحة البحرية والهوائية ونقل برامج التلفزة ، كما صارت تستعمل للمراقبة والتجسس .

م (١٦)

وأما الألكترونيات فوُلدت مع الحرب العالمية الأولى وانتشرت تطبيقاتها فيما بين الحربين في مصابيح الراديو والخلية الكهربائية الضوئية وبدء تجارب التلفزة . ثم جاءت الحرب الثانية فدفعتها إلى الأمام دفعا قويا أظهر أجهزة الرادار والتوجيه اللاسلكي . وظهرت لها بعد الحرب تطبيقات واسعة عديدة منها الانتشار المدهش للتلفزة والترازستور واستعمال الأمواج الهرتزية المتناهية القصر في الاتصالات اللاسلكية . وأهم تطبيق للألكترونيات هو بحث في الآلات الحاسبة الإلكترونية .

ظهرت هذه الآلات في نشأتها الأولى قبيل الحرب الثانية وتحسنت في أثنائها ، ثم أخذت بعد الحرب تتطور وتحسن حتى غدت اليوم على درجة عالية من الكمال لا يفوقها إلا ما يرتقب لها في الغد من تحسين وتطوير جديدين كانت تستعمل في الأصل في المختبرات العلمية الكبيرة لتقوم بالعمليات الحاسوبية المعقدة الطويلة التي يحتاج إنجازها إلى جهود عدد كبير من العلماء والحاسبين وإلى زمن طويل جداً يقضونه في حسابات مضيئة . صارت الحاسبات الألكترونية تنجز هذه الأعمال في دقائق . ثم أخذ لطاق استعمالها يتسع وأدخل عليها التعديل والتحسين لكي تتمكن من القيام بأعباء مهمات متنوعة وظهرت منها زمر وأصناف كل زمرة لها وظيفة وتخصص ، واستمر التحسين والتطوير إلى اليوم . وكلما تقدم علم الألكترونيات استفيد من مكتشفاته الجديدة في استيلاد جيل جديد من الآلات الحاسبة .

تستعمل هذه الآلات الآن في شتى الميادين ، وذلك حسب أنواعها . لقد أصبحت ، بالإضافة إلى قدرتها الفائقة على الحساب آلات مفكرة ذات ذاكرة واسعة جداً يرجع إليها عند كل عقبة . تلقى عليها الأسئلة المويضة فتجيب عنها بمنتهى الضبط والإحاطة .

تستعمل في تسيير المعامل الكبيرة التي طبق فيها نظام العمل الآلي ، وتستعمل في إدارة المؤسسات وتوجيهها في الطريق الصحيح من حيث العمل وحسن التصرف بالأموال ، وفي تنظيم سير القطارات على شبكات السكك الحديدية الكبرى ، وفي تنظيم السير في المدن المزدهرة . وتقوم في دور البيع الكبيرة بتدوين الحسابات وفرزها وإعداد القوائم وبيانات الأرباح والخسائر ، وتستعمل في أعمال التصميم الهندسي للمشروعات الكبيرة والصعبة وتعتمد عليها مراكز إطلاق الصواريخ وتسيير مراكب الفضاء ومحطات توليد الطاقة . وتعتمد عليها الدوائر العسكرية في إعداد خطط الدفاع والهجوم وتحريك أسراب الطائرات وإعداد عمليات السوق . ويتسع نطاق تطبيقها في كل يوم . وقد بلغ من اتساع ذاكرتها الصنمية أنها غدت قادرة على استيعاب وحفظ علم كامل كالفيزياء أو الكيمياء ، فلا يلقي عليها سؤال في أحدهما إلا أجابت عنه بدقة ، بقدر ماتتسع له المعلومات التي أودعت ذاكرتها . وأصبحت تقوم مقام مكتبة كاملة بكتبها ومجلاتها وجزائرها . وهذه المناسبة أذكر أنه قد ولد بفضلها علم جديد يسمى Informatique وهو في الواقع فن معالجة المعلومات والمعرفة بواسطة العقول الالكترونية . كما ولد علم آخر يسمى Cybernétique وبالعالم وسائط الاتصال والإفصاح والسيطرة والتحكم لدى الانسان وفي الآلات ، كما يبحث في أوجه الشبه بين العقل البشري والعقل الالكتروني .

من أمثلة الاستعمالات القريبة للدماغ الالكتروني ، ما يراه الأطباء من الفائدة في إقامة مركز الكتروني تودع لديه الاستمارات الصحية والطبية لجميع المواطنين في القطر ، ويكون لكل مواطن رقم خاص به ، فإذا قصد هذا المواطن طبيباً لمرض ألم به ، يتصل معاونه الطبيب فوراً بهذا المركز بواسطة جهاز اتصال خاص كالهاتف ، فيحصل في مدة دقيقة على

صورة كاملة للاستشارة الصحية لهذا المريض ، فيقدمها المريض إلى الطبيب عندما يستقبله .

تجري تجارب كثيرة للاستعانة بالعقول الالكترونية في التعليم . ونذكر أن بعض أنواع هذه الآلات قد صنع لترجمة النصوص من لغة إلى أخرى ، ويشترط أن يكون النص الذي يترجم قد كتب بأسلوب لا تعقيد فيه ، واختيرت كلماته ومصطلحاته بدون أن يكون لها تعداد في المعاني .

يقدر الآن أن العقول الألكترونية ستحل في المستقبل القريب محل العديد من الجماعات الفكرة . وتبأرى الشركات التي تصنعها ، وهي من كبار الشركات في العالم ، في تحسينها . واستنباط أصناف جديدة منها تكون فتحاً جديداً في عالم التطبيق . مثال ذلك أن شركة I. B. M. قد وظفت مؤخراً مبلغ خمسة ملايين دولار لإنتاج صنف جديد من الآلات الحاسبة تعد صنفه الآن ليكون النموذج التقدمي لهذه الآلات في المستقبل القريب .

اقتصرت أيها السادة على التنويه بهذه الأصناف الثلاثة من المكتشفات الحديثة لأعطي فكرة تقريبية عن مدى التقدم العلمي والصناعي . وإن وسائل الإعلام تنبئنا كل يوم عن مكتشفات ومخترعات جديدة .

سأنتهي : إن لغتنا العربية التي حوت أوسع كنوز الأدب واتسعت للفلسفة والعلوم فقامت بأدائها خير قيام أصبحت بحق لغة المدنية والحضارة خلال قرون طويلة . ثم اعترها ركود ، واتفق لسوء الحظ أن وقع هذا الركود في إبان النهضة الأوروبية وما تبعها من رقي إلى الآن . فبعثت الآداب والفنون ونشأت العلوم الحديثة وارتقت الصناعة وازدهرت المدنية . ونشأت اللغات الأوروبية الحية فسارت هذا الرقي واستطاعت أن تضع الكلمات والمصطلحات لجميع ما أبدعه الرقي من محدثات جديدة . فبلغ عدد المصطلحات العلمية عشرات الألوف . وهناك معجمات مستقلة لكل علم أو فن بمفرده .

لا تستقيم لأمة حضارة ولا قوة إلا إذا كانت لفتها على المستوى الرفيع الذي يمكنها من البحث والتدريس والتعبير والتأليف في جميع مقومات هذه الحضارة .

ونحن نشعر جيماً باستحكام أزمة المصطلحات العلمية وتزايد خطورتها كل يوم . وأن أخطر ما فيها هو هذه الفوضى النازلة بها . فكل قطر عربي مصطلحاته الخاصة ، وتتبع في القطر الواحد مصطلحات تختلف من مؤسسة إلى مؤسسة ومن جامعة إلى جامعة ، بل من كلية إلى كلية وأستاذ إلى أستاذ . وقد بذلت جهود حميدة تقصد إدخال شيء من النظام على هذه الفوضى القائمة . فقامت المجامع اللغوية بقسط من هذا العمل وظهرت بعض المعجمات في مصطلحات الطب والعلوم الحيوية والطبيعية ، وألفت الجامعة العربية مكتب التعريب في الرباط ليقوم بجمع المصطلحات من مختلف الأقطار العربية ودفعتها إلى مؤتمرات تعقد بين الفينة والفينة لتنظر فيها وتقرها ، ولا يزال ترتقب انعقاد هذه المؤتمرات للاستفيد من ثمراتها .

إن الواجب المفروض علينا في هذا النطاق جد كبير ، ولا مندوحة لنا عن النهوض ولو بقسم من أعبائه . فلنشعر عن ساعد الجدمستمين بالله وهو ولي المون والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وجيه السمان



الغلطات المطبعية

الواردة في مقالة « فوات الوفيات في طبته الجديدة »
في القسم الأول من نقد الجزء الثاني
« مجلة الجمع : المجلد ٤٣ ج ٤ ص ٧٤٩ رجب سنة ١٣٨٨ »

الصفحة	السطر	الوارد	الصواب
٧٥٠	٦	الطبقة الأولى	الطبعة الأولى
٧٥٢	١	بجاية	بجاية
٧٥٣	٢	حواشيه	حواشيه
٧٦٤	٧	هو أنها	هو أنه



تصحيح بعض الأخطاء

الواردة في الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٤	٧	قسم	قيم
١١٤	٨	الفائية	الفائية
١١٤	١٣	أي الفكر	الى الفكر
١١٦	٤	ضبطت	خبطت
١١٩	١٩	الفائية	الفائية
١٢٠	١٠	التعلم	المتكلم
١٢٠	١١	فالتعلم	فالتكلم
١٢٠	١٥	التفهم	التفهم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٠	١٦	وصرفت	وصدقت
١٢١	٢٣	قلما يدل	فكما يدل
١٢٤	٢٣	المعتدل	المقول
١٢٧	٨	وهذا	ولهذا
١٢٨	٥	في الأصل مبنية	لأن العادة في الأصل مبنية
١٢٨	١٢	بالجمال	للجمال
١٣١	١٨	ليقاس	يقاس
١٣٣	٣	للفظ	اللفظ
١٣٣	٨	الفرض	المرض
١٣٣	٩	الجمع بينها	الجمع بينها
١٣٤	١	جاؤا	جاؤوا
١٣٤	٩	أدنى توجيه	أدنى إلى توجيه
١٣٥	١٣	التقديس	التقديس ليس

المكتوب: جميل صليبا



غلط وصوابه

ورد في الصفحة ٢٤٥ من الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

وجدت في ما ذكر الأستاذ الكبير السيّد عدنان الخطيب من ترجمة
المرحوم عيسى اسكندر الملووف، وذلك في العدد الأخير من مجلة الجمع قطعة
من قصيدة لي في رثاء الملووف . وقد جاء في القطعة من غلط الطبع .
ظفر العلم بمملووية من براع (كالرياض) وضاء
وصوابه : من براع كالرياضين .

وجاء في القطعة أيضاً :

يا (أبي) التاريخ بُلِّغْتَ ذِيَّ لم تتجَّ علياً وبها للنظر آءٌ
وصوابه : يا أبا التاريخ .

وجاء أيضاً :

أم تولَّته (يد) طاغية سخر العلم لشرِّ وشقاء
وصوابه : أم تولَّته يدا طاغية .

ثمَّ انَّيَّ وجدت الألف المدودة ، في كلِّ مواضعها من القطعة ، لم يجعل عليها ترتيب الحروف المدَّة . في حين أنَّ المدَّة ترسم على الألف المدودة لأنَّها تمثِّل باللفظ أيضاً . بمعنى أنَّ ألف « السماء » تكون أطول من ألف « السَّماع » ، مثلاً . وقد اختلفوا في تقديرها بين ألفين إلى ستِّ ألفات (انظر [البيان] للإمام اليازجي ، و [الإتيان] للإمام السيوطي) .

ذلك ، وإن قيل في الرَّدِّ على ما هنا ، إن علامة المدِّ من فوق الألف في مثل كلمة السماء ، تمحذف في الرِّسم ، لأنَّ المدَّ على الألف تعويض عن همزة مفتوحة قد حُذفت ، وأصل كتابتها هكذا « أ ا » ، مثل مآرب ، فلا يجوز وضعها على مثل « الرِّجاء » و « السماء » ، لأنَّها لا تلفظان « الرِّجاء ا » و « السماء ا » .

ولقد أخذ الإمام اليازجي في هذه الكتابة بالرأي الأوَّل ، وجرى عليه في « الجنان » و « الطيب » و « البيان » و « الضيَّاء » ، وفي كلِّ كتاب وضعه ، أو وقف على طبعه . وأنا من الذين يحبُّون أن يأخذوا إخذة في كلِّ نكتة لغويَّة . (بيروت) أمين مخدَّ



مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقِ

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »

رجب سنة ١٣٩٩ هـ

تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٦٩ م

(١) تطوّر اللغة في العصر العباسي

أرى قبل الشروع في الكلام على تطوّر اللغة في عصر بني العباس أن نثقف على معنى التطور وهذه اللفظة من الألفاظ التي أحدثها عصرنا ، ومعناها على ما اعتقد تنابع الصيغ أو الأشكال التي انتقلت الألفاظ بموجبها من وجه إلى وجه ، فإذا كان هذا هو معنى تطور اللغة فاللغة قد انتقلت على ترادف السنين من شكل إلى شكل ، ولا يزال هذا الانتقال يستمر في عصرنا ، وإذا كنّا نعجب من الوقوف على مظاهر تطورها فقد نكون عجبنا أشد من دلالة هذه المظاهر على نموّ اللغة ، على استمدادها للحياة

(١) ألقى الأستاذ شفيق جبري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق خمس محاضرات في جامعة الكويت في شهر آذار الماضي ، وهذا هو القسم الأول من المحاضرة الأولى : تطوّر اللغة في العصر العباسي .

مهما يباغتتها من الأمور ، لقد جاءت يبراهين قاطمة على أنها أهل للحياة ، فلم تمنعها الموانع من تتبع مجرى هذه الحياة في كل عصر من عصورها ، في الجاهلية والإسلام ، في زمن بني أمية وبني العباس ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، وهذا موطن من مواطن افتخارنا بلغة العرب .

وإني لأرجو أن لا تكون دراستنا لتطور اللغة في زمن بني العباس أو في أي زمن مجرد دراسة لانتقال الألفاظ من وجه إلى وجهه ، أو لإحياء ألفاظ وموت ألفاظ ، أو لغير ذلك من الأساليب التي تدل على تطور اللغة ، فما الذي ينمنا من أن نرى ورآء هذا التطور تطور أمة بأجمعها ، إني لا أستطيع أن أقرأ مثلاً فصول الموسيقى في كتاب مفاتيح العلوم الذي سأسير إليه ، ولا أن أطلع على ما احتوته هذه الفصول من آلات الموسيقى عند العرب كالصنّج والطنبور والربّاب والمِعْزفة والعود وغير ذلك من الآلات ، ولا أستطيع أن أقف على ما عرفه العرب من ألفاظ النغمات والألحان والإيقاعات والنقرات ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله وعلى أمثاله من الأمور الداخلة في الموسيقى إلاّ تصورت الأمة التي مالت إلى هذا الفن وتصورّت بعدها قصور الخلفاء الذين شغفوا بهذا الفن شغفاً لا تحضرنى عبارة لوصفه أو لوصف ما أدّى إليه هذا الشغف من الإفراط في إكرام الفنانين والقيان مما جاء ذكره في كتاب الأغاني ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله إلاّ تصورت حضارة العصر الذي استفاضت فيه الموسيقى وغيرها من الفنون والعلوم ، فلست أدرس تطور اللغة للاطلاع على تغيّرات صيغها وأشكالها وأكتفي بهذا الاطلاع ، وإغنا أدرس هذا التطور لأن ورآءه حضارة أفصحت عنها اللغة وتطورها .

فلنشرع بعد هذه المقدمة في موضوعنا .

في رأي «دوزي» صاحب المعجم المشهور أن لغة العرب ، وهو يعني بذلك لغة الشعر القديم والقرآن والسنة لم يطل عهدها أكثر من قرنين على التقريب ، ثم ماذا حدث بعد ذلك ، لقد طرأ على اللغة من آخر القرن الأول الهجري تغيير عظيم ، إلى أي شيء أدنى هذا التغيير ، لقد أدنى إلى غناها ونموها ، وهذه نتيجة لامندوحة عنها ، إنها نتيجة الانتصارات السريعة الحارقة التي انتصرها العرب بمد الرسول ﷺ ، لقد خالط العرب بمد تلك الانتصارات شعوباً شتى غلبوا عليها ، فتفوهت تلك الشعوب بلسان الفاتحين وإن كانت التحسن في كلامها ، لقد كان لتلك المخالطة أثر في العرب أنفسهم فاختلّ النحوي على ألسنتهم واستعملوا ألفاظاً قبلوا وجوه معانيها واقتبسوا كثيراً من التعابير من لغات الأمم المغلوبة ، أهل الشام والفرس والقبط والبربر والإسبان والترك .

على أن مخالطة الأعاجم لم تكن السبب الأوحد ولا كانت السبب الأعظم في فساد اللغة ، فقد وجد الفاتحون أنفسهم في حالةٍ حديثةٍ لا عهد لهم بمثلها ، فسوّاء أكلوا أهل بدوٍ أم كانوا أهل حضر يقيمون بمدن صغيرة ويعيشون عيشة بسيطة ، إنهم نقلوا فجأة من عالم إلى عالم ، نقلوا إلى عالم كل شيء فيه كان جديداً بالنسبة إليهم ، نقلوا إلى مدن كبيرة يشيع فيها البدخ والترف وتستفيض فيها حضارات قديمة ، حضارات الرومان والفرس ، ومما زاد في شرفهم أنهم نشطوا لدراسة الفنون والعلوم التي لم يكن لهم عهد بها ، فحدث بعد هذا أن انقلبت أفكارهم وأخلاقهم كل منقلب ، فأصاب اللغة ما أصابهم ، فقد انتقلت من بيئة البداوة إلى بيئة الحضارة المصقولة ، فافتقرت من جهة وغنيت من جهة ثانية ، كيف افتقرت ، لقد سقط كثير من فيض الألفاظ التي كانت تضابق لغة الأدب ، سقط ما يقرب من ثلث اللغة ، سقطت الألفاظ التي كانت تعبّر عن حالات بدوية ، ولم يكن كثير

منها يستعمل استعمالاً عاماً في أي عصرٍ من العصور ، وأثنى سقطت تلك الألفاظ لقد اعتاضت عنها اللغة ألفاظاً جديدة تعبر عن أشياء وعن أفكار كانت مجهولة ، فقلب العرب بفضل عبقرية لغتهم معاني ألفاظٍ من وجه إلى وجه .

لقد حدث هذا الانقلاب في كل الأقاليم التي غلب عليها العرب ، ولكن الانقلاب كان على درجات متفاوتة ، ومما أعان على التعميل في خلق اللغات المختلفة ترامي أطراف الدولة ، فكل ناحية من هذه الأطراف كان لها لغة خاصة .

ولم يسمع المحافظين من رجال اللغة أن يشهدوا مثل هذا الأمر دون الاعتراض ، لم يسمع المحافظين على صفاء اللغة من رجال النحو والشرع والفقهاء أن يُعترضوا على مثل هذا الأمر ، فكأنهم لم يحيطوا بطبيعة الأشياء ، ولا أدركوا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيَّما اللغات التي تتغير بتغير الأفكار ، إنها مرتبطة بالجماعات التي تنطق بها وبالكتاب الذين يستخدمونها ، وفي رأي «دوزي» أن أوثق الرجال ، رجال اللغة كانوا يريدون أن يجعلوا لغتهم جامدة لا تتحرك ، فهم أعداء كل توليد ، على أن «دوزي» قد اعترف بأن مجهودات علماء اللغة لم تكن باطلة ، بفضلهم وبفضل دراسة القرآن لم تتشعب العربية ، فلم تتولد عنها لغات ثانية كما تولدت عن اللغة اللاتينية ، إلا أنهم مع هذا كله لم يستطيعوا أن يصدوا طبيعة مجرى الأمور ، فقد كان من الكتاب من يستعمل اللغة العامة ، وقد ضرب «دوزي» مثلاً لذلك الرحالة المقدسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، فقد اضطر من أجل المحافظة على ما يسمونه : اللون المحلي إلى أن يستخدم في وصف كل إقليم من الأقاليم التي زارها لغة ذلك الإقليم .

فالذي يهمنا من كل ما جاء في هذه المقدمة الصادقة في أكثر محتوياتها إنما هو قول صاحبها : كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا ميسرًا اللغات التي تتغير بتغير الأفسكار .

فلننظر في هذه التغيرات ، بظواهر تطوّر لغتنا مختلفة ، فإمّا أن تتغير معاني ألفاظها القديمة ، فننتقل هذه المعاني من أفق إلى أفق وإمّا أن تحدث الألفاظ جديدة بأسلوب من الأساليب ، بالتعريب والتوليد مثلاً ، وإمّا أن تموت ألفاظ لم تبقى حاجة إليها .

نبدأ بالظواهر الأولى ، بالتغير الخطير ، وأعني به مجيء الإسلام وما أفضى إليه هذا المجيء من تطور اللغة ، فلنستعن بإمام من أئمة اللغة ، فلنسمع ما قاله ابن فارس في فقه اللغة :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائلكهم وقرائينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فمقتضى الآخر الأوّل ، وإن فُكّان بما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التمسّدق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمّي للمؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلاّ الغيطاء والستر ، فأما المنافق فلم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا ، وكان الأصل من نفاقه اليربوع ، ولم يعرفوا في الفسق إلاّ قولهم : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى ،

وتمّا جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء ، وكذلك الصيام وأصله عندهم الإمساك ، ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة وغيرها من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد ، ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره ، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلاّ من ناحية النماء ، وزاد الشرع فيها ما زاد ، وعلى هذا سائر أبواب الفقه ، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان : لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوي وصناعي . ، ما الذي نستنتجه من كلام ابن فارس ، إننا نستنتج من هذا الكلام أن الإسلام لما جاء بأفكار جديدة لا عهد للعرب بها ، ولا بدء هذه الأفكار من ألفاظ تعرب عنها ، فإذا لم تكن الألفاظ بقيت الأفكار مطوّبة في ذهن صاحبها ، إلاّ أن هذه الأفكار لم تكن مطوّبة في الذهن ، فقد وجدت لها ألفاظاً تفصح عنها وثبتتها في الأذهان ، كيف وجدت هذه الألفاظ ، إنما لم تختَر اختراعاً ، فلم تعرب ولم تولّد ، وإنما نقلت معاني ألفاظ قديمة من وجه قديم إلى وجه حديث ، فعبّرت عن الدين الجديد هذه الألفاظ المنقولة ، عبّرت عن كل ما يشتمل عليه هذا الدين من صلاة وصوم وزكاة وحجّ وغير ذلك من الأفكار الإسلامية .

ولم تتغير معاني الألفاظ الإسلامية وحدها وإنما تغيّرت أيضاً معاني أسماء الأيالم ، فالتبت في الجاهلية : شيار ، والأحد : أول ، والاثنين : أهون وأوهد ، والثلاثاء : جبار ، والأربعاء : دُبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عروبة .

وكما تغيّرت معاني الأيالم فقد تغيّرت معاني أسماء الشهور ، فالحرّم في الجاهلية : المزمير ، وصفر : فاجر ، وربيع الأول : خبّان ، وربيع

الآخر : وَبَصَان ، وَمُجَادِي الأولى : الْحَنِين ، وَمُجَادِي الآخرة : رَبِّي ،
ورجب : الأصم ، وشعبان : العاذل ، ورمضان : فائق ، وشوال : وعيل ،
وذو القعدة : وَرَثَة ، وذو الحجة : بَرَك .

وهذا باب طويل لم ندخل منه إلاَّ للدلالة على تطوُّر اللغة ، فالهمم
أن نعرف أن اللغة لا تثبت على حال من الأحوال ، فاذا عرضت أفكار
جديدة تستلزم أسماءً جديدة وجب على اللغة أن تضع لما يتحدث من المسميات
أسماء مستحدثة ، على نحو ما هو معروف في الألفاظ الإسلامية ، وإذا عجزت
اللغة عن إحداث أسماء لمسميات بقيت المسميات في أذهان أصحابها ميمّة
لا يجدون سبيلاً إلى التعبير عنها ، وتعرف مرونة اللغة بهذا التصرف الذي
يتصرفه علماءها في الالتماء إلى التعبير عن الأفكار الحديثة .

وإذا كنّا نشير إلى تطوُّر اللغة بنقل معاني ألفاظ عن مواضع إلى مواضع ،
فلا بأس بأن نذكر في هذا المقام أن من الألفاظ ما وضع في الأصل خاصاً
ثم استعمل عاماً ، أي من الألفاظ ما ينقل من معناه الخاص إلى معنى عام
من ذلك مثلاً : الْوَرْد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورّداً ، والقَرَب :
طلب الماء ثم صار يقال قَرَب لكل طلب والنَّجْعة أصلها : طلب النيث
ثم صار كل طلب انتجاعاً ، والأمثلة كثيرة .

وعلى خلاف الأمر فقد يوضع اللفظ عاماً ويستعمل خاصاً ، فالبنص عام
والفيرك فيما بين الزوجين خاص والتشهي عام والوَحَم للحُبلى خاص .
غير أن هذا الباب يدخل في أبواب النفسنة وقد مررنا به مروراً ،
فلنستمر في موضوعنا .

ولم يكن تطور اللغة في الألفاظ الإسلامية وحدها ، وإنما كان هذا شأنها في العلوم التي حدثت بعد الإسلام كالنحو والعروض والشعر ، فإذا رجعنا إلى النحو مثلاً وجدنا فيه ألفاظاً نقلت معانيها من مواضع إلى مواضع ، لترجع مرة ثانية إلى ابن فارس ، قال : وزعم قوم أن العرب العاربة لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا هجراً ، والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب ، قيل له : أتهمز إسرائيل ، فقال : إني إذن لرجل سَوَوٌ : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضم والفتح ، وقيل لآخر : أتجرب فلسطين ، فقال : إني إذن لقوي !

على أي شيء يدلنا كلام ابن فارس ، انه يدلنا على أن بعض الألفاظ كانت لها معانٍ محدّدة فلما استحدثت العرب علم النحو اضطروا إلى استحداث ألفاظ لكل باب من أبوابه كالهمز والجر والرفع والنصب وغيرها ، فنقلوا معاني ألفاظٍ من مواضع إلى مواضع ، واصطلحوا على المعاني المنقولة ، والخلاصة ان كثيراً من الألفاظ نقلت من أصلها اللغوي إلى أصل جديد طبقاً لتطور ، مثل الألفاظ الإسلامية أو ألفاظ النحو والعروض كالمديد والطويل وغيرها .

وقد نجد مثل هذا التصرف في فنون الحضارة وعلومها التي حدثت بعد الإسلام ، وما أظن أننا نستطيع أن ندرك ما عملته اللغة بعد ظهور الإسلام ولا سيما في عصر بني العباس إلا إذا أطلعنا على الألفاظ التي وضعها العلماء لعلومهم ، فإذا تعدّينا صدر الإسلام ووصلنا إلى عصر بني العباس وقفنا على ألفاظ في الفنون والعلوم لا يحصيها الإحصاء ، وإذا دلّتنا هذه

الألفاظ على شيء فإنها تدلّنا قبل كل شيء على مرونة اللغة كما قلت فضلاً عن استمدادها للإفصاح عما يفاجئنا من الأفكار والمذاهب ، إلا أن الكلام المجرد لا يوضح الفكرة التي نعنيها ، فلا بد من الاستشهاد حتى نرى بأعيننا قوة لغتنا ، وإني أعتقد أن كتاب : مفاتيح العلوم للخوارزمي يوضح لنا أكل توضيح ما زبد ، وأرى أن الإشارة إلى فقرة مما ورد في مقدمة الكتاب تعلمنا بمحتويات هذا الكتاب الجامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات ، المتضمن ما بين كل طبقة من العلماء من المواضع والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة .

فهذه الإشارة تبين لنا الأفق المديد الذي اشتمل عليه كتات مفاتيح العلوم ، وأريد بهذا الأفق الألفاظ التي اصطلاح عليها العلماء في علومهم . وقد أحب المؤلف أن يستشهد في مقدمته بثلاثة ألفاظ من باب ضرب المثل فقال :

ومثال هذه المواضع لفظة الرّجعة فإنها عند أصحاب اللغة المروّة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها ، وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس يائناً ، وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، إلى غير معاني هذه اللفظة عند الكتاب والمنجمين .

ولفظه الفك فإنها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فك الأسير أو الرهن أو الرقبة ، وأحد الفكين وهما اللّحْيان ، وعند أصحاب العروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعها دائرة ، وعند الكتاب تصحيح اسم المرتق في الجريدة بعد أن كان وضع عنها .

ولفظه الوند عند اللغويين والمفسرين أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى : « والجبال أوتاد » ، وعند أصحاب العروض ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن ، وعند المنجّمين أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع والغارب ووسط السماء ووند الأرض .

إلا أن هذا الاستشهاد المختصر لا يشفي الغليل ، فهو لا شيء إذا قيس بالألفاظ المستحدثة التي تضمنتها كتاب مفاتيح العلوم ، على أنه لا سبيل إلى الإتيان على ذكر كل هذه الألفاظ ، وحسبنا أن نعرف أن المؤلف جعل كتابه مقالين : إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، والثانية لعلوم المعجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم .

وإذا رجعنا إلى فهرست أبواب الكتاب وفصوله وجدناه طويلاً ، ولذلك فإثماً نكتفي بذكر بعض العلوم التي أشار إليها المؤلف وذكر ألفاظها المستحدثة التي لكل واحد منها معنيان : معنى لغوي في الأصل ، ومعنى اصطلاح عليه علماء كل علم .

لقد أشار الخوارزمي في كتابه إلى أبواب كثيرة ، إلى الفقه ، وعلم الأصول ، وعلم الكلام ، كما أشار إلى النحو والعروض والفلسفة والمنطق والايضاح والخطابة والشعر والطب والتشريح والحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والموسيقى وجبر الأتقال والكيمياء ، وإلى أبواب كثيرة غير التي ذكرتها .

فكيف تكون حالة العلوم في زمن بني العباس لولا اجتهد العلماء في التصرف في اللغة ومفرداتها ، كيف تكون حالة هذه العلوم لو عجزت اللغة عن

وضع ألفاظ لها تدرك بها أسرارها ، كيف تستفيض هذه العلوم في عصر ظهورها وكيف نصل إلينا بعد ظهورها لولا هذه الألفاظ المستحدثة التي وضّحها وفصّلتها ، ولماذا لا أقول صورّتها للعقول تصوراً .

إنني لا أرى سبيلاً إلى ذكر ألفاظ كل علم على حدة ، فهذا أمر لا يستوعبه إلاّ معجم ، لقد ألفنا ألفاظ النحو والمروء والشرع والفقه فلا حاجة بنا إلى تكرارها ، ولكن ما عسانا أن نقول في ألفاظ الجبر والهندسة مثلاً ، فالهندسة كلمة فارسية وأصلها : اندازه ، أي المقادير ، قال الخليل ! الهندس الذي يقدر مجاري القني ومواضعها حيث تحترق ، وهو مشتق من الهندزة وهي فارسية ، فصيّرت الزاي سيناً في الإعراب ، لأنه ليس بعد الدال زاي في كلام العرب ، فلما دخلت الهندسة في علوم العرب وأصلها باليونانية : جومطريا ، لم تألف أذواق العرب هذه اللفظة فوضعوا لها اسماً وسموها : هندسة ، فلم يقفوا عند عقبة تترضهم ، ثم دخلوا في تفاصيل هذا العلم فوضعوا ألفاظ الخطوط والبسائط والمجسّمات ، وقسموا كل خط أقساماً فقالوا : مستقيم ومقوّس ومنحنٍ وقالوا : خطوط متوازية وخطوط متلاقية ثم قالوا : زوايا مسطّحة ومجسّمة ، ثم قالوا : زاوية قائمة ومنفرجة وحادة ، ثم قالوا : المحيط والقوس والأضلاع ثم قالوا : القاعدة والقطر والعمود والقوس والسهم .

وهذا باب لا نهاية له إذا تبسّطنا فيه ، ولكننا لم نجد انا مندوحة عن ذكر بعض الألفاظ المستحدثة حتى نعرف تطور اللغة في زمن بني العبّاس ، وإذا قابلنا بين هذا العصر الذي ظهرت فيه العلوم ووضعت لهذه العلوم الألفاظ التي تحتاج إليها وبين عصر الجاهلية أو عصر صدر الإسلام استطننا

أن ندرك تطور اللغة الإدراك كلاًه ، واستطعنا أن نحيط بمظمة هذه اللغة ، فاللغة الفنية ، اللغة العظيمة هي التي لا تمجز عن استيعاب ما يدخلها من العلوم والمذاهب والأفكار ، هي التي تستطيع أن تضع لهذه العلوم وهذه المذاهب وهذه الأفكار ما يازمها من الألفاظ وهذا ما فعلته اللغة في زمن بني العباس ، وهذا الدليل الواضح على تطورها .

وإذا كنا نؤمن بتطور اللغة على أقدام بني العباس فإننا لا نستغني عن الرجوع إلى كتاب الأغاني الذي وردت فيه ألفاظ كثيرة تدل على المراكب والملابس والمآكل وغير ذلك مما أحدثته حضارة العصر ، فقد استفادوا من ألفاظ موضوعية وتصرفوا فيها بعض النصرف فأطلقوها على مسميات مما اقتضته الحاجة ، وإني لا أتوسّع في الاستشهاد ، وإنما أقصر على أمثلة بسيطة ، من هذا القبيل مثلاً لفظة الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإناء الذي يسم رطلاً من النيد ونحوه ، وهكذا نجد أنهم اشتقوا من لفظة الرطل لفظة الرطلية التي تسع هذا الرطل وهي أدق من الإناء أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة ، والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

ومن هذا الشكل لفظة العرسيات ، وهم يريدون بذلك الطعام الذي يصنع في الأعراس ، فكلمة استفحلت عندهم مذاهب الحضارة وانسجت الحياة الاجتماعية استطاعوا أن يخلقوا لهذه الحياة ما يناسبها من الألفاظ الدالة عليها .

وقد استشهد المرحوم الأستاذ أحمد أمين بلفظة : ندر الرجل وتندر إذا جاء بالنادرة وتندر بفلان وتنادر عليه إذا جعله موضع نادرتة . وهذه المادّة من مستحدثات اللغة في العصر العباسي ، وردت في كتاب الأغاني .

وقد ذهبوا مذاهب أبعد فاشتقوا من الأسماء صيغاً تدلّ على التشبه بأصحاب هذه الأسماء ، سواء أكانت أعلاماً أم كانت أسماء مدنٍ أو حيوان ، من قبائل العرب قبيلة اسمها اللهازم وردت في شعر الفرزدق ، فقالوا : تلهزم فلان إذا دخل في هذه القبيلة أو تشبه بأهلها وكذلك اشتقوا من اسم معبد المغني فعلاً فقالوا : هذا صوت تمعبد فيه ابن سريج ، أي تشبه بمعبد في الغناء ، ووضعوا لفظة البرمكة المشتقة من برمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي .

أمّا البلدان فقالوا : تبغدد فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها .
وأمّا الحيوان فقد نجد في الأغاني فعل : تقنفذ ، إذا تشبه بالقنفذ في مشيته .

(للبحث تتمة)

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٣ -

العرف

Coutume في الفرنسية

Custom في الانكليزية

العرف العادة ، وهو قسمان : العرف العام ، والعرف الخاص .
أما العرف العام فهو مجموع العوائد والتقاليد العامة المنتشرة في المجتمع ،
وأما العرف الخاص فهو مجموع ما يتموده الفرد من أنماط السلوك .
والفرق بين العرف والعادة عند القدماء أن استعمال العادة في الأفعال ،
والعرف في الأقوال . الا أن المحدثين يفرقون بينها بطريق آخر فيقولون :
العرف خارجي والعادة داخلية وخارجية معاً . لذلك قال بعضهم : العرف
لا يثبت الاً بالتكرار ، على حين أن العادة قد تثبت بمرة .

العرفان

Gnose في الفرنسية

Gnosis في الانكليزية

Gnosis في اللاتينية

العرفان هو العلم بأسرار الحقائق الدينية ، وهو أرقى من العلم الذي يحصى
لعامة المؤمنين ، أو لأهل الظاهر من رجال الدين .

والعارف (Gnostique) هو الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية بل يفوس على معناها لمعرفة سرها . كالعارفين من اليهود والأفلاطونيين والمسيحيين وغيرهم وهم خمس فرق : (١) الفلسطينيون (٢) والدرانيون (٣) والمصريون (٤) والاسيريون (٥) وأنصار الأفلاطونية الحديثة الذين أخذوا بنظرية التوفيق بين العقائد المختلفة .

ويطلق اسم العرفانية او الغنوصية (Gnosteisme) على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث الميلاد وامتد بطريق الافلاطونية الحديثة إلى فلاسفة الإسلام ، وخلاصته أن العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية وإن الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها ، وإن الموجودات فاضت عن الواحد ولها مراتب مختلفة أعلاها مرتبة العقول المفارقة ، وأدناها مرتبة المادة ، وهي مقر الشر والعدم . أما النفس التي هبطت إلى هذا العالم فانه لا خلاص لها إلا بالمعرفة ، بل الخلاص بالمعرفة أفضل من الخلاص بالإيمان والأعمال الصالحة . ومع أن بعض العرفانيين يقولون بالاثنيةية ويمزجون تعليمهم بشيء من الوم والخيال ، فإن العرفانية المسيحية تقول إن الخلاص لا يتم إلا بطريق الحكمة . وللناس في نظرها ثلاث مراتب : أولاها مرتبة العارفين وخلاصهم بالحكمة ، وثانيها مرتبة المؤمنين وخلاصهم بالإيمان ، وثالثها مرتبة الجهال وهم هالكون لا محالة . وكل مذهب يزعم أنه يمكن تفسير حقائق الوجود تفسيراً عقلائياً ، فهو مذهب عرفاني وضده المذهب اللاعرفاني (Agnosticisme) وهو القول بأن العقل البشري عاجز عن إدراك الحقائق الإلهية .

ويطلق اصطلاح علم العرفان (Gnoséologie) على نظرية المعرفة (Théorie de la connaissance) ويرادفه لفظ الاستمولوجيا (Epistémologie) ومعناه فلسفة العلوم . والفرق بين اللفظين أن الأول يبحث في منشأ المعرفة

وطبيعتها وقيمتها وحدودها بحثاً نظرياً محضاً ، على حين أن المثاني يبحث في موضوعات العلوم وطرقها وقوانينها ومبادئها بحثاً انتقادياً وتحليلياً مبنياً على الواقع والتجربة .

العشق

(راجع لفظ الحب)

العشق إفراط الحب ، وله في اصطلاح الحكماء معنيان .
الأول هو العشق الغريزي أو الجذب الطبيعي المحرك لجميع الموجودات ، فان في كل واحد منها عشقاً غريزياً لكأله كعشق الأجسام الكيماوية بعضها لبعض ، أو عشق الحيوان للغذاء ، أو عشق الفتيان للوجوه الحسان . قال ابن سينا : « من أدرك خيراً فانه بطباعه بعشقه ، وكل واحد من الموجودات يعشق الخير المطلق عشقاً غريزياً » (رسالة العشق) .

والثاني هو العشق الإلهي أو المحبة الخالصة التي يدعو اليها الصوفية ويصفونها بقولهم : ان الجوهر الإلهي في الإنسان إذا صفا من كدورة المادة اشتاق إلى شبيهه ، ورأى بين عقله الخير الأول المحض فأسرع إليه ، وحينئذ يفيض عليه نور ذلك الخير فيتحد به ويشمر بلذة لانشبهها لذة ، وهذه المرتبة أعلى مراتب الوصول وعي لاتقبل الزيادة والنقصان ، فيها ينكر العارف مروفه والعاشق معشوقه ، فلا يبقى هناك عارف ولا مروف ولا عاشق ولا معشوق ، بل عشق واحد مطلق هو الذات الحق الذي لايدخل تحت رسم ولا اسم ولا نعت ولا وصف .

وعشق الذات هو الإفراط في حب الذات ويسمى في اصطلاحنا بالترجسية (Narcissisme) . راجع هذا اللفظ .

العصاب

Névrose	في الفرنسية
Neurosis	في الانكليزية

يطلق لفظ العصاب على الخلل العقلي الناشيء عن اضطراب الوظائف النفسية كالفكرة المتسلطة (Idée fixe) ، ومرض الشك ، وققدان الذاكرة والخوف ، والتحذير ، واضطراب الكلام ، أو اضطراب الغريزة . وليس لهذا العصاب سبب عضوي معروف وإن كان متصلاً بحياة المريض النفسية والاجتماعية ، وهو مصحوب بألم شديد ويخلل في التوازن العقلي ، إلا أنه لا يغير شخصية صاحبه ولا يفقده هويته ووحدته .

وقد بين بعض العلماء أن هذا العصاب ينشأ عن صراع داخلي بين القوى النفسية ، وبين بعضهم الآخر أنه ينشأ عن اضطراب أو توقف في تطور الوظائف (راجع كتاب بيير جانه : Les névroses : Pierre Janet) ويطلق اصطلاح عصاب القلق (Névrose d'angoisse) عند (فرويد) على شعور المرء بالضيق النفساني المحض الذي ليس له سبب واضح . وقد سمي هذا العصاب بالحصص النفساني أو الجزع أو الكرب ، وهو وإن كان مصحوباً بالخوف من الوقوع في المكاره إلا أنه ليس نتيجة هذا الخوف .

المعضلي (الحس)

Sens musculaire	في الفرنسية
Muscle sens, Muscular sens	في الانكليزية

الحس المعضلي هو الحاسة التي تدرك الاحساسات الناشئة عن تقلص

العضلات أو ارتخائها . وهو يختلف عن الحس المفصلي (Sens articulaire) الذي ينشأ عن أطراف الأعصاب المتصلة بحركات المفاصل .
(راجع الحس الحركي Sens Kinésithésique) .

المضو

Organe	في الفرنسية
Organ	في الانكليزية
Organun	في اللاتينية

المضو جزء من الجسم الحي كالقلب والدماغ والمعدة والكبد . الخ .
ولكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة معينة يقوم بها ، تقول : أعضاء الحس وأعضاء الحركة ، ويرادفه لفظ الجهاز ، وهو قسم من جسم الإنسان يعمل لغاية معلومة كجهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، وكل جهاز يؤدي عملاً يسمى آلة .

ويطلق لفظ المضو أيضاً على الرجل المشترك في هيئة أو شركة أو جماعة ونحو ذلك ، تقول : عضو المجمع العلمي ، وعضو المجلس البلدي الخ ..

المضوي

Organique	في الفرنسية
Organic	في الانكليزية

المضوي هو المنسوب إلى العضو ، ويطلق على كل جسم مركب من أجزاء ذات وظائف متميزة ومتناسقة تقول : الكل المضوي ، أي الكل المنضوي ونقول أيضاً : الوظائف المضوية والكيمياء المضوية .

والعضوي ضد الميكانيكي أو الآلي ويطلق على كل نمو ثانوي، عن تأثير قوة مركزية داخلية تعمل لغاية معينة فإذا كان نمو الجسم ناشئاً عن اجتماع الأسباب الداخلية والخارجية الفاعلة ولم تكن هذه الأسباب خاضعة لقوة مركزية توجهها إلى غاية معينة لم يكن ذلك النمو عضوياً .

والكائن العضوي (Organisme) هو الكائن الحي .

والمذهب العضوي (Organicisme) ضد المذهب الحيوي (Vitalisme) وهو القول أن الحياة تنشأ عن التنظيم والتمضية ، أي عن تكون الأعضاء واتصافها ببعض الصفات الحيوية الخاصة . ذلك هو المعنى الذي أخذ به (سيسيه - Saisset) في قوله إن لبعض الأجسام خواص زائدة على الخواص الفيزيائية والكيميائية وهي اتصافها بالتقلص والتهيج والإحساس ، وإن الحياة تنشأ عن تكون الأعضاء المتصفة بهذه الصفات ، والمذهب العضوي في علم الاجتماع هو القول إن المجتمع كائن حي وإن علم الاجتماع قسم من علم الحياة .

العِظَم والعَظَمَة

Grandeur

في الفرنسية

Greatness

في الانكليزية

Grandis

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني

العظمة صفة العظم وهي مادية أو معنوية . أما المادية فهي من الجسم ما ضخم منه ويرادفها العظم ، تقول : عظم الجبل ، وعظم البحر ، وأما المعنوية فهي الكبرياء والجبروت والنخوة والزهو ، تقول : عظمة الملك ، وعظمة الفكر وحب العظمة .

والعظم في الرياضيات يسمى مقداراً وهو كل ما يزيد وينقص ، ويرادفه الكم وهو متصل أو منفصل .

والفرق بين العظمة والجلال أن العظمة تستعمل في الأجسام وغيرها على حين أن الجلال لا يستعمل إلا في غير الأجسام .

وعظمة الله وجوبه الذاتي أي استقلاله واستغناؤه عن غيره ، أما كبريائه فهي ألوهيته أي استغناؤه عما سواه واحتياج ما سواه إليه .

والعظيم تقيض الحقير كما أن الكبير تقيض الصغير . فقد يكون الشيء كبيراً ولا يكون عظيماً ، أو يكون صغيراً ولا يكون حقيراً ، لأن العظيم هو العظيم بصفاته المعنوية لا بصفاته المادية .

والفرق بين العظيم والكثير أن العظيم يستعمل في الأجزاء المتصلة والأجزاء المنفصلة ، على حين الكثير لا يستعمل إلا في الأجزاء المنفصلة . والدليل على ذلك أن الجبل وهو متصل الأجزاء ينعت بالعظيم ولا ينعت بالكثير ، وإن المال وهو منفصل الأجزاء ينعت بالعظيم والكثير معاً . وقد يستعمل العظيم في الخير والشر نقول إن الله ذو فضل عظيم وإن الشرك لظلم عظيم .

والأعظام عند الرياضيين أقسام الكم المتصل كالخط والسطح والجسم والمكان والزمان ، وإذا نسبت بعضها إلى بعض يقال لها مقادير .

وجنون العظمة (Folie des grandeurs , Mégalomanie) حالة نفسية شاذة مصحوبة بفقدان الجهد المادي والمعنوي تدفع صاحبها إلى البالغة في طموحه ومطامعه ، حتى يتوهم أنه ملك أو نبي أو إله ، أو أنه أعظم الناس ثروة أو قوة أو مرتبة .

(راجع لفظ المقدار) .

العفة

Tempérance	في الفرنسية
Temperance	في الانكليزية
Temperantia	في اللاتينية

العفة هيئة للقوة الشهوانية متوسطة بين الشره الذي هو إفراط هذه القوة والحمود الذي هو تفريطها . قال مسكويه : « وأعني بالشره الانهالك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي ، وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته ، وهي ما ترخص فيه الشريعة والعقل ، (تهذيب الأخلاق ، ص : ٢٧ من طبعة بيروت ١٩٦٦ ، تحقيق قسطنطين زريق) والعفة إحدى الفضائل الأربع الرئيسية التي ذكرها أفلاطون ، وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة .

والفضائل التي تحت العفة كثيرة ، منها الحياء ، والدعة والصبر ، والسخاء ، والحرية ، والقناعة ، والدمائة ، والانتظام ، والمسألة ، والوقار ، والورع . وكل فضيلة من هذه الفضائل فهي وسط بين رزيلتين ، فالحياء وسط بين الوقاحة والخرق ، والسخاء وسط بين التبذير والبخل والقناعة هي الاعتدال في الأكل والشرب والزينة الخ . . وكل من جاوز حد الاعتدال في مأكله ومشربه أو في فعله وسلوكه ، أو في إرضاء رغباته وشهواته لم يكن عفيفاً .

العقاب

Peine . chatiment	في الفرنسية
Pain	في الانكليزية
Pœna	في اللاتينية

العقاب ما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة في الآخرة ، فاذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن ذنب ارتكبه استحق العقاب .

والعقوبة ما يلحق الإنسان من المحنة بعد الذنب في الدنيا ، ولها في قانون العقوبات درجات متفاوتة أشدها عقوبة الإعدام وتخفها عقوبة الحبس أو الغرامة .

والفرق بين العقاب والعذاب أن العقاب جزاء الشر ، على حين أن العذاب هو الألم الشديد جزاءً كان أو لا . تقول : السفر قطعة من العذاب وكل ماشق على النفس فهو عذاب أي شعور بالألم . وهو مادي أو معنوي . (راجع لفظ الألم) .

العقد

Contrat	في الفرنسية
Contract	في الانكليزية
Contractus	في اللاتينية

العقد العهد ، إلا أن العهد إلزام مطلق والعقد إلزام على سبيل الاحكام . وهو اتفاق بين طرفين أو أكثر يلتزم كل منهم بمقتضاه تنفيذ ما اتفقوا عليه .

وعقد العمل (Contrat du travail) عقد يلتزم شخص بموجبه أن يعمل في خدمة شخص آخر لقاء أجر .

والمقد الاجتماعي (Contrat social) اتفاق اقتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يعهد إلى حكم « الإدارة العامة » في جميع مآلديه من قدرات خاصة تنظم بها حياة الكل . قل روسو : « إن الإنسان يربح بالمقد الاجتماعي حريته المدنية، وإن خسر به حريته الطبيعية . » (J. J. Rousseau , Contrat social , I. VIII) .

العقدة

Complexe في الفرنسية

Complex في الانكليزية

Complexus في اللاتينية

العقدة مشكلة تعترض حياة الشخص فينشأ عنها اضطراب في النفس . وهي جملة من التصورات المشحونة بالانفعال الشديد تنمو على هامش الشعور الواضح حتى تبلغ درجة السيطرة عليه .

والمقد في علم التحليل النفسي كثيرة منها عقدة النقص أو الصفة ، وتسمى مركب النقص (Complexe d'infériorité) وعقدة اوديب (Complexe d'Oedipe) وعقدة الكترا (Complexe d'Electre) . وغيرها . أما عقدة النقص فهي موقف عاطفي يسيطر على المرء من جراء شعوره بضعفه العضوي أو الجنسي ، فيحمله ذلك في كثير من الأحيان على كبت عواطفه ، ويولد فيه حالة عصبية تختلف شدتها باختلاف الظروف المحيطة به والوسائل المتوافرة لديه .

وأما عقدة (اوديب) فهي ميل جنسي مظهره عشق الولد لأمه ، وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (اوديب) الملك الذي قتل أباه وتزوج أمه . وتتألف هذه العقدة من جملة من التصورات والمواقف المتضاربة شعورية كانت أو غير شعورية تتجلى في ميل الولد إلى أمه وغيره عليها من والده .

وأما عقدة (الكترا) فهي ضد عقدة (اوديب) وتتميز بميل جنسي مظهره عشق الفتاة لأبيها . وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (الكترا) التي أرادت أن تنتقم من أمها لتبيثها أميأب قتل أبيها (آغاممنون) ومن صفات هذه العقدة أنها مصحوبة بتعلق الفتاة عن وعي أو غير وعي بوالدها ، وبكرهها لأمها ، وباضطراب تصوراتها وعواطفها من جراء شعورها بالإثم .

وعقدة (الكترا) عند البنات نظير عقدة (اوديب) عند البنين (راجع فرويد 7-30 S. Freud, über Psychoanalyse) ويونغ Yung L'homme à la découverte .

العقل

Raison , intelligence , intellect	في الفرنسية
Reason, understanding intelligence	في الانكليزية
intellectual powers	
Ratio, intelligentia intellectus	في اللاتينية

العقل في اللغة هو الحِجر والنهي ، وقد سمي بذلك تشبيهاً بمقل الناقة ، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقول الناقة من الشرود . والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه (راجع معيار العلم للغزالي ص ١٦٢) .

الأول يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته ويكون حده أنه هيئة محدودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته .

والثاني يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في المذهب تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض من المصالح .
والثالث يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكلها ونقصانها .

أما الكندي (رسالة في ماهية العقل والإبانة عنه ، ورسالة في حدود الأشياء ورسومها) والفارابي (مقالة في معاني العقل) وابن سينا (رسالة الحدود) وغيرهم من الفلاسفة فانهم يطلقون العقل على المعاني التالية ، وهي :
١ — أول هذه المعاني هو القول إن العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بمقائنها » (الكندي ، رسالة في حدود الأشياء ورسومها) وهذا الجوهر « ليس مركباً من قوة قابلة للفساد » (ابن سينا ، الإشارات ص ١٧٨) وإنما هو « مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله » (تعريفات الجرجاني) وهذا القول بجوهرية العقل مع نفي العرضية عنه موجود في أكثر كتب الفلاسفة ، فالفارابي عندما يتحدث عن القوة التي تدرك للعقولات يقول إنها « جوهر بسيط مقارن للمادة ، يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أحدي ، وهو الإنسان على الحقيقة » (عيون المسائل ، ص ٦٤) . وابن سينا لا يتحدث عن القوة العاقلة إلا ليطلق عليها اسم الجوهر ، وهو يسمى الجوهر المتبصر* من المواد من كل جهة عقلاً ، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله : أنا .

٢ — والمعنى الثاني للعقل هو القول إنه قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأفيسة . والفرق بينه وبين الحس أن

الحس لا يستطيع أن يجرد الصورة من المادة على حين أن العقل يستطيع أن يأخذ الصورة مجردة عن المادة ولواحقها من كل وجه . وله عند فلاسفة الإسلام عدة مراتب : أولها مرتبة العقل الهولاني (Intelligence matérielle) وهو الاستعداد المحض لإدراك المقولات ، وثانيها العقل بالهبة (Intelligence · Habitude) وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات ، وثالثها العقل بالفعل (Intelligence en acte) وهو القدرة على استنباط النظريات من الضروريات ورابعها العقل المستفاد (Intelligence acquise) ، وهو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لاتغيب عنه ، وفوق العقل الإنساني عقل مفارق وهو العقل الفعال (Intelligence active) الذي تفيض منه الصور على عالم الكون والفساد ، فتكون موجودة فيه من حيث هي فاعلة ، أما في عالم الكون والفساد فهي لاتوجد إلا من جهة الانفعال . وهذا الفرق بين الفعل والانفعال يذكرنا بقول (أرسطو) أن العقل الفاعل (Intellect agent) هو العقل الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية على حين العقل المنفعل (Intellect passif) هو الذي ترسم فيه هذه الصور المجردة .

٣ — والمعنى الثالث للعقل هو القول إنه د قوة الإصابة في الحكم ، أي تمييز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح (ديكارت ، مقالة الطريقة القسم الأول ص ١ من ترجمتنا) وهذا التمييز لا يحصل عن قياس وفكر بل يحصل مباشرة بالفطرة والطبع . فكأن العقل كما قال (الرازي) غريزة يلزمها العلم بالأمور الكلية والبدئية . وقد أشار (ديكارت) إلى هذا المعنى بقوله : أن المساعدة الأولى لطريقته هي أن لا يتلقي على الإطلاق شيئاً على أنه حق ما لم يتبين بدهاة العقل أنه كذلك .

فالعقل بهذا المعنى مضاد للحمق ، لأن الخلق قلة العقل وفساده ووضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه وهو مضاد أيضاً للهوى لأن الهوى يمتنع المرء من الإصابة في الحكم على حين أن العقل يمنع النفس من العدول عن سواء السبيل وينهاها عن اتباع هواها .

٤ - والمعنى الرابع للعقل هو القول إنه قوة طبيعية للنفس مهيئة لتحصيل المعرفة العلمية ، وهذه المعرفة تختلف عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان . قال ابن خلدون : « إن العلوم التي يخوض فيها البشر وتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين : صنف طبيعي الإنسان يهتدي إليه بفكره ، وصنف ثقلي يأخذه عن وضعه . والأول هو العلوم الحكمية والفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر ، والثاني هو العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، (المقدمة ، ص ٤٣٥) ومعنى ذلك أن موضوع الدين معرفة الحقائق التي أوحى بها الله ، أما موضوع العلم فهو معرفة الحقائق التي يستطيع الإنسان أن يحصلها بعقله الطبيعي دون معونة خارجية . ولهذا العقل الطبيعي في نظر ابن خلدون ثلاث درجات أولها درجة العقل التمييزي وثانيها درجة العقل التجريبي ، وثالثها درجة العقل النظري .

٥ - والمعنى الخامس للعقل هو القول إنه مجموع المبادئ القبلية (A priori) المنظمة للمعرفة كبداً عدم التناقض ، ومبدأ السببية ومبدأ الغائية . وتتميز هذه المبادئ بضرورتها وكليتها وعدم تعلقها بالتجربة . قال لينز : « يتميز الإنسان عن الحيوان بأدراكه للحقائق الضرورية والأبدية ،

فهي التي تولد فيه العقل والعلم وتسمو به إلى معرفة ذاته ومعرفة الله ، (Monodologie - 29) . وقد انتشر هذا المعنى في الفلسفة الحديثة بتأثير (كانت) حتى أصبح الفلاسفة يقولون إن إدراك العقل للعالم لا يتم بما يحصل له من مدركات تجريبية فحسب ، بل يتم بما لديه من معاني فطرية . فإذا قال الفلاسفة التجريبيون : لا يوجد في العقل شيء لم يوجد قبل في الحس والتجربة صحح الفلاسفة العقليون هذا القول بإضافة قيد واحد عليه وهو قولهم : إلا العقل نفسه . ومعنى ذلك أن جملة المبادئ والمعاني الأولية التي يكشف عنها الفكر موجودة في العقل قبل الحس ، وأن العقل الفرزي ليس صفحة بيضاء لم تنتقش بنقش ، وإنما هو ذو رسوم فطرية تنظم معطيات التجربة . وبعض المعاني الكلية كعنى الكامل والمطلق والانهائي ملازمة للعقل لا تفارقه ، وبعضها الآخر كعنى الزمان والمكان والعلة والغاية والوحدة حاصلة للعقل بواسطة الفكر . والفرق بين العقل والفكر أن العقل هو مجموع المبادئ الضرورية والمعاني الكلية التي تنظم المعرفة على حين أن الفكر هو حركة النفس في المعقولات من المطالب إلى المبادئ تارة ، ومن المبادئ إلى المطالب أخرى . أما الفرق بين العقل والاستدلال فهو أن العقل نور يدرك المبادئ الضرورية بذاته إدراكاً حديسياً مباشراً على حين أن الاستدلال هو النظر في شروط انطباق هذه المبادئ على موضوعات الفكر لاستخراج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة .

٦ - والمعنى السادس للعقل هو القول انه الملكية التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق الماطقة . وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه دل العقل حينئذ على المطلق نفسه . فكأن هذا العقل شيء مستقل عنا ، ونحن نتلقاه من الخارج كما نستنشق الهواء المحيط بنا ، وكل واحد منا كما يقول

(بوسويه) يشعر بأن في داخله عقلاً محدوداً ، لا يصحح أحكامه إلا باستلزام عقل كلي ثابت لا يتغير ، فأين يوجد هذا العقل الكلي ، انه الله الذي أتطلع إليه ، إنه الموجود ، للانهائي الكامل الذي يتجلى لنفسي مباشرة . فكأن هذا العقل الذي أشار إليه (بوسويه) شبيه بالعقل الفعال الذي تكلم عليه الفسارابي وابن سينا ، فالله عقل ، وليس عقل الإنسان سوى عقل مستفاد تفيض عليه المعقولات من العقل الإلهي . ومع أن (كانت) قد أعلن أن معرفة هذا العقل المطلق ممتعة فإن خلفاءه ولا سيما (شيلينغ) يقولون بإمكان معرفته ، وهكذا يتدرجون إلى القول بعقل مستقل عن الفكر أي بحس شبيه بالهام الشاعر ، يكافح الشك أو الباطل أو الضلال الذي يظهر على مسرح الفكر كأن هنالك فوق الفكر منطقة نورانية أو منطقة سلام دائم يقبض فيها العقل على الحقائق المطلقة دون الاستعانة بالفكر . وقد خلق الله هذا العقل لإدراك هذه الحقائق ، كما خلق العين لإدراك الألوان والأشكال والأذن لإدراك الأصوات . (راجع كتاب فكتور كوزان (Victor Cousin Du vrai , du beau , et du bien , 3^e leçon, 161.

٧ — وبطلن لفظ العقل أيضاً على مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك الحسي ، والتداعي ، والذاكرة والتخيل ، والحكم والشعور والاستدراك وبقائه في اللغة الفرنسية لفظ (Intelligence) وهو ملكة الفهم وضده الحسد والغريزة . أما ملكة الفهم السريع فتسمى ذكاء .

٨ — العقل المحض والعقل العملي (Raison pure et raison pratique) يطلق (كانت) هذين الاصطلاحين على كل ماهو قبلي في الفكر أي على اللغة المتعالية التي تتضمن مبادئ المعرفة القبلية المستقلة عن التجربة . فاذا نظرت إلى العقل من جهة اشتغاله على المبادئ القبلية للمدركات العلمية كان

نظرياً أو تأملياً ، وإذا نظرت اليه من جهة اشتغاله على المبادئ القبلية لقواعد الأخلاق كان عملياً . وإذا كان العقل النظري محضاً تارة ومبنياً على التجربة أخرى فإن العقل العلمي لا يمكن أن يكون إلا محضاً . وللعقل عند (كانت) معنى أحص وهو إطلاقه على ملكة الفكر المتعالية التي بها تدرك المعاني المثالية كمعاني النفس والله والعالم ، وهو بهذا المعنى ليس مضاداً للتجربة وإنما هو مضاد للملكة الفهم ، وله ناحية عملية خاصة وهي أن موضوعات الأخلاق (Postulats de la morale) . كالقول بالحرية وخلود النفس ووجود الله متعلقه به .

٩ - العقل المؤلّف والعقل المؤلّف (Raison constituante et raison

(constituée

العقل المؤلّف عند (لالاند) هو الملكة التي يستطيع بها كل إنسان أن يؤلف من إدراك العلاقات مبادئ كلية وضرورية ، وهي واحدة عند جميع الناس . أما العقل المؤلّف عنده فهو مجموع المبادئ والقواعد التي يعتمد عليها في الاستدلال ، وهي تتغير بتغير الزمان والأفراد ، إلا أنها تتجه مع ذلك إلى الوحدة ، فكأن العقل المؤلّف هو العاقل ، وكأن العقل المؤلّف هو العقول .

١٠ - والعقلي (Rationnel) هو المنسوب إلى العقل ، تقول : المبادئ

العقلية والمعلوم العقلية . قال (هيجل) كل عقلي فهو موجود بالفعل ، وكل موجود بالفعل فهو عقلي .

والعقلي أيضاً هو المنطقي ، تقول : يجب أن يصبح العلم الرياضي نقطة الابتداء في كل تربية عقلية (أي منطقية) ، وتقول علم الميكانيك العقلي أي

النظري ، وهو العلم الذي يستنبط جميع مسائله من معاني القوة والكتلة والقصور الذاتي وغيرها .

والحياة العقلية (Vie intellectuelle) في علم النفس مقابلة للحياة الانفعالية (Vie affective) والحياة الفاعلة (Vie active) والقيم العقلية مقابلة للقيم الأخلاقية أو الفنية .

١١ — والعامل (Raisonné) هو الناطق أي المتصف بالعقل وكل من قال في الانسان انه عاقل عنى بذلك أن عقله يميزه من الحيوان .
والعامل أيضاً هو الذي يفكر تفكيراً صحيحاً ويحكم على الأشياء حكماً صادقاً ويعمل عملاً صالحاً ، فلا يسمى عاقلاً حتى يكون خيراً ، بخلاف الجاهل الذي يستعمل فكره في فعل الشر ، فلا يسمى عاقلاً وإنما يسمى داهياً أو ماکراً .

والعامل أيضاً هو الذي يعرف كيف يكبح جماح نفسه ويعرض عن كل ما يجاوز نطاق قدرته وبوقته في المهالك ، ولذلك قيل : دولة الجاهل من الممكنات ، ودولة العامل من الواجبات .

والعامل أخيراً هو الذي يتقيد بالذوق والعرف المأم ، أو بأحكام القيم المقبولة في زمانه ، ويرادفه المعتدل والمتزن .

١٢ — والمقول (Intelligible) ضد المحسوس ، وهو المعنى الكلي ، والمقولية (Rationalité ou intelligibilité) صفة القول كقولية بعض البادي* التي نستخرجها من الارتباط الضروري بين التطورات . ولما كانت المحسوسات منبع الكثير من الخطأ والضلال وكان حاكم العقل يكذب حاكم الحس كانت المعرفة اليقينية مؤلفة من المقولات لامن المحسوسات ، والمقول في بعض المذاهب الفلسفية مرادف الوجود الحقيقي ، تقول : عالم المقولات وعالم المثل ، وتقول أيضاً : معقول الحيوانية ، ومعقول الانسانية ومعقول الحرية ، وهي معان

كلية لها في نظر بعض الفلاسفة ثلاثة أنماط من الوجود : وجودها متكررة في المحسوسات ، ووجودها في العقل البشري بعد الكثرة ، ووجودها في عالم المقولات قبل الكثرة .

١٣ — ومبدأ المقولية الكلية (Principe de l'universelle intelligibilité) اصطلاح أطلقه (فويه) في كتابه « فلسفه افلاطون » على الايمان بمقولية الأشياء وهو القول إن كل موجود فهو مؤلف من قوانين العقل الأساسية . فاذا شك المرء في شيء لم يشك فيه لذاته بل شك في قدرته هو على معرفة ذلك الشيء . وإذا قلت إن كل شيء معقول أردت بهذه المقولية أن لكل شيء صورة عقلية تفسره .

١٤ — العقلانية أو المذهب العقلي (Rationalisme) .

المذهب العقلي هو القول بأولية العقل ويطلق على عدة معان :

أ — الأول هو القول إن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول .

ب — والثاني هو القول إن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية ، لأن هذه التجارب لاتفيد علماً كلياً والمذهب العقلي بهذا المعنى ضد المذهب التجريبي (Empirisme) الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الإحساس والتجربة .

ج — والثالث هو القول إن وجود العقل شرط في إمكان التجربة فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هنالك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس . مثال ذلك أن المثل عند (افلاطون) والمعاني النظرية عند (ديكارت) والصور العقلية (Formes a priori) عند (كانت) متقدمة على التجربة . فاذا عددت هذه المثل وتلك المعاني والصور شرطاً ضرورياً وكافياً لحصول

المعرفة كانت العقلانية مطلقة ، وإذا عددها شرطاً ضرورياً فقط كانت العقلانية نسبية .

د - والرابع هو الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة ومسبب ذلك في نظر العقليين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية وأن كل موجود معقول ، وكل معقول موجود . فإذا صحح عندهم أن العقل قادر على الاحاطة بكل شيء دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو الدين كان مذهبهم مضاداً لمذهب الايمانين (Fidéistes) ومذهب المتصوفين .

هـ - والعقلانية عند بعض علماء الدين هي القول أن العقائد الايمانية مطابقة لأحكام العقل . ولهذا العقلانية ثلاثة أوجه : الأول هو القول أن العقل شرط ضروري كاف لمعرفة الحقائق الدينية ، والثاني هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمباديء العقلية ، والثالث هو الدفاع « عن العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية » (مقدمة ابن خلدون ص : ٤٦٦)

العقيدة

Dogme في الفرنسية

Dogma في الانكليزية

Dogma في اللاتينية

العقيدة هي الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد . وتطلق في الفلسفة على الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الرواقية والعقيدة المركسية . وتطلق في الدين على

ما يؤمن به الانسان ويمتقده كمقيدة وجود الله وبثمة الرسل والمقاب والثواب وغيرها .

والاعتقادية أو الوثوقية أو التوكيدية (Dogmatisme) مذهب الذين يؤمنون بقدرة العقل على الوصول إلى اليقين وهي ضد الريبية (Scepticism) وضد الانتقادية (Criticism) .

وقد يطلق لفظ الوثوقي أو التوكيدي تهكماً على من يتمسب لرأي يسلم به دون تمحيص ، ويحاول فرضه على غيره دون برهان .

العكس

Conversion	في الفرنسية
Conversion	في الانكليزية
Conversio	في اللاتينية

العكس استدلال مباشر يقوم على تصيير الموضوع محمولاً والمحمول موضوعاً مع بقاء السلب والإيجاب بحاله ، والصدق والكذب بحاله ، وله قيمان : الأول هو العكس المستوي أو التام كما في الكلية السالبة الجزئية الموجبة فإن كل واحدة منها تنعكس مثل نفسها . فإذا قلت : لا شيء من (T) (B) صدق : لا شيء من (B) (T) ، وكذلك إذا قلت بعض (T) (B) صدق بعض (B) (T) .

والثاني هو العكس الجزئي أو العكس بالعرض كما في الكلية الموجبة التي تنعكس جزئية موجبة . فإذا قلت كل (T) (B) صدق بعض (B) (T) . أما الجزئية السالبة فلا تنعكس ، فليس إذا صدق قولنا ليس كل إنسان كاتباً يجب أن يصدق ليس بعض الكاتب بإنسان .

وللفظ (Conversion) في الفرنسية والانكليزية معنيان آخران الأول هو الرجعة وهي الحركة المضادة لحركة الصدور في الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، لأن الصدور هو فيض العقل والنفس والعالم تنالياً ، ثم فيض الموجودات الفردية عن الواحد أو الخير أما الرجعة فهي عودة هذه الأشياء إلى مبدئها الأصلي . والثاني هو تحول الانسان من مبدأ سياسي أو خلقي إلى آخر أو اعتناقه ديانة غير ديانته .

العلاقة

Rapport . relation	في الفرنسية
Relation	في الانكليزية
Relatio	في اللاتينية

العلاقة بالفتح الارتباط ، وبالكسر ما يملن به السيف ونحوه . فالفتوح يستعمل في الأمور الذهنية ، والمكسور في الأمور الخارجية المحومة . وتطلق العلاقة في اصطلاح المنطقيين على ما بسببه يستصحب شيء شيئاً آخر . كعلاقة المقدم بالتالي في القضايا الشرطية المتصلة ، مثل قولنا في اللزوميات إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود .

والعلاقة في الفلسفة الحديثة معنيان ، أحدهما عام ، والآخر خاص . فالعلاقة بالمعنى العام تطلق على كل ارتباط بين موضوعين أو أكثر من موضوعات الفكر بحيث يدرك العقل علاقة أحدهما بالآخر بفعل واحد

لا ينقسم ، كعلاقة التشابه أو التباين أو المعية أو التعاقب أو العلوية أو النائية أو التضاييف .

والعلاقة بالمعنى الخاص هي التناسب بين كميتين أو أكثر . مثال ذلك أن علاقة (ب : ج) أو $\frac{ب}{ج}$ هي قياس كمية (ب) بنسبتها إلى كمية (ج) أو هي خارج قسمة (ب) على (ج) ، ولذلك قيل إن العلاقة هي التناسب بين الأشياء أو المقياس المشترك بينها .

والعلاقة في علم البيان المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد في المجاز والكناية والملائق ما يتعلق به الإنسان من أسباب الدنيا وشواغلها . قال الغزالي : « وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمح في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وإن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاني عن دار الفرور ، والافتابة إلى دار الخلود ، والاقبال بكنهه الهمة على الله تعالى ، وإن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه والمال ، والحرب من الشواغل والملائق . ثم لاحظت نفسي فإذا أنا منغمس في الملائق ، وقد أحدثت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة » (المنقذ من الغلال ص ١٠٣ من طبعتنا ، الطبعة السابعة بيروت ١٩٦٧) .

وقد تكون علاقة الإنسان بالإنسان علاقة صداقة أو عداوة أو علاقة اشتراك في مسكن أو مهنة أو طائفة أو ديانة أو وطن الخ .. وأعلى هذه الملائق كلها الملائق الانسانية المجردة .

(راجع : النسبة ، والإضافة)

العلّة

Cause في الفرنسية

Cause في الانكليزية

Causa في اللاتينية

العلّة في اللغة معنى يحلّ بالحلّ فيتغير به حال ذلك الحلّ بلا اختيار ، ومنه سمّي المرض علّة لأنّه يحلّوه بتغيير حال الشخص من القوّة إلى الضعف . وكلّ وصف حلّ يحلّ وتغير به حاله ممّا فهو علّة ، وصار الحلّ معلولاً له كالجرح مع المجرّوح وغير ذلك ، وبعبارة أخرى كلّ أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير إليه فهو علّة لذلك الأمر ، والأمر معلول له ، فيتعلّق كلّ واحد منها بالقياس إلى تعلّق الآخر ، (كليات أبي البقاء) .

والعلّة عند الأصوليين ما يجب به الحكم .
والعلّة عند الحكماء ما يتوقف عليه وجود الشيء وبكون خارجاً مؤثراً فيه (تعريفات الجرجاني) فصلة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء إما في ماهيته كالمادة والصورة أو في وجوده كالفاية والفاعل .

والعلّة ترادف السبب إلا أنّها قد تغاير فيراد بالعلّة المؤثر والسبب ما يفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه . وقد قال بعضهم : السبب ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به ، أما العلّة فهي ما يثبت به الحكم . ومعظم الفلاسفة الإسلاميين كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد يفضلون استعمال لفظ العلّة على لفظ السبب إلا الغزالي وعلماء الكلام قانهم يستعملون لفظ السبب للدلالة على العلّة .

والعلل عند (أرسطو) أربعة أقسام : (١) العلة المادية (Cause materielle) وهي ما لا يانزم عن وجودها بالفعل حصول الشيء بالفعل ، بل ربما كان بالقوة كالخشب والحديد بالنسبة إلى السرير ، (٢) والعلة الصورية (Cause formelle) وهي ما يجب عن وجودها بالفعل وجود الشيء بالفعل كالشكل والتأليف للسرير . (٣) والعلة الفاعلة (Cause efficiente) وهي ما تكون مؤثرة في المعلوم موجدة له كالنجار الذي يصنع السرير . (٤) والعلة الغائية (Cause finale) وهي ما يكون الشيء لأجلها كالجُلوس على السرير ، فهو الغاية التي من أجلها وجد .

وقد أخذ فلاسفة الإسلام وفلاسفة القرون الوسطى في أوربة بهذه النظرية الأرسطية وقدموا العلة الغائية على سائر العلل . مثال ذلك قول ابن سينا : والغاية تتأخر في حصول الوجود عن المعلوم إلا أنها تتقدم سائر العلل في الشئئية ، ومن البين أن الشئئية غير الوجود في الأعيان ، فإن المعنى له وجود في الأعيان ووجود في النفس وأمر مشترك ، فذلك المشترك هو الشئئية ، والغاية بما هي شيء ، فلها تتقدم سائر العلل ، وهي علة العلل في أنها علل .. وبما هي موجودة في الأعيان قد تتأخر .. وذلك لأن العلل إنما تصير عللاً بالفعل لأجل الغاية ، وليست هي لأجل شيء آخر ، وهي توجد أولاً نوعاً من الوجود فتصير العلل عللاً بالفعل ، ويشبه أن يكون الحاصل عن الخير هو أن الفاعل الأول والحرك الأول في كل شيء هو الغاية ، (النجاة ص ٣٤٥) .

والعلة الأولى (Prima causa) هي العلة التي لاعلة لها ، او علة العلل ، أو العلة النهائية ، وتطلق عند الحكماء على الله وحده .

والعلة الثانية (Cause seconde) هي العلة التي لا فعل لها إلا بتأثير العلة الأولى وهي قريبة (Prochaine) أو بعيدة (Eloignée) .

وفرقوا بين الملة الأساسية (Cause principale) والملة الاداتيية (Cause instrumentale) والملة المباشرة (Cause directe) والملة غير المباشرة (Cause indirecte) ، والملة التامة والملة الناقصة والملة المدة . أما الملة الأساسية فهي الملة التي تنفرد بالتأثير في الشيء ، وأما الملة الاداتيية فهي الآلة التي سيتم بها وجود الشيء ، وأما الملة المباشرة فهي التي تحدث الشيء بلا وسط ، وأما الملة غير المباشرة فهي التي تحدث الشيء بوسط ، وأما الملة التامة وتسمى بالمستقلة فهي تمام ما يتوقف عليه الشيء في ماهيته ووجوده أو في وجوده فقط ، وأما الملة الناقصة فهي بخلاف ذلك . وأما الملة المدة فهي التي يتوقف عليها وجود العلول من غير أن يجب وجودها مع وجوده .

وقد وسع (ديكارت) معنى الملة الآرسطى فأطلقه على العلاقات الطبيعية والعلاقات المنطقية معاً . وهذا متفق مع روح مذهبه الذي يصعد العلاقات المنطقية أساساً للعلاقات الطبيعية . فإذا قلت إن (T) علة (ب) أردت بذلك أن وجود (T) يستلزم وجود (ب) اضطراراً . ومعنى ذلك أن العلاقات السببية شبيهة بالقياسات الافتراضية التي يكون فيها وجود المقدم شرطاً لوجود التالي .

أما مالبرانش فإنه يطلق معنى الملة التامة على الشيء الذي يؤثر في غيره من دون أن يفقد شيئاً من طبيعته أو من قدرته على التأثير ، وهذه الملة التامة مختلفة عن الملة الطرفية (Cause occasionnelle) التي لا تفرض بين الأشياء أي ارتباط ضروري بل تقول بالحصول عنده لا بالحصول به ، على النحو الذي ذهب إليه (النزالي) .

وأما (كانت) فإن العلة عنده تدل على تركيب خاص قوامه أن شيئاً مثل (آ) يوجب أن يصدر عنه وفقاً لمساعدة معينة شيء آخر ، مثل (ب) يختلف عنه تماماً ، ومعنى ذلك أن علاقة العلة بالمولول ليست تركيباً تجريبياً ، وإنما هي تركيب عقلي ، وهي لا تكتفي بملاحظة حدوث المولول بعد العلة ، بل تتضمن وجوب هذا الحدوث وضرورته .

وأما (استوارت ميل) فإنه يطلق لفظ العلة على الظاهرة أو الظواهر المتقدمة التي تكون الظاهرة السبب بالمولول تالية لها دائماً . وهذا المعنى وإن كان حالة خاصة من مفهوم العلة عند (كانت) إلا أنه يختلف عنه بإهمال ما في تعاقب الظواهر من ارتباط منطقي أو ضروري . وهو بهذا المعنى قريب بعض الشيء من مفهوم العلة الظرفية المتضمن معنى الحدوث عنده .

والعلة مطلقاً متقدمة على المولول تقدماً ذاتياً . إلا أنها من جهة ما هي موجودة بالفعل مقارنة للمولول في الزمان .

العلم

Science	في الفرنسية
Science	في الانكليزية
Scientia	في اللاتينية

العلم هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينياً كان أو غير يقيني وقد يطلق على التعقل ، أو على المعرفة إطلاقاً ، أو على إدراك الكلبي مفهوماً كان أو حكماً ، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، أو على إدراك الشيء على ما هو به ، أو على إدراك حقائق الأشياء وعلاها ، أو على إدراك المسائل عن دليل ، أو على الملكية الحاصلة من إدراك تلك المسائل .

والفرق بين العلم والمعرفة أن العلم يقال على إدراك الكلّي والركب على حين أن المعرفة تقال على إدراك الجزئي أو البسيط . وقد يقال إن مفهوم العلم أخص من مفهوم المعرفة لأن المعرفة قسماً معرفة عامية (*Connaissance vulgaire*) مشتملة على آراء وأحكام عفوية تكسبنا إياها التجربة ، ومعرفة علمية (*Connaissance scientifique*) تبحث عن علل الأشياء وتكشف عن قوانينها الطبيعية الثابتة وإذا علمنا أنه لا علم إلا بالكميات أدركنا أن غاية العلم هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وهي غاية نظرية ، بخلاف المعرفة العامة التي تتقيد بالنتائج العملية ولا يبلغ العلم نهايته إلا بتأليف المعاني وتنسيقها ونظمها وتنظيمها في قوانين جامعة .

ومعنى ذلك كله أن من شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم ، وأن يكون بحيث يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسائله لا بالاستناد إلى أدواقهم ومصالحهم الضرورية ، بل بالاستناد إلى ما بين هذه المسائل من علاقات موضوعية يكشفون عنها بالتدرّج ويحققونها ويثبتونها بطرق محدودة .

ولكل علم موضوع ومنهج يميزانه من غيره ، إلا أن الفلاسفة يصنفون العلوم المختلفة ويرتبونها صنفاً صنفاً ، لينبئوا ما بين موضوعاتها ومناهجها من تشابه ووحدانية .

ولندكر الآن بعض هذه التصنيفات على سبيل المثال .

١ — من تصنيفات العلوم في الفلسفة القديمة تصنيف أرسطو الذي زعم أن عقولنا تطلب العلم الاطلاع أو الإبداع أو الانتفاع ، وأن العلوم تنقسم بحسب هذه الغايات الثلاث إلى علوم نظرية (كالرياضيات والطبيعات) وعلوم شعرية (كالبلغة والشعر والجدل) وعلوم عملية [كالأخلاق والاقتصاد والسياسة] . ومنها تصنيف ابن سينا الذي زعم أن العلوم

نظرية وعملية ، وكل قسم من هذين القسمين ينقسم عنده إلى ثلاثة أقسام ، فأقسام العلوم النظرية هي العلم الطبيعي والعلم الرياضي والعلم الإلهي ، وأقسام العلوم العملية هي علم الأخلاق ، وتدير المنزل ، وتدير المدينة . ومنها تصنيف ابن خلدون الذي زعم أن العلوم صنفان الأول هو العلوم العقلية وهي طبيعية للإنسان من حيث هو ذو فكر ، وتسمى بالعلوم الحكيمة وتشتمل على أربعة علوم المنطق ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي ، والثاني هو العلوم النقلية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، وتشمل التفسير والقراءات والحديث وعلم الفقه وعلم الفرائض وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها .

٣ - ومن تصنيفات العلوم في الفلسفة الحديثة تصنيف (سيكون) وتصنيف (آمبر) وتصنيف (أوغوست كومت) .

الأول مبني على الملكات العقلية الضرورية لتحصيل السلم ، وهي ثلاث ملكات : العقل وهو أساس العلوم الفلسفية ، والتخيل وهو أساس العلوم الشعرية ، والذاكرة وهي أساس العلوم التاريخية .

الثاني تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها وهي قسمان ، العلوم الكونية وموضوعها المادة ، والعلوم المعنوية وموضوعها الفكر ، ولكل من هذين القسمين الكبيرين فروع مختلفة .

الثالث تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها ، وهي ستة علوم أساسية : علم الرياضيات ، وعلم الفلك ، وعلم الفيزياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، وقد رتب العلوم على هذا النحو عملاً بالباديء التالية : وهي مبدأ ازدياد التعميد وتناقص التعميم ، ومبدأ التعلق والامتقلال النسبيين ، ومبدأ النشوء التاريخي ، ومبدأ التعليم . (راجع كتابنا في المنطق ص ١٣٦ - ١٤٠) .

العلوم التطبيقية (Sciences appliquées) - هي العلوم التي تطبق قوانين العلم النظري لبلوغ غايات معينة كعلم الطب وعلم الكهرباء الصناعية وعلم الاقتصاد الزراعي فهي علوم تطبيقية تستمد مبادئها من العلوم النظرية المقابلة لها ، فعلم الطب فرع من علم الحياة ، وعلم الكهرباء الصناعية فرع من علم الفيزياء .

العلوم الإنسانية (Sciences humaines) اصطلاح حديث يطلق على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية أو الأخلاقية ، وهي تبحث في أحوال الناس وسلوكهم أفراداً وجماعات . وليس كل علم يت إلى حياة الإنسان بسبب ، علماً إنسانياً ، لأن علم تسمريح بدن الإنسان مثلاً ليس قسماً من العلوم الإنسانية وإنما هو قسم من العلوم الحيوية أو الطبيعية .

العلم الأوسط (Science moyenne) - للعلم الإلهي في نظر مولينا (Molina) ثلاثة أقسام وهي العلم بالممكنات ، والعلم بالحوادث الحاضرة ، والعلم بالحوادث الشرطية . أما العلم بالممكنات فهو علم المعقولات ، وأما العلم بالحوادث الحاضرة فهو العلم بالمحسوسات ، وبين هذين العلمين علم شرطي يبحث فيما يمكن أن يحدث من الأشياء عند تحقق بعض الشروط ، ويسمى هذا العلم الشرطي بالعلم الأوسط .

والعلوم القاعدية (Sciences normatives) هي العلوم المؤلفة من أحكام انشائية أي أحكام قيم خاضعة للنقد كعلم الجمال ، وعلم الأخلاق ، وعلم المنطق وغيرها .

والعلوم الخفية (Sciences occultes) هي علم السحر ، والطلسمات ، والنجوم والكيمياء والسيمايا ، وعلم أمرار الحروف ، وعلم استحضار الأرواح وغيرها .

والعلمي (Scientifique) هو المنسوب إلى العلم تقول المعرفة العلمية والروح العلمية (Esprit scientifique) ويطلق هذا الاصطلاح الأخير على العقل المنظم الواضح الذي لا يقبل بصدق حكم إلا بعد تحقيقه ، والتدقيق فيه ، وإثبات البرهان عليه .

وفي وسعك إطلاق اسم العلم على علم بعينه أو على مجموع العلوم ، فإذا قلت إن تقدم المجتمع الإنساني رهن بتقدم العلم عنت بذلك مجموع العلوم ، وإذا قلت إن العلم قد برهن على أن كل نجم ثابت فهو شمس دل لفظ العلم هنا على علم معين وهو علم الفلك .

والعلم في الاصطلاح الحديث ضد الأدب ويطلق على العلوم الصحيحة (Sciences exactes) كالرياضيات والفلك وعلى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وهذا الاصطلاح الذي ثبتته أنظمة الجامعات بانقسامها إلى كليات علمية وكليات أدبية لا يتخلو من الاضطراب ، لأن بعض الدراسات الإنسانية التي تتم في كليات الآداب كعلم النفس وعلم الاجتماع تريد أن تتصف بصفات العلم الصحيح . وإذا كانت لم تبلغ هذه الغاية حتى الآن ، فرد ذلك إلى حداثة نشأتها . . وقد فرق حكماؤنا في الماضي بين العلم الحسولي والعلم الحضورى . فالحسولي هو حصول صورة الشيء عند المدرك ويسمى انطباعاً والحضورى هو حضور الأشياء أنفسها عند العالم كملئنا بذواتنا وبالأمر القائمة بها . ومن هذا القبيل علمه تعالى بذاته وبسائر الموجودات .

وفرقوا أيضاً بين العلم الفعلي الذي لا يؤخذ عن الغير ، والعلم الانفعالي الذي يؤخذ عن الغير .

وفرقوا أخيراً بين العلم الضرورى وهو ما يحصل من غير فكر وكسب ، والعلم الاكتسابى وهو عقلى وعملي ، فالعقلى هو ما يحصل بالتأمل والنظر ويسمى بالعلم النظرى ، والمعملي هو ما يحصل بالعمل والتجربة .

العمل

Action	في الفرنسية
Action	في الانكليزية
Actio	في اللاتينية

العمل هو الفعل والمهنة والصناعة تقول عمل عملاً فعل فعلاً عن قصد . والفرق بين العمل والفعل (Acte) أن العمل أخصى والفعل أعم ، لأن الفعل قد ينسب إلى الجمادات كما في قولنا فعل الطبيعة أو فعل الحرارة ، أما العمل فلا يطلق إلا على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر وروية وقصد . وهو يحتاج إلى امتداد الزمان أما الفعل فقد يتم دفعة من غير بقاء . ولهذا قرن العمل بالعلم حتى قال بعضهم إنه مقلوب عنه تنبيهاً إلى أنه من مقتضاه .

وقد يطلق العمل على كل فعل حادث على الفاعل نفسه دون تأثير خارجي فيعم بهذا المعنى أفعال القلوب والجوارح ، أو يطلق على التأثير الذي يحدثه الفاعل في غيره ، فإذا نسب العمل إلى الفاعل كان فعلاً ، وإذا نسب إلى القابل كان انفعالاً . ومعنى ذلك أن الفعل والانفعال اسمان لعلاقة واحدة وإن اختلف معناهما باختلاف نسبتها .

وقد يراد بالعمل الفعل المهي أو الصناعي كقول ابن خلدون : « الأعمال أصل المكاسب » (المقدمة ص ١٥٠) وقوله : « والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب » (المقدمة ص ٢٨٧) ، وقوله : « المكاسب إنما هي قيم الأعمال ، فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها » (المقدمة ص ٣٦٠) وقوله : « فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه » (المقدمة ص ٣٨١) .

وإذا أطلق العمل على النشاط الإنساني دل على الجهد المعنوي أو الأدبي الذي يبذله الفاعل للتغلب على أنانيته .

والفرق بين العمل والفكر أن العمل يدل على النشاط المعنوي من جهة ما هو مجموعة من الملكات ، أو على كل ما يحيط بالفكر من عناصر فاعلة تقدمه أو تهينه أو تصحبه أو تتجاوزها ، إلا أن العمل متصل بالفكر وإن اختلف عنه . قال ابن خلدون : « أول العمل آخر الفكرة ، وأول الفكرة آخر العمل ، فلا يتم فعل للإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض ثم يشرع في فعلها ، وأول هذا الفكر هو السبب الآخر ، وهو آخرها في العمل ، وأولها في العمل هو السبب الأول ، وهو آخرها في الفكر ، ولأجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأفعال البشرية ، (المقدمة ، ص ٨٣٩ من طبعة بيروت) ويطلق العمل في علم الميكانيك على حاصل ضرب الطاقة في الزمان ، وفي علم النفس على كل نشاط تلقائي أو مكتسب ذهني أو جسمي ، وفي علم الأخلاق على كل فعل يهدف إلى غاية ويصدر عن إرادة ، وفي علم الاقتصاد على كل مجهود يبذله الإنسان لتحقيق منفعة ، وفي الفن المسرحي على الحادثة التي تدور عليها القصة . والأعمال الأربعة في علم الحساب هي الجمع والطرح والضرب والقسمة .

ومن المبادئ المتعارفة بين العلماء مبدأ الاقتصاد في العمل وهو أن الطبيعة لا تتبع في أفعالها إلا أقصر الطرق وأقربها ، وهي لا تفعل شيئاً عبثاً بل تريد أن تحصل على أكبر النتائج بأقل جهد . قال ابن خلدون : « إن الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها وترتكب الأعوص والأبعد ، (المقدمة ص ٥٢٩) .

والعملي هو المنسوب إلى العمل وهو ضد النظري . مثال ذلك قول ابن سينا : إن العلم قسمان نظري وعملي ، وقد سمي النظري نظرياً لأن غايته القصوى هي النظر وسمي العملي عملياً لأن غايته هي العمل (ابن سينا) .

وجملة القول إن معنى العمل قريب من معنى الفعل والتأثير والشغل والجهد ، وله ناحيتان إحداهما نسبه إلى الفاعل من جهة شعوره الداخلي بالجهد ، والثانية نسبه إلى الحركات الخارجية من جهة ما هي مظاهر لذلك الجهد . وإذا نسبه مجازاً إلى أفعال الطبيعة كعمل الماء في النار أو عمل الحرارة في الأجسام ، تخيلت أنه أشبه شيء بجهد يبذله الشيء للتأثير في غيره . ذلك معنى قولهم : إن لكل شيء في الطبيعة عملاً ، وإن ما لا يعمل لا بقاء له . وذلك أيضاً معنى قول (فاوست) في البدء كان العمل . وفي هذا القول الأخير إشارة إلى أزلية الصيرورة من جهة ما هي حالة للأشياء ناشئة عن أسباب كامنة فيها ، كما أن فيه تنبيهاً إلى تقدم اللاعقلي على العقلي وإلى اتصاف جميع الكائنات بأحوال تتضمن بذل جهد شبيه بالجهد الذي تشعر به في داخلنا .

وفلسفة العمل (Philosophie de l'action) مقابلة لفلسفة النظر . والمقصود بالعمل في هذه الفلسفة ، كل نشاط انساني مشتمل على الفكر والإرادة والتحقيق الفعلي وكل فلسفة تقدم العمل على النظر ، أو تربط أحدهما بالآخر كالبرغماتية والادائية أو النرائمية فهي فلسفة عملية . وتطلق فلسفة العمل أيضاً على فلسفة (موريس بلوندل) المشتملة على توضيح علاقتين إحداهما علاقة النظر بالعمل ، والأخرى علاقة العلم بالإيمان والفلسفة بالدين .

(راجع كتاب موريس بلوندل : L'action 1893 : Maurice Blondel) .

العموم

Généralité	في الفرنسية
Generality	في الانكليزية

العموم ضد الخصوص ، وهو صفة المعنى العام من حيث شموله لجميع الأفراد . قال ابن سينا : « لو كانت الحيوانية توجب أن لا يقال عليها عموم أو خصوص لم يكن حيوان خاص أو حيوان عام ، (الشفاء ، ص ٤٨٧ — ٤٨٨) .

والعموم عندنا معنيان أحدهما مجرد والآخر مشخص .

فالعموم بالمعنى المجرد صفة العام من حيث شموله لجميع الأفراد المستغرقة فيه ، وهو مساوق لمعنى الضرورة ، لأن ضرورة المفهوم ملازمة لعمومه ، كما أن عمومه ملازم لضرورته . ولا يختلفان إلا في أن معنى الضرورة يتضمن معنى العموم على حين أن معنى العموم يقتضي وجود الضرورة ولا يتضمنها .

والعموم بالمعنى المشخص أو العيني يشمل جميع الأفراد في صف معين أو أكبر عدد منهم كقولنا عموم التلاميذ أو عموم السكان .

العمى

Cécité	في الفرنسية
Blindness	في الانكليزية

العمى في اللغة عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً ، فالحجر مثلاً لا يتصف بالعمى لأنه ليس من شأنه أن يبصر . وقد يطلق العمى على غير البصرات فيقال عمى العقل وعمى القلب .

فالمصاب بمعنى العقل (Cécité mentale) لا يفقد بصره بل يفقد معرفة الأشياء المدركة بالحس ، وإن كانت مألوفة لديه .

والمصاب بالمعنى اللفظي (Cécité verbale) يرى الكلمات المكتوبة وبقروها ولكنه لا يفهم معانيها .

والمصاب بالمعنى الخلقى (Cécité morale) لا يفرق بين الخير والشر .
وعمى الألوان (Achromatopsie) قيمان كلي وجزئي . فالكلبي (Cécité chromatique) هو العجز عن إدراك لون بعينه أو عن تمييز ذلك اللون من غيره .

ويطلق على العجز عن إدراك الفرق بين الأحمر والأخضر اسم الدلتونية (Daltonisme) نسبة إلى ج . دلتون (J. Dalton) الذي كان أول من أشار إلى هذه الظاهرة .

العناية

Providence في الفرنسية

Providence في الانكليزية

Providentia في اللاتينية

العناية هي علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمل . وهي عند الحكماء مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها . قال ابن سينا : « العناية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير . وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على

الوجه الأبلغ في الامكان فيفيض ما يعقله نظاماً ما وخيراً على الوجه الأبلغ الذي يعقله فيضاً على أنهم تأدية إلى النظام بحسب الامكان ، (النجاة ، ص ٤٦٦) .

والفرق بين العناية والقضاء والقدر أن القضاء هو وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة وبجملة على سبيل الإبداع ، على حين أن القدر هو وجودها الخارجي في الأعيان مفصلة واحداً بعد واحد ، أما العناية فهي علم الله بالموجودات على أحسن النظام والرتب ، وعلى كل ما يجب أن يكون لكل موجود من الآلات بحيث تترتب عليها جميع الكمالات المطلوبة منه . ومعنى ذلك أن في مفهوم العناية تفصيلاً ، إذ هي تعلق العلم بالوجه الأصح والنظام الأكمل بخلاف القضاء فإنه العلم بالموجودات جملة .

والخلاصة أن العناية هي إحاطة علم الله بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون كل شيء على أحسن نظام يحقق به غايته . فإذا كان العالم خاضعاً لنظام ثابت ، وكان لهذا النظام قوانين أرادها الله لخبرته نتائجه كانت العناية عامة . وإذا كان الله يتدخل في شؤون العالم تدخلاً شبيهاً بتدخل الإنسان في مجرى الحوادث كانت العناية خاصة . قال الميراث : إن عناية الله قسماً ، أحدها أن الله لما خلق العالم وبدأ بتحريك السادة أجرى إرادته بأن لا يكون في الطبيعة وفي تعلقها بشئته أقل خلل ممكن . والآخر أنه كلما شاهد في نظام الطبيعة خللاً أصلحه بمعجزاته شريطة أن يؤدي ذلك إلى تحقيق النظام المطلوب . لأن النظام عند الله قانون كلي لا يتخلى عنه أبداً .

العنصر

Elément	في الفرنسية
Element	في الانكليزية
Elementum	في اللاتينية

العنصر في اللغة الأصل والجنس ، يقال فلان كريم العنصر ، وفلان من الآري والسامي . وجمعه عناصر ، وتسمى أيضاً بالأمهات والمواد والأركان والاسطقسات . قال ابن سينا : « العنصر اعم للأصل الأول في الموضوعات فيقال عنصر للحمل الأول الذي باستحالاته يقبل صوراً تتنوع به الكائنات ، (رسالة الحدود) ، وعنصر الجرم عنده هما المسادة والصورة . وقال الخوارزمي : « الأسطقس هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب كالخجارة والقراميد والجذوع التي يتركب منها القصر ، والحروف التي يتركب منها الكلام ، وكالواحد الذي يتركب منه العدد ، (مفاتيح العلوم ص ٨٢) . ومعنى ذلك كله أن عناصر الأشياء أجزاءها البسيطة ، وعناصر اللغة ألفاظها ، وعناصر المعرفة مبادئها ، وعناصر المثلث خطوطه وزواياه ، وعناصر المجتمع أفراده .

ويطلق العنصر في الكيمياء على المادة الأولية التي لا يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط منها ، إما نسبياً وإما مطلقاً . فالذرة في الكيمياء عنصر بسيط ولكنها في الفيزياء الذرية شيء مركب ، وكل ما يدخل في تركيب الشيء فهو عنصر له كالهيدروجين والأكسجين في تكوين الماء ، والأفكار في إنشاء المقال ، والأجزاء في تركيب الآلة ، والكتائب في تأليف الجيش .

والعناصر عند القدماء أربعة وهي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .
وعنصر القضية عند المنطقيين هو الكيفية الثابتة للنسبة بين طرفيها
وتسمى مادة القضية .

العين والعيني

Concret	في الفرنسية
Concrete	في الانكليزية
Concretus	في اللاتينية

العين ما يدرك بأحدى الحواس الظاهرة أو بالخيال ويسمى بالصورة
أيضاً ، ويطلق على مقام بنفسه جوهرأ كان أو جسمأ ، ويقابله المعنى
وهو مقام بالغير كالأعراض والوجود العيني هو الوجود الخارجى المقابل
للوجود الذهني ، والأعيان الثابتة هي صور العالم .

واسم العين هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد ، واسم المعنى
هو الاسم الدال على معنى لا يقوم بنفسه وجودياً كان كالعلم أو عدمياً
كالجهل . وقد يراد بالسم المعنى مادلاً على شيء باعتبار معنى صفته سواء كان
قائماً بنفسه أو بغيره كالكتوب والمضمر . والعيني هو الشخص الذي يدل
على الظواهر الجزئية مرئية كانت أو مسموعة ، والعيني أيضاً هو الذي
يصور المعاني العامة بأمثلة محسوسة . فإذا صورت الفضائل بالأمثلة الحسية
كان تعليمك الأخلاق عينياً مشخفاً ، وإذا استخرجت الفضائل من المبادئ
العامة كان تعليمك مجرداً .

والعيني مادل على الشاخص ، أي على الوجود بالفعل لاعلى كيفية من
كيفيةه فقط ، وهو ضد المجرد ، وفيما يلي أمثلة من أسماء العيين
والأسماء المجردة .

الأسماء المجردة	أسماء العيين
الوجود	الوجود
الإنسانية	الإنسان
الحكمة	الحكيم
البياض	الأيض

والوجود في الأعيان مقابل الوجود في الأذهان .

جميل صليبا

(يتبع)



الثقافة الإسلامية بالمغرب

بين المرابطين والموحدين

كان الشرق الإسلامي في عنفوان ازدهاره ، وريعان إشراقه ، بالحكمة الدينية الطيبة الثرى ، الراسخة الأعراق ، الملتزمة الأغصان ، التي أثمر في روضتها اليانعة : المنطق ، والكلام ، وأصول الفقه ، والجدل ، والفقه ، والتصوف .

وكان العقل الإسلامي قد اقتدى بالإمام الغزالي وسار على محجة التطور البعيدة المراحل ، وراء تلك الشعلة الوضاء من المعرفة والرشاد .

لما كانت بلاد المغرب العربي ، من أقصى الأندلس إلى افريقية ، قد وقعت في أزمة خانقة من أزمت العقل والمعرفة ، بظهور قوة ناشئة خرجت من وسط افريقية ، مندفعة بحرارة إيمانها ، تقطع رمال الصحراء الكبرى إلى خفة وادي درعة ، وواحات سجلماسة ، فإذا وهاد المغرب ونجاده تقبل بأعناق المهاري الصهب ، قد تمكنت من غواربها أجسام بشرية ملتحفة الأثواب الزرق ، ومتلزمة بها ، يلين الحديد ولا تلين ، وتخبو النار ولا تنطفئ حرارة تلك النظرات المتقدة بين أطباق اللثام .

أولئك هم المرابطون الذين انبعثوا ينشئون عاصمة المغرب الجديدة : مدينة مراکش ، ويمدون رواق سلطانها على طول المدوة الافريقية ببلاد المغرب ، ثم يرمون بحبل النجاة إلى المدوة الأندلسية ، في يوم الزلافة العظيم ، تقوم الشوكة وتحيي الدولة تحت ظل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كانت هذه الحركة رشيدة في الحكم ، سديدة في السياسة ، منقذة للإسلام من الخطر الذي دأبه في بلاد الأندلس ، ولكنها كانت ملطة قوية ، وإيماناً نقياً ، يشد السواعد ، ويقوي النفوس ، من قوم بمراء عن الحضارة والعلم ، متجافين عن النظر الحكيم العميق ، متمسكين بالفطر الأولى ، مقتنعين بنتائج الأنظار الساذجة .

فكان من أثر ذلك أنهم لما وجدوا في أقطار المغرب العربي التي انتظمت في سلطانهم ، وجدوا تبايناً في الأنظار ، وتخالفاً في المذاهب بين الجائحين إلى شواهد الحكمة النظرية ، والمخلدين إلى بسائط الظاهر الماثور ، ووجدوا آثار ذلك الاختلاف بادية في طرائق الدرس والتأليف ، ومناهج التربية والتعلم . فكان من الضروري أن ميلهم يتجه إلى مساندة أبسط المناهج وأقربها من متناول إدراكهم ، وأنهم إذا وجدوا الاختلاف راجعاً إلى الدين وطرائق فهمه ، بادروا ببساطتهم إلى الإسراع بالحكم بأن الذي اشرحت إليه صدورهم من ذلك هو الدين فقط ، وبادروا - بما هم عليه من حرارة الإيمان - بأن ما خالف ذلك جدير بالدحض والمقاومة ، وإن ينزل بمن يقول به ما هو أهله من مقت وعذاب .

وعلى ذلك وجد المرابطون في مدينة قرطبة نزعة تقليدية التزامية ضيقة ، طالما ناءت بكلها على أهل البحث والنظر ، وأحرقت مواهب العلم الحق ، والفقه الصحيح ، إذ سارت على طريقة التقليد ، بحيث أصبح عمل القليلين حجة لا يلتفت بعدها إلى كلام أئمتهم الأولين ، وهذه هي النزعة التي شكها منها القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب المواسم بثته وحزنه مما لقي نبغاء العلم بالأندلس من عنت أهل قرطبة ، قال : « صار التقليد دينهم والافتداء بنيتهم فكأنما جاء أحدهم بعلم حقروا أمره ودفنوا في صدره إلا أن يستتر عنهم بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم على وسم التسمية ، فإن

جامع بفائدة في الدين وطريقة من سلف الصالحين وسرد لهم البراهين عرفوا جوانبه وتجنبوا عجائبه ، وعيبوا حقه استكباراً وعتواً ، وجحدوا علمه وقد استيقنته أنفسهم ظالماً وعلواً ، وقد زاد في تأصيل هذه الحالة وإحكامها العملية الكبرى التي كان قام بها ، منذ القرن السابع ، الحاجب المنصور ابن أبي عامر بقرطبة عند موت الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن الأموي وولاية ابنه هشام المؤيد ، فانه عمده إلى خزائن المستنصر وأخرج منها كل ما كان استجلبه من المشرق من عيون التأليف في العلوم الحكيمة ، قديمة وحديثة ، فأمر بإحراقها وإهلاكها ، وقد وصف صورة ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم وقال : إن المنصور إنما فعل ذلك تحيياً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم .

وقد استمرت هذه النزعة الفرعية المستولية على مدينة قرطبة تزداد ضيقاً وحدة وعنفاً ، وتمصفقتها على التوالي بأعلام بارزين في غزارة العلم ومتانة الدين ، حتى دخل يوسف بن تاشفين إلى قرطبة ، فتجاسست نزعة الشخصية مع تلك النزعة ، واشتد تأثره بها ، وعظمت ثقته على الدين لا يتولونها ، ولا يسلكون سبيلها ، فأصبح سلطانه ناراً مسعرة على أهل البحث والاجتهاد في الفقه ، وسيفاً قاطعاً للمشغولين بالكلام والحكمة ، فهجر بذلك النظر في الأصول ، وتمسك الناس بظواهر العقيدة السلفية ، والتزموا في الفقه النصوص الفرعية ، وتجاؤوا عن طرق التخريج في الفقه والتأويل في العقيدة .

وتفاهم أمر هذا التصيق بعد وفاة يوسف بن تاشفين في عهد ابنه علي الذي ولي عرش مراکش في نهاية القرن الخامس فكان في عهده الضنط الذي تعدى إلى درجة النفي ، والاعتدال ، ونهب المنازل ، وإثارة المظاهرات الصاخبة ، ومصادرة الكتب ، وإحراقها ، وتمزيقها .

ونفذ أحسن علي بن يوسف والذين تظاهروا معه على ما كان بضطلع به من قتل للنبوغ العلمي : ان تلك الحركة التي ظهرت بالشرق فألفت بين الحكمة والدين حتى أخرجت شطأها في كتب حجة الإسلام الغزالي هي التي تمد روح التحرر الفكري بالأنداس بمادة انتعاشه ، وترش من ماء العلم على تلك القلوب الميتة ، كما قال ابن العربي ، فعرفوا أن في كتب الغزالي حجة لا تدحض على ما كانوا يغالبون في سبيل دحضه من الجمع بين الحكمة والشرعية والحقيقة لمن أخذ بمعاد العلوم من أعلاها ، فتآمروا على أن يحولوا بين كتب الغزالي وبين الناس ، إذ لا يمكن أن يدفع تأثيرها غير ذلك كما قال البحري :

شجوه حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع حتى بلغ الأمر إلى أن أقيم مجمع بقرطبة لإحراق كتاب الإحياء للغزالي ، وصدرت الأوامر إلى أطراف السلطنة المرابطة بإحراقه ، واعتقل في مراکش من كان يتوسم فيه إنكار تلك الفعلة من أنصار العقيدة الأشعرية ، وأتباع الطريقة الغزالية القشيرية : مثل ابن العريف الذي مات أسيراً في مراکش ، كان هذا الضغط البالغ القاسي يجرد في وجهه إنكاراً أبلغ ، وتحدياً أقى ، إذ كانت المدارك العلمية الواسعة والأفكار النيرة قد تشربت عقيدة الأشعري ودرجت على نهجها ، واعتخذت كتب الغزالي دليلها على ذلك النهج ، وطار صيت الغزالي إلى المغرب ، فارتفع وعشش ووجد نابعة البلاد التونسية وبجهد المذهب المالكي ومجدده الإمام أبا عبد الله محمداً المازري يحميه مقامه تحت الحكم الصنهاجي بتونس ، من طائفة المرابطين وغائلتهم فوجدوا فيه أخصاً معاوناً على خدمة الأشعرية ، ومشاركاً في الارتواء من منهل إمام الحرمين ، فقد أقبل المازري على كتب إمام الحرمين والغزالي في أصول الفقه ، يقررها ويعلّق عليها بما هي أهله ، وكتب على كتاب البرهان لإمام الحرمين شرحين

أحدهما بتتبع النص والآخر بمسيرة المعنى ، يذكر فيها الغزالي ذكرًا مرددًا مع ذكر القاضي أبي بكر الباقلاني والأستاذ أبي اسحاق الاسفرايني ، ويكثر من قرن الغزالي بإمام الحرمين معبراً عنه بكنيته « أبو حامد » ومخصصاً لإمام الحرمين بلقب « الإمام » ومنتصباً لتعزيز كلام الغزالي وتوجيهه ، كانتصابه لتقرير كلام إمام الحرمين في ما يختلف فيه إمام الحرمين عن الغزالي من تفاريق المسالك ، وبهذه الدراسة الأصولية تمكّن المازري من تحرر واسع في تقرير الأحكام الفقهية على منهج اجتهادي هو منهج الاختيار والترجيح الذي جعل أعلام طريقته فيه شيوخه : أبا الحسن اللخمي ، وعبد الحميد الصائغ ، فكان هذا التجاوب بين الغزالي والمازري من أقوى العوامل في الخروج بمقام الغزالي عن الدائرة المذهبية الضيقة ، إلى دائرة الحكمة الإسلامية المشاعة ، وكان هذا الصيت الذي طار له بالمغرب على لسان الإمام المازري ، قد طار نحو الغزالي بقلوب الشبان النابضين من أبناء المغرب الكبير المتطلعين إلى أرواح الحكمة السامية المنبثقة من بين أurdانه فهجروا أوطانهم وشدوا الرحلة للقاء حجة الإسلام .

وكان في مقدمة هؤلاء النوابغ الإمام الشهير الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي الذي كانت رحلته مبدأ فتح فكري ، والإمام المهدي محمد بن نورمت التي كانت رحلته مبدأ فتح سيامي .

كان أبو بكر ابن العربي برماً بالوضع الذي عليه العلوم الدينية في الأندلس ، متطلعاً إلى منبع الحكمة الأشعرية ، مشوقاً إلى لقاء الغزالي ، فسافر مع والده سنة ٤٨٥ هـ . في مقبل شبابه وقصد المدرسة النظامية ببغداد ، إلا أنه وجد الغزالي قد انقطع عن الدرس والعلم وأقبل على طريقة الرياضة الصوفية والخلوة والسياسة ، وخرج من بغداد إلى الحج ، ثم إلى الشام ومصر ، فأقام ابن العربي في بغداد خمس سنين متحرّقاً على أنه لم يظفر

بطلبه في لقاء الغزالي ، مستوحشاً من ذلك الفراغ الذي خلفه وراءه في بغداد ، والحسرة التي سادت بسبب ذلك ساحات المدرسة النظامية وعامة أوساط العلم في بغداد حتى كان من عجائب الأقدار أن الغزالي دخل إلى بغداد في سنة ٤٤٠ هـ . في طريق عودته من الشام إلى إيران ، فأقبل عليه ابن العربي إقبال المشوق الالهقان ، وتلقاه الغزالي بقبول طيّب ، وتفرغ له بصفة خاصة ، فقرأ عليه محاوره ومناقشة ، وتمكّنت منزلته العلمية من نفسه ، واطمأن إلى طريقته الحكيمة الدينية ، وكان يلقبه تودداً وتحيّياً بلقب تعظيم فارسي هو لقب «دانشمند» .

وعاد ابن العربي إلى الأندلس بهاجم وينظر وبفيض غيوث الأنظار العالمية محاضرة ، وتدرّسا ، وتحريراً ، وينقح الفقه المالكي بتحقيقه لمناط الأحكام ، ونظره في أدلتها ، ونقضه على الفقهاء ما كان يفتنون به تقليداً أو عن ضعف دليل ، فملاً كتبه النفيسة العجيبة بذكر الغزالي ، والتعلق بمتن محبته ، وجليل إعظامه ، والتلذذ بإعادة محاوراته ، وتجديد مطارحاته ، ومقابساته ، مع أن ما تشربه من حربة البحث وكرامة المعرفة ، كان يدفع به إلى مناقشة أستاذه وحبيبه دانشمند في كثير من أقواله وآرائه ، مثل بحوثه المستفيضة معه في كتاب «العواصم من القواصم» حول مسألة إدراك النفوس بذاتها للحقائق بطريق الانكشاف وتأثيرها في الغير عند التجرد ، ولم يسلم ابن العربي ممّا أصاب أسلافه من فصول العلماء من الخن ، فقد استهدف فتناً كثيرة ، وثورات عليه هوجاء ، نهب فيها منزله ، وأحرقت كتبه ، حتى انتهى أمر المرابطين بظهور الدعوة الموحدية التي أسسها المهدي ابن تومرت ثاني الاثنينين اللذين جعلناها على رأس الراحلين من المغرب للقاء الغزالي ، وكأن الأقدار أرجعت المهدي إلى المغرب ليثار للغزالي من الذين أرادوا إنكار فضله ، وغمط حقه ، بإحراق كتاب الإحياء ، وهم المرابطون ،

فكانت دعوة المهدي بن تومرت عاملاً في إقامة دولة الموحدين التي أسقطت دولة المرابطين وورثت عاصمتها ، فأقامت على مبادي^١ الأشعري وطرائق الغزالي ، أقوى دولة عرفها تاريخ الإسلام في المغرب على يد عبد المؤمن بن علي ، ولم تنته حياة ابن العربي حتى اشترك في إقامة تلك الدعوة ، وقصد من إشبيلية إلى مراكش ليقف بين يدي عبد المؤمن خطيباً بلسان أهل إشبيلية ، وكأنه قنع من الدنيا ببلوغ ذلك الموقف فكانت وفاته في طريق عودته من مراكش قرب مدينة فاس التي دفن أمام سورها .

كان المجتمع الإسلامي بالمغرب العربي قد أحس بوطأة الضغط الشديد الذي ضيق عليه الأنفاس في ما أحاطت به من هيكلي جسمه قبضة حكم المرابطين .

وكانت الأعضاء التي خرجت عن تلك القبضة الحديدية الخائقة وهي البلاد الشرقية في الشمال الإفريقي تتداعى ألماً وغماً من ألم الضغط النازل على سائر الأعضاء التي كانت يد المرابطين تعصبها عصب السلة وكان هذا الألم يقوى ويشند^٢ عندما تشعر المناطق الغربية من هذا الشمال الإفريقي بأن حكم أهل الشام قد أقام بينهم وبين بقية بلاد المغرب العربي سدوداً حاجزة ، فكشكت الأوصال ، وقطعت الأرحام ، وجعلت الفرقة سارية في روح الوحدة القومية الكبرى ، لما تجاوزت بها حدود الفواصل السياسية وأوضاع الدول ، إلى مفاوز الفروق الاعتقادية والمنازعات الدينية .

على أن ما كان للمرابطين من عمل سياسي مجيد في إنقاذ الأندلس وتوحيدها وضماها إلى مملكة الإسلام في المغرب الإفريقي ، وإن أكسب تلك الدولة قوة نفوذ وحسن قبول ، فقد زاد في الحسرة التي امتلكت القلوب من جراء الفتنة الاعتقادية التي أبعدت المجتمع عن تحقيق مثله العليا على نسبه ما قربت آماله في تحقيق تلك النبل بانضمام الأندلس .

فالحركة الفكرية الناشطة في البلاد التونسية ، بتواصلها مع مراكز الثقافة الإسلامية في الشرق ، وبعد صيت محورها الإمام المازري وخصب نتاجه العلمي المنافي لاتجاهات الحكم المرابطي ، كانت بذلك كله مدداً مغذياً لروح الصلابة في التجاني عن طرائق العقائد المرابطية وجرراً مذكياً لروح التمرد عليهم والثورة في وجوههم ، فكانت خلق العلم منابع فياضة بالتوجيه إلى العمل الإيجابي في سبيل حماية الحرية الدينية والحفاظ على شعلة الحكمة الكلامية العالية التي كادت حركة المرابطين أن تطفى نورها ، عمّ ذلك جميع البلاد التي انتظمت في حكم المرابطين بالأندلس والمغرب الأقصى والبلاد الجزائرية ، فكان الناس يشدون الرحلة من تلك الأقطار مترامين على مجالس دروس الإمام المازري بالمهدية ، مثل ما جاء أبو بكر ابن العربي ، وعبد المنعم ابن الفرس ، وأعلام من نبغاء الفكر والأدب ، علاوة على الذين لم يتمكنوا من الرحلة فقتنوا بالانصال بالإمام المازري بطريق المراسلة ، يستجيزونه ، ويطلبون كتبه ، ويستعطرون من فوائده ، ويطارحونه المسائل ، كما فعل ذلك القاضي عياض وابن رشد الحفيد ، وبمثل ذلك علا نجم المازري في أفق المغرب كله بين عدوته الأفريقية والأوربية حتى عرف (الإمام ، لقباً غالباً عليه فكان اسمه واسم الغزالي اسمين مقترنين تتعلق بها أنظار المستهدين على طريق الحكمة الإسلامية ، كما يهتدى بالفرقدين .

وكان من عجيب القرانات إن إشراق هذين الكوكبين في سماء الفكر يقابله أقول طامس اعترى نجم الحكم المرابطي بدخول الدولة في دور الوجود الأجذب ، لما فارقت نشأتها الساذجة ، وطلعتها الحادة ، وأخذت إلى النعمة والترف ، والبذخ واللذة ، فأضاعت شبابها لما أضاعت عصبيتها الدينية الصلبة الطاهرة ، وأقبلت على الهرم المضي ، والشيخوخة الفانية ، وتجرّدت عن حماسها ، وتمحضت لساوئها ، وتشرب منها المجتمع روح الانحلال فانتشرت فيه المفاصد وسادت الشهوات وسيطرت الأنانية .

وكان هذا القرآن العجيب ، بين نجم صاعد ونجم آفل ، قرآناً لا يدرك بالنتجيم والحزاء ، بل يدرك بالذكاء والدهاء ، والفطرة السليمة ، والسياسة القوية ، وذلك هو ما أعطيه شاب من قبائل الصامدة ، سكّان الأطلس الكبير ، كان يشرف من صياحي الجبال الشم على مدينة مراکش فيتوسم فيها ما حدثته به النفس التواقّة من أن يوماً قريباً سيأتي على المدينة الحراء تبكي فيه من بناها ذلك هو محمد بن تومرت ، نشأ في بيت بربري من بيوت الرباط والنسك ، فشبّ قارئاً ، محباً للعلم ، متشرباً بروح الثقافة العربية الإسلامية ، وكان هذا العنصر البربري الجبلي الذي ينتسب إليه ابن تومرت يشعر بمسكاته العظيمة من الأرض التي استقرت فيها دولة المرابطين ، ويدرك شأنه العظيم في إسناد تلك الدولة بمسلماتها وتأمينها ، ويعلم ، إلى جنب ذلك ، أن دولة اللثمين لا تؤتي إلاّ من جهة ذلك التيار الديني القوي الذي تريد أن تدافع سيوله ، تيار العقيدة السنيّة التي عليها اختلف من أجيال المسلمين الصالحين ، وحيك في نفسه هذا التوقع لقرب مصرع الدولة الممتونية ، فأصبح مرتبطاً بذانيته حتّى اقترن بها وتقمّصها ، وأصبح محمد ابن تومرت في نظر نفسه هو روح الفناء المنبعثة على دولة المرابطين ، وأحسّ بأن كل عمل في سبيل تكوين شخصيته وإغاثتها ، وتربية كيائها الأدبي ، هو سلوك لطريق القضاء على اللثمين ، واستشرف بنظره إلى الجهة التي كان يتنسم منها أنفاس المقاومة المستمدة من توجيه الحكمة الإسلامية الجديدة ، فخرج من وطنه وايس أمام عينيه إلاّ المازري والغزالي ، ودخل البلاد التونسية ، ثمّ قصد مصر ، والحرمين الشريفين ، والعراق ، وكانت العراق يومئذٍ مركز الحركة الحكيمية التي اتجه بها الإسلام وجهته الجديدة ويذكر الكثيرون ممّن ترجوا ابن تومرت : أنه لقي الإمام المازري بالمهدية ، ولقي الإمام الغزالي في بغداد ، وقد ذهب الزاعمون في اجتماعه بالغزالي إلى أبعد

من ذلك ، إغراقاً في الوم ، فجعلوا الغزالي يخبره من مستقبل أمره بعلم خفي ، ويخبره بالدولة التي سيقعها ، وكلّ هذه أخبار واهية لا دليل عليها ، بل الذي يقتضيه مذكّره المؤرخون ، من تاريخ دخول ابن تومرت إلى العراق : أنه لم يلق الغزالي أبداً ، لأن الغزالي لم يكن يومئذ بالعراق بل إن أكثر مدّة إقامة ابن تومرت بالشرق كانت بعد وفاة الغزالي .

ولكن الأمر الثابت : أن هذا العبقرى البربري قد تشرب في رحلته الشرقية الحكمة الأشعرية ، وتعلّق بها ، لما كان لها من الانسجام مع تطلعه إلى قوّة تؤثّر في تقويض ملك الرابطين ، فجعل التملق بالأشعرية والانتصار لها درعاً استلّام فيها لمهاجمة قرنه وجعل المهدوية السيف الذي يحمل به ، وسواء أصحّ لقاء ابن تومرت للغزالي أم لم يصحّ فما من شكّ في أن ابن تومرت كان على منهج الغزالي وأنه قد وجه دعوته وعمله على ذلك المنهج .

إلا أن الذي يرجّح في نظرنا أن الأشعرية والغزالية لم يكونا عنده غاية مقصودة بالخدمة والنصرة وإلتما كاتنا وسيلة لتحقيق مقصد سياسي ، إنه قد انتحل ، إلى جنب أشعريته ، عقيدة ينكرها الأشاعرة ويدحضونها ، كما ينكرها أهل السنة قاطبة وهي عقيدة الإمام المعصوم ، التي يقول بها الشيعة الإمامية ، وتلك هي التي قال فيها ابن خلدون : إنه لم تحفظ عنه فلتة في البدعة غيرها .

ومن هنا نستطيع أن نتبع مراحل الحرب الفكرية الاعتقادية التي شنّها محمد بن تومرت على دولة الرابطين ، حتى انتهت إلى حرب دامية ، قضت على الرابطين ، وعفت آثارهم في ميداني الحكم والعلم .

فقد ابتداء ابن تومرت ظهوره في البلاد المغربية من ليبيا ، وكان ظهوره ذلك في صورة عالم سنّي أشعري ينتصر للعقائد السلفية بالحجج العقلية ، ويأخذ بطريقة تأويل التشابه ، ويعتني بإبراز هذه الطريقة وإظهار النكير على الذين عدلوا عنها ، ويمنح مع ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقدم على تغيير المنكرات التي كانت متفشية يومئذ في المجتمع المغربي ، فكان بهذا العمل يثير الآثار ويتعرض للأذى . وتنقل على هذا المسلك من طرابلس إلى المهدية ، إلى بجاية إلى جبال الوشريس ، إلى تلمسان ، إلى فاس ، إلى مكناس ، إلى مراكش ، عاصمة الدولة ، وكان ملكها يومئذ علي بن يوسف ، وفي هذه الرحلة لقي ببجاية أول أتباعه عبد المؤمن بن علي الكومي ، فإلزمه في بقيتها إلى مراكش ، وفي مراكش ابتدأت مقارعات ابن تومرت ومناظراته ، وفيها تهجّم لأول مرّة على الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين بوعظ في جامع المرابطين ، يوم الجمعة ، أغلظ له فيه القول ، ثم خرج إلى أغمات وجرت له فيها مناظرات خرج بعدها محتفياً في خفارة القبائل البربرية في جبال الأطلس ، ثم قصد بلاد السوس فنزل في قبيلته هرغة سنة ٥١٥ هـ وبني هنالك رباطاً للعبادة والتعليم ، وألف مختصراً في العقيدة سماه « المرشدة » جعله باللسانين العربي والبربري ، وأخذ يعلمه الناس عامة وخاصة : من طلبة رباطه ، وعامة القبائل في أرض السوس ، ولقب أتباعه بالوحدّين ، وتلقّب بينهم بـ « الإمام » وسار في تأليف تلك الجماعة وتوجيهها على التدرج في الدعوة والتعليم للوصول إلى الناية المقصودة ، على نحو ما هو مسلول عند دعاة الشيعة الباطنية من ترتيب الدعوة ومنازلها .

ولما لاحظ ابن تومرت أن الدعوة المرابطية السلفية قد أقنعت الناس بوجوب اتباع السنة وتحصيل الأحكام الفقهية منها ، فقد بنى ترتيب دعوته على بيان طريق تحصيل الفقه في السنة فبسط في ذلك كلاماً أوله « أعزّ

ما يطلب وأفضل ما يكتب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير ، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مفتحه وهو قوله « أعز ما يطلب ، فصار لقباً عليه ، وقد بني هذا الكتاب على مباحث : ترجع إلى الأخبار ، وطرق النقل ، والفرق بين التواتر وأخبار الآحاد ، بصورة عليها سمة من طرائق الأصوليين من الأشاعرة ، في الفكرة والعرض والمصطلح ، ثم عقد كتاباً خاصاً للصلاة والطهارة جعل مداره على استخراج الفقه من الأحاديث وتنزيل نصوص القرآن ، ثم كتاباً في الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل يبين فيه معنى القياس باعتباره راجعاً إلى دلالة اللفظ ، ثم يأتي كتاب آخر للكلام على مباحث الألفاظ ، من العموم والخصوص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والنسوخ ، والحقيقة والمجاز ، وغيرها ، على طريقة علماء الأصول ، فعندما يطعن أنه قد ربط المتلقين بتوجيهات علم أصول الفقه ، يتدنى كتاباً للكلام على العلم وطرق تحصيله ، ثم آخر للكلام على المعلومات وأقسامها ، وآخر للكلام على الوجود وتقسيمه ، لإثبات واجب الوجود على طريقة علماء الكلام حيث يتدرج من السنة الأثرية إلى الكلام المنطقي بصورة غير مشعور بها ، ثم يختم ببيان معنى العبادة وشروطها وكيفية ربط التكليف العملية بالأصول الاعتقادية ، وتعليم من هم مظنة السؤال عن ذلك طرق الإرشاد واختلاف أحوال المسترشدين ، ومن هذا كله ينتظم كتاب الدعوة الموحّدية المشهور باسم « أعز ما يطلب » ، وإن كان مفصلاً على كتب مفتحة ومختوم كل كتاب منها بما يؤم أنه تأليف مستقل ، على طريقة المتقدمين في تقسيم التأليف الواحد إلى كتب مستقل بعضها عن بعض ، ويعتبر هذا التأليف وهو « أعز ما يطلب » ثاني تأليف ابن تومرت بعد « المرشدة » .

وله كتاب ثالث هو كتاب العقيدة وهو سالك مسلك كتب العقائد الأشعرية المتأثرة نهج كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني ، مع اختصار وجنوح إلى الرواية ، ويتبع كتاب العقيدة تساييح للتذكير بقواعد التوحيد والتغذية ، وبعد ذلك يأتي كتاب رابع هو نيت القصيد ، وهو كتاب الإمامة ، فيتمدنه بتقرير عقيدة لزوم الإمام المعصوم وسوق علاماته ، التي يشير بها إلى نفسه ، ثم ينتقل إلى بيان ما عليه طوائف أهل الباطل الذين يسميهم بالمشركين ويطبق عليهم أخباراً نبوية عن سوء مصيرهم في الآخرة ، ويصف ما أحدثوه من المناكر حتى ينتهي إلى وجوب مخالفتهم ونحرم سيوتهم ، ثم إلى وجوب جهادهم وفضل النصر على ذلك الحمساد ، وتبشير الذين يجاهدونهم بأنهم الموعودون بما وعد به القائمون على الحق ، وبيان أركان الإيمان التي يجب أن يمسكها أتباع تلك الطائفة الواسعة بالنصر ، حتى ينتهي إلى تقرير استحكام الجهاد ، شاملاً الجهاد بالنفس والجهاد بالمال .

وقد جمع هذه المقالات وأملأها تلميذه الأول ومؤسس دولته عبد المؤمن ابن علي فأملأها ونسحت من إملأاته وأسند سماعها إلى مجالس سنة ٤٩٥ هـ في رباط خربة ، فكانت دستور دولة الموحدين والدول التي قامت على أسسها في شمالي إفريقيا والأندلس ، وكانت إلى جنب ذلك مكونة لحاصل عظيم الأهمية في تاريخ الفكر هو إعداد الجوّ الفكري في المغرب العربي لحياة الحكمة الأشعرية وبمت حركتها ناشطة من عقائدها ، لإبراز النتائج المبنية على المؤاخاة بين فروع الثقافة الإسلامية : مؤاخاة تغذي الدين بالحكمة ، فلقد كانت الصدمة العنيفة التي اصطدم بها ثبار النظر الحر ، الجامع بين الدين والحكمة ، من طرف المنصور بن أبي عامر ، ثم من طرف الرابطين ، صدمة ذات أثر بعيد في وقف حركة التقدم الفكري ، وقطع ما بين الدين والحكمة من عوامل التلاقح ، التي ازدهرت بها الحكمة الدينية في المشرق ،

وكما حكى ابن العربي أن أصحاب الحكمة الدينية العليا كانوا يستترون بالتقليد المذهبي في الفقه ، ويحملون نظرهم في علم الكلام تابعا خفيا ، فكذلك كان الحكماء المتفلسفون يتظاهرون بالانصرار على علم الطب والعلوم الحسابية ، ويكتُمون ما عندهم من الحكمة ، مستترين بما يظهره مما تجور لهم فيه مثل الحساب والفرائض والطب ، كما حكى ذلك القاضي ساعد في كتاب طبقات الأمم .

ولقد كادت الحكمة أن تعاود عهد ازدهارها بالأندلس ، عند سقوط قرطبة وقيام ملوك الطوائف ، لولا أن الخطر الاسباني ، ثم الحكم المرابطي ، قد قطعاً دونها ذلك الأمل ، فانكفأ الحكماء إلى بيوتهم عاكفين على كتبهم منطوين على أنفسهم وما منهم إلا متمثل بالبيتين القديمين لابن عبد ربه الحفيد :

لما عدت مؤانسا وجليسا نادت بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبها شفاء تفرثدي وها الشفاء لكل جرح يوسى

فلما انتصرت الحكمة الدينية متمثلة في المهدي ابن تومرت على المرابطين ، وأدالت دولتهم ، كان ذلك الانتصار رافعا لحاجز كان قائما في طريق تقدم الحكمين ، وحائلا دون تواصلها ، فاندفعت بارتفاع الحاجز القوة المكبوتة واستأنفت سيرها من حيث وقفت ، بما بقي مكنونا فيها من فاعلية نيار السير المقطوع .

هنالك أبرز العلماء ما كانوا يرضون بآراؤه : من كتب الحكمة والكلام وأصول الفقه والجدل والتصوف ، وأظهروا نظرهم فيها ، وتدارسهم لها ، وصدعوا بالتنويه بها وتمجيدها ، وصرحوا بما بين ما كانوا يظهم —رون ، وما كانوا يخفون ، من وحدة لا ترضى بتفكك أوصالها .

وبهذا الاندفاع الجديد أصبحت طائفة العلماء ، من أهل الحكمة الدينية ، وأهل الحكمة الفلسفية ، ظهيرا للدولة القائمة دولة الموحدين ، لا في سلبية

النوارد على كراهية الحكم الرابطي فحسب ، بل في إيجابية المثل الأعلى من توجيه الدين بالحكمة ، وتحليله بالنطق ، وهو المثل الذي بدا في مذهب الإمام المهدي ، وما يقوم عليه ذلك المذهب من قواعد الحكمة الإسلامية ، التي أسسها الأشعري ، وأسندها الغزالي .

وبذلك أصبحت لابن تومرت منزلة مشاعة بين عصبيتين متظاهرتين : عصبية سياسية تمثلها دولة عبد المؤمن بن علي وأشياعها ، وعصبية مذهبية تمثلها المتطالعون إلى نصرة الحكمة الدينية المحجوزون طويلاً في ما مضى من دولة الرابطين على مواصلة سبيلهم نحو ما تحرّقوا عليه من إعلاء شأن الحكمة ، وارتبطت ثانية العصبيتين بأولاهما حين بادر المتمسكون بالأشعرية والمازرية ، في الكلام المتدائل والفقهاء الممثل ، إلى الانصال بممد الدولة الموحدية ، كما سافر القاضي أبو بكر ابن العربي إلى لقيا عبد المؤمن براكش .

ومن جهة أخرى بادر المتمسكون بالنعالم الفلسفية والأنظار الحكيمية إلى هذه الدولة يؤازرون التكلمين والفقهاء في تأييدها ونصرها ، والدخول تحت طاعتها ، كما فعل ذلك الفيلسوف الكبير أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجّة ، والحكيم الاشراقي الأعظم القاضي أبو بكر بن الطيفل صاحب القصة الفلسفية الخالدة «حي بن يقظان» .

وكان هذان الحكيمان الجليلان : ابن باجّة ، وابن الطيفل ، متعاشين في القطر والمصر ، متقاربين في المذاهب والأنظار ، على ما بينها من فروق دقيقة في آراء ترجع إلى كليات أصول الحكمة ، وجزيئات من مسائلها ، زيادة على أن واحداً منها لم يلق الآخر ، وكان أهم ما يتلاقيان فيه شعورها بأن الحكمة التي أقامت نهضة العلوم الدينية وألفت فيما بينها ، وهي حكمة الغزالي ، قد كان يبدو عليها شيء من التضارب ، باختلاف المباني ، وتفاوت المقامات ، وتباعد الغايات ، إذ يحنج قارة إلى الوقف بمراحل الحكمة عند

حدّ البرهان ، ويسمو تارة أخرى إلى التجاوز بها إلى غاية الاشراق ، وذلك عين ما كان أخذه أبو بكر ابن العربي على الغزالي من الناحية الكلامية ، وشجبه عليه ، في كتاب العواصم من القواصم .

وكان ابن باجّيه متصلاً في نقد الغزالي متمسكاً بطريقة التعاليم الأرسطوطاليسية ، واثقاً بأن إدراك أهل النظر لما بعد الطبيعة إنّما يكون بالبحث الفكري ، فجاء ابن الطفيل ، على إعجابه بابن باجّيه وطريقته ، يكشف أن مذاهب الحكمة ، على ما بينها من اختلاف الأساليب والطرائق ، هي ملاقية متكاملة وليست بمتباينة ، ولا متنافرة ، وإن الحكمة النظرية تنتهي بتبّعها إلى موقف يتبدى من ورائه مراحل الحكمة الإشراقية ، وبذلك يأخذ على الغزالي أنه قرّر المذاهب متخالفة ، ولم يسلّم من الوقوع في أحدها بعد الآخر ، على طول البحث ويمثل لذلك بكتاب « تهافت الفلاسفة » ، مع اعترافه بأن الغزالي قد سعد السعادة القصوى ، وأنه رجل أدبته المعارف ، وحذّفته العلوم ، ثمّ يتنقّد فلسفة ابن باجّيه بأنها قصرت عن غاية الحكمة ، ولم يفض إلى حقيقة الكل ، ثمّ يصمد إلى الفارابي وابن سينا ، فيأخذ على الفارابي تنطّعه في الاعتراض بالفلسفة ، اغتراراً بنا به عن حكمة الدين ، وبأخذ على ابن سينا أنه جرى على مذهب أرسطوطاليس فلم يستطع أن يصل به إلى الكل ، فمدل إلى الحكمة المشرقية .

وكذلك كانت الحكمة في نظر ابن الطفيل ملتزمة من المبادئ المشائية والغايات الإشراقية ، وليست كاملة ، لا بالفلسفة التعليمية ولا الافلاطونية الحديثة ، وإنّما هي متكاملة لاجتماعها كلّها على صورة يحقّق بها كلّ مذهب ناحية من نواحي الكلّ هي النواحي التي لا تتلاقى جهاتها إلّا باجتماع الدين والحكمة ومعرفة ما بينها من ارتباط .

وذلك هو الذي كانت الحكمة الأندلسية في تيه عنه ، وكانت الحكمة الإسلامية الرائجة بالشرق ، بعد ابن سينا ، قد أدركته أو قربت فيه ، بما ظهر من خلاصة الأسرار الحكيمية التي صرّح بها الشيخ الرئيس في كتاب الإشارات ، وكُنّي عنها بضرب المثل في قصة حي بن يقظان ، وما ظهر في كتب ابن مسكويه والفوز الأصغر ، والفوز الأكبر ، من استفاد يساعد العقيدة بالعلل الفلسفية . وعلى هذا الاطمئنان المعجيب إلى اتصال حقيقة الحكمة العقلية بحقيقة الحكمة الدينية أقبل ابن طفيل على الدولة التي جعلت شعارها إمامة المهدي في الجمع بين الحقيقتين ، فانتقل من المدوة الأندلسية إلى المدوة المغربية ، حتى اتصل بالسلطان يوسف بن عبد المؤمن ، وطارحه حكمته وحسب إليه مبادئه وربط سلطة الوجودين بخط مذهب الفلسفي ، ولم يزل نصب عين ابن الطفيل ، منذ استقرّ بمراكش في قصر الوجودين ، ذلك الشاب الناشئ تحت دوحتي الحكمة ، المتضلع من درسي الصريعة والفلسفة : أبو الوائيد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المعروف ، بان رشد الحفيد .

نشأ هذا الشاب في بيت الفقه والقضاء ، وتطلع إلى أسمى مرافق النظر العلمي ، فاتصل في حداثة أمره بالإمام أبي عبد الله المازري : شد الرحلة إليه في إفريقية ، وتخرج به في تحقيق النظر الفقهي على مدارك الصريعة وأصولها ، وتلقن منه أصول الطريقة الكلامية الأشعرية التي كان المازري يخوض لحجها مع إمام الحرمين الغزالي .

وفتح ابن رشد عييه على روض العلوم الحكيمية بالأندلس ، وقد زكا نشته ، وأبغى زهره ، بتقليص سلطان المرابطين ، فأقبل على فلسفة القدماء وأتقن اللغة اليونانية واللغة اللاتينية ، واستخرج كنوز الحكمة المجهولة ،

فتماطف على رأسه غصنان من علوم الإسلام وعلوم الأوائل ، فلم يجد خريفاً يهديه سبيل الحكمة المأمون ، غير القاضي ابن الطفيل ، فكان هو الذي أوقفه على ما يركي الحكمة من الدين ، ويزكي الدين من الحكمة ، على النحو الذي عرضه في قصة حي بن يقظان .

وكان ابن رشد في الوسط السنّي الفقهي ، الذي نشأ فيه بقرطبة ، متصلاً اتصالاً محكماً بآثار أبي بكر ابن العربي وأخباره ، فقد أخذ عن تلاميذه : مثل الحافظ ابن بشكوال ، ووقف بذلك على ما كان للغزالي من أثر في ابن العربي وفقهه ، ووقف على آثار الخلافات الفقهية والاعتقادية التي ثارت بين مالكية الأندلس وابن حزم ، وما تركت من دوي متجاوب الأصداء في قرطبة ، ووقف على كتب ابن حزم ، واعتمد عليها في تأليفه ، فحقق ما يهد به النصفون لابن حزم ، وإن خالفوه ، من سعة العلم ، وحادثة الذهن ، وقوة المعارضة ، حتى أنه على ظاهريته اعتنى بالحكمة العقلية وألف كتاب التشريب لحدود المنطق الذي قال القاضي صاعد : أنه بسط فيه القول على تبين أرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية ، وجوامع شرعية ، وخالف أرسطوطاليس في بعض أصوله . فكانت هذه المثل من استعمال الحكمة العقلية لتقريب الفقه موجّهة لابن رشد إلى مجازاة أربابها ، بأن تعيد الحكمة المنلى التي كان يشعر ، تبعاً لأستاذه ابن الطفيل ، بأنّ

الناس من قبل لم توصّلوا إلى محيبتها .

على هذا التأثير الذي بطرت به روح الحكمة المجددة على نفس الحفيد ،

ترك ابن الطفيل صاحبه ابن رشد بقرطبة لما استقرّ هو في مراکش .

فمّا رآه بوارق النور في تلك البقعة تلمع بين عينيه حتى لحق ابن رشد بمراكش سنة ٥٤٨ هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، ولقى الخليفة الموحد يوسف بن عبد المؤمن بواسطة أستاذه ابن الطفيل ، وحاوره

حواراً فلسفياً راقياً ، أثبت له رسوخ قدم الخليفة الموحي في الحكمة بصورة يندر وجودها عند أمثاله ، وبسبب ذلك رغب ابن الطفيل من ابن رشد ، بما له من التمكن في اللغة اليونانية ، أن يتولى دراسة كتب أرسطوطاليس وشرحها وتلخيصها حتى يخرج بها عن دائرة الغموض التي كانت محيطة بها .

اتدب إلى ذلك ابن رشد وبذل نفيس عمره في خدمة الفلسفة وتحقيقها وبسطها واعتمد على مذهب أرسطو فجعله قطب النظر ، وقارنه وناظره بالمذاهب ، وعلّق عليه بالنقد والتصويب ، وبين منزلة بعض المواضيع من بعض ، ونسبة بعض المذاهب من بعض ، واحتفل خاصة بقسم مابعد الطبيعة وهو مجال معتزك الأنظار ، فحقّق نواحي التفارق والتلاقي بين سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقين ، مناقشاً ابن سينا آراءه الخاصة أو تخاريجها لكلام أرسطو ، كما يناقش تخاريج المتقدمين من شراح أرسطو اليونانيين ، ومن المشهور أن ابن رشد بهذا العمل قد كان مؤسساً للفلسفة تأسيساً جديداً ، ومشيعاً لها إشاعة أضاعت ظلمات القرون الوسطى ، في أوروبا ، بفجر عصر النهضة ، ولكن الأهم وراء ذلك هو ما كان لابن رشد من أثر مباشر في العلوم الدينية ، فقد تأثر ابن رشد خطي الغزالي في الحكمة وأصول الفقه والفقه ، فتناول كتاب تهافت الفلاسفة ، وكتاب المستعصى ، وكتاب الوجيز ، فجعل تتبعه لكتاب التهافت تتبعاً تحليلاً حريفاً يتناول تحقيق مذاهب الفلاسفة بطريقته العميقة في شرح الحكمة ، ونقد ردود الغزالي بأنها ليست واردة مورد البرهان الناقض على محل النزاع ، حتّى انتهى بذلك إلى العقدة التي جعلها ابن طفيل أقوى مأخذ على فلسفة الغزالي ، فجعلها مقطع الحق ومنقطع المناقشة وطوى بذلك كتاب تهافت التهافت ،

ثم لخّص تلك المناقشة في صورة منهجية في كتاب « فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » .

أما كتاب المستصفى فقد لخصه تلخيصاً ، ذكره في ترجمته الشيخ أحمد بابا في ذيل الديباج ، وتعرض إلى الإنلام بأراء الغزالي الأصولية في كتاب مناهج الأدلة بما دلّ على أنه لا خلاف يذكر بينهما في مسائل أصول الفقه .

وأما كتاب الوجيز فهو الكتاب الذي اختصر فيه الإمام الغزالي مذهب الشافعي ، ملخصاً فيه كتابيه الوسيط والبسيط ، وقد جعل اختصار الفقه مبنياً على الاختصار على قول الشافعي والإشارة إلى خلاف المذهبين المالكي والحنفي إشارة ردّ واستبعاد ، وكذلك فعل بالأقول التي تخالف قول الشافعي داخل المذهب ، وخاصة أقوال الزني ، فجاء هذا الصنيع متأثراً بالأصول الجدلية التي تنظر في مدارك الأحكام لقصد الانتصار إلى مذهب معين ، لا لقصد استيلاء الحقيقة لذاتها ، وكان ذلك تضييقاً للدائرة التقليد ، فجاء القاضي ابن رشد يسير صنيع الغزالي في الاختصار وإيراد الأقوال المخالفة ، ولكنه ينجح إلى الاقتداء بابن العربي في التخفيف من التزام التقليد ، فيتوسع في الخلاف ، ويشير إلى الأدلة التي كانت منشأه ولا يلتزم الانتصار لتقليد مذهب معين ، ولكنه يفتح باب النظر في الأدلة حتى لا يغلق باب الاجتهاد أصلاً ، ويبقى ولو في حدود النظر المذهبي ، فكان إيراد المذاهب عنده لتربية ملكة الاجتهاد عليها ، لا لدحضها ، ونصر مذهب معين وبذلك استطاع ابن رشد أن يفتح في المذهب المالكي طريقاً سده الغزالي في المذهب الشافعي ، هو الطريق الوسط بين الاجتهاد والتقليد ، الذي يشير إليه اسم الكتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وقد ذكر فيه أنه عازم على وضع كتاب آخر في المذهب المالكي ، يتجنب فيه إحصاء الروايات لأن ذلك شيء ينقطع العمر دونه ، ولكنه رتبّه ترتيباً

صناعياً حتى يكون القارئ مجتهداً في مذهب مالك ، ويظهر أنه لم يتمكن من إنجاز عزمه هذا فلم يكن له ، في ما "عد" من جريدة كتبه الكثيرة ، كتاب في الفروع المذهبية ، وقد وهم صاحب مجمع المطبوعات ، فنسب إلى الحفيد ابن رشد كتاب المقدمات المهمات ، والصواب أنه لجده الحافظ ابن رشد الجد صاحب البيان والتحصيل ، وحافظ المذهب .

وكفى حفيده بدأ على الفقه المالكي أنه بوضعه كتاب بداية المجتهد قد لفتح حياة الاجتهاد ، بما بحث في المذهب المالكي حركة التفقه التي ظهر بها الإمام ابن عرفة في القرن الثامن ، ثم التصرف الاجتهادي في جريان العمل الذي شاع من عهد تلاميذ ابن عرفة : البرزلي ، وابن فاجي ، فأصبح أصلاً للتطور الفقهي في ما بعد القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، فكان كتاب بداية المجتهد لمحة من لمحات الحكمة العقلية التي امتاز بها ابن رشد الحفيد تركت أثراً في تطور الفقه المالكي بالتفقه والعمل ، وأثراً في الإبقاء على رفق من روح الاجتهاد مردد بين المذاهب .

كان هذا العمل الذي قام به ابن رشد الحفيد في القرن السادس بكتابت بداية المجتهد ، عملاً تصريفاً في الفقه . نافض به العمل الاتزامي الذي قام به الغزالي في كتاب الوجيز ، فبقدر ما كان الغزالي يضيق الدائرة ويحصر الأقوال كان ابن رشد يوسع دائرة النظر ويكثر من إيراد المذاهب والأقوال ومقابلتها وإيراد حججها وأدلتها بحيث ينجح الغزالي إلى إبراز المذهب الفقهي الذي يتقلده في صورة الأمر الضروري ، كما هو عند المقلد ، في حال أن ابن رشد ينجح إلى إبرازه في صورته النظرية التي هي محل بحث ومجال اجتهاد ، كما هو عند الفقيه ، وإنه لمن المنتظر أن طريقة ابن رشد بكون لها أثر في المذهب المالكي ، وأن طريقة الغزالي بكون لها أثر في المذهب الشافعي ، حتى يبدو كل من المذهبين مباناً لمظهر الآخر ، ولكن ما بين المذهبين من

تواصل في المجال الأصولي ، وما بينها من تفاعل في البلاد الشرقية بصفة خاصة ، حيث يعيشان متجاورين في الحجاز والعراق والشام ومصر ، كان قاضياً بأن كل أثر يبدو في أحد المذهبين تحدث له صورة في المذهب الآخر ، فلمّا برر كتاب الوجيز للغزالي ولقي ما لقي عند الشافعية من احتفال وإقبال ، واحتلّ منزلة الإعجاب بحسن تنسيقه ، وجميل تبويبه ، ومحكم ربطه بين المسائل ، وإتقان تفريعها ، أحسن الفقهاء من أتباع المذهب المالكي في الشرق بأن هذا المظهر الذي بدا به المذهب الشافعي قد أناله امتيازاً في حسن الضبط وسهولة المراجعة يجعله أيسر إلى تناول المقلدين ، فاعتبطوا بذلك واستنمروا خلو التآليف الفقهية في المذهب المالكي من تلك اللمزة ، فحرصوا على تكميله باقتباس تلك الطريقة التي سهلت تناول المذهب من طالبه ، وهم حين نظروا إلى اللمزة الصناعية في التآليف لم يلتفتوا إلى ناحية التضييق والاختصار ، التي انحاز إليها مذهب الشافعي بتأليف الغزالي ، لأنّ مشابه الأوضاع واستقرارها لم يكن من شأنه أن يبرز الاحتياج إلى ما اعتبر مهجوراً من الأقوال الفقهية ، حيث إن جريان الفتوى على الأقوال المشهورة المدونة ، وما لتلك الأقوال التي جرت عليها الفتوى من تطابق مع مقتضيات الأحوال كان مزيلاً لاعتبار الأهمية من تلك الأقوال ، قاضياً عليها بالجدارة للهجر والإهمال . يمثل هذه العوامل تأثير المالكية بمصر أثناء القرن السادس لما طار كتاب الغزالي إلى إخوانهم وأجوارهم الشافعية ، فأقبلوا عليه بما تقدّم وصفه من إعجاب ، وأحسن المالكية بأن مذهبهم في حاجة إلى مثل ذلك التهذيب والترتيب ، ولم يلاحظوا ما لاحظ أحد أئمتهم العظام وهو قاضي قرطبة أبو الوليد ابن رشد من أنه يشتمل على تضييق دائرة النظر الاجتهادي ويزنّ المذهب في حيز التقليد ، وإن امتاز بما زانه من حسن الترتيب ، فكان تطلع هؤلاء الفقهاء إلى أن يسلكوا بالمذهب المالكي المسلك الذي اتهم به الغزالي بالمذهب الشافعي موافقاً للوقت الذي كان فيه

فقيه قرطبة وحكيمها يحاول أن يبرز أثراً مرتباً مذهباً يصدّه به تيار المذهب المالكي عن الاندفاع في ذلك السبيل . ففي العصر الذي كان فيه ابن رشد منكباً على تصنيف بداية المجتهد ، كان الفقيه المصري أبو محمد بن شاش منكباً على تصنيف مختصر جامع لفروع المذهب المالكي ، على ترتيب يسائر صنيع الإمام الغزالي في الوجيز ، وهو مختصره البديع الذي سماءه « الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » ، وقد قال في خطبته : لما رأيت كتاب الوجيز لأبي حامد الغزالي رحمه الله من أحسن ما حرّر فيما حرّره غيره من متقدمي الأئمة ومتأخريهم ، فكان غاية منتهى التحرير ، خلصت المذهب في هذا الموضوع على القرب من محاذاته .

وسرعان ما ظهر هذا الكتاب حتى عكف عليه المالكية بمصر واستحسنوه وأعجبوا به ، كما ذكر ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان ، وسارت طريقة دراسة الفقه على منهج كتاب ابن شاش : في الحرص على التفريع والجمع والإيجاز ، والإعراض عن الخلاف والمدارك ، وبقي كتاب ابن رشد خامل الذكر محدود الانتشار إذ لم يشاركه في نظره الحكمي البعيد إلا « الفلافل » : فلم ينتبه الأكثرون إلى أن ما خبّل لهم الاستغناء عنه من الأقوال يحتاجون إليه في تقليب الأنظار عند اختلاف الأحوال .

ومضى القرن السابع على هذه الطريقة الالتزامية التي التحق فيها المذهب المالكي بالمذهب الشافعي ، متكباً محاولة ابن رشد في الحفاظ على اتساع النظر الاجتهادي ، وازدان ذلك القرن السابع بظهور علم من أعلام الثقافة الإسلامية ، الجامعين بين مختلف فنونها في معرض الصناعة التعليمية ، التي تفرّعت من مناهج أصول الفقه ، فجمعت بين أسلوب تعليمي واحد علوم اللغة العربية والدين والحكمة من علم القراءات إلى علم العروض ، ذلك العلم الذي ظهرت عظمته في القرن السابع ، هو الإمام جمال الدين ابن الحاجب ،

صاحب المختصرات المعتبرة في النحو والصرف والعروض والمنطق والأصول والفقه والقراءات ، فانصرف إلى تأليف مختصره العظيم في الفقه المالكي الذي سمي « جامع الأمهات » ، وأفرط فيه في اتباع طريقة الجمع مع الاختصار ، حتى كان وهو جزء صغير جامعاً لضمون ستين ديواناً من دواوين الفقه المالكي ، ومشتماً على صغر حجمه على ست وستين ألف مسألة ، فمظم الإعجاب به ، وعم الإقبال عليه ، وملأت سمته وسط القرن السابع ، وحلقت في آفاق المشرق والمغرب مع أن ابن خلدون يعرض بنقده بقوله : إنّه جاء كالبرنامج للمذهب وبانتشار مختصر ابن الحاجب وعكوف الناس عليه حجر دارسو الفقه طريقة المدونة وتهذيبها ونسروحها ، بما عليها من مسحة النظر والاستدلال ، وتوجّهوا إلى دراسة ابن الحاجب بالامتنكار على طريقته من المسائل والفروع وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعي ببلاد المغرب العربي أن الشيخ ناصر الدين الزواوي ، من فقهاء بجاية ، ارتحل إلى المشرق في أواخر القرن السابع ، فلقى تلاميذ ابن الحاجب بمصر ، وتخرّج عليهم ، فجاء منه بمختصر ابن الحاجب ونشره في تلاميذه بجاية ، ومن هنالك انتقل إلى عامة أقطار المغرب العربي ، فعكف الفقهاء على دراسته ونشره واعتنى به كبار فقهاء تونس : مثل ابن عبد السلام ، وابن هارون ، وابن راشد ، وفقهاء تلمسان : مثل ابني الإمام .

ولكن زعة ابن رشد إلى الطريقة المخالفة للمنهج الالتزامي الاقتصادي ، الذي درج عليه ابن الحاجب ، لم تزل تفنّدي حركة ردّ فعل تنديلي تجنح باتباعها إلى طريقة اتساع النظر الاجتهادي بين المذاهب الفقهية ، وقد تجلّت تلك النزعة واضحة في كتاب القوانين الفقهية للإمام أبي القاسم ابن جزي الغرناطي ، شهيد واقعة طريف سنة ٧٤١ ، فإن ذلك الكتاب النفيس ،

على إحكامه ودقّة ترتيبه ، لم يقتصر على المذهب المالكي ، بل أورد المذاهب الأربعة ومذاهب كثير من أهل الاجتهاد المنقطعي الأتباع ، فجمع ، كما قال هو عن نفسه ، بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالمي .

على أن منهجاً جديداً في الدراسة العلمية قد ظهر بالبلاد التونسية في رحاب الجامعة الزيتونية أثناء القرن السابع كان قاضياً أيضاً بتعديل الغلو في الطريقة الفقهية الالتزامية ، وذلك هو منهج القاضي أبي القاسم ابن زيتون ، الذي تخرّج في المشرق على تلامذة الإمام فخر الدين الرازي ، ودرج على طريقته في الجمع بين العقليات والنقليات على الأسلوب التعليمي الراقى ، وقد تأيدت هذه الطريقة واستحكمت أساسها في القرن الثامن ، ينبوع الحكيم الكبير إمام التعاليم والرياضيات أبي عبد الله الابلي ، المتكون في حكته التجريبية على طريقة ابن رشد ، فتواصلت طرق التخرج على منهج النظر الحكمي في التكاليف الدينية بين أقطار المغرب في شمالي إفريقيا والأندلس ، فظهر من أعلام تلك الطريقة أعلام درسوا الفقه بالتعقيد والمقارنة وربط الفروع بالأصول مثل الإمام أبي عبد الله المقرئ التلمساني ثمّ القاضي ، والإمام أبي اسحاق الشاطبي القرناطي ، والإمام العلامة أبي عبد الله العلوي الشهير بالشريف التلمساني ، الذي عدّ من أهل الاجتهاد ، وقد أنجحت الجامعة الزيتونية تونس في هذا القرن الثامن فذءاً من الأفاضل الجامعين بين الحكمة والفقه تخرّج بطريقة الابلي وبرز في العلوم الحكيمة أولاً ، ثم اشتغل بالفقه فأتى فيه بالعجب العجاب ، ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن عرفة .

ابتدأ ابن عرفة تخرجه العلمي بالاختصاص في الكلام والحكمة والمنطق وأصول الفقه ، ثمّ انصرف إلى الفقه متأثراً بتكوينه الحكمي ، فأنجز ، إلى الضبط والجمع والتنظير ، واهتمّ بصفة خاصة بالتحديد ، وشرح مواهي الأبواب الفقهية ، بتميز بعضها عن بعض ، وأكثر من البحث والنظر والاستشكال ،

فنفذ كثيراً من الأقوال واستبعدهما ، مبنياً وجه ذلك بتصور الوقائع ، وملاحظة ما يتحقق فيها من المصالح المقصورة للشرع ، وما لا يتحقق ، ففتح بذلك في الفقه المالكي طريقة البحث النظري المبرر عنه ، بالتفقه ، الذي هو منهج الدراسات القانونية الجامعية اليوم .

وهذه الدراسات النظرية المحصنة للأقوال الفقهية : نقداً ، وتحريراً ، ومشاركة في المباني والمدارك ، افترت أحداث خارجية في حياة البلاد المغربية عامة والقطر التونسي خاصة ، ختم بها القرن الثامن : من دخول سلطنة الإسلام بالأندلس في الدور الأخير ، وإيواء اللاجئين من المناطق المفتكة إلى الرقعة الباقية والمدوة الافريقية ، ونضارب الدول المرينية والزيرية والحفصية في سبيل توحيد المغرب ، ودخول قبائل الأعراب في دور الاستقرار والتحضّر ، واستفحال الأزمة الاقتصادية بسبب سقوط منزلة البلاد في التجارة العالمية بفتح طريق الهند البحري ، وزيادة على ما مرّ بلاد المغرب من الأحداث الإسلامية التي توالى بعد سقوط الخلافة العباسية بمقداد : من تمجيد عممة المغول بقيادة تيمورلنك ، وإشراف نجم العثمانيين ، فكان من أثر هذا المجموع من الأحداث أن ما كان يسود الدراسات الفقهية من الاطمئنان إلى الاختيارات والترجيحات التي استقرّ عليها الفقه المذهبي ، قد بدأ يتزعزع بما أسفرت عنه الأحداث الهائلة من انقلاب الأوضاع الاجتماعية انقلاباً فتح مبدأ الشعور بمشكلة قصور كثير من الأقوال الفقهية عن تحقيق المصلحة التي نظر بها إليها من قبل بسبب اختلاف الوضع عن الوضع ، فكان هذا الشعور أقوى سند للأنظار التفقهية التي ابتدأ الإمام ابن عرفة أثناء القرن الثامن يطنق بها تعاليف النقد والبحث على نمط الأقوال الفقهية ، واشتد تلاميذه عن ذلك مميّزاً للاختبار التجريبي لنقد الرأي الاجتهادي الذي يحلّل به ابن عرفة الأحكام .

وبذلك كان القرن التاسع قرناً وضع فيه الفقه المالكي من جديد على ساط النقد والتمحيص حيث دخل في مقاييس الاختيار والرجيح مقياس جديد : هو مقياس الفتوى والعمل ، فإن طبقة من تلامذة ابن عرفة أخذت على عاتقها تطبيق الأحكام الشرعية على الوقائع بمراعاة ما فرضت فيه تلك الأحكام من الظروف الزمانية والمكانية ، فإذا رأوا أن بعض تلك الظروف تبدل ، مالوا إلى المدول عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهداً منهم ، واستحساناً ، واعتباراً للمصالح الشرعية ، بحسب الوقائع والنوازل والأشخاص ، بمراعاة الأعراف والعوائد ، فأصبحت الفتاوى في كثير من الوقائع مختلفة عما اشتهر في أمثالها بسبب اختلاف جزئي في صور الوقائع نأى من اختلاف الأوضاع ، وكان البروز في هذا المجال الفقهي التجديدي لثلة من تلاميذ ابن عرفة ، فيهم من التونسيين : البرزلي ، وابن ناجي ، ومن الجزائريين : الحفيد ابن مرزوق ، وأبو الفضل العقباني ، حتى تقرر بصنيعهم هذا منهج العمل الذي أصبح تمديلاً ضرورياً لما سبق من الرجحان واشتهر ، وكان الذين تولوا القضاء من هؤلاء أتمّ تمكّناً من ملاحظة تلك الدواعي فساروا على منهج التصرف الاجتماعي في التأويل ، وأسسوا الجريان العمل مادة جديدة للفقه ، فأظهر القاضي ابن ناجي في كتبه من حسن التحقيق لمناط الفتاوى والأحكام ، والبراعة في تنزيل القواعد والقاصد على الصور الحادثة ، ما جعل صورة الفقه المالكي من بعده مصطبغة بأرائه صبغة خاصة . كما أبدى البرزالي في مجموع فتاويه المسمى « جامع مسائل الأحكام » لما ينزل بالفتين والحكّام ، نظراً بعيداً سديداً ، في التصور والتطبيق والتنزيل ، تناول أكثر مسائل الفقه بصورة كشفت في تطبيق الأحكام ، عن أوجه لم يكشف عنها من قبله لثام . ومثل ذلك المسلك سلك العقباني في أجوبته التي ضمن الكثير منها تلميذه الشيخ يحيى المغيلي المازوني في كتابه « الدرر

المكتونة في نوازل مازونة ، أما العلامة ابن مرزوق الحفيد فقد سما في فقهه إلى أفق تحرير الأفكار وابتكار الأنظار ، حتى شهد له بلوغ درجة الاجتهاد المطلق ، ولقد كان حريصاً على تعرف المذاهب وحسن دراستها لتوسيع نظره الاجتهادي ، فدرس الفقه الشافعي في تلمسان بكتاب التنبية لأبي اسحاق الشيرازي والوجيز للغزالي ، مع أنه لم يكن هو ولا واحد من طلبته ولا من أهل مدينته شافعيًا .

وهذه النزعة التفقهية التطبيقية انتهج الفقه نحو التطور منهجاً جديداً سلك من القيروان إلى الأندلس ثم رجع واستقر بفاس فأبرز اختلافاً واضحاً بين ما تقرّر من الأحكام في الدواوين والختصرات ، وما طبق في مجاميع الفتاوى والنوازل ، على نحو ما نجده في لامية الزقاق من القواعد والمثل ، وما نجده في ماضيته الشيخ أبو العباس الواشيري في مجموعته العجيب والمعار المغرب والجامع المقرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، وهو كتاب في أسفار ضخمة يتبيّن لتصفّحه عندما يقابله بجواهر ابن شاش أو بمختصر ابن الحاجب كم استطاع النظر الفقهي في هذا المغرب أن ينتج من تطور ويظهر من حيوية ، لما عدل عن المنهج الاتزامي وسار على النهج التصرفي الذي فتحه ابن رشد ، ومهّده ابن عرفة وتلاميذه ، وأقام أعلامه الواشيري في المعيار .

محمد الفاضل ابن عاشور



نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

المكتور صمدح الميرين السكواكبي

- ٨ -

(٢١٥) البَطْن

Abdomen, ventre (m.)

ف

Abdomen ; belly

ز

في الأصل . - ليس له تعريف .

في (ق) . - البطن خلاف الظهر مذكر . ج أبطن ، وبطن ، وبطنان ... ودون القبيلة ... وجوف كل شيء .

في (ل) ولاروس ذي الجلدتين . - هو الناحية السفلى والأمامية من الجذع (يرادف Ventre) . البطن منفصل عن الزور بالحاجز وتحمده من الأسفل الحوض . يحتوي البطن على الأنبوب الهضمي وملاحقه ، والجهاز البولي ، وغدد شتى وعلى جزء هام من الجهاز الودي .
أهم ما أضفته :

١ - بطن ذو برزتين

Ventre à double saillie

ف

Abdomen presenting tow inguinal prominences

ز

٢ - بطن بشكل الخُرْج

Ventre en besace ف

Pot belly ز

٣ - بطن مدلى

Ventre pendant ف

Pendulous belly ز

٤ - بطن كاللَّحْز كَب

Ventre en bateau ف

Scaphoid abdomen: boat scaphed, ز
carinate, navicular abdomen

٥ - بطن مستدق

Ventre en pointe ف

Pointed belly ز

٦ - بطني

Abdominal, ventral ف، ز

قلت :

و (البُطَيْن) على التصغير وبالإضافة إلى القلب يُطلق خصوصاً على
الجوف الذي يدفع الدم إلى الشرايين . وبالإضافة إلى الدماغ يُطلق على
كل من الجوفات الأربعة المحتوية على المائع الدماغى الشوكي .
وأضفت :

١ - بُطين القلب

Ventricule du cœur ف

Ventricle of the heart ز

٢ - بطين الدماغ

Ventricule cérébral ف

Cerebral ventricle ز

٣ - بطين الحنجرة

Ventricule du larynx	ف
Ventricle of the larynx	ز

٤ - بطين الدماغ الجانبي

Ventricule latéral (du cerveau)	ف
Lateral ventricle of the brain	ز

٥ - بطين الدماغ المتوسط

Ventricule moyen (du cerveau)	ف
Third ventricle of the brain	ز

٦ - بطين رابع

Quatrième ventricle	ف
Fourth ventricle	ز

٧ - بطين انتهائي

Ventricule terminal	ف
Terminal ventricle	ز

٨ - بطيني

Ventriculaire	ف
Ventricular	ز

٩ - رسم البطين

Ventriculographie	ف
Ventriculography	ز

٢١٥ مكرر) الشاكِلَتان

Flanc , côté (m.) ف

Flank ; side ز

في الأصل . — هما الطفطفتان .

في (ق) . — الطفطفة الخاصرة ، أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع .
والشاكلة ، في (ق) : ما بين الحرقفة والقُصَيْرَى وهي الخاصرة .

في (ل) . — القسم من جسم الإنسان والحيوان من الأضلاع حتى
الورك . وعلى التوسع الجنب من الجسم .
(انظر أيضاً الرقم — ٢٠٧) .

★ ★ ★

(٢١٦) الثَفْنَةُ

Hypogastre ; bas - ventre ف

Hypogastrium ز

في الأصل . — الثَفْنَةُ : ما بين السرة إلى العانة .

قلت : قوله (ما بين السرة إلى العانة) ينطبق على الخِثْلَةُ ، والمُرْبِطَاء
لا الثَفْنَةُ ، بالفاء ، وهما ما يقابل الكلمتين الافرنجيتين ، كالثَفْنَةُ تماماً
— بدون فاء — كما سيأتيك في ملاحظتي .

في (ق) . — الثَفْنَةُ من البعير ، الركبة . ومنك الركبة ومجتمع
الساق والفخذ .

في معجم المتن . — من البعير الركبة . الخ ومن الخيل موصل الفخذين
في الساقين من باطنها . ومن الناس الجماعة منهم ، ومن الخِثْلَةُ حافتا أسفلها
من التمر (مجازاً) . ومن النوق ، التي تضرب بثفنتها عند الحلب . ومن
الإنسان : الركبة ، ومجتمع الساق والفخذ .

في (ل) . - القسم الأسفل من البطن .
 ملاحظتي . - في المعاجم التي بين يدي لم أجد للثفنة من المعاني ما يصح إطلاقه - ولو مجازاً - على الشرح المذكور في الأصل المطبوع : (ما بين السرة إلى العانة) . فالثفنة إذن خطأ عن النسخ من المخطوط . فما الصحيح ؟ رحتُ أقلبُ وجوه التصحييف أو أخطاء الخط ومواصلتُ البحث وجدتُ - بعد جهد - الصحيح وهو (الثَّشَنَةُ) فوضعها مصححة في الرقم (٢١٦) . فالثَّشَنَةُ ، بالضم وبدون افاء ، مشددة النون : (العانة ، أو مريطاء ما بينها وبين السرة) وهو شرح ينطبق تمام الانطباق على ما جاء في شرح الأصل . ولم ينتبه إليه المحقق .

★ ★ ★

(٢١٧) السُّرَّة

Ombilic (m.)

ف

Navel

ز

في الأصل . - ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .
 قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثَّشَنَةُ مما أفادني لتحديدتها ووضع الكلمتين اللغويين مقابلاً لها .

في (ق) . - ما تقطعه القابلة من الصبي .
 في معجم متن اللغة . - السُّرَّة يسر الكف والوجه . وما تقطعه القابلة من سُرَّة الصبي ج أسيرَّة (نادر) . والسُّرَر (*) : ما تقطعه القابلة من السُّرَّة (ويكسر) . السُّرَّة موضع السُّر الذي تقطعه القابلة وهو الوقبة في وسط البطن ج سُرَر ، وسُرَّات .

(*) قلت ؛ هو ما يسمى بالحبل المُرِّي :

Gordon ombilical ; tige funiculaire

ف

Umbilical cord or funicle

ز

قلت : لاحظت في شرح (ق) والتمن قولها (من الصبي) ولا شك عندي أن هذا عن ذهول فالصحيح أن يقال (من الولد) ليشمل الأنثى (الصبية) والصبي دون حصر في (الصبي) فالنابلة تقطع سرر الصبي والصبية (الولد ذكراً أو أنثى) [لأن الصبي : الطفل من لدن أن يولد إلى أن يفطم ، والذي لم يفطم بعد ، والمؤنث صبيّة ، انظر ما جاء في التّن مادة (ص ب ي) ج ٣ صفحة ٤٢٠] .

في (ل) . — ثقبه البطن في الجنين يمر منها الحبل السري .

قلت : من مرادفات الافرنجيتين :

تقير ، سرّة

Hile (m.)

ف

Hilus ; hilum

ز

(وهي ناحية منهطة ، بوساطتها تنفذ العروق الدموية والجاري الأخرى في أحد الأحشاء) .

ما أضفته :

١ — سرّة داخلية

Chalaze

ف

Chalaza

ز

٢ — سرّة الرئة (تقير الرئة)

Hile du poumon

ف

Hilus of the lung

ز

٣ — سرّة الطحال (تقير الطحال)

Hile de la rate

ف

Hilus of the spleen

ز

٤ - سرّة الكبد (نقيير الكبد)

Hile du foie	ف
Hilus , s. porta hepatitis	ز

٥ - سرّة الكلية (نقيير الكلية)

Hile du rein	ف
Hilus of the kidney	ز

٦ - استسمرار

Ombilication	ف
Umbilication ; navel - like depression	ز

٧ - استسمرار الأسحيم (حلمة الثدي)

Ombilication du mamelon	ف
Retracted , inverted nipple	ز

٨ - استسمرار الجلد (في السرطان)

Ombilication de la peau (dans le cancer)	ف
Umbilication of skin (in cancer)	ز

٩ - أسرّ

Ombiliqué	ف
Umbilicate(d.) ; navel - shaped	ز

١٠ - سرّري

Ombilical	ف ، ز
-----------	-------

١١ - حبّيل سرّري

Cordon ombilical	ف
Umbilical cord	ز

يرادفها : ساق سرّرية

Tige funiculaire	ف
Umbilical funicle	ز

١٢ - نقيري

Hilaire	ف
Pertaining to the hilus	ز

★ ★ ★

العانة (٢١٨)

Pubis (m.) ; penil ; mont de Venus	ف
Pubic eminence ; mons veneris	ز

في الأصل . - ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .

قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثنية فرأيت ذكرها في رقم خاص معاً يقابلها في اللغتين والشرح اللازم ، لعلاقتها بالموضوع .

في (ق) . - العانة ، الإتان والقطيع من حمير الوحش . ج عون بالضم . وشعر الرءكب (والركب محركة العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره . أو الركبان أصلاً الفخذين عليها لحم الفرج أو خاص بهن ج أركاب وأراكيب) .

في معجم التن . - . . . ومنبت الشعر في قُبُل المرأة والرجل . ويقال للشعر هذا إسب ، وشيعة [انظر الرقم - ٢ الشعر ومنه (١٧)] . في لاروس ذي المجدين . - برزة مثلثة الشكل في النهاية السفلى من البطن ؛ والقسم الأمامي من عظمي الحرقفة . ما أضفته :

(آ) - الطيّق (*)

Pénil	ف
Pubic eminence	ز

(*) في (ق) : الطبّق ، عظم رقيق يفصل بين كل فقارين ؛ وظهر فرج المرأة .

ب) — قُنَّة الزَّهْرَة (*) (جبل الزهرة)	
Mont de Venus	ف
Mons veneris	ز
١ — عاني	
Pubien	ف
Pubic	ز
٢ — عظم العانة	
Os du pubis	ف
Pubic bone	ز
٣ — خزع العانة	
Pubiotomie ; hébotomie ; hébostéotomie	ف
Pubiotomy ; hebotomy ; hebosteotomy	ز
٤ — قتل العانة (مقتل)	
Morpion ; pou du pubis	ف
Pubic crab louse	ز

★ ★ ★

(٢١٩) الأعفاج (= المصارين)

Intestins (m.)	ف
Intestine ; gut	ز

في الأصل . — الأعفاج والمصارين ، الأمعاء .

في (ق) . — العفج محرّكة ، ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة .
ج أعفاج . . . والمصير كأمر ، الماء ج أمصيرة ومُصْران جج مصارين .
في متن اللغة . — العفج ج أعفاج وعِفْجَة ، المعى أو ما سفل منه .
أو مكان الكرّش لما لا كرش له ، وما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة وهو
من الإنسان كالمصارين لذوات الخُفّ والظليل التي تؤدي إليها الكرش ما دفته .

(*) في (ق) : القُنَّة الجبل الصغير ، وقُلَّة الجبل .

قلت : لقد أطلق المؤلف الأعفاج (وهي جمع عفج) توسعاً على الأمعاء عامة مع أن شرح (ق) و (الت) فيه تخصيص ولذا فقد أطلقت لجنة المصطلحات الطبية كلمة العفج على ما كان يسمى قبلاً (اثنا عشر) لطوله قدر اثنتي عشرة أصبعاً ترجمة للكلمة اللاتينية (Duodenum) ومعناها (قدر اثنتي عشرة أصبعاً) المستعملة بالفرنسية لذلك القسم من الأمعاء الذي يلي المعدة وينصب فيه ما تحيي به قناة المعشكة والقناة الصفراوية من المفرزات الخاصة بكل من المعشكة والصفراء .

أما الأمعاء وواحداه ميمى ' كلى ' فهي (الرئس = الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب والرئة) .

في (ل) . — الأمعاء ، أحشاء بطنية تبدأ من لدن المعدة حتى الشرج . وبحسب قطرها جعلت قسمين : الأول (ميمى دقيق ، بطول ٦ — ٨ أمتار في الإنسان وهي على أجزاء : عفج ، وصائم ، ولفائي . الثاني) ميمى غليظ ، بطول ١٥٤٠ — ١٥٧٠ متراً يلي الميمى الدقيق وهو أيضاً على أجزاء : ممرغة أو أعور ، وقولون ، ومستقيم .

وفيما يلي ما يقابل كل هذه المصطلحات العربية ، بالفتن الفرنسية والانكليزية معها أضفته ، زيادةً .

ما أضفته ، على وجه خاص ، في المضغة :

١ — ميمى ابتدائي = ميمية

Intestin primitif ; gastrula ف

Primitive gut ; gastrula ز

أقسام الميمية :

آ (جوف فوهي

Cavité gastruléenne ; archenteron ف

Archenteron ; coelenteron ز

ب (سدادة مُحَيِّفِيَّة)

Bouchon vitellin	ف
Ecker's plug	ز

ج (مَنَئِيح الجُرْثُومَة ، فَم اِبْتِدَائِي)

Blastopore ; bouche primitive	ف
Blastopore ; protostoma	ز

د — عَقْدَة هَنَسِن

Nœud de Hensen	ف
Hensen's knot	ز

٢ — مَعَى أَمَام الفَم

Intestin préoral	ف
Fore - gut ; head - gut	ز

٣ — مَعَى خَلْفِي

Intestin postérieur	ف
Hind - gut	ز

٤ — مَعَى مَتَوَسِّط

Intestin moyen	ف
Midgut	ز

وعلى وجه عام ، أضفت :

١ (مَعَى دَقِيق)

Intestin grêle	ف
Small intestine	ز

٢ (مَعَى غَلِيظ)

Intestin (gros)	ف
Large intestine	ز

(٣) عَفَج (= اثنا عشر)

Duodénium

ف

Duodenum ; dodecadactylon

ز

(٤) صَائِم

Jejunum

ف ، ز

(٥) لِفَائِي

Iléon

ف

Ileum

ز

(٦) يَمْرَغَة = أَعْوَر

Cæcum

ف

Cæcum ; blind - gut ; cecum

ز

(٧) قَوْلُون

Côlon

ف

(Intestinum) colon

ز

(٨) مُسْتَقِيم

Rectum

ف ، ز

وأقسام القولون :

أ — قولون ساعد

Côlon ascendant

ف

Ascending colon

ز

ب — قولون نازل

Côlon descendant

ف

Descending colon

ز

ج — قولون حُرْفَتِي حَوْضِي

Côlon ilio - pelvien ف

Sigmoid colon ز

د — قولون معترض

Côlon transverse ف

Transverse colon ز

٩ (مِعْوِي

Intestinal ; entérique ف

Intestinal ; enteric ز



٢٢٠ (المَعِدَة

Estomac (m.) ف

Stomach ز

في الأصل . — موضع الطعام الإنسان .

في (ق) . — المعدة ككلمة ، وبالكسر ، موضع الطعام قبل انحداره إلى الأمعاء ، وهو لنا ، بمنزلة الكرّش للأظلاف . ج مِعْدَة ومِعْد كعنب .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — المعدة ، قسم من الأنبوب الهضمي وهي جيب واسع مستبر (منتفخ) تحت الحاجز بين المريء والعفج . تجتمع فيه الأطعمة وتتكمّل بعد الانهضام . شكلها يحاكي الزمار ذي القِربة (*) .

يوصف لها وجهان : أمامي ، وخلفي (أي حافتي) . أحد الوجهين في الأعلى والأعلى ويسمى (انحناء صغير) ، والآخر في الأسفل ويسمى (انحناء كبير) . الفتحة العليا التي تصل المعدة بالمريء ، هي (سُدفة المعدة) ؛ والفتحة السفلى التي تتصل بالعفج هي (بواب المعدة) . تتألف المعدة من

أربع طبقات (مصلية ، عضلية ، خلوية ، مخاطية) . الطبقة المخاطية منهن مؤلفة من اثنتا عشرة عديدة جداً تحتوي على غُدَد تفرز الحميرة (هضمين*)) ، والمخاطية (**) ، والمصاراة المعدية .

ففي المعدة تمتزج الأطعمة وتنعرك عدة ساعات حتى تصبح كحَريرة مَشْوَل (***) فتُدفع إلى الأمعاء . [المصاراة المعدية تختلر الحليب ، وتَحَلِّمُه (****) (= تحلل) الهَيُولِيَّات] .

أهم ما أضفت :

١ - انحناء صغير

Petite courbure	ف
Lesser curvature	ز

٢ - انحناء كبير

Grande courbure	ف
Greater curvature	ز

٣ - بَوَّاب (المعدة)

Pylore	ف
Pylorus	ز

٤ - جِسم (المعدة)

Corps	ف
Body	ز

Pepsine (*)

Mucus (**)

Assimilabile (***)

Hydrolyse حَلْمَة (****)

٥ — حُدْبَة كَبِيرَة (قَعْر)

Grosse tubérosité ; fond ; fundus	ف
Fundus	ز

٦ — حُدْبَة (غَار الْبَوَاب)

Petite tubérosité ; antre du pylore	ف
Pyloric antrum	ز

٧ — سُدْفَة

Cardia	ف
Cardia ; cesophageal orifice	ز

وعن نسج المعدة ، أضفت :

٨ — خَلَايا مُحِيطَة ، ظَاهِرَة الشَّكْلِ

Cellules bordantes , délomorphes	ف
Border , delomorphous cells	ز

٩ — خَلَايا رَئِيسَة ، مَرَكِزِيَة ، غَيْر ظَاهِرَة الشَّكْلِ

Cellules principales , adélomorphes	ف
Principal , adelomorphous cells	ز

وعلى وجه عام ، أضفت :

(١) مَعْدَة حَاجِئَاء (أَشْعَة)

Estomac crochet (rad.)	ف
Fish - hook , hook shaped	ز

(٢) مَعْدَة كَالسَّاعَةِ الرَّمْلِيَّة (أَشْعَة)

Estomac biloculaire , en sablier	ف
Bilocular , hour - glass stomach	ز

(٣) معدة متمدّدة		
Estomac dilaté	ف	
Dilated stomach	ز	
(٤) معدة هابطة		
Estomac ptosique	ف	
Ptotic stomach ; dropped stomach	ز	
(٥) مَعِدِي		
Stomacal ; gastrique	ف	
Stomacal ; gastric ; gastro -	ز	
(٦) مَعِدِي ثَرْبِي		
Gastro - épiploïque	ف	
Gastro - epiploic	ز	
(٧) مَعِدِي عَفْجِي		
Gastro - duodénal	ف ، ز	
(٨) مَعِدِي مِعْوِي		
Gastro - intestinal	ف ، ز	
(٩) مَعِدِيَّات ، مَهْفَآت ، هاضومات		
Stomachiques ; stomacaux	ف	
Stomachics	ز	
(١٠) تشنج المعدة		
Gastrospasme	ف	
Gastropasme : cramp ; spasm in the stomach	ز	
(١١) تنظير المعدة		
GastroscoPie	ف	
GastroscoPy	ز	
(٧)م		

(١٢) منظار المعدة

Gastroscope

ف، ز

(١٣) هبوط المعدة

Gastropose

ف

Castroptosis

ز

★ ★ ★

(٢٢١) المثانة

Vessie (f.)

ف

Urinary bladder

ز

في الأصل . — مجتمع البول .

في (ق) . — موضع الولد ، أو موضع البول . (قلت : ما أعجب هذا ،

من تناقض) !

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — المثانة كيس غشائي يجتمع فيه البول

آتياً عن طريق الحالبين . توجد في القسم الأمامي العلوي من جوف الحوض

وأمام المستقيم في الرجل ، وأمام الرحم في المرأة . شكلها فارغة ، شكل

مثلث . من الخلف يتصل بها (الحالبان) ^(١) ومن الأمام والأسفل تفتحإلى (الإحليل) ^(٢) بقسم دقيق هو (العنق) ^(٣) الذي تحيط به المثانة ^(٤)

(بروتينات) في الرجل .

١) Urétère

٢) Urètre

٣) Col

٤) Prostate

ما أضفته :

١ - مثانة مخرومة كالممد

Vessie en colonnes ou columnaire

ف

Fasciculated , trabeculated bladder

ز

٢٠٠ - مثانة مستثارة

Vessie irritable	ف
Irritable bladder	ز

٢٠١ - مثاني

Cystique , vésical	ف
Cystic , vesical	ز

٢٠٢ - التهاب المثانة

Cystite	ف
Cystitis	ز

٢٠٣ - خَزَعُ المثانة ؛ نَحْت

Cystotomie ; taille ; lithotomie	ف
Cystotomy ; lithotomy	ز

٢٠٤ - منظار المثانة

Cystoscope	ف ، ز
------------	-------

وعلى وجه عام :

أ (إحلِيل)

Urètre	ف
Urethra	ز

ب (مَوْتَة)

Prostate	ف
Prostate , prostata	ز

ج (مَوْتِي)

Prostatique	ف
Prostatic	ز

(د) التهاب المَوْتة

Prostatite	ف
Prostatitis	ز

(هـ) خَرَّتْ المَوْتة

Forage	ف
• Forage • of prostata	ز

★ ★ ★

(٢٢٢) الطَّا

Dos (m.)	ف
Back ; dorsum	ز

في الأصل . — الطَّا ، الظهر .

في (ق) . — مطا : جدُّ في السير وأسرع وأكَل الرُّطْب من الكيَاسَة . وتمطى النهار وغيره امتد وطال . والمطى : التَّمَطَّى والظهر ج أمطاء والظُّهر خلاف البطن .

في معجم متن اللغة . — مطا مَطَوًّا وأكل الرُّطْب من المَطَو وهي الكيَاسَة (*) . والطَّا ، الظهر أو جبل المَن من عصب أو عقب أو لحم ج أمطاء .

في (ل) . — الظهر ، في الفقرات : الجزء الخلفي في الجسم من لدن الكتفين حتى الحوض .

(*) قلت : الكيَاسَة بالكسر هي البِغْدَق .

ما أضفته :

١ - ظهر السرج التركي

Dos de la selle turcique ف

Dorsum sellæ ز

٢ - ظهر مدوّر

Dos rond ف

Round back ز

٣ - ظهري

Dorsal ف

Dorsal ; posterium ز

٤ - سهاّم ظهري تشنجي

Tabès dorsal spasmodique ف

Spasmodic tabes ز

★ ★ ★

(٢٢٣) الصلب

Colonne vertébrale ف

Vertebral column ز

في الأصل . - الصلب ، هو عَظْمٌ في وسط الظهر وهي ٢٤ فقرة .
 في (ق) . - الصلب بالضم وبالتحريك عظمٌ من لدن الكاهل إلى
 العجب كالصالب . ج أصلب وأصلاب وصِلْبَة .

قلت : هذا التعريف ينطبق على (العمود الفقري) فوهبت ما يقابله
 بالافرنجيتين (في الرقم ٢٢٣ هذا) .

في (ل) ٠ — العمود الفقاري ، ساق عظمية تمتد من لدن قاعدة الجمجمة حتى مبدأ الفخذين في الحيوانات العنقية . أما في الإنسان فيتألف العمود الفقري من تراكب ٣٣ فقرة وهو ذو أربع انحناءات (٧ فقرات عنقية ^(١) — ١٢ فقرة ظهرية ^(٢) — ٥ فقرات قطنية ^(٣) — فالعجز ^(٤) — فالعضص ^(٥) .

- | | |
|-----------------------|---------------------|
| ١) Vert . cervicales | ٢) Vert . dorsales |
| ٣) Vert . lombaires | ٤) Sacrum |
| ٥) Coccyx | |

هذا وبالفرنسية يرادف العمود الفقاري كلمة Rachis أي السيساء . وكلمة Échine الشوك الظهرى . و Épine dorsale السّسنة . وفيما يلي (في الرقم ٢٢٤ — الفقرة) ذكر بعض أقسام الفقرة وما يقابلها .

★ ★ ★

(يقبع) الدكتور صلاح الدين السكواكبي



صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٦ -

(ويليام موير) :

كان السير (ويليام موير William Muir) [١٨١٩ - ١٩٠٥] من كبار الموظفين الإنكليز في الهند . وقد نشر اعتباراً من سنة ١٨٥٣ سلسلة من المقالات في (مجلة كلكتوتا Calcutta Review) ، جمعها آخر الأمر في كتاب ضخيم من أربع مجلدات بعنوان (حياة محمد) (١) .

والكتاب في فصوله المتعلقة بالحوادث التاريخية لا يتضمن شيئاً جديداً ، ولذلك كان من الأفضل اختصاره . وأكثر المعلومات في المجلد الأول الذي يبحث في تاريخ العرب قبل الإسلام مقتبس من كتاب (دو برسفال) . إلا أن هناك بعض الفصول على جانب كبير من الأهمية مثل : الفصل الأول من المقدمة الذي يبحث في مصادر السيرة ودرجاتها المختلفة من الصحة ثم الفصل الثالث من السيرة الذي يتكلم فيه على « إبان محمد بإلهامه » ثم الفصل السابع عن علاقة الإسلام بالمسيحية ، والفصل السابع والثلاثين عن « شخصية الرسول وأخلاقه » . . .

(١) William Muir. Life of Mahomet . London 1858 - 1861.

إن طريقة العرض واضحة ، رزينة ، ولكنها تم عن تعصب ديني متطرف ، يبعد المؤلف عن الروح العلمية والناظرة الموضوعية في كثير من أحكامه ...

(شبرنجر) :

كذلك نلاحظ سعة الإطلاع وقوة النقد مع التحيز والتعصب في كتاب المستشرق النمساوي (ألويس شبرنجر Alois Sprenger) [١٨١٣ - ١٨٩٣] عن حياة محمد وتعاليمه ، (١) .

كان (شبرنجر) طبيباً ، رحل إلى لندن ودخل في خدمة الإنكليز الذين أرسلوه إلى الهند وعهدوا إليه بإدارة مدرسة (دلهي) ومطبعة (كلكتوتا) .

ثم انتقل إلى ألمانيا ، وقضى تدرّس العربية في برلين ، وانقطع بعد ذلك إلى التأليف .

يبدأ (شبرنجر) دراسته باستمرار النظريات المختلفة التي أبدتها قبله المستشرقون في شخصية الرسول (ﷺ) . وهو يقول : « إن الباحثين في ألمانيا قد جردوا كلمة (نبي) من كل معنى ودلالة ، ثم ادعوا أن محمداً كان نبياً . » وقد اعتقد (موير) أن الرسول كان آله في يد الشيطان بينما رأى فيه (فارلايل) شخصية خارقة للمادة وبطلاً فذاً . أما نتائج دراسات (شبرنجر) فقد أدت به إلى اليقين بأن الإسلام لم ينبثق عن إرادة رجل بل عن حاجات العصر . وإذا كان (فارلايل) قد تطوع ليقول كل شيء حسن عن الرسول فإن (شبرنجر) يريد اتباع الطريق العاكس . إنه نطوع

(١) Alois Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammed, Berlin 1861.

للقيام بدور (محامي الشيطان) الذي يستنبط من مدائح أنصار الرسول الجوانب التي يراها مظلمة في شخصية الرسول ! كما أنه يلفت الأنظار في كل مناسبة إلى النقاط التي يعتقد أنها دليل على الضعف البشري .

ويجب الاعتراف بأن (شبرنجر) أتقن التمثيل في دور (محامي الشيطان) . وليس المسلمون وحدهم ، بل إن أكثر المستشرقين أيضاً لم يقبلوا حكم (شبرنجر) الذي أراد أن ينسب إلى الرسول (ﷺ) مرض المستريا . وقد لاحظ المستشرق الهوللاندي المشهور (سنوك هور غرونيه) أنه ليس هناك أي دليل أو شاهد يؤيد هذا التشخيص . وعدا ذلك فإن (شبرنجر) لا يقدم لنا سوى كلمة مجردة ولا يفسر لنا شيئاً من شخصية الرسول وسم عظمته .

ولكن على الرغم من رفض الفكرة الأساسية في كتاب (شبرنجر) ورغم الإسهاب في مناقشة الموضوعات وكثرة الاستطرادات ، فإن المستشرقين عامة يعتبرونه من أهم الدراسات عن حياة الرسول لأنه اتخذ القرآن مصدراً أساسياً لهذه الدراسة ، واستشهد بما يقارب الثلاثين من سور القرآن التي تولى (شبرنجر) ترجمتها بنفسه . يقول (ولهاوزن) « إن كتاب (شبرنجر) كنز ثمين من المعلومات والأفكار .. فإن المؤلف لم ينظر إلى الآداب العربية على أنها مجموعة من الشواهد لتوضيح قواعد التحويل أهم محتواها ، وما تضمنته من أفكار وتيارات » . ولا شك في أن (شبرنجر) قد تقدم خطوات هامة في دراسة المصادر عن حياة الرسول ، واستطاع أن يبرهن على أن الكتب العربية التي ألفت بعد القرن الخامس الهجري لا يمكن الاعتماد عليها لأنها منسوخة بصورة غير انتقادية عن المؤلفين السابقين الذين يجب الرجوع إليهم والأخذ عنهم مباشرة ...

(نولدكة) :

أما المستشرق الألماني (تيودور نولدكة Theodor Nöldeke) [١٨٣٦ - ١٩٣٠] فالآراء متفقة على أنه من أكبر المستشرقين وأوسعهم علماً ، وأكثرهم تحقيقاً ، وأقربهم إلى الإنصاف والعدل والحقيقة . وهو على الرغم من ميله الطبيعي إلى الآداب اليونانية قد دفنته الأقدار إلى الاستشراق ، كما أن جهوده في الدراسات الشرقية قد تركزت حول المسائل اللغوية ، رغم أن اهتمامه كان متجهاً في الأصل إلى الناحية التاريخية .

وعلى كل حال فإن كتابه «تاريخ القرآن» قد أصبح دعامة لا يستغني عنها كل من يريد دراسة الإسلام وشخصية الرسول . وهو قد استند إلى هذه الدراسة في تأليف كتاب مختصر عن «حياة محمد» موجه إلى جمهور كبير . وزعم يشير في المقدمة إلى أن الدراسات التاريخية — الانتقادية التي بدأها أمثال (وايل) و(موير) و(شبرنجر) لم تبلغ مداها بعد . إلا أنه كانت هناك ، كما يقول ، حاجة إلى نظرة إجمالية تلخص نتائج البحوث العلمية الحديثة . ويصرح (نولدكة) بأنه قد استفاد من دراسات المستشرقين المتأخرين الذين مر ذكرهم ، ولكنه اعتمد أيضاً على بحوثه الذاتية . وهو يخالف (شبرنجر) في أحكامه وينتقد اندفاعه وطريقته الشخصية ؛ وفي الحقيقة يمتاز كتاب (نولدكة) بالنظرة الموضوعية . وقد اعتقد المؤلف أنه ، لأجل إصدار حكم عادل على محمد (ﷺ) ، لا يمكن أن نستعرض حياته كني وواعظ وحاكم ، بل ينبغي أن ننظر أيضاً إلى سلوكه مع أتباعه وأصدقائه وفي شؤونه اليومية . فإن صفاته التي نعرفها بالتأكيد تكشف عن سمو الخلق وكرم النفس . أما أخطاؤه فإنها ترجع ، في رأي (نولدكة) ،

إلى عادات عصره وطبائع شعبه . وينتهي (نولدكه) إلى القول « بأن ليس هناك أدنى شك في أن محمداً كان مؤمناً برسائله التي تلخص في هداية قومه إلى العقيدة الصحيحة ، وإقناذهم من العقاب الأبدي ... »

نظرية (جريمي) في رسالة محمد ﷺ :

مضت فترة طويلة بعد مؤلفات (وابل) و (مور) و (شبرنجر) و (نولدكه) قبل أن يظهر كتاب جديد عن الرسول ، له قيمة خاصة ، يتصف بالاستقلال في الرأي ويكشف عن نواح غير معروفة ، ونقصد بذلك كتاب « محمد » (١) للمستشرق الألماني (هوبرت جريمي Hubert Grimme) الذي يتضمن المجلد الأول منه حياة الرسول ، والمجلد الثاني للدخول إلى القرآن . إن المصادر التي يستند إليها (جريمي) قد سبق نشرها جميعاً ، ولكنه يتبع طريقة جديدة في استخدامها تختلف عن المؤلفين الذين سبقوه . فهو ، قبل كل شيء ، يلتزم الحذر الشديد تجاه روايات رجال الحديث والسيرة ، ويقول : « رغم الاعتراف بأن مجموعات الحديث القديمة تشمل على كثير من الأخبار الصحيحة إلا أنه من المؤكد أيضاً أن التزوير المقصود قد شاع في هذا الموضوع أكثر من غيره ، ولم يتوصل الباحثون بعد إلى وسيلة مضمونة للتمييز بين الصحيح والمزيف . ثم إن مجموعات الحديث تعبر ، في نظر (جريمي) ، عن الروح التي كانت سائدة في المدينة ، ولكنها لا تعطينا صورة دقيقة عن الحالة في مكة . إنما لدينا ، لحسن الحظ ، مصدر غني تتدفق منه الحقائق التاريخية هو القرآن . وقد سمى (جريمي) إلى الاستفادة من هذا النبع إلى أقصى حد ممكن . والصعوبة الكبيرة هنا إنما ترجع

(١) Hubert Grimme : Mohammed .

إلى الاختلاف في تحديد الوقت الذي زلت فيه بعض الآيات . لذلك حاول (جرمي) أن يعالج هذا الموضوع في الجزء الثاني من كتابه .

على أن الطرافة في كتاب (جرمي) هي دعواه بأن محمداً (ﷺ) لم يكن ، في بادئ الأمر ، يشر بدين جديد ، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . بقول (جرمي) : « إن الإسلام ، في صورته الأولى الأصلية ، لم يكن يحتاج إلى أن ترجمه إلى ديانة سابقة تنسر لنا تعاليمه . ذلك لأننا ، إذا نظرنا إليه عن كثب ، زاه لم يظهر إلى الوجود كمقيدة دينية ، بل إنما كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة ، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين لذلك زاه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين . وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته . . . »

ويعترف (جرمي) بأن فكرة الإصلاح الاجتماعي — الاشتراكي قد اصطلحت بمقبات لا يمكن اجتيازها ، وتحطمت على صخرة العصية القبلية والمصالح الطبقية ، وتطورت الدعوة الإسلامية فانقلبت إلى ديانة ذات أهداف ما وراء الطبيعة .

وقد رد المستشرق الهوللاندي (سنوك هورجرونيه) على هذه النظرية في بحث طويل نشره في « مجلة تاريخ الأديان » (المجلد ٣٠ لسنة ١٨٩٤) ، ويشير أن الفكرة الأساسية في الدعوة المحمدية هي فكرة يوم الحساب . أمّا الخوض على الإحسان ومساعدة المحتاجين فتلك فضيلة شائعة في الشرق ، ويتفق فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية ، ولا يجوز أن نبني عليها فرضية كالتالي وضعا (جرمي) والتي تجعل من الرسول داعية اشتراكياً . . .

موقف الاستشراق من سيرة الرسول في العصر الحاضر :

تابع المستشرقون في أوائل القرن العشرين نشر المصادر العربية عن تاريخ العرب والإسلام ، وتوسموا في دراسة هذه المصادر وتقدها . فقد تم في سنة ١٨٩٨ طبع تاريخ الطبري في (١٣) مجلداً ، وهو مجمع معظم الروايات القديمة عن حياة الرسول . وكان من أم المصادر القديمة التي نشرت أيضاً كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد . وقد عهد المجمع العلمي في (بروسيا) بتحقيق الكتاب إلى لجنة من كبار المستشرقين تحت إشراف الأستاذ (أدوار ساخو Eduard Sachau) فصدر في (١٥) مجلداً في (ليدن) بين سنة ١٩٠٤ و ١٩٢٨ . والمجلد الأول يروي سيرة الرسول في مكة ، والمجلد الثاني أخباره في المدينة ، والمجلد الثالث يصف غزواته ، بينما تشتمل المجلدات الأخرى تراجم أحوال الصحابة والتابعين .

وقد نشر المستشرق الطلياني الأمير (ليون قابتاني Leone Caetani) بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٢٦ عشر مجلدات من مؤلفه الضخم (حوليات الإسلام Annali dell' Islam) الذي جمع فيه كل الأخبار والروايات عن الحوادث التاريخية منذ الهجرة مرتبة حسب الزمن سنة بعد أخرى ، وقد اشتملت المجلدات العشر على حوادث الفترة من السنة الأولى إلى السنة الأربعين للهجرة . وتولى (قابتاني) مناقشة كل الروايات وتقدها والتعليق عليها ... ولكن على الرغم من كثرة المصادر وتراكم الوثائق لا يمكن القول بأنه قد ظهرت مؤلفات جديدة للمستشرقين ترسم شخصية الرسول (ﷺ) بصورة واضحة ، وتكشف عن سر عظمته وحقيقة تاليمه وأهميتها في تاريخ البشرية . وقد ازداد الموضوع تشعباً واتسع نطاقه بعد أن صار المستشرقون لا يكتفون بالبحث في سيرة الرسول كما كانت في الواقع ، بل يحاولون أيضاً

معرفة الصورة التي تكونت عنه لدى المسلمين ، وكيف تطورت هذه الصورة مع تعاقب العصور . ولعل وفرة المواد هي التي أدت إلى نشأت الدراسات ، ووقوف الباحثين عند بعض المسائل الجزئية . أضف إلى ذلك أن بعض الباحثين في هذا العصر لم يستطيعوا التجرد عن التعصب الديني ، فأخذوا يثيرون الشكوك وبشوهون الحقائق .

يتجلى لنا ذلك في كتاب المستشرق الانكليزي (مارجليوث D. S. Margoliouth) عن « محمد وقيام الإسلام »^(١) . وقد استفاد المؤلف من عدة مصادر جديدة لم يستخدمها الذين سبقوه ، وأظهر مهارة في الوصف ، ولكنه اندفع مع أهوائه ! ونسب إلى الرسول (ﷺ) الخداع والتضليل . كذلك نلاحظ تأثير التعصب الديني عند الأمير (قايتاني) الذي يبالغ في تقصير الروايات الإسلامية ، ويتحامل في حكمه على الرسول في كتابه « دراسات عن التاريخ الشرقي Studi di storia orientale » الذي خصص المجلد الثالث منه لترجمة « حياة محمد الرسول ورجل الدولة » .

وليس غريباً أن يلجأ مبشر يسوعي مثل الأب (هنري لامنس) إلى تحريف النصوص وتشويهها والتلاعب بالمبارات للظعن في العرب والمسلمين ، فهو لم يقصد الكشف عن الحقيقة بل الدس والتضليل والتشنيع في جميع مؤلفاته التي يحوم بعضها حول مسيرة الرسول ، مثل مقاله عن (عمر محمد) في المجلة الآسيوية سنة ١٩١١ حيث يرجع تاريخ ولادة الرسول إلى سنة ٥٨٠ خلافاً لجميع الآراء التي تتفق على أن ذلك كان حوالي سنة (٥٧٠) ؛ ومثل كتابه « فاطمة وبنات الرسول »^(٢) الذي حاول فيه أن يرسم صورة مشوهة عن فاطمة الزهراء دون أي مستند تاريخي موثوق ؛ ثم كتبه الأخرى عن (مكة) و (الطائف) و (مهد الإسلام) وغيرها .

(١) D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam . London 1905

(٢) Henri Lammens : Fatima et les Filles de Mahomet. Rome 1912

وأكثر المستشرقين ، رغم إعجابهم بكثرة معلومات (لامنس) وسعة اطلاعه وطلاوة أسلوبه لم يستطيعوا إلا انتقاده وفضح مغالطاته ، والتحذير من الاعتماد عليه .

يتمدح جمهور المستشرقين كتاب « حياة محمد » (١) للمستشرق الدانماركي فرانتس بول (Frants Buhl) الذي صدر في (كوبنهاجن) سنة ١٩٠٣ ثم ترجم إلى الألمانية في سنة ١٩٣٠ بعد تنقيحه وتوسيعه بالاتفاق بين المؤلف والمترجم المستشرق المعروف (شيدر H. H. Schaefer) والكتاب يتحاشى الفرضيات البراقة ، ويمتاز بالدقة في دراسة كل التفاصيل ، ويقتصر على الأخبار الموثوقة ، ويعترف بوجود ثغرات في معلوماتنا . وقد رجع المؤلف إلى جميع المصادر المعروفة ، فدرسها دراسة انتقادية ، مستقلة ، وأضاف إليها قصائد الشعراء المعاصرين للرسول التي أهملها الكتاب الذين سبقوه .

ومع الاعتراف بأن المؤلف قد حاول التزام الحياد والتمسك بالنظرة الموضوعية المجردة ، فإنه لم يتحرر من الأحكام السابقة المادية بالنسبة إلى شخصية الرسول وصفاته الأخلاقية .

ولعل المؤلف الوحيد بين الباحثين الحديثين الذي بذل جهوداً صادقة لفهم شخصية محمد (ﷺ) وإدراك حقيقة رسالته هو المستشرق السويدي (تور آندريه Tor Andrae) .

نشر (تور آندريه) في سنة ١٩١٨ كتابه عن « شخصية محمد في تناليم جماعته وعقيدتهم » (٢) الذي استطاع أن يصف لنا فيه شخصية الرسول

(١) Frants Buhl, Das Leben Muhammeds. Leipzig 1930

(٢) Tor Andrae, Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner Gemeinde. Stockholm 1918

كما تصورهما المسلمون في مختلف العصور ، وأن يستعرض ما نشأ لديهم من أساطير حوله ، وأن يشرح آراء المتكلمين والمتصوفين في معجزات الرسول وعصمته وتمجيده .

ثم أصدر (تور آندريه) في سنة ١٩٣٠ كتاباً ثانياً عن « محمد : حياته وعقيدته » ، ترجم إلى الألمانية والانكليزية واليطالية والفرنسية . وهذا الكتاب صغير الحجم لا يتجاوز (١٥٠) صفحة ولكنه يمتاز بالطرافة والاستقلال في الرأي والرزانة في الأسلوب ، والمؤلف لا يريد التوسع في ذكر الحوادث المعروفة ، ومناقشة الروايات المختلفة ، كما اعتاد غيره من المستشرقين ، ولكنه يسمي إلى إيضاح مفهوم الوحي عند الرسول وشرح مضمون الرسالة التي كان يبشر بها ، والبرهان على صدق عقيدته ، ووصف ما كان يتحلى به من مكارم الأخلاق كالإخلاص والتواضع والبساطة والوداعة والتقوى .

ومثال (تور آندريه) يثبت لنا أن إخلاص المسيحي لعقيدته الدينية ، لا يمنعه من أن يحاول النفوذ إلى روح ديانة أخرى ، وأن يقوم بالمقارنة بين مختلف العقائد في سبيل إدراك جوهر الفكرة الدينية .

وأخيراً نستطيع القول بأن أكثرية المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن محمد (ﷺ) بسبب تعصبهم الديني . أما القلائل الذين تحرروا من هذه النزعة فيرجع فشلهم في فهم شخصية الرسول إلى مبالغتهم في النظرة التاريخية . فقد انصرفت جهود الباحثين منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى هذه الأيام إلى الكشف عن منابع والأصول التي اقتبست منها الديانة الإسلامية . ألم يبلغ الأمر ببعض المستشرقين إلى محاولة إرجاع كل شيء في القرآن - سواء أكان فكرة دينية أو حكمة أخلاقية أو نصاً قانونياً ،

أو قصة أدبية - إلى نموذج قديم في كتب اليهود أو المسيحيين أو الفرس أو في تقاليد العرب الجاهليين ؟ وقد عارض (تور آنديره) هذه الطريقة في البحث ، وأشار إلى أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية . ومهمة الباحث ، في رأيه ، هي أن يدرك كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة ، أصيلة تنبض بالحياة . فالإسلام لا يشكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقائد الحنيفية ، وتقاليد العرب القدماء ، ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر ...

الدكتور محمد كامل عياد



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

— ٥ —

٣٨ — وجاء في الصفحة ٣٩٣ « محمد بن الحسن بن عبد الله بن الشبلي أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي » . صوابه « ابن الشبل » لا ابن الشبلي » ، بذلك اشتهر وفي الكتب ذكر ، فمن الكتب التي ذكرته المتداولة المطبوعة معجم الأدباء لياقوت وقد سماه الحسين قال : « الحسين بن عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي ، ولد في بغداد وبها نشأ وبها توفي سنة ٤٧٤ كان متميزاً بالحكمة والفلسفة (١) » . وتاريخ أبي الفرج ابن الجوزي الكبير قال في وفيات سنة ٤٧٣ : « محمد بن الحسين بن عبد الله ابن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي ، من أهل شارع دار الرقيق ، سمع الحديث (٢) ... » . وعن الدين بن الأثير في تاريخه الكامل في وفيات سنة ٤٧٣ قال : « وفيها توفي أبو علي بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد ... » وذكر له أبيتاً . وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ، قال مؤلفه : « ابن الشبل البغدادي هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف ، مولده ومنشؤه ببغداد وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً . (٣) » . ودمية

(١) معجم الأدباء « ٤ : ٣٨ » طبعة مرغوليوث .

(٢) المنتظم « ٨ : ٣٧٨ » .

(٣) ج ١ ص ٢٤٧ طبعة ملر « امرئ القيس بن الطحان » .

القصر وعصرة أهل مصر قال الباخري مؤلفها : « أبو علي بن شبل البغدادي ، رأيت بغداد فوجدته وقد شذت على الأدب الجزل أزرار ثيابه وجمع أقسام الفضل ملء إهابه ... » (١) . والنجوم الزاهرة ، قال ابن تفردي بردي في وفيات سنة ٤٧٣ ، « وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبل (كذا) أبو علي الشاعر البغدادي ، كان شاعراً مجيداً (٢) ... » . وقد وقع فيه الوهم الذي وقع في فوات الوفيات ، وذكره قبله الصفدي في تاريخه للرجال قال : « محمد بن الحسين ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي ، توفي في الحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة (٣) ... » .

٢٩ — وجاء في الصفحة ٤٠٠ في ترجمة أبي اليمن محمد بن الخضر بن أبي المهنول التنوخي المعروف بالسابق « دخل بغداد وجالس ابن باقيا والأبيوردي والخطيب التبريزي » ، وصوابه « ابن باقيا ، بالنون ، وقد مرَّ الشيخ بضبطه إلا أنه لم يضبطه بالحفظ ، قال ابن خلكان في ترجمته : « وناقيا بفتح النون وبعد الألف كاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف » (٤) .

٤٠ — وورد في الصفحة ٤٠٢ « محمد بن خليفة بن حسين أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسبسي ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ... » . قلت : الذي علمناه وحفظناه « السبسي » على وزن « الزبرجي » . قال الصفدي : « محمد بن خليفة ابن حسين أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسبسي » (اسم

(١) دمية القصر « ص ٨٣ طبعة العلمية بجلد » .

(٢) النجوم الزاهرة « ١١١ : ٥ » .

(٣) الوافي بالوفيات « ١١ : ٣ » .

(٤) وفيات الأعيان « ١ : ٢٨٨ طبعة إيران » قلت ذلك لأنه أعدد طبع الوفيات

قبل فوات الوفيات وأحال عليه في الحواشي مرَّات .

أمه سنبسة) أصله من هيت أقام بالحلّة (١) عند سيف الدولة ... وهو شاعر مشهور ، ترجم له الهاد الاصفهاني الكاتب في الخريدة وابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب في الملّيين بالقائد (٢) ، واستطرد إلى ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل وياقوت في معجم البلدان غير مرّة . وترجم له القفطي في كتابه «المحمدون» من الشعراء .

كانت دموعي حمرأ قبل بينهم فذناؤا قصرتها لوعة الحرق
و «حمرأ» جمع أحمر هنا وهي منصوبة بكونها خبر كانت ، ولكن الشيخ الفاضل ضبطها «سحرا» بالفتح والقصر ، والصواب ما ذكرنا لأنه القاعدة العربيّة المطردة ، قال تعالى في سورة طه : «يوم يُنفخ في الصور ونحمر المجرمين يومئذ زُرْقاً» . فهذا للماقل ، وقال تعالى في سورة الكهف : «ويلبسون ثياباً خضراً من سُندس واستبرق» . وهذا لغير الماقل كالدموع .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٤٤٤ «محمد بن عبد الرحمن بن عمر الباجري الجزري» وجاء في الحاشية من تطبيق الشيخ «الباجري» ، قللاً من الشذرات «٦ : ٦٤» كما قال الشيخ الفاضل في تعليقه (٣) ، وفي الصفحة ٤٤٥ «فطلب الباجري» . والذي علمناه وحفظناه «الباجري» ، بالباء بعد الراء نسبة إلى «باجري» (٤) ، قال الصفدي : «محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجري الجزري الشيخ الزاهد محمد ابن المفتي الكبير جمال الدين الشافعي» (٥)

(١) كذا ورد في الوافي بالوفيات «٤٨ : ٣» طبعة س . ديدرينغ المستشرق والصواب «الحلة» كما في فوات الوفيات .

(٢) تلخيص معجم الآداب «ج ٤ القسم ٢ ص ٦٥» نشر وزارة الثقافة والإرشاد السورية بتحقيقه .

(٣) الذي في الشذرات «الباجري» لا الباجري .

(٤) قال ياقوت : «باجري» بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وقاف : قرية من قرى بين النهرين : كورة بين البغداد ونصيبين .

(٥) الوافي بالوفيات «٢٤٩ : ٣» .

وقال ابن حجر المسقلاني: «محمد بن عبد الرحيم بن عمير الجزري جمال الدين (١) الباجري...» (٢).

٤٣ - وجاء في الصفحة ٤٤٦ «محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسني المدل شمس الدين المحدث». والذي علمناه وحفظناه «ابن عبد الرزاق» بتقديم الألف على الراء، قال الذهبي في وفيات سنة (٦٩٠) من العبر: «وابن المحدث، المدل شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسني الحنبلي نزبل دمشق...» (٣). وقد وم الصفدي قبل ابن شاكر الكتي وذكره باسم «عبد الرزاق»، قال: «محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر المدل العالم شمس الدين الرسني» (٤). وليس ذلك من الغلط المطبعي لأنه ذكره بين «محمد بن عبد الرزاق الساوي» و«محمد بن عبد الرشيد الاصماني». فابن شاكر الكتي نقل ترجمة الرجل من الوافي واحتمل عهدة الغلط، ووقع في الغلط نفسه ابن العماد في وفيات سنة ٦٨٩ قال: «وفيها شمس الدين أبو الفضائل محمد بن عبد الرزاق الرسني - نسبة إلى رأس عين بلدر - الحنبلي» (٥). وكذلك ورد في ذيل طبقات الخنابلة المطبوع باعتناء الشيخ محمد حامد الفقي فقد جاء فيه «محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسني وقد سبق ذكر أبيه» (٦). ووقع الغلط في اسم أبيه هناك أيضاً (٧).

(١) في نسخة «كمال الدين».

(٢) الدرر الكامنة «١٢: ٣».

(٣) العبر في خبر من خبر «٣٦٤: ٥».

(٤) الوافي بالوفيات «٢٥١: ٣».

(٥) الشذرات «٤١٠: ٥».

(٦) ذيل طبقات الخنابلة «٣٢٤: ٢» طبعة مطبعة السنة الحمادية.

(٧) المرجع المذكور «ص ٢٧٤».

٤٤ - وورد في الصفحة ٥٧ : في ترجمة تاج الدين ابن شقير الدمشقي « وكان تاج الدين يلقب بالهدهد ، فأعطاه الملك الناصر ضيعة على نهر نورا ، فحسده جماعة . . . » . ولم يُسأئل الشيخ نفسه أين نهر نورا هذا ؟ فالصواب « نهر ثورا » قال ياقوت بالفتح والقصر اسم نهر عظيم بدمشق وقد وُصِفَ في بردأى وقد جاء في شعر بعضهم (ثورة) بالهاء وهو ضرورة .

٤٥ - وورد في الصفحة ٥٨ : « محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي الأنصاري البعني الأصل المصري الدار » . فملئُ الشيخ محقق الكتاب في الحاشية باسمه مانصه « له ترجمة في شذرات الذهب لابن المهدي وقال : « ابن الخيمي شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد ، فاعل كلة بن الواقعة بين محمد وشهاب الدين زائدة في أصول الكتاب » . قلت : إنه لم يرجع إلى المرجع الأصلي لابن شاكر الكتبي وهو الوافي بالوفيات فقد جاء فيه « محمد بن عبد المنعم بن محمد شهاب الدين ابن الخيمي الأنصاري الأصل المصري الدار (١) . . . » . فإن المذكورة زائدة بالتحقيق .

٤٦ - وجاء في ترجمة أبي سعد محمد بن علي ابن المطلب الكرمانلي الكاتب الشاعر « وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان قليله كثير المهجاء دقيق الفكر فيه . . . » . والجملة مطردة التركيب واضحة المعنى إلا أن مقابلتها بالأصول التاريخية الأدبية تظهر تصحيحاً فيها ، ففي الوافي بالوفيات ١٥٠ : ٤ « وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان ثلثة كثير المهجاء دقيق الفكر فيه » . ومن المعلوم أن القول المقبول للصفدي لأن كتابه مرجع ابن شاكر الكتبي ولولا وجود الوافي بالوفيات ما استطاع ابن شاكر أن يؤلف فوات الوفيات . ويؤيد كلة « ثلثة » ماورد في معناها ومن

أصلها في كتب أخرى ، قال العماد الأصفهاني الكاتب : « وكان هجاءً على الهجاء وثلب الكبراء » (١) .

٤٧ - وورد في الصفحة ٤٧٧ قول أبي سمد ابن المطلب المذكور :

فهذا يدل على أنه من توائى ويمزل لا يمتقل
وفي الخريدة المذكورة « يولتي ويمزل ، وهو الصواب .

٤٨ - وجاء في الصفحة ٤٨٢ قول الشيخ محي الدين ابن عربي :

حتى إذا صاح الغراب بينهم فضح الفراق صباة الحزون (؟)
وقد وضع الشيخ علامة الاستفهام في آخر البيت ، ولو علّق عليه أن فيه إقواءً لكان ذلك أحسن فالقافية مضومة .

٤٩ - وجاء في الصفحة ٥٠٢ في ترجمة صدر الدين محمد بن عمر ابن الرحل ، ابن الوكيل ، وعمل مجلدة في السؤال الذي حضر من عند استدمر نائب طرابلس . هكذا ورد « استدمر » بالياء والذي علمناه وحفظناه « أسندمر » بالنون . قال ابن تفرج بردي في حوادث سنة ٦٩٤ : « ثم في يوم الخميس سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسندمر وقيدته وحبسه بالقائمة (٢) » . فقال محقق الكتاب في الحاشية : « هو أسندمر بن عبد الله الكرّجي سيف الدين ، توفي سنة ٧٢١ كما في الدرر الكامنة وفي هامشها والنهل الصافي أنه توفي سنة ٧١١ » ، وكرّروا أكثر هذه الحاشية عند تكرار اسمه في حوادث سنة ٦٩٨ وفي ذكره ما يدل على أنه كان إذ ذاك

(١) خريدة القصر « قصر العراق ١ : ١٨٣ نشر المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأستاذ الأديب الشهير محمد بهجة الأثري » .

(٢) النجوم الزاهرة ٨ : ٦٢ .

نائب طرابلس (١) ثم كرّر اسمه مرات في الكتاب ، وفي الذي ذكرناه
مجزأة عن الإطالة .

٥٠ - وورد في الصفحة ٣١ ، في ترجمة محمد الأمين « ثم جهز
عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في أربعين ألف فارس » . والذي علمناه وحفظناه
« الأبنائي » بتقديم الباء على التون نسبة إلى أبناء فارس الذين ولدوا في
البلاد العربية في الجاهلية أو الإسلام ، قال تاج الإسلام في « الأبناء » من
الأنساب : « يقال في التعريف : فلان من الأبناء والنسبة إليه أبنائي »
وكل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس من العرب يسمونه الأبنائي ،
هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستي ، وقال أبو علي النسائي : الأبنائي
منسوب إلى الأبناء وهم قوم يكونون باليمن من ولد الفرس وجههم كسرى
مع سيف بن ذي يزن إلى ملك الحبشة باليمن فقبلوا الحبشة وأقاموا باليمن ،
فلولدهم يقال الأبناء ... » .

وقال ابن خلكان في ترجمة وهب بن منبه الجاني : « وهو معدود في
جملة الأبناء ، ومعنى قولهم : فلان من الأبناء أن أبا امرأة سيف بن ذي يزن
الحميري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه إلى كسرى أنوشروان
ملك الفرس يستنجده عليهم ... وخلاصة الأمر أنه سير معه سبعة آلاف
فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز وهكذا قال ابن قتيبة ، إلى أن قال :
« والمقصود من كل هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا
ورزقوا الأولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون (الأبناء) لأنهم من
أبناء أولئك الفرس ... » .

قلت : الصواب ما ذكره السمعاني أولاً قال أحمد بن أبي طاهر عن المأمون
أنه قال : « ما في الدنيا أشجع من عجم أهل خراسان ولا أشد شوكة

ولا أثقل وطأة على عدو ... فقال القائد : ما في الدنيا قوم أشجع من أبناء خراسان المولدين ولا أفنك منهم ... وقال نصر بن سبت ... وأما الأبناء فلم أر مثلهم لا يكلثون ولا يملون ولا ينزيمون^(١) ... فالصواب « الأبناءوي » .

٥٠ - وورد في الصفحة ٥٧٦ « شمس الدين محمود الكوفي الحنفي الواعظ » وأورد له شعراً ، وقد وهم مؤلف فوات الوفيات في اسمه فإن اسمه « محمد » لا محمود ، قال مؤلف الحوادث في وفيات سنة (٣٩٠ هـ) : « وفيها توفي شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ، ولي التدريس بالمدرسة التثنيّة وخطب في جامع السلطان ووعظ في باب بدر وكان عمره نحو اثنين وخمسين سنة وكان له شعر حسن^(٢) ... » وأورد له شعراً ، وقد كان ذكره مرات ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب مرات كذلك ، وذكره غيرها وهو في كل ذلك « محمد » لا محمود .

٥١ - وورد في الصفحة ٥٩١ « التاج الصرخدي رحمه الله تعالى » . ولم يذكر المحقق اسمه ولم يجد مرجعاً إليه في ذلك ، وهو على ما ذكره جمال الدين ابن الصابوني « الفقيه العلامة أبو الثناء محمود بن عابدين الحسن بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي » قال : « أحد الفضلاء التمييزين والعلماء الصالحين ، جمع بين الفقر والأدب^(٣) ... » وأظن في مدحه ونفته ، وذكره يحيى الدين القرشي وذكر أن لقبه « تاج الدين » وأنه ولد سنة

(١) تاريخ بغداد « س ١٤٣ ، ١٤٤ » طبعة أوربة .

(٢) السمعى الحوادث الجامعة وهما « س ٣٩٠ » .

(٣) تكملة إكمال الإكمال « س ٢٥٤ ، ٢٥٥ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيق « .

٥٨٢ وتوفي سنة ٦٧٤ وذكر مقطوعة من شعره (١). وله ترجمة في النجوم الزاهرة (٧: ٢٤٩، ٢٥٠)، والسلوك (١: ٦٢٤)، والشذرات (٥: ٣٤٤).
 ٥٢ — ووردت في الصفحة ٥٩٧ ترجمة «فخر القضاة ابن بصافة». وقد تركه الشيخ الفاضل على هذه التسمية المجردة من غير تعليق، وهو «نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي الغفاري أبو الفتح» (٥٧٧ — ٦٥٠)، وقد ترجم له محيي الدين القرشي وذكر أنه فقيه شاعر ماهر، كان خصيصاً بالملك العظيم عيسى ابن الملك العادل الأيوبي ثم بابنه الملك الناصر داود، وذكر له شعراً (٢) ثم ذكره في باب الأبناء بصورة «ابن بصافة نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي فخر القضاة أبو الفتح الصفاري (كذا)» (٣). وترجم له المقرئ في وفيات سنة (٦٥٠) قال: «وتوفي فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله ابن الحسين بن يحيى ابن بصافة الكناني الكاتب الوزير للناصر داود، الأديب المثنى» (٤).... وذكره ابن العماد في وفيات (سنة ٦٥٠) قال: «وفيه فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن بصافة الحنفي الكاتب، من شعره» (٥).... وذكر له أبياتاً.

٥٣ — وورد في الصفحة ٦١٥ ما هذا نصه «هكذا وجدت البيتين في زينة الدهر تأليف أبي العالي الخطاطبي»، هكذا بتقديم الخاء المعجمة

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية «٢: ١٥٨».

(٢) الجواهر المذكورة «٢: ١٩٩»، وقد تصحف فيه بصافة إلى رصافة، والغفاري إلى الصفاري.

(٣) الرجوع المتقدم «ص ٣٩٢».

(٤) السلوك «١: ٣٨٥».

(٥) الشذرات «٥: ٢٥٢».

على الطاء ، والصواب « الحظيري » ، بالظاء المعجمة أخت الطاء المهملة ، وهو « أبو المالئ سمع بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب ، قال ابن خلكان : « كانت لديه معرفة وله نظم جيد وألف مجاميع ماقصّر فيها ، منها كتاب (زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر أطراف شعر العصر) الذي ذيله على دمية القصر لأبي الحسن الباخري^(١) . . . » وذكر أنه توفي سنة ٥٩٨ ، ثم قال : « والحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبمدها راء . وهذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليها أيضاً ، وله ترجمة في كتب أخرى .

٥٤ — وجاء في الصفحة ٦٩٦ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الحسين الملقب بالبديع الاسطرلابي « وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببلدة الفالج ودفن بمقبرة الوردية » . فعلق الشيخ على هذا التاريخ مانصه « في معجم الأدباء : أربع وثلاثين ومائة . تحريف » . ولم يذكر الطبعة التي وقع فيها التحريف من معجم الأدباء ، ففي طبعة مرغوليوث « مات بيمداد ببلدة الفالج سنة ٥٣٤ هـ^(٢) ، ولا تحريف فيها .

٥٥ — وورد في الصفحة ٦٩٧ في ترجمة هارون الرشيد « وخرج عطف ابن الوليد السامري بالموصل والوليد بن طريف ، وخرج الخزر من باب الأبواب وخرج عمر الشاذي من شهرزور » . فالسامري والشاذي تصحيف « الشاري » وهو من أسماء الخوارج ويجمع على الشراة ، كما هو مشهور معلوم عند المختصين بالتاريخ والفقهاء والأدباء .

(١) الوفيات ١ : ٢٢٠ من طبعة إيران .

(٢) معجم الأدباء « مختصر الجزء السابع ص ٢٤٢ من الطبعة المنشارة إليها في الأعلى ٩ .

٥٦ - وجاء في الصفحة ٦١٨ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان البندادي الشاعر ، وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن ابن جيرون الأمين . هكذا ورد « جيرون » بالميم ، والذي علمناه وحفظناه « خيرون » بالخاء المعجمة قال الذهبي في المشته - ص ١٩٤ - « خَيْرُون : أحمد بن خَيْرُونُ المصري ... والحافظ أبو بكر (١) أحمد بن الحسن بن خيرون وأخوه عبد الملك ، سمع البرقاني ، وابن أخيه مقرئ بغداد مع سبط الخطاط ، أبو منصور محمد بن عبد الملك . والأول هو المراد قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٨٨ : « أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون أبو الفضل الباقلاني ، ولد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وأربعمائة وسمع الحديث الكبير وكتبه ، وله به معرفة حسنة ، روى عنه أبو بكر الخطيب وحدثنا عنه أشياخنا وكان من الثقات وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني ثم صار أميناً (٢) ثم ولي إشراف خزانة الغلات وتوفي ضحوة يوم الخميس رابع عشر رجب هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب (٣) » .

هذا آخر ما استوجب التعقيب مما اعتدته أوهاماً ، تبقى فطنة لاهم القارئ الشادي ، والباحث المبتدئ البادي ، ومع ذلك فينبغي لي أن أشكر الأستاذ الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد مجهوده الأدبي للتاريخ الحميد ، فقد أجاد وأفاد ، ولكنه لو كان أشرك معه باحثاً آخر أو باحثين لتفادى من هذه الأوهام الكثيرة المزلقة وأخرج الكتاب بهيأة (٤) مشرقة ،

(١) جاء في حاشيته المنيبة « كذا بخط المؤلف وصوابه أبو الفضل » . وقد صدق المعلق .

(٢) أي أميناً على أموال الأيتام .

(٣) المنتظم ٩ : ٨٧ .

(٤) هذه طريقة سلكتها في كتابة كل همزة مفتوحة في داخل الكلمة .

لأن الاختصاص اليوم شرط من شروط نشر التراث الأدبي فالصري المحقق يعرف المصريين أكثر من غيره ممن هم ليسوا بصرين ، والعراقي المدقق أعلم بالعراقيين ممن سواه وكذلك الشامي البارع أدري بالشاميين ، وكتاب فوات الوفيات يترجم لرجال من مختلف المصور ومختلف الأصقاع والأقطار ، ومختلف صنوف الرجال . وقد وقمت في الكتاب غلطات مطبعية ومنها ما ليست بطبيعية فحشرناها معها ، وهي :

الصفحة	الغلط	الصواب
٣٨	ابن شانيل	ابن شاتيل
١٣٤	هيات إن	هيات أن
١٣٥	أيا هجري	أيا هاجري
١٧٩	هب الهوى	هب الهواء
١٨٠	ولالأزاهر	ولالأزاهير
٢٠١	رفع الظلم	دفع الظلم
٢٠٤	عسكسته	عكسته
٢١٨	فقاري	(مصحف)
٢٧٤	يسمى منازل	... 'منازلاً
٣٦٠	معى	معى
٣٦١	تأنى أهلها	تأتى ' ...
٣٨١	حوير	جوير
٣٩٠	أوزاري	أزراري
٣٩٦	درنا	درقا
٤٠٤	عاش تسمه	... تسمأ (لأنها سنة)
٤٣١	السكون	الكون

الصفحة	الغلط	الصواب
٤٤٣	زهر	زهر
٤٧٠	كيف تلقى	(غير موزون)
٤٧٥	فهو	فهو
٤٨٣	كتب	كتبت
٥١٧	والهم	والهم (لأنه في قافية)
٥٥١	يا خليلي	يا خليلي
٥٨٠	ومات التي	ومات الذي
٥٨٠	لطيف	كطيف
٦٢٢	الحيص	الحيص ييص
٦٣٦	حملت	حملت

(بغداد)

مصطفى جواد



شعر

الوقوف على الأطلال

مَنْ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ

- ٥ -

٥ - حال الشاعر حين الوقوف على الديار

يختلف هذا المعنى عن المعاني الأخرى في شعر الوقوف على الأطلال .
فالمعاني التي درسناها سابقاً تتعلق جميعاً بالديار وبقيائها ، على حين يدور
هذا المعنى الجديد على أنفس الشعراء وأحوالهم حين الوقوف على الأطلال .
وهو مع ذلك نتيجة لتأثير المعاني السابقة في أنفس الشعراء ، فهو لذلك
يتعلق بهذه المعاني ، ويرتبط بها بهذا الرباط الوثيق .

والشعراء مشغوفون بأطلال الديار ، وقلوبهم متعلقة بها . وهذا الشغف
هو الذي يشدهم إلى الأطلال ، ويجبسهم للوقوف عليها . وهو بذلك بدء
أحوالهم النفسية ومشاعرهم ، ومنطلقها الأول حين وقوفهم على الأطلال .
قال امرؤ القيس (١) :

لَمِنْ طَلَلْتُ دَرَسْتُ آيَهُ وَغَيْرُهُ سَالَفُ الْأَحْرُسِ (٢)
تَنَكَّرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَبِمِرْفَةٍ شَغَفُ الْأَنْفُسِ

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .

(٢) آيه : أي علاماته وآثاره ، واحداً آية . والأحرس : جمع حرّس ،

وهو الدهر والزمن .

وقال طريح بن إسماعيل النقفي (١) :

تستخبر الدمنَ القفارَ ، ولم تكن لتردَّ أخباراً على مستخبرٍ
فطللتَ تحكّم بين قلبٍ عارفٍ مغمىً أحيته وطرفٍ منكسرٍ
والحالات النفسية التي كانت تعترى الشعراء جميعاً ، والشاعر التي كانوا
يحسون بها حين وقوفهم على أطلال الديار كثيرة متعددة . وهي على كثرتها
وتعددتها تتصف دائماً بالحزن والكآبة . والسر في ذلك أن هذه الأحوال
النفسية تنشأ عن الذكرى ، ذكرى الأيام الماضية السعيدة التي قضاهـ
الشاعر ناعماً سعيداً مع أحبائه . ومن طبيعة الذكرى أن تثير الحزن
والأسى . وقد ذكر الشعراء هذه الأحوال والمشاعر ، ووصفوها في شعر
الوقوف على الأطلال وصفاً حزيناً كثيراً ، يشجي النفوس ، ويثير في أعماقها
تمطفاً وتمحناً على هؤلاء الشعراء .

وكاننا بالشاعر حين يقف بالديار ، ويحيل نظراته في أنحائها ، ويرى
بقاياها البالية المهجورة تغالب الفناء ، وتظل قائمة ، ثور في نفسه الذكرى ،
فيعود بخياله إلى أيام حياته السعيدة التي قضاهـ في هذه الربوع على وصال
مع أحبته . فتثير هذه الذكرى في نفس الشاعر الألم والحزن ، « ولا
يمت الأحزان مثل التذكر » كما قالت ليلي الأخيلية (٢) ، وتهيج فيها الشوق
والصباية . وقد تذهله الذكرى عن نفسه ، فيذهب به الخيال بعيداً ، ويبلغ
به الحزن مبلغاً ، فيكي ويذرف الدموع كالأطفال . وبعد فراغ شحنة الحزن
والصباية التي تذهب وتنقضي مع سيلان الدموع يفيق الشاعر من ذهوله ،
وتثوب إليه نفسه ، ويرى أن لا طائل في الوقوف والبكاء ، فيتسلى عن

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .

(٢) الأغاني ٧٢/١٠ - ٧٣ .

حزنه وعمه وذكرى أيامه الماضية بمتابعة طريقه في السفر ، ويبحث مطيته على السير في مجاهل الصحراء .

وهكذا فانبعاث ذكرى الأيام الماضية أولاً ، ثم ثورة الحزن والألم في نفس الشاعر ثانياً ، وهياج الشوق والصبابة ثالثاً ، وذهول الشاعر عن نفسه رابعاً ، والبكاء وذرف الدموع خامساً ، ثم التسلي والتعزي سادساً ، هي أهم الحالات النفسية التي كانت تعترى الشعراء حين وقوفهم على أطلال الديار .

وهذه الحالات النفسية التي ذكرناها زارها تتردد كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال . على أن أشهر هذه الحالات التي تعترى الشعراء ، وأكثرها دوراناً في الشعر هي حالة البكاء وذرف الدموع . وقلما يخلو شعر في الوقوف على الأطلال من البكاء والدموع . فقد بكى الشعراء طويلاً على ديار أحبائهم ، وتعللوا بوصف الديار ، وتسلاوا بنمت الأطلال ، ولا سيما الغزلون البداة منهم . والشعراء يتصفون برقة الطباع ، ورهافة الإحساس ، فلا تعجب منهم إذا ما بكوا في ديار الأحبة ، وأطالوا في هذا البكاء . على أن بعضهم قد بالغوا في البكاء ، وأوغلوا في سفح الدموع حتى سالت على خدودهم ، وبللت ثيابهم . وأبيات امرئ القيس في مملقته معروفة مشهورة في هذا الميدان . قال (١) .

كأنني غداةً الين يوم تحمّلوا لدى سمّرات الحبي فاقفُ حنظل (٢)
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون : لاتهلك أمسي ، وتجمّل (٣)
ففاضت دموعُ العين مني صباةً على النجر حتى بلّ دمعِي بحملي (٤)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) السمرة : شجرة الصمغ العربي . وناقف الحنظل : الذي يستخرج حبه ، والحنظل له حرارة تدفع منها العين .

(٣) المظي : الإبل ، واحداً مطية .

(٤) الحمل : أي محل السيف .

وكان هذ البكاء يشفي هموم الشعراء ، وبطفيء غلة صدورهم ، ويمسح
عن نفوسهم آلام الذكرى ، ويفسل عنها آثار الحرمان ، ويريجهم من
حرقة الوجد . قال ذو الرمة (١) :

خليلي ، عوجاً من صدور الرواحل بيرة حزوى ، فابكيا في المنازل
لعل الخدار اندمع يعقب راحة من الوجد ، أو يشفي نحي البلابل (٢)

* * *

وقد عمد الشعراء في وصف بكائهم وانحدار الدموع من عيونهم إلى
التصور . فصوروا ذلك في صور طريفة ، تستوقف نظرنا منها صورتان
اثنتان شهيرتان ، تردان كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال . الصورة
الأولى هي تشبيه انحباس الدموع من العينين وانحداره بتسرب الماء من
شقوق القربة البالية وانحداره إلى الأرض . قال امرؤ القيس (٣) .

ذكرت بها الحمي الجميع ، فهبجت عقايل سقم من ضمير وأشجان (٤)
فسحنت دموعي في الرداء كأنها كل من شعيب ذات مسح وتيهتان (٥)

فنحن نرى امرؤ القيس قد تذكر حين وقف بالديار أحباءه ، وهم
مجمعون في المأوى ، فهبجت هذ الذكرى داء القديم . فكى لذلك بكاء
غزيراً ، وسحنت دموعه ، حتى بلل الدمع رداءه . ثم ذكر في تصوير

(١) ديوانه ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٢) النحي : ما يحدث به الإنسان نفسه . والبلابل : الهموم التي تتردد في الصدور .

(٣) ديوانه ٨٩ - ٩٠ .

(٤) الجميع : المجمعون النازلون في موضع واحد . وعقايل السقم : بقاياها . ويريد
بالسقم هواء وجبه .

(٥) الشعيب : مزادة الماء البالية . والكلى : جمع كلية ، وهي رقعة تكون في
أصل عروة الزادة ، وأكثر ما يسيل الماء منها .

انحدار دموعه أنها تشبه قطر الماء وسيلانه من خرز قربة الماء . وقد اعتاد الشعراء أن يذكروا قربة الماء البالية في هذا المجال . والسر في ذكر القربة البالية خاصة في أمثال هذه الصورة هو المبالغة في الوصف ، وذلك أن خرز هذه القربة تكون أوسع من خرز القربة الجديدة ، وشقوقها أكثر ، وهذا أدعى لتسرب الماء وسيلانه .

والصورة بعد مأخوذة من صميم حياة الأعراب في البادية ، فاستقاء الماء من الآبار والغدران ، ونقله في الروايا والقرب شيء مألوف في حياة الأعراب اليومية ، وهو منظر يكثر وقوع أعين الناس عليه . فلهذا أكثر الشعراء من إبراد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال في موضوع وصف بكاتهم وسفحان دموعهم .

* * *

والصورة الثانية هي تشبيه انحدار الدموع من العينين أثناء البكاء بسيلان الماء من جوانب الدلو حين تسزع من البئر مليئة ، والماء يفيض من جوانبها ، ويتحدر رشاشاً أبيض نحو الأرض . قال الخطيئة في ذلك (١) :

أمن رسم دارٍ مربعٍ ومصيفٍ لعينيك من ماء الشؤون وكيف (٢)
رشاش كغربي هاجري ، كلاهما له داجن بالكرتين عليف (٣)
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت دموعي ، وأصحابي علي وقوف (٤)

(١) ديوانه ٢٥٣ .

(٢) معنى البيت : أمن رسم المربع والمصيف هذه الدار تبكي عينك .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة من جلد ثور ، يجرها بعير . والهاجري : الساق الماهر .

والداجن : البعير الذي ألف السقي . والكرتان : كرة بالذهب حين نزع الدلو من البئر ، وكرة بالعودة لا يزال الدلو في البئر .

(٤) الجهل : جهل الشباب وطيشه .

لقد وقف الحطيئة على دار أجنبته ، فرأى أن مرور الريح والصيف
قد غيرا آثارها ودرسائها ، فبكى لذلك ، وذرف الدمع من عينيه غزيراً
سخيئاً ، حتى كانت عيناه كدلوين ترشان بالماء رشاً !

وهذه الصورة شبيهة بالصورة الأولى في الأصل ، قريبة منها في الشكل
والمناسبات الأخرى . وهي أيضاً مثلها مستمدة من حياة الأعراب في البادية ،
لأن استقاء الماء بالدلاء من الآبار للشرب وسقي الأغنام والأنعام ضرورة
لازمة لهذه الحياة ، وعمل أساسي من أعمال الأعراب اليومية .

* * *

وللشعراء صور أخرى جيدة طريفة في وصف سيلان دموعهم من
عيونهم حين وقوفهم على ديار الأحبة . منها تشبيه الدموع الجارية بالجمان
المتثر من النظام . قال ذو الرمة في ذلك (١) :

قف العيس في أطلال مية ، واسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل (٢)
أظن الذي يجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمال المفصل
ومنها تشبيه ذرف الدموع بسقوط قطرات ماء المطر من أغصان الشجر .
قال جرير العود في ذلك (٣) :

فيت كأن العين أفنانٌ مبدرةٍ عليها سقيطٌ من ندى الليل ينطف (٤)

(١) ديوانه ٥٠١ .

(٢) العيس : الإبل البيض . وأخلاق الرداء : قطعه البالية .

(٣) ديوانه ١٣ .

(٤) أفنان السرة : أغصانها . والسقيط : الثلج .

وقد أتى إبراهيم بن هرمة بالصورتين مما في شعر له ، قال (١) :

كَأَن عَيْنِي إِذْ وَائَتْ حَمُولَهُمْ مَنِي جُنَاحِ حَمَامٍ صَادَفَ مَطَرًا
أَوْ لَوْلُوهُ سَلِيسٌ فِي عَقْدٍ جَارِيَةٍ وَرَهَاءَ نَازِعِمَا الْوُلْدَانِ فَانْتَرَا (٢)
ووصف امرؤ القيس بكاءه في الديار مرة ، وصور دموعه ، فشبهها في
معرض التصوير بأشياء عديدة مختلفة دفعة واحدة ، فقال (٣) :

عَيْنَاكَ دَمْعُهَا سِجَالٌ كَأَن شَأْنُهَا أَوْشَالٌ (٤)
أَوْ جَدُولٌ فِي ظِلَالٍ نَحْلٌ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ سِجَالٌ

هذه عدة صور أتى بها امرؤ القيس في مبالغة وإغراق . ولكنها مبالغة
شيقة مستحبة ، لأنها من صنع شاعر مجيد . والشاعر يضي على صور
ومعانيه أشياء من عواطفه ومشاعره ، فيخفف بذلك من وقع المبالغة في
نفوسنا . والشعراء بعد أصحاب أخيلة مجنحة تطير بهم بعيداً في أجواء
الفن ، فنغفر لهم ، ولا نحاسبهم لذلك حساباً عسيراً .

وتابع عبيد بن الأبرص امرأ القيس في وصف بكائه وتشبيه دموعه بعدة
أشياء في صور متوالية ، مبتدئاً بقربة الماء البالية ، ومنتهياً بجدول ماء

(١) التشبيهات ٨٠ .

(٢) ورهاء : أي جماء .

(٣) ديوانه ١٨٩ .

(٤) السجال : جمع سَجَل ، وهو الدلو . والأوشال جمع وَشَل ، وهو الماء
الغليل الجاري .

يجري خلال النخيل . قال عبيد (١) :

عينك دمعها سروبُ كأن شأنيها شبيبُ (٢)
أو قلجُ ما بطن وادٍ الماء من تحته قسيبُ (٣)
أو جدول في ظلال نخل الماء من بينه سُكوبُ

هذه صور طريفة ، سريعة الحركات ، متلاحقة النفثات ، نرى فيها رقة ومرحاً ، ولا نسمع رنة الحزن ولا ترجيمات البكاء ، فهي تنيب وتختفي وراء أمواج النغم التي يوقعها الشاعر .

* * *

ولقد أفصح الشعراء عن حزنهم وألمهم في شعر الوقوف على الأطلال بعمان كثيرة وعبارات مختلفة . ولكن المعنى الذي تداولوه جميعاً ، وعبروا عنه بعبارة واحدة هو معنى الشجو ، أي الحزن الدائم العميق في مسكون ، حتى إنهم كثيراً ما كانوا يبدؤون أشعارهم بلفظ (الشجو) نفسه ، كما قال طرفة ابن العبد (٤) :

أشجاك الربيعُ أم قديمه أم رمادُ دارسُ حممه (٥)

فهو يتساءل عن هذا الحزن أو الشجو الذي ثار في نفسه من وقوفه على الديار ، وعبر عن هذا الحزن بلفظ مأخوذ من الشجو ، فقال : أشجاك .

(١) ديوانه ١٢ .

(٢) سروب : كثير الجريان . والشبيب : قرية الماء البالية .

(٣) القلج : الماء الجاري . والقسيب : صوت جري الماء .

(٤) ديوانه ١٤٨ .

(٥) حمه : أي نحمه ، واحدتها حممة .

وكذلك أكثر الشعراء من ذكر هياج الشوق والصبابة في هذا المجال ، واعتادوا افتتاح قصائدهم بلفظ (هاج) نفسه . قال الخطيئة (١) :

وهاج لك الصبابة من هواها بحنو قراقيرٍ ظللُ 'محمِلُ' (٢)
كما هاج الصبابة يوم مررت عوامدَ نحو واقصة الخولُ (٣)
وقال زهير بن أبي سلمى (٤) :

هاج الغؤادَ معارفُ الرسمِ قفرَ بذى الهضبات كالوشمِ
وقال حسان بن ثابت (٥) :

أهاجكَ بالبيداء رسمُ المنازلِ نعم، قد غفاها كلُّ أسحَمَ هاطلٍ (٦)
والشكوى من دأب الشعراء في وقوفهم على أطلال الديار . فهي حبيبة
إلى قلوبهم ، قريبة إلى نفوسهم ، يناجونها ويثنونها آلاءهم وأحزانهم ،
ويشكون إليها ما يكابدون من شوق إلى أهلها الطاعنين ، ويجدون في هذه
الشكوى عزاء وسليوى . وكأن هذه الديار رفيق أمين يسعدهم في بلوهم ،
فيأنسون بقربه ، وينعمون بلقائه ، وينسون وحشتهم ووحشتهم عنده ، ولو
إلى حين . قال ذو الرمة في الشكوى (٧) :

وقفتُ على ربع ليسة ناقتي فما زلتُ بكى عنده وأخطبهُ
وأشكيه حتى كاد مما أبته تكلمني أحجاره وملاعبهُ (٨)

(١) ديوانه ١٩٧ .

(٢) المحيل : المتغير .

(٣) عوامد : أي قواصد . والخول : الإبل عليها هوائج النساء .

(٤) ديوانه ٣٨٢ .

(٥) ديوانه ٣١٣ .

(٦) الأسحَم : السحاب الأسود ، وهو الأسود .

(٧) ديوانه ٣٨ ، واللسان (شـ . كا) .

(٨) أشكيه : أشكو إليه أسري .

وبعد فإن الاستغراق في الذكرى ، والذهول عن النفس من المعاني التي ردها الشعراء كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، لشدة حزنهم وفراط صبابتهم وشغفهم ، حتى ما يطيقون مغادرة الديار . قال امرؤ القيس في هذا المعنى (١) :

ظَلَلْتُ رِدَائِي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ، ماتنفضي عبراتي
أَعْيَيْتُ على الشَّهَامِ والذِّكْرَاتِ يَتَن على ذي الهمم معتكراتٍ (٢)
فهو قاعد لا يبرح الديار ، ذاهل عن نفسه وعن الدنيا من حوله ، يعد الحصى من الهم حيران آسفاً ، ويكي لهفة وشغفاً . وتأخذه الذكرى والهموم من كل جانب ، فيفر منها إلى رفيق الطريق في السفر يطلب العون والعزاء .

وقد شبه كثير من الشعراء أنفسهم في دھولهم واستغراقهم في الذكرى والصبابة بشارب الخمر الذي باكر الشراب فانتشى . قال امرؤ القيس (٣) :

ظَلَلْتُ في دمن الديار كأنني نشوانٌ باكره صبوحٌ مدام
وقال عبيد بن الأبرص (٤) :

ظَلَلْتُ بها كأنني شاربٌ صمباءً مما عثقتُ بابل (٥)
فقد استغرق امرؤ القيس وعبيد في الذكرى ، وغابا في دنيا الذكريات عن نفسيهما وعمما يدور حولهما ، كما يغيب النشوان من أثر الخمر .

(١) ديوانه ٧٨ .

(٢) معتكرات : أي دائمت متتابعات .

(٣) ديوانه ١١٥ .

(٤) ديوانه ٩٨ .

(٥) ظلت بها : أي ظلت بها .

على أن تشببه الشاعر نفسه بشارب الحمر النشوان في ذهوله واستفراقه في الذكريات حين وقوفه على أطلال الديار قد انقطع في الإسلام بعد أن كان شائماً في الجاهلية . وهذا أثر من آثار تعاليم الإسلام التي تحرم شرب الحمر على المسلمين .

وقد انتهى الشعور بالوجد والحزن والصبابة بالخطيئة الشاعر حين وقف على ديار هند ، ورأى بقاياها العافية ، وفعل الزمن والرياح في آثارها ، وبدأ يسألها عن أهلها الطاعنين ، نقول : انتهى كل ذلك بالخطيئة الشاعر إلى الارتعاش والألم الشديد الذي يمترى من تنهشه أفعى قديمة فاطمة المم . قال الخطيئة (١) :

قد غيّر الدهر من بمدي معارفها والريح ، فاذنفت فيها مغانيها
جرئت عليها بأذيال لها عصف فأصبحت مثل سحبق البرد عافيا
كأنني ساورتني يوم أسألهما عود من الرقش ، ماتصني لراقيا (٢)
وشعور الخطيئة هذا وأله أمام هذه الآثار العافية من ديار هند هو أعلى درجات الانفعال والحزن في شعر الوقوف على الأطلال .

الذكرور عزة حسن



(١) ديوانه ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٢) المود : القدم السن ، ويريد حية قديمة هنا . والرقش : جمع رقصاء ، وهي الحية المنقطة .

شيء من الفعل في العربية

سأعرض في هذا البحث لشيء يتصل بالفعل العربي مما له فائدة خاصة وهي دخوله في الأساليب الخاصة . ومن ذلك المادة الفعلية التي تواف أسلوبي التعجب وأسلوب المدح والذم .

أقول إن قولهم : « ما أحسن زيداً » و « أحسنُ زيد » أسلوب للتعجب ، فإنه يتوصل بهذا الأسلوب الى التعجب من « حسن زيد » .

ولو درس النحويون هذه المسألة على أنها أسلوب من أساليب الكلام لكانوا في غنى عن الذهاب في مناهات بعيدة عن العلم اللغوي .

فسر النحويون « ما أحسن زيداً » بـ « شيء أحسن زيداً أي جمعه حسناً » ، وما أظن أن التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة ، فهي كما قالوا جملة خبرية في حين أن أسلوب التعجب لا يتأتى بهذا فهو « إنشاء » .

ولم يصلوا إلى هذا التفسير إلا " ليحلوا المشكلة الإعرابية ، فإن « ما » عندهم نكرة تامة بمعنى شيء ، وهي مبتدأ . ولم أستطع أن أهتدي إلى هذه النكرة وإلى تمامها وإلى تأويلها بشيء ، ثم لم أستطع أن أهتدي إلى كونها مبتدأ . ألا ترى أن « ما » هذه لاصلة لإسناد لها بما بعدها من جملة التعجب إذ لا يكون الخبر وصفاً للمبتدأ كما زعموا .

وقد بدت حيرتهم في « ما » هذه ، فقال الأخفش : « إنها موصولة وتأويل الكلام « الذي أحسن زيداً شيء عظيم » ومعنى هذا أن الخبر محذوف . وما أظن أن أسلوب التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة .

وذهب بعضهم إلى أنها استفهامية ، والجملة التي بعدها خبر عنها ، والتقدير « أي شيء أحسن زيدا ؟ » ، وما أظن أن أسلوب الاستفهام مفيد للتعجب ، وهذا لم يقله إلا نحوي أفقده ثقل الموضوع التمييز بين أسلوبين مختلفين كل الاختلاف .

وقد ذهب بعضهم إلى أنها نكرة موصوفة ، والجملة التي بعدها صفة لها ، والخبر محذوف ، والتقدير « شيء أحسن زيدا عظيماً » . وهذا قول ضعيف غاية الضعف .

ومن هذا المرض يتبين أنهم لم يحاولوا درس هذا الأسلوب الذي يعبر به عن التعجب ، فقد شغلوا أنفسهم بالإعراب . وكان أصلح للمربية والنحو العربي أن يقولوا في هذا التركيب « إنه أسلوب للتعجب مؤلف من « ما ، التعجبية متلوة » ، فعل ، على « أفعل » ، أو « أشد ونحوها » متلوة بالمصدر في أحوال أخرى عرض لها النحاة واشتروا لها شروطاً خاصة .

وإن هذا « الفعل » من الأفعال الخاصة غير المتصرفة التي بنيت على هيئة مخصوصة فأفادت التعجب .

ومثل هذا نقول في « أحب زيد » فهو أسلوب للتعجب مؤلف من فعل التعجب الذي جمد على هذه الصورة ليؤدي هذا الغرض متلواً بالباء ثم مدخلوها ، وبذلك ليتم هذا الأسلوب المشار إليه .

قلت : إن النحاة كانوا في حيرة في كل جزء من أجزاء هذا الأسلوب ، فقد اختلفوا في فعلية هذه المادة أو اسميتها ولا يزيد أن نمرض لأقوال كل من الفريقين ، أما الذي زيد أن نقرره فإن « أفعل » و « أقيّل » من المواد الفعلية التي بنيت على هذه الصورة المخصوصة فجمدت وابتعدت عن قبول علامات الأفعال ، وذلك فلانصرافها عن عناصر الفعلية وهي الدلالة على الحدث وترشحها لزمان ما ، وبذلك تؤدي أسلوب التعجب .

وكنا قد رأينا مثل هذه الأفعال التي تحجرت في صورة ما ، تؤدي معنى خاصاً وهي : عسى وحرى واخلولق وكاد وكرب وغيرها .

ولابد أن نختم هذا البحث فنشير إلى قلق النحويين وعدم ثقتهم فيما ذهبوا إليه فقالوا : « ما أجمله » و « أجمل به » ، والهاء عندهم مفعول به في الجملة الأولى ، وفاعل في الجملة الثانية والباء حرف جر زائد .

ولا ندري ما الفرق بين الجملتين بحيث أدى ذلك إلى الاختلاف في اعتبار المتعجب منه من الناحية النحوية . وهذا من غرائب أقوالهم التي لا يمكن الاطمئنان إليها .

ومن هذه الأساليب أسلوب المدح والذم ويمبر عنه بمادة « نعم » للمدح و « بئس » للذم و « حبذا » المدح و « لا حبذا » للذم . وهذه المواد من الأفعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان ، للدلالة على المدح أو الذم في أسلوب خاص كما في « نعم الولد زيد » و « بئس المرأة هند أو بئست » .

وقد كان النحويون الأقدمون في حيرة من هذه بسبب إعراب هذه المواد في الجمل التي تقع فيها ، فقد اختلفوا فيها فذهب جمهور النحويين إلى أن « نعم » و « بئس » فعلان بدلالة دخول تاء التأنيث الساكنة عليها . وذهب جماعة من الكوفيين - ومنهم الفراء - إلى أنها اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليها نحو قولهم : « والله ما هي بنعم الولد » . ورد قول الكوفيين بالتخريج النحوي المثبت في كتب النحو .

ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهما في النصوص الفصيحة ، وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه . والفاعل في هذه الجملة إما أن يكون محلياً بالألف واللام ، وإما أن يكون شيئاً آخر .

وقد قالوا في هذه الألف واللام : إنها للجنس حقيقة أو مجازاً ، وقالوا : إنها للمهد كما في قوله تعالى : « نعم المولى ونعم النصير » . ويكون الفاعل مضافاً إلى ما فيه « أل » كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » .

ويكون مضمراً مفسراً بنكرة بـ « ن » منصوبة على التمييز نحو : « نعم قوماً معشرة » ، ففي « نعم » ضمير مستتر يفسره « قوماً » و « معشرة » مبتدأ وزعم بعضهم أن « معشرة » مرفوع بـ « نعم » وهو الماعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن « قوماً » حال ، وقال آخر : إنه تمييز .

وهذا الاختلاف في إعراب « قوماً » و « معشرة » دليل على أن هذه المسائل قلقة في مكانها ، بل قل : إنهم لم يهتدوا إليها اهتداءً كافياً ، فهي إما أن تكون كذا وإما أن تكون أشياء أخرى .

وقولهم : إن في « نعم » ضميراً مفسراً بالتمييز شيء ملفق مصطنع ، ذلك أن الضمير لا يستعمل إلا حيث كان مسبقاً باسم ظاهراً ، والطبيعي أن يذكر الظاهر ثم يعود عليه ضميره .

وإذا قالوا : « نعم الولد زيد » فإن « زيد » خبر مبتدؤه محذوف أو أنه خبر الجملة قبله مبتدأ والتقدير « زيد نعم الولد » . أو أنه مبتدأ خبره محذوف والتقدير : « زيد المدوح » .

وهكذا انصبَّ اهتمام النحويين على إعراب هذه الأجزاء التي وقعت في هذه الجمل التي عبر بها عن أسلوب المدح والذم .

قلت : لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة وأكثرها من الاعتماد على الأمثلة التي اصطنعوها هم أنفسهم نحو : « نعم الرجل زيد » و « نعم غلام القوم عمرو » .

ومثل هذه الأمثلة لم نعرفه في لغة التنزيل مثلاً ، وذلك أن « نعم » وردت في ست عشرة آية ، وفي جميع هذه الآيات ورد هذا الفعل مسنداً

إلى مرفوعه ولم يرد ما أسموه بالخصوص بالمدح وهو «زيد» كما في قولهم ،
«نعم الرجل زيد» .

والآيات التي وردت فيها «نعم» هي على النحو الآتي :

السورة	رقها	الآية
آل عمران	١٣٦	ونعم أجر العاملين
آل عمران	١٦٣	وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وإن تولَّوْا فاعلموا أن الله مولاكم
الأنفال	٤٠	نعم المولى ونعم النصير
الرعد	٢٤	سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
النحل	٣٠	ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين
الكهف	٣٩	نعم الثواب وحسنت مرتقفا
الحج	٧٨	واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير
المنكبات	٥٨	نعم أجر العاملين
الصافات	٧٥	ولقد نادانا نوح فلنعم المجيئون
ص	٣٠	ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب
ص	٤٤	إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب
الزمر	٧٤	فنعم أجر العاملين
الذاريات	٤٨	والأرض فرشناها فنعم الماهدون
المرسلات	٢٣	فقدَرْنَا فنعم القادرون

وقد وردت «نعمًا» في آيتين هما :

البقرة	٢٧١	إن تبدو الصدقات فيمينا هي
النساء	٥٨	إن الله نعيمًا بمظكم به

ومثل «نعم» جاءت «بئس» في لغة التزليل العزيز ، وليس فيها إلا آيتين على نحو ما استشهد به النحاة . ولنعرض للآيات التي جاءت فيها «بئس» وهي على النحو الآتي :

السورة	رقمها	الآية
البقرة	١٢٦	ولبئس ما شرّوا به أنفسهم
البقرة	٢٠٦	فحسبته جهنم ولبئس المهاد
آل عمران	١٢	مستغلبون ومختصرون إلى جهنم وبئس المهاد
آل عمران	١٥١	ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
آل عمران	١٦٢	ومأواه جهنم وبئس المصير
آل عمران	١٨٧	واشترّوا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون
آل عمران	١٩٧	ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
المائدة	٦٢	لبئس ما كانوا يعملون
المائدة	٦٣	لبئس ما كانوا يصنعون
المائدة	٧٩	لبئس ما كانوا يفعلون
المائدة	٨٠	لبئس ما قدمت لهم أنفسهم
التوبة	٧٣	ومأواه جهنم وبئس المصير
هود	٩٨	فأوردتهم النار وبئس الورد المورود
هود	٩٩	بئس الرّيقْدُ المرفود
الرعد	١٨	ومأواهم جهنم وبئس المهاد
ابراهيم	٢٩	جهنم يصلّونها وبئس القرار
التحل	٢٩	فلبئس مثوى المتكبرين
الكهف	٢٩	بئس الشراب وساءت مُرتفقاً

السورة	رقها	الآية
الكهف	٥٠	لبئس للظالمين بدلا
الحج	١٣	لبئس المولى ولبئس العشير
الحج	٧٢	وبئس المصير
التور	٥٧	وماوأم النار ولبئس المصير
ص	٥٦	جهنم يصلونها وبئس المهاد
ص	٦٠	فبئس القرار
الزمر	٧٢	ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
غافر	٨٦	فبئس مثوى المتكبرين
الزخرف	٣٨	فبئس القرين
الحجرات	١١	بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان
الحديد	١٥	ماوأم النار هي مولاكم وبئس المصير
المجادلة	٨	حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير
الجمعة	٥	بئس مثقل القوم الذين كذبوا بآيات الله
التغابن	١٠	اولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
التحریم	٩	وماوأم جهنم وبئس المصير
الملك	٦	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير

وقد وردت «بئسا» في ثلاث آيات هي :

البقرة	٩٠	بئسا اشتروا به أنفسهم
البقرة	٩٣	قل بئسا يأمركم به إيمانكم
الأعراف	١٥٠	بئسا خلقتكموني من بعدي

ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها « نعم » والآيات التي وردت فيها « بش » ، أن النحاة لم يشغلوا أنفسهم بشيء كثير في لسان العرب ، بل اهتموا بمسائل لم ترد إلا قليلاً ، وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلّفوا وذهبوا مذاهب حتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم . غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي 'بعد' النموذج الصحيح للمرية في هذه الفترة التاريخية .

ونخلص من ذلك أن « زيدا » المذموم ، و « عمرأ » المدوح لم يكونا في هذه اللغة القويمة على النحو الذي ورد في كتب النحو .

ثم جاء النحاة إلى « حبذا » و « لاجبذا » لإفادة المدح والذم فقالوا في المدح : « حبذا زيد » ، وفي الذم : « لاجبذا زيد » .

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا حبذا أهل الملا غير أنه إذا ذكرت سمى فلا حبذا هيا
وشأنهم في « حبذا » و « لاجبذا » شأنهم في « نعم » و « بش » فقد
اختلفوا في إعرابها كما اختلفوا في « نعم » و « بش » .

ذهب أبو علي الفارسي وابن برهان وابن خروف - وزعموا أنه مذهب سيبويه إلى أن « حَبَّ » فعل ماض و « ذا » فاعله ، وأما المخصوص فجوّز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوّز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير « هو زيد » أي المدوح أو المذموم زيد .

وذهب المبرّد ، وابن السراج في « الأصول » ، وابن هشام اللخمي - واختاره ابن عصفور - إلى أن « حبذا » اسم ، وهو مبتدأ ، والمخصوص خبره ، أو خبر مقدم والمخصوص مبتدأ مؤخر فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا اسماً واحداً .

وذهب قوم - منهم ابن درستويه - إلى أن « حبذا » فعل ماض و « زيد » فاعله فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا فعلاً . م (١٠)

ويبدو من هذا أنهم اختلفوا في حقيقة «حبذا» وفعليتها واسميتها ، وما ذلك إلا للفصل في كل جزء من أجزاء الجملة التي تقع فيها «حبذا» وإيقاعه في موقع إعرابي خاص . واختلافهم هذا في حقيقة هذه الأفراد التي تتكون منها جملة «حبذا» دليل على أنهم قلقون في اعتبار هذه الأساليب الفعلية الخاصة لإفادة غرض خاص هو المدح أو الذم .

أما القول في إسمية «حبذا» و«لا حبذا» فهو شيء مستبعد في جملة «حبذا» ، وذلك لأن هذا المركب جاء لإفادة أسلوب المدح ، وإفادة المدح والذم تحصل في الجملة الفعلية ، وإن لفظ «حب» هو الفعلية ولكن الذي أبسدها عن الفعلية الصريحة تركيبها مع «ذا» ولا يعني هذا التركيب أنها انتقلت من فعل إلى اسم . غير أن من المناسب أن نقول : إن هذه الالفاظ أفعال خاصة تحولت من فعليتها الصريحة فنفرعت عن مادة الفعل من حيث الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما للإعراب عن أسلوب خاص من أساليب الكلام ، وهو المدح والذم ، ولذلك فقدت التصرف فجمدت على حالتها المعروفة ، والقول بأنها فعل ماض غير سديد ، وذلك أن الأفعال قصد من تحويلها إلى الجود ، وتركيبها مع «ذا» إفادة للمدح أو الذم وإفادة هذا الأسلوب يعني أنه من جملة الأساليب الإنشائية ، ولا تستقيم هذه الأساليب مع الزمن الماضي .

أما القول بأن «ذا» فاعل فليس بسديد أيضاً ، وذلك أن تركيب «حب» مع «ذا» جعلها كلمة واحدة ، ولا يمكن أن تنصرف «حبذا» إلى جملة . ولعل ابن درستويه كان على حق في اعتباره «حبذا» كلمة واحدة . ثم إن «حب» لم يتضح لنا أنها أسندت إلى «ذا» فيؤدي هذا الإسناد إلى حصول فائدة ما .

وبسبب من هذا التركيب وصيرورة هذا المركب (وصيرورة هذا المركب) كلمة واحدة مال المربون في عصرنا إلى اشتقاق فعل من هذا المركب هو «حَبَذَ» بمعنى «استحسن» أو «فضَّلَ» واستعملوا من ذاك الأبنية المختلفة كالضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول وسائر الصيغ الأخرى .

وبعد فإن هذه الألفاظ قد اتجهت في العربية اتجاهها خاصاً للتعبير عن فن من فنون القول . ومن المفيد ألا تدخل هذه في اختلاف النحويين وجدلهم فتضيع في متاهات الفاعل وضمير الظاهر ، والبتدأ وخبره المحذوف أو الخبر ومبتدئه المحذوف . وإن محاولاتهم في إيجاد هذه المسميات في هذه الجمل التي أفادت التعجب والتي أفادت المدح أو الذم إضاعة للفرص الذي أطلقت من أجله . ومن المفيد أيضاً أن نكتب نحونا الجديد على شيء من هذا الفهم ، فجنب الناشئين في عصرنا الذهاب في تلك الأوهام التي تبعد اللغة عن كونها حياة يحياها المربون .

وعلى هذا فإن اللغة ليست وسيلة يبررها عن الفكر ، بل هي في حركاته وسكناته وهي الفكر مكتوباً أو منطوقاً به .

وأعود فأقول : إن دعوات أصحاب التيسير يجب أن تكون دعوات مفيدة فتيسر وتنبذ ما ليس من طبيعة اللغة ، وأن يكون النحو الجديد مادة تصف اللغة وصفاً بعيداً عن التعليل والتأويل ، وبذلك يتم لأصحابنا القائلين بالتيسير والداعين إليه بمقترحاتهم وآرائهم منهج علمي جديد .

وقد تقول ، إن النحو القديم في مصنفاته الضخمة يؤلف مادة من تراثنا فماذا نحن صانعون به إن أخذنا بآراء أهل التيسير التي تشكر لكثير من العلم النحوي القديم ؟

ونجيب عن هذا السؤال فنقول : إن النحو القديم وهو من تراثنا الذي نجله ونقدره قدره ينبغي أن يظل في حلقة الدراسات التاريخية ندرسه ونفهمه

بأصوله وفلسفته وعلمه وأحكامه ومناهجه التي اخلدوا أنفسهم بها ، وأدى بهم ذلك الى اختلافات جوهرية وثلاثية . والذي نعرفه أن المعلوم كافة تخضع للتطور والتجديد ، فاللغة الحديثة غير الفلسفة في الآرون الوسطى وغيرها في أيام الإغريق . والعلوم الطبيعية في عصرنا جديدة كل الجدة بحيث انسلخت عن أصولها القديمة وربما انقلبت النظريات ، فالذي كان مقبولا في العلم منذ قرن من الزمان لم يعد مقبولا في أيامنا . ومثل هذا حدث في العلوم الاجتماعية جميعها كما حدث تطور عظيم في المفاهيم الفنية في الرسم والنحت والموسيقى وغير ذلك .

ثم إن الدراسات النحوية في اللغات الأوربية الحديثة تذهب في هذا السبيل ، فهناك النحو الذي يتعلمه الدارسون ، وهو نحو جديد مبني على الاستقراء والوصف للنصوص الفصيحة الموروثة دون التشكر للغات الحديثة بما جد فيها من التطور في الأصوات ، وفي تركيب الجمل وسائر العناصر النحوية التي تغيرت عما كانت عليه في عصور سابقة . على أن لهذه اللغات نحواً قديماً يقبل عليه الدارسون المنيون بالدراسات اللغوية التاريخية ليصلوا من ذلك إلى الجديد المتطور الذي يقوله الناس ويكتبونه .

ومن الخير للعربية وأبنائها أن نجري في هذا السبيل لنأخذ بالأسلوب العلمي الذي يقوم على التطور وهو سنة الحياة في مظاهرها المختلفة .

(بغداد) الدكتور ابراهيم السامرائي



مجتمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحسب محل المقامات وبمستف من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ٥ -

٤ - الكُدَيَّة

الكُدَيَّة مظهر من مظاهر الفقر في المجتمع وعدم التكافل الاجتماعي بين الناس . وربما تكون في بعض الأحيان مظهراً من مظاهر العجز أو الكسل الفردي ، وهي قديمة في التاريخ ؛ وجدت منذ وجد العجز والفقر إلى جانب القوة والغنى مما يختلف تأويل ذلك :

متى ماير الناس الفقير وجاراً غني يقولوا عاجز وجليلد :

الكُدَيَّة في التاريخ : وقد كانت الكُدَيَّة معروفة منذ القديم ، كما يبدو أنها كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام حتى نهى عنها الإسلام وحاربها النبي ﷺ وحض على العمل والكسب ، وشاعت أقواله في ذلك ، ومنها « لأن يأتي أحدكم الجبل فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ومنها « اليد العليا خير من السفلى » ويرجح أن تكثر الكُدَيَّة وتنتشر حيث يعم الفقر ، وتقل حيث يسود الرخاء . وقد مررنا بنا الحديث عن سوء الوضع الاقتصادي أيام الهمداني ، وهو في مقاماته إنما يطلعنا على سبيل المكدين في حرفتهم ، ويكشف لنا أساليب

خداعهم ... بل إنه يُعنى بالكدية عناية خاصة حتى كانت المحور الأساسي الذي تدور حوله معظم المقامات .

وليس مانقله إلينا الهمداني من أخبارهم ، على كثرتهم وطرافته ، غربياً أو بعيداً عما عرف في ذلك العصر ؛ فلقد ذكروا أن بعض الناس كانوا يحتالون للسلب بحيل شتى ، وأن من الحيل التي يلجأ إليها بعض المكدين لجمع المال تظاهروهم بالغزو والجهاد فيجمعون المال لتجيز أنفسهم أو فك أسراهم !! وكثير من هؤلاء كانوا يركبون الدواب ويطوفون البلاد كالغزاة ليوهمو الناس بصدقهم ، بل إن في أخبار الثاربخ أن جيشاً من عشرين ألفاً خرج من خراسان سنة ٣٥٥ هـ بحجة الغزو ثم ظفر بأموال الدولة وانقلب إلى جيش للسلب والنهب (١) .

ولعل من أطرف ماوصف به المكدون وأساليبهم تلك القصيدة الطويلة الرائعة المعروفة بالقصيدة الساسانية والتي نظمها أبو دلف الخزرجي (٢) ومعلمها :

جفون دمعها يجري ل طول الصدر والهجر (٣)

وقد وصف فيها الغربة والثقل ، وذكر حيل المكدين من كتابة التعاويذ والتآمر مع القصاصين الذين يتصدرون حلقات القصص وبأمر من المستمعين باعطاء الفقراء ثم يقاسمونهم ماجمعوا بعد انقضاء الحلقة ، كما ذكر كثيراً من أساليب المكر والخداع كتصفير الوجه أو تجريحه ، أو إيهام الناس بقطع اللسان ، أو ارتداء زي الرهبان أو الحجاج ، أو الاحتيال بالتنجيم

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٦٦ .

(٢) هو مسعر بن مهلهل . انظر ترجمته وأخباره في بقيمة الدهر ٣ : ٣٥٦ (طاحي الدين عبد الحميد) .

(٣) انظر القصيدة في القيمة ٣ : ٣٥٨ .

أو باصطحاب عدد من الأطفال عليهم آثار الجوع والعري . . أو بترقيص
القردة أو اللدبة ... ، وهي قصيدة جامعة حتى إن آدم متر يقول « إنها
وثيقة اجتماعية عن القرن الرابع . » (١)

الكديّة في المقامات : أما الهمداني فيحدثنا عن الكديّة حديثاً طريفاً
يشكر له الأساليب ويعتدّ المذاهب ، فلا يترك نوعاً من الكديّة إلا يأتينا
بنموذج منه ويمثله لنا وكأنه أستاذ فيه .

ومما يجلب النظر في أساليب المكدين التي عرضها علينا أنها ليست
غريبة عنا ولا عن عصرنا ، وأنها هي نفسها الأساليب المتبعة عند المكدين
المعاصرين وكأنهم توارثوها جيلاً عن جيل .

فمن المكدين من كان يجول في الأسواق رافعاً صوته في الإنشاد :
ويبي على كفتين من سويق أو شحمة تضرب بالدقيق
أو قصعة تملأ من خرديق يفشأ عنا سطوات الربق
بقيمتنا عن منهج الطريق يرازق الثروة بعد الضيق (٢)
أو يستجدي قائلاً :

يا قوم قد أثقل ديني ظهري وطالبتني طلّتي (٣) بالمر
أصبحت من بعد غنى ووفر ساكن قفر وحليف فقر
يا قوم هل بينكم من حرّ يعيني على صروف الدهر (٤)

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٠٧ .

(٢) المقامة الأزاوية : ١٥ .

(٣) الطلّة : الزوجة .

(٤) المقامة الكفوفية : ٨٤ .

فإذا قال ما طلب من أحد المحسنين أتبعه بالدعاء والشكر :

يا من عنائي بجميع برّه أفضى إلى الله بحسن سرّه
واستحفظ الله جميل سرّه ان كان لاطاقة لي بشكره

قاله ربي من وراء أجره (١)

ومن الكدّين من يتظاهر بالمرض ويمثل دور المصاب المبتلى فيضمد ساقه أو يشدّ يده إلى عنقه أو يعصب رأسه أو يعمد إلى الارتجاف كلما شعر بدنوّ أحد المارّة منه . . . ومنهم من كان يتظاهر بالعمى كالذي حدثنا عنه الحمداني في المقامة المكفوفية فهو « أعمى مكفوف » ولكنه سرعان ما يعرف الدينار من لسه بما جعل ابن هشام يشك في أمره ويقول « وتبعته فعلمت أنه متعمّ لسرعة ماعرف الدينار ... ثم فتح عن توأسي لوز (٢) . . » ومنهم من كان يكتب حاجته على أوراق يوزعها على الناس ، شأن بعضهم اليوم ، وقد رأى ابن هشام من هؤلاء في أسواق العراق وقال لأحدهم « ألم أرك بالعراق تطوف في الأسواق مكدّياً بالأوراق ؟ » (٣) . . . وقد تكون المكدّ طريقة أخرى في سؤاله الناس وذلك بأن يفتنم الفرصة السانحة ويأتي في الوقت الملائم ، وتلنفس أحوال تحب أن تصنع فيها الخير كأن يكون الإنسان مقدماً على سفر فإذا هو قبل أن تتحرك مطيئته أمام سائل يتضرع داعياً له بالأمن والسلامة على حين أنه منصرف إلى التفكير في أخطار الطريق ومشاق السفر .

(١) المقامة الازادية : ٨٦ .

(٢) المقامة المكفوفية : ٨٦ .

(٣) المقامة البلخية : ٢١ .

وكثيراً ما نشاهد اليوم أمثال هذه الفئة من المكدين يقفون في المحطات أو مراكز انطلاق القطر والسيارات يتصيدون المسافرين حاقين بهم داعين لهم بالأمن والسلامة ، ومن هؤلاء ذلك الذي حدثنا عنه ابن هشام في المقامة البلخية حيث قال : « ولما حنى القراق بنا قوسه أو كاد دخل عليّ شاب في زيّ مدء العين .. ولقيني من البرّ في الثناء ، ثم قال : أظننا تريد ؟ فقلت : اي والله . فقال : أخصب رائدك ولا ضلّ قائدك . فأين تريد ؟ قلت : الوطن . فقال : بلّغت الوطن وقضيت الوطر ... ، قال : إذا أرجمك الله سالماً من هذا الطريق فاستصحب لي عدواً في بردة صديق من نجار الصغر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر ، كدارة العين يحطّ ثقل الدين ويتناقق بوجهين . قال ابن هشام : فعلمت أنه يلتمس ديناراً فقلت : لك ذلك نفدأ ومثله وعدا ... ، (١)

ومن الأحوال التي يجب فيها التحير الى النفوس أن يكون الانسان في جوّ ديني تسوده روح البذل والتعاون ، أو أن يكون الإنسان منصرفاً الى تذكر الآخرة والزهد في الدنيا ، راغباً في الأجر والثواب ... فهو في مثل هذه الأحوال أقرب الى الاستجابة وأسرع الى السخاء . . . وقد عرف المكدون ذلك فربطوا عند أبواب المساجد أو دخلوا على الناس في المساجد فرعظوهم وذكروهم حتى امتلأت قلوبهم بحب الآخرة ونعيمها والزهد في الدنيا ومباعدتها ثم عرضوا على الناس بؤسهم وفقرم وطلبوا منهم عونهم ومساعدتهم ؛ إنهم كثيراً ما بدأوا واعظين مذكّرين وانتهوا سائلين مستجدين !

والطريف أن بعض هؤلاء الماكرين لا يدعون مجالاً يسمح للمصلي بالانصراف ، فهم يخرجون الناس ويشدّونهم بأغلظ الأيمان لئلا يخرجوا من المسجد قبل

سماع الشكوى ، وذلك على نحو ما حدث لابن هشام في أحد مساجد أصفهان حين فرغ الإمام من ركعتيه ، وأقبل على التشهد بلحييه ومال إلى التحية بأخذه ، وقلت : قد سهل الله المخرج وقرب الفرج . قام رجل فقال : من كان منكم يحب الصحابة والجماعة فليعيرني سبعة ! قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لرضي . فقال : حقيق عليّ ألا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق . قد جشتم ببشارة من نبيكم لكي لا تؤذيها حتى يظهر الله هذا المسجد من كل نذل يحجد نبوته . قال عيسى بن هشام : فربطي بالقيود وشدني بالحبال السود (١) ، وتابع خطابه حتى ملأ جرابه والنصف .

ومن المكدين من يستجدي بحجة البيع ؛ يزعمون أنهم يبيعون الأحرار والأوراد وكتابات لها عمل السحر ؛ في تحييب الأزواج بزواجهم أو إخراج الأفاعي من أوكارها ...

ومنهم من يزعم أنه اهتدى بعد ضلال ، وأن عطاء الناس له وتصدقهم عليه يعصمه من العودة إلى ضلاله ، يقول واحد من هؤلاء و... والآل لما أسفر صبح المشيب وعلتني أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر العاد بإعداد الزاد فلم أر طريقاً أهدي إلى الرشاد مما أنا سالكه . ثم يقول ودُفئت إلى مكاره نذرت معها ألا أدخر عن المسلمين منافعها ولا بدلي أن أخلع ربة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم وأعرض دوائي هذا في أسواقكم فليشتري مني من لا يتقرّر من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد .. (٢)

(١) القلمة الأصفهانية : ٥٨ .

(٢) المقامة السجستانيّة : ٢٦ .

وقد يزيد في الخداع فيزعم أنه على أهبة الجهاد والغزو وإن الجود عليه
إعانة له على الجهاد في سبيل الله فيقول :

أدعو الى الله فهل من مجيب الى ذرا رحب ومرعى خصيب
وجنة عالية ماتني فطوفها دائية ماتني
إن أك آمنت فكم ليلة جحدت ربي وأتيت الرب
ثم هداني الله وانتاشني من ذلة الكفر اجتهد المصيب
فظلت أخفي الدين في أسرتي وأعبد الله بقلب منيب (١)

يا قوم وطئت داركم بعزم لا المشق شاقه ولا الفقر ساقه ، وقد تركت
وراء ظهري حدائق وأعنابا .. وخرجت خروج الحية من جحره (٢) والطارئ
من وكره مؤثراً ديني على دنيائي .. فلو دفعتم النار بشرارها ورميت الروم
بجحارها وأعنتموني على غزوها مساعدة وإسعادا ومرافدة وإرفادا ، ولا شطط ؛
فكل على حسب قدرته وقدر طاقته ولا أستكثر البذرة وأقبل الذرّة ولا أردّ
التمرّة ، ولكل مني سهان : سهم أذلقه للقاء وسهم أفوقه بالدعاء ... (٣)
ولا عجب في أن يزعم الجهاد والغزو لينال المال فقد رأينا جيشاً بكامله
يزعم الغزو في سبيل النهب .

ومن المكدين من يطرق عليك الباب ليلاً ليزعم أنه ابن سبيل مقطوع
قال ابن هشام : ولما اغتمض جفن الليل وطرّ شاربه قرع علينا الباب ،
فقلنا : من القارع المتتاب ؟ فقال : وفد الليل وبريده ، وفلّ الجوع وطريده وحرّ
قاده الضرّ والزمن المرّ ، وضيف وطؤه خفيف وضالته رغيف ، وجار يستعدي

(١) المقامة القزوينية : ٩٢ .

(٢) الحية للؤث والمذكر ويفرقون بينهما بالوصف .

(٣) المقامة القزوينية : ٩٤ .

على الجوع.... (١) ، ومثله أيضاً ذلك الذي ذكره ابن هشام في المقامة الناجية . (٢)

ومن المكدين من يلجأ الى استئثار عطف الناس باصطحاب أطفاله معه ، وهو لا يتحدث إليك عن فقره وجوعه لأن عطف الأبوة أنساه ذلك ، وإنما يتحدث عن جوع أولاده وعربهم ، وأنت إن لم تتألم للرجولة الذليلة أو الأبوة الملوثة في شخصه فلا بد أن تتألم للطفولة الجائعة العارية في أطفاله ، إنه يكلمك بلسانه ويسكنونك بعيونهم ، فإن لم تتأثر بلهجته فلن تقوى على صد نظراتهم الزائفة الضارعة . ولقد عرف ذلك خبثاء المستجدين في عصرنا فراح بعضهم يستتبع أطفالاً يزعم أنهم بنوه وما هم بينه ١

وقد ورد ذكر هذا النوع من المكدين غير مرة على لسان الهمداني فهذا واحد قد احتضن عياله وتأبط أطفاله (٣) وهذا آخره يتلوه صغار في أطوار (٤) ، وربما قدّم المستجدي طفله ودفعه إلى الكلام فإن ذلك "دعي للشفقة وأنفذ في القلب ، وقد دفع بعضهم طفله إلى الكلام فقال : « ماعسى أن أقول وهذا الكلام لو لقي اشعر لحلقه أو الصخر لقلقه ، وإن قلباً لم ينضجه ما قلت لي » . وقد سمعتم يا قوم ما لم تسموا قبل اليوم فليشغل كل منكم بالجود يده وليذكر غده واقياً بي ولده . واذكروني أذكركم ، واعطوني أشكركم (٥) ، .

(١) المقامة الكوفية : ٣٠ .

(٢) المقامة الناجية : ١٩٩ .

(٣) المقامة الازاذية : ١٤ .

(٤) المقامة الجرجانية : ٥١ .

(٥) المقامة التجارية : ٨٩ .

ومنهم من يزعم أنه عزيز ذلّ وغنيّ افتقر ؛ و إنكم لن تأنسوا حادثاً ولن تعدموا وارثاً ، فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد وافقه طمعنا السكباج وركبنا الهملاج^(١) ولبسنا الديباج وافترشنا الحشاياء فمارعنا إلا هبوب الدهر بفدرة وانقلاب الحن لظهره فماد الهملاج قطوفاً وانقلب الديباج صوفاً وهلمّ جرّاً إلى مانشاهدون من حالي وزيتي^(٢) .

الكديّة الجماعية : ومن الطريف أن بعض المكديّين كانوا يؤلفون جماعات يستنفون بها عن الاطفال ويتقدمون واحداً منهم يسرون وراءه ويقول أجملة فيعيدونها من خلفه . . ؛ والحق أننا نكاد لانعرف هذا النوع من الكديّة الجماعية اليوم . إذ نحن نعرف تلازم مكديّين أحدهما أعمى مثلاً أو مقعد ، أو تلازم رجل وزوجته ، أو تلازم أسرة بكاملها . أما الكديّة الجماعية فقد وصفها لنا الهمذاني في انقائمة الساسانية فقال : « فيينا أنا على باب داري إذ طلع علي من بني ساسان كتيبة قد لقوا رؤوسهم ، وطلوا بالمغرة لبوسهم ، وتأبّط كل واحد منهم حجراً يدق به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يرسلونه ، ويدعرون ويجاوبونه .. »^(٣) .

وهكذا استعرض لنا الهمذاني أنواع الكديّة وأساليب المكديّين في عصره ، وقدم لنا صوراً مختلفة عن تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تحتال للقوت ، والتي كانت في عددها متناسبة مع ما ذكر من فساد الحال وسوء الوضع في تلك الفترة ، وهي فترة قيل إنه مامرٌ على الدولة أسوأ منها ، وحسبنا منها أنها بيعت فيها الدور والعقارات بما يمكّن الرقيق من الخبز .

(١) الهملاج من البراذين الحسن الاتياد .

(٢) انقائمة النجارية : ٨٨ .

(٣) انقائمة الساسانية : ٩٧ .

هـ - قلة الأمن وكثرة اللصوص

السياسة والأمن : رأينا أن الأحوال السياسية لذلك العصر كانت مضطربة وأن أوضاع الحكم فيه كانت غير مستقرة ، ولا شك أن ذلك يؤدي في أغلب الأحيان إلى فقدان الأمن وكثرة الجرائم ، ونحن لانزال إلى اليوم نشاهد الأمثلة الكثيرة على ذلك ؛ إذ لاثبت أن ترتبك سياسة البلاد وتزلزل أوضاع الحكم حتى تنشط الجريمة ويكثر الفساد ... وما يزال الأمر كذلك حتى يعود الأمر إلى نصابه وتتولى زمام الحكم يد قوية تعرف كيف تضرب على يد البني والفساد ..

في التاريخ : وكان طبعياً أن تكثر الجرائم وحوادث النهب في تلك الفترة التي اضطربت فيها شؤون البلاد وأصبحت المناصب الكبرى نهباً مرزقاً بين الأقوياء ؛ لقد كان بين الناس لصوص يسطون على القوافل في الطرقات وعلى البيوت والمخازن في المدن ، كما كان بين السياسيين والحكام لصوص يسطون على المناصب وينهبون الوظائف ، والناس على دين ملوكهم ، وإذا كان عمران بن شاهين يفتصب السلطة في أرض البطيحة ويستقل بها أيام معز الدولة ، فقد كان معز الدولة نفسه منتصباً للسلطة مستأثراً بها . وبما يدل على مبلغ الاضطراب وفقدان الأمن ذلك التمرض الوقح لقوافل الحجاج والتجار حتى بات الحاج لا يأمن على حياته ، لقد كان الحج في تلك المصور بسبب ما كان في الطرق العرية من المخافات وقلة الأمن غير ممكن أحياناً أو معرضاً صاحبه للموت أحياناً أخرى (١) ، وفي كتب

التاريخ أن الحج تعطل غير مرة نتيجة لما حلّ بقوافل الحجاج من قتل ونهب .

وليس خبر الجيش الذي زعم الغزو وقام بالسلب بيميد عنا ، وقد ذكروا عن جنوده « المجاهدين » أنهم كانوا يخرجون ليلاً ومعهم آلاتهم من السيوف والخراشيف والقسي والسهام ويزعمون أنهم يأمرؤن بالمرؤف فيسلمون العامة مناديلهم وعمائمهم وإذا تمكنوا من تقتيتهم وأخذ جميع ما معهم لم يقتلوا في ذلك (١) .

وحسبنا أن نقول إن العراق لم يتمتع بالأمن قط في أثناء القرن الرابع الهجري (٢) وهو مركز الدولة وفيه قوتها ، فما بالك بالمناطق والأقاليم النائية عنه وعن مركز السلطان ؟

في المقامات : يخصص الهمذاني هؤلاء اللصوص بنصيب من مقاماته ويذكر أنواعاً منهم متعددة ؛ فيحدثنا عن يتعرض منهم للسافرين في الطرقات كذالك الذي خرج على ابن هشام وصحبه في طريق حمص ثم اندمج بهم وخدمهم وعمد إلى قوس أحداً فأوتره وفوق سهماً فرماه في السماء وأتبعه بأخر فشقه في الهواء . وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسي فعلاه ورمى أحداً بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيّرته من ظهره . فقلت ويحك ما تصنع ؟ قال : اسكت يا لكع ، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه أولاً غصته بريقه ... (٣) ، ثم نزع عنهم ثيابهم

(١) الحضارة الإسلامية : ٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ٢٩٤ .

(٣) المقامة الأسدية : ٣٧ .

وكاد يذهب بها لولا أن عاجله بعضهم بطعنة قضت عليه ، ومثله الذي خرج على ابن هشام وصاحبه الاسكندري وهما عائدان من الموصل فملك عليها القافلة وأخذ منها الرحل والراحلة ... (١) ،

وأما اللصوص الذين يسطون على البيوت والمحال التجارية ، والنشالون الذين يسرقون من الناس في الطرقات فقد تحدث الهمذاني عنهم طويلاً في انشامة الرصافية حيث قال على لسان ابن هشام : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة وحمارة الفيظ تغلي بنار الفيظ ، فلما نصفت الطريق اشتد الحر وأعوزني الصبر ، فملت إلى مسجد قد أخذ من كل حسن سره وفيه قوم يتأملون سقوفه ويتذكرون وقوفه ، وأدام عجز الحديث إلى ذكر اللصوص وحيلهم والطارئين وعملهم ... (٢) ، ثم يتابع ذكر أسمائهم وتعداد أنواعهم حتى زاد على السبعين نوعاً ، مما جعل هذه المقامة مصدراً دسماً ، للصوص والنشالين أو لمن يريد أن يعرف شرهم ويدفع عنه أذاهم ، كما جعلها ، من ناحية ثانية ، صورة من صور الأخلاق الفاسدة والبؤس المنتشر ...

الدكتور مازن المبارك

(يتبع)



(١) المقامة الموصلية : ١٠٣ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

دراسات في العربية^(١) والائلمنية^(٢)

ليس بين كل البلاد التي تضاهي جزيرة العرب حجماً ، أو بين كل الشعوب التي تناهز العرب في الأهمية التاريخية والسكان العالمية بلد أو شعب ناله من إهمال الباحثين في المعصور الحديثة ما نال الجزيرة العربية والشعب العربي^(٣) .

بهذه العبارة الصريحة المريرة صدر زميلنا الكبير الدكتور فيليب حتي كتابه القيم (تاريخ العرب) « مسكلمان » ، لندن ونيويورك ، منذ نصف وثلاثين سنة .

والواقع أن الباحثين لم يهتموا بجزيرة العرب والشعب العربي حضارة وعمراناً فحسب ، بل أهملوها لغة وأدباً أيضاً ، وربما كان لإهمال اللغة العربية سبب وجيه كصعوبة البحث فيها مثلاً من قبل باحثين لم يقضوا في دراستها أكثر من ثلاث إلى خمس سنوات ، في معاهد أوروبية أو أمريكية . ويذكر عن لسان مستشرق أمريكي شغل كرسي الدراسات العربية في جامعة هارفارد أنه كان يقول : « إن صعوبة دراسة اللغة العربية لا تتجاوز سني

(١) المقصود بهذا الاصطلاح « اللغة العربية الفصحى أصواتاً وكلاماً وصرفاً ونحواً » .

(٢) أي علم اللغة التحليلي — التطبيقي ، لينجويستيكس .

(٣) فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور : (تاريخ العرب) ، « مطول » ، بيروت ، دار الكشاف ، الجزء الأول ، الصفحة الأولى ، هذا الكتاب هو ترجمة كتاب الدكتور فيليب كي هيتشي : هيسيتري أف ذي أربز الذي نشرته دار مسكلمان للمرة الأولى في عام ١٩٣٧ .

الدراسة التحسين الأولى . ، ولا يخفى أن لتصريح كهذا أثره في نفس الطالب الغربي ؛ إنه ، بالرغم من فكاهته ، تصريح من النوع الذي يعلق في ذهن سامعه فيترك أثراً سلبياً هائلاً لا يلبث أن يفعل فعلاً في ميول الطالب العملية فيحوّله عن العربية والأدب ويدفعه إلى سواها من الدراسات . . .

ولقد كان من نتائج إهمال البحث في اللغة العربية أن أغمط حق علماء الألسنية العرب فلم يذكر تاريخ العلوم الألسنية لهم فضلاً في تطور هذا العلم الحديث وبناء صرحه . فالطالب العربي والأجنبي على السواء يجد أبحاثاً متعددة تتناول العرب ديناً وشرعاً ، أمةً ودولاً ، وجغرافية وتاريخاً ؛ ولكنه ، إذا ما تصدى للتحري عن مصادر رئيسية في لغة أجنبية ، بحث في لغة العرب ومساهمة علمائها العرب والمستعربين في بناء صرح العلوم الألسنية والنهوض بها وعزلها عن الخرافات والأوهام ، وجد أن دون غرضه خراط القتاد . والقليل القليل المتوفر من هذه الدراسات اللغوية النادرة لا وجود له إلا في خزانات كبار المستشرقين (١) ، وعلى رفوف مكتبات أمهات الجامعات الغربية (٢) ، ولذلك نجد النيبه من خريجي الجامعات الغربية ، في العلوم الألسنية ، لا يزال يعتقد بأن هذه العلوم الحديثة ولدت في

(١) علماء السابيات خاصة من أمثال : دي ساسي ، فثلايشير ، فراثناغ ، فوليرس ،

فشير ، راين ، بلوخ ، يشمانوف ، فثليش ، بر كلاتند ، شبيتلر ، الخ .

(٢) مكتبات جامعات هارفرد ، وكولومبيا ، وپيرسستن في الولايات المتحدة

الأمريكية ، مثلاً .

بور رويّال (١) وبدأت نموها العلمي الحديث بفضل السير ولِيمْ جوتنز (٢) ... بينا الحقيقة العلمية تقرر بأن العرب، تسعة قرون قبل بور رويّال، ونيف وألف سنة قبل ولیم جوتز ، أنجبوا علماء كان لهم في ميدان العلوم الألسنية شؤون . ففي القرن الثامن الميلادي - وربما قبل ذلك بقرنين أو أكثر (٣) - كان علماء الألسنية من العرب والمستعربين يتجادلون في ماهية الصوت وكيفية حدوثه ، وفي ذاتية الحرف ، وكيفية حرفه ؛ وكان منهم من يخرج إلى المناطق الموزلة في الصحراوات العربية للاستماع إلى اللغات واللهجات المتحدث بها هناك وللإستماع إلى لغة من هو في عروبه عربى من الذين إذا تكلموا أجادوا وما لحنوا .

أين هذه الحقائق التاريخية المثبتة مما يقوله مستشرقو الغرب وعلماءه من أمثال هلتجير بيدرسون الذي يقرر ، بحق :

(١) بور رويّال دي شان ، دير يبعد ثمانية أميال تقريباً عن فرساي بالقرب من باريس ، أسست فيه مدرسة دينية عام ١٦٤٣ م درس فيها لأول مرة غراماتيك لاتيبي (١٦٤٤ م) وآخسر غربي (١٦٥٥ م) من تأليف لاثسيلو - رجي ، إي سانشيز ؛ إي هيسشري أف كلاسكال سكالرشيب . نيويورك ١٩٥٨ ، المجلد ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) السير ولیم جوتز ، ١٧٤٦ — ١٧٩٤ ، مستشرق إنكليزي زائع الصيت وأول من لفت نظر علماء الغرب إلى صلة القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية الهندية واللغات الأندو - أوروبية المنتشرة في أوروبا الغربية ، وخاصة اللغتين الإغريقية واللاتينية الكلاسيكيتين .

(٣) هناك من يقول بأن المبشرين المسيحيين قد ترجموا التوراة والأنجيل إلى العربية قبل نزول الوحي على الرسول العربي . فإذا صح هذا القول - وهو لا يزال بحاجة إلى إثبات - كان علماء الألسنية من العرب والمستعربين قد بدأوا وأقنوا دراسة العربية في العصر الجاهلي .

« أوث العالم القديم (يعني بذلك الإغريق والرومان) أوروبا
ميراثاً مثقالاً بالأوهام في تاريخ اللغة ... »

« وكان انتشار المسيحية مقلع المرحلة الأولى في تاريخ العلوم
الألسنية في أوروبا . فلقد جلبت معها أولى الانبساطات في
أفق العلوم الألسنية ... »

« وكذلك تدن العلوم الألسنية الحديثة للبوزية بدين كبير ... » (١)

ولكنه يختم قوله بتصريح لا يت^٢ إلى الحقيقة العلمية بصلة ، فيقول :

« ليس هنالك من سبب قط لشكر الحمديّة (يعني الإسلام) في هذا
المضمار . » (٢) أو العلامة بيسيرسين^٣ الذي يتجاهل في أبحاثه مساهمة
العرب والمسلمين في تصعيد العلوم الألسنية والارتقاء بها إلى مصاف العلوم
الحديثة في الغرب ، فيقرر بأن هذه العلوم ولدت عندما بدأ الناس يتساءلون
لماذا لا يتكلم البشر جميعاً لغة واحدة ؟ كيف خلقت الكلمة ؟ ما هي الصلة
بين اسم الشيء الحقيقي وذاتيته ؟ ولماذا يسمى هذا الشيء كذا عوضاً عن
كيت ؟ الخ . ثم يتابع بيسيرسن عرضه التاريخي هذا فيقول بأن اليهود هم
سبب الفوضى في العلوم الألسنية إذ علم أنبيأؤهم بأن اللغة هي من وضع

(١) إتش. پدرسون ، سببروغميد تسسكاكي إي دت نيئسندي آر هئد ردي :

ميتودر أوغ ريزلتر كونهغن ١٩٢٤ وقد ترجمه إلى الإنجليزية جون
ويستير سبراغو ونشر في كاهبريدج ، مارس ، عام ١٩٣١ بعنوان
لنجويسيك ساينس إن ذي فاينئين سينشيري : ميئدز إند
رزلطز ر الصبغة التاسعة حيث الإشارة إلى البوزية تهدف المدرسة اللغوية
الهندية التي تبلورت أسسها العلمية وظهرت في أبحاث بانيني .

(٢) المصدر ذاتة ، التعليق والمواهب ستأتي فيما بعد .

الإله ، خالق كل شيء . ويزيد فيقول بأن الاغريق القدماء أيضاً سببوا تشويشاً في هذا المضمار إذ عالجوا موضوع الألسنيات معالجة فلسفية موضوعية فقال قسم من فلاسفتهم بأن اللغة وجدت وتطورت بصورة طبيعية (فوزيبي) وقال آخرون بأنها وضع متوافق عليه (ثوزي) . ثم يشير هذا العالم الغربي إلى أهمية ترجمة التوراة والأنجيل إلى اللغة القوطية في القرن الرابع الميلادي (١) متجاهلاً تمام التجاهل الترجمة الروسية للكتاب المقدس التي وضعها كيريلسوس وميتوديوس في القرن التاسع (٢) والتي لا تقل أهمية عن الترجمة القوطية . أما القرون الوسطى فإن بيسرسن يؤكد بأنها لم تنتج السنيما ما يستحق الذكر وبأن هذا الحال المعتم الكالج لم يزل إلا بفضل السر وليم جونز (٣) ...

وهكذا نجد الطالب المتخرج في العلوم الألسنية من جامعات الغرب مازال كسلفه يظن بأن القرون الوسطى وحتى القرون السبعة التي سبقتها كانت قروناً جرداء خالية لم ينتج خلالها في العلوم الألسنية إلا ما سجله بانيني وخلفاؤه من علماء الهند . هذا وهم هو المسؤول الوحيد عن تصريحات علماء الغرب الذين يقولون بأن العلوم الألسنية لم تتقدم خطوة واحدة خلال الزمن الواقع بين عهد بانيني الهندي وبور رويال الفرنسي .

(١) الترجمة المعروفة باسم « ترجمة ولفيلا أو ولفيلاس » التي يتفق المؤرخون على أن تاريخها هو ٣٨٣ ميلادية .

(٢) T. A. ليسكين : « سلافيشيه إيسرستزوتش » في سلسلة تيكستس اونند ايسرستزوتش در بيل المنشورة في لايبزيغ عام ١٨٩٧ ص ٢١١ .

(٣) انظر المقال المعنون « غرامر إند غرامر يتش » في اوكسفر د كلاسكال ديكشنري المطبوع في أكسفورد عام ١٩٤٩ .

وإذاً ، فالهدف من هذه الدراسة (وما سيلها من دراسات في العربية والألسنية) هو تعريف القسم الأكبر من المتخرجين وذوي الاختصاص في العلوم الألسنية بفضل العرب والإسلام في تطور هذه العلوم وعرض حقائقها التاريخية عرضاً يستند إلى وثائق لا مجال للشك فيها لا تاريخياً ولا نصاً ، وثائق نشرت لا في القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد فحسب ، بل وأيضاً في لندن وأكسفورد وأوسلو ولايبزغ وبرلين وباريس . وسوف نبدأ هذه الدراسات بالتجري عن فضل الإسلام والمسلمين من عرب ومستعربين في الأبحاث الصوتية (فونيتيكس) .

بدءُ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية

ليس من السهل تحديد تاريخ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية . إن أول دليل على هذا الاهتمام هو الدليل الكتابي المتوفر لنا من خلال الآثار والنقوش التي عُثِرَ عليها حتى تاريخ تحرير هذا البحث . وربما عُثِرَ فيها بعد على نقوش وآثار كتابية أقدم من المراجع التي اطلعنا عليها حتى هذا التاريخ ؛ في هذه الحال ، يجب إعادة كتابة هذه المقدمة الموجزة وإبدال ما نعتبره اليوم كطلع فجر العلوم الألسنية العربية ، وردة إلى تاريخه الصحيح الذي نعتقد بأن علماء الآثار سوف يوفقون إلى اكتشافه . وإذاً ، فإن هذه المقدمة ليست سوى حجرة مسافة مؤقتة نضعها على مفرق طريق طويل لا نعرف حتى الآن أين مبدأه وإن كانت لدينا فكرة واضحة عن منتهاه .

إن الآثار والنقوش التي اكتشفت حتى الآن هي كل ما لدينا اليوم من مصادر في دراسة الألسنية العربية القديمة . ومن أقدم وأوثق هذه الآثار آثار سيناء والنقوش المصرية القديمة التي يعود تاريخها إلى أولى السلالات الفرعونية ،

والتي تحتوي على ذكر وصور لأعراب عملوا في المناجم المصرية في شبه الجزيرة المذكورة (١) . وليس هنالك من شك في أن تلك الصور المصرية القديمة هي لمرب البادية ، إذ يؤيد هذا الرأي وجود صور مشابهة لها لأقوام مدعوا في اللغة الآشورية أربي ، أي أعراب / عرب ، اكتشفت في العراق الحديث . فإذا ما اعتبرنا أوائك ، الأربي و عربا — وهذا افتراض منطقي — تمكنا من التقرير بأن الفكر الألسني العربي بدأ في التاريخ القديم البعيد ، وتبلور خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل الاغريق واليهود والهنود بقرون . فأعرابنا هؤلاء اهتموا بلفتهم اهتماماً علمياً دفعهم إلى محاولة إبداع صور للكلام العربي ، أي إلى كتابة لغتهم القومية . ومعلوم أن فن الكتابة هو الدليل الأول على نضوج الفكر الألسني .

أما إذا وجد من يعارض هذا القول مشيراً إلى أن الدلائل على اعتبار « الأربي » المشار إليهم عرباً هي غير وافية — وهذا من حق العلماء ، طبعاً — فإننا في هذه الحال نملك حق الإشارة إلى نقوش الجزيرة العربية — وهذا حق لا يمكن الاعتراض عليه . ففي جنوبي جزيرتنا الكبرى اكتشفت حتى اليوم نقوش يعود تاريخ أقدمها إلى حوالي عام ٩٥٠ قبل المسيح ، نقوش تدل بوضوح على نضوج التفكير الألسني لدى العرب القدماء نضوجاً تاماً لا يقبل الريب ، وصل إلى ذروته أربعة قرون قبل ولادة ارسطاطليس

(١) رَ فِلاشدرزِبِترى : ريسرُشترُ إن سايناي . لندن ، ١٩٠٦ ؛ وانظر مثلاً البحث الذي نشره غارْدُترُ في جُرْنال أفتهاجيشان آرْ كبولجي ، ٣ ، ١٩١٦ ، ص ١ — ١٦ ، وأيضاً المصادر المذكورة في هوامش الصفحة السادسة من كتابنا لِنجَوْسْتِيكْسُ إنْ ذى مدلْ آجَزُ : فونيتيك سُنْدي إنْ إرْلي إسلام ، لايدن ، ١٩٦٨ .

فيلسوف الاغريق الذي ندين له بفكرة تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف

وإن في النقوش التي اكتشفت لعرب الجنوب لا توفى دليل على أن العرب سبقوا الغرب بقرون في العلوم الألسنية وخاصة في علوم الصوت (فونتيكس) الذي يعتبر حجر الزاوية في الدراسات الألسنية . هؤلاء العرب القدماء درسوا لغتهم أصواتاً وكلاماً فأبدعوا في أبحاثهم وارتقوا بها إلى درجة من الكمال قلما بلغت حتى في عصرنا الحاضر (١) فلقد ميزوا بين أصوات لغتهم بين حروف لم يتمكن علماء (٢) الغرب من معرفة وتحقيق مخارجها بالضبط حتى اليوم فمرفوها بـ (س١، س٢، س٣) ، أي حروف السين والشين والصاد وحرف ربما كان بين السين والصاد (٤) وانزاي والظاء .

إننا لعلى حق عندما نقرر ونقول بأن العرب أسدوا أكبر الفضل وسامحوا أكبر المساهمة في تطوير وتصعيد المعارف الألسنية . أين هذه الحقيقة مما يقرره علماء الغرب ويقولونه كتابة ومحاضرات بأن العرب والمسلمين لم يساهموا قط في تطوير العلوم الألسنية ؟

* * *

(١) انظر كتاب « ألتسود أرايشه غرامماتيك ماريتا هينفتر المطبوع في لايبزيغ عام ١٩٤٣ وكتاب كرسستومايا أرايكا مريدوناليس إيفرافيسكا لكويتي روسيني المطبوع في روما عام ١٩٣١ .

(٢) هكذا عبر عن هذه الأصوات ولف لستلو في كتابه « ليكسيك سوكونثري » باريس ١٩٣٨ ، (٤) .

كان عرب الجنوب أصحاب تجارة ، وكانت قوافلهم تجوب الشرق العربي من أقصاه إلى أقصاه ، طلباً للكسب عن طريق التبادل التجاري المنتج . وكانت لهذه القوافل خانات تحط فيها طلباً للراحة بين كل مرحلة وأخرى . وغت تلك الخانات حتى أصبحت جاليات مستقلة استوطنت طوال الطريق من الجنوب إلى الشمال ، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي . وإن لدينا من المعلومات العلمية الصحيحة المستندة إلى وثائق صحيحة الكثير مما تضمنته كتب وأبحاث كثيرة يسرنا أن نشير إلى أهمها ألا وهو الكتاب القيم الذي ألفه السيد الدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام والذي طبع ، في أجزاء لدينا منها ثمانية ، بإشراف المجمع العلمي العراقي ، فليرجع إلى هذا المصدر الوثيق .

وكان من جراء الاتصال الحضاري بين عرب الجنوب وعرب الشمال أن توحدت الكثير من العادات المعاشية والحضارية بين القومين . ومن جملة ما تعلمه عرب الشمال من إخوانهم الجنوبيين قن الكتابة مما تدلنا عليه النقوش التي عثر عليها في جنوبي الجزيرة وشمالها ، والتي يعود تاريخ بعضها إلى القرن السادس قبل المسيح ، صاعداً بعد ذلك إلى حوالي القرن الرابع الميلادي (١) هذه

(١) انظر كتاب ورنيت المطبوع في كندا عام ١٩٣٧ بعنوان (إي صندي أف لهينايث إند ثموديك إنسكرپشنز) وكتاب كاستكيل المطبوع في كولونية بألمانية الغربية عام ١٩٥٤ تحت عنوان لهينان أوثد لهينانش وكتابي لتهان المطبوع أولها في برلين بعنوان تسور إنسيفيرونغ در ثموديشين إنشرفين والآخر في لايبزيغ عام ١٩٤٠ بعنوان تامود أوثد صفا . وراجع أيضاً كتاب فان در براندين المطبوع في لويفن ، بالبلجيك تحت عنوان ليزانسكروپسيون ثموديين . وأيضاً الباب الأول القسم الأول آ من كتابنا إنشجويستيكس إن ذي ميدل آجز . فونيتيك صنديز إن إرلي إسلام المطبوع في لايدن عام ١٩٦٨ ومصادره والوثائق المستند إليها فيه .

النقوش تدل على وجود الفباء عربية مؤلفة من ثمانية وعشرين حرفاً تشبه شها كبيراً الألفباء التي استعمالها عرب الجنوب . وأقرب هذه النقوش الألفبائية شهاً بحروف العربية النقش النبطي . ومعلوم أن النبط أقوام عرب استعمالوا اللغة العربية في حياتهم اليومية بينما كتبوا باللغة والقلم الآرامي المؤلف من اثنين وعشرين حرفاً^(١) . وربما كانت النقوش النبطية هذه أصل الخط العربي الذي تطور فأصبح الخط الذي نستعمله اليوم . وسيكون لنا في هذا المجال شوط آخر

أما بصدد ما يظنه العلماء من أن المبشرين المسيحيين القدماء قد تركوا أثراً في هذا المضمار فإن العلماء هؤلاء لا يزالون في حيرة من أمرهم اذ لم يُعثر حتى الآن على أثر كتابي مسيحي بحت تركه المبشرون القدماء خلال عملهم الديني في شبه الجزيرة العربية ، قبل مجيء الرسول برسائله الخالدة التي كان من جملة ما أسدته للعالم من قيم ونعم لغة رفيعة معبرة خلقة وأدباً عالياً إنسانياً نبيلاً ، مُخلدٌ بخط جميل لم يعرف البشر مثيلاً لكماله الصوتي حتى تطور العلوم الصوتية في الغرب ، الذي أدنى إلى وجود الخط المعروف بالخط الصوتي العالمي في عصرنا الحاضر .



(١) انظر الأبواب الخامس والسادس والسابع من كتاب الدكتور فيليب حتي (فليب كي هيتي) هيسثري أف ذي آرَبَز ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٧ ، والباب الثاني من كتابنا المذكور في الحاشية السابقة .

كان فن الكتابة معروفًا في الجاهلية ، وقد استعمله الكتّيون في معاملاتهم التجارية كما استعملوه وغيرهم من العرب في بعض الأحوال غير الاقتصادية في العصر الجاهلي (١) . وهناك على الأقل ثلاث دلائل تؤيد هذا الرأي :

أولاً : كلام الله في قرآنه العربي حيث وردت كلمات عديدة تشير إلى هذا الفن ودقائقه ومفرداته كـ : كتاب ، قلم ، صحيفة ، قرطاس ، سفر ، قط ، رق ، دواة ، سطر ، حبر ، مجلة ، نسخة ، سجل ، قمطر ، جرسيس ، ختم ، الخ .

ثانياً : إشارات عديدة إلى فن الكتابة في القرآن الكريم وفي سيرة رسول الله (ﷺ) ، مثلاً :

آ : القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَدْنًا إِلَىٰ أٰجَلٍ مَّسْمُومٍ فَاكْتُبُوهُ ، وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَهُ فَعَلَيْمَلِكٍ بِالْعَدْلِ ،

(١) انظر مثلاً مارك لِدزِبَارْسكي : هانْدْبُوك دِرْ فُورْدَرْمِيْتَشِنْ إِيغِرَافِيكْ نِيْسْتْ أَوْسْتِغِفِلْتِنْ إِنْشِرِفْتِنْ (فَابِرْ ، ١٨٩٨) ، خليل نامي (أصل الخط العربي وتاريخ تطوره قبل الإسلام) (الذاهرة ، ١٩٣٥) .
و ج . كازيتينو لي ناباتين (باريس ، ١٩٣٠ - ١٩٣٢) .

واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان
 ممن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحداها فتذكر إحداها الأخرى ، ولا
 يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى
 أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن
 تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ،
 وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق
 بكم ، واتقوا الله وبعثكم الله والله بكل شيء عليم . وأيضاً سورة النور ،
 الآية ٣٣ : « وليستغفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغفرهم الله من فضله ،
 والذين يفتنون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ،
 وأنوهم من مال الله الذي آتاكم » ... إلى نهاية الآية .

ب — سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ (تحقيق ف . فوستنيلند ،
 غوتنغن ، ١٨٥٨ ، ص ٣٣٢) وسواها (١) حيث نجد الرسول يأمر كتبه
 بالكتابة ، مثلاً ، السيرة : « أنا سراقه بن جشعم انظروني أكلمكم فوالله
 لا أريكم ولا يأتكم مني شيء تكرهونه قال فقال رسول الله ﷺ (لأبي بكر
 قل ما تبغني منا ، قال فقال لي ذلك أبو بكر ، قال فقلت تكتب لي كتاباً يكون
 آية بيني وبينك ، قال اكتب له يا أبا بكر ، قال فكتب لي كتاباً في عظم
 أو في رقعة أو في خزفة ثم ألقاه إلى ... »

(١) مثل السكامل للبرد ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتاريخ العنوبي وخمس الديار بكري ،
 حيث يجد الباحث كثيراً من الاشارات الدالة على معرفة العرب القدماء بفن الكتابة .

ثانياً : في الشعر الجاهلي حيث نجد عدداً كبيراً من الأبيات التي تحتوي على إشارة إلى فنّ الكتابة العربية ، مثل :

أنت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
من شعر امرئ القيس في ديوانه الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ونشرته
دار المعارف بمصر في سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٤ - ص ٨٩ (١) .

ولكن هذا الفن العقلي - العملي المهم لم يتقدم تقدماً محسوساً حتى بزوغ فجر الاسلام وشمسه على العالم في شبه الجزيرة العربية . فالإسلام هو دين سماوي أسسه « الكتاب » والكتاب كتاب الله أنزله على رسوله في أوامره ، معجزة ما زال البحث في ماهيتها أمراً غير مستحب ، كما هو الحال في جميع الأمور الروحانية التي هي من الله وله . وعليه فإننا في ذكرنا لكتاب الله لن نحاول أكثر من النظر فيه شكلاً ووصفاً لغوياً من حيث أنه ، علاوة على كونه وحدة روحانية تامة ، هو أيضاً ، في شكله المادي ، وحدة لغوية تامة ، كتاب في صحائف معدودة يحتوي على مادة لغوية معينة غير قابلة للتصنيف والتغير . ففي هذا العدد ، نجد آيات القرآن الكريم إنما كتبت أول ما كتبت بخط قريب الشبه بالخط النبطي ، متحذر منه بلا شك . ومعلوم أن الأنباط كانوا عرباً .. وبظننا أنه لو لم يمن الله على العرب برسول منهم تلقى « الكتاب » وحيّاً أنزل عليه بلسانهم لما تطورت العربية لساناً وكتابةً وأدباً وعلومها ، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من السكّال بتلك السرعة الهائلة ، التي لا نجد في تاريخ الأمم وتاريخ الأنسية ما يماثلها ويضاهيها .

(١) جمع فيدر كرون الكثير من هذه الشواهد ونشرها في العدد العاشر من أوبسالا أونيفيرسيتيتس أورمسكركت عام ١٩٤٨ ، وانظر أيضاً بحثاً لنا في مجلة (ذي مسلم ورلد) الأمريكية ، العدد ٣/٥٦ لعام ١٩٦٦ بعنوان « أدجوكيشن إن إسلام قزّم ذي جاهلية تو ابن خلدون » ص ١٨٨ - ١٩٨ .

هذا ما نراه على أساس معرفتنا الشخصية التي وصلنا إليها عن طريق الدرس والتمحيص . وطبعاً ليس هنالك ما يمنع الغير من مخالفة رأينا هذا ومعارضتنا فيه معارضة علمية رصينة . والواقع أن هنالك البعض ، من عربي أديب ، ومستشرق عالم ، ممن لا يرون رأينا هذا ... والفرق بيننا ان الرأى الذي نبديه تدعمه دلائل وشواهد نظرية ومادية ، بينما لا يدعم رأى معارضينا سوى نظريات احتمالية لا قيمة علمية لها .

أما وقد قررنا بأن الدين الخفيف هو المسؤول الأول عن تطور العربية وعلموها ، فانه لجدر بنا الآن أن نبين بإيجاز كيفية ذلك ونتائجه .

في القرآن الكريم ، سورة الزمل ، الآية الرابعة ، نجد الأمر بترتيل « القرآن ترتيلاً » . برأينا أن هذا الأمر الصريح هو نقطة الانطلاق في تطور العربية وعلموها . معلوم أن العرب القدماء « أنشدوا » الشعر إنشاداً ولم يلقوه إلقاء كما هي العادة في النثرمن خطاب وخطابة وقصة . ومعلوم أن إنشاد الشعر لم تكن له قواعد يعرفها الإخصائيون بذلك ، ويتبعونها بدقة وإخلاص . فلقد كان كل شاعر وراوية إنما ينشد الشعر انشاداً على سليقة فردية . أما « ترتيل » القرآن — والفرق بين القرآن والشعر هو فرق أساسي واضح — فما كان يجوز فيه التحرر من تقليد أقره الرسول ووجب التقيد به . وطبعي أن يجري هذا التقليد النبوي مجرى القانون على كل من آمن بالله ورسوله . وهنا ظهرت عوامل ثلاثة :

أولاً : لم تكن لغة سكان الجزيرة العربية واحدة موحدة في القرن السابع الميلادي ، إذ كان هنالك لغات قبلية تختلف واحدها عن الأخرى أصواتا ومفردات وتركيباً . ومعلوم أن الرسول كان قرشياً ، وإن قریش كانت قمة

الهرم الاجتماعي العربي ، وإذاً ، مرجعه في جميع الأمور الحضارية ، بما في ذلك اللغة . ونزل القرآن على محمد بن عبد الله بلسان لا يمكن أن يكون فيه أي اختلاف عن لسان الرسول . ويؤيد هذا ما تقرأه عن أوائل المسلمين ، وإصرارهم على تدوين كلام الله بلفظه الأصلية ، لغة قريش ، مقرّنين عن علم ومعرفة بأن ذلك الكلام إنما أنزل على رسولهم بلغة قريش نفسها (١) .

ثانياً : عندما توسعت رقعة الاسلام وامتدت عبر حدود الجزيرة العربية ، ابتدأ الناس ، من غير العرب ، يدخلون في الدين الحديث زرافات . ومعلوم أن المسلم ، مهما كانت جنسيته ومهما كان لسانه ، يدين لربه بواجب الصلاة وقراءة ماتيسر من « الكتاب » بلغة « الكتاب » .

وإذاً ، فلقد كان على كل مسلم ، عربياً كان أم أجنبياً تعلم قراءة العربية تعلماً صحيحاً يمكنه من تأدية واجباته الدينية على سنة الله ورسوله .

ثالثاً : كان المسلمون الذين اعتنقوا الإسلام في الشام ومصر وفي العراق وفارس أقدم عهداً بالحضارة من عرب الجزيرة ، وكان جلهم من المسيحيين وبعضهم يهود . وهؤلاء كانوا على معرفة بتقاليد الشريعتين : المسيحية والموسوية ، فيما يتعلق بكتبهم الدينية من تورا وأناجيل ، وكذلك كان بعض العرب ممن تنصّر وتهود ، أو عاشر أهل الكتاب ، أو على الأقل ، رأى رهبان وكهنة المسيحية يمارسون طقوسهم الدينية ويعنون بكتبهم المقدسة (٢) ، فكان من

(١) انظر المقنع للداني والإتقان للسيوطي واو. برنرزل اورتوغرافي اوثر
بونكيروتغ ديس كران (اسطنبول ، ١٩٣٢) و آ. جيفري
متيريلتر فور ذي هيسثري أف ذي تيكست أف ذي قرآن
لايدن ، ١٩٣٧) وأيضاً ح . راين آتشيت وست أرابين
(لندن ، ١٩٥١) وحوده (القراءات واللهجات) (القاهرة ، ١٩٤٨) .

(٢) أنت حجج بعدي عليه فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
وقد تقدم ذكر هذا البيت في حاشية سابقة .

الطبيعي أن ينظر هؤلاء المسلمون الجدد إلى كتاب الله ، وبقراءته بكثير من التقوى والخشوع . والقرآن الكريم ، كان ولا يزال في نظر المسلمين ، اعظم شأناً من الكتب السماوية الأخرى ، ولذلك كانت هنالك حاجة ماسة لحفظه تاماً كاملاً لا يشوبه نقص لا في كلامه وتركيبه ولا في تجويده : وكانت هنالك ضرورة لتعليم الناس قراءة آياته المينات قراءة صحيحة لا لحن فيها ، خاصة وقد وقف بعض الصحابة على ما كان المستعربون يرتكبونه من الخطأ في قراءة الكتاب ، إذ كانوا يحجّون دونه دون إلمام علمي بأعرابه فيقعون في أخطاء شنيعة (١) .

وهنا بدأت المصاعب تظهر للعيان . فالخطّ العربي الذي رُسم به المصحف في عهد عثمان ، والذي أرسلت نسخ منه إلى كل من مكة المكرمة والبصرة والكوفة والشام ، كان خطّاً لم يصل بعد إلى السكمال ، مثلاً :

أ . كان الحرف غير منقوط ، وكانت بعض الحروف . تمثل عدداً من الأصوات فالباء ، والتاء ، والهاء والنون في مطلع الكلمة ووسطها ، كانت تكتب سواء ، وكذلك الجيم والحاء والطاء ، والذال ، والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، الخ .

ب . وكانت الكلمة غير معجمة ، غير محركة او منقوطة بالشكل ، فكانت آنذاك تمثل عدداً من الكلام : وكلم ، مثلاً ، كان يمكن ان 'تقرأ : كَلِمَ ، كَلِمَ ، كَلِمَ ، الخ .

ج . ولم يكن هنالك ما يعبر عن الألف الطويلة وما يشير إلى الإدغام ، فكانت كلمة كلم يمكن ان تقرأ كَلِمَ ، كَلَامٌ ، كَالِمٌ ، كَلَامٌ ، الخ .

واذا ، كانت المشكلة الأولى التي وجب التغلب عليها هي تمييز حروف العربية التي شابه أحدها الآخر . ولم يمكن تمييز الحرف بالنقط غريباً عن ثقافات

(١) سوف نتعرض لهذه الناحية اللغوية بالبحث مطولاً في القسم الثالث من هذا المقال .

الشرق الأوسط ، فاللغة السريانية مثلاً ، وقد تشابه في البدء بعض حروفها ، استعملت النقط بنجاح لتمييز حرف عن شبهه (١) . وطبيعي أن يكون أول ماخطر لذهن العالم العربي آنذاك ، استعمال النقط لتمييز حروف العربية . وطبيعي أيضاً أن تكون هذه الطريقة وتطبيقها قد استغرقت أمداً من الزمن قبل استقرارها على حال نهائي ، يدلنا على ذلك :

أولاً : ان تمييز حرف الفاء عن القاف كان بنقطة فوق الأولى وأخرى مثلها تحت الثانية (ولا يزال هذا التقليد شائعاً في المغرب العربي حتى اليوم) ثم تطور فأصبح تمييز هذين الحرفين بنقطة فوق الفاء واثنين فوق القاف . ثانياً : ان حرف الشين ميّز أول الأمر عن السين بنقط ثلاث متوازية (أفقية لأهرمية كما هي الحال الآن) ، ويظهر أن هذا الحال قد أدّى إلى الخلط بين الشين وبين التاء والنون أو النون والتاء فنجم عن ذلك إبدال نقط الشين بالشكل الهرمي المعروف .

ثالثاً : ان نقط التاء المربوطة لم يصبح تقليداً مفعولاً به إلا بعد اقصرام مدة من الزمن كتبت التاء المربوطة خلالها كالتاء .

أما هذه الطريقة في تمييز حروف العربية المشابهة فقد عرفت منذ البدء بالإعجام أو التنقيط أو النقط (٢) . ويظهر أن النقط قد دخل العربية بالتدريج كما تدلنا على ذلك مخطوطات عربية قديمة . ولم يرق هذا التجديد في نظر

(١) انظر كتابنا لينغويستيكرز إن ذى ميدل آجزر : فونيتيك ستنديز إن إرلى إسلام (لايدن ، ١٩٥٨) ص ١٣ .

(٢) انظر (كتاب النقط) للداني ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، وأيضاً (العهد الفريد) ج ٣ ص ١٥٤ . م (١٢)

رجال العلم والدين والأدب فعارضوه معارضة شديدة ، واعتبروا استعماله في الخط خطأ من كرامة العلم والعلماء ، وأيضاً ، تجديداً مكروهاً في رسم المصحف الكريم (١) .

أما المشكلة الثانية فكانت مشكلة الحركات . وهذه العقبة اللغوية ، كسابقها ، لم تكن غريبة عن ثقافات الشرق العربي القديم ، وقد اعترضت الكتابة السريانية فقررها علماء اللغة السريان باستعمال النقط وباستعارة الحركات من اللغة الإغريقية (٢) . أما العربية ، فلم تلجأ إلى الإستعارة بل عملت على خلق طريقة عربية أصيلة وفيت بالحاجة . وإننا لنرى آثار تطور النقط والإعجام واضحة في الكثير من أوراق المصاحف القديمة ، حيث نجد نقطة واحدة فوق الحرف تقوم مقام الفتحة ونحته للكسرة وبجانبه للضمّة ، كما نجد الألف والواو والياء تعبّر عن حركات المدّ . وبعض هذه النقط التي نلاحظ وجودها خاصة في مالدينا من أوراق مصاحف قديمة وضعت بألوان مختلفة لتمييزها عن سواها . وهكذا ، وبالتدريج ، وأبدعت الثقافة العربية الحركات الثلاث ، الفتحة والكسرة والضمّة (٣) .

وكما جرى الحال في نقط حروف العربية عارض رجال الثقافة العرب

(١) الاثنان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٧١ ، حيث يذكر عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « جَوِّدُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَخْلَطُوهُ بِشَيْءٍ » ؛ وأيضاً (كشف الظنون) ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) كتابنا المذكور في الحاشية الأولى ، ص ١٤ ؛ وأيضاً ت. نوّلدِكِيه : كومبْتِنْدِيوسُ سِيرِيَاكُ غَرَامَرُ (لندن ، ١٩٠٤) ، ص ٦ - ١٤ .

(٣) انظر كتاب النقط للداني ص ١٣٢ .

هذا التجديد معارضة قوية أدت إلى تأخر استعماله بعض الوقت ،
وإلى حين (١) .

وبالرغم من هذا كله ، بقي لفظ العربية معقداً بعض التعقيد إذ لم
يكن هنالك من الأشياء ما يمكن القارىء من تمييز الحروف المدغمة
والمثبوتة والمهموزة ، ولم يكن من السهل تمييز هذه الحروف في الكلام
المكتوب . وعليه فقد كان على علماء العربية إيجاد أشكال تفي بالغرض
وتؤمن إجادة قراءة الكلام العربي المكتوب . ونجح علماءنا في إيجاد الحلول
المناسبة إذ قرروا إدخال نقطتين على الحرف إبانة للتثنية ، تطورتا تدريجياً
فأصبحتا ما يعرف اليوم بالفتحتين والكسرتين والضميتين . ثم ابتدع علماءنا
الأوائل السكون فالشدة فالهمزة كما فصل ذلك الداني في كلامه عن الإدغام
والإشباع والإمالة والإشباع والاختلاس (٢) ، وأبو داود في « المصاحف » (٣)
والسيرافي في « الأخبار » (٤) ، الخ .

المكتوب لخليل سمان

جامعة ولاية نيويورك في بنغتون



-
- (١) النقط ، ص ١٣٣ وكتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٤١ ، والرسالة العذراء
لابن النديم ، ص ٢٥ ، والمعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٢ ، والاتقان للسيوطي
ج ٢ ، ص ٢٧١ ، وكتابتنا المذكور آنفاً ، ص ١٥ وحواشيها .
- (٢) النقط ، ص ١٣٥ — ١٣٧ و ١٤٤ — ١٤٧ .
- (٣) ص ١٤٤ — ١٤٧ وكتاب النقط ، ص ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ .
- (٤) ص ١٦ وأيضاً كتاب النقط ، ص ١٣٣ والفهرست ، ص ٤٠ .

بين كاتب وشاعر

في التاريخ الأدبي مصادفاتٌ عجيبة ومفارقات غريبة توحى إليك بأن
القدر يهيء أشخاصاً لأشخاص ، ويخلق أناساً من أجل أناس ، لخبرهم
أو لشهرهم ، هذا يكسب وذاك يخسر ، ولكن هذا الكسب وذاك الخسارة ،
كلها ، يظلال خالدين في بطون الكتب ، باقيين في أثناء التاريخ على
مر العصور والأيام

لقد وجد النابغة والنعمان ، وخلق جرير والفرزدق والأخطل ، وعرف
الزمن أبا تمام والبحري ، ورأينا المتنبي إلى جانب سيف الدولة ، لولا هذا
لما عرف ذلك ، ولولا ذلك لكانت شهرة هذا أقصر أمداً وأخصر مدىً .
من هذه اللقاءات العجيبة في الفن والأدب اللقاء الذي جمع الشريف
الرضي الشاعر الكبير ، وأبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب الألمي
والتفنن اللوذي ، لقد جمعتها صحبة خالدة ، ولافت بينها علاقة وشيجة من
الفن في الشعر والنثر أوحى إليها بالكثير من القصائد والمراسلات والمبارات
التي ذهبت مذهب الأمثال ، يستشهد بها الناس ويرون فيها آثراً عريقة
الأصالة ، بعيدة الأثر في النثر والشعر العربيين .

أما الصابي ، فهو أبو إسحق الحراني^(١) ، واسمه إبراهيم بن هلال
الصابي ، ولد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة للهجرة وتوفي يوم الخميس ،
لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(٢) .

(١) بلدة بينها وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والنام والروم (معجم
البلدان — ياقوت) .

(٢) معجم الأدباء (الجزء الثاني ص ٢٠) .

وأُسرة الصابي أسرة حفل التاريخ بذكرها لما عرف من رجالها الكثر الذين خدموا الأدب والعلم ، وكانوا من مذهب يعرف أهله بالصائبة أو الصابئين ، وصَبَّأً وصَبَّؤً ، صَبَّأً وصَبَّوْءاً ، خرج من دين إلى آخر ، وصَبَّأ فلان في دينه ، صار صابئاً ، وصَبَّأ النجم ؛ خرج من مطلعه وظهر ، وصَبَّأ فلان عليهم : طَلَعَ (١) .

والصائبة والصابئون ، يزعمون أنهم على ملة نوح ، ويعرفون في العراق باسم : الصَّبَّة ، واحدُهم : صابيٌّ . وما زال منهم جماعة حتى الآن . ويقال إن دينهم عبادة الكواكب ، ومذهبهم أن للعالم صانعاً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان وهم عاجزون عن الوصول إلى جلاله (٢) .

كان الصابي في عصر بني بويه ، وقد عاش مدة القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذي تكشفت عبقرية الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وبلغ الشعر فيه أوجه ، كما وصل النثر فيه إلى المحل الأعلى ، وبحسبك أن تعلم بأن من رجال هذا العصر : المتنبّي وابن العميد والصاحب بن عباد وأبو اسحق الصابي ، وعضد الدولة وسيف الدولة وأبو فراس الحمداني وغير هؤلاء كثيرون ممن حفلت كتب التاريخ بذكر مآثرهم وتدوين أخبارهم .

كان صديقاً لمر الدولة بختيار (٣) بن معز الدولة بن بويه ، وقد أراد له هذا الصديق الحاكم كل خير وحاول أن يسلمه الوزارة لديه شريطة أن يعتنق الإسلام ، ولكن الصابي امتنع من ذلك ، ويروي الصفدي أن

(١) معجم متن اللثة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني .

(٣) بختيار : لفظ فارسي مركب من بخت وهو الحظ وإيار يعني صاحب ، أي صاحب الحظ وكان هذا لقب من الدولة .

عز الدولة بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول فأبى ، لأن الصابئة
تحرّم أكل الفول .

وصفه مؤرخوه بالعفة وحسن المعاشرة ، ولكنه ، على ما يبدو ، كان
متعصباً لمذهبه لا يهادن فيه ولا يداهن ، من ذلك رفضه للأعطيات والمناصب
التي عرضت عليه حين اشترط عليه الإسلام أو مخالفته اعتقاد من معتقداته
ومع ذلك فقد وصل إلى المراكز العليا في الدولة فقد عمل نائباً للوزير
أبي محمد المهلبى في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة (١) .

ولكن الأمور لم تسر على ما يشتهي فقد اعترضت حياته مشاكل عديدة
وصعاب كثيرة كادت أن تودي بحياته ، إذ كان العصر قد بلغ المرحلة
الدنيا من الناحية السياسية ، وإن كان متقدماً ، كما أسلفنا ، من الناحية
الأدبية والعلمية والثقافية ، وقد نَقَمَ عضد الدولة عليه أموراً لم تكن
للصابى يد فيها وأساء الظن به حين قدم بغداد ، وذلك بسبب بعض
الرسائل التي كتبها عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار ، فحبس من أجل
ذلك ، ولكن الناس ، من المعجبين بالكاتب الأديب ، توسطوا لدى عضد الدولة
وعرفوه مكانة الرجل وفضله ، وأوضحوا له عذر الموظف في وظيفته ،
والمامل في عمله ، فاستجاب للوساطة ، ورضي بأن يخلي سبيله على أن
يعمل كتاباً يضمّنه أخبار بني بويه وتاريخهم ومآثرهم وهو الكتاب الذي أسماه
« التاجي » ، (٢) .

ولكن الصابى لم يسلم من التعرض لخطر الموت حين صرّح لأحمد
زائره في السجن أنه غير راضٍ عن تأليف هذا الكتاب وأنه إنما حمل

(١) مجمع الأدباء (جزء ٢) .

(٢) أخذ الاسم من : تاج الملة ، وهو من ألقاب عضد الدولة .

على تأليفه حملاً ، وربما كانت الكلمة التي نقلت إلى عضد الدولة ، ملفقة تلفيقاً ، أو مفسوسة دساً ، فإن مثل الصابي ، وهو من عرف بفضله وورزاقته وفهمه ، لا يقدم على البوح برأيه والإدلاء بذات نفسه لكل زائر أو غابر ، فقد روت الأخبار أن أحد أصحابه زاره في السجن ، وكان الصابي منهما في كتابة كتابه ، فسأله عما يعمل ، فقال : أباطيل أغفها ، وأكاذيب الفقه ، ووصلت العبارة بنصها إلى عضد الدولة ، فأمر بإلقاء الصابي تحت أرجل الفيلة ، ولكن إخوان الرجل ، شفّعوا إلى عضد الدولة في أمره ، وروى أنهم قبلوا الأرض بين يديه (١) فرضي أن يبقية حياً ، ولكنه أخذ أمواله ، وأبقاه بالسجن بضع سنين ، إلى أن أفرج عنه في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة (٢) .

كان أبو أسحق يمثل الرجل « المحترم » هذه الأيام ، فقد كان الوزراء يقدرونه ويشقون بقدرته وعلمه وادبه ، كالوزير المهلبى وسيف الدولة وآل بويه والصاحب بن عباد .

ولا أدل على قيمة أبي أسحق الصابي الأدبية من هذه القصة يروها عنه ابنه أبو عليّ المحسّين بن إبراهيم بن هلال أن أبا أسحق قال : راسلت أبا الطيب المتنبي - رحمه الله - في أن يدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال له (٣) قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب علي في هذه البلاد واحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك ، تنكّر لك الوزير ، يعني - أبا محمد المهلبى - وتغير عليك لأنني لم أمدحه ،

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أي المتنبي .

فإن كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيئك إلى ما التمسْتِ ، وما أريد منك مالا ، ولا عن شعري عوضاً ؛ قال والذي ، فتنهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه قد نصح ، فلم أعاوده (١) .

ولكن أبرز حدث في حياة هذا الرجل يتلخص في الصداقة الأدبية التي كانت بينه وبين الشاعر الكبير الشريف الرضي ، والشريف هذا هو أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، وقد كان شاعراً مرموقاً وشرباً منظوراً ، ونقياً للطالبيين في عهده كما كان أبوه تقيساً ، وأخوه هو الشريف المرتضى صاحب الأمالي .

كانت الصداقة ، والعلاقة الأدبية بين الصابي والشريف ، موضع تساؤل واستفهام ، فالصابي رجل يدين بغير الإسلام ، وهو حراني الأصل بميد عن الوسط العربي في تفكيره وعقليته ، وإن كان يحترم رجال المسلمين ويسيرهم ، إذ كان يصوم شهر رمضان ، كما يقال ، ولو أنه لا يؤمن بهذا الصيام ، ولكن الشريف رجل من آل البيت ، ومن بيت النبوة ، وتقابة الطالبيين لم تكن بالمسكان الهين في مقامها ومحلها ، لأن هذه النقابة كانت تنافس الخلافة في نظر المسلمين ، وكانت الشيعة العلوية ترى في النقيب الطالبي مثلاً للفكرة العلوية التي كانت ترمي في أهدافها البعيدة إلى استرداد الحق العلوي في الخلافة فإن العلويين كانوا وما زالوا يرون بأن سيدنا علياً هو أحق رجل بالخلافة بعد النبي ، لأسباب كثيرة لا مجال لسردها الآن ، وقد كانت نقابة هؤلاء الطالبيين بالحق الضائع تمثل الحق الذي لا يموت ، والأمل الذي لا يمحى به الزمن ، ولقد رأى الشريف الرضي الطالبيين بالخلافة من أبناء عموته يذهبون قتلاً أو تشريداً أو تعذيباً منذ الحسين إلى عبيد الله

ابن الحسن ، إلى زيد بن علي وغيرهم لأنهم أقدموا على المطالبة بالحق الطالبي علناً وصراحة ، ولأنهم لجأوا إلى القتال بدلاً من السعي إلى غايتهم عن طريق السياسة وتكثير الأعوان ، واثتقرب من الناس ، وخاصة الأدياء وأصحاب المواهب والناقلين على الدولة العباسية .

ولقد أخذ الشريف الرضي يلمح إلى حقه شعراً وحديثاً ، ثم اشتد صراحة وتعريضاً حين رأى قيام الدولة الفاطمية في مصر ، ويروى أن الخليفة — وهو القادر بالله يومئذ — قد استدعاه إليه وسأله عن معنى قوله حين افتخر بالخليفة العلوي في مصر ، ويروى أن الشريف أنكر هذا القول ، وإن كان الأسلوب الشعري يدل عليه دلالة واضحة ، وهذه الآيات من قصيدة يقول فيها :

كم مقامي على الهوان وعندي مقول صارم واقف حمي*
واباء محلق بي عن الضيــــــــــــــــم كما راع طائر وحشي*
أي عذر له إلى المجد إن ذلك غلام في غمده مشرفي
أليس الذل في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي*
من أبوه أبي ، ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القهي*
لف عرق بعرقه سيدا النسا س جيماً محمد وعلي*

إنها مطالبة صريحة بالحق الطالبي ، واستنجد صارخ بالخليفة الفاطمي العلوي في مصر واعتراف بتحمل الضيم في ظل الخليفة العباسي ، وألم نفسي من هؤلاء البويهيين الذين ممن استولوا على الخلافة وأعمالها ، واضطلعوا بشئونها رغم الإرادة العربية هاتيك الأيام .

كان الشريف إذن يلجأ إلى الصراحة في طلب حقه بأن يكون خليفة ، لأنه من أولاد علي بن أبي طالب صاحب الحق الأول ، ولقد غرر به شعره مرة فمرض نفسه لخطر تحقق يوم خاطب الخليفة العباسي القادر بالله

بهذه الأبيات الصريحة التي تجلّس من الشريف منافساً قوياً ونداً علوياً
لا يسكت عن حق ولا يهادن في طلب .

عطفاً أمير المؤمنين فأننا في دوحة العلياء لا تتفرق
ما يبتنا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي مرق
إلا " الخلافة ، ميزتك فأنني أنا عاطل منها وأنت مطوق

لقد قامت الخلافة العباسية على الفكرة العلوية ، فالطالبيون هم أساس
الدعوة التي استند إليها أبو مسلم الخرساني وإبراهيم الإمام وأبو عبد الله السفاح ،
ولكن العادة محكمة ، كما يقول الفقه ، فإن العباسيين حين وصلوا إلى الخلافة
استأثروا به ونسوا أبناء عمومتهم وشركاءهم في الدعوة إلى الحق الهاشمي ضد
الأمويين — بل لقد صار الطالبيون الأعداء الألداء للعباسيين وخاصة في
زمن أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد .

ولكن العلويين لم ينسوا حقهم هذا ، وظلوا يطالبون به إلى أن سكنت
ريحهم وذهبت الخلافة الإسلامية عنهم وعن خصومهم الهاشميين إلى الأتراك
والدليم والسلاجقة وغيرهم ، عن تسلقوا إلى الحكم عن طريق هذه الفكرة
الهاشمية ، ثم نسوا أهلها حين وصلوا إلى غايتهم .

لذلك لجأ الشريف الرضي إلى الطريقة المعقولة ، لجأ إلى الأصحاب
وأكثر من الدعاية ، والأدباء من الكتاب والشعراء هم أولى الناس بأن يقترب
إليهم صاحب المسدّد السياسي ، لأن هؤلاء هم وسيلة الدعاية الأولى
هاتيك الأيام .

ولقد لام أناس الشريف الرضي يوم رثى الصابي ، فما يحقّ لرجل مسلم

شريف وتقيب للأشراف أن يبكي رجلاً غير مسلم ، ولكن الشريف أجاب اللاتين بقوله : إني رثيت علمه وفصله (١) .

وقد اتهم المؤرخون الشريف الرضي بأنه انما سمح لنفسه برثاء الصابي لأنه كان يطمح إلى الخلافة وأن الصابي كان يرشحه لها — وأنه كان من أكبر أعوانه (٢) .

ولا بد من الوقوف قليلاً قبل الاقتناع بهذا الرأي ، لأن الصابي لم يكن في ذلك الزمن إلا شخصاً ينتمي للعلم والفضل الأدبي ، فلم يكن له أنصار ولا قوم ، لقد قضى رداً من حياته يتنقل بين الاضطهاد ، والسجن واستصفاء الأموال ، وليت شعري ما عسى أن يستطيعه رجل مثل هذا لا يأمن على نفسه غائلة الظلم ولا عادة الاضطهاد ، أمثل هذا يمكن أن يعتمد عليه الشريف الرضي في أكبر مطمح يخطر على بال عربي هاتيك الأيام وهو الخلافة الإسلامية .

الذي اعتقده أن الشريف لم يعتمد على الصابي في سعيه للخلافة ، بل اتخذ الرجل الأدب وسيلة للدعاية ، بدلاً من أن يكون وسيلة للمعارضة ، وأرجح أن العلاقة بين الرجلين الأدبيين لم تتعد الحدود الأدبية إلا قليلاً — ولهذا فقد كان الشريف صادقاً في رثائه متفجعاً في بكائه ، ولعلك تحس صدق العاطفة وأثر الحزن في قوله :

يا ليت أني ما اقتنيتك صاحباً كم فنية جلبت إسي لفؤادي
ويرجع لدينا قوة هذه العلاقة الأدبية قوله :

العقل فاسب بيننا إذ لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي
إن لا تكن من أمرتي وعشيرتي فلأنت أعلقهم يداً بودادي

(١) معجم الأدباء .

(٢) معجم الأدباء (جزء ٢ الصفحة ٢٦ رفاعي) .

تلك الصداقة ، ما نظن إلا أنها بريئة ، وإن شابها الزمن بشوب من السياسة لم يكن منه بد في ذلك الزمن فلم تزل صداقة الأدباء أقوى الصداقات كما قال أبو تمام قبل الشريف :

إن يختلف نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد
ولقد عرف الشريف بالوفاء لإخوانه والإخلاص لأخذانه من الأدباء
والشعراء ، ويكفي تأييداً لهذه الفكرة ، أن تعلم عطفه وحده على ميار
الديلمي ، تلميذه وربيّه ، فلو لا أدب ميار وموهبته الفنية لما كانت علاقته
بالشريف متممة بهذه القوة التي ذهبت مضرب الأمثال .

لقد كان الزمن الذي عاش فيه الأديبان الكبيران — الصابي والشريف —
زمن اضطراب في السياسة والمفهوم الأخلاقي بحيث تغيرت الأفكار وساءت
الظنون . ومن هنا جاء هذا الرأي الذي لم يستطع قبول الصداقة البريئة
حتى رماها بالقصد المادي والغاية الدنيوية . وإن رجلاً مثل الشريف ، في
أخلاقه وفنه وثقافته وكرمه محتده ، لأبشس ما يكون عن سوء القصد
وزيف النية .

أحمد الجندي



الكلمات التركية

في اللهجات العربية الحديثة

لما ذهبت إلى القاهرة في سنة ١٩٦٤ واستمعت إلى لهجتها شد انتباهي بعض الكلمات فيها مثل سادة ، وطاره ، وخانه وبقشيش وبهلوان وترزي وجنيز ، وعشرات أخرى من هذا القبيل شدت هذه الكلمات انتباهي لأنني استعمل الكلمات نفسها في لغتي — الأردنية — وتفيد نفس المعاني أو معاني متقاربة — فما سر وجود هذه الكلمات في هاتين اللغتين : اللغة الأردنية وبعض اللهجات العربية الحديثة . لم تدم دهشتي طويلاً فبعد بحث يسير تبين لي أن هذه الكلمات فارسية الأصل دخلت اللغة الأردنية مباشرة بينما دخلت اللهجات العربية الحديثة عن طريق التركية والمعروف أن اللغة التركية غنية بالكلمات الفارسية . فلما تأثرت اللهجات العربية الحديثة باللغة التركية . وأخذت بعض كلماتها كانت من ضمنها هذه الكلمات الفارسية . **و المُرَّة كة ، ،**

لقد دفعني حيي لدراسة الكلمات وتاريخها إلى جمع هذه الكلمات الفارسية ثم توسعت وجمعت الكلمات التركية المستعملة في اللهجة المصرية بنض النظر عن أصلها . ولما اتسع المامي بلهجات عربية أخرى أضفت إلى هذه الكلمات كلمات أخرى تركية تستعمل في بعض اللهجات العربية الأخرى مثل اللهجات السودانية والأردنية واللبنانية .

لقد دخلت اللهجات العربية الحديثة — لاسيما اللهجة المصرية — مئات من الألفاظ التركية طوال حكم المماليك والأتراك غير أن معظم هذه الكلمات

انقرضت وما بقي منها إلا قدر يسير — ولقد استقر بعض هذه الكلمات في اللغة العربية وارتقى عن مستوى الكلام العامي إلى مستوى اللغة الأدبية مثل بشرف وبصمه ، ويوغاز وجرمك وطابور وطاقم وقنبلة ونيشان . ومن ثم اكتسبت دراسة هذه الكلمات نوعاً من الأهمية والخطورة .

لإني أذكر الكلمات التركية المعربة وأشرحها وإذا كانت الكلمة مستعملة في لهجة غير لهجة مصر فأني أشير إلى ذلك ثم آتي بأصلها التركي مكتوباً بالحروف اللاتينية وفيما يلي بيان نطق بعض الحروف ولها نطق يخالف مثيلاتها في اللغات الأوروبية .



تكتب اللغة التركية الحديثة بالحروف اللاتينية ، وتنطق معظم هذه الحروف كما تنطق في اللغة الإنجليزية . أما الحروف التي يختلف نطقها فسنذكرها فيما يلي ونشرح نطقها :

C	ينطق مثل z في اللفظ الإنجليزي Judge , Jam
ç	ينطق مثل ch في اللفظ الإنجليزي Church
g	هذا الحرف في الغالب يطول الحركة السابقة .
j	ينطق مثل j في اللغة الفرنسية .
ş	ينطق مثل الشين العربية .
I	(بدون نقطة) صوت الضمة بدون تدوير الشفتين .
ö	صوت e مع تدوير الشفتين .
ü	صوت i مع تدوير الشفتين .
u	صوت u كما في Put في الإنجليزية .



، أ ،

أبله : كلمة تخاطب بها امرأة صغيرة السن من غير الأقارب
تركي Ablâ الأخت الكبيرة .

أجزجى : الصيدلي

تركي Eczaci

أجزخانه : الصيدلية

تركي Eczahane ، Eczâne واللفظ مركب من الكلمة العربية
« أجزاء » التي تفيد معنى الأدوية بالتركية ، والكلمة الفارسية
« خانه » بمعنى البيت أو الدار .

ادبخانه : المرحاض

لا يوجد هذا اللفظ في التركية الحديثة ، وهو مركب من الكلمة
العربية « أدب » والكلمة الفارسية « خانه » بمعنى الدار .
أشكره خبر : على المكشوف ، كما في قولهم : فعل كذا أشكره خبر .
لقد انقرض هذا اللفظ في اللهجة المصرية ولكنه لا يزال يستعمل
في اللهجة الأردنية .

تركي Aşikâne : علناً ، واضحاً ، واللفظ فارسي الأصل : آشكار .

أفندى : كلمة مفادها (١) (لبيك) (٢) أعد ما قلت من فضلك .
تركي Efendim .

أفندى : لقب كالسيد ؛ الثقف ثقافة غربية والمتربي بالتربي الأوروبي .
تركي Efendi : واللفظ يوناني الأصل .

الاي : فرقة كبيرة من المسكر ،

تركي Alay .

- انجليز : جيل من الناس يقطنون انجلترا .
 تركي Ingiliz من الإيطالية Inglese .
 أوروبا : القارة المعروفة .
 تركي Avrupa من الإيطالية Europa .
 أورطه : وحدة من ألف جندي .
 تركي Ordu : الجيش ، المعسكر ، والجدير بالذكر أن من هذا اللفظ جاءت كلمة « أردو » وهي اسم إحدى اللغات الهندية وسميت بهذا الاسم لأنها نشأت في المعسكر ، كما جاءت من هذا اللفظ الكلمة الانجليزية Horde بمعنى القبيلة المتنقلة .
 اورمان : اسم حديقة في القاهرة .
 تركي Orman : الغابة .
 أورنيك : الاسمارة ، وجمعه أرانيك . يكثر استعمال هذا اللفظ في السودان .
 تركي Örnek العينة ، النموذج .
 أوسطى : صاحب صنعة ، ميكانيكي ، سواق السيارة .
 تركي Usta :
 اوضه : الحجرة ، جمعها أَوْض .
 تركي Oda .
 أونباشي : رتبة في الجيش والشرطة . ويكتب أيضاً « امباشي » ويجمع على اونباشية .
 تركي Onbaşı وأصل معنى الكلمة قائد العشرة وهو مركب من On أي العشرة Baş أي الرئيس (١) .

(١) الياء في لفظ « باشي » خمير الاضافة فاصل معناه : رئيسهم . يقول الأتراك :
 العشرة رئيسهم بمعنى رئيس العشرة . وهكذا في بكباشي وبوزباشي وحكيمباشي .

(ب)

باش : الرئيس كما في باشكاتب أي رئيس الكتبة ، وباشمهندس أي رئيس المهندسين .

تركي Baş الرأس ، الرئيس .

باشا : لقب شرف تركي .

تركي Paşa .

باشتخته : مكتبه ، سبوره .

تركي Paştahta من الفارسية : پیش تخته ، پیش منناه إمام

وتخته معناه لوحة من الخشب ، والجدير بالذكر أن «باش» في

هذا اللفظ محرف من پیش ولا صلة له بباش بمعنى الرأس .

باميا : الخضار المعروف .

تركي Bamyā .

بخشونجی : مدير الحديقة .

تركي Bahçivan والكاسعة ci .

بدروم : الطابق السفلي من الدار . ويقال له أيضاً «بدرون» .

تركي Bodrum وأصل معناه الرذاب .

برتقال : فاكهة معروفة .

تركي Portakal من الإيطالية Portogalle أصل معناه البرتقال .

برجل : أداة من أدوات الرسم الهندسي .

تركي Pergel .

برضه : أيضاً ، مع ذلك .

تركي Pirde . يظن بعض الناس أن الهاء في برضه ضمير الغائب ،

ويستبدلونها بالكاف عند الخطاب فيقولون : انت برضك .

- برطمان : وعاء من زجاج . ويقال له أيضاً مرطبان وهو الأصل .
فارسي مرتبان .
- برنجي : الأول وهو من المصطلحات العسكرية ، واسم سيجارة في السودان .
تركي Birinci الأول .
- برواز : الاطار .
تركي Pervaz .
- بروجي : من ينفخ في البوق (مصطلح عسكري) .
تركي Boru البوق والكاسمة ci .
- بزونج : القواد ، (يستعمل هذا اللفظ في اللهجة الأردنية) .
تركي Pezevenk .
- بسطومه : لحم ملح مجفف .
تركي Pastarma .
- بشتي : من يتصل به جنسياً من الرجال (في اللهجة السودانية) .
تركي Paşt .
- بشرف : مقدمة اللحن في الموسيقى .
- تركي Peşrev من الفارسية وهو مركب من « پيش ، أي أمام
و «رو» أي الذهاب يعني المتقدم أو المقدمة .
- بصمة : خطوط الأصابع .
- تركي Basma الختم .
- بقباط : نوع من البسكويت الصاب .
تركي Peksimet .

- بقشيش : ما يطل من نقد لخدم الفنادق والمطاعم وغيرهم .
 تركي Bahşiş من الفارسية بخشش أي المطاء والجدير بالذكر
 أن في هذه الكلمة العربية أبدلت الخاء قافاً وهذا شاذ .
- بك : لقب تركي . وينطق « بيه » ويجمع على بهوات .
 تركي Bey .
- بقجه : الصرة .
 تركي Bokça .
- بكباشى : رتبة عسكرية وينطق بمباشى .
 تركي Binbaşı وأصل معناه قائد الألف ، وهو مركب من Bin
 أي الألف و Baş أي الرئيس .
- بلكه : يمكن ، لعل . يكثر استعمال هذه الكلمة في اللهجتين
 الأردنية والفلسطينية .
- تركي Belki من الفارسية وهو مركب من « بل » العربية
 و « كه » الفارسية .
- بلعجى : الحارس المسلح بالفأس ويطلق مجازاً على رجل مسند متشدد .
 تركي Baltacı .
- بلطة : الفأس .
 تركي Balta .
- بلوك : فوج أو جماعة (مصطلح عسكري) .
 تركي Bölük .
- بلياشو : المهرج .
 تركي Balyaço .
- بيه : القبلة ، نوع من اللعبة المفرقة .
 تركي Bomba من الإيطالية .

- بنج : خمسة في لعبة الطاولة . بنج وسه : خمسة وثلاثة .
فارسي بنج .
- بنجر : خضار معروف .
تركي Pancar .
- بهار : التوابل .
تركي Bahar .
- بهریز : نوع من الشوربه .
تركي Perhiz ، Pehriz الامتناع ، الحمية ، من الفارسية .
- بهلوان : اللاعب على الجبل ومنه أيضاً « الفهلوة » .
تركي Pehlivan : الملاك ، البطل ، من الفارسية .
- بوطة : في اللهجتين السورية واللبنانية الأئس كريم ، وفي اللهجة المصرية
نوع من الشراب المسكر .
تركي Buz الجليد .
- بوغاز : المضيق .
تركي Bogaz .
- بوية : الدهان . وفي اللهجة السودانية بويهه .
تركي Boya .
- بياده : المشاة .
تركي Piyade من الفارسية بياده ، وقديماً عرب هذا اللفظ الفارسي
« يياذق » واشتق منه ييذق ظناً أن يياذق جمع .
- بيره : شراب معروف .
تركي Bira من الإيطالية .
- بيش : خمسة في لعبة الطاولة .
تركي Beş .

التعريف والنقد

أمراء البيان

أعادوا طبع كتاب : أمراء البيان ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في واسع رحمته ، ولقد أعيد طبع هذا الكتاب النفيس في وقت ترامت فيه الشقة بيننا وبين البلغاء من كُتّابنا المتقدمين واشتدت فيه الحاجة إلى الاقتباس من خالد بيانهم ، فنحن نعيش في عصر تكاد الصلة بيننا وبين أدبنا القديم تكون منقطعة الأواصر ، لقد انقلب عالمنا كل منقلب ، أدبه وثقافته ، ودخلت علينا مذاهب حديثة في كل أفق من آفاق الحياة حتى كاد بياننا يعجز عن الإفصاح عن هذا القلب العظيم ، على أن المتقدمين من بلغاء كُتّابنا وكبار علمائنا لم يضعفوا عن تثمیل الانقلاب الذي وقع في عصرهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، فقد استطاعوا أن يجدوا لغة وأسلوباً لكل ماجرى في أبتامهم ، أما نحن فقد ظهر عجزنا في هذا الأمر حتى كاد بياننا يفصل عن بيان المتقدمين ولذلك نجد الحاجة ماسة إلى تذكيرنا ببلاغة أولئك الأئمة والغرف من بحرهما ، وهذا ما يحملنا على أن ننظر إلى كتاب : أمراء البيان نظرة خاصة ، ونشكر للذي ألّفه والذين أعادوا طبعه .

طبع الكتاب مرتين وأعيد طبعه هذه السنة ، وقد صدر الدكتور سامي الدهّان ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الجديدة بتقدمة بليغة لم يخس فيها الأستاذ الرئيس حقّه كما لم يخس كتاب أمراء البيان حقّه ، لقد أنزل في مقدمته الأستاذ الرئيس المنزلة الرفيعة التي تليق ب مقامه كما أنزل

الكتاب نفسه المنزلة السامية التي يستحقها ، كل هذا في بيان يدل على ذوق خالص وبراعة فائقة .

أما الأستاذ الرئيس فإن هذه السطور عاجزة عن أن تعطيه حقه أو تصوّر مقامه الجليل في فهم الأدب وقدره حق قدره ، لقد فصلّ الكلام في مقدمته على بيان العرب أبلغ تفصيل ، فلم يغفل عن شيء من خصائص الأدب في عصوره بأجمعها ، كما لم يغفل عن شيء من تصوير الأطوار التي تقلّب فيها هذا الأدب ، وكما ظهرت بلاغته في المقدمة فكذلك ظهرت هذه البلاغة في الكلام على كل إمام من أئمة البيان مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وابن هارون وابن مسعدة وابن يوسف الكاتب والصولي والزيات والجاحظ والتوحيدي وابن العميد .

من هذه الطبقة الرفيعة من رجال البلاغة ندرك مقادير هذا النثر الذي انتخبت منه نماذج في كتاب : أمراء البيان ، فاذا كنّا نقّدر هذا النثر فلا يرجع تقديسنا إلى مجرد الإعجاب ولكنّا نشعر بتقصيرنا عن طبقته وبالجد في ذوق محاسنه حتى نصل إلى درجته على الأقل ، هذا إذا كنّا لانستطيع أن نجاوز هذه الدرجة .

لقد استطاع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أن يبلغ الدرجة الرفيعة من بلاغة المتقدمين ، فما علينا أن نضمّ اسمه الكريم الى أسماء أمراء البيان .

شفيق ميري



حكاية الأيتام الثلاثة

لا نرى الدكتور عمر النص غريباً عن قنن الرواية ، لقد ظهرت قدرته على هذا النوع من الأدب في روايته الأولى : شهر يار ، التي كانت جذابة من أولها إلى آخرها ، وإذا كان من شروط الرواية محاسن اللغة ، فلمة الدكتور عمر النص لا تقتصر إلى هذه المحاسن ، ويكاد يكون شرط هذا الحسن أبرز شروط الرواية ، ولما أتت « أنا نول فرانس » على « موباسان » في أحد كتبه الأدبية كانت مسألة اللغة مظهراً من مظاهر هذا الثناء .

وقد يضاف إلى إتقان اللغة في الرواية إتقان الحوار ، فالحوار إنما هو روح الرواية على ما اعتقد ، ولقد نشاهد براعة الحوار ومحاسن اللغة في رواية الدكتور عمر النص الثانية وهي : حكاية الأيتام الثلاثة ، فإن أكثر الروايات في أدبنا لا تزال تحتاج إلى أشياء كثيرة من قواعدها ، مثل سلامة اللغة وبساطة التعبير ودقة التحليل وحسن الحوار وماشا كل هذه الأمور .

إنما نجد في رواية : حكاية الأيتام الثلاثة قوة في جذب القارئ إلى تتبع حوادثها ، فالقارئ لا يكاد يفرغ من قراءة الفصل الأول من فصولها حتى يشغله به الميل إلى الاطلاع على الفصل الثاني .

لقد جرت حوادث حكاية الأيتام الثلاثة في مدينة « جالوق » سنة ١٤٠٢ الميلادية ، خلال غزو التتار لبلاد الشام ، ومن ذكر التتار وبلاد الشام نعرف روح موضوع الرواية ، لقد تجلّت البلاغة في وصف بطولة « جالوق » ، أي بطولة رجالها ومجدهم وضحاياهم ، ثم تجلّت هذه البلاغة في وصف إهمال المدينة وخضوع رجالها ونومهم عن الدفاع عنها ، وقد نجد في

أعمال « نيمورلنك » صورة لأعمال كل مستدٍ أثيم ، فشكل كلمة من كلمات الرواية في وصف هذه الأعمال تعبّر عن حالة كل مغلوب على أمره في أي عصرٍ من العصور ولعلّ بلاغة الصبر على احتمال الأذى والإصرار على دفع هذا الأذى تتمثل في هذه الجملة : ولكن « جالوق » ستنزل تضيء ... ، هذه العبارة تتضمن الإشارة إلى كل مدينةٍ من المدن التي تحتل الشر حيناً من الدهر ثم توطن النفس على دفع هذا الشرّ .

لسنا نبالغ إذا قلنا ان الدكتور عمر النص خلق للرواية وإيقانها ، وليس هذا بشيء قليل بالنسبة إلى عصرنا الذي استفاض فيه هذا النوع من الأدب .

ش . ج



اتجاهات النقد الحديث

الدكتور جميل صليبا

عهدنا بأستاذنا الدكتور جميل صليبا أنه قد نذر نفسه للفلسفة فهو منذ قرابة أربعين عاماً ما انفك يعلمها ، ويدرس قديماً وحديثاً ، ويحقق بعض ذخائرها وكنوزها ، ويضع معجماً لفرداتها ، وينقل إلى العربية بعض روائعها الغربية ، بأسلوب عربي مشرق أصيل ، نبتت أصوله في مكتب عنبر ، واخضرت غصونه وفروعه مع طول مصاحبة كتب الأمهات . وهو حين علّم وحقق ألف ونقل ، المثال الذي يحتذى ، والأسوة التي تقتفى . فمن استمع إلى دروسه وهي في فجرها المبكر ، رأى عليها مسحة من الأدب ظاهرة ، وطلاوة تتبع من حسن اختيار الألفاظ ، وضم الكلمة إلى أختها ، ومن حسن التوفيق في الجمل والتراكيب . وطلابه الأولون يذكرون أنه لم يعلمهم الفلسفة ليس غير ، ولم يلقيهم مذاهبها وفروعها ، شرقياً وغربياً ، وما حفلت به كتب القدامى والمحدثين من مناقشات ومساجلات وردود ليس غير ، وإنما أخذوا عنه كذلك أدباً ولفظاً ، ولقد كان يؤكد لطلابه دوماً الصلة الوثيقة بين الفلسفة والأدب فيقول : الأدب يتوّج الفلسفة ، ولهذا لم أعجب حيناً أهدى إلي كتابه الأدبي الأول عام ١٩٥٨ الذي سماه (الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث) ، ولم أسأل نفسي : ما لهذا الإخصائي في الفلسفة بغير على الأدب ، فيبحث عن تأثير الاتجاهات الفكرية فيه ؟ فلقد كان جميل صليبا دوماً فيلسوفاً أدبياً ، وأدبياً فيلسوفاً .

كذلك لم أعجب يوم أهدى إليّ كتابه الجديد (اتجاهات النقد الحديث في سورية وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في هذا العام (١٩٦٩) على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، التابع للجامعة الدول العربية . فالتقد من الأدب ، ولم نعرف في أدبنا العربي عصرًا من العصور خلا من النقد ، منذ أن قام سوق عكاظ وجلس فيه مقنم من الشعراء ، حكماً بين الشعراء ، إلى يومنا هذا . فمن حق جميل صليبا الأديب الفيلسوف أن يبحث في النقد الحديث واتجاهاته في سورية ، ولا جناح عليه في أن يخوض ميدان الفن الذي يتوج اختصاصه .

قم أستاذنا المؤلف كتابه إلى اثني عشر فصلاً وخاتمة .

فتناول في الفصل الأول ركود الأدب في سورية خلال العهد العثماني ، وحالة الأدب في سورية خلال الحكم العربي ثم خلال الانتداب الفرنسي ، ثم خلال عهد الاستقلال ، وعوامل الإنتاج الأدبي وتأثيرها في النقد ، والمحافظون والمجددون .

وتناول في الفصل الثاني : رواد النقد الأدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي الفصل الثالث : النقد اللغوي : المحافظون المتشددون ، وفي الفصل الرابع : المحافظون المعتدلون ، وفي الفصل الخامس : طلائع التجديد في النقد ، وفي الفصل السادس : تحرير الأسلوب العربي من العيوب التي علقته به في عصور الانحطاط ، وفي الفصل السابع : الثورة على الأدب التقليدي ، تحطيم الأصنام ، وعقد في الفصل الثامن فصلاً سماه : من النقد البياني إلى النقد التحليلي ، وفي الفصل التاسع فصلاً سماه : بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، وبحث في الفصل العاشر : نقد

أنواع الأدب ، وفي الفصل الحادي عشر : مذهب الالتزام ، وفي الفصل الثاني عشر : مذهبه في النقد . وأنهى الكتاب بالخاتمة .

ومن المسير أن نبحث في هذه الكلمة مضامين العناوين التي أوردناها فيما سبق ، فالكتاب يقع في (٢٦٦) صفحة من القطع المتوسط وحسبنا أن نلم ببعض المواضيع التي رزى أنها تستحق البحث ، لنعطي صورة قريبة من الوضوح عن هذا الأثر القيم الذي قدمه أستاذنا الدكتور صليبا إلى المكتبة العربية .

فالكتاب كما ترى من تعداد فصوله يغلب عليه الترتيب المنطقي ، فهو يتدرج منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، وهو يبدأ بالمحافظين المتشدين ، وينتهي بالمتحررين والملتزمين ، وليس بدءاً في التأليف أن يأتي كتاب من علم المنطق أربعة عقود منطقي الترتيب .

وعلى الرغم من أن أستاذنا قد غاص في الأدب والنقد واللغة فإنه لم يستطع التحرر في بعض مواضيع الكتاب من أسلوب الفلاسفة وتعاييرهم وألفاظهم ، فقد غلبت عليه أحياناً بشكل واضح ، كقوله (ص ٢٥١) :

« قيل إن بين النقد والعلم فرقاً كبيراً ، لأن العلم ينظر في الأشياء للكشف عن القوانين الطبيعية التي تضبطها ، والنقد ينظر في قيم هذه الأشياء . وإذا كان النقد مؤلفاً من أحكام إنشائية أو تقديرية تفاضل بين قيم الأشياء ، بحسب قربها من المثل العليا أو بعدها عنها ، فإن العلم مؤلف من أحكام خبرية أو وجودية تعبر عما هو كائن بالفعل . وإذا علمت أن ما يكتبه الكاتب أو يصوره الفنان أو يقوله العالم أو الفيلسوف يرجع في النهاية إلى أحكام خبرية أو إنشائية ، علمت أن حكم الناقد على قيمة هذه الأحكام كلها ليس حكماً بسيطاً ، وإنما هو حكم مركب أي حكم على حكم . »

فإذا كان النقد « حكماً على حكم » كما قرر أستاذنا المؤلف ، فإن كتابه لم يخل من هذه القاعدة ، فكثيراً ما أصدر « حكماً على حكم » ، أو إن شئت « نقداً على نقد » . ولنضرب على ذلك مثلاً واحداً فهو من جهة شديد الإعجاب بالأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، يقول عنه بعموض الرد على أحمد شاكر الكرمي (ص ١٣٧ - ١٣٨) : « فمحمد كرد علي الذي تربع في دست الوظيفة لم تخدم شعلة مواهبه ، بل ترك الكتابة في الجريدة وانصرف إلى الكتابة العلمية والأدبية ، ونشر خطط الشام والإسلام والحضارة العربية ، وأقوالنا وأفعالنا ، وكنوز الأجداد ، والمذكرات وغيرها ، حتى صار — بما قبسه من الثقافة العربية والثقافة الغربية . قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام ، ويمد أسلوبه الأدبي من الأساليب البليغة الواضحة في غير تصنع ولا إفراط » . إلا أن قائد الحركة الأدبية ليس في نجوة من نقد أستاذنا المؤلف كقوله عنه : « وبلغ من ضعف ملكته الموسيقية أنه كان يستعين ببعض أصدقائه على ضبط أوزان الأشعار التي يستشهد بها في مقالاته » .

ويشير أستاذنا المؤلف إلى نقد قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام لكتاب قواعد التحديث الذي ألفه جمال الدين القاسمي (ص ١١٩) ، وينقل قوله في مؤلفه : « إنه ينقل عن مجلات غاضاً من ذكر أسمائها ترفعاً ، وأنه يقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره ، وأنه من العلماء المشهورين الكثيرين من التأليف على هذه الطريقة في الجمع والنقل وأنه آخر من جرى على تلك الطريقة التي ضعفت فيها ملكة التأليف ، فاكتمى في أكثر تأليفه بسط آراء غيره » ثم يشير إلى المساجلة التي جرت بين شكيب أرسلان ومحمد كرد علي حول هذا الموضوع ، ويعلق على رأي كرد علي بقوله (ص ١٢٢) :

« وإذا عدنا الآن إلى رأيه في طريقة النقل والجمع ، قلنا : انه لم يسلم هو نفسه من اتباع هذه الطريقة في بعض تأليفه ، فإن تراجع بعض الرجال الذين ذكرهم في كتاب كنوز الأجداد لا تختلف عن تراجع ابن خلكان والبيهي والقفطي وابن أبي أصيبعة إلا قليلاً » .

ويتضح إنصاف أستاذنا المؤلف ، وغيرته على الجمع ، في رده على سامي الكيالبي الذي اتهمه بأنه (ص ١٦٤) : « كان يضم الكثير من الأطباء ولكنهم كانوا يحاولون إتقاده بطب إن سينا لا بطب باسطور ... ولم يستطع أن يخطو أي خطوة في تطور الأدب » . فيقول : « وفي هذا القول حيدة عن الطريق ، لأن الجامع اللغوي لم تنشأ لتطور الأدب ، بل أنشئت للحفاظ على سلامة اللغة ونقاوتها وتطوير ألفاظها حتى تصبح صالحة للتعبير عن حاجات العصر ... ويكفي الجمع العلمي شرفاً أن يعمل على صيانة اللغة ، وتطوير ألفاظها ، ونقد أساليبها ... » .

وفي فصل « الثورة على الأدب التقليدي — تحطيم الأصنام » الذي اتخذ له أغودجاً مآثره أحمد شاكر الكرمي ، يحلل الأسباب التي دعت إلى هذه الثورة « التي أرادت أن تطور الأدب ، وأن تنهض به ، وأن تبث الحياة فيما ركده منه ، ولكن بشرط المحافظة على الفصحى ، وعلى اللغة وقواعدها ، « لأنها من أهم أركان الأدب » ، وتبين نصرة أستاذنا المؤلف لهذه الثورة بما نقل من أقوال الكرمي ، وبالقتطعات التي اختارها . مثال ذلك قول الكرمي (ص ١٤٦) :

« أول ما يجب الشروع به لحياء الآداب العربية هو القضاء على العجمة الأجنبية ، واجتثاث أصولها ، وإفصائها عن الناشئين جهد المستطاع : لكي لا تعلق بأذهانهم فففسد ملكاتهم . » .

وأحمد شاكر الكرمي الذي يهملون شأن اللغة بالتمردين ، ويقول عنهم (ص ١٤٧) : تصنف في رؤوسهم عاصفة الطموح ، وتدب في عروقهم حمى الطمع في الشهرة وبعد الصيت ، فيندفعون إلى الكتابة دون تعلم قواعدها ، فيشوّهون وجه الأدب بالجراثيم التي ينفثونها ، والجراثيم التي يبتثونها . . .

ولهذا فإن أستاذنا المؤلف يحكم على الكرمي هذا الحكم النصف الجليل (ص ١٥١) :

« وإذا أضفنا إلى ذلك كل ما عرفناه من حماسته وإخلاصه وصدقه وعدالته أمكننا أن نقول أن ذلك النجم المتوقد كان لا يزال في دور التكوين يوم أدركه الاحتراق » .

وكما يبدو أن أستاذنا المؤلف كان نصيراً لثورة الكرمي فإنه يبدو أيضاً أنه كان رقيقاً بأصحاب المذهب الحر وبدعة مذهب الالتزام ، وعلى الرغم من أنه قد عرض آراء الواقعيين والمخالفين ، فإن عرضه كان مجرداً ، ولم يصدر فيه « حكماً على حكم » .

وليس هنا مجال بحث البدعة التي استحدثوها ، وزعموا أنها تحرير للشعر من الوزن والقافية ومن كل قواعده « عمود الشعر » التي أشار إليها الأقدمون ، منهم المرزوقي في مقدمة شرحه لمجاسة أبي تمام . وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن هذا المذهب إذا كتب له البقاء ، وهذا الحال ، فيمكن أن يكون كل شيء إلا الشعر .

وأما ماسمونه « الالتزام » فهو أيضاً بدعة جديدة منكورة ، لا يمكن أن تستقيم في أي زمان أو مكان .

لو عدت إلى أقوال أصحابها لوجدت فيها برقاً خلاباً ، وسراباً بقيمة يحسبه الظلمآن ماءً ، ذلك بأن نصرة الأمانى الوطنية ، والتحدث عن المآسى الاجتماعية ، والنكبات القومية ، أمور قد التزمها الشعراء والأدباء في سورية ، في جميع العصور ، وفي العصر الحديث خاصة ، من غير إلزام وإنما دفهم إليها شعور قومي عميق صادق ، وحس دافق يتألم لأرزاء المجتمع ، وجراح نازقة لما حل بأرض الوطن من النكبات . ولا أدل على ذلك من مجموعة القصائد التي قُلت في الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) التي جمعها الأستاذ عبد الدين الخطيب في كتاب سماه «ديوان الثورة» . هذا الديوان لم يوح به مذهب سياسي معين ، ولا أملاء تسخير لقرائح الشعراء ، ولم يستلهم أصحابه قصائدهم إلا من وحي وجداناتهم . ولا ريب عندي في أن الذين يتحدثون عن «الالتزام» إنما ينظرون من وراء الأفق إلى ردة «باسترناك» فيما زعموا .

وخلاصة القول فإن الكتاب الذي بين أيدينا يمكن أن يوصف بأنه جديد في موضوعه وفي أسلوبه ، وهو من خير الدراسات الملهمة الرصينة التي ينبغي أن يحرص عليها المتأدبون الناشئون ، وأن ترين بها مكتبات العلماء والأدباء والنقاد .

طاهر القاسمي

ضهور الشوير (لبنان)



دراسات في فقه اللغة

تأليف الدكتور صبحي الصالح

طبعة دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٨ (الطبعة الثالثة)

الأستاذ الدكتور صبحي الصالح علم من أعلام التأليف في دنيا العرب . عرفناه أول ما عرفناه في كتابه (مباحث في علوم القرآن) الذي أصدره سنة ١٩٥٨ ، ثم في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) الذي أصدره سنة ١٩٥٩ ، ثم في كتابه (دراسات في فقه اللغة) الذي أصدره سنة ١٩٦٠ . وقد صدرت هذه الكتب جميعاً أول مرة في دمشق حين كان المؤلف أستاذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق .

وسرعان ما عرفت هذه الكتب ، ولقيت عناية فائقة من الدارسين والباحثين ، كما طارت شهرتها بين طلبة الجامعات العربية خاصة . ثم تناعت طبعاتها لذلك ، حتى صدرت الطبعة الثالثة من كتاب (دراسات في فقه اللغة) في السنة الماضية منقحاً ، ومزيداً فيه بمبحثان جديداً كما يقول المؤلف (١) .

وهذا الكتاب الأخير هو الذي يميننا في هذه الكلمة العجلى . وهو كتاب قيم قويم ، أقامه المؤلف على أصول الدروس التي كان يلقها على طلابه في كلية الآداب بجامعة دمشق .

أجاد الدكتور صبحي تأليف هذا الكتاب وتبويبه ، وأحسن فيه دراسة كثير من خصائص العربية ومسائلها وقضاياها التي تدارسها علماءنا في القديم والحديث ، مثل مسألة اللهجات العربية القديمة وأثرها في تكوين العربية

(١) انظر مقدمة المؤلف للطبعة الثالثة ص ٥ — ٦ .

الفصحى ، ونقل اللغة وتدوينها ، ومثل ظاهرة الإعراب ، ومسألة الاشتقاق وأنواعه المختلفة ، ومسألة الدخيل وتعريب الألفاظ الأجنبية ، ثم المشكلات التي تواجهها العربية في العصر الحديث ولا سيما مشكلة المصطلحات العلمية ، وغيرها من قضايا العربية .

وكلها قضايا معروفة ، بحث فيها العلماء من العرب والمستشرقين ، وأبدؤوا فيها القول وأعادوا في أبحاث ومقالات متفرقة في كتب وصحف دورية كثيرة . ولكننا لم نرها مرتبة مجموعة معروضة معاً بين دفتي كتاب قبل أن يصدر الدكتور صبحي كتابه هذا . فهو لذلك يعد فريداً ، لا صنو له في بابيه . وهذا إلى بيان عربي أصيل جميل ، ولغة صحيحة فصيحة ، طبع عليها الدكتور صبحي ، فتجلت في كتبه جميعاً . ومن وراء هذا البيان الجليل واللغة الفصيحة حماسة ظاهرة للغة الضاد ، وإشادة دائمة بأصالتها وعبقريتها في القديم والحديث . ومنشأ هذه الحماسة حب للعريسة خالص ، يمتلك نفس الدكتور صبحي ، ويجعله دائماً راضياً عمن يحب ، مستحسناً لأحواله جميعاً . وهو على حق لا ينكر ولا يدفع في حبه الكريم هذا ، والموقف النبيل الذي يؤدي إليه . ولقد أوتينا مثله حظاً وافراً من هذا الحب ملائلي عمرنا ، واستنفد منا طاقة الشباب العالي .

ولا يمكننا هنا أن نوفي القول في هذا الكتاب القيم . وغابتنا القصوى هو التعريف به والإشارة إلى قيمته وحسب . وقيمة الكتاب الأساسية كائنه ، كما نرى ، في براعة المؤلف في رسم العالم الكبرى في طريق الباحثين في كثير من قضايا العربية التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً ، مثل قوله في كلامه على قضية اللهجات العربية القديمة : « هذه خلاصة الفوارق الرئيسة بين لهجتي تميم والحجاز ، رأينا من خلال عرضها أننا من تميم أمام لهجة

خاصة قائمة بذاتها ، لها خصائصها ومميزاتها . وعسى أن نكون قد استنتجنا من معرفتنا لذلك أن لهجة تميم قد أمدت العربية الفصحى بروافد غنية غزيرة ، ساعدت على استقرار نحوها وصرفها ، وسعة اشتقاقها ، وبعد دلالاتها ، وانسباط مدرجها الصوتي ، وحياة عدد كبير من مفرداتها . فإذا أردنا أن نتنقل إلى دراسة خصائص العربية ومميزاتها كان لزاماً علينا أن نفهم لدى أول خطوة نخطوها حتى آخر نتيجة نعطيها أن تيمماً تشارك قريباً بنصيب كبير من هذه الخصائص ، وأن إغفال دور تميم في هذا إنما هو تهاون بجزء لا يتجزأ من لغتنا العربية الفصحى^(١) .

وهذا حق مبين ، وهو أيضاً تخطيط وجيز دقيق لدراسة لهجة تميم ، وبيان أثرها في تكوين العربية الفصحى . ومثل هذا كثير في الكتاب .

ولنا بعد كلمة أخيرة نحب إسماعها ، وهي أن المؤلف الكريم قد صرف أكبر همه إلى بعض قضايا العربية دون بعضها . فقد أولى الاشتقاق وأنواعه مثلاً عناية خاصة ، وبذل في بحثها جهداً جاهداً ، على حين -مرء مرأ سريماً بقضايا أخرى مثل مسألة الترادف ، والمشارك في اللفظ ، أو ما اتفق لفظه واختلف معناه كما يسميه القدماء ، ومثل مسألة الأضداد . وهي كلها لا تقل أهمية عن مسألة الاشتقاق ، بل تفوق في أهميتها مسألة مناسبة حروف العربية لمعانيها من مباحث الكتاب . وهي في الدراسات اللغوية أقرب إلى مسائل ما وراء الطبيعة في الدراسات الفلسفية .

ونحن في انتظار مزيد من الخير من الدكتور صبحي ، وهو أهل لذلك . قواه الله ولقائه برأساً .

الدكتور عزيزة حسن



(١) انظر ص ١٠٣ — ١٠٤ من الكتاب .

المورد

قاموس إنكليزي عربي

تأليف منير البعلبكي

كتب منير البعلبكي في صدر مقدمته لمعجمه المورد (١) أن مؤلفه كان ثمرة عمل متواصل طوال سبع سنوات أنفقها في تأليفه وطبعه ، وجاء في ثبوت المراجع التي اعتمدت في تأليف هذا المعجم أن معجم وبستر الجامعي السابع المطبوع في الولايات المتحدة الأميركية في عام ١٩٦٥ كان في جملة هذه المراجع . وقد تصفحت معجم وبستر المنوه عنه ، وأنا أتصفح هذا المعجم في كل يوم تقريباً منذ صدوره ، فإذا بأصحابه يدونون على غلافه أنه نتيجة خبرة تنيف مدتها على القرن . أفلا يحق لنا إذن أن نأخذ من ذلك أن معجم البعلبكي الذي هو وليد معجم وبستر أشهر معاجم العالم الأنكلو أميركي على الإطلاق ، إنما هو ثمرة عمل وجهد وخبرة يزيد أمدتها على قرن كامل .

وكم كان إعجابي شديداً بقاموس المورد ، وبرسوخ قدم صاحبه في اللغتين العربية والإنكليزية لدى قراءتي مقدمة القاموس التي سماها المؤلف تصديراً . وكنت قرأت فيما سبق لأحد الكتيبة التأخرين مقالاً كتبه عن اللغوي والمحقق المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي ، فقد قال هذا الكاتب في ممرض وصفه لشرح ديوان المتنبي الذي وضعه اليازجي ، وللدراسة المستفيضة التي كتبها اليازجي عن المتنبي وجعلها ذيلاً لشرح الديوان د لو لم

(١) صدر هذا المعجم عن دار العلم في بيروت وأخرج طبعه على المطابع الأهلية اللبنانية في عام ١٩٦٧ .

يكن لليازجي غير هذه الدراسة لكفى بها دليلاً على علو كعبه في اللغة العربية وآدابها ، وأنا أقول ، وأراني على حق فيما أقول ، لو لم يكن لمير البعلبكي غير هذا التصدير الذي مهّد به لقاموسه لكفى به شاهداً على بلاغة صاحبه وتمكنه من اللغتين العربية والإنكليزية .

وكم كان إعجابي شديداً أيضاً بقاموس المورد لدى ما علمته من تصديره أن عدد مفرداته أو موادّه entries كما سماها المؤلف ، لا يقل عن مائة ألف مادة . فذكرت بعد علمي بذلك أن المعجم الانكليزي العربي المدرسي الذي وضع بين أيدينا خلال سنوات الدراسة الابتدائية والثانوية في المدارس الأميركية في لبنان ، وهو قاموس ابكاربوس (١) ، لم يكن يزيد عدد مفرداته على ٢٥ ألف مفرداً ، وقلت في نفسي ما أوفر حظ المثقف العربي — وقل الطالب العربي على الأقل — في هذا العصر حين يتاح له في دراسته اللغة الإنكليزية أن يستعين بقاموس البعلبكي الكبير ، عوضاً عن قاموس ابكاربوس الصغير ، وكم كنت أشعر بالحيرة في دراستي للجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضية حين اضطراري على مراجعة قاموس ابكاربوس للفتيش عن المعنى العربي لإحدى الألفاظ الإنكليزية ، فلا أجد فيه غير المعاني البعيدة عن المعنى الذي افترض عنه ، أو لا أجد اللفظة المطلوبة بين ألفاظه فلا أرى بداً إذ ذاك من مراجعة معجم وبستر للفتيش عن ضالتي المنشودة فإذا وجدت اللفظة المطلوبة وعثرت بين معانيها على المعنى الذي أريده ، وهذه المعاني قد تكون في بعض الأحيان كثيرة تحتاج في قراءتها وفهمها إلى الوقت والدأب ، لرحت بعد ذلك افترض عن اللفظة العربية المقابلة لمعنى اللفظة الإنكليزية الذي وثقت في العثور عليه ، وإنما كان الفتيش كما هو واضح ، فيما كانت تميه حافظتي من المفردات العربية ، وجل هذه المفردات

(١) طبع هذا القاموس لأول مرة في المطبعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٠٣ .

مقتبس من كتابات بعض مشاهير المتأخرين من أمثال جرجي زيدان وفرح أنطون وجبران والريحاني وطانيوس عبده وسوام .

وعلى ذلك فاني بعد هذا البيان الذي يجاو حقيقة الدراسة للغة الإنكليزية في الحتبة الممتدة من أول الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية لايسعني إلا أن أغبط دارسي اللغة الإنكليزية في هذه الآونة ، وبخاصة الطلاب الجامعيين الذين يدرسون اللغة الإنكليزية وآدابها ، لأن لديهم سغراً مطولاً هو معجم البعلبكي يستطيعون الرجوع إليه لتقصي المعاني العربية لمعظم الألفاظ الإنكليزية التي تعترضهم خلال الدراسة ، بدون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الرجوع إلى المعاجم الأميركية أو الإنكليزية . وإني إذ أغبط المثقفين والطلاب لأن لديهم مرجعاً غزير المادة يستطيعون اعتماده في تعلمهم الفلسفة الإنكليزية ، لأغبط أيضاً لأنني في كل يوم تقريباً أقلب صفحات هذا المعجم لاستقصاء المعاني العربية أو للتحقيق في المعاني العربية التي قد أجدني في حاجة إليها خلال الترجمة من الإنكليزية إلى العربية .

غير أنني شأن كل باحث مدقق ، وزولاً عند رغبة المؤلف ببدء ما يخطر للعراجع من الملاحظات على منهج تأليف المعجم وعلى ما بين دفتيه من الثروة اللغوية استطيع المؤلف عذراً إذا أنا أبديت له الملاحظات التالية :

١ — كثيراً ما يلجئ المؤلف آل التعريف بالأسماء الموصوفة وربما كان ذلك تمييزاً لها عن الصفات ، فهو في الصفحة الأولى من المورد يورد لفظة « الحِطَار » بآل التعريف لمقابلة لفظة abatis الإنكليزية ، وبمدها بلفظة واحدة يذكر لفظي « مَجْزَر » ، « مَسْلُخ » بدون آل التعريف لمقابلة لفظة abattoir ، فهو إذن في إيراد الأسماء الموصوفة ، يهمل آل التعريف أحياناً ويلحقها بها أحياناً بدون أن يكون لذلك سبب هام يقتضي هذا الإلحاق . وحيداً لو تخلي

عن آل التعريف تخلياً تاماً جريباً على المنهج المتبع في معجم اسكاربوس ومعجم الأب بلو اليسوعي ، وهو معجم فرنسي عربي ، ومعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لمؤلفيه الأساتذة خاطر وخياط والكواكي وهذا أيضاً فرنسي عربي ، إلا في أحوال خاصة يفضل فيها تعريف الاسم بدلاً من بقائه بحالة التنكير . وليس بمنكر أن آل التعريف تلحق دوماً بالأسماء الموصوفة في المعاجم العربية وحتى بالصفات أيضاً ، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي دعت المؤلف إلى هذا اللاحق . ولكن الفرق جسيم بين التأليف في الحالة الواحدة وبينه في الحالة الثنائية ، لأن أسلوب التأليف في المعجم العربي يقتضي أن يكون الكلام في سياق واحد وأن تكون فقراته المتتابعة معطوفة إحداها على الأخرى فلا محالة من إلحاق آل التعريف حتى بالصفات . قال المعلم بطرس البستاني على الصفحة الأولى من قاموسه محيط المحيط « الأبواب الماء والسراب والأبواب معظم السيل والموج » . وقال أيضاً « الأبدية الداهية يبقى ذكرها أبداً ج أبداً وأبداً . والأوابد أيضاً الوحوش والقوافي الشررد . الأبد الدهر والدائم والقديم الأزلي والولد الذي أنت عليه سنة ج آباء وأبود » وهكذا إلى آخر صفحة من صفحات معجم البستاني وإلى آخر مفرد من مفرداته .

وعلى نقيض ذلك فإن مؤلفي المعجم الطبي المذكور آنفاً أسقطوا آل التعريف من كل الأسماء الواردة في المعجم فقالوا عضلة لمقابلة كلمة *muscle* وقالوا عضلة صدغية في ترجمة *muscle temporal* بدون آل التعريف ولم يقولوا العضلة الصدغية بأل التعريف مع أن اسم هذه العضلة خاص بها دون سواها من العضلات فهو أخرى باستلحاق آل التعريف من كلمة عضلة ذات المعنى العام أو الدلالة العامة .

٢ - ويصطلح المؤلف في ترجمة الأفعال على صيغة المضارع بدلا من الماضي الذي هو الأصل في بناء الفعل وهو الصيغة الأصلية التي تقابل صيغة الـ infinitive في اللغة الانكليزية وسواها . فهو يقول على الصفحة الأولى في ترجمة كلمة abandon « يتنازل عن ، يهجر ، يترك الخ . . » وربما كان الأفضل ما جرى عليه مؤلفو المعاجم الأخرى الانكليزية العربية والفرنسية العربية من استعمال صيغة الماضي لمقابلة الأفعال ، وربما كان الأفضل من هذا وذاك أيضاً استعمال الماضي والمضارع معاً مع الاهتمام بثبات حركة عين الفعل في كلتا الصيغتين لما لهذه الحركة من الشأن في تصويب التلفظ بالأفعال .

٣ - أما بشأن البواديء التي تدخل على الألفاظ الانكليزية فيمكن أن نقسم قسمين هما البواديء بخاصة prefixes وهذه تكون عادة من الحروف أو الظروف اللاتينية أو اليونانية نحو البواديء في الكلمات abduct أي أبعدَ و abscess أي خراج و subcutaneous أي تحت الجلد الخ ... والقسم الثاني هو الصيغ التركيبية combining forms وهذه تكون عادة من الأسماء اللاتينية أو اليونانية نظير الجزء الأول من الكلمتين oropharynx أي البلعوم الفموي و nasopharynx أي البلعوم الأنفي . غير أن مؤلف المورد لا يفرق بين هذه الصيغ فهو يسميها جميعاً بواديء (الصفحتان ١٩٤ و ٧١٨ من المورد) وهب أن تسميتها كذلك جائزة ، فما فعل حين تترسنا كلمة مركبة من ثلاثة أجزاء مثل sternocleidomastoid أي العضلة القصية الترقوية الخشائية وماذا نسمي جزءها الثاني أي -cleido- الذي لا يمكن اعتباره بادئة لأنه الجزء المتوسط من الكلمة فلا هو بادئة ولا هو لاحقة . لذلك نرى أن الأفضل في التفريق بين هذه الألفاظ المستعملة في

بناء الكلمات المركبة أن نسمي ما كان منها من قبيل الأسماء بالصيغ التركيبية أي بترجمة اسمها حرفياً عن الانكليزية ، وأن يقتصر في إطلاق كلمة البادئة على الأدوات والحروف والظروف وما أشبهه .

٤ - وفي المعجم الكثير من الألفاظ العربية كلفظة لسقوبة التي عربت بها لفظة succubus ولفظة السككتاش لمقابلة لفظة succotash والصنقرة أو السنقرة لمقابلة sandpaper أو emery paper وغير ذلك . ولني أظن أنه لا حاجة إلى أمثال هذه المترجمات إذ أن الناس يتعذر عليهم الاقبال على استعمالها فلا ينقضي عليها بعض الوقت حتى تعود من الألفاظ المأثمة . وقد عرب المجمع العلمي العربي بدمشق فيما مضى كلمة chocolate بكلمة شكولات على وزن فعُولات فهل استعمل الناس اللفظة العربية في الكلام أو الكتابة ، إنهم لا يزالون يقولون ويكتبون شوكولا أو شكولاته أو شكولاتا أو ما اقترب من هذه الكلمات في هجائه ولفظه .

٥ - ثم إن في بعض ألفاظ المعجم العربية شيئاً من نقص الإيضاح أو عدم التفريق فيما يرمز إليه من المعاني الانكليزية فكلمة solder الفعل ترجمت بكلمة « يَلْدَحُم » ، وكذلك كلمة weld ، مع أن هناك فرقاً بين اللفظتين إذ أن الأولى تفيد معنى وصل قطعتي المعدن بالليحام والثانية تفيد معنى وصلها بالحرارة وبدون وساطة اللحام ، فلا بد إذن من التفريق بين المعنى الانكليزي لكل من اللفظتين فيما يقابله بالعربية .

٦ - وقد يكون في المعجم قليل أو كثير من الأخطاء في اللغة العربية نفسها ، فقد جاء على صفحة ٤٦٠ في ترجمة Indian club ما نصه « أداة خشبية قارورية الشكل يَتَرَيِّضُ بها » والصواب يَتَرَوِّضُ لأن الفعل راض واوي وليس في صيغة المضارع المجهول يَتَرَوِّضُ شيء من الاستقـال لقلب الواو ياء . وجاء على صفحة ٢٤٨ في ترجمة كلمة dark « مظلم ، داكن ، قائم

الخ ... ، والصواب أدكن ومؤنثه دكناء لأن لفظة داكن على وزن فاعل لم ترد فيما اطلعت عليه من المعاجم العربية (محيط المحيط للبستاني صفحة ٦٦٩). ثم إن المؤلف يقول على الصفحة ٦٥ من المعجم في إيضاح التعبير artificial horizon «حين يتعذر عليهم رؤية الأفق الحقيقي» ، والصواب تعذر لأن الفاعل رؤية مؤنث . ويقول على نفس الصفحة في تعريفه اللغة الآرية : اللغة التي تحدثت منها معظم اللغات الأوروبية واشتقت منها معظم اللغات الأوربية ، والصواب تحدثر واشتقت لأن فاعل تحدثر مذكر وكذلك نائب فاعل اشتقت .

٧ -- وقد يذكر مؤلف الورد القليل أو الكثير من الألفاظ الدامية لمقابلة نظائرها الانكليزية مع وجود مايقوم مقامها من الألفاظ الفصيحة فهو يستعمل كلمة غامق لمقابلة كلمة deep وفانح لمقابلة كلمة light مع أن الكلمتين عاميتان ، وقد استعمل الشيخ إبراهيم اليازجي كلمة مشبع لترجمة كلمة deep وكذلك فعل الأب بلو في معجمه الفرنسي العربي فذكر كلمة مشبع لمقابلة كلمة foncé التي لها نفس المعنى .

وذكر صاحب المورد كلمة مستديم في ترجمة كلمة constant وهي عامية في هذا الاستعمال وفي المحيط استدأم اللزوم غير ثابت عند العرب لأنه مستعدي ومعناه طلب دوامه ولا يعني دام . لذلك كانت الأصوب ترجمة كلمة constant بالدائم أو الوجود بصورة دائمة .

على أني فيما يتعلق بالتنبيه على الخطأ اللزوم لاستعمال لفظة مستديم ، لا أخال أنها ستستعمل على وجهها الصحيح بل إن استعمالها كفعل لازم سيستمر إلى ما شاء الله لأنها كالفعل تَبَقَّى الذي تعدد كتب متن اللغة فعلاً متعدياً في حين أن أكثر الناس لا يستعملونه إلا فعلاً لازماً فيقولون

ماتَّبَعْنِي من الشيء أي بقي والشيءُ الْمُتَّبَعِي أي الباقي حتى أن صاحب المورد نفسه أثبت كلمة مُتَّبَعٍ لمقابلة كلمة residual التي تفضل ترجمتها بالباقي . والغريب في أمر هذه الألفاظ التي شاع استعمالها الخاطيء حتى ظننى على استعمالها الصحيح أنه ما من وسيلة يمكن التوصل بها لحد الكتاب وسوام على اجتناب الخطأ في استعمالها . خذ مثلاً آخر على ذلك لفظة استهدف اللزوم فإنها تعني أصبح هدفاً أو غرضاً يرمى ومنه قولهم من صَنَّفَ فقد استهدف أي أصبح هدفاً للنقد . ومنه قول ابن الفارض :

ولقد أقولُ لمن تحرَّشَ بالهوى عرَّضتَ نفسك للبلا فاستهدفِ

أي اجعل نفسك هدفاً . أما الاستعمال الشائع فيعدي الفعل وهذا الفعل ويجعل معناه رمى هدفاً مُعَيَّناً أو رمى نحو هدفٍ معيَّن فيقولون مثلاً أن هذه الخطئة تستهدف إصلاح هذا الأمر ، وما إلى ذلك . فإذا نحن نسبنا على هذا الخطأ فلا اخل أننا نستطيع إصلاحه ما دامت إذاعات العالم العربي وغير العربي قاطبة وربعاً معظم جرائمه أيضاً تجعل الفعل استهدف فعلاً متعدياً وتستعمله بهذا المعنى الخاطيء .

٨ — ثم إن في تعريفات بعض المصطلحات الطبية والبيولوجية شيئاً من النقص مثال ذلك لفظة antibiosis فقد ورد ما يقابلها بالعريية كما يلي والتضادِّيَّة : تضادٌّ بين مُتَعَضِّيَّيْن يؤدي إلى إتلاف أحدهما . وقد جاء في معجم دورلند الطبي^(١) ما معناه :

وأن antibiosis هي bacterial antagonism أي التضاد الجراثيمي وهو عبارة عن اجتماع المُتَعَضِّيَّيْن متلفٍ أو مؤذٍ لأحدهما أو لهما معاً . ومن ناحية

(١) الطبعة الرابعة والعشرون الصادرة عن شركة سوندرز للنشر والطباعة في فيلادلفيا سنة ١٩٦٥ .

ثانية فقد جاء في المورد أن antagonism هي بالمعنى الطبي أو البيولوجي التصادم ، فلماذا نترجم اللفظة الأولى بالتضادية بقاء النسبة وتاء المصدرية ، ونترجم اللفظة الثانية المرادفة antagonism بالتضاد بدون الياء والتاء .

وقد اعتبر المورد بعض الألفاظ الطبية أسماء في حين أنها قد تكون أسماء nouns وصفات adjectives في آن واحد مثل anticoagulant أي مانع التخثر فقد جعلها المورد اسماً فحسب مع أن معجم دورلند الطبي يذكر أن اللفظة تعني مانع التخثر أي أنها تكون صفة وتعني أيضاً المادة مانعة التخثر أي إنها تكون اسماً . والغريب أن صاحب المورد لم يغفل نسبة الإسمية والوصفية إلى بعض المصطلحات الأخرى الطبية نظير antiseptic أي مانع العفونة و antipyretic أي مانع الحمى فقد اعتبرها أسماء وصفات في آن معاً ، وذلك على حد ما جاء في معجم دورلند الطبي وسواء من المعاجم الطبية وعلى حد ما ورد في معاجم متن اللغة الانكليزية .

٩ - وقد يضع مؤلف المورد في بعض الأحيان ألفاظاً عربية جديدة لمسميات انكليزية لها ما يقابلها بالعربية نظير لفظة 'مجتند الموضوعه لمقابلة كلمة arena التي تعني ساحة البراز أو حومة القتال أو حومة بدون إضافة . والطريف في هاتين اللفظتين الانكليزية arena والعربية حومة أن لفظة arena عنت في أصلها اللاتيني الرمل أو المكان الرمل ثم أطلقها الرومان على ساحة البراز لأن هذه كانت تفرش بالرمل ، وكذلك كلمة حومة فإن العرب استعملوها في بعض المركبات الإضافية فقالوا حومة البحر والرمل والقتال وغيره أي معظمه أو أشد موضع فيه . وهم يسمون موضع القتال حومة لأن الأقران يحومون حوله (محيط المحيط) .

وذكر صاحب المورد أن كلمة premolar وهي السن التي تلي الناب ، تقابلها كلمة قَبْطَاحِينَ العربية وهذه الأخيرة كما ترى منجوتة من كلتين هما قبل وطاحن لقابلة البادئة pre- المأخوذة من prae- اللاتينية ومعناها قبل ، وكلمة molar أي السن الطاحنة أو الرحى وهذه مأخوذة من mola اللاتينية أي حجر الرحى . غير أن العرب أطلقوا لفظة الضاحكة على السن التي تبدو عند الضحك ، أو السن التي تسلي الناب . وجاء في محيط المحيط الضاحكة مؤنث الضاحك وكل من تبدو عند الضحك أو السن التي بين الأنياب والأضراس وهي أربع ج ضواحك . وقال الأصمعي في الفهم الأسنان وهي اثنا عشر والرَّبَاعِيَّات والأنياب والضواحك والطواحن والأرحاء والنواجذ . ويقول الأصمعي وبلي الأنياب الضواحك وهي أربعة أضراس إلى كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك ثم تلي الضواحك الطواحن والأرحاء ثم تلي الأرحاء النواجذ . أما نحن في جامعة دمشق فقد اعتبرنا الأسنان التي تلي الأنساب ضواحك أولى first premolars وسمينا طواحن الأصمعي بالضواحك الثانية second premolars وذلك لما بين الضاحكة الأولى والثانية من التشابه في الملامح التشريحية حتى ليتعذر التفريق بينها أحياناً ، وأطلقنا اسم الأرحاء molars على الأسنان الثلاث الباقية وهي التي تلي الضواحك ، وسمينا أولاهما بالرحى الأولى first molar وثانيها بالرحى الثانية second molar وثالثها بالرحى الثالثة third molar وهذه الأخيرة هي الناجذ الذي ذكره الأصمعي . وقد سميناها رحى لأنها تحاكي أرحاء الأصمعي في أوصافها التشريحية وكل ذلك موافق للتسمية التي اصطلح عليها الفرنجة (١) . غير أننا احتفظنا بلفظة الناجذ مرادفة ضرر العقل

(١) معجم المصطلحات الطبية الذي وضعه اتحاد طب الأسنان الدولي وأصدره عن
لاهاي سنة ١٩٦٦ .

wisdom tooth المسمى كذلك عند الكثير من الأمم . وعليه وبمد هذا التفصيل التشريحي لا يبقى ثَمَّةٌ وجوب انحت كلمة جديدة هي القَبْطَاحِينَ هذا ناهيك من أن هذه الكلمة المنحوتة ثقبلة يجعها السمع فلا محالة من عدّها ميتة من يوم ولدت .

١٠ — وقد يعتمد صاحب المورد أحياناً — وهي أحيان قليلة جداً — إلى التعاريف الطويلة لشرح بعض المعاني أو بعض التعابير الاصطلاحية كما في ترجمته للتعبير الاصطلاحى rule out فقد ترجمه بمبارة صحيحة ولكنها طويلة حيث قال « يعلن أنه غير وارد أو لا مجال للبحث فيه » مع أنه قد يمكن الاستغناء عن هذا التعريف الطويل والاكتفاء بالفعل نفى أو استبعاد لا سيما وأن وبستر يرى أن التعبير rule out يرادفه الإعلان exclude أي استثنى و eliminate أي أخرج واستبعد .

١١ — ثم إن المؤلف قد أحسن كل الإحسان بإبراده الكثير من المصطلحات الطبية حتى ما استعمل منها في مختلف فواحي الاختصاص كلفظة bitewing الدالة على الفيلم الشعاعى المُجَتَّح الذي يستعمل بعد عَضِّ جناحه في تصوير تيجان الأسنان العلوية والسفلية في آن واحد . وقد أحسن المؤلف كل الإحسان أيضاً بإبراده للكثير من الألفاظ معانيها المستعملة في البحوث الطبية . وذلك عملٌ جليل النفع يفيد منه المشتغلون في ترجمة هذه البحوث . فهو يقول مثلاً إن من معاني لفظة invasive معنى طبي هو « توسمي » ، وبخاصة : زراعٌ إلى غزو الأنسجة السليمة ، ، ويستشهد على هذا المعنى بقوله invasive cancer cells . ولكنه على العكس من ذلك يسقط بعض المعاني الهامة التي يتوالى استعمالها في الكتابات الطبية مع أنها قد تكون في غاية البساطة مثل كلمة common الكثيرة الاستعمال في وصف درجة تفشي المرض فيقال مثلاً common disease أي مرض شائع ومألوف

أو كثير المصادفة والحدوث . وقد جاء في وبستر شرح هذا المعنى بقوله occurring or appearing frequently أي كثير الحدوث أو أنه يحدث أو يصادف غالباً وتكراراً . ومع ورود هذا المعنى في وبستر فإنه لم يرد بين معاني كلمة common في المورد .

ومن هذا القبيل أحد المعاني التي أوردها مؤلف المورد لمقابلة كلمة dull فقد ذكر أن من معاني هذه اللفظة المعنى « غير واضح » . وبما أن هذه اللفظة صفة يغلب استعمالها في وصف الألم فيقال dull pain فقد كان من المفيد أن يُعزَزَ المؤلفُ معنى عدم الوضوح بهذا الشاهد الذي يوصف به الألم بكونه مهماً أو عميقاً وغير واضح . وذلك ما جاء في معجم كلاريفيل الفرنسي الكثير اللغات ، وهو المعجم الذي نقله إلى العربية الأساتذة خاطر والخياط والكواكي والذي سبقت الإشارة إليه ، فقد قال المؤلف الفرنسي douleur sourde بالفرنسية بقابلها dull pain بالانكليزية . وكذلك فإن معجم لاروس الفرنسي الكثير التداول لم يغفل إيراد هذا الشاهد لوصف الألم مع أنه ليس بالمعجم الطبي فذكر بين معاني كلمة sourde المعنى الذي يوصف به الألم بالعمق والإبهام فقال douleur sourde .

ومن هذا القبيل أيضاً عدم إيضاح المعنى البيولوجي الذي يتضمنه الفعل اللازم break في الاستعمال الاصطلاحي break down فقد ذكر المؤلف أن من معانيه « يتحلل » أو « يُحَلَّل » مركباً كيميائياً ، في حين أنه ليس من الضروري أن يكون الجسم المنحل مركباً كيميائياً بل قد يكون أيضاً نسيجاً مرضياً فيقال إذ ذاك في وصف الآفة المنحلة أو المتجزأة the lesion breaks down أي أن نسيج الآفة يتجزأ أو يتَهَتَّم .

ومن المعاني الطبية التي تحسن الإشارة إليها بين معاني الكثير من كلمات المورد المعنى واقع في الجانبين أو مؤثر في الجانبين لمقابلة كلمة bilateral فقد

ذكر المؤلف جميع معاني هذه اللفظة خلا المعنى المتقدم مع أنه شائع الاستعمال في علمي التشريح والأمراض فيقال مثلاً *bilateral enlargement* أي ضخامة واقعة في الجانبين . وقد عبر وبستر عن هذا المعنى بقوله *affecting reciprocally two sides* أي مؤثر في جانبين متقابلين .

وعما سقط ذكره من المورد لفظة *stiffness* الاسم مع أن *stiff* الصفة المذكورة وأن من معانيها «جاسي» أو «صلب» . وعليه كان من الضروري أن تذكر كلمة *stiffness* التي تفيد من الوجهة الطبية معنى «جساءة العضو» أو صلابته ويؤسسه . وما يدعو إلى العجب أن مؤلف المورد أثبت لفظة *supraorbital* أي فوق الحجاج أو فوق المحجج وترجمها باللفظة المنحوتة «فومحججري» ، ولكنه أسقط من المعجم لفظة *infraorbital* التي تعني تحت الحجاج أو تحت المحجج مع أن هذه اللفظة الثانية لا تقل في كثرة استعمالها عن الأولى .

وما يشبه هذا السهو في التأليف أن صاحب المورد أثبت لفظة *polymer* ومشتقاتها ، وهي لفظة تطلق على المركب الكيميائي ذي الذرات المتأثرة أو المتضاعفة ، والوزن الذري المرتفع ، ولكنه أغفل اللفظة الشقيقة وهي لفظة *monomer* التي يسمى بها المركب الكيميائي ذو الذرات البسيطة أو غير المتضاعفة ، والوزن الذري المنخفض ، مع أن أول هذين المركبين يتكوّن عادة من اتحاد أو تماثر (تلمر كما يقول المؤلف) ذرات المركب الثاني (راجع معجم دورلند الطبي في مادتي *polymer* و *monomer*) .

ومن الألفاظ التي أشار المؤلف إلى معانيها العامة ولكنه أغفل الإشارة إلى معانيها الخاصة لفظة *artifact* (أصلها اللاتيني *artis facta* ويعني تأثير العمل الفني في الشيء المصنوع أو في مظهره) . فقد ذكر المؤلف من معاني

هذه اللفظة معنيين هما أولاً الشيء الدال على مهارة صانعه والثاني النتيجة الصناعية الناجمة عن عامل خارجي . غير أنه لم يُشر إلى المعنى المؤلف في الاستعمال الطبي والدال على الخطأ الحادث في التصنيع المخبري أو على التبديل الطارئ على نتيجة العمل المخبري . مثال ذلك المظهر الكاذب أو الخادع الذي يشاهد أحياناً في الصور الشعاعية أو المحضّرات النسيجية ، فإذا أعيد التصوير الشعاعي أو التصنيع المخبري بعد تعديل طريقة التصنيع أو بعد تغيير المواد المستعملة فيه ، لاختفى المظهر الخاطئ من الصور أو المحضّرات . وعليه فإن هذا المظهر الكاذب والطارئ على نتيجة العمل المخبري يشار إليه بالمعنى الخاص للفظـة artifact ، وهو المعنى الذي تذكره المعاجم الطبية ويهمله أكثر المعاجم المادية ومنها معجم المورد ومعجم وبستر الجامعي . وإنني أخال أن المؤلف في إغفاله المعنى الطبي لهذه اللفظة ذهب إلى ما ذهب إليه معجم وبستر الجامعي ، وكان الأحرى الاقتداء بمعجم وبستر الدولي الذي جمعه المؤلف في أعداد المراجع التي اعتمدها في تأليفه ، فقد أثبت هذا المعجم المعنى الطبي الخاص للفظـة artifact كما تفعل المعاجم الطبية .

وقد يقال رداً على كل ما جاء في هذه الملاحظة أن معجم المورد ليس بالمعجم الطبي لكي يثبت المعاني الطبية لجميع ما ورد فيه من المفردات ولكن الرد على هذا الرد ما اكّده في صدر هذه الملاحظة وهو أن المؤلف أورد المعاني الطبية للكثير من مفردات معجمه حتى أنه أورد فيه العدد الكبير من المفردات الطبية كما أشرت إليه في أعلاه ، فكان من المفيد أن تذكر فيه أيضاً بعض المعاني الطبية الأخرى التي أغفل ذكرها مع أنها لا تقل في أهميتها وكثرة استعمالها عن المعاني الواردة في المعجم .

١٢ - وأخيراً فإني لن أترك القلم جانباً قبل أن أقول كلمة عن هذه الألفاظ المنحوتة التي تكثر في قاموس المورد نظير دُوْأَحْمَرُ أي دُونَ الأَحْمَرِ التي ترجمت بها لفظة infrared ، وَقَوْبَنْفَسَجِيّ أي قَبُوقَ البَنْفَسَجِيّ لترجمة لفظة ultraviolet وَقَوْمَحَجَرِيّ أي قَبُوقَ مَحَجَرِ العين لترجمة لفظة supraorbital ، وَشَمَقَمَرِيّ أي شَمَسِيّ قَمَرِيّ solunar وحِسِّيَّ حَرَكيّ sensorimotor ، وَثِيرَبَانِبُورِيديّ أي ثِيرَبَانِيّ ورِيديّ arteriovenous الخ . الخ . . . أنا لا أنكر أن في استحداث هذه الألفاظ جرأة كبيرة من مؤلف المورد ولكي لا أظن أن صدى هذه الجرأة سيكون على النحو أو من القدر اللذين يشاؤهما المؤلف ، وذلك لأنني أعتقد بأن الأفلام لا تُثْقِلُ على تداول هذه الألفاظ المنحوتة لأنها غريبة الوجه واليد واللسان ، ولأنها تباعد كل البعد عن أصول تركيب الألفاظ العربية . أجل لقد نحت العرب بعض الألفاظ كما هو معروف فقالوا عبشمي ، وقالوا البسمة والحمدلة والحوقة ولكن هذه الألفاظ المنحوتة على ما أعلم قليل عديدها فلا يتجاوز أصابع اليدين . وعليه فأنا أرى - وربما رأى سواي - هذا الرأي - أن تترك أجزاء هذه الألفاظ المذكورة حرة بدون بترها وحصرها في كلمات منحوتة . وظاهر أن الغلاة في النحت ممكنة وسهلة في اللغات الأجنبية حيث يفترق العلماء والمُعْجَمِيّون ماشاءوا من المعين اليوناني اللاتيني لبناء الألفاظ الجديدة ، لا بل إن النحت هو الوسيلة الوحيدة عندهم لبناء الألفاظ المركبة ، خلافاً لما نحن عليه في لغتنا العربية من التقيّد بأحكام لغويّة وبيانّة لا نستطيع الخروج عليها . وللتمثيل على هذا الرأي الذي أراه أعود فأذكر اللفظة الانكليزية المنحوتة sternocleidomastoid التي تقدم ذكرها في صدر هذا المقال والتي تعني العضلة القَصِيّة الرّقويّة الحُشائيّة . إن هذه اللفظة

الإنكليزية مركبة من ثلاثة أجزاء ، فإذا أردنا جمع الألفاظ العربية الثلاثة التي تقابلها في كلمة منحوتة واحدة قلنا مثلاً العضلة القصيرة قُشَائِيَّة على طريقة مؤلف المورد ، وتلك لفظة لا تسر الناظرين كما أن موسيقاها لا تطرب السامعين . ولذلك فإني أخال أن أكثرنا يعرض عن هذا التكلف الذي يفني عنه ما في لغتنا العربية من الليونة والطواعية وما في أسماؤها من قابلية الإضافة وبناء صيغ النسبة ، هذه الصيغ التي تجب إلينا الاحتفاظ بالمصطلحات القديمة وتسهل علينا بناء المصطلحات الجديدة .

وبعد فإن هذا ما خطر لي تدوينه من الملاحظات على قاموس المورد . وكنت قد أنعمت النظر فيه وأكثر من مراجعته في الأسابيع الأخيرة خلال قيامي بترجمة مقال طبي من الإنكليزية إلى العربية ، فاجتمع لدي من هذه المراجعة الملاحظات التي كثفتها وأجزتها فيما تقدم ذكره . ومع أنها ليست كل ما يمكن قوله في مجال الملاحظة على مواد المعجم ، فإنها مما كثرت لا تعد شيئاً مذكوراً إذا هي قيست بالحسنات الجلّى التي يطفح بها معجم المورد ، والتي تجعله خير معجم إنكليزي عربي أخرج للناس . هذا وإن المؤلف قد وعد في تصديره لمعجم المورد بأنه سيوالي التحقيق في أصول الألفاظ حين اقتضاها هذا التحقيق لتكون الطبعات القادمة أكثر شمولاً وأغزر مادة من الطبعة الحالية . وإني لموقن بأن تحقيقه سوف لا يقتصر على أصول الألفاظ ، بل سيتناول الألفاظ الجديدة والمعاني الجديدة للألفاظ الراهنة وذلك من شأنه أن يرفع معجم المورد إلى درجة السكال التي يتسم بها معجم وبستر الدولي ومساو من المعاجم الأجنبية المطوّلة .

الدكتور مهدي الحرري

أستاذ في جامعي دمشق وبغداد سابقاً



المعجم العربي

نشأته وتطوره

كتاب في جزأين صفحته ٨٣٥ للدكتور حسين نصار المدرس بكلية الآداب في جامعة القاهرة
منقورات مكتبة مصر - دار مصر للطباعة ١٩٦٨

سبق لهذه المجلدة أن وصفت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في مجلدها السابع والثلاثين (ص ١١٥) بقلم العالم الجليل الأستاذ عبد الله كنون ، وصفاً وفتى الكتاب ما هو أهل له من التقدير ، ومنح المؤلف « إضافات قيمة أفاد منها ، في طبعته الثانية هذه وقد أشار إليها شاكراً في مقدمة الطبع .

لا أعيد شيئاً مما نشر عنه في هذه المجلدة ويحسن بالقارئ الرجوع إليه ، لكن لا مندوحة لي عن تذكيره بأن الكتاب دراسة تاريخية نقدية خطوطها العريضة ثلاثة :

١ - الرسائل الغنوية على الموضوعات

٢ - المعاجم .

٣ - المعاجم التي نحتاج إليها

والدراسة متأنية صابرة جاهدة تستحق مع الشكر والتقدير العناية بها وبالتواحي التي أطافت بها ، وكلها ذو خطر من الواجب الاهتمام به ؛ ولم يعني الاعتذار حين كلفني السيد رئيس المجمع الكتابة عن هذه الطبعة ، فرأيت بعد الإشارة إلى ما كتب عن الطبعة الأولى وبيان نظرتي إلى هذه الدراسة أن أعرض ما بدا لي من ملاحظ بالترتيب :

ص ١٦ — « واعترف القرآن للعرب بهذه القدرة اللغوية قال تعالى :
(ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصيمون) وقال : (فإنما يسرناه
بلسانك لتبشر به المتقين وتذذر به قوماً لئلا) ...

... ومثال ذلك الرسول الكريم ... فكان يقول بصدد تعليل
فصاحته : (أنا أفصح العرب ، بيد أبي من قريش وأبي نشأت في بني سعد
ابن بكر) ...

.. كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤا على
تفوقهم اللغوي . مثال ذلك زهير بن أبي سلمى الذي عاش مع خاله بشامة
ابن الغدير الشاعر فخرجه شاعراً .

هذه النقول من صفحة واحدة ينتظمها ظاهرة واسعة الشيوع في الدراسات
الحديثة هي تحميل النصوص فوق ما تحمل ، وتجاوزها في الاستنباط إلى أبعد
منها ، فلا يوقف حيث وقفت ؛ فالآيتان ليستا اعترافاً بالقدرة اللغوية
وشتان ما بين اللادد في الخصومة والقدرة اللغوية . ، والحديث على فرض
صحته لا يشهد لقول المؤلف (إذ أرسل [الرسول] إلى البادية في طفولته
لهذا السبب) وقد ضعفه المحدثون . وليس في ترجمة زهير ما يؤيد (أنهم
كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤوا على تفوقهم
اللغوي ، إنما هي حال زهير الخاصة أن كان خال أبيه سيد غطفان وحكيمها
وكان شاعراً .

ص ١٨ — أحكام عدة عن زواج الموالى هي موضوع نظر وتحتاج إلى
تمحيص ، ويحسن أن يرجع فيها إلى كتب الفقه والأحكام ، وما كان (الأغاني)
و (المقد الفريد) يوماً ما مرجعاً في مثل هذه الأمور .

ص ٢٢ - « بل تعلم بعض العرب أنفسهم الفارسية ونظموا بها شعراً وتشبهوا بالفرس في أزيائهم واحتفالاتهم . نفهم ذلك من خبر الشاعر العربي يزيد بن ربيعة بن مفرغ مع عبيد الله بن زياد » وليس في الخبر المشار إليه ما فهمه ، وكل الذي فيه أن العلمان الذين خاطبوا يزيد بالفارسية أجهلهم بها جملة بجملة ، وهو شيء يستفيدة عادة من أقام حيث أقام يزيد فلا نظم شعر ولا تشبه في الأزياء والاحتفالات .

ص ٥٩ - في كلامه عن (الفائق) للزنجشيري قال : « ولا يعرض للمجاز وما إليه ، مما بني عليه الأساس . ولعل سبب ذلك أنه ألفت الأساس بعد الفائق . » وهذا تعميم فيه نظر إذ لا نعلم في الفائق تعرضاً للمجاز ، ففي كلامه مثلاً على مادة (ختل) جاء في شرح المراد من الحديث (وأن تتخذ السيوف مناجل) :

المناجل المجاز ، أي يؤثرون الحرث على الحرب .

ص ١٠٣ - « ومن المؤرخين من سلبه (أي ثعلباً) الكتاب جملة فنسبه إلى الحسن بن داود الرقي أو يعقوب بن السكيت » .
قلت : يحسن إثبات ما اشتهر عند المطلعين من كثرة نقد القدماء فصيح ثعلب حتى حملوه على إنكار نسبة الكتاب إليه (١) .

ص ١٦٥ - في كلامه على كتاب الفزاري الإسكندري أقحم ثلاثة أمطر . (وألف محمد بن أبي القاسم بن بايخوك البقالي .. الخ يحسن تأخيرها إلى ما بعد انتهاء كلامه على كتاب الفزاري في الصفحة التالية .

(١) في أصول النحو ص ١٩٣ (مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤) .

ص ٢٠٠ — س ١٤ (أبواب السالم) وأعني به هنا ما فيه حرف علة واحد أو همزة واحدة) ، أطلق (السالم) وهو يريد (غير السالم) كما هو ظاهر فاعمل كلمة (غير) سقطت في الطبع ، إلا أن ذلك تكرر .

ص ٢٥٦ — في كلامه عن التحليل وكتاب العين : (بل أورد أشياء من لغة المعاصرين له في إقليمه العراق ، أو بلدته البصرة خاصة ولو كانت لا تعرف في البداية مما يدل على تسامحه وتحرره من القواعد المترتبة) !! ؟

ولغة معاصري التحليل في البصرة عربية وما أثبتته منها في العين لا يخالف القواعد ، ومن الذي قال إن على صاحب المعجم ألا يثبت إلا ما كان يعرف في البداية ؟ وأي كان فكلمة (تسامح) و(ترمت) وأمثالهما مما تستعمل في عصرنا في غير محلها ، تصان عنه دراسة موضوعية جادة عن (المعجم العربي) .

ص ٢٥٨ — فيها نقل عن ابن الأنباري في قياسية النحو استقاء المؤلف من (الاقتراح) للسيوطي وكان ذلك سائفاً في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ أما في الطبعة الثانية فلا ، إذ أن (الاقتراح) منتزع انتزاعاً من كتاب لابن الأنباري اسمه (لمع الأدلة) (١) وقد نشرته الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ ونقل السيوطي تجد أصله في ص ٩٩ من لمع الأدلة ، ولم يعد (الاقتراح) مصدراً [[أصيلاً بعد نشر الأصل (لمع الأدلة) .

ص ٢٧٨ — (يكفي أن يذكر أمام المتأخرين كتاب العين حتى تنهال الشتائم وانهم جزافاً ، وأقرب مثال لذلك الأشموني الذي قال عن لفظ انفرد به التحليل : « ... لم يسمع إلا من كتاب العين فلا يلتفت إليه ، ومن

(١) في الكتاب (رسالتان لابن الأنباري) الإغراب في جمل الإعراب ولمع الأدلة (مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٧ بتحقيق سعيد الأنفاني .

الطبيعي أن يشاركه الصبان محشيه في شتائمه قال ؛ « قوله (إلا من كتاب العين) أي المحشو بالخطأ » .

في هذه الأسطر مثال آخر على الظاهرة التي أشرنا إليها في كلامنا على ص ١٦ : المبالغة في تحميل النصوص ما ليس فيها فكلمتنا (لا بلغت إليه) و (المحشو بالخطأ) خطأ ، ولكنها ليستا (شتائمه تنهال) ولا تهماً تكال (جزافاً) .

ح ٢ : ص ٤٤٤ ؛ في كلامه على ابن فارس في مقاييسه : (فهو يقدم الأصل أو الأصول ثم يبني الفروع عليها ويحتم المادة بالشواذ) . ولكن هذه الطريقة اضطرت عليه فمادة (عقى) أصلها الشق ولكنها تطورت إلى ثلاثة فروع واضحة أولها ما زال محفوظاً بمعنى الشق صراحة ، وثانيها ما يدور حول الشعر الذي يولد به الرء ، والثالث ما يدور حول عقوق الوالدين . ومن الطبيعي أن يتناول الإنسان صيغ كل فرع منها على حدة ولكن ذلك لم يحدث في المقاييس) .

قلت : لا اضطراب ، فقد أشار ابن فارس في أول كلامه على المادة بقوله : (العين والقاف أصل واحد يدل على الشق وإليه يرجع فروع الباب بلطف نظر ، قال الخليل : أصل العقى الشق وإليه يرجع العقوق وكذلك الشعر ينشق عنه الجلد) . فلا يزال الأصل ملحوظاً في كل الفروع حتى دون لطف نظر ، وإذاً لا اضطراب ...

ص ٥١٦ — (ويبدو أن النسخة المطبوعة من الصحاح نالها شيء من التصحيح ، إذ ورد فيها البيت الأول والثالث ، ورواية (سمعوا من صالح) لا البيت الأول وحده ، ولا الرواية التي ذكرها الصغاني .)

قلت : لعل نسخة الصغاني فيها التصحيف لا أن النسخة المطبوعة من
الاصحاح صححت .

ص ٧٥٥ - (وكان المعتل من المهموز من أعظم الأمور إثارة لخيرتهم
واضطرابهم حتى تخلص كثير منهم بجمع المعتل الواوي والياء والمهموز معاً ...
والحق أن هذه مشكلة أخرى ربما تفوق غيرها في الصعوبة ..)

ربما صح هذا الوصف في المراحل الأولى لتأليف المعاجم ، أما اليوم
فمن الإسراف إطلاق مشكلة على مثل هذه الأمور وقد تيسر للباحث الفصل
في الواوي واليائي ، بل تيسر ذلك لمن قبلنا وفصلوا كلاً عن الآخر ،
والخطأ في بعض كلمات ممكن إصلاحه ، فليس مشكلة ما حلوه منذ
أزمان متطاولة .

ص ٧٥٦ - كان من أثر الدعايات السيئة التي أغرق فيها غيرنا كثيراً
منا حتي صار يردد أن لغتنا نحوها وصرفها ومفرداتها وحروفها كلها مشاكل
في مشاكل ، أن تسممت ناشئتنا في عقيدتها في لغتها ، ولولا أنهم يعرفون
لغة أجنبية يجدون فيها ما هو أبعد مما يمد أولئك في باب المشكلات لأسرع
ذلك في إهالهم لغتهم مرة واحدة ، وليس هنا موضع بيانها ، وكان من
ذلك التيار : الدعاية المريضة في أثر دراسة اللغات السامية الميتة وتصحيح
العربية عليها ، وذلك عكس ما يقضي به المنطق وعلم اللغة العام ، أذكرني
بذلك قول المؤلف (وحصروا [حروف الزيادة] في عبارة (سألتعونيها))
ولكن البحث المقارن بين اللغات السامية جميعاً يهزأ من هذا الحصر ويرى
أن الممكن زيادة غيرها من الحروف وقد حدث هذا فعلاً في العربية
وأخواتها . وأترك هذا البحث المقارن إذ لا أستطيع أن أقوم به لعدم
معرفتي بالساميات ، ١١ .

والمؤلف يعرف أن حروف (سألتونيها) هي الزيادات المطردة في الكلمات لمانٍ خاصة، وأن الأقدمين من علماء اللغة فرقوا بينها وبين حروف مزبدة سماعاً، فوصفوا ذلك الواقع اللغوي وقرروه ونهوا على هذه الألفاظ المعدودة القليلة، مستغنيين كل الاستغناء عما يسمى بـ البحث المقارن بين اللغات السامية الذي يهزأ .

ص ٧٨٤ — ارتباط العربية بالدين (ارتباطاً شديداً أَسْبَغَ عليها القداسة فكان في ذلك نفعها وضررها . . أما ضررها فلأن هذه القداسة جعلت المسلمين والعرب يتمسكون بها بصورة واحدة (؟) منها ، فتأخرت عن حاجيات العصور الحديثة ولم تسقط عن أن تجاريها حتى نادى كثيرون بهجرها تماماً) .

لم أفهم المقصود بالصورة الواحدة منها إذ لم يشرحها المؤلف ولا بسط الصور الأخرى التي كان يجب أن يتمسك بها العرب والمسلمون . أترك ذلك وأسأل عن آخر الفقرة : (وتأخرت عن حاجيات [كذا] العصور الحديثة) وهي شبهة تلتقفها ناطق عن آخر : هل كان ينتظر هؤلاء الكثيرون أن يجد الكيميائي والفيزيائي والميكانيكي في القاموس المحيط ولسان العرب مصطلحات لما جدد في ديار المخترعين بعدها بقرون ؟ ثم من هم كيميائيونا وفيزيائيونا وميكانيكيونا الذين اخترعوا ولم يجد لهم علماء اللغة مسميات لمخترعاتهم وأجهزتهم وأجزائها ؟ ما تأخرت اللغة ولكن أرباب الألسنة الطويلة في غير طائل تأخروا وانحطوا وتكاسلوا إلا عن اللغو . ولا يقال إن اللغة تأخرت حتى يمجز المهندسون منا والعلماء التخصصون الذين درسوا لغتهم كما يدرس الأجنبي لغته ثم تخصصوا وحاولوا وضع المصطلح . أما حين يتصدى المختص المؤهل فسيجد كل شيء مبهداً وقد حصل ذلك فعلاً في آخر المئة الماضية في القاهرة وساحل الشام ، وفي الخمسين سنة الماضية

في دمشق حيث لبث اللغة حاجات الإدارة والجيش وكليات الجامعة (في الطب والحقوق والعلوم والتجارة والزراعة) ، لبث حين بذل المحتاج الجهد ولم يقعد يسوغ كسله بأن الماضين لم يهيئوا له .

إن تأخرنا هو في إعداد أنفسنا لنكون مؤثرين في عصرنا في العلوم والفنون والابتكار ، ومتى أردنا بجهد وصدق هذا الإعداد وجدنا لغتنا سابقة أمامنا (١) فما تقدسنا لغتنا أخرنا ، ولكن أخرنا إهمالنا وقبول الدعايات المغرضة فيها وانسياقنا على أذبال مخططيها ومروجيها .

ص ٧٨٥ — (ووضع ابن سيده في مقدمة حكمه منهجاً يعتبر ثورة في عالم التأليف اللغوي العربي ... ولو طبقه عليه لأغنانا عن كثير من التخبط والاضطراب وكثير مما يزيد أخذه عن الغربيين اليوم ، ولكن معجمه فذاً بين معجمات العربية) .

قلت : خير من (لو) هذه أن يقوم نفر منا بتطبيقه على (الحكم) في طبعة علمية ذات نهج سليم محكم ، وحسب ابن سيده أن وضع الخططة وليكن التطبيق من نصيبتنا . وعصرنا ميسر فيه كل شيء .

* * *

لست أرى ما رأى المؤلف من تسمية (منشورات اليسوعيين في بيروت) بالعاجم في دراسة علمية من خصائصها تحديد الأسماء والصفات ، وكان حسبه أن يشير إلى هذه الأعمال التجارية التي نظر حين تأليفها إلى ماخطط لمدارس اليسوعيين في حاشية تنوء بأثرها في إفساد اللغة ، أما أن تسمى

(١) انظر بسط قضية اللغة العربية وما أثير حولها من حرب خفية في عصرنا الحديث في كتابي (حاضر اللغة العربية) — مطبوعات معهد الدراسات العالية بالقاهرة ١٩٦٢ .

مدرسة !! وتقرن بالمعجم الوسيط فهذا ظلم كبير . ولن أستهبد إلا بأقوال المؤلف نفسه في وصفها ، وإنصافه كفيلاً برفع الحيف في طبعة قادمة إن شاء الله .

في كلامه على (أقرب الموارد) وزياداته على القاموس المحيط قال (ص ٧١٨) :

« وأخذ بعضها الآخر (يعني الزيادات) من معجمي جوليوس Golius وفريتاغ Freitag وعييط المحيط وقطر المحيط للبستاني . وكان جيوليوس وفريتاغ قد اعتمدا في معجميهما على بعض كتب الأدب المتأخرة التي لا يستشهد بلغاتها ولا تعنى بالالتزام الفصحي ، فأدخلوا في معجميهما كثيراً من الألفاظ المولدة والعامية ، فتسربت إلى معاجم بطرس البستاني والشرتوني ، ففقدت هذه المعاجم تقدماً مراً . وخاصة من الأب انستاس ماري الكرمللي الذي كان يقف لها بالمرصاد . »

وإشارة المؤلف إلى أنها لم يقصد بتأليفها إلا غرض خاص لطائفة معلومة مما يبعدها عن صفة المعجم الذي يكون عاماً عادة ، جاء في ص ٧٣٠ :

« وآخر الظواهر فيها عنايتها بالألفاظ والمعاني المسيحية أو التي لها دلالات خاصة عند المسيحيين . وكان ذلك أمراً طبيعياً لهم لأنهم جميعاً مسيحيون نشؤوا على تربية مسيحية دينية وألفوا معاجمهم لمدارس مسيحية دينية هي مدارس اليسوعيين . »

وعرض المؤلف لنقد بعض هذه المنشورات الذي نشره اليازجي فقال : « ... ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتاب تنبيهات اليازجي على محيط البستاني الذي يخرج الباحث من دراسته بأن البستاني وقع في الأخطاء التالية :

التصحيح ، وتفسير الألفاظ بأخرى غير موجودة في موادها ، والخطأ في التفسير ، وعدمه تماماً ، وسوء عبارته ، والخطأ في ضبط الألفاظ ، والإتيان بـ «مان» لم ينص أحد من القدماء عليها وقد استمد كثيراً من هذه المعاني من جوليوس وفريتاغ ، ومن الآثار السيحية ، وأناه كثير من هذا الخطأ من سوء فهمه لبعض عبارات الفيروزآبادي وبعض اصطلاحاته وعاداته في قاموسه .

وكل هذه الأخطاء على وجه التقريب نجده عند أفراد مدرسة اليسوعيين جميعاً .. ، اه وواحدة مما عدّد المؤلف كافيّة في إبعاد هذه المنشورات عن صفة المعجم أو أي صفة علمية .

إذا كان ماتقدم يسمى مدرسة فـلـلـمـؤلف رأيـه ، لكن الذي لايجوز بحال أن تـقرن هذه الأعمال بالمعجم الوسيط ويقال في المقابلة إن هذا خير من معاجم اليسوعيين ، بين الفريقين فروق صارخة فأين أعمال هؤلاء الموصوفة آنفاً من أعمال مؤسسة دستورها المحافظة على سلامة المربية وتلبية حاجات العصر في ميادين العلوم والفنون .. الخ وجماعتها علماء أعلام ، أعمالهم خلصت للعلم لا لاستهلاك مدارس خاصة أريد الحيولة بين تلاميذها وبين معاجم اللغة الصحيحة .

* * *

لئن استطعت تعداد ماوقفت عنده من هذا الكتاب النافع إن ماراقي منه أكثر ، والأعمال العلمية هي التي تستحق أن يوقف عندها طويلاً وببذل في سبيل استكمالها كل جهد ، وأرجو أن يطرد نحو هذا البحث واستكماله

في طبعة بعد طبعة والله الموفق (١).

(١) رأيت - خدمة للكتاب - أن أشير إلى ما لم يذكر فيه من أخطاء الطبعة التي تلفت النظر لغلبة الصحة والجودة عليه :

ص	س	خطأ	صواب
ح	١	جدير بالشكر الشرفين . .	الشرفون
ـ	ـ	والعاملين	والعاملون
٢	٤	هذا	هذه
١٦	١٧	وينشئوا	وينشؤوا
١٧	١٧	حدا بالمؤرخين إلى	حدا المؤرخين على
٥٤	٤	لا زال	ما زال
١٠٤	٤	أخطئوا	أخطؤوا
١٢٢	٢٢	الألف بائي	الألفبائي
١٢٤	٢٢	بينها	بينها
١٦٢	١٥	الجغرافيا	الجغرافية = ١٦٩ الخ
١٧٠	٩	وصفهم	وصفها
٢٠١	٢٣	الباقيين	الباقيين
٢١٢	١٩	عقد	عقدوا
٢٢٢	١٤	يعبثون	يمبثون
٢٢٣	٤	نظام . . بنظام	بنظام . . . نظام
٢٢٩	٩	الرائين	الرايين
٢٣٥	١٤	سمح	سمح
٢٥٠	٥	هل لا بد	ألا بد
٢٦٢	٦	أقطب	أقب

ص	س	خطأ	صواب
٣١٩	٦	الأقسين	الأقسين
٣٤٤	١١	هنا	ها هنا = ٣٧٠/٥
٣٧٤	٥	لاضطرادها	لاطرادها
٣٨٦	٥	لا يتعارض ... مع تحريه	لا يتعارض ... هو وتحريه
٤٢٨	٦	اتفق مع الخليل	اتفق هو والخليل
٤٤٦	٢	ثلاث أصول	ثلاثة أصول
٤٤٩	٩	بواسطتها	بوساطتها
٤٥٤	٩	والمزاد	وللزيد = ٥٣٩ .. الخ
٤٧١	٢٠	تميزه عن	تميزه من
٤٨٦	١٩	عربي	غير عربي
٥٠١	٩	اللغويين	اللغويون
٥٤٠	٢٢	فأجفثوا	فأجفؤوا
٥٦٤	٣	على جميع صيغ ومماني كتابي العين والجمهرة :	على جميع صيغ كتابي العين والجمهرة وممانيها
٥٨٦	١٧	المماني الثلاث	المماني الثلاثة
٦٤١	١٣	الملقات السبعة	الملقات السبع
٦٧٧	٧	حدا به إلى	حداه على

سحب الألفاني



الأعلام العربية

(دراسة لغوية اجتماعية) للدكتور إبراهيم السامرائي

٩٤ ص من القطع الوسط - مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٤

ماض بلد مختلفين في الجنس أو العقيدة أو الحضارة إلا كان بين فئاته أخذ وعطاء وتأثر وتأثير، في الأخلاق والعادات والمواضعات، لا فرق في ذلك بين غالب ومغلوب ووطني ومحتل. واللغة، هذه الظاهرة الاجتماعية لا تتأبى على الناموس العام، فما زالت اللغات الأوروبية الغربية مثلاً تحمل طوائف من كلمات أصولها عربية تسربت إليهم من مئات السنين، وما زالت لهجاتنا الدارجة في البلاد العربية عليها آثار من التركية والكردية والفارسية، ثم الإنكليزية والفرنسية والإيطالية في عصرنا الحديث.

وهذه الرسالة محاولة من صاحبها، أثبت فيها عدداً من الأعلام التي يسمّى بها في العراق، بين طوائفه المختلفة من مسلمين ونصارى ويهود وصابئة، استقرها الباحث، وأشار إلى ظاهرة حديثة تسربت فيها أعلام مما يسمي به المسلمون إلى بقية الطوائف، كما أثبت أعلاماً سجلها من تونس والجزائر، ثم نظرق إلى ما يشيع في إيران من أعلام عربية الأصل على أكثرها الطابع المذهبي، وهو يأمل أن تنيسر له مادة أخرى يكلد بها هذا الاستقراء الذي لا بد منه في الدراسات اللغوية الاجتماعية التاريخية، على حد تعبيره.

ولا ريب أن الخطوة الأولى إلى تلك الغاية هو الاستقراء والتسجيل، يعقها خطوة ثانية تتميز بها مدلولات الظواهر التي تدرس، وينظر بعدها ما يمكن أن يستنبط منها من أحكام اجتماعية تاريخية.

هذا وقوله ص ١٥ « وهذه المسألة اللغوية [يعنى تعبيرهم في الشبهال الإفريقي عن ابن الحاج بـ بلحاج] عربية قديمة فقد سمع (بلحارث بن كعب وبلعنبر وبلهجم) وغيرها ، موهم ، فلا شك أن الباء في الأعلام الأخيرة مختصرة من (بنو ، بني) على حين باء (بلحاج) مختصرة من ابن . وأخشى أن يكون خلل في قوله ص ٥٠ « دراسة الأعلام الحديثة ... تؤلف جانباً لغوياً لا بد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معيناً على فهم العربية الفصيحة » فالتبادر إلى الذهن العكس .

وربما كان شيء من التعميم غير الصحيح في حاشية (٧) ص ٥٣ : (حمد الله) من أعلام الإيرانيين وهو غير معروف عند العرب ، !! ففي دمشق مثلاً عدد من البيوت ألقاها آل حمد الله

كما توقفت عند قوله ص ٧٣ « سبتي : من الأعلام الشائعة بين المسلمين في عصرنا هذا » ويحسن أن يحدد المكان ، فما أذكر أني سمعت به في الأعلام الشائعة .

وفي بعض أخطاء الطبع ما يحير القارئ . كقوله ص ٧٥ : (سمحه) وهي من أعلام اليهود الشائعة الاستعمال ، وهي من مادة عبرانية وهي صفة مؤنثة تعني في العربية (فرحة) . أهـ فهل يريد : تعني في العبرانية (فرحة) العربية ، كما هو الظاهر من القرينة ؟

والعرب ترسم (سوربة) بالهاء لا بالألف كما ورد في ص ٨ وكذلك إفريقيا المرسومة بالألف خطأ في ص ٢٧ . وصواب (ابن أصيعة) في ص ٤٠ هو : ابن أبي أصيعة .

أرجو أن يوفق الله المؤلف الفاضل إلى بلوغ ما يأمل فيما ينفع .



طب الحبشة ونباتاتها

المؤلفات الطبية الحبشية

تأليف ستيفان ستره لسين

نشرته الأكاديمية البولونية للمؤلفات الشرقية عام ١٩٦٨

هذا الكتاب تبلغ صفحاته نحو (٨٠٠) صفحة مطبوع على ورق جيد بقياس ١٦٥ × ٢٤ سم^٢. عالج فيه المؤلف في مقدمة بلغت نحواً من (١٠٠) صفحة ، البحث عن الطب والسحر عند الأحباش ، وتوسع توسعاً كلياً في الكلام عن اللغة الحبشية وكتاباتها ولهجتها ، وذكر المراجع التي اعتمد عليها ، كما تحدث عن عالج الموضوع من علماء آخرين ، ثم استطرده في الكلام عن بعض المخطوطات الطبية ، فخصص لكل من المخطوطات الست التي كانت ترجمتها الافرنية تحتل الجزء الأكبر من الكتاب ، صفحات يتحدث فيها عن أوصاف المخطوطة ومكان وجودها ومؤلفها ولما كتبت ، وتجد المؤلف يصرف جهده لوصف اللهجة التي كتبت بها المخطوطة ، ويستعين بصور الكلمات الحبشية التي لفتت نظره ليتحدث عن تهجيتها وعن موضوع الرسالة ولماذا خصصت ، ويذكر الأمراض بأسمائها الافرنية ، فإن لم يعرف اسم المرض كتب اسمه بأحرف افرنية كما يلفظ بالأمهرية أو الغيزية ، وإليك مثلاً لذلك : يقول في وصف مخطوطة (أبا يوحنس) أي (الأب يوحنا) ما يلي :

إن القسم الثاني من هذه المخطوطة (الوريقات ٥١ - ١٠٠) تحمل عنوان « كتاب الكتاب لكل أمراض الجسم » تحوي الكلام عن الجراحة.

ومعالجة الأمراض العامة (الكسور والقطوع والامضات والميزه ،
والكسلاسينا ، والجرب ، والجروح ، والجذام الخ) فنجد هنا كلتي
الميزه والكسلاسينا أمهريتين .

ويتحدث عن التكرار في الموصفات وكثيراً ما يستعمل نصوصاً كاملة
مكتوبة بالأحرف الأمهرية . ثم يتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن مشاكل
كتابه ولهجات المخطوطات فيستعرض كل حرف من حروفها فيتوسع في
الكلام عن ذلك الحرف وأشكاله المستعملة في كل لهجة من لهجات الحبشة ،
مستعيناً بكلمات مرسومة طبق الأصل ، ثم ينصرف إلى تهجية الأحرف
فيوزعها إلى أحرف حلقية وشفوية وسنية ، ويعضي طويلاً في التحدث عن
ذلك فتبلغ الصفحات التي خصصت لذلك (٦٠) صفحة ، ويتحدث خلالها
عن الكلمات المستعملة من لغات أخرى يستلها بالعربية فيتحدث عن الألفاظ
التي اقتبسها الأجباش من العربية وأماكن وجودها في المخطوطات كالمصطكي
والصبر والزبيب والسفرجل والهيل والخيار والراوند والثيل ولسان
البحر إلخ

ثم ينتقل إلى الإغريقية واللاتينية فيستعرض ما اقتبس من هاتين اللغتين
من ألفاظ وأسماء ، ثم اللغة التيفرينيا ، ثم لغة الأغاو وخلاف ذلك من
لهجات ولغات ، ثم ينهي مقدمته في التحدث عن اللغات الخلطة بين الأمهرية
والغيزية ، وملخص القول : إن تلك المقدمة ذات قيمة كبيرة لكل من
يحاول الترجمة من اللغات الحبشية كالأمهرية والغيزية ، فقد جمعت فأوفت
وتحدثت فأفاضت ، واعتباراً من الصفحة ١٠٣ حتى الصفحة ٥٨٠ يترجم
لنا المؤلف المخطوطات الست التي عثر عليها ، فيخصص الصفحة اليسرى
لصفحة من صفحات النص المخطوط مصورة بنائية والصفحة اليمنى لترجمة

تلك الصفحة ، وقد ذيل كل صفحة من صفحات النص بحاشية تذكر مقابلة بين كلماتها والكلمات المختلفة في النصوص الأخرى .

ويتبدى بكتاب الحيات حسب المخطوطة (ك) فيستغرق ذلك (٤٤) صفحة ثم يخصص (١٢) صفحة لتصوير المخطوطة (ل) ثم يترجم المخطوطة (ث) وهكذا إلى أن يتم له ترجمة المخطوطات الست حسب الخطة ذاتها ومنهجاً النجج ذاته . ثم يخصص ما تبقى من الكتاب لتصوير مخطوطات أخرى غير مترجمة .

والخلاصة إن الكتاب المذكور هو كتاب ترجمة مخطوطات حبشية عن الطب قام بترجمتها إحصائي بالغات واللهجات الحبشية غير طيب ، ولذلك فهو لا يعرف النباتات الطبية وأسماءها العلمية ، وكثيراً ما ينجده يستعمل الكلمات الحبشية للنباتات ، وهذا ما يجعل إمكانية الاستفادة من تلك الترجمة محدودة بالنسبة للأطباء والمشتغلين بالطب القديم . وقد اعترف المؤلف في صدر مقدمته بأن الموضوع يحتاج إلى لجان مؤلفة من أطباء ونباتيين بالإضافة إلى علماء اللغات الحبشية ليكون العمل تاماً .

ولعل الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة القيمة ستحفنا بمعلومات أكثر وضوحاً وأكثر فائدة سواء للأطباء أو للنباتيين .

حسن السقا



مجلد تاريخ الأدب التونسي

من فجر الفتح العربي لأفريقية إلى العصر الحاضر

تأليف: حسن حسني عبد الوهاب

عدد صفحاته ٣٥٨

طبع بمطبعة المنار بتونس ١٩٦٨ م

ظهر هذا الكتاب لأول مرة بتونس سنة ١٩١٨ م بعنوان المنتخب المدرسي من الأدب التونسي . وبعد مضي نحو ربع قرن على الطبعة الأولى ، طبع طبعة ثانية بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م . ثم بعد نقاد الطبعة أعادت طبعه مكتبة المنار بتونس ، بعد أن استبدل اسمه ، وضم مؤلفه إليه طائفة وافرة جديدة من الأدباء ، خلت الأولى والثانية من تراجمهم .

وقد قدم المؤلف تاريخ الأدب التونسي إلى أربعة أدوار رئيسية ، يفصل بين كل واحد منها حادث مهم يحمل في تاريخ البلاد انقلاباً عظيماً في السياسة والاجتماع والعلم والأدب والفن ، وهي :

الدور العربي ٢٧ - ٥٣٠٠ = ٦٤٧ - ٩١٢ م . والدور العربي البربري الأول ٣٠٠ - ٥٦٠٠ = ٩١٢ - ١٢٠٤ م ، وفيه ثلاثة عصور : العصر الميسدي ٢٩٦ - ٣٦٢ = ٩٠٩ - ٩٧٣ م ، والعصر الصنهاجي ٣٦٢ - ٤٥٠ = ٩٧٣ - ١٠٥٨ م . وعصر الطوائف ٤٥٠ - ٥٦٠٠ = ١٠٨٥ - ١٢٠٤ م .

والدور الثالث هو الدور العربي البربري الثاني ٦٠٠ - ٩٥٠ = ١٢٠٤ - ١٥٤٣ م . ويتبدى مع ظهور الدولة الحفصية التي تدخل الأسمان في شؤون البلاد واستيلاء الترك عليها .

والدور الحديث ، وفيه عصران : العصر الحسيني الأول ١١١٧ - ١٣٠٠ هـ = ١٧٠٥ - ١٨٨٢ م ، والعصر الحسيني الثاني وفيه ظهرت النهضة الأدبية الأخيرة ويمتد حتى قيام الجمهورية التونسية .

وقد سعى المؤلف بقدر المستطاع أن يجمع في هذا الجمل عدداً من الأديباء القدامى المحترمين ، فبلغ عددهم ٩٣ أديباً بين ناثر وشاعر ، وهم :
عبد الله بن الزبير ، عتبة بن نافع ، موسى بن نصير ، الحسام بن ضرار ، الأغلب التميمي ، سليمان الغافقي ، عبد الرحمن بن زياد ، إبراهيم ابن الأغلب ، داود القيرواني ، أسد بن الفرات ، الامام سحنون ، أبو العباس بن الأغلب ، عبد الملك المهري ، أحمد بن سودة الأعلبية ، بكر ابن حماد ، عبيد الله المهدي ، أبو بكر اللواتي ، أبو العرب التميمي ، القائم بأمر الله ، أبو الفاسم الفزاري ، ابن الرايس ، محمد بن هاني ، علي بن الأيادي ، عبد الله بن أبي زيد ، ابن عبدون الوراق ، عبد الكريم النهشلي ، عبد الرحمن الفراسي ، محرز بن خلف . إبراهيم الحصري والكاتب الرقيق ، ابن الريب ، ابن غانم الكاتب ، علي بن أبي الرجال ، ابن خلويف الحروري ، علي بن حبيب ، عبد الواحد بن فتوح ، أبو طاهر التجيبي ، ابن أبي حديده ، الحسن بن رشيق ، محمد بن شرف ، علي الحصري ، عبد الله الشقراطي ، أبو الحسن الحداد ، ابن تميم بن المعز ، أبو الفضل بن النحوي ، ابن بشير المهدي ، جعفر بن شرف ، ابن فرحان القاسبي ، أبو زكرياء الأول ، أبو المطرف بن عميرة ، أحمد بن الليثي ، أبو عمرو بن عربة ، محمد بن أبي الحسين ، عنان ابن جابر ، أحمد التيفاشي ، ابن السباط المهدي ، أبو الفضل التيجاني ، عبد الله التيجاني ، ابن حُسَيْنِيَّة ، محمد الظريف ، عبد الرحمن بن خلدون ، الشهاب بن خلويف ، أبو الفتح ابن عبد السلام ، محمد الرشيد باي ، علي

الغراب ، الشيخ الشافعي ، محمد الورغي ، خليفة المشرق ، ابن سعيد الحجري ، حمودة بن عبد العزيز ، محمد ماضور ، محمد الأصرم ، الطاهر بن عاشور ، محمود قابادو ، ابن أبي الضياف الباجي المسمودي ، محمد السنوسي ، أبو القاسم الشابي ، الطاهر الحداد ، عبد الرزاق كركباكة ، مصطفى آغة ، سعيد أبو بكر ، الشاذلي خزندار ، محمد أبورقية ، محمد الخضر بن الحسين ، العربي الكبادي ، والسعيد الحلبي .

وقد ترجم لهؤلاء ، ثم ذكر بعض آثارهم من شعر ونثر ، وذيل كتابه ببعض التعليقات المفيدة أوضح بها ما كان غامضاً ، نغمده الله برحمته وإحسانه ، وجزاه خير جزاء .

عمر رضا كمال



الأصول العربية للدراسات السودانية

جمع وإعداد وتنسيق : يوسف أمجد داغر

عدد صفحاته ٢٦٢

طبع في مطبعة النجوى بيروت ١٩٦٨ م

عهدت منظمة اليونسكو إلى واضع هذا الكتاب ، العمل خلال أربعة أشهر بتبديء في ٨ كانون الثاني ، وتنتهي في ٨ أيار ١٩٦٧ م ، في وزارة التربية والتعليم في السودان ، كخبير للتوثيق التربوي .

وقد أتاح له رئيس المهال أن ينقب في مكتبة جامعة الخرطوم عن المراجع الخاصة بالسودان ، فتجمع لديه مجموعة كبيرة تقرب من ألفي مصدر في الدراسات السودانية ، من كتب وضعها أو ترجمها سودانيون ، أو كتبت

عن السودان في الخارج ، أو نشرت في السودان في الفترة الواقعة بين ١٨٧٤ - ١٩٦٧ م .

كما تضم هذه المجموعة - مئات المقالات والبحوث المنشورة في المجلات العربية الكبرى ، أو في المجلات السودانية التي ظهرت في السنوات الأخيرة ، مما استطاع الوصول إليه ، ولم يتعرض للأبحاث والمقالات التي نشرت في الصحف اليومية أو الأسبوعية .

وأما خطة العمل في هذه المجموعة فقد وضع جامعها تحت كل موضوع معين المصادر التي تعود إليه ، وأثبتها وفقاً للترتيب المجمعي لأسماء مؤلفين أو كاتبها ، وإلا فبمعنوان الكتاب أو المقال ، ان كان غفلاً من اسم المؤلف . وإذا شاء الباحث أن يتعرف إلى الكتب أو المقالات والأبحاث التي وضعها المؤلف ، فعليه أن يتبع الأرقام المثبتة بعد اسمه مباشرة في الفهرس الخاص بالمؤلفين ، إذ لكل كتاب أو مرجع رقمه المسلسل الذي يميزه ، كما أورد اسم المؤلف تبعاً لاشهرة أو الكنية أو اللقب الأشهر في حال غموض اسم الأمرة .

وبالختام نشكر الأستاذ واضع هذه الأصول على ما قدم ويقدم من بحوث أصيلة تعين الباحث والمؤلف في عملها متمنين له متابعة العمل والبحث .

ع . ك



كتاب الطبقات

عن أبي عمرو خليفة بن خياط
رواية : موسى بن زكريا التستري
لمحمد بن أحمد الأزدي
القسم الثاني : عدد صفحاته ٤٦٧
تحقيق : سهيل زكّار

بلغ عدد من ترجم له في هذا القسم ١٤٢٦ مترجماً ، وقد ذكرهم المؤلف على طبقات وهي من قريش ، ثم من المهاجرين من قريش ، ثم من أبناء المهاجرين من قريش ، فمن سكن مكة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم من أهل الطائف من أصحاب النبي ﷺ ، ثم من أهل اليمن من أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن أهل اليمامة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن أتى مصر من أصحاب الرسول وشهد فتح مصر ، فمن أتى الشامات من أصحاب الرسول ﷺ ، فمن أهل الشام بعد أصحاب الرسول ﷺ ، فمن أهل المواسم ، فمن نزل الجزيرة ، فمن أهل الموصل ، فمن أهل خراسان ، فمن أهل الري ، فاللدائن فواسط ، فمن نزل بغداد وتأهل بها من المحدثين ، فتسمية من حفظ عنه الحديث عن رسول ﷺ من النساء . وقد وضع للكتاب فهرس للطبقات والمترجمين والأعلام والقبائل والأرهاد والأئم والأماكن والأحداث النبوية ، مما أضاف للثام عما حواه هذا الكتاب من أبحاث جديرة بال العناية والتقدير .

وقد علق المحقق في صلب صفحات الكتاب تعاليق مفيدة ، ذكر في بعضها المراجع التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب مما يدل على جهد مشكور وفقه الله إلى المزيد من العمل على إحياء تراثنا العربي الجليل .

العصا في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عيَّاش

عدد صفحاته ٩٦

طبع : دير الزور ١٩٦٨ م.

هذا بحث طريف ومفيد عن العصا قد بحثه مؤلفه بحثاً دقيقاً فشمّل نواحي متعددة ، فقدم له توطئة ، ثم ذكر الأسماء القاموسية للعصا التي وردت في اللغة العربية ، منذ عصر الجاهلية فذكر ألفاظاً كثيرة لأشكال وأجناس من العصي ، استمر استعمالها في اللغة ، من قبل الشعراء والكتاب والأدباء والعلماء في كل العصور إلى اليوم في تعابير وتشابيه ومجازات وأمثال وحكم بمفرداتها وجوعها ومشتقاتها وتصاريقها بمختلف المعاني ، وقد رتب المؤلف هذه الألفاظ على حروف المعجم .

ثم أورد الباحث مراتب العصا وما إليها ، فالأسماء المحلية لها ، فشجر العصي والعيذان ، فتقويمها وتزيينها ، فالأنجار بها ، فالعصا في التاريخ ، فاستعمالاتها ، فالجلد ، فالعصا في عادات العرب ، فجنباياتها ، فالعصا في الفكاهة والنوادر والقصص ، فالعصا في الشعر العربي القديم ، ففي الأمثال القديمة ، فضرب الأمثال بها في الشعر العربي القديم ، فالعصا في آيات القرآن الكريم ، ففي الحديث النبوي ، فتسمية الأشخاص بأسماء العصا ، فالعصا في الأدب العربي الحديث ، ففي الأمثال الشعبية ، فالعصا في ألعاب الكبار ، ففي ألعاب الصبيان ، فالعصا في الفنون والمتاحف ، فالعصا في الأغاني الشعبية في الفرات .

وبالختام نشكر المؤلف على رسالته الصغيرة بعدد صفحاتها ، الكبيرة بما حوته من أبحاث تدل على الجهد الذي بذله في جمع مادة بحثه وتنسيقه ، فجزاه الله كل خير .

ديوان

كمال نصرت

(عدد الصفحات ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد عام ١٩٦٨)

يضم هذا الديوان شعر أحد الشعراء العراقيين المعاصرين ، وقد قدّم له إبراهيم الوائلي الأستاذ بكلية الآداب من جامعة بغداد . وفي الصفحة الأولى صورة للشاعر تحتها بيتان من نظمته ، وقد أشار صاحب المقدمة إلى تأثير الشاعر نصرت بالرصافي ود طريقتيه في الأداء ، ونحن نؤيد صاحب المقدمة الموقفة في رأيه الناقد ؛ ان شعر الشاعر منصرف إلى الفكرة والموضوع وإنه قليل الالتفات أو الاهتمام (بالموسيقى التعبيرية التي تنسجم في إيقاع رتيب) على حد تعبير الأستاذ الوائلي كما نؤيد رأيه في ملاحظة بعض التناقض عند الشاعر حين يطوِّح به اليأس فيتمنى الموت ، وحين تعود إليه قوة ذاته فيصِف نفسه بالتحمل ومغالبة الدهر والألَم ، وبلي التقديم مقدمة أخرى للأستاذ عبد القادر البراك لم تضاف شيئاً إلى الديوان لولا بعض عبارات المديح التي أملاها على الكاتب وفاؤه للشاعر لا نقده العلمي الصحيح ، وبعد هذه المقدمة الثانية ، قصيدة بائنة الطول للشاعر جميل أحمد الكاظمي في تقرُّيب الديوان ، لم تردنا تعريفاً ولم تكونْ عندنا رأياً خاصاً ، ثم أبيات أخرى للشاعر عبد الهادي البغدادي ، وهي ذات معنى عام يصح أن نضع بين يدي كل ديوان ، وأخيراً تأتي ترجمة الشاعر بقلم محمد علي حسن وقد تحدث فيها عن أصله ونسبه وحياته ودراسته والوظائف التي شغلها والترجمة تعطينا معلومات مفيدة عن حياة الشاعر حسب السنين .

ثم يأتي شعر الديوان ، وهو موزع على أبواب هي الوطنية ، السياسيات ، الاجتماعيات ، الإخوانيات ، الوصف ، المراثي ، الهجاء ، الغزل ، ثم عدد من القصائد جعل لها الشاعر عنواناً (ديوان سميّة) وهي موجهة إلى مغنية عراقية معروفة . ثم مجموعة أخرى عنوانها « السمراء » وهي مغنية عراقية أخرى أُلح إلى اسمها في القصيدة الأولى من هذه المجموعة . وبمجموعة شعرية ثالثة عنوانها « عذراء المستشفى » وأخيراً المتفرقات ، ولقد تعددت مقاصد الديوان وفق اختلاف الموضوعات وتباينها ، وشعر الشاعر بسيط في لفظه وفي مضمونه . وهو لا يبدك على ثقافة واسعة ، كما يدل على أن الشاعر اعتمد على فطرته الأدبية وعلى مجالسة الأدباء والإفادة منهم وخاصة الزهاوي والوصافي ، أما الصور الشعرية والمعاني الجديدة والخيال البعيد فألوان تجدها فادرة في هذا الديوان .

أحمد الجندري



ديوان محمد العيبد محمد علي خليفة

عدد الصفحات (٦٠٣) من القطع المتوسط

من مطبوعات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ومن منشورات وزارة التربية الوطنية بالجزائر لعام ١٩٦٧

يشتمل هذا الديوان الشعري الكبير على مقدمة صغيرة بقلم وزير التربية الوطنية الجزائرية وعلى تقديم بقلم (رائد الأدباء ورئيس العلماء الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيم رحمه الله) ، وبلي ذلك كلمة بقلم الأمير شكيب أرسلان ، ثم خاتمة شعرية عنوانها « خاتمة ثناء وإبتهاج » ، ثم تبدأ القصائد مبوبة حسب

الموضوعات ، التسلسلة على الطريقة الآتية (أدبيات وفلسفيات ، إسلاميات وقوميات ، أخلاقيات وحكميات ، اجتماعيات وسياسيات ، اللزوميات ، الإخوانيات الثوريات ، الذكريات ، المنفقات ، الألغاز ، الأناشيد) .

ويتهيء الكتاب إلى جدول كبير يبلغ ثمانى صفحات يشير إلى الخطأ المطبعي الذي ورد في الكتاب ، وهو يدل على كثرة الأخطاء ، وفي الصفحة الأخيرة من الملف ترجمة لصاحب الديوان مع صورة صغيرة له بلباسه الجزائري الوطني ، ومن الاطلاع على هذه الترجمة ، تتبين الطابع الديني العربي الذي التزمه الشاعر وهو الطابع الذي ظهرت آثاره في قصائده الكثيرة التي ملأت الديوان .

أما شعر الديوان ، فمن الشعر العربي الذي أفاد أسلوبه من القراءات الدينية ولا بدع فالشاعر من تلامذة جامع الزيتونة في تونس ، ويلاحظ قارى الديوان أن القصائد طويلة وأن نفس الشاعر غير قصير ، كما أن أكثر هذه القصائد قيل في مناسبات خاصة وعامة ، كالحفلات والاجتماعات الدينية والوطنية وأبرز ما في هذا الشعر أسلوبه الصحيح ، وإن كان بسيط المعاني غير معتمد على الصور البراقة ، والخيال الشعري الذي يهتم به الشعراء الجدد .

أ.ج



الأمثال البغدادية المقارنة

الجزء الثاني

عدد الصفحات / ٣٩٠ / من القطع المتوسط

من تأليف العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي

من مطبوعات مكتبة النتنى - بغداد لعام سنة ١٩٦٧

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « الأمثال البغدادية المقارنة » ، ويعني العنوان أن المؤلف ، أو المحقق ، قد جمع أمثال أحد عشر قطراً عربياً وقارنها بالأمثال العراقية المماثلة ، وهي على حد قوله ، أول محاولة لمقارنة الأمثال العربية ، وقد سبق أن أهدانا المؤلف الجزء الأول من سفره ، وبدأ هذا الجزء بتنبيه أشار فيه صاحب الأمثال إلى المراجع التي استعان بها على وضع كتابه ، وقد رتب الأمثال على الحروف الأبجدية بادئاً جزءه هذا بحرف « التاء » ، وطريقته أنه يأتي بالمثل العراقي فينبته بالخط العريض الأسود مع وضع رقم لكل مثل ، ثم يشرح بعده لماذا يضرب هذا المثل ، ويبي ذلك تعقيب يبين المثل الذي يؤدي معناه في قطر عربي آخر ، وبدأ هذا الجزء بالرقم (٥٨٣) وينتهي بالمثل ذي الرقم (١١٨٥) وفي الصفحات كلها حواشي تبين المراجع التي يمكن الرجوع إليها استزادة للاطلاع .

والعمل الذي قام به العميد التكريتي عمل شاق ومضن ، وهو يسد ثغرة علمية في الثقافة العربية الحاضرة .

ديوان ابن الدهان الموصل

حققه عبد الله الجبوري في / ٢٨٠ / صفحة

من القطع المتوسط عام سنة ١٩٦٨ م وطبع في مطبعة المعارف ببغداد

هذا شاعر وُلد في الموصل سنة ٥٢١ هـ على وجه التقريب وتوفي في
ححص سنة ٥٨٢ هـ فهو عراقي سوري . وقد قدم المحقق للديوان بمقدمة
ذكر فيها تعدد أسماء الذين حللوا هذا اللقب ، ووصف مخطوطة الديوان
وصفاً مسهباً كما تحدث عن أهمية شعر الشاعر . أما اسم الشاعر الفصل فهو :
مهدب الدين عبد الله بن أسعد أبو الفرج الموصل الشافعي .

لم يلتزم المحقق الترتيب الأبجدي في نشر قصائد الديوان فقد بدأه
بقصيدة عينية . وأكثر الديوان من شعر المديح الذي يتخلله الغزل كما
كانت عادة الشعراء في عصر الأيوبيين وهو عصر يعتبر في نظر الناقدين
عصر انحطاط للشعر ، ولكن شعر هذا الشاعر على ما تخلله من تكلف
وصناعة غير خالٍ من الإحساس الشعري وإن كان التقليد قد أخذ بجانيه
وران عليه . وفي القصيدة العينية التي بدأ بها الديوان أبيات مشهورة
رددتها الغنون وتأنق في تلحينها الملقنون وهي :

قل للبخيلة بالسلام تورعاً كيف استبعت دمي ولم تورعي

وفي قصائد الديوان المطولات التي تذكرك بمهود الشعر الأولي كالقصيدة
اللامية التي وردت في الصفحة (٣٥) فقد بلغ عدد أبياتها (٧٤) بيتاً وكذلك
قصيدته الحاثية التي وردت في الصفحة (٥٩) وعدد أبياتها (٨١) بيتاً وهما
في مديح السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ويبدو أن الشاعر كان ممجّباً بالسلطان مأخوذاً بانتصاراته الرائعة مما أثار شاعريته وحفزها على الإسهاب ، وكان يتعالى عن التكسب بالشعر في زمن كان التكسب فيه مهنة فهو يخاطب القاضي الفاضل ، رجلاً الأدب في عصره فيقول له :

وفاءً لحق الود لا تابعاً مثنىً ولا بائعاً شعراً ولا طالباً جدوي
وهي مزية تحفظ له فتشكر .

ولكن التقليد الذي ملك عنان شاعريته قد حجب عنه الآفاق الشعرية الصحيحة فخرج شعره بسيطاً مصنوعاً لا يحرك القارئ إلا في موسيقاه اللفظية وعباراته المنقومة . أما المعاني الجديدة وأما الصور والدمجيات الأخاذة فنادرة في هذا الشعر الذي جنى عليه عصره كما جنى على الشعراء غيره . ويختتم المحقق الديوان بستة من الفهارس المفيدة ، ثم قائمة خاصة بالكتب التي حققها الأستاذ الجبوري .

وهذا الديوان مفيد لأنه أحيى شاعراً منموراً ، ولأنه يعطي صورة من صور عصره الأيوبي كما يذكر القراء بقوة الشعر ومناقبه وجزائله .

أ.ج



آراء وأنباء

انتخب مجمع اللغة العربية في الجلسة التي عقدها بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٨٧ هـ وفق ١٥ شباط ١٩٦٨ م ، الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً فيه ، وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) المؤرخ في ١٣٨٨/١/٨ وفق ١٩٦٨/٤/٦ .

وقد دعا المجمع الأستاذ المنتخب لاحتلال المقعد الشاغر بوفاته المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخى ، وعقد لاستقباله جلسة علنية بتاريخ ٧ صفر ١٣٨٩ هـ وفق ٢٤ نيسان ١٩٦٩ م .

وفي جلسة الاستقبال ألقى الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع خطاب الترحيب بالعضو الجديد ، الذي أجابه بخطاب تحدث فيه عن حياة سلفه وآثاره . وفيما يلي نثبت نص الخطابين .



خطاب الدكتور عدنان الخطيب

في حفلة استقبال

الأستاذ عبد الهادي هاشم

[في ظهيرة يوم من شتاء سنة ست وأربعين وتسمئة وألف ، كانت الشمس تبدو مثقلة وثيدة الخطي ، حين بدأت «عناية الله» ، واسمها بالفرنسية « Providence » ، ترفع مراسيتها وهي تتحرك ببطء نحو الغرب ، مبتعدة عن رصيف ميناء بيروت .

كانت الباخرة تحمل على ظهرها ، فيمن تحمل من السفنار ، نفراً من أبناء الشام ، وقفوا على سطحها ، والبشر يطفح من وجوه أكثرهم ، فقد جرى الزمان بما يشتهون بآخرة ، وأبحروا نحو بلاد فيها ما يرغبونه من علم ومعرفة .

كان هؤلاء السفّر ، يلوحون بمناديلهم كمادة المسافرين ، تحية لأهل لهم وصحاب وقفوا على الرصيف ، تنسكب الدموع من عيونهم ، ساخنة هادئة تحمل معنيتين ، دمع فراق لأحبة ينأون ، ودمع إشفاق لهؤلاء الذين ركبوا البحر ولما يطهر مأؤه مما زرع فيه من صواعق زهق الروح بالهس الرفيق .

لقد كانت «عناية الله» أول سفينة تقصد إلى أوربة بعد أن أذيع في الناس ، نظافة البحر مما بثّ المتحاربون في دروبه ، خلال حرب ، خمد أوارها ، قبل أن تنفجر . وكانت العناية المبذولة في الكشف عن هذه

الخبيايا في البحر ، أضيق من أن تحيط بكل شيء ، وما زال الناس في الغينة بعد الغينة ، يسمعون عن قرابين قدمتها هذه الألقام طعاماً شيئاً لما ضم البحر بين جنباته من أحياء . كان من بين هذه الضحايا برءاء ما اجترموا ذنباً ، فاصطلوا بالنار ، بعد أن قدر لسميرها الذي أوجبه الطامعون ، أن يهدأ ، فلا جرم ، تسكب الدموع عن حب ، وتسكب الدموع من إشفاق .

ماكادت الباخرة بعد قليلاً ، حتى أخذ جرسٌ فيها بقرع على شكل خاص ، فنبير للسفّار ، بأنه دعوة إليهم كي يجتمعوا على السطح ، وبدأ المسافرون يتحلّقون حول الرّبابنة وهم يرشدونهم إلى ما يجب عمله ، إذا ما نُزلت الباخرة بهم من لثم مسنّته ، ويعلمونهم كيف تلبس أدوات العموم ، إذا أهيب بهم : أن ألقوا بأنفسكم إلى الماء .

كان المسافرون يستمعون بقلوبهم إلى هذه الإشارات تُلقى عليهم بالفرنسية ، وتلفت الرّكب من أبناء الشام أو أكثرهم إلى رجل يحسن فهم الفرنسية ينطق بها أهلها ؛ فوجدوه فتيّ يكبرهم سنّاً ، سبق له أن أمضى زمناً في فرنسا ، وعاد إلى دمشق ، بعد أن تزود بكثير مما يحفلون ، ثم لما لفت الحرب الدنيا حالت بينه وبين ما يشتهي من عودة إلى أوربة ليعبّ بما كان نهل ؛ فإذا به حين أتيح له السفر من جديد ، يلقى رفاقاً كانت الحرب حجّزت أكثرهم عن متابعة الدراسة التي منى نفسه بها .

أخذ الفتى يترجم لرفاقه ما كان يلقي عليهم بيُسْر وطلاقة وإيجاز ، تركت له أثراً طيباً في نفوس ركّب تفاوتت ألسنتهم واختلفت دراساتهم ، واتفقوا في غاية واحدة ، هي الرغبة الصادقة في أن يكتب لهم أن يردّوا منابع العلم والثقافة لم تكن سبلها ميسرة لهم من قبل .

وأنس الفتى برفاقه وأنسوا به ؛ كان يقصُّ عليهم من أبناء باريس ما تهفو إليه قلوبهم ، وكانوا يستزبدونه شرحاً ، فيجيب كلاً إلى سؤله بتفصيل وافٍ دقيق بلذ للجلس الاستماع إليه ، ولو كان لا يعنيه من أمره شيء . كان في أحاديثه يبين عن ثقافة أدبية واسعة ، وذاكرة قوية تحسن أن تلي ، يزبده تواضع جثم . فإذا به في مركز الريادة بين الركب ، ساعده في ذلك خلقٌ رضي ، وصدرٌ رحبٌ ، وعقلٌ راجحٌ ، وأريحيةٌ كريمةٌ ، وصنعةٌ مارسها ففكت عليه جانباً من طباعه ، كان مدرساً على التسليم مذ كان يتفعم سنواتٍ طوالاً ، فتعود مصادقة طلابه وأهلهم ، في المدينة وفي القرية ، فليس يدعاً أن يغدو في هنيهات صديقاً لنفر من الشباب الجامعيين ، كانوا رفاق سقراط طويل .

كان يقف إلى جانب الفتى المعلم ، فتى آخر يبدو أصغر منه بستوات قد لا تتجاوز الثلاث ، كانا ابني حيٍّ واحد من أحياء دمشق القديمة ، وانفق أن أمضيا بعض دراستهما في مدرسة واحدة ، يوم لم يكن من ثانوية في دمشق إلا « مكتب عنبر » . كانا يلتقيان حيناً في باحة المدرسة ، وفي الدروب المؤدية إليها حيناً آخر ، وكان أقصى ما يربطهما تحية عابرة بتبادلانها إذا ما التقيا في درب ضيق .

كان الفتى الأول ، رجلاً أدبياً واجتماعياً ، موفداً من وزارة المعارف للتعلم في دراسة اللغات القديمة ، وكان الثاني رجلاً قانون وإدارة . يشغل منصباً قضائياً ، إنه موفداً من وزارة العدل لدراسة النظم القضائية في البلاد الأوربية المختلفة ، وبحكم صنفته هذه ، كان متنداً في خطواته متمهلاً في أحكامه ، لا يتكلم إلا بمقدار ، يحب النكتة ويحسن الاستماع إليها ، ولكنه يندر أن يلقيا إذا اتسعت حلقة المستمعين إليها .

وجد الفتي القاضي نفسه ، إلى جانب رفيق عرف صورته وجهل طويته ، فاذا به يجد رفيقاً عالي التهذيب ، عفيف اللسان لين العريكة ، سَمحاً في صلاته مع الآخرين ، فحين أُتيح له أن يلتقي به على انفراد يتمتع طرفه بمنظر الشمس وهي تتكوّر في البحر ، نابّه شعور أنيس مدّة الحديث بينها حتى وجدا نفسيهما ينشدان مع شاعر دمشق الكبير :

كلّ جبارٍ يداينه مهين	ماله في عظيم الشأن قرن
حُصرت عنها عيون الناظرين	سمة ليس لها من غاية
خافه قبلي أمير المؤمنين	أنا إن أوجست منه خيفة
وهول النفس حتى تستكين	علاء العين فتفضي قرفاً
فكأن الشمس بالبحر تدين	كلّ يوم تسجد الشمس له
خجلاً كالرود في حوض خدين	ترتمي في حوضه محرّة

وكأنّا إذا نظرا إلى أمواج البحر تتلاحق مرثمة منخفضة ، رردا مع الشاعر قوله :

أثري ، أمواجه أنفاسه	رُديت بين شقيق وأنين
ججفل يركب منها ججفلاً	يتهادى كجنود زاحفين

وكأنّا إذا اجتمعنا ضحى يستمتعان بدفء الشمس ، ويتمتعان ناظرهما بجمال حوّم الطيور ، تلتقط ما تخلفه الباخرة من طعام ركاها ، أو إذا ذكرنا حينها إلى مراتع الصبا ومدارج الطفولة ، أنشدا مع الشاعر :

وطيور البحر في أسراها	تنهادى كشراعات السفين
قلت للشرب ، وقد أقبل من	أفق ؛ قلبي به عان رهين
أيها القاطع عرض البحر هل	لك عهد بروابي قاسيون

ثم مهوى القلب دارات الهوى منزل الأهل ، سمي المستضيفين
بأبي الشام وأمي ، إنما كعبة الآمال والحصن الحصين

* * *

وفي يوم غامت شمسها ، وتجمّع السفّار يسطلون بالقرب والحديث ،
انضمّ إلى السفر الدماشقية أحد رجال السلك السيامي في بلد عربي
شقيق ، وقد أنس بطرفهم وتهذيبهم ، وأنسوا بجله وثقافته ، فإذا به
يدعوم إلى مائدته عشية اليوم التالي ؛ ولكن البحر هاج ضحوة ،
وكانت الباخرة تمرّ في مضيق « مسينا » وصحيب موجّه ، واضطربت
السفينة ، ثم غدت على ضحاستها ، وكأنها طفل عصبت عيناه بغيامة يسمي
وراء لِدانيه ، فإذا بالسفّار يهرعون إلى مضاجعهم مرضى بدوار البحر ،
فأخذ أفراد الركب الشامي ، ينسل الواحد منهم تلوّ الآخر ، وما كانت ساعة
الغروب تأزف ، حتى كانت قاعة الاستقبال قد أفقرت إلا من ثلاثة ،
صاحب الدعوة والصدّيقين وهما يتساءلان عن الدعوة ، إن كانت ما تزال
قائمة ، فأجاب صاحبها : هي قائمة مادامنا ثلاثة على الأقل . ولم تخض
بضع عشرة دقيقة ، حتى اعتذر المعلم ، فران صحت مطبق ، ثم قام
السيامي وقام القاضي ، دون أن ينبسا بينت شفّة ، لقد مضى كلّ منها
متجلداً نحو مقصوده .

وعندما بدأت السفينة تلقي مراسيمها في « مرسيليا » ، كان كلّ رفقة
السفر شعر بأن المتعة التي نعيم بها أربت على مشاق السفر الطويل ، وكان
أكثر الركب شعوراً بهذه التّعمى ، ابنا الحيّ الدمشقي الواحد ، فقد
شعرا بأن آصرة ربطت بين رجلين فجعلت منها صديقين أخوين .

ولا ينسى القاضي يوم نزل من الباخرة ، ليلحق بقطار باريس ، أن
اليابسة كانت تميد من تحت قدميه ، فقد حمل معه شيئاً من دوار البحر ،
وإن ساعد صديقه المعلم كان عوناً دفع عنه أذى كثيراً .

وحمل القطار الصديقين إلى باريس حتى إذا بلغاها ، سلك كلٌّ منها مسلكاً وما اجتماعاً بعدئذٍ ، على نَدْرَةٍ ما اجتماعاً ، إلا على ودٍّ صافٍ وحبٍّ مقيمٍ .



أيها الزميل العزيز .

هذه صفحةٌ من « ذكريات » كتبها في يومٍ غير ، ثم جاء يوم في سنة أربع وخمسين وتسعمئة وألف ، وكنتُ أتولى منصب « نائب عالم في وزارة العدل » فإذا بي أسجل في هامشٍ : [في هذا اليوم زرتُ الصديق الأستاذ عبد الهادي هاشم ، مهنثاً بتوليهِ منصب الأمانة العامة لوزارة المعارف ، وقد ذكرنا رحلتنا على السفينة « عنابة الله » فنعمننا دقائق برجع الذكرى وانفشنا بالحديث عن أيام لا تنسى] .

وإذا كنتُ يا صديقي ، بدأت حديثي الليلة بذكرياتنا فلأصل الحديث بالقول : إني أملتُ يوماً أن تكون في استقبالي في هذه القاعة ، إذا ما قيتُ لي الدخولُ إلى هذا الصرح العظيم ، فقد كبرتني بسنوات ، وكنتُ ذا سابقةٍ في خدمة العربية ، والعمل على تحقيق أغراض هذا الحِجَم الذي نفاخرُ العربَ به . ، وكان من حقِّ سابقتك ، أن تكون سابقاً في الدخول إليه ، ولكن الرياح كثيراً ما جرت بغير ما تشتهي السفن ، على أنها قد تجري أحياناً بأسرع مما كان يؤمل ذو حظ من السفتانين ، وما كان الحظ ليغير يوماً من فضل السابقين في علم أو معرفة . لقد حلفت الرِّيحُ سفيني فأرستها مجليةً ، وما هو ذا حظي يجري الليلة بما أشتي فأمنح من قبل الرصفاء شرف استقبالك باسمهم .



سيدي الأستاذ الرئيس

أيها الرُصفاء الأعزاء

ساذقي المحترمين

يسعدني في هذه الألفية الزاهرة بمشارككم ، أن أقدم إليكم واحداً من رجال يعتز بجمع دمشق بأن يضمهم إليه ، فيقوى بهم على حمل العبء الذي نهض له خمسين عاماً مائتاً به ، عبء خدمة الضاد أم اللغى لسان الذكر المبين . وبأمثال هذا الزميل الجديد يستمر بجمعنا الغالي مجاهداً في سبيل تحقيق أغراضه ، ملقياً الأضواء على تراثنا الجيد ، خيي الألفية المهملة والقاعات المجهولة ، ساعياً لجمال العربية الخالدة ، لغة العصر الحديث تسار علومه وفنونه .

لقد ولد رصيفنا الجديد عبد الهادي هاشم ، في حيٍّ من أقدم أحياء دمشق ، سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافقة لسنة اثنتي عشرة وتسعمئة وألف للميلاد ، في أسرة شامية عُرف كثير من رجالها بمزاولة التجارة ، كما عُرف بعضهم بالانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع إلى العبادة . بدأ الزميل تحصيله الأولي ، كما كان يفعل أكثر أبناء الأسر الشامية العربية التي تسكن داخل دمشق وحول جامعها الأموي الكبير ، في « المدرسة الجقمقية » يوم كان على رأسها علامة دمشق وأحد رواد نهضتها المعاصرة وأصحاب الفضل على كثير من شبابها الرحوم الشيخ عيد السفرجلاني . ومن الجقمقية تحول زميلنا إلى مدارس أهلية وأجنبية تلقى فيها تحصيله الثانوي ، إلى أن أنهى هذا التحصيل في « مكتب عنبر » ثانوية دمشق الحكومية الفريدة .

ومن « الجامعة السورية » جامعة دمشق الوحيدة ، حصل الزميل على شهادة « مدرسة الأدب العليا » ، وكان أول متخرجي دفعته . وحالت الوظيفة بينه وبين إتمام دراسة « القانون » التي بدأها ، فانتسب إلى « سلك التعليم » واضطر إلى العيش سنوات عديدة بعيداً عن داره في دمشق .

وفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة وألف أوفدت وزارة المعارف زميلنا إلى باريس ، فتلمذ لكبار المستشرقين فيها ، وانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين كثير منهم ، وفيها درس شيئاً من علوم الفلسفة والتربية والألسن وألم إلماً وافياً ببعض اللغات السامية ، ومنها اللغة الحبشية القديمة (الجمز) ، ثم عاد إلى دمشق في بداية الحرب العالمية الثانية ، فدمّي أستاذاً للعربية في المدارس الثانوية ومديراً لدار المعلمين ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها ، أوفد إلى سويسرة لبتهم فيها دراسة اللغات السامية والحامية ، فتمكن من المصرية القديمة ومن العبرية ، ونال في هذه جائزة « باومان » عن دراسة وضعها عن الفيلسوف اللغوي اليهودي ، سعاديا غاؤون المعروف عند العرب بـ « سعيد بن يوسف الفيومي » ثم اختارته منظمة « اليونسكو » آنذاك ليكون خبيراً ثقافياً لها في القطر الليبي الشقيق ، بعد إعلان استقلاله سنة ١٩٥٢ م ، فأقام فيه مدة عامين ، كان خلالها خير سفير بين شقيقين ، يحمل الحب والود بين جنبيه ، كما يحمل رسالة الفكر بين يديه .

ولما عاد الزميل عبد الهادي هائم إلى دمشق ، تولى فيها وظائف كثيرة علمية وإدارية فكان محاضراً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، ومديراً للتعليم الثانوي والتعليم الريفي ، ورئيساً للجنة التربية والتعليم ، فأميناً عاماً لوزارة المعارف ، ثم تولى بعدها مديرية دار الكتب الوطنية بدمشق « المكتبة الظاهرية » ، ثم مديرية إحياء التراث العربي القديم في وزارة الثقافة .

وزميلنا اليوم أمين عام مساعد للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ويتولى تدريس « فقه اللغة » في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وهو عضو في اللجنة الوطنية السورية لـ « اليونسكو » وعضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وإلى جانب هذا قام زميلنا الأستاذ عبد الهادي هاشم بتمثيل سورية على خير ما يكون التمثيل ، في كثير من المؤتمرات العلمية والتربوية ، ولا سيما في مؤتمرات « اليونسكو » و « جامعة الدول العربية » و « مكتب التربية الدولي في جنيف » ، كما شارك في تحرير كثير من المجلات الأدبية والتربوية ، وحاضر في أكثر من مدينة عربية ، وحقق بعض المخطوطات من تراثنا ناشراً ذلك في مجلة مجمع دمشق ، كما أعان بعض الباحثين في تحقيقاتهم للمخطوطات العربية قيمة . وقد سبق لمجمعنا أن نشر تحقيق رصيفنا لكتاب فقيد العربية الكبير أستاذ الجيل المغفور له سليم الجندي المسمى « الجامع في أخبار أبي الغلاء وآثاره » وهو في ثلاثة أجزاء ضخام .

* * *

سادتي :

هذه المامة سريعة عن الأستاذ عبد الهادي هاشم ، الذي أجمع أعضاؤه مجمع اللغة العربية بدمشق على اختياره رصيفاً لهم ، خلفاً لازميل الراحل فقيد العربية الأستاذ عز الدين علم الدين التتوخي ، يشدون به أزرهم ويتابعون معه خدمة العربية وآدابها .

وإني باسم المجمع أدعو الرصيف الكريم إلى خطاب مجمي يحدثنا فيه عن سلفه الراحل أجزل الله ثوابه .

عبد الله الخطيب

دمشق في ١٣٨٩/٢/٧
١٩٦٩/٤/٢٤ م

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم

في حفلة استقباله

سيدي وزير التعليم العالي ، سيدي وزير الثقافة ،

سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي أعضاء المجمع سادة اللغة وحماها .

أحسنتم بيّ الظن فارتضيتموني لكم رصيفاً ، وأخذتم بضعتي ، متنعمين
متفضلين ، فأحللتُموني في مجتمكم الكريم منزلة سامية تتجاوز الأمانى وتقوت
الطامع ، منزلة ما كانت عنقي تتناول إليها ، لمعرفتي بنفسي وشعوري بنقصي
وبرحم الله امرأاً عرف حده فوقف عنده . وإني لوقن أنه لم يرفني إلى
مزاملتكم إلا عين راضية نظرت بها إليّ ، ونفسٌ سمحة عالية تجاوزت عن
عجزى واحتسبت بحبتي لهذه اللغة الشريفة وإخلاصي لها واعتدادي بأدبها
وحرصى على تراثها ففسحت لي مكاناً بينكم ، وأرجو ألا تكونوا على ذلك
فيما بعد من النادمين .

ولئن لم أكن أطمع في أن أغدو في يوم من الأيام من أعضاء المجمع
فما ذلك لأنني غريب عنه أو بعيد منه ، فأنا من معينه ارتويت ، وبرجاله
اقتديت ، ألفتُ رحاب المجمع منذ أكثر من أربعين سنة ألزم قاعاته
وأشهد محاضراته وأتلمذ لأعلامه وأتخرجُ بن شرفٍ بصحبته منهم أو
حظيتُ بمزاملته فيهم ، وكنتُ أجد في ملازمتي المجمعين الخالدين شرفاً أزهى
به واعتزّ ، وأرى في عشرتهم غذاء الروح ومتعة العقل وراحة النفس ،
وما أزال أذكر الفرحة التي غمرتني يوم اختارني الأستاذ الرئيس محمد

كرد علي منذ خمسة وعشرين عاماً لأشارك في التهيئة لمهرجان المهرجاني الألفي ،
ولأكون في إمرة الرجل النبيل الأمير جعفر الحسيني في الإعداد للمهرجان
والعمل لإنجاحه .

كما أذكر بالفخر والشكر ذلك اليوم الذي وقف فيه طه حسين منذ
أكثر من اثني عشر عاماً في حفل افتتاح مؤتمر الجامعات العالمية الأول في
دمشق يتوجه على رؤوس الأشهاد إلى رئيس الجمهورية السورية المرحوم
شكري القوتلي طيب الله ثراه بقوله :

« ولا بد أن يُردّ الحق إلى أهله ، ولا بد من أن
استأذن فخامتكم في إشارة موجزة إلى تاريخ التفكير في عقد
هذا المؤتمر ، وأول تفكير في عقد هذا المؤتمر إنما كان في
اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في جدة ، وكان الفضل
فيه لممثل سورية العظيم ، في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي
هاشم يمثل سورية في اللجنة الثقافية ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه
الفكرة ، ولا غرابة في هذا ، لما رأيتُ إلى اليوم أحداً
كالسوريين لا ينسى العروبة ويحسد العروبة ومستقبل العروبة ،
مارأيتُ أحداً كالسوريين يذكر هذا ويستصعبه في حلقه
وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزء مقوم
لكل عقل سوري ، وجزء مقوم لكل قلب سوري ، وجزء
مقوم لكل ذوق سوري . كان الذي أوحى إلينا بالتفكير في هذا
المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون
عقد أول مؤتمر للجامع العالمية في مصدر التفكير فيه : في دمشق
مهد العروبة وعاصمتها وهناك مزية خاصة لدمشق ، فجميعها

العلمي الموقر هو أولُ الجامعات العربية وجوداً وأشدّها نشاطاً وأخصبها إنتاجاً وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحبيبة وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم ؛ تتخذ في كل هذه الأشياء مثلاً وغودجاً ، ونطمع في أن نسير في إثره ونطمع في أن نصنع صنيعه ونقتدي برجالاته من زعماء العروبة وأعلام البيان .

اعذروني أيها السادة إذا أظلتُ الاستشهاد بشيء من خطاب عميد الأدب العربي في هذا العصر ورئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة اليوم ، فقد فعلتُ ذلك لأعيد إلى الذاكرة رأي كرام زملائكم في مجتمكم وتقديرهم رجاله وإكبارهم جهاده .

قلتُ لم تنقطع صلاتي بالمجمع ، بعدتُ أوقرتُ ، ولكنّ انضرتُ أيتام عمري وأعودها عليّ بالخير واليمن تلك الأعوام التي قضيتها في حرم المجمع ، على رأس دار الكتب الظاهرية ، فقد كنتُ ألقى الأستاذ الرئيس (خليل مردم بك) رحمه الله ، كل يوم ، لا المذاكرة في قضايا الإدارة فقد كان أمرها سهلاً ميسوراً ، ولكن المداولة في مسائل أدبية وفنوية ، وللقاء الأفاضل من الوافدين على المجمع لزيارة رجالاته ، ولما حلّ العلامة الأمير مصطفى الشهابي في نيابة الرئاسة خلفاً للمرحوم الأستاذ المغربي كان يخصني بوده ويُسّر كي في بجوئه ، وقد ذكرتني بلقاءاتنا الماضية يوم زرتُه رحمه الله الزورة الأخيرة فبيل وفاته بيومين .



ولئن أتيح لي شرف لقاء أكثر أعضاء المجمع من قبل ، فإن صلاتي بالمرحوم عن الدين التنوخي الذي أحلّتموني محله بعد انتقاله إلّا الأعلى كانت أوثق وأقوى ، فقد كنتُ أعرفه وأنا في ربيع الشباب من خلال ما أتفب

وترجم وحقق وحاضر ، فلما سميت منذ ثلاثين عاماً أستاذاً للعربية في ثانوية حمص خلقت فيها الأستاذ التنوخي وسرت على نهجه ، وكنت أزوره عند مقامي إلى دمشق وأستهدي برأيه فيحتني بي ويصفيني وده وإخاءه ، وكان تواتر اللقاء يزيدني إعجاباً بأبي قيس وعجبة له ، ويكشف لي كثر الأيام فضائل وشمائل في نفسه وخلقه وعلمه لا يكاد يعرفها أخص خلطائه .

ثم ازدادت صلتني به توثقاً أيام كنت في الجمع ، فكانت لجنة المطبوعات تمعد اجتماعاتها في مكنتي ، وكان التنوخي أحد أعضائها ، وكانوا ييحبون لي أن أخوض في الحديث معهم وكأني أخدم ، ويُسَرِّكونني في عملهم وإن لم أكن منهم . ثم لما تحولت عن الجمع إلى وزارة الثقافة كان الفقيه يشاهدني بالزيارة بين الفينة والفينة ، فأرد تحيته وأقصد إلى مكتبه في الجمع وإلى داره في ضاحية الميزة (أو دمشق الجديدة كما كان يحلو له أن يسميها) وكنت في الحالين سعيداً مغتبطاً لما كان يفيض فيه من طلل الحديث وحلو النادرة وبارع الرواية وحاضر النكتة ، ولما كان يلقي به مجالسه من كرم الترحيب ورفع الكلفة والانبساط الوقور دون ما تبدل ولا إسفاف . ولا أزال أذكر آخر لقاء بيننا وكان قبيل وفاته بلواذ أسبوع وكنا نتحدث فيه عن (معاني الشعر) للأشنانداني وما صنعه في تحقيقه ، وكان يومها مفترق الثمر منشرح الصدر يتدفق بشراً ونشاطاً ، وما كنت أعلم أنها آخر مرة ألقاه فيها في هذه القافية . على أن صلتني لم تنقطع بالتنوخي بعد وفاته ، فقد عكفت على العناية بكتاب الأشنانداني واستكمال تحقيق أصله ولحقه وذيله والتقديم له ، وأرجو أن يظهر الكتاب إلى الأسواق بعد أسبوع أو أسبوعين .

تقضي سنة للمجمع حميدة بأن يتحدث الخلف من أعضائه في حفل استقباله عن سلفه ، وكنتُ أحسب الأمر هيناً يسيراً ، وأن معرفتي بأبي قيس وبمجموع آثاره قيمة بأن تجعل الأمر على طرف النشام ، وما كنتُ أدري أن شدة القرب حجاب وأن العين لا ترى جاريتها ولا تحسن وصفها وأن أجهل ما يكون المرء عندما يحسب نفسه عالماً ، وأن ترجمة مَنْ بعد من القرباء قد تكون أسهل وأيسر من ترجمة مَنْ دنا من القرباء ، وهذا عذري إذا لم ترضوا سيداتي وسادتي عما سأسوقه في ترجمة الفقيد ووصف بعض آثاره .

يُسمى ' عز الدين علم الدين التنوخي إلى أسرة يذكر بعض المعارف أنها كانت قد اتخذت العراق سكناً منذ مئات السنوات ، ثم هاجر بعض أبنائها إلى الشام وأقاموا في سواحله وعلى جباله ثم يشتركون مع أهلها في رد عادية الصليبيين عن الثغور الشامية . ثم انتهت تلك الحروب واستقر أبناء هذه الأسرة في لبنان وتكاثر نسلهم وغلبوا على أرجاء واسعة من الجبل . فلما وقعت الواقعة في عين دارة سنة ١٧١١ م / ١١٢٢ هـ بين القيسيين وعلى رأسهم الأمير حيدر الشهابي واليمنيين وأمراؤهم بنو علم الدين وانجبت عن هزيمة اليمنيين وقتل الكثيرين منهم نزع مَنْ سلم من آل علم الدين إلى دمشق واتخذها موطناً له .

وقد ولد الفقيد عز الدين بدمشق حوالي سنة ١٨٨٩ م في أسرة كادحة عاملة تصنع سروج الخيل وتتفوق في هذه الصنعة فتصير إليها مشيختها ويسمى والده (شيخ السروجية) فإذا لقي الوالد وجه رب حل محلّه في المشيخة ابنه وهو أخو عز الدين .

نشأ الفتى عز الدين في هذه البيئة ، ولكن نفسه عزفت صغيراً عن الرضى بأدنى المعيشة ، وتطلعت إلى مجد مؤثر ومؤمل . فبعد أن أنهى الدراسة

الابتدائية في المدرسة السباهية والاعدادية في المدرسة الرشدية تحول عن دمشق إلى يافا ومنها إلى الأزهر في القاهرة يدرس على شيوخه يحمل معارف عصره ، وقد عاش التنوخي في مصر عيشة شظف وقشفت بتلغ بالقليل ، وينصب ويتعب من أجل الحصول عليه ، ثم عاد إلى دمشق قبيل إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ولم يبلغ العشرين من العمر ، فقصده للتدريس والإقراء في جامع بني أمية ، وأقبل الناس عليه ، ورضوا عن طريقته في الوعظ والإرشاد ، ودعوته إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد أعانه على امتلاك قلوب طلابه طلاقة لسان وحلاوة حديث وبعد عن الجود والتطرف ، ودعوة معتدلة لإصلاح في شؤون الدين والدنيا متزن متشد ، وعلم غزير اكتسبه من الأزهر ومن دروس علامي دمشق يومئذ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار .

وكان جو الشام متلبداً باليوم : حكومة تركية غاشمة توجس من بنيه شراً ، وتضرع لهم أذى وضراً ، وتربص للإيقاع بمن أبوا منهم الإقامة على ضم يراد بهم وبلادهم ، وأنفقوا من الاستكانة إلى ظلم أولئك الطورانيين الناصيين ، فقامت جمعيات سرية عربية تدبّر للخلاص مما تعانيه البلاد وكان التنوخي فيما يبدو ضالماً معها مشاركاً في بعضها .

وتوفده جمعية أهلية مع بعض الشباب الشاميين إلى فرنسا لدراسة الزراعة في (غرينيون) ، فإذا أتم عز الدين دراسته عرج في طريق عودته على القسطنطينية يتصل فيها بالجمعيات العربية السرية ، وينتسب إلى بعضها كالمتندي الأدبي ، ثم يهبط بيروت لينهض بتعليم الزراعة في مركزها الزراعي سنة واحدة ، وما تلبث أن تنشب الحرب العالمية الأولى ويساق التنوخي إلى مدرسة ضباط الاحتياط في دمشق ، وقبل أن تم دروسها بفرق جمال باشا قائد الفيلق الرابع طلاب المدرسة العرب ، وبعين التنوخي في

حلب ، ولكن الضابط الصغير يتبين الغدر في نفوس الأتراك فيفسارق دمشق خفية إلى جبل الشيخ ومنه إلى بادية الشام فإلى الجوف (وهي دومة الجندل) ثم ييمم شطر العراق فالحجاز لينضم إلى الشريف حسين عندما أعلن ثورته على الأتراك . وهناك يسميه الشريف (وزيراً للزراعة في واد غير ذي زرع) كما يقول التنوخي . ثم يلتحق بجيش الأمير فيصل ويدخل دمشق ثانية بعد أن حرّرها الجيش العربي .

وكانت تلك الفترة مباركة على الأمة التي أخذت تنشئ الحياة يومئذ ، وتعدّ لغدر باسم مشرق يذكر بالأمس البعيد الوضاء .

وشارك التنوخي مع بعض علماء الشام حينئذ في بعث العربية ونشرها وتعليمها ، وتألف من صفوة هؤلاء العلماء المجمع العلمي العربي في حزران عام ١٩١٩ وكان عز الدين في عداد هذا الرعيل الأول .

ثم يسهم التنوخي من بعد في تأليف جمعية (الرابطة الأدبية) ويشرف على إصدار مجلتها ، ولكن السلطة الفرنسية — وقد غزت جيوشها البلاد الشامية بالحديد والنار — لم ترق في عينها الرابطة ولا مجلتها ، فأمرت بحل الجمعية وحجب مجلتها سنة ١٩٢٢ وكثت الأفواه وكسرت الأقلام وبثت في البلاد الهلع والفرع .

ضاقت السبل أمام هذا الشاب التنوخي في بلده ، فلما دعاه ساطع الحصري إلى العراق — وكان قد رافق فيصلاً الأول إليه — ولى وجهه شطر بغداد وأخذ يدرس في دور المعلمين الأولية والعالية وينشر المعرفة ويصّر الناشئة بلغة الجذود وتراثهم الحميد الحبيب ويضع لطلابه كتباً في العلوم واللغة والأدب لا يزال الناس يذكرونها ويشكرون مسعاته في تأليفها .

ثم يغالبه الحنين إلى مسقط رأسه فيعود في أوائل العقد الرابع إلى دمشق وينصرف إلى المجمع وعمله فيه ردحاً من الزمن ، وإشارك في

محاضراته وندواته ، ويسم في مهرجان المنبي سنة ١٩٣٦ ، سم يُسمّى
بُعيد ذلك مدرساً للعربية في ثانوية حمص وبقلب بعدها في وظائف كثيرة
إدارية وتعليمية في السويداء ودمشق ؛ إلى أن يوكل إليه تدريس علوم
الآلة في كلية الآداب ويظل قائماً بها إلى أن يحال إلى التقاعد عام ١٩٥٣
وهو على أتم ما يكون نشاطاً وحيوية . فيتفرغ أو يكاد للعمل في المجمع
وفي مجلته ، ثم ينتخب عام ١٩٦١ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وأخيراً
يسمى نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي في دمشق أواخر العام ١٩٦٤ بعد
وفاة العلامة الأستاذ المغربي . فكان يقضي سحابة نهاره في المجمع ويروح
أحياناً إلى مزرعة له في ضواحي دمشق كان قد اقتناها لما عاوده الحنين
إلى الزراعة . ومن هذه المزرعة يذهب إلى لقاء وجه ربه راضياً مرضياً
فجر يوم الجمعة ٢٤ من حزيران ١٩٦٦ (٦ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ) .



كان المرحوم التنوخي رضي الخلق كريم النفس جَمَّ التواضع عَفَّ
اللسان قريباً إلى القلب ، وكان متمسكاً بدينه معتزلاً بقوميته مجاهداً في
مسبيل أمته بسيفه وقلمه ، جاهداً في الحفاظ على لغتها وتراثها . وكان وافر
النشاط يعمل في المجمع والمزرعة والمثروعات الخيرية والاجتماعية لا يصرفه
واحد منها عن غيره .

وكان إلى ذلك قوي الذاكرة حاضر البديهة جميل النكتة .

وقد قضى حياته الطويلة جُلداً دهباً على الدرس والبحث والعلم والعمل
حتى غدا حجة في العربية مشاركاً في علوم أخرى كثيرة ، وحتى خَلَّف
لنا ثروة ضخمة من الآثار النافعة والتصانيف القيمة . وقد نُشِر في حياته

منها أكثر من عشرين كتاباً ورسالة بين مؤلف ومترجم ومحقق في شتى ضروب المعرفة .

فأول ما ألف رسالة فلسفية سماها (الفتح المبين) في شرح عينية ابن سينا الرئيس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلّ وتغنم
وقد طبعت هذه الرسالة في مصر أيام كان التنوخي يدرس في الأزهر
ولم تجاوز سنه الخامسة عشرة فيما يبدو .

ثم نشر في العراق كتاباً في مبادئ الفيزياء في جزئين ترجمه عن الفرنسية لفرنان ماير ، ثم ترجم قصة قلب الطفل في جزئين أيضاً ، وأصدر كتاب دروس الإنشاء مقتبساً من كتاب موريس غرينو ثم والى في دمشق تحقيق بعض التأليف الأدبية واللغوية ومنها :

كتاب المنتقى من أخبار الأصمعي للرباعي وكتاب تكملة لإصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي وكتاب بحر العوام فيما أصابت فيه العوام لابن الجنبلي .
ثم أخرج لطلابه في الجامعة ثلاثة أجزاء فيها شرح (إيضاح القزويني الدمشقي) في البلاغة وكتاباً سماه (إحياء العروض) وشارك في وضع (المعجم العسكري) الفرنسي العربي والانكليزي العربي ثم نشر تحقيقه المتقن لكتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي في جزئين كبيرين وكتاب الثنى وكتاب الإتياع وكلاهما لأبي الطيب نفسه ثم نشر كتاب الابدال للزجاجي وحقن مقدمة النحو خلف الأحمر كما نشر الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب الأزدي .

وتوفاه الله قبل أن يفرغ من تحقيق كتب أخرى كان يعتزم نشرها ، ومنها كتاب (معاني الشعر) الأشنانداني في أصله ولحقه وذيله ، وكتاب

(الدلائل في غريب الحديث) لقاسم بن ثابت السرقسطي، وكذلك كتاب (منتهى الطلب) لابن ميمون فيما يذكر صديقه العلامة عبد العزيز اليميني الراجكوتي . هذا إلى عدد جم من الرسائل الصغيرة والمقالات والقصائد التي كان ينشرها في مجلات كثيرة كالمجلة السلفية ومجلة الزهراء ومجتي التربية والتعليم في بغداد والشام ومجلة الرابطة الأدبية ومجلة الثقافة ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومن عجب أن آخر مقالة له نشرت في صدر عدد مجلة المجمع الذي نعا فيه ، قضى التنوخي ستين سنة كاملة (من ١٩٠٦ إلى ١٩٦٦) يؤلف ويترجم ويحقق في أنواع شتى من المعرفة ، ولوددت أن أتحدث عن خصائص كل من مؤلفات التنوخي وأن أذكر موضوعه ومنهج التنوخي فيه لو كان الوقت مسعفاً ، ومع ذلك فلا أحب أن يفوتي الحديث ولو موجزاً عن ثلاثة من تصانيف التنوخي هي كتاب الابدال وكتاب تهذيب الإيضاح وكتاب مسند الربيع بن حبيب . ففي هذه النماذج دلالة واضحة على نهج التنوخي رحمه الله في التأليف والتحقيق ، وبيان لطول بآعه في علوم كثيرة لا يتاح لغيره الإلمام بها مجتمعة ، بله إتقانها والتمكن منها .



فأول هذه التصانيف التي اخترت كتاب (الابدال) لأبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ ، وقد نشره التنوخي في جزئين يقعان في قرابة ألف ومائتي صفحة ، ووطئاً له بحديث ضاف عن الإبدال اللغوي والنحوي وحدودهما ، وبسط قواعد الإبدال اللغوي وضرب الأمثلة عليها ، ثم انتقل إلى الكلام على القلب الشعري وعلى تعانف الفصحى والعامية ، وعلى التعاقب بين العربية واللغات السامية ، وعلى تولد اللغات من اللغات ، وشرح ذلك كله شرحاً علمياً لا تكاد تقع على مثله عند المعنيين المنفرغين

أثقل هذه البحوث ، وانتقل بعد ذلك إلى بيان أثر قلة الإعجام في التصحيف ، وإلى مباحث شتى تتصل بالترادف والتعاقب . ثم أخذ يقارن بين المتقدمين والمحدثين في هذا العلم ويرجح المحدثين وهو في خلال ذلك يسوق آراء في هذه الظاهرة اللغوية الصوتية : ظاهرة الإبدال ، يحاول فيها أن يفيد من العلم الوضعي المستحدث اليوم في تعليل ما رواه العرب مماعاً ولم يحكوا تعليله . ثم عرّف التنوخي بمؤلف (الإبدال) أبي الطيب اللغوي وانتقل إلى الحديث عن مخطوطة اشتملت على الكثير من كتب أبي الطيب ، وساق الأدلة على أن عزو الكتاب الذي نشره إلى أبي الطيب عزو صحيح . أما نص الكتاب فقد ضبطه بالشكل الكامل المتقن ، وهذا الضبط في الشكل أمر لا مندوحة عنه في كتب اللغة ، ولم يدع التنوخي كلمة لغوية في هذا السفر الضخم إلا شرحها ، ممتداً أوثق المراجع وأوسع المعاجم ، حتى جاءت حواشي الكتاب أضعاف متنه . ويبدو أن أباقيس كان يودّ المضي في العناية بالكتاب فوق ما فعل ، فهو يقول (في مقدمة الإبدال ص ١٢) : « ولوددت مهلة من العمر لأشرح إبدال أبي الطيب اللغوي أو فائت إبداله مما جمعته من كتب اللغة على طريقته ، مخصّصاً لها وباحثاً عن أصولها وفروعها وذاكراً آراء فقهاء اللغة فيها من المتقدمين والمحدثين . »

ولا شك أنه لا يقوى على نشر هذا الكتاب وضبطه وتحريره والتعليق عليه إلا الراسخون في العلم ، فتحقيق كتاب لغوي ليس بالأمر اليسير ولا سيبا كتاب لم تصل إلينا منه إلا مخطوطة واحدة . وهذا الكتاب يعالج زاوية عسيرة من اللغة ، وقد وفق المحقق في التعليق على الكتاب بما يستوجب الحمد والثناء . ويؤكد الرء يجد في كل صفحة منه ما يحسبه صنيع لجان مجتمة لا فرد متوحّد . وكان التنوخي يعلم أن عمله هذا مجازفة قد يكبو فيها

جواده فقال في المقدمة : فقلنا خلا تحقيق كتاب ، من مبانة لوجه الصواب ؛
والتنزه عن الخطأ معوز ، والكمال لغير الله معجز .



أما الكتاب الثاني الذي أود التحدث عنه فهو (تهذيب الإيضاح) .
والحق أن التنوخي لم يكن يرضى بالاختصار على علم واحد من علوم
الأوائل ، بل كان يود الإحاطة بها جميعاً ، ويتطلع إلى إتقانها كلها وتجديدها
وتيسيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وعلمو البلاغة ، كما صنفها المتقدمون ، عسيرة المطلب وعرة المسلك ،
قل العارفون بها ، المتمكنون منها ؛ على أنه لا غنى عنها لمن يود فهم
أساليب عصور طويلة من تاريخ أدبنا ، وأنماط كثيرة من تفكيرنا ،
وجوانب عديده من ثقافتنا . وأشهد أن التنوخي كان في هذا الميدان من أبرع
من عرفنا في علوم البلاغة كلها ، ومن أقدرهم على تبين خصائصها ونقائصها .
ولما نيط به تدريس طلاب جامعة دمشق علوم البلاغة اختار من كتب
المتقدمين كتاب (الإيضاح) للقزويني الدمشقي المتوفى عام ٧٢٦ هـ فشذبه
وهذبه وشرحه وعلق عليه في أجزاء ثلاثة يسّرت لطلابه معرفة أصول
هذه العلوم وأذاقهم حلوة درسها وفتحت عيونهم على طريقة في فهم البلاغة
ما كانت تتاح لهم لولا كتاب التنوخي هذا .

ولا شك عندي في أن خدمة أبي قيس (لإيضاح) القزويني خدمة
جليلة محمودة ، ولا أكنتمكم أنني كنت قد قرأت منذ سنوات طويلات (مفتاح
العلوم) للسكاكي و (تلخيص المفتاح) للقزويني ، و (مختصر تلخيص
المفتاح) للفتناراني ، و (مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح) لابن
يعقوب المغربي و (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين

السبكي و (الإيضاح لتلخيص المفتاح) للقزويني ، و (حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح) ، كل هذه المتاحش والشرح والحواشي المتعلقة (بإيضاح) القزويني لم تَسُنْ لي أبواب البلاغة ، ولم تُبْرِ لي ظلماتها ، وكنتُ أجد في نفسي انصرافاً عن القزويني وزهداً بما أُلِّفَ ، فلما رأيتُ كتاب التنوخي قلت : وهذا مفتاح آخر لن يزيد الباب إلا إرتاجاً . ولكنني مضيت في قراءته فأدركت وهي ، وعرفتُ أنه كم ترك الأول للآخر وكَم فات السابق ما أدركه اللاحق ، فقد يَسُر التنوخي علوم البلاغة وأضاء مجاهلها ، برهف ذوقه ودقة فهمه وسعة حفظه وسلاسة شرحه واستحضاره الشواهد المينة الواضحة ، واستكثاره من النصوص المحكمة المتخيرة ، وتعليقاته المفيدة النافعة . وقد أعانه ذلك على أن يذيل كل باب بأمثلة كثيرة متخيرة جميلة يسوقها لتدريب القراء وتخريهم والأخذ بيدهم لادراك وجوه الجمال في التعبير وضروب البلاغة في الأداء . وليس لنا أن نقضي التنوخيَّ وضع أسس جديدة لعلوم البلاغة واستكمال ما فات القزويني وغيره منها ، ليس لنا ذلك ، لأنه في هذا المقام شارح للكتاب لا مؤلف . ويبدو أنه كان يود أن يصنع شيئاً من ذلك ، ولكن لم يقيِّض له قصر الزمن بلوغ غرضه .



كان التنوخي ... كما سبق القول — متمدّد جوانب المعرفة ، متّسع آفاقها ، فقد بدأ حياته العلمية بدراسة شيء من اللغات الأجنبية كالفرنسية والتركية والفارسية ، ثم انصرف إلى تعمق العربية والعلوم الدينية في الأزهر ، ثم عكف على دراسة العلوم الزراعية في فرنسا ، ثم اتجه إلى العلوم الوضعية في العراق ، وعاد لتدريس علوم الآلة في دمشق ، واشتغل

بتحقيق عيون تراثنا المجيد في اللغة والأدب والنحو . على أن من آخر الكتب التي حقق ونشر كتاباً في الحديث يثق به الاباضية من الخوارج ، عنيت به الجزء الثالث من (شرح الجامع الصحيح) مسند الإمام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي) وقد طبع بدمشق عام ١٩٦٣ م . وأنتم تعلمون أيها السادة أن هذا الجامع الصحيح هو عمدة الاباضية في الحديث ، لا يمدلون به شيئاً من كتب السنة والشيعة ، وأن لهذا الجامع شأنًا — وأي شأن — عند الباحثين ، لأنه لم يسلم لنا من كتب الخوارج الأولين غيره في بابهِ . وقد توفر التنوخي خريج الأزهر على تحقيق متن هذا الجامع وشرحه ، ووطأ له بمقدمة أرخ فيها أولية تدوين الآثار والأخبار والأحكام عند المسلمين ، ثم أفاض في بدء تدوين الحديث وشرح رتب الصحيح من أحاديث الرسول والأسانيد الثلاثية ورجالها ، ومقام مسند الربيع بن حبيب ، وجلا ثلاثيات الربيع وكيف أن أحاديثها في مسنده من أصحابها رواية وأعلها سنداً ، وقد ترجم لرجال هذا المسند : أبي عبيدة التميمي وجابر بن زيد الأزدي والبحر عبد الله بن عباس . وجابر هذا هو — كما تعلمون — أصل المذهب الاباضي في عُمان والمغرب ومن أصحاب عبد الله بن عباس .

وكان التنوخي كان يخشى أن يُرمى ' بنصرة المذهب الاباضي — وهو الجاهر بسنيته المعتز بها — ، فقال في مقدمة الكتاب : « وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ، ولا سيما مارواه الشيخسان ، إلا لتطمئن قلوب اخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بُني عليه المذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث ، وأكثرها مما جاء في الصحيحين ، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره ، لكيلا يقع الناظر في هذا الكتاب فيما وقع

فيه خصوم الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة .

أما تحقيق التنوخي لهذا الجامع الصحيح فيـدلّ على تمكن من علم الحديث قلّ في عصرنا من يضارعه فيه ، فهو يقابل ما جاء فيه بكتب أهل السنة ويشرح وينقد ويترجم للرواة وبمدلّ ويجرّح ، وقد يمدل إلى شيء من العربية بعينه على إيضاح الغامض وتقويم النقاد .

ومن الطريف أن آخر تعليقة للتنوخي في هذا الجزء من الكتاب عادت به إلى ما اعتاده رفاقه وطلابه منه حين كانوا يسمعون أحاديثه الطلة الحلوة ، وأستمحكم العذر في تلاوة هذه التعليقة الأخيرة عليكم لصلّة ما فيها لبعض أعمال مجرمكم ، ولتصويرها جانباً من جوانب العزّ التنوخي رحمه الله . فقد جاء في تعليقه على شرح الحديث الشريف : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » :

« يقول الشارح : نكثره (نكثّر علماً في قوله : يلتمس فيه علماً) ليندرج فيه القليل والكثير ؛ فيضيف التنوخي : كما نكثّر العلم في قوله تعالى : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ليكون شاملاً لجميع العلوم النافعة ، فليس مقصوراً على الفقه والنحو والصرف وحدها ، بل يطلق أيضاً على العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وعلم الحيتل (الميكانيك) وعلى كل علم يقوى به المسلمون والعرب ويعينهم على اختراع الأسلحة الحديثة الدّريّة التي يقاتلون بها الأعداء من المستعمرين ، ويدافعون بها عن حوزة الوطن والدين ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ صدق الله ؛ لا يستوي عالم وجاهل ولا دارع عالم وأعزل غافل ؛ ولو أن شاعرنا العربيّ الشّدّاخ عاش في عصر العرب المسلمين هذا لقال :

أَبَيْنَا فلا نعطي السلاطينَ طاعةً ومستعمرًا إلا الصُّرُوخَ المضرمًا
ولا ننتفي هذا الحسامَ مجردًا ولا نرتضي ذاك الوشيحَ المقوّمًا

ثم يضيف التنوخي الجمعي : الصُّرُوخَ وزن فعول هو الصاروخ الذي
يصعد بتضريم النار إلى السماء ، وبيننا الشدّاخ بن عوف الكتاني ها :

أَبَيْنَا فلا نعطي مليكًا ظلامه ولا سوقه إلا الوشيحَ المقوّمًا
وإلا حسامًا يبرقُ العينَ لمُحْجِه كصاعقةٍ في غيثِ مزنٍ تركبها ،

هذا ولا أعلم أن للتنوخي كتبًا أخرى نشرها في الحديث النبوي ،
ولكنه كان في أواخر أيامه معنيًا بكتاب (الدلائل في غريب الحديث)
لقاسم بن ثابت السرقسطي ، فقد عرف به في مجلة المجمع في مطلع العام
١٩٦٦ م في مقالة ضافية جميلة ، واشتغل بتحقيق الكتاب ، ولكن وافاه
الأجل قبل الفراغ منه . وقد عزم المجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

وصفوة القول كان التنوخي حافظًا للكثير من الأحاديث النبوية ، واقفًا
على معانيها المستفادة منها عارفًا بمطائنها ورواتها قادرًا على تمييزها وتبيين
صحتها من موضوعها .

وهذا جانب آخر يدل على فضل التقيد واتساع آفاق علمه .



وبعد فما يجمل بي أن أجترى بالإلماع إلى آثار التنوخي وأغفل الحديث
عن صاحب هذه الآثار ، ولكن استيفاء هذا الحديث يشغل من وقتكم
فوق ما يتسع له صدركم ، فاسمحوا لي أيها السادة بأن أقصر على كلمات قليلات
أقولها في التنوخي الجدد والتنوخي الشاعر والتنوخي اللغوي .



مُعْرِفُ الْكَثَرُونَ مِنْ رَجَالَاتِنَا فِي فَاتِحَةِ عَصْرِنَا هَذَا بِالْحِفَافَةِ وَالْوَقُوفِ
عِنْدَ مَا وَقَفَ عِنْدَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فِيهِمْ لَا يَمِيلُونَ لِلتَّجْدِيدِ إِلَّا بِقَدَرٍ ، وَلَا يَرْضَوْنَ
مِنَ الْإِصْلَاحِ إِلَّا بِمَا تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ؛ وَلَئِنْ غَلَبَتْ نَزْعَةُ التَّجْدِيدِ — وَلَوْ إِلَى
حَدٍّ — عِنْدَ بَعْضِ رَجَالِ السِّيَاسَةِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْإِجْتِمَاعِ وَالثَّقَافَةِ وَالْفِكْرِ وَالْأَدَبِ ،
فَإِنَّ نَزْعَةَ التَّجْدِيدِ هَذِهِ كَانَتْ تَطْرُقُ عَلَى اسْتَحْيَاءٍ وَخَفَرِ أَبْوَابِ الْغَوِيِّينَ وَلَا تَلْجَأُ
إِلَّا بِجَذَرٍ وَتَرْدَدٍ ، تَقْدِّمُ رَجُلًا وَتُوَخِّرُ أُخْرَى . وَكَانَتْ دَوَاعِي الْإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ
فِي بَادِي الْأَمْرِ وَافرةً غزيرةً ، وَلَكِنْ عَوَامِلُ الْبَيْئَةِ الْحَافِظَةِ ، وَغَلْبَةُ الثَّقَافَةِ
التَّقْلِيدِيَّةِ ، وَالْخُشْيَةُ مِنَ التَّرْدَدِ فِي مَوَاقِفِ الْمُنْهَبِ كَانَتْ تَدْعُو إِلَى الْقَصْدِ
فِي التَّجْدِيدِ وَالتَّغْيِيرِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ صُدُورُ رَجَالِ اللُّغَةِ مِثْلًا تَخْرُجُ
بِتَقْبِيلِ الدَّخِيلِ وَالْمَوْلُودِ ، وَتَحْجَمُ عَنْ مِجَارَاةِ مَا اسْتَنْشَأَ أَنْبَاءُ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى
فِي الْمُسْتَحْدَثِ مِنَ الْأَلْفَافِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُسْتَجِدِّ مِنَ الْمَعَانِي . وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ
عِنْدِي أَنَّ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ كَانَتْ فِي مَطَالَعِ هَذَا الْقَرْنِ فِي مَعْرَكَةِ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ ،
وَأَنَّ مَقَوِّمَاتِ النُّصْرَةِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ لَضَمَانُ بَقَاءِ الْأُمَّةِ كَادَتْ تَنْحَصِرُ يَوْمَئِذٍ فِي
الْحِفَافَةِ عَلَى اللُّغَةِ ، فَزَوَالُ اللُّغَةِ مِثْلُ زَوَالِ الْأُمَّةِ ، وَبَقَاءُ أَنْبَائِهَا بِقَاءُ لُغَتِهِمْ ،
فَكَانَتْ صُدُورُ عَلَمَائِنَا تَضْيِيقُ بِالْمَوْلِدِ وَالدَّخِيلِ وَتَوَدُّ الرُّجُوعَ إِلَى الْمَأْثُورِ
الْأَصِيلِ . فَلَمَّا اِظْمَأَّتْ الْأُمَّةُ إِلَى وَجُودِهَا وَبَقَائِهَا (أَوْ لَمَّا خُيِّلَ لَهَا ذَلِكَ)
اتَّسَمَتْ صُدُورُ عَلَمَائِنَا ، فَفَرَضُوا بِتَسْنِيَةِ أَبْوَابِ اللُّغَةِ وَبِالْإِجْتِهَادِ فِيهَا ، وَغَدَا
عَلَمَائِنَا أَقْلٌ تَزِمَتْ وَتَصَلَّبَتْ ، وَأَسْبَحُوا أَمِيلِينَ إِلَى التَّيْسِيرِ وَالتَّجْدِيدِ ، وَقَدْ يَحْتَلِفُونَ
فِي تَعْيِينِ الْحَدِّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقِفُوا عِنْدَهُ ، وَقَدْ يَغْلُو أَحَدُهُمْ فَيَجَاوِزُهُ
بِأَشْوَابٍ أَوْ يَتَصَلَّبُ بَعْضُهُمْ فَلَا يَبْلُغُهُ إِلَّا مِنْ بَعْدٍ ، وَمَرَدُّ ذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ
فِي التَّقْدِيرِ وَتَبَاعُدُ نَظَرَتِهِمْ فِي الْأَصْلَحِ وَالْأَمْثَلِ .

وَيُرْوَعُنَا أَنَّ نَجْمَ التَّنَوُّخِ — وَقَدْ وَلَدَ فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي وَنَشَأَ أُرْهْرِيَّةً
فِي بَيْئَةٍ دِينِيَّةٍ وَتَكْوُنَاتِ ثِقَافَتِهِ وَنَفْسِيَّتِهِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْأُولَى — يُرْوَعُنَا أَنَّ

نجد ، عمره كله ، منادياً بالتجديد ، راضياً به ، داعياً له ، ما أعانته عليه إعداداته الفكرية وفتحه الذهني وتقديره الشخصي ، فهو يقول مثلاً في واحد من أوائل كتبه وقد نشره في العراق عام ١٩٢٧ :

« وما زالت هذه الصناعة (صناعة الإنشاء) تتبع في تهذيبها وترقيتها سير العلوم وتكامل الصنائع حتى أوشكت أن تبلغ بين الفرنجة تمامها ، ونحن لم نزل على تركة أسلافنا جامدين ، وسادتين أبواب الاجتهاد في الفقه بأنواعه : فقه اللغة وفقه البيان والتبيين وفقه الآداب الرفيعة وفقه الصنائع المفيدة وفقه السلم وفقه الحياة بخلافها أي فقه الدين والدنيا معاً . »

ويقول في مقدمة كتاب آخر أصدره بعد أكثر من ثلاثين سنة :
« ولو توقّر لسلفنا الصالح من وسائل دراسة الأصوات السمعية والآلية وعلم أمراض الكلام والاطلاع على اللغات السامية ومقارنة اللغات القديمة والحديثة كما توفرت لفقهاء اللغة في ديار الغرب في هذا العصر ، لرأينا من حلّ مشكلات الابدال واستبطان أسرار لغتنا العربية ما هو مقطع الصواب . »
ويقول في موضع آخر (مقدمة الابدال) :

« ثم ماذا كان علينا لو انتفعنا بأبحاث علماء التجويد الحديث Phonologie من الغربيين ، بعد أن نصيحت على نار الاختبار مباحثهم الصوتية إن أسانذة اللغة الحديثين الذين كتب لهم الاطلاع على المباحث الصوتية الحديثة ودرسوا علم الأصوات اللغوية وتطور الأصوات في اللهجات العربية القديمة والحديثة ثم تابعوا سير الدراسات اللغوية في ديار الغرب وتطور أصوات الصبيان في مراحل النمو أو درسوا علم أمراض الكلام ، وأبحاث آفات اللغفات وأسباب حدوثها وطرق معالجتها هم لعمري أصدق نظراً في أحوال الابدال وأصح أحكاماً على نظائره وأقوى على حلّ مشاكله

واستبطان دخائله ممن لم يطلّمْ على غير فن التجويد أو بحث الفصاحة من كتب البلاغة أو آراء ابن جني وأتباعه وغيرها »

ويقول في مقدمة كتاب آخر (مقدمة الإنباع) :

« ولقد آن لنا أن ندرس لغتنا العامية دراسة علمية . . »

كما يقول في مقدمة (الايضاح) :

« إن البلاغة العربية التي تشتمل على هذه الفنون الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) إنما تبحث عن الجملة والصورة وهما شطر من الأسلوب الذي أغفلته بلاغتنا . والأسلوب لا تخلد الكتابة ولغة الأمة إلا به ، ولم تَبْجُثْ معه عن الفكرة والعاطفة والخيال وعن قواها وأنواعها ، ولئن كانت الجملة والصورة قوام جسم البلاغة فالفكرة والعاطفة والخيال روح ذلك الجسم السويّ الجميل ، والتعبير المستوفي لشرائط الحسن إذا ما خلا من روحه أشبه التمثال الذي استوفى نحتَه شرائط الإتقان ولكنه يظلّ معها جامداً بارداً لفقده الروح والحياة .

ثم إن لهذه الفنون أو الفصول الثلاثة من البلاغة أنواعاً أدبية أخرى Les genres littéraires لها بها اتصال وثيق ، وبجملتها يتم بيان الإنسان كالوصف والخطابة والقصة والرسالة والبحث والمناظرة ، فلها بلاغات فنية خاصة ، وعسى أن نوفق يوماً لإتمام البحث عنها في رسائل أو كتب مستقلة تدل طالب البلاغة الإنسانية على أصولها وأساليبها وشرائط الإتقان والإحسان فيها . . »

والتنوخي في كتابه (إحياء العروض) يشير الى النزعات الانتقادية في العروض وغلبة سلطان التقليد وتحكمه في أصحاب هذا العلم ، وينمى عليهم موادعتهم له ورضاهم به ، كما يجاهر بإنكاره على الجامدين جودهم ويقول :

« والعلماء الاتباعيون لا يعدون ما تستحدثه الحاجة من فروع العلم علماً ، ولذلك لا يعتبرون ما تستحدثه الأندلسيون من الموشحات شعراً ، على أنها أرق فنون الشعر العربي ، ومن أقوى الدلائل على حيويته وخلوده بتطوره ؛ وأمتنا العربية اليوم في حاجة حائرة إلى هذه الأوزان الموسيقية ... »

هذه النية الحسنة في التماس الإصلاح ، وهذه الدعوة الصريحة إليه هل وليتها عند التنوخي جرأة على العمل تعدل الجرأة على القول ، هل حاول التنوخي أن يلج باب الاجتهاد والتجديد في فقه الدين والدنيا كما دعا أكثر من مرة ؟

الحق أنه حاول التجديد والإصلاح ، وحاوله صادقاً ، ولكن البيئة والنشأة والتربية كبحته جماعه وكتلت يده وحبست قدمه ، فلم يقوَ على السير إلى غاية الأمد وقنع ببلوغ القليل مما كان يدعو إليه . فهو في تجديده العروض مثلاً لا يزيد على تغيير ترتيب بحور الشعر ، فيبدأ العروض بالتدارك والتقارب ثم المزج والوافر .. وهكذا دواليك حتى ينتهي بالمنسرح ؛ وهو يثبت دوائر البحور ولكنه يذكر أقوال من نقدها . وقد يورد في الحين بعد الحين (الملاحظات) و (نظرات) ترجيح رأي ابن الحاجب أو الزجاج أو الزمخشري على آراء الآخرين من أقرانهم ، أو يحلو قرابة الخفيف والمديد إلى الرمل ، أو المجتث إلى البسيط ، أو المضارع إلى المتقارب . وقد يستشهد بما اختاره من شعر المحدثين ولكنه لا يمتطي في الشوط إلى أبعد من ذلك ، فلا يحاول مثلاً وضع علم جديد للعروض لا يقوم على أسس التحليل ولكن على أسس من الدرامات الموسيقية والصوتية التي تديرت لنا اليوم ، ولا يدلي برأيه في هذا التحلل من الوزن الذي عاذ به الناساثون من شعرائنا ، ولا يصرفهم عن هذا الذي يسمى (بالشعر الحر) بوضع ما يرضيهم من قواعد طريفة مستحدثة سليمة مقبولة .

ويحاول التنوخي التجديد في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) فيقنع بأن يقلب ترتيبها المأثور المؤلف فيقدم علم البديع ثم يثنى بالبيان ويحتم بالمعاني ، ويضيف إلى شواهد (الإيضاح) تمرينات اختارها مما حفظ أو مما نظم ؛ أما إنجاز ما وعد به من التأليف في (البلاغات الفنية) وأساليب إتقانها فلم يقيض له الوفاء به .

والتنوخي يدعو إلى دراسة اللغة العامية دراسة علمية ، وهي دعوة جريئة لا يزال الكثيرون يوصمون آذانهم دونها ، ويرمون دعايتها بنجث النية وسوء الطوية ، كما يدعو التنوخي إلى الانتفاع بما جاء به علماء الصوت ومقارنة الألسن لتجديد البحث في العربية ، ولكنه في هذا المجال لا ينطلق بمبدأ ، ولا يزيد على شرح بعض الفيضاح بما يقابلها من العامية ، أو مضاربة الألفاظ الدارجة بالألفاظ الصحيحة ، ثم يقف عند هذا لا يمدوه .

والحق أن التنوخي كان فيما يدعو إليه من التجديد حذراً متأنياً ، وكان فيما يأخذ به منه أكثر حذراً وحيلة ، لم يكن يصدر في هذا الحذر والحيلة عن مصانعة أو مداواة ، وإنما كان يخشى استهزام المحجة وخفاء نهاية المطاف . ولخبر ألف مرة أن نسير الهوى ولكن على بصيرة ويقين من أن نلقى بأنفسنا في مجاهل لانعرف صيورتنا فيها .



إلى جانب التنوخي المجدد يمكن أن نقال كلمة في التنوخي الشاعر .

وقد أدرك أبناء جيلنا أباقيس يعلو المنابر ويلقي الشعر بصوته الجهوري الرفيع ، وقرأ الكثيرون شيئاً من النظم الذي كان يطالع به الناس بين الحين والحين . ولكني لا أعلم أن شعره جمع في ديوان برأسه . وقد يجد المتتبع لأثار فقيدنا في الصحف والمجلات والكتب شعره على ضربين : مقطعات

وقصائد ، أما المقطعات القصيرة فتمتاز بسلاسة أسلوبها وجمال نكتتها وخفتها على اللسان وعلوّها بالحفظ ، فمن ذلك قوله وقد نقل مقر عمله إلى دمشق من السويداء بعد أن ضاق ذرعاً بمقامه فيها :

الحمد لله الذي أقضني ولم أصب
وردني بلدي (وسلي بلا عنب)

ومثال ذلك ما كان يكتبه أو ينشده لإخوانه أو يرتجله لمناسبة عرضت أو نكتة حضرت . وكثيراً ما كان ينثر بعض المقطعات في كتبه ولا سيما في أجزاء تهذيب (الإيضاح) و (إحياء العروض) ، فهو يؤلف مقطعة لكل من ضروب الوجوه البديعة والبيانية والأعاريض والأضرب الشعرية . وإلى جانب هذه المقطعات القصيرة قصائد يحرص التنوخي فيها على قوة الحوك وشدة السبك ومثانة الأسر وسموّ الغرض . ومثال هذه القصائد ما قاله إبان الثورة السورية عام ١٩٢٥ وقد قذف المستعمر المدن والقرى بقنابله المحرقة انفاتكة وقّطل الرجال وسبى النساء ومثل بالأطفال :

قف في المنازل نادياً أطلالها ماذا يفيدك أن تطيل سؤالها
قد أحرقت عمداً دمشق فلم تعد تصف الجميلة الورى وجمالها
النار تظهرها العشية وإبلاً والملج ويل الملج جاس خلالها
يارب آمنة هناك بسرهما تغدو لتصلح دارها وعيالها
برزت تصيح وشعرها متفرق سترت به حذر العيون جمالها
وهناك نائحة تنوح لبعلمها السـاوي وتندب بعمده أطفالها
الله للأطفال كيف غدت لقي صرعى القنابر بعثرت أوصالها
تشجيك أيدي صبية بثرت وأر جلمها نثرن يمينها وشمالها

والتنوخي قصائد وطنية واجتماعية كثيرة كقصيدته التي قالها في الجامع الأموي بدمشق عام ١٩٤٥ يستنهض الهمم للجهاد الفاصب والمحتل ، أو قصيدته في العيد الألفي الهندي . على أن من أجمل شعره ما كان ينشده في الإشادة بالدروز بني عمه ، ومن ذلك قوله :

سل الوغى عن تنوخ فهي تعرفهم من كل أروع في الهيحاء مشهود
تسلسل الملك فيهم قبل ذي يزن إلى المناذرة الغرّ الأماجييد
أهل السدير وأصحاب الخورنق والـ خيل السوابق والتهرية القود
أبناءؤهم في ذرى لبنان تملكهم صباة بالعلى لا الخرد الغيد
ولم تزل بحمي الفيحاء هابطة بقية السيف منهم والصناديد
عصاة لو رأى حسان طلعتهم اقال قول امرئ بالحق معهود
هذي وجوههم هذي أنوفهم الأبيض والشم ما شي بفقود



جانب آخر من جوانب حياة التنوخي الخصبية : التنوخي اللغوي .

وقد يعقبي الزمن على تصانيف فقيدنا في الأدب والشعر والنقد ، وقد تتنكر الأجيال القادمة لصنيعه في مضامير البلاغة والحديث والعلوم ، ولكن ستتقصي أعوام وأعوام قبل أن تثنى آثار التنوخي في ميدان اللغة .

لقد أحب علامتنا لغته وافتتن بها وسعى في إحيائها منذ صباه إلى يوم لقي وجه ربه ، حافظ على تراثنا اللغوي وحقق منه ما استطاع وعلق عليه ونشره نشرأ علمياً ، ودعا إلى التآزر في بعثه وحث على التكاثر في الإفادة منه ، ثم حاول جاهداً أن يجيب العربية إلى الناشئة فعمل على تقريبها إلى أفهامهم وتيسيرها على أقلامهم وترويض ألسنتهم بها ، وحض على اصطناعها في الدار

والمدرسة في الجامع والمجتمع في الجد واللهو في السراء والضراء ، وكان القدوة الصالحة لهم في هذا كله .

وقد أعانه على ذلك حافظه واعية وذوق مرهف واطلاع واسع وصبر على الدرس لم يؤثّر غيره ، وقد راعني عندما كنت في الظاهرية أن التنوخي أشار بخط يده على المخطوطات التي قرأ فوجدتها تتجاوز المئين عدداً وأكثرها عسير القراءة عدا الزمان على ورقه وخطه وحمل قارئه عناءً وعناء لا يحتمله إلا أولو العزم من عشاق العربية المخلصين لها ولأبنائها .

وقد وضع التنوخي لأبناء هذا العصر الكثير من المصطلحات الجديدة شاع بعضها وذاع ، والتزمه الناس في دنيا العروبة كلها قاصيها ودانيها . نظر يوماً في الدراجة وأحصى أسماء أجزائها بالفرنسية ثم وضع لكل من هذه الأجزاء كلمة عربية سائغة ونثرها في مجلة دمشقية وعاش بعض هذه المصطلحات وتناقلها الناس ونسوا من وضعها لهم .

وقبل ذلك عندما كان في العراق وترجم كتاب (فرنان مايير) عرب كلمة Physique بـ (فيزياء) كما صنع أسلافنا عندما وضعوا كلمة (كيمياء) على وزن سيمياء ، وهي - كما يقول التنوخي - أدق علمياً من كلمة (الطبيعة) التي تشمل علوم الأرض والسماء ، وأخص من (الحكمة) أو (الفلسفة الطبيعية) . وقد انتشرت كلمة (الفيزياء) على ألسنة الناطقين بالضاد في المشرق والمغرب .

وقد شارك أبو قيس في لجنة كان على رأسها الأستاذ المرحوم الأمير مصطفى الشهابي كلفت ترجمة المصطلحات العسكرية بمصطلحات عربية سائغة ، فقامت اللجنة خير قيام بما وكل إليها ، وأخرجت للناس معجمين اثنين قيّمين تستأنس بهما اليوم جميع الجيوش العربية وترضى أكثر ما وضعه التنوخي ومحبيه من مصطلحات .

وقد وضع الجمع - والتنوخي من أوائل أعضائه - في مطلع تأسيسه مصطلحات كثيرات فصيحات عرفناها وألفناها اليوم ، ولولا التنوخي ورفاقه لكانت ألسنتنا ترطُن - في أغلب الظن - بما جرى على ألسنة آبائنا منها كالجرنال والكريطة والدركنار واستاتيسيتق وراپور وبول وقوجان وماصه وقاصه وقومسيون ودوسيه وغيرها .

كان التنوخي رحمه الله يحرص على ألاّ تسبّد المرية الخبيث الأعجمي بالطيب من كلها أو صيغها ، وقد كرر الدعوة في آخر مقالة كتبها قبيل وفاته إلى تغليب (تلفاز) على (تلفزيون) إذ أن إقحام أمثال هذه الكلمة بصيغتها الأعجمية سيضعف شأن اللغة ويُدخل الضيم على شخصيتها وعبقريتها - وسيمحو خصائصها التي انفردت بها ورُكّبت عليها .

وقد وضع التنوخي ألفاظاً كثيرة رشيقة البنية صحيحة التركيب خفيفة على اللسان ، ولكن لم يتح لكلها الدبوع ، فقد اقترح مثلاً (المكيني) لما نعبر عنه اليوم بـ (اليكانيكي) فلم تشع وإن كنا نحار اليوم في التعبير عن معناها ، ووضع كلمة (الأصولي) ترجمة لـ (كلاسيكي) و (مكفّل) لـ (بانسيون) ومصطلحات أخرى كثيرة .

ولم يقنع التنوخي باللفظ الفصيح الصحيح يستعمله ويدعو إليه ، وإنما كان ينشر أيضاً الأسلوب الأصيل القويم ، ويدلّ على ما تسرّب إلى آثار كتاب عصره من تراكيب قد تكون مفرداتها - متفرقة - سليمة قويمّة ، ولكنها في مجموعها وتأليفها ضعيفة سقيمة ، كقولهم : رحنا صباحاً .. وفصيحتها غدونا صباحاً ، أو : فمابه الأستاذ على كسله ، وصحيحها : فعاب الأستاذ كسله ... والتنوخي في هذا يجاوز دائرة العالم اللغوي إلى حيز البياني البلاغي فيقول مع صاحب (المثل السائر) : إن أسرار الفصاحة

لا تؤخذ من علماء العربية ، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية وما هو من هذا المجرى ، أما أسرار الفصاحة والعلم بالموسيقى اللغوي فلها قوم مخصوصون بها .

وبعد فمراد القول في التنوخي رجب فسيح ، ولكن صبركم على حديثي لن يتسع لأكثر مما قدّمت ، فلأجتزئ به ولأتوجه في الختام بالحمد وأصدقائه وأصفاه ، والشكر أوفره وأوفاه ، إليكم وإلى الزميل الكريم الدكتور عدنان الخطيب فقد أسبغ عليّ من الثناء حلة زاهية لا تليق إلا بفضله ، وفوقها بألوان زاهية أخذها من كريم نبله ، ولعلّي أبلغ في مقبل الأيام بعض ما شام فيّ من كفاية وما توسم من اجتهد .

« ربِّ هب لي حكماً وألحقي بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين . »

والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد الرهادي هاشم

٦٩/٤/٢٤



حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

مقدمة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

- ٤ -

ع ذ ب عَزَبَ : غابَ ، وأَعَزَبَ : بَعُدَ ، وَعَزَبَ بِمَاشِيَتِهِ : بَعُدَ بِهَا يَنْتَبِعُ مَسَاقَطَ الْغَيْثِ . الْعَازِبُ مِنَ الْكَلَالِ : الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ وَأَرْضٌ عَزُوبَةٌ : بِحَرَاءٍ قَلِيلَةِ الْكَلَالِ .

ع ص ب الْعَسْبُ : ماءُ الْفَحْلِ .
الْعَسْقَبَةُ : جُودُ الْعَيْنِ فِي وَقْتِ الْبُكَاءِ .
عَسَبَتِ الْمَاءَ : ثَوَّرَتْهُ .

ع ش ب الْعُشْبُ : الْكَلَالُ الرُّطْبُ .
وَعَشِبَ الْخُبْزُ : تَبَيَّنَ .

ع ص ب الْعَصْبُ : شِدَّةُ فَخِذِي الشَّاقَةِ لِتَدْرِ الْبِنِّ كَالْعِصَابِ ، وَنَاقَةُ عَصُوبٍ : لَا تَدْرِ إِلَّا بِالْعَصْبِ .

وَالْعَصْبُ : جَفَافُ الرِّيقِ ، وَعَصَبَ الْمَاءَ : لَزِمَهُ .
وَالْمَعْصُوبُ : الْجَائِعُ الَّذِي كَادَتْ أَمْعَاؤُهُ تَبْيَسُ جَوْعاً .

ع ط ب العَوْطَبُ : لُجَّةُ البحر ، أو أعمق موضع فيه ، أو المطمئن بين الموجتين .

ع ظ ب عَطَبَ الجِلْدَ إذا بَيَسَ .

ع ق ب العَقَبُ : ثَوْبُ الوَارِدَةِ ، ترد قِطْعَةٌ فتَشْرَبُ فإذا وردت قِطْعَةٌ بعدها فشربت فذلك عَقَبَتُهَا ، والعِوَاقِبُ الإبلُ تشرب الماءَ ثم تعود إلى المَعْطِنِ ثم إلى الماء .

وَأَعْقَبَ مُسْتَعِيرُ القِيدَرِ : رَدَّهَا وَفِيهَا العَقْبَةُ ، وهي مَرَقَةٌ رَدَّهَا فِي القِيدَرِ .

العَقَابُ : مَسِيلُ الماءِ إِلَى الحَوْضِ ، وَالْحَجَرُ يَقُومُ عَلَيْهِ السَّاقِي ، وَحَجَرٌ نَاقِيٌّ فِي جَوْفِ البَرِّ ، وَالرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِلُ فِي البَرِّ فَيَرْفَعُهَا بِسْمَى الْمُعْقَبِ .

الْتِعَاقِبُ الوِرْدُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

ع ك ب عَكَبَتِ القِيدَرُ : ثَارَ عُكَاكِبُهَا . وَالْمُكَابُ : البُخَارُ وَشِدَّةُ الغَلِيَانِ .

ع ل ب عَلِبَ النَّبَاتُ : جَسَأَ (أَي صَلَبَ) . وَاسْتَعْلَبَتِ المَاشِيَةُ البَقْلَ : أَتَجَثَّهُ وَاسْتَغْلَظَتْهُ إِذَا ذَوَى .

عَلَبَ : تَغَلَّظَ وَصَلَبَ وَلَمْ يَكُنْ رَخِيصاً . وَالْمَكَانُ الْعِلَابُ : الغليظ من الأرض الذي لو مَطِرَ دَهراً لَمْ يَبْنَيْتْ خُضْرَاءُ . وَالْعَلَبُ : الصَّلَابَةُ والشِدَّةُ والجُسُوءُ .

العَلْبَةُ : مَحْلَبٌ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ يَحْلَبُ فِيهِ ؛ أَوْ هِيَ جِلْدَةٌ تُؤْخَذُ مِنْ جَنْبِ جِلْدِ البَعِيرِ إِذَا سُلِخَ ، يُعَلِّقُهَا الرَّاعِي أَوْ الرَّاكِبُ فَيَحْلَبُ فِيهَا أَوْ يَشْرَبُ بِهَا .

عَلِيْمَةٌ : مُؤَيَّيَّةٌ فِي بِلَادِ أَسَدٍ .

- ع ن ب العُنْبَبُ : كَثْرَةُ الماء ، ومن السَّيْل : مُقَدَّمُهُ .
 العُنَابَةُ : ماءٌ في ديار بني كلاب .
 عُنْكَبُ : ماءٌ بأَجْلٍ لبني فَرِير بن عُمَيْن .
- ع ي ب عَابَ السَّيْقَاءُ : خَسِرَ مَا فِيهِ مِنَ اللَّبَنِ . وَالْعَائِبُ : الْخَائِرُ .
 غ ب ب غَبَّ : شَرِبَ غَيْثًا كَالغُبُوبِ . وَالْغَيْبُ : وَرْدُ يَوْمٍ وَظِيْمٌ آخَرُ .
- الغُبُّ : الضَّارِبُ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى يُعْمِنَ فِي الْأَرْضِ .
 الْغَيْبَةُ : الرَّائِبُ مِنَ اللَّبَنِ .
 الْمُغْبَبَةُ : الشَّاةُ تَحْلَبُ يَوْمًا وَتَتْرَكَ يَوْمًا .
 وَمِيَاهُ أَغْبَابٍ : بَعِيدَةٌ . يُقَالُ مَاءٌ غَبٌّ أَيْ بَعِيدٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ :
 غَبَّ السَّلَامُ .
- الْغَيْبُ : الْمَسِيلُ الصَّغِيرُ الضَّيِّقُ .
 غَثْلَبَ الْمَاءُ إِذَا جَرَعَهُ جَرْعًا شَدِيدًا .
- غ و ب الْغَرَبُ : الرَّأْوِيَّةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ ، وَالذَّلْوَ الْعَظِيمَةُ ،
 وَمَسِيلُ الدَّمْعِ ، وَكَثْرَةُ الرِّيقِ ، وَيَوْمُ السَّقْفِي ، وَأَعْلَى الْمَاءِ
 أَوْ هُوَ الْمَاءُ نَفْسَهُ الَّذِي يَقَطُرُ مِنَ الذَّلْوِ بَيْنَ الْبُئْرِ وَالْحَوْضِ ،
 وَغَوَارِبُ الْمَاءِ أَعَالِيهِ أَوْ أَعَالِي مَوْجِهِ .
 أَغْرَبَ الْحَوْضُ وَالْإِنَانَةُ : مَلَأَهُمَا .
- غ ر ب 'غَرَبُ' : اسْمُ جَبَلٍ أَوْ اسْمُ مَاءٍ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ 'عَرَبَةٌ' .
 غ س ب غَسَنْبَ الْمَاءُ : ثَوَّرَهُ وَهَيَّجَهُ .
- غ ض ب مَكَانٌ غَضْرَبٌ وَغَضَارِبٌ : خِصْبٌ ، كَثِيرُ النَّبْتِ وَالْمَاءِ .
- غ ي ب الْغِيَابَةُ فِي الْأَصْلِ : قَعْرُ الْبُئْرِ ، ثُمَّ ثَقِيلَتِ لِكُلِّ غَامِضٍ حَقِيْقٍ .

قَاب : قَابُ الْمَاءِ : شَرِبَهُ ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ شَرِبِهِ أَوْ تَمَثَّلًا مِنْهُ .
 وَرَجُلٌ قَوُوبٌ : كَثِيرُ الشَّرْبِ .
 إِنَاءٌ قَوُوبٌ : كَثِيرُ الْأَخْذِ لِلْمَاءِ .

قَاب ب : قَبَّ النَّبْتُ يَبِسُ . وَقَبَّتِ الرُّطْبَةُ : جَفَّتْ .
 الْقَابَةُ : الْقَطْرَةُ مِنَ الْمَطَرِ .

ق ر ب : قَرَبَ وَقَرَّبَ وَأَقْرَبَ : سَارَ إِلَى الْمَاءِ أَوْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ لَيْلَةً . وَالْقَرَبُ : طَلَبُ الْمَاءِ لَيْلًا ، أَوْ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَاءِ إِلَّا لَيْلَةً ، أَوْ هُوَ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَرُدُّ فِي صَبْحِهَا الْمَاءَ .
 الْقَارِبُ : طَالِبُ الْمَاءِ لَيْلًا ، أَوْ طَالِبُ الْمَاءِ . وَالْحَمَارُ الْقَارِبُ الَّذِي يَقْرَبُ الْقَرَبَ ، أَيْ : يُعَجِّلُ لَيْلَةَ الْوُجُودِ ، وَمِنْهُ السَّقِينَةُ الصَّغِيرَةُ .

قَرَبَ : طَلَبَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ طَلَبُ الْمَاءِ ، ثُمَّ اتَّسَعَ فِيهِ ، فَقِيلَ فِيهِ : فَلَانٌ يَقْرُبُ حَاجَتَهُ ، أَيْ يَطْلُبُهَا . وَالْقَرَبَانُ : مَا يُنْقَرِبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَيْ يَطْلُبُونَ الْقَرَبَ مِنْهُ بِهَا .
 الْقَرَبُ : الْبَيْتُ الْقَرِيبُ الْمَاءِ .

الْقِرَابُ : الدُّلُوقَارِبُ أَنْ يَتَلَيَّأَ ؛ وَإِنَاءُ قَرَبَانٍ : قَارِبُ الْإِمْتَلَاءِ .
 وَأَقْرَبْتُ الْقَدَحَ : إِذَا قَارَبَ أَنْ يَتَلَيَّأَ .
 الْقَوُورِبُ : الْمَاءُ لَا يُطَاقُ كَثْرَةً . وَظَهَرَتْ اقْتَرِبَاتُ الْمَاءِ ، أَيْ : تَبَاشِيرُهُ .
 قُرِّي : مَاءٌ قُرِبَ تَبَالُهُ .

عمر ناله الخطيب

(يتبع)



الرباعيات والمثنويات

قرأت في الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارة رأياً الأستاذ الدكتور المحقق عمر موسى باشا عنوانه « الرباعيات أو الدوبيات » استدرك به على الأستاذ الدكتور المحقق علي جواد الطاهري في هذا انفن من فنون النظم وتسميته ، وقد رأيت فيه بعض النقصان في البحث فوددت إتمامه :

إن « دوبيت » اسم مركب من كلمتين فارسية هي « دو » بمعنى اثنين ، و « بيت » العربية ، فمعناه « بيتان » فتسمية الدوبيت « الرباعية » أو « الرباعي » وإن كانت شائعة متداولة ، مخالفة المعنى الأصلي الفارسي وموافقة للاصطلاح الذي شاع في دنيا العرب الأدبية ، لأنها استندت إلى « الأشطر الأربعة » لا إلى اليبتين ، ولا مُشاحّة في الاصطلاح .

والظاهر لي أن الرباعية لم تكن تسمى دائماً في فنون العرب النظامية هذه التسمية بل كانت تسمى أيضاً « المثناة » وتجمع على « المثنويات » وهي التسمية الأصلية الحقيقية ، قال الجوهري في ثنى من الصحاح : « وفي الحديث : من أشرط الساعة أن توضع الأخبار ، وتُرفع الأثرار وأن تُقرأ المنة على رؤوس الناس فلا تُغيّر . يُقال هي التي تُسمى بالفارسية (دوبيتي) وهو الغناء . قال (١) أبو عبيد يذهب في تأويله إلى غير هذا . وورد في مختار الصحاح قول مؤلفه : « قلت : ذكر في التهذيب أن الحديث

(١) هكذا ورد الفعل في طبعة بلاد الشام وهو تصحيف « كان » بدلالة ما ورد في طبعة أخرى ومختار الصحاح .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - وفُسر له لما سُئل عنه بما استُكتب من غير كتاب الله تعالى ، وقال أبو عبيدة : قيل إن الأحبار والرهبان بعد موسى - عليه السلام - وضُّوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تعالى فهو المُنشأة (١) ، فكان عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - كره الأخذ عن أهل الكتاب ولم يُرد به النهي عن حديث رسول الله - ﷺ - ومنته ، وكيف ينهى عن ذلك ودو من أكثر أصحابه حديثاً عنه ؟ ! وجاء في الفائق للزخشري « ابن عمر - رضي الله تعالى عنها - من أشرط الساعة أن توضع الأخبار وترفع الأثرار وأن تقرأ (المنشأة) (١) على رؤوس الناس لا تغيّر . قيل : وما المنشأة ؟ قال : ما استُكتب من غير كتاب الله . قيل : هو كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على ما أرادوا من غير كتاب الله الذي أنزل عليهم أحلّوا فيه ماشاؤوا وحرّموا ماشاؤوا على خلاف الكتاب وقد وقعت إلى ابن عمر كتب يوم اليرموك فقال ذلك لمعرفته بما فيها (٢) . وذكر المبارك بن الأثير مثل ما ذكر الزخشري وذلك في النهاية وأضاف إليه ما أثر الجوهري في الصحاح من كون « المنشأة » اللويطي وهو الغناء .

والذي يهملنا من هذه الأخبار في هذا البحث حاق - الإهمام هو أن « المنشأة » الدالة على الاثنين 'تقابل' اللويطي ، أي البيتين ، وأنها كانت 'تغنى'

-
- (١) الصحيح أنها « المنشأة أو المنشأ » بالعين المهملة وأشهرها « مشنة يهودا بن شمعون الثاني أو الناصي » ١٣٥ - ٢٢٠ م . وهي جملة تفاسير التوراة في الزراعة والأعياد والزواج والطلاق والجنايات والمعاملات والعقوبات والمفردات وغيرها من رحلة بنيامين (ص ٧٣) وغيرها . وهي الآن تقرأ على رؤوس الناس بتمام دولة إسرائيل كما جاء في الحديث ، فهل ظهرت أشرط الساعة ؟
- (٢) الفائق « ١ : ١٥٩ طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٤ = ١٩٤٥ » .

ولشيوخ الغناء بها سميت « غناء » ، أما حقيقة الاسم اللغوية فلا تفيد الغناء البتة ، و « الدوييتي » تصحّف في لغة العامة إلى « الذوييت » بالذال المعجمة ، قال المحبي : « وقد اشتهر بأعجام داله وهو تصحيف وهو ثلاثة أقسام يكون بأربع قواف كاللوايات وأعرج بثلاث قواف ومردوف بأربع أيضاً وكله على وزن واحد (١) . والدوييتي أو الذوييت أو الذوييت القديم لا يزال يُعنى عند عوام العراق الجنوبيين ، وقد اعتراه القلب المكاني بعد التصحيف ، فصار الذوييت إلى « البوذيت » ثم صار « البوذيت » بتشديد الياء ومنهم من يسميه « الأبوذيت » وقد حارت الظنون واختلفت في أصلها ، وهو ما اهتديت إليه ، ولا يصح الالتفات إلى غير هذه الحقيقة ، من مختلفات الأوهام ، و « البوذيت » من وزن الوافر « مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ قَعُولُ » ولحذوها مُحْزَن يشبه البكاء ، وتحتوي على التثنية أو النسب أو آلام النوى والفراق ، وما أشبه ذلك ، وأصبح الأمور عندنا التفتت بها في الأفراح . وقد اخترع الفرس دوييتاً جديداً على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » ومن أربعة مصاريع أيضاً ، وهو الذوييت الذي شاع في أوائل القرن السادس للهجرة أو أواخر القرن الخامس في دنيا العرب الأديبة ، وذكره المرجوة له الرحمة الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي في كتابه تاريخ أدب العرب (٢) ، وبعد أن فسر اسمه المركب قال : « وقد أخذه أدباء العرب عن الفرس ويعرف عندهم بالرباعي واختصّ بالاجادة فيه بعض شعرائهم كمعمر الخيام ... ولا نعرف أول من استعمل هذا النوع في العربية ولكن نشأته كانت في بغداد ... ونحن نرجّح أن هذا النوع لم يكن في

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٢٥١ : طبعة القسطنطينية سنة ١٢٩١ هـ .

(٢) تاريخ آداب العرب « ٣ : ١٧٢ : طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٩ = ١٩٤٠ هـ .

العربية قبل القرن السابع لأننا لم نجده في شعر أحد قبل ذلك الزمن ولا وجدنا إشارة إليه ، ولم نجد للشعراء ولعاً به إلا في أواخر تلك المائة وما بعدها ، والرابعي بعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسية لأن أول من وضعه أبو سعيد بن الخير المتوفى سنة ٤٦٥ وبعضهم يقول إنه كان موجوداً قبل ذلك ولا يرجع اختراعه إلى تاريخ معين ، غير أن نحن عرفنا بنظمه أبا جعفر رودكي (١) الشاعر المتوفى سنة ٣٠٢ حتى اتقن فيه الخيام وأجاده فاشتهر بما نظمه فيه شهرة بعيدة لأنه ضمته أفكاراً سامية وانتقادات مريرة ثم أقبل الأدباء عليه من بعده ، وبعد نقط ثلاث جاء قول الرافعي : « وقد عارضها في العربية شديد الدين الأنباري ، كما ذكر صاحب خلاصة الأثر (٤ : ٣٩٠) ولم يقع لنا شيء من رباعياته . وللدوييت وزن واحد وهو فَعْلُئِنْ (بسكون العين) مُتَفَاعِلُئِنْ (وثارة يغير إلى متفاعلين) فَعْمُولُئِنْ فَعْمُولُئِنْ (بتجريك العين ومسكونها) وأمثله (٢) كثيرة . »

(١) الصحيح « الروذكي » بالهمز والذال المعجمة المفتوحة بعد الراء المضمومة والواو المسكنة قال السمعاني في الأنساب : « الروذكي ... هذه النسبة إلى رودك ناحية بمرقند وبها قرية يقال لها سج (؟) وهذه القرية قطب رودك وهي على فرسخين من سمرقند ، والمشهور منها الشاعر الملقب بالقول بالفارسية الساثر ديوانه في بلاد العجم أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الروذكي الشاعر السمرقندي كان حسن الشعر متين القول . قيل أول من قال الشعر بالفارسية هو ، قال أبو سعد الأديسي الحافظ : أبو عبد الله الروذكي كان مقدماً في الشعر بالفارسية في زمانه على أقرانه ... وكان أبو الفضل البلعمي وزير إسماعيل بن أحمد والي خراسان يقول : ليس الروذكي في العرب والعجم نظير . ومات بروذك سنة ٣٢٩ هـ . قلت لا شك في أن أبا الفضل البلعمي كان شعوبياً فقال ما قال .

(٢) قوله « وأمثله كثيرة » متناقض الكلامين لأن « أمثلة » جمع فلة و « كثيرة » تدل على الكثرة فالصواب « ومثله كثيرة » .

وقد ظهر للقارئ الكريم أن في تاريخ وفاة الروذكي الذي ذكره الرافعي أو ذكره من بعده غلّتْ في السنين ، أما الممارض العربي لارباعيات الفارسيّة فهو «سديد الدولة» لا سديد الدين ، كما جاء في خلاصة الأثر ونقله الرافعي ، قال الذهبي : « محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم ابن رفاعة الشيباني سديد الدولة ابن الأنباري ، كاتب الانشاء بالديوان العزيز ، له معرفة بالأدب والشعر والترسل ، بقي بديوان الانشاء نحو خمسين سنة بوزناب في الوزارة ، وثفّذ رسولاً إلى الشام وخراسان وكان محموداً إذا رأي وتدير ، وكانت بينه وبين أبي محمد القاسم بن علي الحريري رسائل وقد دُوّنت . سمع عبد الله بن أحمد ابن السمرقندي وهبة الله بن الحصين وروى عن أحمد بن محمد الخياط وأبي عبد الله محمد بن نصر القيسراني من شعرهما . سمع منه أحمد بن صالح بن شافع وعلي بن أحمد الزبيدي والبارك ابن عبد الله بن النقور وعبد المحسن بن خطاطخ الأميري . توفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وشيعه الوزير والأكابر . عاش نيّفاً وثمانين سنة (١) . »

وقال ابن الديني مؤلف أصل المختصر : « وذكر صدقة بن الحسين الناسخ في تاريخه أن سديد الدولة ابن الأنباري توفي ما بين الظهر والعصر من يوم الاثنين تاسع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وصالّي عليه يوم الثلاثاء بجامع القصر الشريف وحضر الصلاة عليه الوزير يحيى بن عسيرة [الحنبلي] وأرباب المناصب ودُفن بالجانب الغربي بالمشهد - يعني مشهد الإمام موسى [بن جعفر الصادق] - رحمة الله عليه - وكان من مشايخ الدولة القدماء ، وكان سنّه دون التسعين بسنة أو سنتين ، وكان فيه فضل وأدب . »

(١) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديني « ١ : ٧٣ ، ٧٤ » ، طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧١ = ١٩٥١ .

وقال غيره : مولده يوم الاثنين سادس ذي القعدة سنة سبعين وأربعمائة - رحمه الله وإيانا - (١) .

وكنْتُ قلتُ في التعليق على ترجمته في المختصر المحتاج إليه ، ما هذا نصه « ترجمه المهاد في الخريدة (نسخة باريس ، الورقة ٧) وابن الجوري في المنتظم ١٠ : ٢٠٦ وابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٨ وغيرها لأنه كان من كبار رجال الدولة العباسية وقضى عمره في خدمتها مخلصاً ، وله ذكر كثير في التواريخ والظاهر أن القبور التي كانت في الكاظمية المعروفة بقبور الأنباريين كانت له ولأبنائه على ما نصت عليه التواريخ من موضع دفنهم ، (٢) . ثم نشر الجزء الثالث من « الوافي بالوفيات » للصفدي سنة ١٩٥٣ بدمشق وفيه ترجمته « ص ٢٧٩ » وفي سنة ١٣٧٥ = ١٩٥٥ نشر الجمع العلمي العراقي الجزء الأول من خريدة القصر للمهاد الاصبهاني الكاتب بتحقيق الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثري ، وفيه ترجمته « ص ١٤٠ - ١٤٤ » قال المهاد : « وترددت إليه بغداد وما كان يتعاطى الشعر تغانياً عنه وكنْتُ أهابه وأكبره من أن أستهشده ، لكنني أثبتُ من شعره البيتين والثلاثة على حسب ما أنشدتها فمن ذلك رباعياته الخالصة للخلب ، السالبة للسب فمنها (٣) :

ياقلبُ إلام لا يُفيد النصحُ دع مزحك كم هوئى جناد المزح ؟ !
ما جراحة منك خلاها جرحُ ما تشعر بالخطار حتى تصحو

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٧٤ والورقة ٧٥ » .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٧٣ » .

(٣) ذكر هذا الرباعي أو هذه الرباعية الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٧٩ ، ٢٨٠ » .

ومنها :

الدمر يعوقني عن الإسلام مع ما (١) أنني إلى التصابي ظالم
لا تأخذني بما جنت أيامي ما ذنب السهم حين يخطي الرامي؟!

ومنها :

يأريح تحملي من المهجور شكواه إلى المسكر المنصور
قولي لمعدني شبيه الخور ما أنت عن الجواب بالمعذور
ثم ذكر له من رباعياته :

الآن وما روضه العمر ندي لا تحمل من الكؤوس والراح يدي
في باقي العمر فز بعيش رغدي إن الدنيا إذا مضت لم تعد
فإن كانت هذه الرباعيات من نظم أيام الشباب أمكننا أن نقول إن سديد الدولة
نقل وزن الدوبيت الجديد إلى أدب العرب في أواخر القرن الخامس للهجرة
أو أوائل القرن السادس كما ذكرنا آنفاً .

وبقي البحث عن حقيقة الرباعيات التي ذكرها الدكتور المحقق عمر موسى باشا
مأثورة في رسالة « آداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة » لبدر الدين محمد
الغزي ، ومذكورة بلسان الجنيد الصوفي الكبير الشهير أبي الدوبيتي القديم
أم الدوبيت الحديث ؟ فورودها مقرونة بالطرب والوجد يدل على أنها من
المثناة القديمة لا الحديثة ، قال القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي التوفى

(١) يستعمل كتاب العصر بدلاً من هذا التعبير « بالرغم من كذا وكذا » وهو ترجمة
حرفية لعبارة الفرنسية En dépit de ... وباب المجاز مفتوح في العربية استثناساً
وانقباساً إلا أن عبارة بالرغم من كذا تأتي أحياناً منافضة لقول الكاتب ومراده
وذلك عند استعمالها للنفي كقول بعضهم : « بالرغم من أن الأشغال لم تسمح لي
فقلت كذا » .

سنة ٣٧٤ : « حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي وعندي صوفي يترنم بشيء من الرباعيَّات ، فلم يستطع أبو أحمد فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير (١) » . فالتسمية بالرباعيَّة كانت شائعة بالعراق في القرن الرابع .

وذكر العهد الكاتب في ذلكم الجزء من الخريدة ترجمة الوزير جلال الدين أبي علي الحسن بن صدقة (٢) المتوفى سنة ٥٢٢ هـ وأورد له شعراً قال : « أنشدني له محمود الكاتب المعروف بالولائد البغدادي بالشام (٣) ، وذكر أنه رآه يكتب بخطه إلى المواقف المسترشدية هذه الأبيات ... وتنسب إليه هذه الرباعيَّة :

آتيك غداً ولو سحماك الأهلُ لا أرجع عنك أو يتم الوصلُ
آتيك ولو سئل عليّ النصلُ السيفُ أو الفراقُ كلُّ قتلٍ .
فإن صحَّ عزو الرباعيَّة إلى الوزير جلال الدين الحسن بن صدقة تأكد شيوع الدوييت الحديث في الأدب العربي بالقرن الخامس للهجرة ولم يبق مجال تصديق لقول الرافعي بترجيح أنه لم يكن معروفاً عند العرب قبل القرن السابع للهجرة ، وأختم بحثي بتقديم الشكر الأوفى إلى الدكتور المحقق البارِع عمر موسى باشا لاغنامه إياي فرصة الكلام على الرباعيَّة والدوييت والمثناة والترادفات .

(بغداد)

مصطفى مراد



- (١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة « طبعة مطبعة أمين هندية بالقاهرة ١ : ٥٤ » .
- (٢) خريدة القصر « ١ : ٩٤ - ٩٦ قسم العراق » .
- (٣) في هامش لنسخة للمتحفة البريطانية بلندن « وكان مليح الخط توفي بدمشق سنة سبعين » اهـ .
يعني « سنة سبعين وخمس مئة » . (وأرقام النسخة ١٨٥٢٤ والترجمة في الورقة ٣١ منها) .

السلطانة رضية الدين

لا

جلالة الدين

ورد في الصفحة ٨٩٤ من الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارعة في نقد كتاب « النساء الحاكمات في الدول الإسلامية » تأليف الدكتور التركية بحرية أوج أوق « السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إيلتتمش التي توات الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند » ، والذي علمناه وحفظناه أنها « رضية الدين » لا جلالة الدين ، بل أنه أن الاسم الثاني غاية في الغرابة ، فلم نعرف إنساناً لقب بجلالة الدين ، جاء في حوادث سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث « وفيها توفي شمس الدين التمش بن قطب الدين أيبك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الهند وملك بعده ولده ركن الدين فيروزشاه فلم يستقم له الأمر ، وتفرق عنه العسكر فقبحضت عليه أخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية وتلقبت (رضية الدنيا والدين) واستقام لها الأمر (١) » . واستطرد الفضل بن أبي الفضائل المؤرخ في حوادث سنة ٧٢٥ هـ إلى ذكرها وذكر أمرتها قال : « ولما قتل السلطان شهاب الدين محمد بن سالم الغوري تولى بعده قطب الدين أيبك [مملوكه] مدة قليلة ، ثم تولى الملك شمس الدين ايتمش وأقام أربعين سنة وخلف جماعة أولاد فتولى الملك بعده علاء الدين

(١) كتاب الحوادث الذي يسمي غلطاً الحوادث الجامعة « ص ١٠٤ » .

ثم أخوه ركن الدين تترشاه ومن بعدها أختها (رضية خاتون) وأقامت ثلاث سنين وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخ بغداد قال : وصل الخبر إلى بغداد أن ركن الدين نترشاه بن شمس الدين ايتمش ملك الهند ولّي بعده وفاة أبيه وذلك في سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة وأقام سنة فلم يستقم أمره وتفرقت عنه عساكره فقبضت عليه أخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية واستقام لها الأمر وتلقبت (برضية الدنيا والدين) قال المؤرخ : وقولاً بعد رضية خاتون أخوها ناصر الدين وكان مترهداً ملكاً أربعاً وعشرين سنة (١) . . . وفصل تاريخ الأسرة ابن بطوطة قال : ذكر السلطان شمس الدين للمش : وضبط اسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم ، وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلاً ، وكان تملكه مملوكاً للأمير قطب الدين أيك وصاحب عسكره ونائباً عنه ، فلما مات قطب الدين استبد بالملك . . . وكان عادلاً صالحاً فاضلاً . . . ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده وممزر الدين وناصر الدين وبنّاً تسمى (رضية) وهي شقيقة ممزر الدين منهم فتولّى بعده ركن الدين . . . ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتمدّي على أخيه ممزر الدين فقتله وكانت رضية شقيقته ، فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها ، فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم وهو يسمى دوله خانة ، ولبست ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح ، وقالت لهم : إن أخي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه . وذكّرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم ، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها فقالت لهم : القاتل يقتل .

(١) النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد للمفضل بن أبي الفضائل ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ و ٤٢٠٢ . م (٢٠)

فقتلوه قصاصاً ، وكان أخوه ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية ، ولما قتل ركن الدين اجتمعت المساكر على تولية اخته (رضية الملك) فولّوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان ، كما يركب الرجال ، ولا تستر وجهها ، ثم إنها اشتهت بمعدّل لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها ، فخلعت وزوّجت من بعض أقاربها ، ووّلّي الملك أخوها ناصر الدين . . . ولما خلعت رضية ولي ناصر الدين أخوها الأصغر واستقل بالملك مدة ، ثم إن رضية وزوجها خالفاً عليه وركبا في مائليكمها ومن تبعها من أهل الفساد ، وتهيأ لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلّبن متولي الملك بعده فوقع اللقاء وانهمز عسكر رضية وفرت بنفسها فأدركها الجوع وأجهدا الإعياء فقصدت حرثاً لأنه يحرث الأرض فطلبت منه ما تأكله فأعطاها كسرة خبز فأكلتها ، وغلب عليها النوم وكانت في زيّ الرجال ، فلما نامت نظر إليها الحرث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباءاً مرصعاً فعلم أنها امرأة فقتلها وسلبها وطردها فرسها ودفنها في فدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق يبيعها ، فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فأقرّ بقتلها ودلّهم على مدفنها ، فاستخرجوها وكفنوها ودفنت هنالك وبني عليها قبّة وفبرها الآن يُزار ويتبرك به ، وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة ، واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الأمر عشرون سنة ، وكان ملكاً صالحاً ينسخ نسخاً من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بثمنها ^(١) ، فهذه طراغوديا ^(٢) رضية الدين أو رضية الملك .

مصطفى مراد



(بغداد)

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار المعروفة برحلة ابن بطوطة ٢ : ٢١ ، ٢٢ طبعة

طبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ .

(٢) أي تراجيدي كما جاء في تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٣٤ .

التقرير السنوي (لدورة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م)

لمجمع اللغة العربية

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة مجلس المجمع الخامية لدورة عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ م مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين عاماً على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح فيما بعد بمجمع اللغة العربية بدمشق فلقد استقلت سورية العربية عام ١٩١٨ بعد جهاد طويل وولدت مع هذا الاستقلال فكرة إنشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة العربية التي طفت عليها العجمة خلال العهد التركي الطويل ، ونعمل على حفظها وصيانتها ووضع المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشياً مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩ م أي قبل خمسين عاماً خلت وضمت إليه دار الكتب الظاهرية وجعل مقره المدرسة العادلية الكبرى بعد أن حررت من واضع اليد عليها ، وبعد أن رمت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية تعد من أقدم المدارس بدمشق وأشهرها وأجملها ، أنشأها السلطان نور الدين الزنكي وأتمها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لتكون تربة له ، والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا لقد درس فيها عدد من أئمة الدعاة الأعلام منهم ابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس المجمع داراً الآثار الإسلامية وعرض في إحدى غرفه ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار المبعثرة جمعها من مختلف جهات سورية ، وكانت هذه المجموعة نواة المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجتمع علينا أن نحتفل بعيدة الذهبي على نطاق عربي شامل اعترافاً بجميله وخدماته التي أسداها للغة العربية وثقافتها .

إن تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس مجامع علمية في أقطار عربية أخرى كالأردن ولبنان ولم يكتب لجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ، إلا أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سباقاً إلى العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم به مجمع دمشق الذي هو أقدم المجامع في العالم العربي .

ولئن فائنا تحقيق أمنية التكريم على الوجه الذي كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدعاء له بالبقاء والاستمرار وأن تكتب له السلامة والازدهار على مر الأيام ليستمر في أداء رسالته حتى يتمها خدمة للغة العربية وثقافتها .

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا إحصاء جميع ماحققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية ولإني لأكتفي بإحالة من يرغب في معرفة ذلك إلى مقال الأستاذ الدكتور حسني مبيض الذي نشره في عدد مجلة المجمع الخاص المصادر حديثاً ، والذي وزع في حينه ليجد فيه مايقع القلة ويطفي الأوار أو أن يعود إلى مجموعة مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (٤٤) مجلداً يبلغ مجموع صفحاتها نحواً من (٣٠) ثلاثين ألف صفحة تضم مختلف الأبحاث اللغوية والثقافية والتاريخية والفلسفية والأدبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة للملامح لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية واللغوية الحديثة في سائر الأقطار العربية .

إن اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الأخرى فهي لا تقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جميعاً ،

وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فإن أمرها يمود على أفراد أسرته جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يصلها من علماء العربية في الأقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث القيمة والمقالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه البحوث وساعد المجمع على طبع بعض مآحقه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بحث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على إلقاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع إليها الرجال والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في جملة جهوده ، بمراقبة الأقلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الأقلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الأقلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (١٣٥) كتاباً من عيون تراثنا الأدبي القديم وحقق أكثر هذه الكتب أعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الأقطار العربية والأجنبية ، يضاف إلى هذا (٤٤) مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، فيكون بذلك مجموع ما طبعه (١٧٩) مجلداً هي من أمهات كتب المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لا سيما إذا علمنا ضعف قدرة المجمع العادية ووسائله القليلة .

لقد عمل المجمع على أن يختار لعضويته أصحاب الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها فضم إليه خلال مدة وجوده (٢٥١) عضواً بين عامل ومراسل وجلهم من أعلام العرب والمستشرقين ، وقد توفي منهم إلى رحمة الله (١٦٦) عضواً وبقي منهم (٧٥) عضواً مازالوا بحمد الله يعملون وينتجون ، مد الله بعمرهم وبارك أعمالهم .

هذا أيها السادة ، لحظة عاجلة من ماضي مجمعنا ، وإليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (١٩٦٧ - ١٩٦٨) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر بمض الأعمال وعهد إلى مكتب المجمع أمر تحقيقها وقد أنجز منها أو كاد الطبوعات التالية :

- ١ - ديوان الخالدين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .
- ٢ - قطب السرور في أوصاف الخمر لأبي أسحق إبراهيم المعروف بالرفيق النديم القيرواني تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .
- ٣ - التوبة على حدوث التصحيف لمخزوم بن الحسن الأصفهاني ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحصري والأستاذ عبد المعين الملوحي .
- ٤ - سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كنون .
- ٥ - خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء الشام) للمهاد الأصفهاني الكاتب تحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ٦ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .
- ٧ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) وضع الدكتور سامي خاف حمارة .
- ٨ - ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ محمد النفاس والدكتور حسين عطوان .
- ٩ - فهرس المجلدة العائرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وضع الآنسة ملك هنانو .
- ١٠ - مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٣) لسنة ١٩٦٨ .

ويوجد تحت الطبع :

- ١ - كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .
- ٢ - نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الإنسان ، للدكتور صلاح الدين الكواكبي .
- ٣ - كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- ٤ - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٤) لعام ١٩٦٩ العددان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (٤٣٨) صفحة اشترك في تحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابات :

- ١ - انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضواً مراسلاً
- ٢ - الأستاذ ناصر الدين الأسد (الأردن) عضواً مراسلاً
- ٣ - الدكتور فيصل دبوب (العراق) عضواً مراسلاً
- ٤ - الأستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضواً مراسلاً

استقبال أعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين زميلين كريمين رشحها لعضوية المجمع علمها وفضلها وإخلاصها لمبادئ المجمع وهما الأستاذان : وجيه البمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من أعلام الفكر والعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الأستاذ الرئيس برحلة إلى مصر والعراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معها أمر تعزيز العلاقات الأخوية فيما بين المجمع الثلاثة والتعاون فيما بينهم عن طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مثمرة ومفيدة تكللت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات فعلاً .

إهداء مكتبات :

١ - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخطوطات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ - كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ - وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلأولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .

إنشاءات :

إن مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل أسباب الراحة .

الوفيات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة أن يذكر بالأسف والرحمة الأعضاء الراحلين ممن وافقهم النية هذا العام وهم المغفور لهم : الأستاذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دعي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها ، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للطبوعات العلمية الذي سيعقده المجمع العالمي في بولون (إيطاليا) .

وقد لبى المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيه الأستاذ الرئيس الدكتور حسني مسبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تأييداً للمغفور له الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، وأحد أعضاء مجمع القاهرة سابقاً .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها ، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقة الآذربيجانية .

دار الكتب الظاهرية :

ولإيكم في النهاية تقرير مديرية دار الكتب الظاهرية السنوي وخلاصة عن نشاطها وأنواع الكتب والمطبوعات فيها :

إلى الأمانة العامة لمجمع اللغة العربية

رفع إليكم التقرير السنوي لدار الكتب الوطنية الظاهرية عن عام ١٩٦٨ .

آ - الكتب المخطوطة :

- ١ - بلغ عدد المخطوطات التي دخلت الدار خلال العام النصـرم (٦٦) مخطوطة .
- ٢ - بلغ عدد الأفلام المصورة لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢٥٧) فلماً .

ب - الكتب المطبوعة :

- ١ - بلغ عدد الكتب التي دخلت الدار (١٤٢٥) كتاباً منها :
- أ - (٤٩٢) كتاباً مشترى .
- ب - (٧٤٩) = مهدى .

ج - الدوريات :

هناك (٤٩٥) عدداً من مجلات مختلفة سجلت في سجلات الدار .

د - الرواد :

بلغ عدد قراء دار الكتب الظاهرية ١٨٩٣٣ مطالعاً .
يرجى التفضل بالاطلاع وأخذ العلم .

مدير دار الكتب الظاهرية
الدكتور عزة حسن

١٩٦٩/٤/٢٧



بيان في مشروعات

دورة الجمع لعام ١٩٦٩ - ١٩٧٠

أرحب بالسادة الزملاء أعضاء الجمع أطيب ترحيب وأتمنى لهم في دورتهم الجديدة نشاطاً موفوراً وجهداً مشكوراً ، كما أتمنى لهم دوام الصحة والعافية ، وآمل أن تكون العطلة الصيفية وما كان فيها من استجمام وراحة حافزاً على الجهد وباعثاً على الدأب في كل مجال من مجالات العمل الجمعي الذي يجتمع مجلسكم الموقر من أجله .

أيها الاخوة الزملاء ، إننا نبدأ في جلستنا هذه مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس مجتمنا هذا ، ولقد كانت المرحلة التي مرت بنا مرحلة إنشاء وتأسيس ، وفترة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند إليها هذا الصرح ، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد ، يرمي إلى رفع مستوى الجمع وإعلاء شأنه في كل هدف من أهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد الجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم العائش الذي سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام ١٩٦٩ وسيشارك الجمع في هذا العيد الكبير ليحتفل بمرور خمسين عاماً على إنشائه ، وقد خصصت له أيام خاصة يتحدث بها الجمعيون عن تاريخ الجمع ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا الجمع إلى المشاركة في هذا الاحتفال رئيسي ونائبي الرئيسين والأمينين العاميين لجمعي القاهرة وبغداد والأمين العام لكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

إن لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو أن يتحقق جلها إن لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن أهمها :

- ١ - ملء الشواغر بانتخاب الأعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .
- ٢ - وألفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة إلى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية فإن كثرة الأعمال أصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما أن وضع المجمع قد أصبح يقضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديرية المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

- ١ - سيعمد المجمع إلى إكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقاً وهي :
 آ - فهرس المجلة العاشرة من تاريخ ابن عساكر وضع الأئمة ملك هنانو .
 ب - فهرس مخطوطات قسم الطب للأستاذ سامي حمارة .
 ج - كتاب «ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب» تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
 د - فهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .
 هـ - طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الأشياء للمعسكري . تحقيق الدكتور عزة حسن .

٢ - المباشرة بطبع الكتب الآتية :

أ - ديوان الشاعر ابن أحرر تحقيق الدكتور محمد عطوان الأستاذ في الجامعة الأردنية .

ب - ديوان عريقة السكلي تحقيق أحمد الجندي .

ج - طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة أسماء الحمصي .

د - طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ - طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و - طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » للشيخ عبد الغني النابلسي وتحقيق الأستاذ عارف النسكي .

ز - طبع فهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك عند العرب وضع الأستاذ إبراهيم الخوري .

ح - طبع فهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء ٣١ - ٤٠ وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

ط - طبع فهرس مخطوطات قسم الأدب واللغة في دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

ي - طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الأنسة ملك هنانو .

ك - طبع المجلد (٤٥) من مجلة المجمع .

٣ - وقد قرر المجمع إعادة طبع أكبر عدد من مطبوعاته ومن أعداد مجلته التي نفذت وبأشر طبع المجلد الأول من المجلة .

أما المشروعات التي تتعلق بدار الكتب الظاهرية خاصة فأهمها :
 أ - السعي إلى إنجاز المرحلة الثانية من توسيع بناء دار الكتب
 لتصبح وافية بالغرض الذي أنشئت من أجله .

ب - تصوير ما بقي من مخطوطات دار الكتب .

الوفيات :

فجع المجتمع بوفاته عضو بارز من أعضائه المراسلين وهو الدكتور
 عبد الرحمن الكيالي رحمه الله .

هذا ما أمكن الإشارة إليه في بياننا الجديد لدورة عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠
 من أعمال ومشروعات راجياً أن تتوفر الأسباب لتحقيقها .

بجمع اللغة العربية
 الأمين العام
 جعفر الحسني



إهداء كتب

١ - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم ، وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخلفات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ - كذلك ونفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته ، وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ - وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد ، فلأولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .



الوفيات

ويذكر المجمع بالأسف والرحمة الأعضاء الجميعين الراحلين ممن وافقهم منيتهم هذا العام وهم المغفور لهم : الأستاذ الكبير ساطع الحصري من العراق والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من تونس ، والأستاذ منير القاضي من العراق رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .



الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال عام ١٩٦٩

العدد

- ١ — أنشودة أينغراند ترجمة محمد جديد وميستيل كيلر ١
- ٢ — الفكر لألماني من لوثر إلى نيتشه تيسير شيخ الأرض ١
- والدكتور أسعد درقاوي ١
- ٣ — العالم الثالث ترجمة حسام الخطيب وهيفاء هاشم ٢
- ٤ — دستور ألمانيا الديمقراطية ١
- ٥ — سعدي الشيرازي (البستان) ترجمه شعراً محمد الفراقي ٢
- ٦ — من دفتر الصامت محمد عفيفي مطر ٢
- ٧ — جرائم الحرب في فييتنام برتراند رسل محمود فلاحه ١
- ٨ — تاريخ خليفة بن خياط (القسم الثاني) ١
- ٩ — الحياة الجديدة ذكرى شوقي (عدد ممتاز) ١
- ١٠ — ديوجين مصباح الفكر (العدد السابع) ١
- ١١ — ميمونه عبد الله ساجي ١
- ١٢ — مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا البلغارية (المجمع العلمي العراقي) ١
- ١٣ — داود باشا ونهاية الممالك في العراق (المجمع العلمي العراقي) ١
- ١٤ — مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١٦ ١
- ١٥ — في الأدب العربي الحديث يوسف عز الدين ١
- ١٦ — فهارس مجلة المجمع العلمي العراقي ١

العدد

- ١٧ — مع الريح عبد السلام عيون السود ١
- ١٨ — الأرض والسماء ترجمة أدم السمان ١
- ١٩ — بيت الإنسانية أكبر عمار خاتم ترجمة ١
- ٢٠ — الفن الإسلامي جورج ماسيه عفيف بهنسي ١
- ٢١ — افلاطون طيماوس ترجمة فؤاد بر بارة ١
- ٢٢ — دروس في الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول) ١
- ٢٣ — مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية (العدد ١٩) ١
- ٢٤ — ديوان قيس بن الخطيم ناصر الدين الأسد ١
- ٢٥ — ديوان الطرماح عزة حسن ١
- ٢٦ — القيان والغناء في العصر الجاهلي ناصر الدين الأسد ١
- ٢٧ — محاضرات في الشعر الحديث ناصر الدين الأسد ١
- ٢٨ — محاضرات عن خليل بيدس ١
- ٢٩ — التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١
- ٣٠ — الكيمياء العامة (الجزء الأول والثاني) التعليم العالي ١
- ٣١ — مختصر لوامع الأنوار البهية ومواطع الأسرار الأثرية ١
- ٣٢ — درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ١
- ٣٣ — مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد رؤوف جمال الدين ١
- ٣٤ — الاجراءات الادارية للخطيب ١
- ٣٥ — الأدب العربي المعاصر في سورية لسامي الكيالي ١

العدد

- ٣٦ — الأعلام العربية للسامرائي ١
- ٣٧ — المعجم العربي حسين نصار (جزآن) ١
- ٣٨ — أمراء البيان ١
- ٣٩ — حكاية الأيام الثلاثة ١
- ٤٠ — مجموعة القواعد القانونية التي قررتها محكمة النقض في قضايا العمل ١
- ٤١ — العمل العلمي في البلاد المتدئة شيت سليمان ١
- ٤٢ — الاسلام والثقافة العربية أنور الجندي ١
- ٤٣ — اسارة بهدينان العباسية محفوظ محمد عمر ١
- ٤٤ — نصف العيش الدكتور عادل البكري ١
- ٤٥ — ألوان من الجزائر (شعر) محمد الأخضر عبد القادر السباعي ١
- ٤٦ — مالك حداد رصيف الأزهار ١
- ٤٧ — البحرية الجزائرية ١
- ٤٨ — تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك محمد الهلالي (٣ أجزاء) ١
- ٤٩ — عيون البصائر محمد البشير الابراهيمي ١
- ٥٠ — الفوائد المهمة وجيه الجياوي ١
- ٥١ — التين عماد حاتم ٢
- ٥٢ — يا مال الشام سهام ترجمان ١
- ٥٣ — قول على قول حسن سعيد الكرمي ١
- ٥٤ — نساء متفوقات مسلمي الحفار الكزبري ١

المدد

- ٥٥ - عينان من اشبيلية سلمى الحفار الكزبري ١
- ٥٦ - الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول ، المجلد الثالث) ١
- ٥٧ - رسائل في النحو واللغة ١
- ٥٨ - سورية الثورة في عامها السادس وزارة الاعلام السورية ٣
- ٥٩ - تاريخ فن الحرب ستروكوف ٢
- ٦٠ - رسائل في النحو واللغة الدكتور مصطفى جواد
- والأستاذ يعقوب مسكوني ١
- ٦١ - مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل ترجمة أنطون حمصي ١
- ٦٢ - ابيق فرحي دائماً جان جيونو ترجمة سعيد القضائي ١
- ٦٣ - رباب الكاظمي - دراسة وشعر عبد الرحيم محمد علي ١
- ٦٤ - الكيمياء العامة (الجزء الثاني) كلية العلوم بجامعة دمشق ١
- ٦٥ - بطاركة الشرق أغناطيوس يعقوب الثالث ١
- ٦٦ - الغابة المنسية أحمد نخيمر ١
- ٦٧ - النبوة سعدي لين ١
- ٦٨ - اللمعة الدمشقية (الجزء ٧) محمد جمال الدين مكي العاملي ١
- ٦٩ - الفيزياء النظرية (الجزء الأول) وزارة التعليم العالي ١
- ٧٠ - معجم تج المروس (الجزء ٥) الزبيدي ١
- ٧١ - من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث ابراهيم الروي ١
- ٧٢ - عبر وعبرات جواد المرابط ١

العدد

- ٧٣ - معجم الهندسة الميكانيكية روسي عربي كيفورك مينارجيان ١
- ٧٤ - المعجم الفني = = = = ١
- ٧٥ - الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق فاضل الخالدي ١
- ٧٦ - المقدّمين في تاريخ البلدان الأمين (٧ أجزاء) أبو الطيب الغفاري ١
- ٧٧ - المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية تأليف محمد بن أحمد العقيلي (قدّم الكتاب الأستاذ حمد الجاسر) . ١



فهرس المجلد الرابع والأربعين الجزء الأول والثاني

صفحة

٣	محمدا بعد نصف قرن من تأسيسه	الدكتور حمدي سبيع . . .
١٤	خمدون عاماً	الأستاذ شفيق جبري . . .
١٨	سابق البربري : شاعر من المغرب عاش في الشام	الأستاذ عبد الله كنون . . .
٤٥	العربية بين الفصحى والعامية	الأستاذ عارف التكددي . . .
٦١	الألفاظ الانشائية في السريانية والعربية	د.اسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث . . .
٧٤	مجلة المجمع العلمي العربي بمناسبة بلوغ المجمع خمسين عاماً	الأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
٩١	عهد الرئيس : محمد كرد علي و خليل مردم	الدكتور سامي الدهان . . .
١١٣	صدقة من تاريخ النقد	الدكتور جميل صليبا . . .
١٣٧	النظام القرآني	الأستاذ محمد المبارك . . .
١٥٥	المجمعون في خمسين عاماً	
	الفهم الأول - الأعضاء المؤسسون :	
	١ - الأستاذ الرئيس محمد كرد علي	
	٢ - الشيخ أمين سويد	
	٣ - الأستاذ أنيس سلوم	
	٤ - الشيخ سعيد الكرمي	
	٥ - الشيخ عبد انقادو المغربي	
	٦ - الأستاذ عز الدين التوتوخي	
	٧ - الأستاذ عباسي أمسكندر العلوف	
	٨ - الأستاذ مقري قدسلفت	
٢٥٦	امارة بجهولة	الأستاذ خير الدين الزركلي . . .
٢٦٦	العقل بين النظريتين المادية والروحية	الدكتور عبد الرحمن الكيالي . . .
٢٨٩	العوامل الحفية في التطور القوي	الأستاذ أنيس القدسي . . .
٣٠٩	الجهاد ومسوغاته الشرعية	الدكتور صبحي المحمسماني . . .
٣٢٣	تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي اللبناني	الأستاذ محمد جميل بيم . . .
٣٤٣	العلم القديم بين الشرق والغرب	الدكتور عمر فروع . . .
٣٥٥	بعض الكتابات عن الأدب العربي الحديث في المغرب الأقصى	الدكتور عبد الكريم جرمانوس . . .
٣٦٣	لمحة عن التاريخ الأدبي	الأستاذ علي الفقيه حسن . . .
٣٧٥	التحف الوطني بدمشق	الأستاذ محمد أبو الفرج العشي . . .
٣٩٢	ذكريات... المجمع العلمي العربي والأستاذ محمد كرد علي	الأستاذ محمد الترققي . . .
٣٩٧	نظرة في حجم اللغة العربية في دمشق	الأستاذ عباس الراوي . . .

آراء وأنباء

٤٠٠	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٨ / ١٣٨٩ = ١٩٦٩ م
٤٠٣	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون
٤١٨	بيان أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق لدورة سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م
٤١٣	تقرير عن الاشتراك في الحفل التأسيسي في القاهرة للرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي
٤٢١	مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق خلال خمسين عاماً (منذ إنشائه إلى سنة ١٩٦٨ م)

الجزء الثالث

صفحة

٤٣٩	بقايا الفصح	الأستاذ شفيق جبري
٤٤٦	فريد العروبة الأستاذ ساحل الحصري	الدكتور عدنان الخطيب
٤٦٤	نظرة عيان وتبيان في مقالة أسياء أعضاء الإنسان (٧)	الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٤٧٩	صفحات من تاريخ الاستشفاء (٥)	الدكتور كامل عباد
٤٨٨	قوات الوفيات في طبيعته الجديدة (الجزء الثاني) (٤)	الدكتور مصطفى جواد
٥٠٥	شعر الوقوف على الأطلال (٤)	الدكتور عزة حسن
٥١٥	أبو علي الفاي وكتابه الأماني	الدكتور عمر الدقاق
٥٣٨	ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة (٥)	الدكتور علي جواد الطاهر
٥٥٤	كتاب «الجوهريين»	الأستاذ حمد الجاسر
٥٦٩	وصف الطبيعة في شعر المتنوري (٢)	الأستاذ فواز أحمد طوقان
٥٧٧	محكمة الماء في بنسنة	الدكتور فيصل دهبوب
٥٨١	مجتمع الممناني من خلال مقاماته (٤)	الدكتور مازن المبارك
٥٩٦	نافذة تعال على تاريخ البنسنة	الأستاذ محمد أحمد دهمان

التعريف والنقد

٦٠٣	كتاب (الأيقون)	الدكتور كامل عباد
٦٠٦	المعلم رفيع قبريش	{ الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٦١٣	نظرة في معجم الطحانة والجازة والفراسة	
٦١٩	مدينة دمشق	{ الأستاذ عارف النكدي
٦٢٣	الملكية زنوبيا	
٦٢٥	كتاب المفوات النادرة	الدكتور عزة حسن

آراء وأنباء

٦٣٢	تأبين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة
٦٦٠	كلمة الدكتور حسي سبيح في الجلسة التي عقدت لاستقبال الأستاذ وجيه الدمان
٦٦٤	كلمة المهندس الأستاذ وجيه الدمان في حقبة استقباله عن سلفه المرحوم فارس الحوري
٦٨٤	أعلام مطبعية

الجزء الرابع

٦٨٧	تطور اللغة في العصر العباسي	الأستاذ شفيق جبري . . .
٧٠٠	الاصطلاحات الفلسفية (٣٣)	الدكتور جميل صليبا . . .
٧٤٠	الثقافة الإسلامية بالقرب بين المرابطين والموحدين	الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور . .
٧٦٨	نظرة عيان وتبيان في حقاله أسماء أعضاء الإنسان (٨)	الدكتور صلاح الدين الكواكبي . .
٧٨٩	صفحات من تاريخ الاستغراق (٩)	الدكتور محمد كامل عياد . . .
٨٠٠	فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الثاني) (٥)	الدكتور مصطفى جواد . . .
٨١٣	شعر الوقوف على الأطلال (٥)	الدكتور عزة حسن . . .
٨٢٤	شيء من القمل في الدرية	الدكتور ابراهيم السامرائي . .
٨٣٥	مجمع الممداني من خلال مقاماته (٥)	الدكتور مازن المبارك . . .
٨٤٧	دراسات في العربية والأندلسية	الدكتور خليل سمعان . . .
٨٦٦	بين كاتب وشاعر	الأستاذ أحمد الجندي . . .
٨٧٥	الكلمات التركبية في اللهجات العربية الحديثة (١)	الأستاذ ف. عبد الرحيم . . .

التعريف والنقد

٨٨٣	أسماء البيان	الأستاذ شفيق جبري . . .
٨٨٥	حكاية الأيام الثلاثة	الأستاذ شفيق جبري . . .
٨٨٧	التجاهات النقد الحديث	الأستاذ ظافر القاسمي . . .
٨٩٤	دراسات في لغة اللغة	الدكتور عزة حسن . . .
٨٩٧	المورد (قاموس إنكليزي - عربي)	الدكتور ميشيل الخوري . . .
٩١٣	المعجم العربي	الأستاذ سعيد الأفغاني . . .
٩١٥	الأعلام العربية	الأستاذ سعيد الأفغاني . . .
٩٢٧	طب الحيشة وبناتها	الأستاذ حسن الشفا . . .
٩٣٠	مجل تاريخ الأدب التونسي	الأستاذ محمد رضا كحلالة . . .
٩٣٢	الأصول العربية اللغويات السودانية	الأستاذ محمد رضا كحلالة . . .
٩٣٤	كتاب الطبقات	الأستاذ محمد رضا كحلالة . . .
٩٣٥	العصا في حياتنا وتراثنا	الأستاذ محمد رضا كحلالة . . .
٩٣٦	ديوان كمال نصرمت	الأستاذ أحمد الجندي . . .
٩٣٧	ديوان محمد العيد محمد علي خليفة	الأستاذ أحمد الجندي . . .
٩٣٩	الأشغال البغدادية المقارنة (الجزء الثاني)	الأستاذ أحمد الجندي . . .
٩٤٠	ديوان ابن الدهان الموصلية	الأستاذ أحمد الجندي . . .

تابع فهرس الجزء الرابع

صفحة	آراء وأنباء
٩٤٧	المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) بانتخاب الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاماً
٩٤٧	خطاب الدكتور عدنان الخطيب في حفلة استقبال الأستاذ عبد الهادي هاشم
٩٥٢	خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم في حفلة استقبال
٩٧٨	ظاهرة في المعجم العربي جديدة بالدراسة (٤) . الدكتور عدنان الخطيب
٩٨٢	الرباعيات والثنائيات
٩٩٠	السلطانة رضية الدين لا بجلالة الدين
٩٩٣	التقرير السنوي (للدورة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م)
١٠٠١	بيان في مشروعات دورة الجمع لعام (١٩٦٩ — ١٩٧٠ م)
١٠٠٥	إهداء كتب ، الوفيات
١٠٠٦	الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق خلال عام ١٩٦٩ م

